شرح نهج البلاغة

السيد عباس علي الموسوي

الجزء الثاني

دار الرسول الأكرم (ص)
دار المحجة البيضاء

www.haydarya.com

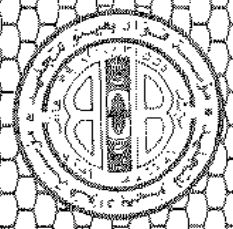

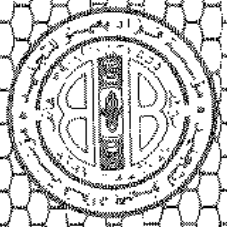

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

٣٨/٠
٨م/
٤ش
٢ح

كافة الحقوق محفوظة ومسجلة

الطبعة الأولى

١٤١٨ هـ - ١٩٩٨ م

دار الرسول الأكرم

طباعة - نشر - توزيع

بيروت - لبنان - حارة حريك شارع القسيس خلف البلدية . ص ب ٨٦٠١ / ١١

هاتف ٨١٤٢٩٤ / ٠٣ . فاكس ٨٢٣٥١٩ / ٠١ . ٠١٦٠١٠١٩

كافة الحقوق محفوظة ومسجلة

الطبعة الأولى

١٤١٨ هـ - ١٩٩٨ م

دار الرسول الأكرم

طباعة - نشر - توزيع

بيروت - لبنان - حارة حريك شارع القسيس خلف البلدية ، ص ب ٨٦٠١ / ١١

هاتف ٨١٤٢٩٤ / ٠٢ . فاكس ٨٢٣٥١٩ / ٠١ . ٠١٦٠١٠١٩

٣ ـ تعقد : من عقد القلب إذا اعتقده ودان به.
٤ ـ ناله : أصابه.
٥ ـ التجزئة : التقسيم.
٦ ـ تحيط : تحدق به من جوانبه.
٧ ـ العبر : جمع عبرة ما يعتبر به أي يتعظ.
٨ ـ النوافع : جمع نافع وهو المفيد.
٩ ـ الآي : جمع آية وهي العلامة.
١٠ ـ السواطع : المشرقة المنيرة.
١١ ـ ازدجروا : امتنعوا وانتهوا.
١٢ ـ النذر : جمع نذير المخوّف.
١٣ ـ البوالغ : جمع البالغة الواصلة إلى نهاية الشيء وغايته.
١٤ ـ علقت : نشبت.
١٥ ـ مخالب : جمع مخلب وهو للحيوان بمثابة الظفر للإنسان.
١٦ ـ المنية : الموت.
١٧ ـ دهمتكم : غشيتكم.
١٨ ـ مفظعات الأمور : شدائدها الشنيعة.
١٩ ـ الورد : في الأصل مكان الشرب والمراد به هنا الموت أو المحشر.
٢٠ ـ درجات : جمع درجة وهي الطبقات والمراتب.
٢١ ـ لا يظعن مقيمها : لا يرحل مقيمها.
٢٢ ـ الهرم : من بلغ أقصى الكبر.
٢٣ ـ يبأس : مضارع بئس يصيبه البؤس وهو الشقاء.

الشرح

(**وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له**) يذكر عليه السلام بعض مسائل التوحيد وذكر أولاً توحيد الله وأنه لا شريك له في الخلق بل كما قال سبحانه: ﴿**قل هو الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد**﴾ فهو واحد في ذاته واحد في صفاته لا شريك له في الخلق...

(**الأول لا شيء قبله والآخر لا غاية له**) فهو خالق الأشياء وموجودها وهي مفتقرة إليه في وجودها وفي بقائها.، وهو الآخر الذي لا نهاية له ولا حد لوجوده يقف عنده...

٣ ـ تعقد : من عقد القلب إذا اعتقده ودان به.
٤ ـ ناله : أصابه.
٥ ـ التجزئة : التقسيم.
٦ ـ تحيط : تحدق به من جوانبه.
٧ ـ العبر : جمع عبرة ما يعتبر به أي يتعظ.
٨ ـ النوافع : جمع نافع وهو المفيد.
٩ ـ الآي : جمع آية وهي العلامة.
١٠ ـ السواطع : المشرقة المنيرة.
١١ ـ ازدجروا : امتنعوا وانتهوا.
١٢ ـ النذر : جمع نذير المخوّف.
١٣ ـ البوالغ : جمع البالغة الواصلة إلى نهاية الشيء وغايته.
١٤ ـ علقت : نشبت.
١٥ ـ مخالب : جمع مخلب وهو للحيوان بمثابة الظفر للإنسان.
١٦ ـ المنية : الموت.
١٧ ـ دهمتكم : غشيتكم.
١٨ ـ مفظعات الأمور : شدائدها الشنيعة.
١٩ ـ الورد : في الأصل مكان الشرب والمراد به هنا الموت أو المحشر.
٢٠ ـ درجات : جمع درجة وهي الطبقات والمراتب.
٢١ ـ لا يظعن مقيمها : لا يرحل مقيمها.
٢٢ ـ الهرم : من بلغ أقصى الكبر.
٢٣ ـ يبأس : مضارع بئس يصيبه البؤس وهو الشقاء.

الشرح

(وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له) يذكر عليه السلام بعض مسائل التوحيد وذكر أولاً توحيد الله وأنه لا شريك له في الخلق بل كما قال سبحانه: **﴿قل هو الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد﴾** فهو واحد في ذاته واحد في صفاته لا شريك له في الخلق...

(الأول لا شيء قبله والآخر لا غاية له) فهو خالق الأشياء وموجودها وهي مفتقرة إليه في وجودها وفي بقائها.، وهو الآخر الذي لا نهاية له ولا حد لوجوده يقف عنده...

هذا الإنسان من كونه سيسعى ليصبح شخصية عظمى أو غنياً كبيراً أو مفكراً جليلاً هذه الأماني قد أيقظتها تلك النذر التي وفدت على هذا الإنسان ووردت عليه فالموت يقطع الآمال ويوقف الأماني ويحطم العزائم . . .

(**ودهمتكم مفظعات الأمور**) حلّت بكم شدائد الأمور عند الموت حيث الاحتضار وسكراته وعذابه وآلامه ثم ما بعده من عذاب القبر وأهوال يوم القيامة . . .

(**والسياقة إلى الورد المورود فكل نفس معها سائقٌ وشهيد سائق يسوقها إلى محشرها وشاهد يشهد عليها بعملها**) فبعد الموت يساق الإنسان سوقاً إلى مكان وروده ومحط ركابه ألا وهو المحشر حيث يجمع الله الخلق للحساب وتأتي كل نفس معها سائق من الملائكة أو هو نفس العمل ومعها أيضاً شهيد من الأنبياء الذين بلغوا الرسالة وأوصلوا الأمانة أو شهيد من أعمالها يشهد عليها إنها من أهل الجنة أو من أهل النار وهذا المعنى مأخوذ من قوله تعالى: ﴿**وجاءت كل نفس معها سائق وشهيد**﴾ .

فأما إن كانت من أهل الإيمان فالسياق إلى الجنة كما قال تعالى: ﴿**وسيق الذين اتقوا ربهم إلى الجنة زمراً حتى إذا جاؤوها وفتحت أبوابها وقال لهم خزنتها سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين**﴾ .

وأما إن كانت من أهل التمرد والعصيان فإنها تساق إلى النار كما قال تعالى: ﴿**وسيق الذين كفروا إلى جهنم زمراً حتى إذا جاؤوها فتحت أبوابها وقال لهم خزنتها ألم يأتكم رسل منكم . .**﴾ . . .

(**درجات متفاضلات ومنازل متفاوتات لا ينقطع نعيمها ولا يظعن مقيمها**) ثم إن الجنة درجات حسب اجتهاد الإنسان ونشاطه ومراتب مختلفة حسب عطاء الإنسان في الدنيا وجهاده، هناك منازل الأنبياء ثم العلماء ثم الشهداء وهكذا تتنازل المراتب إلى أقلها وأصغرها وعلى كل حال فالنعيم لا ينقطع أو يزول كما هو حال نعيم الدنيا المعرّض للزوال والفناء، والمقيم في الجنة لا يتحول عنها أو يرحل بل إقامة دائمة . . .

(**ولا يهرم خالدها ولا يبأس ساكنها**) وهذه من خصوصيات الجنة وإن ساكنها والخالد فيها لا يهرم ولا يكبر بل يحتفظ بشبابه لا تصيبه شيخوخة أو ضعف.

كما إن ساكنها لا يصيبه الشقاء والحزن والألم عكس دار الدنيا حيث تختلط لذاتها بالألم وحلاوتها بالمرارة ونعيمها بالبؤس . .

هذا الإنسان من كونه سيسعى ليصبح شخصية عظمى أو غنياً كبيراً أو مفكراً جليلاً هذه الأماني قد أيقظتها تلك النذر التي وفدت على هذا الإنسان ووردت عليه فالموت يقطع الآمال ويوقف الأماني ويحطم العزائم . . .

(ودهمتكم مفظعات الأمور) حلّت بكم شدائد الأمور عند الموت حيث الاحتضار وسكراته وعذابه وآلامه ثم ما بعده من عذاب القبر وأهوال يوم القيامة . . .

(والسياقة إلى الورد المورود فكل نفس معها سائقٌ وشهيد سائق يسوقها إلى محشرها وشاهد يشهد عليها بعملها) فبعد الموت يساق الإنسان سوقاً إلى مكان وروده ومحط ركابه ألا وهو المحشر حيث يجمع الله الخلق للحساب وتأتي كل نفس معها سائق من الملائكة أو هو نفس العمل ومعها أيضاً شهيد من الأنبياء الذين بلغوا الرسالة وأوصلوا الأمانة أو شهيد من أعمالها يشهد عليها إنها من أهل الجنة أو من أهل النار وهذا المعنى مأخوذ من قوله تعالى: ﴿**وجاءت كل نفس معها سائق وشهيد**﴾ .

فأما إن كانت من أهل الإيمان فالسياق إلى الجنة كما قال تعالى: ﴿**وسيق الذين اتقوا ربهم إلى الجنة زمراً حتى إذا جاؤوها وفتحت أبوابها وقال لهم خزنتها سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين**﴾ .

وأما إن كانت من أهل التمرد والعصيان فإنها تساق إلى النار كما قال تعالى: ﴿**وسيق الذين كفروا إلى جهنم زمراً حتى إذا جاؤوها فتحت أبوابها وقال لهم خزنتها ألم يأتكم رسل منكم . .**﴾ . . .

(درجات متفاضلات ومنازل متفاوتات لا ينقطع نعيمها ولا يظعن مقيمها) ثم إن الجنة درجات حسب اجتهاد الإنسان ونشاطه ومراتب مختلفة حسب عطاء الإنسان في الدنيا وجهاده، هناك منازل الأنبياء ثم العلماء ثم الشهداء وهكذا تتنازل المراتب إلى أقلها وأصغرها وعلى كل حال فالنعيم لا ينقطع أو يزول كما هو حال نعيم الدنيا المعرّض للزوال والفناء، والمقيم في الجنة لا يتحول عنها أو يرحل بل إقامة دائمة . . .

(ولا يهرم خالدها ولا يبأس ساكنها) وهذه من خصوصيات الجنة وإن ساكنها والخالد فيها لا يهرم ولا يكبر بل يحتفظ بشبابه لا تصيبه شيخوخة أو ضعف .

كما إن ساكنها لا يصيبه الشقاء والحزن والألم عكس دار الدنيا حيث تختلط لذاتها بالألم وحلاوتها بالمرارة ونعيمها بالبؤس . .

ٱلظَّلَمَةِ[٢٤]، وَلَا تُدَاهِنُوا[٢٥] فَيَهْجُمَ بِكُمُ ٱلْإِدْهَانُ عَلَىٰ ٱلْمَعْصِيَةِ. عِبَادَ ٱللَّهِ، إِنَّ أَنْصَحَ ٱلنَّاسِ لِنَفْسِهِ أَطْوَعُهُمْ لِرَبِّهِ، وَإِنَّ أَغَشَّهُمْ لِنَفْسِهِ أَعْصَاهُمْ لِرَبِّهِ؛ وَٱلْمَغْبُونُ[٢٦] مَنْ غَبَنَ نَفْسَهُ، وَٱلْمَغْبُوطُ[٢٧] مَنْ سَلِمَ لَهُ دِينُهُ، «وَالسَّعِيدُ مَنْ وُعِظَ بِغَيْرِهِ»، وَالشَّقِيُّ مَنِ ٱنْخَدَعَ لِهَوَاهُ وَغُرُورِهِ. وَٱعْلَمُوا أَنَّ «يَسِيرَ الرِّيَاءِ شِرْكٌ»، وَمُجَالَسَةَ أَهْلِ ٱلْهَوَى مَنْسَاةٌ[٢٨] لِلإِيمَانِ، وَمَحْضَرَةٌ لِلشَّيْطَانِ[٢٩]. جَانِبُوا[٣٠] ٱلْكَذِبَ فَإِنَّهُ مُجَانِبٌ لِلإِيمَانِ. الصَّادِقُ عَلَىٰ شَفَا[٣١] مَنْجَاةٍ وَكَرَامَةٍ، وَٱلْكَاذِبُ عَلَىٰ شَرَفِ[٣٢] مَهْوَاةٍ[٣٣] وَمَهَانَةٍ[٣٤]. وَلَا تَحَاسَدُوا، فَإِنَّ ٱلْحَسَدَ[٣٥] يَأْكُلُ ٱلْإِيمَانَ «كَمَا تَأْكُلُ النَّارُ الْحَطَبَ»، «وَلَا تَبَاغَضُوا فَإِنَّهَا ٱلْحَالِقَةُ[٣٦]»؛ وَٱعْلَمُوا أَنَّ ٱلْأَمَلَ يُسْهِي[٣٧] ٱلْعَقْلَ، وَيُنْسِي ٱلذِّكْرَ. فَأَكْذِبُوا ٱلْأَمَلَ فَإِنَّهُ غُرُورٌ، وَصَاحِبُهُ مَغْرُورٌ.

اللغة

١ ـ السرائر : جمع سريرة وهو ما يكتم من السر.
٢ ـ خبر : بفتح الباء بمعنى امتحنها وابتلاها وبالكسر علم.
٣ ـ الإحاطة : الإحداق بالشيء من جميع جوانبه.
٤ ـ الغلبة : القهر.
٥ ـ المهل : المهلة والتؤدة.
٦ ـ الإرهاق : الإعجال.
٧ ـ أجله : موته، الوقت المضروب له.
٨ ـ أوان : وقت.
٩ ـ متنفسه : سعة وقته.
١٠ ـ الكظم : مخرج النفس.
١١ ـ مهد : بسط ووطأ ومهد الأمر ذلله.
١٢ ـ الظعن : الرحيل.
١٣ ـ العبث : هو العمل الذي لا فائدة فيه.
١٤ ـ السدى : المهمل.

ٱلظَّلَمَةِ[٢٤]، وَلَا تُدَاهِنُوا[٢٥] فَيَهْجُمَ بِكُمُ ٱلْإِدْهَانُ عَلَىٰ ٱلْمَعْصِيَةِ. عِبَادَ ٱللَّهِ، إِنَّ أَنْصَحَ ٱلنَّاسِ لِنَفْسِهِ أَطْوَعُهُمْ لِرَبِّهِ، وَإِنَّ أَغَشَّهُمْ لِنَفْسِهِ أَعْصَاهُمْ لِرَبِّهِ؛ وَٱلْمَغْبُونُ[٢٦] مَنْ غَبَنَ نَفْسَهُ، وَٱلْمَغْبُوطُ[٢٧] مَنْ سَلِمَ لَهُ دِينُهُ، «وَالسَّعِيدُ مَنْ وُعِظَ بِغَيْرِهِ»، وَالشَّقِيُّ مَنِ ٱنْخَدَعَ لِهَوَاهُ وَغُرُورِهِ. وَٱعْلَمُوا أَنَّ «يَسِيرَ الرِّيَاءِ شِرْكٌ»، وَمُجَالَسَةَ أَهْلِ ٱلْهَوَى مَنْسَاةٌ[٢٨] لِلإِيمَانِ، وَمَحْضَرَةٌ لِلشَّيْطَانِ[٢٩]. جَانِبُوا[٣٠] ٱلْكَذِبَ فَإِنَّهُ مُجَانِبٌ لِلْإِيمَانِ. الصَّادِقُ عَلَىٰ شَفَا[٣١] مَنْجَاةٍ وَكَرَامَةٍ، وَٱلْكَاذِبُ عَلَىٰ شَرَفِ[٣٢] مَهْوَاةٍ[٣٣] وَمَهَانَةٍ[٣٤]. وَلَا تَحَاسَدُوا، فَإِنَّ ٱلْحَسَدَ[٣٥] يَأْكُلُ ٱلْإِيمَانَ «كَمَا تَأْكُلُ النَّارُ الْحَطَبَ»، «وَلَا تَبَاغَضُوا فَإِنَّهَا ٱلْحَالِقَةُ[٣٦]»؛ وَٱعْلَمُوا أَنَّ ٱلْأَمَلَ يُسْهِي[٣٧] ٱلْعَقْلَ، وَيُنْسِي ٱلذِّكْرَ. فَأَكْذِبُوا ٱلْأَمَلَ فَإِنَّهُ غُرُورٌ، وَصَاحِبُهُ مَغْرُورٌ.

اللغة

١ ـ السرائر : جمع سريرة وهو ما يكتم من السر.
٢ ـ خبر : بفتح الباء بمعنى امتحنها وابتلاها وبالكسر علم.
٣ ـ الإحاطة : الإحداق بالشيء من جميع جوانبه.
٤ ـ الغلبة : القهر.
٥ ـ المهل : المهلة والتؤدة.
٦ ـ الإرهاق : الإعجال.
٧ ـ أجله : موته، الوقت المضروب له.
٨ ـ أوان : وقت.
٩ ـ متنفسه : سعة وقته.
١٠ ـ الكظم : مخرج النفس.
١١ ـ مهد : بسط ووطأ ومهد الأمر ذللّه.
١٢ ـ الظعن : الرحيل.
١٣ ـ العبث : هو العمل الذي لا فائدة فيه.
١٤ ـ السدى : المهمل.

(**له الإحاطة بكل شيء**) وإحاطته بالأشياء علمه بها قبل وجودها وبعد وجودها من المجرة إلى الذرة وفي التنزيل قوله: ﴿**ألا إنه بكل شيء محيط**﴾....

(**والغلبة لكل شيء**) فهو المسيطر على الأشياء كلها وهي طوع إرادته، وبإرادته التكوينية تكون وبعد وجودها هو المسيطر عليها والموجه لها والذي يضعها مواضعها لا تخرج عن إرادته ولا تتمرد على مشيئته....

(**والقوة على كل شيء**) له القوة على كل شيء يستطيع إفناؤه كما يستطيع إبقاؤه وقدرته بالنسبة إلى الأمرين على حد سواء فلا يعجزه شيء في السماء ولا في الأرض...

(**فليعمل العامل منكم في أيام مهله قبل إرهاق أجله**) هذا هو بيت القصيد وإليه سيقت المقدمة وقد أمر بالعمل للقادر منا في أيام الحياة ومدة البقاء فإن الإنسان في سعة قد أخر الله له الأجل وتركه في أيام عمره الطويلة ليؤدي ما عليه أما إذا حل الأجل وسقط الموت عليه انقطع عندها العمل ولم يعد للسعي محل... فالعمل في دار الدنيا فإذا حضر الموت ارتفع التكليف وبطل العمل...

(**وفي فراغه قبل أوان شغله**) ويمكن للإنسان أن يعمل ويجد ويجتهد في حال الحياة التي هي حالة الفراغ فلا يشغله احتضار ولا تمنعه آلامه ومصائبه أما وإنه إذا حلّ الموت فإنه يمنع الإنسان عن العمل ويشغله بما يصيبه من ألم وعذاب...

(**وفي متنفسه قبل أن يؤخذ بكظمه**) قبل أن يأتيه الموت بضيقه المانع من تنفسه فليأخذ في وقت راحته وفرصته قبل تلك الساعة الصعبة الحرجة الضيقة...

(**وليمهد لنفسه وقدمه**) يعمل عملاً ترتاح إليه نفسه فيما بعد كما قال تعالى: ﴿**ولتنظر نفس ما قدمت لغد**﴾ بأن يعمل الصالحات ويجتنب المحرمات ويستعد للقاء الله وحكمه...

(**وليتزود من دار ظعنه لدار إقامته**) يعمل كل واحد وهو في هذه الدار الراحل عنها وهي الدنيا إلى الدار الخالد فيها وهي الآخرة...

(**فالله الله أيها الناس فيما استحفظكم من كتابه واستودعكم من حقوقه**) أغراهم بتقوى الله الذي وكلهم في حفظ كتابه وحفظه إنما يكون بالعمل به وتنفيذ حكمه كما أوصاهم بالقيام بما أئتمنهم عليه من أحكامه وهي واجباته ومحرماته...

(**فإن الله سبحانه لم يخلقكم عبثاً ولم يترككم سدى**) لم يخلق الله هذا الإنسان

(**له الإحاطة بكل شيء**) وإحاطته بالأشياء علمه بها قبل وجودها وبعد وجودها من المجرة إلى الذرة وفي التنزيل قوله: ﴿**ألا إنه بكل شيء محيط**﴾ . . . .

(**والغلبة لكل شيء**) فهو المسيطر على الأشياء كلها وهي طوع إرادته، وبإرادته التكوينية تكون وبعد وجودها هو المسيطر عليها والموجه لها والذي يضعها مواضعها لا تخرج عن إرادته ولا تتمرد على مشيئته . . . .

(**والقوة على كل شيء**) له القوة على كل شيء يستطيع إفناؤه كما يستطيع إبقاؤه وقدرته بالنسبة إلى الأمرين على حد سواء فلا يعجزه شيء في السماء ولا في الأرض . . .

(**فليعمل العامل منكم في أيام مهله قبل إرهاق أجله**) هذا هو بيت القصيد وإليه سيقت المقدمة وقد أمر بالعمل للقادر منا في أيام الحياة ومدة البقاء فإن الإنسان في سعة قد أخر الله له الأجل وتركه في أيام عمره الطويلة ليؤدي ما عليه أما إذا حل الأجل وسقط الموت عليه انقطع عندها العمل ولم يعد للسعي محل . . . فالعمل في دار الدنيا فإذا حضر الموت ارتفع التكليف وبطل العمل . . .

(**وفي فراغه قبل أوان شغله**) ويمكن للإنسان أن يعمل ويجد ويجتهد في حال الحياة التي هي حالة الفراغ فلا يشغله احتضار ولا تمنعه آلامه ومصائبه أما وإنه إذا حلّ الموت فإنه يمنع الإنسان عن العمل ويشغله بما يصيبه من ألم وعذاب . . .

(**وفي متنفسه قبل أن يؤخذ بكظمه**) قبل أن يأتيه الموت بضيقه المانع من تنفسه فليأخذ في وقت راحته وفرصته قبل تلك الساعة الصعبة الحرجة الضيقة . . .

(**وليمهد لنفسه وقدمه**) يعمل عملاً ترتاح إليه نفسه فيما بعد كما قال تعالى: ﴿**ولتنظر نفس ما قدمت لغد**﴾ بأن يعمل الصالحات ويجتنب المحرمات ويستعد للقاء الله وحكمه . . .

(**وليتزود من دار ظعنه لدار إقامته**) يعمل كل واحد وهو في هذه الدار الراحل عنها وهي الدنيا إلى الدار الخالد فيها وهي الآخرة . . .

(**فالله الله أيها الناس فيما استحفظكم من كتابه واستودعكم من حقوقه**) أغراهم بتقوى الله الذي وكلهم في حفظ كتابه وحفظه إنما يكون بالعمل به وتنفيذ حكمه كما أوصاهم بالقيام بما أئتمنهم عليه من أحكامه وهي واجباته ومحرماته . . .

(**فإن الله سبحانه لم يخلقكم عبثاً ولم يترككم سدى**) لم يخلق الله هذا الإنسان

(وقدم إليكم بالوعيد وأنذركم بين يدي عذاب شديد) قبل العقاب والأخذ بالعذاب هدّد المكلفين وخوفهم عصيانه ثم أنذرهم بأن أمامهم عذاب شديد إن تمردوا وعصوا وخالفوا أمره. . .

(فاستدركوا بقية أيامكم واصبروا لها أنفسكم فإنها قليل في كثير الأيام التي تكون منكم فيها الغفلة والتشاغل عن الموعظة) انظروا إلى ما بقي من أعماركم وتداركوا ما فاتكم من الخيرات في أيامكم الماضية فإذا كان الإنسان قد قصّر فيما مضى من عمره فيجب أن يتدارك ذلك ويجبره فيما بقي منه وليأخذ الصبر مطيته على ما سيقوم به ويعمله فإن أيام اليقظة والعمل قليلة بالنسبة إلى أيام الغفلة ونسيان الأعمال وارتكاب المعاصي إما لأن أيام الغفلة والمعصية أكبر على وجه الحقيقة وإما لأنها مفسدة للنفس ولفسادها كانت أكبر. . .

(ولا ترخصوا لأنفسكم فتذهب بكم الرخص مذاهب الظلمة) لا تجعلوا لأنفسكم رخصة في ارتكاب بعض الأمور المكروهة أو الصغائر فإنها تجركم إلى الانحراف وتدخلون مع الظالمين في انحرافهم ومعصيتهم فإن النفس وما تعودت وإذا اعتادت اجترأت وانحرفت. . .

(ولا تداهنوا فيهجم بكم الإدهان على المعصية) لا تنافقوا على أنفسكم وتظهروا خلاف ما تضمرون فإن ذلك يصبح عادة ويجر على المعصية لأنه يصبح قاعدة عامة عندها ينحرف بها عن الاستقامة والنزاهة. . .

(عباد الله إن أنصح الناس لنفسه أطوعهم لربه وإن أغشهم لنفسه أعصاهم لربه) وهذه نصائح ومواعظ بها يتحرك الإنسان نحو منافعه ومصالحه ويجتنب عن مضاره ومفاسده وقد بيّن أن أنصح الناس لنفسه هو ذلك الذي يلتزم أوامر الله وطاعته لأن هذه الطاعة تدخله الجنة وهي أقصى ما ينشده الإنسان من السعادة. .

وفي مقابلها يكون أغش الناس لنفسه من أدخلها النار بمعصيته لله وتمرده على حكمه. . .

(والمغبون من غبن نفسه) لما كان الله قد اشترى من المؤمنين أنفسهم بأن لهم الجنة فمن باع نفسه بغير ذلك فهو الخاسر ويكون هو المخدوع والمغبون وهل هناك أخسر صفقة من إنسان يبيع نفسه ببعض ملذات الدنيا الفانية ولا يبيعها بملذات الآخرة الباقية. . .

(والمغبوط من سلم له دينه) الذي ترغبه الناس وتحبه وتريد أن تكون مثله هو الذي

(وقدم إليكم بالوعيد وأنذركم بين يدي عذاب شديد) قبل العقاب والأخذ بالعذاب **هدّد** المكلفين وخوفهم عصيانه ثم أنذرهم بأن أمامهم عذاب شديد إن تمردوا وعصوا وخالفوا أمره. . .

(فاستدركوا بقية أيامكم واصبروا لها أنفسكم فإنها قليل في كثير الأيام التي تكون منكم فيها الغفلة والتشاغل عن الموعظة) انظروا إلى ما بقي من أعماركم وتداركوا ما فاتكم من الخيرات في أيامكم الماضية فإذا كان الإنسان قد قصّر فيما مضى من عمره فيجب أن يتدارك ذلك ويجبره فيما بقي منه وليأخذ الصبر مطيته على ما سيقوم به ويعمله فإن أيام اليقظة والعمل قليلة بالنسبة إلى أيام الغفلة ونسيان الأعمال وارتكاب المعاصي إما لأن أيام الغفلة والمعصية أكبر على وجه الحقيقة وإما لأنها مفسدة للنفس ولفسادها كانت أكبر. . .

(ولا ترخصوا لأنفسكم فتذهب بكم الرخص مذاهب الظلمة) لا تجعلوا لأنفسكم رخصة في ارتكاب بعض الأمور المكروهة أو الصغائر فإنها تجركم إلى الانحراف وتدخلون مع الظالمين في انحرافهم ومعصيتهم فإن النفس وما تعودت وإذا اعتادت اجترأت وانحرفت. . .

(ولا تداهنوا فيهجم بكم الإدهان على المعصية) لا تنافقوا على أنفسكم وتظهروا خلاف ما تضمرون فإن ذلك يصبح عادة ويجر على المعصية لأنه يصبح قاعدة عامة عندها ينحرف بها عن الاستقامة والنزاهة. . .

(عباد الله إن أنصح الناس لنفسه أطوعهم لربه وإن أغشهم لنفسه أعصاهم لربه) وهذه نصائح ومواعظ بها يتحرك الإنسان نحو منافعه ومصالحه ويجتنب عن مضاره ومفاسده وقد بيّن أن أنصح الناس لنفسه هو ذلك الذي يلتزم أوامر الله وطاعته لأن هذه الطاعة تدخله الجنة وهي أقصى ما ينشده الإنسان من السعادة. .

وفي مقابلها يكون أغش الناس لنفسه من أدخلها النار بمعصيته لله وتمرده على حكمه. . .

(والمغبون من غبن نفسه) لما كان الله قد اشترى من المؤمنين أنفسهم بأن لهم الجنة فمن باع نفسه بغير ذلك فهو الخاسر ويكون هو المخدوع والمغبون وهل هناك أخسر صفقة من إنسان يبيع نفسه ببعض ملذات الدنيا الفانية ولا يبيعها بملذات الآخرة الباقية. . .

(والمغبوط من سلم له دينه) الذي ترغبه الناس وتحبه وتريد أن تكون مثله هو الذي

شرعاً يكون مصيره إلى النار حيث العذاب والهوان . . .

(ولا تحاسدوا فإن الحسد يأكل الإيمان كما تأكل النار الحطب) نهى عليه السلام أن يحسد بعضهم بعضاً والحسد هو تمني زوال النعمة عن الغير دون أن تعود إلى الحاسد نفسه والحسد مرض في القلب يؤذيه أن يرى الناس بخير وعافية فيتمنى زوالها عنهم وهذا أفظع الأمراض وأشدها فتكاً وقد نهى الله عنه ونهى رسوله وقد ذكر الإمام هذا القول الكريم بأن الحسد يأكل الإيمان كما تأكل النار الحطب فإن الحسد يضاد إرادة الله ونوع احتجاج عليه بعطائه للخلق وهو مناف للتسليم بحكمته وما يصدر عنه . . .

(ولا تباغضوا فإنها الحالقة) نهى عليه السلام عن التباغض لأنه يؤدي إلى المهاترة وعدم التعاون ومتى بغض الإنسان أخاه قطعه وإذا قطعه وانفصل عنه أدى ذلك إلى ضعفه وانحلاله وهكذا يقضي على عامل القوة والرقي وبذلك يأتي على نفسه وعلى أخيه فيكون الانحلال ويكون موت الأمم والشعب . . .

(واعلموا أن الأمل يسهي العقل وينسي الذكر فأكذبوا الأمل فإنه غرور وصاحبه مغرور) وهذا نهي عن الأمل الذي يجر إلى سهو العقل عما يفيد وينفع في الدنيا وفي الآخرة فإن من يعيش الآمال يسهى عن التفكر فيما ينفع وينسى صاحبه ذكر الله .

ثم أمر أن نكذب الأمل وذلك بعدم الانجرار ورءاه فإنه خداع ومكر وصاحبه مخدوع ومغرور . . .

شرعاً يكون مصيره إلى النار حيث العذاب والهوان. . .

(**ولا تحاسدوا فإن الحسد يأكل الإيمان كما تأكل النار الحطب**) نهى عليه السلام أن يحسد بعضهم بعضاً والحسد هو تمني زوال النعمة عن الغير دون أن تعود إلى الحاسد نفسه والحسد مرض في القلب يؤذيه أن يرى الناس بخير وعافية فيتمنى زوالها عنهم وهذا أفظع الأمراض وأشدها فتكاً وقد نهى الله عنه ونهى رسوله وقد ذكر الإمام هذا القول الكريم بأن الحسد يأكل الإيمان كما تأكل النار الحطب فإن الحسد يضاد إرادة الله ونوع احتجاج عليه بعطائه للخلق وهو مناف للتسليم بحكمته وما يصدر عنه. . .

(**ولا تباغضوا فإنها الحالقة**) نهى عليه السلام عن التباغض لأنه يؤدي إلى المهاترة وعدم التعاون ومتى بغض الإنسان أخاه قطعه وإذا قطعه وانفصل عنه أدى ذلك إلى ضعفه وانحلاله وهكذا يقضي على عامل القوة والرقي وبذلك يأتي على نفسه وعلى أخيه فيكون الانحلال ويكون موت الأمم والشعب. . .

(**واعلموا أن الأمل يسهي العقل وينسي الذكر فأكذبوا الأمل فإنه غرور وصاحبه مغرور**) وهذا نهي عن الأمل الذي يجر إلى سهو العقل عما يفيد وينفع في الدنيا وفي الآخرة فإن من يعيش الآمال يسهى عن التفكر فيما ينفع وينسى صاحبه ذكر الله.

ثم أمر أن نكذب الأمل وذلك بعدم الانجرار ورءاه فإنه خداع ومكر وصاحبه مخدوع ومغرور. . .

نَفْسِهِ، يَصِفُ ٱلْحَقَّ وَيَعْمَلُ بِهِ. لَا يَدَعُ لِلْخَيْرِ غَايَةً إِلَّا أَمَّهَا[٣٣]، وَلَا مَظِنَّةً[٣٤] إِلَّا قَصَدَهَا، قَدْ أَمْكَنَ[٣٥] ٱلْكِتَابَ مِنْ زِمَامِهِ[٣٦]، فَهُوَ قَائِدُهُ وَإِمَامُهُ، يَحُلُّ حَيْثُ حَلَّ ثَقَلُهُ[٣٧]، وَيَنْزِلُ حَيْثُ كَانَ مَنْزِلُهُ.

صفات الفساق

وَآخَرُ قَدْ تَسَمَّىٰ عَالِماً وَلَيْسَ بِهِ، فَٱقْتَبَسَ[٣٨] جَهَائِلَ[٣٩] مِنْ جُهَّالٍ، وَأَضَالِيلَ[٤٠] مِنْ ضُلَّالٍ، وَنَصَبَ لِلنَّاسِ أَشْرَاكاً[٤١] مِنْ حَبَائِلِ غُرُورٍ، وَقَوْلِ، زُورٍ[٤٢]؛ قَدْ حَمَلَ ٱلْكِتَابَ عَلَىٰ آرَائِهِ؛ وَعَطَفَ[٤٣] ٱلْحَقَّ عَلَىٰ أَهْوَائِهِ، يُؤْمِنُ النَّاسَ مِنَ ٱلْعَظَائِمِ[٤٤]، وَيُهَوِّنُ[٤٥] كَبِيرَ ٱلْجَرَائِمِ، يَقُولُ: أَقِفُ عِنْدَ الشُّبُهَاتِ، وَفِيهَا وَقَعَ؛ وَيَقُولُ: أَعْتَزِلُ[٤٦] ٱلْبِدَعَ[٤٧]، وَبَيْنَهَا ٱضْطَجَعَ[٤٨]؛ فَالصُّورَةُ صُورَةُ إِنْسَانٍ، وَٱلْقَلْبُ قَلْبُ حَيَوَانٍ، لَا يَعْرِفُ بَابَ ٱلْهُدَىٰ فَيَتَّبِعَهُ، وَلَا بَابَ ٱلْعَمَىٰ فَيَصُدَّ عَنْهُ[٤٩]. وَذٰلِكَ مَيِّتُ ٱلْأَحْيَاءِ!.

عترة النبي

«فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ»؟ وَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ[٥٠]»! وَٱلْأَعْلَامُ قَائِمَةٌ، وَٱلْآيَاتُ وَاضِحَةٌ، وَٱلْمَنَارُ مَنْصُوبَةٌ، فَأَيْنَ يُتَاهُ بِكُمْ[٥١]! وَكَيْفَ تَعْمَهُونَ[٥٢] وَبَيْنَكُمْ عِتْرَةُ[٥٣] نَبِيِّكُمْ! وَهُمْ أَزِمَّةُ[٥٤] ٱلْحَقِّ، وَأَعْلَامُ الدِّينِ، وَأَلْسِنَةُ الصِّدْقِ! فَأَنْزِلُوهُمْ بِأَحْسَنِ مَنَازِلِ ٱلْقُرْآنِ، وَرِدُوهُمْ وُرُودَ ٱلْهِيمِ[٥٦] ٱلْعِطَاشِ.

أَيُّهَا النَّاسُ، خُذُوهَا عَنْ خَاتَمِ النَّبِيِّينَ صَلَّىٰ ٱللّٰهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّهُ يَمُوتُ مَنْ مَاتَ مِنَّا وَلَيْسَ بِمَيِّتٍ، وَيَبْلَىٰ[٥٧] مَنْ بَلِيَ مِنَّا وَلَيْسَ بِبَالٍ» فَلَا تَقُولُوا بِمَا لَا تَعْرِفُونَ، فَإِنَّ أَكْثَرَ ٱلْحَقِّ فِيمَا تُنْكِرُونَ، وَٱعْذِرُوا مَنْ لَا حُجَّةَ لَكُمْ عَلَيْهِ ـ وَهُوَ أَنَا ـ، أَلَمْ أَعْمَلْ فِيكُمْ بِالثَّقَلِ ٱلْأَكْبَرِ[٥٨]! وَأَتْرُكْ فِيكُمُ الثَّقَلَ

نَفْسِهِ، يَصِفُ ٱلْحَقَّ وَيَعْمَلُ بِهِ. لاَ يَدَعُ لِلْخَيْرِ غَايَةً إِلاَّ أَمَّهَا[٣٣]، وَلاَ مَظِنَّةً[٣٤] إِلاَّ قَصَدَهَا، قَدْ أَمْكَنَ[٣٥] ٱلْكِتَابَ مِنْ زِمَامِهِ[٣٦]، فَهُوَ قَائِدُهُ وَإِمَامُهُ، يَحُلُّ حَيْثُ حَلَّ ثَقَلُهُ[٣٧]، وَيَنْزِلُ حَيْثُ كَانَ مَنْزِلُهُ.

صفات الفساق

وَآخَرُ قَدْ تَسَمَّىٰ عَالِماً وَلَيْسَ بِهِ، فَٱقْتَبَسَ[٣٨] جَهَائِلَ[٣٩] مِنْ جُهَّالٍ، وَأَضَالِيلَ[٤٠] مِنْ ضُلاَّلٍ، وَنَصَبَ لِلنَّاسِ أَشْرَاكاً[٤١] مِنْ حَبَائِلِ غُرُورٍ، وَقَوْلِ زُورٍ[٤٢]؛ قَدْ حَمَلَ ٱلْكِتَابَ عَلَىٰ آرَائِهِ؛ وَعَطَفَ[٤٣] ٱلْحَقَّ عَلَىٰ أَهْوَائِهِ، يُؤْمِنُ النَّاسَ مِنَ ٱلْعَظَائِمِ[٤٤]، وَيُهَوِّنُ[٤٥] كَبِيرَ ٱلْجَرَائِمِ، يَقُولُ: أَقِفُ عِنْدَ الشُّبُهَاتِ، وَفِيهَا وَقَعَ؛ وَيَقُولُ: أَعْتَزِلُ[٤٦] ٱلْبِدَعَ[٤٧]، وَبَيْنَهَا ٱضْطَجَعَ[٤٨]؛ فَالصُّورَةُ صُورَةُ إِنْسَانٍ، وَٱلْقَلْبُ قَلْبُ حَيَوَانٍ، لاَ يَعْرِفُ بَابَ ٱلْهُدَىٰ فَيَتَّبِعَهُ، وَلاَ بَابَ ٱلْعَمَىٰ فَيَصُدَّ عَنْهُ[٤٩]. وَذٰلِكَ مَيِّتُ ٱلأَحْيَاءِ!.

عترة النبي

«فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ»؟ وَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ[٥٠]»! وٱلأَعْلاَمُ قَائِمَةٌ، وَٱلآيَاتُ وَاضِحَةٌ، وَٱلْمَنَارُ مَنْصُوبَةٌ، فَأَيْنَ يُتَاهُ بِكُمْ[٥١]! وَكَيْفَ تَعْمَهُونَ[٥٢] وَبَيْنَكُمْ عِتْرَةُ[٥٣] نَبِيِّكُمْ! وَهُمْ أَزِمَّةُ[٥٤] ٱلْحَقِّ، وَأَعْلاَمُ الدِّينِ، وَأَلْسِنَةُ الصِّدْقِ! فَأَنْزِلُوهُمْ بِأَحْسَنِ مَنَازِلِ ٱلْقُرْآنِ، وَرِدُوهُمْ وُرُودَ ٱلْهِيمِ[٥٦] ٱلْعِطَاشِ.

أَيُّهَا النَّاسُ، خُذُوهَا عَنْ خَاتَمِ النَّبِيِّينَ صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّهُ يَمُوتُ مَنْ مَاتَ مِنَّا وَلَيْسَ بِمَيِّتٍ، وَيَبْلَىٰ[٥٧] مَنْ بَلِيَ مِنَّا وَلَيْسَ بِبَالٍ» فَلاَ تَقُولُوا بِمَا لاَ تَعْرِفُونَ، فَإِنَّ أَكْثَرَ ٱلْحَقِّ فِيمَا تُنْكِرُونَ، وَٱعْذِرُوا مَنْ لاَ حُجَّةَ لَكُمْ عَلَيْهِ ـ وَهُوَ أَنَا ـ، أَلَمْ أَعْمَلْ فِيكُمْ بِالثَّقَلِ ٱلأَكْبَرِ[٥٨]! وَأَتْرُكْ فِيكُمُ الثَّقَلَ

١٥ ـ الهموم : الحزن، القلق الذي يصيب المرء من جراء أمر يفكر فيه.
١٦ ـ الهوى : ما تستلذه النفس وترغب فيه.
١٧ ـ المغاليق : جمع مغلاق ما يغلق به الباب.
١٨ ـ السبيل : الطريق.
١٩ ـ المنار : الاعلام.
٢٠ ـ الغمار : جمع غمرة وهي الزحمة من كثرة الناس والماء ونحوه.
٢١ ـ العرى : جمع عروة.
٢٢ ـ نصب نفسه : أقامها.
٢٣ ـ الصادر : الخارج.
٢٤ ـ الوارد : ورد الماء صار إليه، الداخل.
٢٥ ـ العشوات : جمع عشوة الأمر الملتبس.
٢٦ ـ المبهمات : الأمور المغلقة غير الواضحة.
٢٧ ـ المعضلات : جمع معضلة وهي الشدائد والأمور التي لا يهتدى لوجهها.
٢٨ ـ الدليل : المرشد.
٢٩ ـ الفلوات : جمع فلاة وهي الصحراء الواسعة.
٣٠ ـ أخلص : في الطاعة ترك الرياء فيها والخالص الصافي.
٣١ ـ استخلص : الشيء اختاره.
٣٢ ـ الأوتاد : جمع الوتد ما رز في الحائط أو الأرض من خشب ونحوه.
٣٣ ـ أمّها : قصدها.
٣٤ ـ المظنة : للشيء حيث يظن وجوده.
٣٥ ـ أمكن : أقدر.
٣٦ ـ الزمام : المقود.
٣٧ ـ الثقل : متاع المسافر وحشمه.
٣٨ ـ اقتبس : من قبس من النار إذا أخذ منها شعلة واقتبس منه العلم إذا أخذه منه.
٣٩ ـ الجهائل : جمع جهالة.
٤٠ ـ الأضاليل : الضلال جمع لا واحد له من لفظه.
٤١ ـ الأشراك : جمع الشرك محركة ما يصطاد به.
٤٢ ـ قول الزور : قول الكذب.
٤٣ ـ عطف : أمال وعطف الحق على رغباته حمله عليها.
٤٤ ـ العظائم : جمع العظيمة، النازلة الشديدة، ما عظمه الله من الأعمال.
٤٥ ـ هون الشيء : سهّله وخفّفه.
٤٦ ـ اعتزل : الشيء تنحى عنه جانباً والأعزل المنفرد.

١٥ ـ الهموم : الحزن، القلق الذي يصيب المرء من جراء أمر يفكر فيه.
١٦ ـ الهوى : ما تستلذه النفس وترغب فيه.
١٧ ـ المغاليق : جمع مغلاق ما يغلق به الباب.
١٨ ـ السبيل : الطريق.
١٩ ـ المنار : الاعلام.
٢٠ ـ الغمار : جمع غمرة وهي الزحمة من كثرة الناس والماء ونحوه.
٢١ ـ العرى : جمع عروة.
٢٢ ـ نصب نفسه : أقامها.
٢٣ ـ الصادر : الخارج.
٢٤ ـ الوارد : ورد الماء صار إليه، الداخل.
٢٥ ـ العشوات : جمع عشوة الأمر الملتبس.
٢٦ ـ المبهمات : الأمور المغلقة غير الواضحة.
٢٧ ـ المعضلات : جمع معضلة وهي الشدائد والأمور التي لا يهتدى لوجهها.
٢٨ ـ الدليل : المرشد.
٢٩ ـ الفلوات : جمع فلاة وهي الصحراء الواسعة.
٣٠ ـ أخلص : في الطاعة ترك الرياء فيها والخالص الصافي.
٣١ ـ استخلص : الشيء اختاره.
٣٢ ـ الأوتاد : جمع الوتد ما رز في الحائط أو الأرض من خشب ونحوه.
٣٣ ـ أمّها : قصدها.
٣٤ ـ المظنة : للشيء حيث يظن وجوده.
٣٥ ـ أمكن : أقدر.
٣٦ ـ الزمام : المقود.
٣٧ ـ الثقل : متاع المسافر وحشمه.
٣٨ ـ اقتبس : من قبس من النار إذا أخذ منها شعلة واقتبس منه العلم إذا أخذه منه.
٣٩ ـ الجهائل : جمع جهالة.
٤٠ ـ الأضاليل : الضلال جمع لا واحد له من لفظه.
٤١ ـ الأشراك : جمع الشرك محركة ما يصطاد به.
٤٢ ـ قول الزور : قول الكذب.
٤٣ ـ عطف : أمال وعطف الحق على رغباته حمله عليها.
٤٤ ـ العظائم : جمع العظيمة، النازلة الشديدة، ما عظمه الله من الأعمال.
٤٥ ـ هون الشيء : سهّله وخفّفه.
٤٦ ـ اعتزل : الشيء تنحى عنه جانباً والأعزل المنفرد.

بعضهم وهي لم تتحقق إلا في الأئمة من أهل البيت عليهم السلام كما قال بعض آخر وعلى كل حال فعلينا جميعاً أن نحاول قدر الإمكان في الاتصاف بهذه الصفات والأقرب إلى الله هو ذلك الذي يجمع منها في نفسه أكثر من غيره. . .

وإن أحب عباد الله إلى الله هو ذلك الإنسان الذي يمده الله بالمعرفة ويقويه بالملكات النفسية الصالحة فينتصر على نفسه ولا يدعها ترتكب محرماً أو تقترف إثماً أو تخالف أمراً فإن النفس أمارة بالسوء تجر الإنسان إلى ارتكاب الحرام فمن أمده الله بمعونته وسدده في طريق الحق انتصر عليها ولم يسمح لها بالتعدي على حدود الله أو الخروج عن إرادته. . .

ومن انتصر على نفسه وردعها عن ارتكاب الحرام اتخذ الحزن شعاراً له أي ملازماً له لا يفارقه حزناً على ما فرط في جنب الله من حيث أنه اكتسب جرماً أو امتنع عن قرب. . .

وكذلك تجلبب الخوف أي لبسه كالثوب ويعني بالخوف هو الخوف من الله ومن عذابه وناره ومن خاف النار هرب منها ولا يكون ذلك إلا بالبعد عن المعصية والقيام بالطاعة وكما في الحديث يأبى الله أن يجمع للمؤمن خوفين في قلبه، خوف الدنيا وخوف الآخرة فمن خاف في الدنيا أمن في الآخرة. . .

(فزهر مصباح الهدى في قلبه) من أعانه الله على نفسه فاستشعر الحزن وتجلبب الخوف كانت النتيجة لهذا أن انفتح قلبه على الله فأخذ يعيش الحقائق الإلهية ويتذوق طعم التشريع ويؤمن بحكمة الخالق المشرع فيقبل على امتثال الأوامر ويبتعد عما نهى الله عنه. . .

(وأعد القرى ليومه النازل به) لا بد وأن يزورنا الموت فهو ضيف سيحل بساحتنا وينيخ بركابه بيننا ولا بد لكل ضيف من قرى ـ ضيافة تعد له وتهيأ ـ وكل منا يبذل قدرته وما يطيق من أجل أن يخرج ضيفه من عنده وهو في فرح وسرور وكله لسان مدح له وثناء. . .

والموت ضيفنا النازل بنا وضيافته الأعمال الصالحة منا والاستعداد له بالطاعات والقيام بالواجبات، فإذا التزمنا بذلك نكون قد قريناه أجل قرى وأعظمه وأشرق وجهنا فرحاً وسروراً. . .

(فقرّب على نفسه البعيد وهوّن الشديد) قالوا إن المقصود بالبعيد عنا الموت وقالوا إنه رحمة الله وقالوا إنه الأمل الذي يأمله الإنسان وأقول ربما كان المقصود به لقاء الله

بعضهم وهي لم تتحقق إلا في الأئمة من أهل البيت عليهم السلام كما قال بعض آخر وعلى كل حال فعلينا جميعاً أن نحاول قدر الإمكان في الاتصاف بهذه الصفات والأقرب إلى الله هو ذلك الذي يجمع منها في نفسه أكثر من غيره. . .

وإن أحب عباد الله إلى الله هو ذلك الإنسان الذي يمده الله بالمعرفة ويقويه بالملكات النفسية الصالحة فينتصر على نفسه ولا يدعها ترتكب محرماً أو تقترف إثماً أو تخالف أمراً فإن النفس أمارة بالسوء تجر الإنسان إلى ارتكاب الحرام فمن أمده الله بمعونته وسدده في طريق الحق انتصر عليها ولم يسمح لها بالتعدي على حدود الله أو الخروج عن إرادته. . .

ومن انتصر على نفسه وردعها عن ارتكاب الحرام اتخذ الحزن شعاراً له أي ملازماً له لا يفارقه حزناً على ما فرط في جنب الله من حيث أنه اكتسب جرماً أو امتنع عن قرب. . .

وكذلك تجلبب الخوف أي لبسه كالثوب ويعني بالخوف هو الخوف من الله ومن عذابه وناره ومن خاف النار هرب منها ولا يكون ذلك إلا بالبعد عن المعصية والقيام بالطاعة وكما في الحديث يأبى الله أن يجمع للمؤمن خوفين في قلبه، خوف الدنيا وخوف الآخرة فمن خاف في الدنيا أمن في الآخرة. . .

(فزهر مصباح الهدى في قلبه) من أعانه الله على نفسه فاستشعر الحزن وتجلبب الخوف كانت النتيجة لهذا أن انفتح قلبه على الله فأخذ يعيش الحقائق الإلهية ويتذوق طعم التشريع ويؤمن بحكمة الخالق المشرع فيقبل على امتثال الأوامر ويبتعد عما نهى الله عنه. . .

(وأعد القرى ليومه النازل به) لا بد وأن يزورنا الموت فهو ضيف سيحل بساحتنا وينيخ بركابه بيننا ولا بد لكل ضيف من قرى ـ ضيافة تعد له وتهيأ ـ وكل منا يبذل قدرته وما يطيق من أجل أن يخرج ضيفه من عنده وهو في فرح وسرور وكله لسان مدح له وثناء. . .

والموت ضيفنا النازل بنا وضيافته الأعمال الصالحة منا والاستعداد له بالطاعات والقيام بالواجبات، فإذا التزمنا بذلك نكون قد قريناه أجل قرى وأعظمه وأشرق وجهنا فرحاً وسروراً. . .

(فقرّب على نفسه البعيد وهوّن الشديد) قالوا إن المقصود بالبعيد عنا الموت وقالوا إنه رحمة الله وقالوا إنه الأمل الذي يأمله الإنسان وأقول ربما كان المقصود به لقاء الله

(**فخرج من صفة العمى ومشاركة أهل الهوى**) انكشفت الأمور أمامه واتضحت معالمها عنده فرأى الحقيقة واضحة جلية وخرج من بين أهل الهوى ولم يبق معهم في ضلالهم وسوء رأيهم وانحرافهم. . .

(**وصار من مفاتيح أبواب الهدى ومغاليق أبواب الردى**) صار داعية إلى الله يهدي الناس إلى الخير ويرشدهم إلى الحق ويأخذ بأيديهم إلى ما فيه صلاح دينهم ودنياهم.

وكذلك أضحى يرد الشبهات عن الناس ويحل المعضلات ويزيل من طريقهم كل ما يشككهم بدينهم أو يزلزل عقيدتهم ويحرفهم عن العدل والاستقامة. . .

(**قد أبصر طريقه وسلك سبيله**) رأى السبيل الذي يجب أن يكون عليه، رآه واضحاً ظاهراً إنه منه كضوء الشمس عرفه صحيحاً سليماً لم يتردد فيه أو يشك في صحته وأيضاً لم يكتف برؤية الطريق بل سلك السبيل الذي يجب عليه أن يسلكه والذي يتعين عليه أن يطرقه فقرن النظرية بالتطبيق والإيمان بالعمل. . .

(**وعرف مناره وقطع غماره**) فهناك هدف أعلى متوجه إليه يهديه إلى الحق إنه النبي والأئمة الذين يشكلون منارات على الهدف فيهدون التائهين ويردون الضالين كما إنه قد تجاوز ما يلهي ابناء الدنيا ويشغلهم عن الله ويغمرهم من ملاذها ومشتهياتها. . .

(**واستمسك من العرى بأوثقها**) فمن تمسك بالعروة القوية المتينة نجا كذلك من استمسك بالإيمان بالله والعمل بما أمر فقد استمسك بأشد العرى وأمتنها وأقواها وأعظمها قال تعالى: ﴿**فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها**. . .﴾. . .

(**ومن الحبال بأمتنها**) ومن كان له حبل قوي متين اعتمد عليه في نزوله إلى مكان منخفض أو صعوده إلى مكان عالٍ كان في مأمن من الخطر لا يصيبه خوف ولا فزع وكذلك من التزم بالإسلام واعتمد على القرآن ونفذ أوامر الله فهو في راحة واطمئنان. . .

(**فهو من اليقين على مثل ضوء الشمس**) فكما يرى الشمس واضحة ظاهرة فاليقين في نفسه كذلك فهو ثابت مستقر آمن بالله بدون شك وعمل بما أمر بدون تردد. . .

(**قد نصب نفسه لله ـ سبحانه ـ في أرفع الأمور من إصدار كل وارد عليه وتصيير كل فرع إلى أصله**) بعد أن كملت نفسه واستطاع أن يحملها على الحق جلس في أرفع المجالس وأعظمها وهي الفتوى التي يرّد بها على أسئلة الناس وحاجاتهم وكان لمعرفته بالأحكام وطرق الاجتهاد يُرجع الفروع إلى الأصول على طريقة أهل الاجتهاد.

(فخرج من صفة العمى ومشاركة أهل الهوى) انكشفت الأمور أمامه واتضحت معالمها عنده فرأى الحقيقة واضحة جلية وخرج من بين أهل الهوى ولم يبق معهم في ضلالهم وسوء رأيهم وانحرافهم. . .

(وصار من مفاتيح أبواب الهدى ومغاليق أبواب الردى) صار داعية إلى الله يهدي الناس إلى الخير ويرشدهم إلى الحق ويأخذ بأيديهم إلى ما فيه صلاح دينهم ودنياهم.

وكذلك أضحى يرد الشبهات عن الناس ويحل المعضلات ويزيل من طريقهم كل ما يشككهم بدينهم أو يزلزل عقيدتهم ويحرفهم عن العدل والاستقامة. . .

(قد أبصر طريقه وسلك سبيله) رأى السبيل الذي يجب أن يكون عليه، رآه واضحاً ظاهراً إنه منه كضوء الشمس عرفه صحيحاً سليماً لم يتردد فيه أو يشك في صحته وأيضاً لم يكتف برؤية الطريق بل سلك السبيل الذي يجب عليه أن يسلكه والذي يتعين عليه أن يطرقه فقرن النظرية بالتطبيق والإيمان بالعمل. . .

(وعرف مناره وقطع غماره) فهناك هدف أعلى متوجه إليه يهديه إلى الحق إنه النبي والأئمة الذين يشكلون منارات على الهدف فيهدون التائهين ويردون الضالين كما إنه قد تجاوز ما يلهي ابناء الدنيا ويشغلهم عن الله ويغمرهم من ملاذها ومشتهياتها. . .

(واستمسك من العرى بأوثقها) فمن تمسك بالعروة القوية المتينة نجا كذلك من استمسك بالإيمان بالله والعمل بما أمر فقد استمسك بأشد العرى وأمتنها وأقواها وأعظمها قال تعالى: ﴿**فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها**. . .﴾. . .

(ومن الحبال بأمتنها) ومن كان له حبل قوي متين اعتمد عليه في نزوله إلى مكان منخفض أو صعوده إلى مكان عالٍ كان في مأمن من الخطر لا يصيبه خوف ولا فزع وكذلك من التزم بالإسلام واعتمد على القرآن ونفذ أوامر الله فهو في راحة واطمئنان. . .

(فهو من اليقين على مثل ضوء الشمس) فكما يرى الشمس واضحة ظاهرة فاليقين في نفسه كذلك فهو ثابت مستقر آمن بالله بدون شك وعمل بما أمر بدون تردد. . .

(قد نصب نفسه لله ـ سبحانه ـ في أرفع الأمور من إصدار كل وارد عليه وتصيير كل فرع إلى أصله) بعد أن كملت نفسه واستطاع أن يحملها على الحق جلس في أرفع المجالس وأعظمها وهي الفتوى التي يرّد بها على أسئلة الناس وحاجاتهم وكان لمعرفته بالأحكام وطرق الاجتهاد يُرجع الفروع إلى الأصول على طريقة أهل الاجتهاد.

خالص لوجه الله لم يشرك معه أحد من خلقه فعندها اصطفاه الله واختاره فأفاض عليه من الكمالات ما جعله في طليعة البشر من الأنبياء والأوصياء والأئمة والعباد الصالحين. . .

(فهو من معادن دينه) فكما أن الذهب والفضة يخرجان من المعدن فإن الدين يخرج من هذا الإنسان الصالح الخالص لله في العبودية الذي استجمع ما تبقى من الصفات. . .

(وأوتاد أرضه) بهذا الرجل وبأمثاله تثبت الأرض وتستقر كما وردت الأخبار بأن الأرض لساخت بأهلها لولا الإمام المعصوم هذا إذا كان الأمر على وجه الحقيقة أما إذا أريد به المجاز فربما كان المقصود أن هذا الرجل الموصوف بهذه الأوصاف والذي ينطبق على الأئمة من أهل البيت تستقر الأرض أي لا يكون هناك فوضى واضطراب في الأحكام لأن الإمام هو الذي يتولى بيانها وتوضيحها ويرفع الاختلاف من بين الناس. . .

(قد ألزم نفسه العدل فكان أول عدله نفي الهوى عن نفسه) وهذه صفة من صفات هذا العبد الصالح إنه جعل العدل لازماً له لا ينفك عنه أو يتخلى عن العمل به، ألزم نفسه العدل فهو عادل مع نفسه وعادل مع الآخرين وأول عدله وبدايته كان في نفي الهوى عن نفسه حيث لم يطع شهوات بدنه ولم يأخذه هواه إلى ما يريد بل وقف من هوى النفس موقف الرافض له والمتنكر لحكمه. . . وما يريد. . وعندما ينتفي الهوى عند الإنسان ويقطع علاقته به يحصل على أرفع درجات العدالة لأنه يكون قد قضى على جذور الانحراف في نفسه. . .

(يصف الحق ويعمل به) يقرن القول بالعمل فعندما يقول إن العدل مرغوب فيه يكون عادلاً بفعله وقوله وموقفه وعندما يقول الخير محبوب ومطلوب يبادر إلى عمل الخير فيحسن إلى الناس ويعينهم ويقضي حاجاتهم ويسد عوزهم وهكذا دواليك. . .

(لا يدع للخير غاية إلا أمها ولا مظنة إلا قصدها) فهو يبحث عن الخير إلى نهاية الخير، فلا يكتفي منه بما يقع تحت نظره ويده بل يبحث عن جذور الخير وأعلى مراتبه.

كما أنه يبحث عنه فيما يظن أنه يكون فيه فلو ظن أنه في مجالس الزهاد والعباد أو العلماء وأهل العرفان لقصدها وتوجه إليها وكان عندها. . .

(قد أمكن الكتاب من زمامه فهو قائده وإمامه يحل حيث حل ثقله وينزل حيث كان منزله) سلّم أمره إلى كتاب الله واستسلم لحكمه فهو قائده إلى حيث أراد وإمامه حيث كان فحيثما حلل أمراً أو حرم أمراً كان هو عند تحليله وتحريمه لا يخرج عن ذلك أو

خالص لوجه الله لم يشرك معه أحد من خلقه فعندها اصطفاه الله واختاره فأفاض عليه من الكمالات ما جعله في طليعة البشر من الأنبياء والأوصياء والأئمة والعباد الصالحين. . .

(فهو من معادن دينه) فكما أن الذهب والفضة يخرجان من المعدن فإن الدين يخرج من هذا الإنسان الصالح الخالص لله في العبودية الذي استجمع ما تبقى من الصفات. . .

(وأوتاد أرضه) بهذا الرجل وبأمثاله تثبت الأرض وتستقر كما وردت الأخبار بأن الأرض لساخت بأهلها لولا الإمام المعصوم هذا إذا كان الأمر على وجه الحقيقة أما إذا أريد به المجاز فربما كان المقصود أن هذا الرجل الموصوف بهذه الأوصاف والذي ينطبق على الأئمة من أهل البيت تستقر الأرض أي لا يكون هناك فوضى واضطراب في الأحكام لأن الإمام هو الذي يتولى بيانها وتوضيحها ويرفع الاختلاف من بين الناس. . .

(قد ألزم نفسه العدل فكان أول عدله نفي الهوى عن نفسه) وهذه صفة من صفات هذا العبد الصالح إنه جعل العدل لازماً له لا ينفك عنه أو يتخلى عن العمل به، ألزم نفسه العدل فهو عادل مع نفسه وعادل مع الآخرين وأول عدله وبدايته كان في نفي الهوى عن نفسه حيث لم يطع شهوات بدنه ولم يأخذه هواه إلى ما يريد بل وقف من هوى النفس موقف الرافض له والمتنكر لحكمه. . . وما يريد. . وعندما ينتفي الهوى عند الإنسان ويقطع علاقته به يحصل على أرفع درجات العدالة لأنه يكون قد قضى على جذور الانحراف في نفسه. . .

(يصف الحق ويعمل به) يقرن القول بالعمل فعندما يقول إن العدل مرغوب فيه يكون عادلاً بفعله وقوله وموقفه وعندما يقول الخير محبوب ومطلوب يبادر إلى عمل الخير فيحسن إلى الناس ويعينهم ويقضي حاجاتهم ويسد عوزهم وهكذا دواليك. . .

(لا يدع للخير غاية إلا أمها ولا مظنة إلا قصدها) فهو يبحث عن الخير إلى نهاية الخير، فلا يكتفي منه بما يقع تحت نظره ويده بل يبحث عن جذور الخير وأعلى مراتبه.

كما أنه يبحث عنه فيما يظن أنه يكون فيه فلو ظن أنه في مجالس الزهاد والعباد أو العلماء وأهل العرفان لقصدها وتوجه إليها وكان عندها. . .

(قد أمكن الكتاب من زمامه فهو قائده وإمامه يحل حيث حل ثقله وينزل حيث كان منزله) سلّم أمره إلى كتاب الله واستسلم لحكمه فهو قائده إلى حيث أراد وإمامه حيث كان فحيثما حلل أمراً أو حرم أمراً كان هو عند تحليله وتحريمه لا يخرج عن ذلك أو

كان أن يحمل الكتاب على مقصوده وإنه يدل عليه وهذا ما نجده في كثير من المذاهب حيث احتالوا على النصوص وأخرجوها عن مداليلها من أجل أن توافق مذاهبهم وتنسجم مع فتاوى رؤسائهم. . .

(**وعطف الحق على أهوائه**) جعل الحق تابعاً لهواه فكل ما يشتهيه أو يراه حسناً فهو حق عنده وحسن. . .

(**يؤمن الناس من العظائم ويهون كبير الجرائم**) يقول للناس المذنبين المسيئين الذين يرتكبون المعاصي الكبيرة إن الله رحمن رحيم لا يعذبهم ولا يؤاخذهم بذنوبهم بعد إيمانهم، إنه يؤمنهم عقابه لرحمته وإنه أجل من أن يؤاخذ هذا الإنسان الضعيف.

وكذلك يهوّن كبائر الذنوب ويصغرها يقول إنها تمحى ولا تبقى، سوف يأتي عليها عفو الله وتشمل أصحابها شفاعة الرسول والأئمة. . .

(**يقول: أقف عند الشبهات وفيها وقع**) وهذه غريبة من غرائب أطواره وواحدة من جهالاته إنه يقول للناس إنه الورع التقي ولورعه وتقاه لا يرتكب ما يشتبه به ولكن لجهله بمواقع الشبهات يرتكبها بدون أن يدري. . .

(**ويقول اعتزل البدع وبينها اضطجع**) وهذه دعوة من جملة دعاويه التي يقولها ويخالفها إنه يقول أنه يعتزل البدع فما كان بدعة يدعي اجتنابه ولكن بي الحقيقة يمارسه بعمله ويقوم به في سلوكه كمن يقول ذلك من علماء العامة حيث يتبرأ من البدع ويستنكر على فاعلها ولكنه في نفس الوقت يمارس ما ابتدعه عمر وأدخله في الدين والدين بريء منه كصلاة التراويح التي ابتدعها عمر وأقر بذلك هو نفسه واعترف ببدعته كل من اتبعه ولكنه لم يستنكرها ولم يقدر على التخلي عنها. . .

(**فالصورة صورة إنسان والقلب قلب حيوان**) فهو يمتلك هيكلاً بشرياً ضخماً كاملاً يملك الصورة البشرية، من الرأس والعين والأذن والفم واليدين والرجلين ولكن هل بهذه الصورة فحسب امتاز الإنسان عن الحيوان كلا ثم كلا بل يمتاز الإنسان بعقله وفكره وتحليله للأمور. . ، يمتاز بعمله بالحق وبعده عن الباطل وانتصاره للعدل وثورته على الظلم، . . يمتاز بإيمانه واستقامته وعدالته. . ، ولذا يتحول الإنسان الفاقد لهذه المعاني إلى حيوان في صورة إنسان كما قال تعالى: ﴿**إن هم إلا كالانعام بل هم أضل**[1] **سبيلا**. .﴾. .

---

(١) سورة الفرقان، الآية: ٤٤.

كان أن يحمل الكتاب على مقصوده وإنه يدل عليه وهذا ما نجده في كثير من المذاهب حيث احتالوا على النصوص وأخرجوها عن مداليلها من أجل أن توافق مذاهبهم وتنسجم مع فتاوى رؤسائهم. . .

(**وعطف الحق على أهوائه**) جعل الحق تابعاً لهواه فكل ما يشتهيه أو يراه حسناً فهو حق عنده وحسن. . .

(**يؤمن الناس من العظائم ويهون كبير الجرائم**) يقول للناس المذنبين المسيئين الذين يرتكبون المعاصي الكبيرة إن الله رحمن رحيم لا يعذبهم ولا يؤاخذهم بذنوبهم بعد إيمانهم، إنه يؤمنهم عقابه لرحمته وإنه أجل من أن يؤاخذ هذا الإنسان الضعيف.

وكذلك يهوّن كبائر الذنوب ويصغرها يقول إنها تمحى ولا تبقى، سوف يأتي عليها عفو الله وتشمل أصحابها شفاعة الرسول والأئمة. . .

(**يقول: أقف عند الشبهات وفيها وقع**) وهذه غريبة من غرائب أطواره وواحدة من جهالاته إنه يقول للناس إنه الورع التقي ولورعه وتقاه لا يرتكب ما يشتبه به ولكن لجهله بمواقع الشبهات يرتكبها بدون أن يدري. . .

(**ويقول اعتزل البدع وبينها اضطجع**) وهذه دعوة من جملة دعاويه التي يقولها ويخالفها إنه يقول أنه يعتزل البدع فما كان بدعة يدعي اجتنابه ولكن ي الحقيقة يمارسه بعمله ويقوم به في سلوكه كمن يقول ذلك من علماء العامة حيث يتبرأ من البدع ويستنكر على فاعلها ولكنه في نفس الوقت يمارس ما ابتدعه عمر وأدخله في الدين والدين بريء منه كصلاة التراويح التي ابتدعها عمر وأقر بذلك هو نفسه واعترف ببدعته كل من اتبعه ولكنه لم يستنكرها ولم يقدر على التخلي عنها. . .

(**فالصورة صورة إنسان والقلب قلب حيوان**) فهو يمتلك هيكلاً بشرياً ضخماً كاملاً يملك الصورة البشرية، من الرأس والعين والأذن والفم واليدين والرجلين ولكن هل بهذه الصورة فحسب امتاز الإنسان عن الحيوان كلا ثم كلا بل يمتاز الإنسان بعقله وفكره وتحليله للأمور. . ، يمتاز بعمله بالحق وبعده عن الباطل وانتصاره للعدل وثورته على الظلم، . . يمتاز بإيمانه واستقامته وعدالته. . ، ولذا يتحول الإنسان الفاقد لهذه المعاني إلى حيوان في صورة إنسان كما قال تعالى: ﴿**إن هم إلا كالانعام بل هم أضل**[1] **سبيلا**. .﴾ . .

---

(١) سورة الفرقان، الآية: ٤٤.

عترة النبي :

عترة النبي هم أهله الأدنون ونسله وهم ينحصرون في فاطمة الزهراء وبعلها وابنيها وهذا ما دلت عليه الروايات وسنّة الرسول العملية فقد أفصح صلوات الله عليه ببيان ذلك بحيث منع نساءه أن تشملهم لفظة الآل كما روى ذلك أحمد بن حنبل في مسنده ج ٦ ص ٣٢٣ فقد روى بسنده عن شهر بن حوشب عن أم سلمة أن رسول الله قال لفاطمة عليها السلام: ائتني[١] بزوجك وابنيك فجاءت بهم فألقى عليهم كساء فدكياً (قال)، ثم وضع يده عليهم ثم قال: اللهم إن هؤلاء آل محمد فاجعل صلواتك وبركاتك على محمد وعلى آل محمد إنك حميد مجيد.

قالت أم سلمة: فرفعت الكساء لأدخل معهم فجذبه من يدي وقال: إنك على خير.

وفي مستدرك الصحيحين بإسناد[٢] صحيح روى بسنده عن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب قال: لما نظر رسول الله (ص) إلى الرحمة هابطة قال: ادعوا لي، ادعوا لي فقالت صفية: من يا رسول الله: قال: أهل بيتي علياً وفاطمة والحسن والحسين فجيء بهم فألقى عليهم النبي (ص) كساء ثم رفع يديه ثم قال: اللهم هؤلاء آلي فصل على محمد وعلى آل محمد وأنزل الله عز وجل، إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً قال صاحب مستدرك الصحيحين: هذا حديث صحيح الإسناد.

وأيضاً بهذا الوضوح والجلاء حديث الثقلين عن النبي قال: تركت فيكم ما أن تمسكتم بهما لن تضلوا بعدي: كتاب الله وعترتي أهل بيتي وإنهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض. .

الحب لا يكفي :

وحب آل محمد لا يكفي دون عمل بل لا بد لمن أراد النجاة والفوز في الآخرة من متابعتهم فيما يقولون وفيما يذهبون إليه وقد أوضحت مدرستهم الإمامية نهجهم في العقائد كما أوضحته في الشرائع وكل من ادعى حبهم ولم يعمل بعملهم فهو ممن يخادع أو إنه في ضلال وانحراف دون أن يعرف. . .

وقد سمعت من المخالفين ومن علمائهم هذه الدعوة وإنهم ممن يحبون أهل البيت

---

(١) رواه المتقي الهندي في كنز العمال ج ٧ ص ١٠٣ . وذكره السيوطي في ذيل تفسير آية التطهير .
(٢) مستدرك الصحيحين ج ٣ ص ١٠٨ .

عترة النبي:

عترة النبي هم أهله الأدنون ونسله وهم ينحصرون في فاطمة الزهراء وبعلها وابنيها وهذا ما دلت عليه الروايات وسنّة الرسول العملية فقد أفصح صلوات الله عليه ببيان ذلك بحيث منع نساءه أن تشملهم لفظة الآل كما روى ذلك أحمد بن حنبل في مسنده ج ٦ ص ٣٢٣ فقد روى بسنده عن شهر بن حوشب عن أم سلمة أن رسول الله قال لفاطمة عليها السلام: ائتني[١] بزوجك وابنيك فجاءت بهم فألقى عليهم كساء فدكياً (قال)، ثم وضع يده عليهم ثم قال: اللهم إن هؤلاء آل محمد فاجعل صلواتك وبركاتك على محمد وعلى آل محمد إنك حميد مجيد.

قالت أم سلمة: فرفعت الكساء لأدخل معهم فجذبه من يدي وقال: إنك على خير.

وفي مستدرك الصحيحين بإسناد[٢] صحيح روى بسنده عن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب قال: لما نظر رسول الله (ص) إلى الرحمة هابطة قال: ادعوا لي، ادعوا لي فقالت صفية: من يا رسول الله: قال: أهل بيتي علياً وفاطمة والحسن والحسين فجيىء بهم فألقى عليهم النبي (ص) كساء ثم رفع يديه ثم قال: اللهم هؤلاء آلي فصل على محمد وعلى آل محمد وأنزل الله عز وجل، إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً قال صاحب مستدرك الصحيحين: هذا حديث صحيح الإسناد.

وأيضاً بهذا الوضوح والجلاء حديث الثقلين عن النبي قال: تركت فيكم ما أن تمسكتم بهما لن تضلوا بعدي: كتاب الله وعترتي أهل بيتي وإنهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض..

الحب لا يكفي:

وحب آل محمد لا يكفي دون عمل بل لا بد لمن أراد النجاة والفوز في الآخرة من متابعتهم فيما يقولون وفيما يذهبون إليه وقد أوضحت مدرستهم الإمامية نهجهم في العقائد كما أوضحته في الشرائع وكل من ادعى حبهم ولم يعمل بعملهم فهو ممن يخادع أو إنه في ضلال وانحراف دون أن يعرف...

وقد سمعت من المخالفين ومن علمائهم هذه الدعوة وإنهم ممن يحبون أهل البيت

---

(١) رواه المتقي الهندي في كنز العمال ج ٧ ص ١٠٣. وذكره السيوطي في ذيل تفسير آية التطهير.
(٢) مستدرك الصحيحين ج ٣ ص ١٠٨.

منا وليس بميت ويبلى من بلي منا وليس ببالٍ) ثم ذكر عليه السلام هذه الخصوصية التي ينفرد بها النبي والأئمة دون الخلق وهي:

«إنه يموت من مات منهم وليس بميت» وقد قيل في تفسيرها وجوه.

الأول: إنه يريد مفاد الآية الكريمة ﴿**ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون**﴾.

الثاني: إن أهل البيت أحياء بآثارهم وبما تدين به الملايين من البشر بما جاء عنهم...

الثالث: إنهم أحياء بأجسادهم المثالية وإليه ذهب جمع واختاره بعض المحققين من المتأخرين كالمجلسي.

الرابع: إنهم أحياء بأجسادهم الدنيوية التي كانوا عليها وهناك روايات تدل على ذلك اعتمدها واختار مفادها بعض شراح النهج (الخوئي في منهاج البراعة..)...

وأما قوله: ويبلى من بلي منا وليس ببال فهنا المعركة التي لا حد لها ولا استقرار.

فذهب بعضهم إلى أن الأرض لا تأكل أبدان الأنبياء والأئمة واعتمد في ذلك على بعض الأخبار كما في الرواية الواردة عن أبي عبد الله عليه السلام قال: ما من نبي ولا وصي نبي يبقى في الأرض أكثر من ثلاثة أيام حتى ترفع روحه وعظمه إلى السماء وإنما يؤتى مواضع آثارهم ويبلغونهم من بعيد السلام ويسمعونهم في مواضع آثارهم من قريب. وحمل قوله عليه السلام ويبلى منا على أن البلى المذكور إنما هو مجاراة لما يرى الخلق في أمثالهم من طرو البلى عليهم وإلا فلا يشمل ذلك النبي والأئمة وبعضهم حمل البلى على بلى الأكفان.

وبعضهم حمل البلى على الأبدان وعدم البلى على الأرواح.

وقال بعضهم: إن هذا نص على أن أجساد الأولياء لا تبلى.

(فلا تقولوا بما لا تعرفون فإن أكثر الحق فيما تنكرون) ثم بعد أن ذكر هذه القضية التي لا يراها الحاضرون يومها كما لم نرها نحن اليوم أراد إيقافهم أمام حقيقة علمية وهي أنه نهاهم عن القول فيما لا يعرفون فإذا لم تعرف أمراً فلا تبادر إلى إنكاره وإبطاله ورده إذ ربما وجد له وجه لم تهتد إليه ولم يصل فكرك إلى عمقه قال تعالى: ﴿**ولا تقف ما ليس لك به علم إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤولا..**﴾ فالقول بغير علم ومعرفة جريمة أخلاقية وجناية علمية...

منا وليس بميت ويبلى من بلي منا وليس ببالٍ) ثم ذكر عليه السلام هذه الخصوصية التي ينفرد بها النبي والأئمة دون الخلق وهي:

«إنه يموت من مات منهم وليس بميت» وقد قيل في تفسيرها وجوه.

الأول: إنه يريد مفاد الآية الكريمة **﴿ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون﴾**.

الثاني: إن أهل البيت أحياء بآثارهم وبما تدين به الملايين من البشر بما جاء عنهم...

الثالث: إنهم أحياء بأجسادهم المثالية وإليه ذهب جمع واختاره بعض المحققين من المتأخرين كالمجلسي.

الرابع: إنهم أحياء بأجسادهم الدنيوية التي كانوا عليها وهناك روايات تدل على ذلك اعتمدها واختار مفادها بعض شراح النهج (الخوئي في منهاج البراعة..)...

وأما قوله: ويبلى من بلي منا وليس ببال فهنا المعركة التي لا حد لها ولا استقرار.

فذهب بعضهم إلى أن الأرض لا تأكل أبدان الأنبياء والأئمة واعتمد في ذلك على بعض الأخبار كما في الرواية الواردة عن أبي عبد الله عليه السلام قال: ما من نبي ولا وصي نبي يبقى في الأرض أكثر من ثلاثة أيام حتى ترفع روحه وعظمه إلى السماء وإنما يؤتى مواضع آثارهم ويبلغونهم من بعيد السلام ويسمعونهم في مواضع آثارهم من قريب. وحمل قوله عليه السلام ويبلى منا على أن البلى المذكور إنما هو مجاراة لما يرى الخلق في أمثالهم من طرو البلى عليهم وإلا فلا يشمل ذلك النبي والأئمة وبعضهم حمل البلى على بلى الأكفان.

وبعضهم حمل البلى على الأبدان وعدم البلى على الأرواح.

وقال بعضهم: إن هذا نص على أن أجساد الأولياء لا تبلى.

(فلا تقولوا بما لا تعرفون فإن أكثر الحق فيما تنكرون) ثم بعد أن ذكر هذه القضية التي لا يراها الحاضرون يومها كما لم نرها نحن اليوم أراد إيقافهم أمام حقيقة علمية وهي أنه نهاهم عن القول فيما لا يعرفون فإذا لم تعرف أمراً فلا تبادر إلى إنكاره وإبطاله ورده إذ ربما وجد له وجه لم تهتد إليه ولم يصل فكرك إلى عمقه قال تعالى: **﴿ولا تقف ما ليس لك به علم إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤولا..﴾** فالقول بغير علم ومعرفة جريمة أخلاقية وجناية علمية...

(وفرشتكم المعروف من قولي وفعلي) أحسنت إليكم بجميع وجوه الإحسان وشتى أصنافه حتى أضحى لكم كالفراش تستريحون إليه وتأنسون به . . .

(وأريتكم كرائم الأخلاق من نفسي) جعلتكم ترون كريم أخلاقي من حيث عفوت عن مسيئكم وتجاوزت عن قبائحكم وأحسنت إلى محسنكم وقد تجاوز عليه السلام بأخلاقه كل مدى وبلغ الذرى ومن يبلغ في الصفح ما بلغه وقد عفى عمن حاربوه بعد انتصاره عليهم بل أكرم أم المؤمنين عائشة وجهزها وأرسل معها من أوصلها إلى المدينة كما إنه صفح عن عمرو بن العاص تكرماً منه لما أبدى عورته وترك مروان بن الحكم عدوه وهكذا دواليك . . .

(فلا تستعملوا الرأي فيما لا يدرك قعره البصر، ولا تتغلغل إليه الفكر) . . .

الرأي في الدين:

نهى عليه السلام أن يقولوا بغير علم فمن حصل له العلم بأمر جاز له فيه القول والافتاء وأما إذا لم يحصل له ذلك فيجب ان يتوقف ولا يستعمل الرأي، والتعبير بالرأي له معنى دقيق وهو أنه رأي شخصي استنبطه من نفسه واستحسنه أو قاسه على أمر آخر يرى قربه منه كما كان شائعاً عند بعض المذاهب حيث استعملوا القياس واستنبطوا العلل وأجروا الحكم على الفرع الفاقد العلة على الأصل المنصوص العلة . .

وقد نهى أهل البيت عن استعمال الرأي وإجراء القياس وحرموه وسفهوا من استعمله وحملوا عليه أشد حملة لأنه ينسب إلى الله ما لم يقله ويحمله ما لم يُرده فإن الله سبحانه قد نص على حرمة بعض الأشياء بأعيانها فلا يجوز أن تحكم بحرمة شيء إلحاقاً لها بهذه الأمور ظناً منك أنك قد أدركت العلة في تحريم الأولى فتسري العلة إلى الثانية . . .

وقد شاع هذا الأمر ـ العمل بالقياس ـ عن أبي حنيفة بل كان من أئمة هذا الفن وفاتق علمه ولذا نهى الأئمة عنه وحملوا على أبي حنيفة وبينوا خطأه وانحراف منهجه . . .

قال أمير المؤمنين عليه السلام:

إن المؤمن لم يأخذ دينه[1] عن رأيه ولكن أتاه عن ربه فأخذ به . .

---

(١) هذه الأحاديث من وسائل الشيعة أبواب صفات القاضي باب ٦ .

(وفرشتكم المعروف من قولي وفعلي) أحسنت إليكم بجميع وجوه الإحسان وشتى أصنافه حتى أضحى لكم كالفراش تستريحون إليه وتأنسون به . . .

(وأريتكم كرائم الأخلاق من نفسي) جعلتكم ترون كريم أخلاقي من حيث عفوت عن مسيئكم وتجاوزت عن قبائحكم وأحسنت إلى محسنكم وقد تجاوز عليه السلام بأخلاقه كل مدى وبلغ الذرى ومن يبلغ في الصفح ما بلغه وقد عفى عمن حاربوه بعد انتصاره عليهم بل أكرم أم المؤمنين عائشة وجهزها وأرسل معها من أوصلها إلى المدينة كما إنه صفح عن عمرو بن العاص تكرماً منه لما أبدى عورته وترك مروان بن الحكم عدوه وهكذا دواليك . . .

(فلا تستعملوا الرأي فيما لا يدرك قعره البصر، ولا تتغلغل إليه الفكر) . . .

الرأي في الدين:

نهى عليه السلام أن يقولوا بغير علم فمن حصل له العلم بأمر جاز له فيه القول والافتاء وأما إذا لم يحصل له ذلك فيجب ان يتوقف ولا يستعمل الرأي، والتعبير بالرأي له معنى دقيق وهو أنه رأي شخصي استنبطه من نفسه واستحسنه أو قاسه على أمر آخر يرى قربه منه كما كان شائعاً عند بعض المذاهب حيث استعملوا القياس واستنبطوا العلل وأجروا الحكم على الفرع الفاقد العلة على الأصل المنصوص العلة . .

وقد نهى أهل البيت عن استعمال الرأي وإجراء القياس وحرموه وسفهوا من استعمله وحملوا عليه أشد حملة لأنه ينسب إلى الله ما لم يقله ويحمله ما لم يُرده فإن الله سبحانه قد نص على حرمة بعض الأشياء بأعيانها فلا يجوز أن تحكم بحرمة شيء إلحاقاً لها بهذه الأمور ظناً منك أنك قد أدركت العلة في تحريم الأولى فتسري العلة إلى الثانية . . .

وقد شاع هذا الأمر ـ العمل بالقياس ـ عن أبي حنيفة بل كان من أئمة هذا الفن وفاتق علمه ولذا نهى الأئمة عنه وحملوا على أبي حنيفة وبينوا خطأه وانحراف منهجه . . .

قال أمير المؤمنين عليه السلام:

إن المؤمن لم يأخذ دينه[1] عن رأيه ولكن أتاه عن ربه فأخذ به . .

---

(١) هذه الأحاديث من وسائل الشيعة أبواب صفات القاضي باب ٦ .

(**ولا يرفع عن هذه الأمة سوطها ولا سيفها**) وهذا أيضاً بعض ما يدور في أذهان الناس أنهم لما رأوا جور الأمويين وظلمهم وكيف يطاردون الأحرار والشرفاء وكيف يستعملون البطش والقوة ظن كثير من الناس أن ظلم الأمويين لا ينتهي ولا يتوقف وإن نظرة سريعة إلى جرائم الأمويين وتاريخهم الأسود يكشف بوضوح عن مبررات ما يذهب إليه بعض الناس يومها من أن الأمويين لن تزول دولتهم ولن يرفع ظلمهم عن الأمة. ولكن الإمام بنظره الثاقب وحكمته وعلمه الذي يخترق حدود الإمكان البشري كان يرى ما لم يره الناس ويبصر ما لم يبصروا فيقول:

(**وكذب الظان لذلك بل هي مجة من لذيذ العيش يتطعمونها برهة ثم يلفظونها جملة**) كذّب الإمام ظن من ذهب إلى أن الدنيا قد أعطت بني أمية خيرها ومنحتهم صفاءها وإنهم لن يرفعوا سوطهم وسيفهم عن هذه الأمة كذّب ذلك الظن بأن مدة إمارتهم سوف تكون قليلة تصفى لهم وتروق وقد تطول قليلاً ثم تخرج عن أيديهم بالكلية فلا يقام لهم دولة بل يطاردون ويشردون ويصبحون لعنة على ألسنة اللاعنين. . .

وقد كانت فترة خلافتهم قليلة بالنسبة إلى غيرها من حكم الدول وقد علم النبي بحكمهم وعرف مدته وأجله. . .

(ولا يرفع عن هذه الأمة سوطها ولا سيفها) وهذا أيضاً بعض ما يدور في أذهان الناس أنهم لما رأوا جور الأمويين وظلمهم وكيف يطاردون الأحرار والشرفاء وكيف يستعملون البطش والقوة ظن كثير من الناس أن ظلم الأمويين لا ينتهي ولا يتوقف وإن نظرة سريعة إلى جرائم الأمويين وتاريخهم الأسود يكشف بوضوح عن مبررات ما يذهب إليه بعض الناس يومها من أن الأمويين لن تزول دولتهم ولن يرفع ظلمهم عن الأمة. ولكن الإمام بنظره الثاقب وحكمته وعلمه الذي يخترق حدود الإمكان البشري كان يرى ما لم يره الناس ويبصر ما لم يبصروا فيقول:

(وكذب الظان لذلك بل هي مجة من لذيذ العيش يتطعمونها برهة ثم يلفظونها جملة) كذّب الإمام ظن من ذهب إلى أن الدنيا قد أعطت بني أمية خيرها ومنحتهم صفاءها وإنهم لن يرفعوا سوطهم وسيفهم عن هذه الأمة كذّب ذلك الظن بأن مدة إمارتهم سوف تكون قليلة تصفى لهم وتروق وقد تطول قليلاً ثم تخرج عن أيديهم بالكلية فلا يقام لهم دولة بل يطاردون ويشردون ويصبحون لعنة على ألسنة اللاعنين...

وقد كانت فترة خلافتهم قليلة بالنسبة إلى غيرها من حكم الدول وقد علم النبي بحكمهم وعرف مدته وأجله...

٥ ـ الرخاء : سعة العيش.
٦ ـ يجبر : من جبرت العظم إذا أصلحته.
٧ ـ الأزل : الضيق.
٨ ـ البلاء : الاختبار، الغمّ.
٩ ـ العتب : بالسكون الموجدة وبالفتح معناه الشدة.
١٠ ـ الخطب : الأمر العظيم.
١١ ـ اللبيب : جمعه الباء، وهو العاقل.
١٢ ـ الحجج : جمع الحُجة، البراهين والأدلة.
١٣ ـ اقتصى أثره : اقتفى.
١٤ ـ اقتدى به : إئتم به وفعل فعله، تأسى به.
١٥ ـ يعفون : أما من العفو بمعنى الصفح أو من العفة.
١٦ ـ مفزعهم : ملجؤهم.
١٧ ـ المعضلات : الشدائد.
١٨ ـ عول عليه : اعتمد عليه، استند إليه.
١٩ ـ المهمات : الأمور المهمة ذات الشأن، وأما المبهم فهو الذي لم يتضح معناه.
٢٠ ـ العرى : جمع عروة وهو ما يستمسك به الشيء ومنه عروة الكوز.
٢١ ـ المحكمات : جمع محكم وهو المتقن.

الشرح

(أما بعد فإن الله لم يقصم جباري دهر قط إلا بعد تمهيل ورخاء ولم يجبر عظم أحد من الأمم إلا بعد أزل وبلاء). ذم عليه السلام أهل الأهواء والبدع ومن اكتفى برأيه عن مراجعة أهل الحق من الأنبياء والأئمة وما رسموه من طرق شرعية، وصدّرها بهذه المقدمة تخويفاً لهم وتحذيراً من التمرد والعصيان...

إن الله سبحانه لم يهلك الجبابرة العتاة الذين تكبروا على الله ورفضوا أوامره وتمردوا على حكمه لم يهلكهم بمجرد تمردهم بل أعطاهم السلطة والملك وأغدق عليهم من زينة الحياة الدنيا الأموال والأولاد والأمجاد والشهرة وأخرهم إلى أجل مسمّى فلما تمادوا أخذهم أخذ عزيز مقتدر فقضى عليهم وأنزلهم عن عروشهم أذلة صاغرين يطلبون مكاناً يلجؤون إليه فلا يجدون، حتى أسيادهم ومن ولاّهم وجاء بهم إلى السلطة

٥ ـ الرخاء : سعة العيش.
٦ ـ يجبر : من جبرت العظم إذا أصلحته.
٧ ـ الأزل : الضيق.
٨ ـ البلاء : الاختبار، الغمّ.
٩ ـ العتب : بالسكون الموجدة وبالفتح معناه الشدة.
١٠ ـ الخطب : الأمر العظيم.
١١ ـ اللبيب : جمعه الباء، وهو العاقل.
١٢ ـ الحجج : جمع الحُجة، البراهين والأدلة.
١٣ ـ اقتصى أثره : اقتفى.
١٤ ـ اقتدى به : إئتم به وفعل فعله، تأسى به.
١٥ ـ يعفون : أما من العفو بمعنى الصفح أو من العفة.
١٦ ـ مفزعهم : ملجؤهم.
١٧ ـ المعضلات : الشدائد.
١٨ ـ عول عليه : اعتمد عليه، استند إليه.
١٩ ـ المهمات : الأمور المهمة ذات الشأن، وأما المبهم فهو الذي لم يتضح معناه.
٢٠ ـ العرى : جمع عروة وهو ما يستمسك به الشيء ومنه عروة الكوز.
٢١ ـ المحكمات : جمع محكم وهو المتقن.

الشرح

(أما بعد فإن الله لم يقصم جباري دهر قط إلا بعد تمهيل ورخاء ولم يجبر عظم أحد من الأمم إلا بعد أزل وبلاء). ذم عليه السلام أهل الأهواء والبدع ومن اكتفى برأيه عن مراجعة أهل الحق من الأنبياء والأئمة وما رسموه من طرق شرعية، وصدّرها بهذه المقدمة تخويفاً لهم وتحذيراً من التمرد والعصيان...

إن الله سبحانه لم يهلك الجبابرة العتاة الذين تكبروا على الله ورفضوا أوامره وتمردوا على حكمه لم يهلكهم بمجرد تمردهم بل أعطاهم السلطة والملك وأغدق عليهم من زينة الحياة الدنيا الأموال والأولاد والأمجاد والشهرة وأخرهم إلى أجل مسمّى فلما تمادوا أخذهم أخذ عزيز مقتدر فقضى عليهم وأنزلهم عن عروشهم أذلة صاغرين يطلبون مكاناً يلجؤون إليه فلا يجدون، حتى أسيادهم ومن ولاّهم وجاء بهم إلى السلطة

تقتف أثر الأنبياء ولم تمش خلفهم ولم تتبع طريقتهم، فالأنبياء بمسيرتهم قدوة يسعد من يمشي خلفهم ويقتدي بهم وهؤلاء لم يقوموا بذلك. . .

فإن قلت: كيف لم يتبعوهم وهذه آثارهم بين أيديهم فإنا نجد هذه الفرقة تقول: قال رسول الله، وفعل رسول الله، وقرّر رسول الله نقول: إن وسائط النقل عن النبي ومن عليهم الاعتماد من هؤلاء جاء الخطر وعلى أيديهم كان الإنحراف. . . وعودة سريعة إلى رواة الأحاديث تجد الشواهد الصادقة على ما أقول. . إن من يعتمد على نقل أبي هريرة لأحاديث النبي وسنته لم يقتف أثر النبي أو يتبعه وكيف يتبعه وهذا الراوي من أكذب الرواة وأشدهم اختلاقاً للحديث وتزويراً له وانحرافاً به. . .

من يعتمد على سلسلة فاسقة فاجرة كسمرة بن جندب وكعب الأحبار وعمران بن حطان وغيرهم كيف يهتدي إلى اقتفاء آثار الأنبياء ومتابعتهم. . .

(ولا يقتدون بعمل وصي). الوصي تصرفاته نافذة وتستمد شرعيتها من الموصي وهو النبي. . . وسلوكه وتصرفاته لا تتعرض لخطأ وهؤلاء الناس عندما ابتعدوا عن وصي رسول الله وهو الإمام علي ولم يقتدوا به بعمله كان هذا الإنحراف وهذا التفرق حيث اتخذوا أشخاصاً غيره أضلوهم السبيل وابتعدوا بهم عن الهدف الصحيح. . .

(ولا يؤمنون بغيب). والإيمان بالغيب من ضروريات الدين وأسس بنائه وعليه تقوم دعائمه وهو من صفات المؤمنين.

(ولا يعفون عن عيب). إذا كان يعفون من العفة فمعناه أنهم لا يستحون من العيب الذي هم فيه ولا يكفون أنفسهم عنه إذ من كان عفيفاً صائناً لنفسه عن العيب بحث عن الحق وسعى نحوه وبذل وسعه في سبيل الوصول إلى رفع العيب عنه، وأما إذا كان يعفون من العفو فهذا طعن فيهم بأنهم لم يلتزموا أخلاق الشرع وآدابه الذي يدعو إلى العفو والصفح. . .

(يعملون في الشبهات ويسيرون في الشهوات). لضعف دينهم وخفة يقينهم لا يتورعون عما يشتبهون بحليته وحرمته فيرتكبونه ويعملون به عكس الأتقياء الذين همّهم الاجتناب عن المحرم وكذلك إنهم يمارسون الشهوات التي يرغبون فيها ولو كانت محرمة أو غير مشروعة إنحرافاً منهم عن جادة الإيمان وسيراً وراء الحرام. . .

(المعروف فيهم ما عرفوا والمنكر عندهم ما أنكروا). للمعروف ميزان شرعي وعرفي يعرف به وللمنكر كذلك ميزان شرعي وعرفي يعرف به فما أمر به الشرع سواء كان

تقتف أثر الأنبياء ولم تمش خلفهم ولم تتبع طريقتهم، فالأنبياء بمسيرتهم قدوة يسعد من يمشي خلفهم ويقتدي بهم وهؤلاء لم يقوموا بذلك. . .

فإن قلت: كيف لم يتبعوهم وهذه آثارهم بين أيديهم فإنا نجد هذه الفرقة تقول: قال رسول الله، وفعل رسول الله، وقرّر رسول الله نقول: إن وسائط النقل عن النبي ومن عليهم الاعتماد من هؤلاء جاء الخطر وعلى أيديهم كان الإنحراف. . . وعودة سريعة إلى رواة الأحاديث تجد الشواهد الصادقة على ما أقول. . إن من يعتمد على نقل أبي هريرة لأحاديث النبي وسنته لم يقتف أثر النبي أو يتبعه وكيف يتبعه وهذا الراوي من أكذب الرواة وأشدهم اختلاقاً للحديث وتزويراً له وانحرافاً به. . .

من يعتمد على سلسلة فاسقة فاجرة كسمرة بن جندب وكعب الأحبار وعمران بن حطان وغيرهم كيف يهتدي إلى اقتفاء آثار الأنبياء ومتابعتهم. . .

(ولا يقتدون بعمل وصي). الوصي تصرفاته نافذة وتستمد شرعيتها من الموصي وهو النبي. . . وسلوكه وتصرفاته لا تتعرض لخطأ وهؤلاء الناس عندما ابتعدوا عن وصي رسول الله وهو الإمام علي ولم يقتدوا به بعمله كان هذا الإنحراف وهذا التفرق حيث اتخذوا أشخاصاً غيره أضلوهم السبيل وابتعدوا بهم عن الهدف الصحيح. . .

(ولا يؤمنون بغيب). والإيمان بالغيب من ضروريات الدين وأسس بنائه وعليه تقوم دعائمه وهو من صفات المؤمنين.

(ولا يعفون عن عيب). إذا كان يعفون من العفة فمعناه أنهم لا يستحون من العيب الذي هم فيه ولا يكفون أنفسهم عنه إذ من كان عفيفاً صائناً لنفسه عن العيب بحث عن الحق وسعى نحوه وبذل وسعه في سبيل الوصول إلى رفع العيب عنه، وأما إذا كان يعفون من العفو فهذا طعن فيهم بأنهم لم يلتزموا أخلاق الشرع وآدابه الذي يدعو إلى العفو والصفح. . .

(يعملون في الشبهات ويسيرون في الشهوات). لضعف دينهم وخفة يقينهم لا يتورعون عما يشتبهون بحليته وحرمته فيرتكبونه ويعملون به عكس الأتقياء الذين همّهم الاجتناب عن المحرم وكذلك إنهم يمارسون الشهوات التي يرغبون فيها ولو كانت محرمة أو غير مشروعة إنحرافاً منهم عن جادة الإيمان وسيراً وراء الحرام. . .

(المعروف فيهم ما عرفوا والمنكر عندهم ما أنكروا). للمعروف ميزان شرعي وعرفي يعرف به وللمنكر كذلك ميزان شرعي وعرفي يعرف به فما أمر به الشرع سواء كان

٨٩ ـ ومن خطبة له عليه السلام

في الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وبلاغ الإمام عنه

أَرْسَلَهُ عَلَى حِينِ فَتْرَةٍ(١) مِنَ الرُّسُلِ، وَطُولِ هَجْعَةٍ(٢) مِنَ الأُمَمِ(٣)، واعْتِزَامٍ(٤) مِنَ الفِتَنِ(٥). وانْتِشَارٍ مِنَ الأُمُورِ، وَتَلَظٍّ(٦) مِنَ الحُرُوبِ، والدُّنْيَا كَاسِفَةُ(٧) النُّورِ، ظَاهِرَةُ الغُرُورِ(٨)، عَلَى حِينِ اصْفِرَارٍ مِنْ وَرَقِهَا، وَإِيَاسٍ(٩) مِنْ ثَمَرِهَا، وَاغْوِرَارٍ(١٠) مِنْ مَائِهَا، قَدْ دَرَسَتْ(١١) مَنَارُ الهُدَى، وظَهَرَتْ أَعْلاَمُ الرَّدَى(١٢)، فَهِيَ مُتَجَهِّمَةٌ(١٣) لأَهْلِهَا، عَابِسَةٌ فِي وَجْهِ طَالِبِهَا. ثَمَرُهَا الفِتْنَةُ، وَطَعَامُهَا الجِيفَةُ(١٤)، وَشِعَارُهَا(١٥) الخَوْفُ، وَدِثَارُهَا(١٦) السَّيْفُ. فاعْتَبِرُوا عِبَادَ اللهِ، وَاذْكُرُوا تِيكَ التي آبَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ بِهَا مُرْتَهَنُونَ(١٧)، وَعَلَيْهَا مُحَاسَبُونَ. وَلَعَمْرِي مَا تَقَادَمَتْ(١٨) بِكُمْ وَلاَ بِهِمُ العُهُودُ، وَلاَ خَلَتْ فيمَا بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمُ الأَحْقَابُ(١٩) والقُرُونُ(٢٠)، وَمَا أَنْتُمُ اليَوْمَ مِنْ يَوْمَ كُنْتُمْ فِي أَصْلاَبِهِمْ(٢١) بِبَعِيدٍ. واللهِ مَا أَسْمَعَكُمُ الرَّسُولُ شَيْئاً إِلاَّ وَهَا أَنَا ذَا مُسْمِعُكُمُوهُ، وَمَا أَسْمَاعُكُمُ اليَوْمَ بِدُونِ أَسْمَاعِكُمْ بِالأَمْسِ، وَلاَ شُقَّتْ لَهُمُ الأَبْصَارُ، وَلاَ جُعِلَتْ لَهُمُ الأَفْئِدَةُ(٢٢) في ذلِكَ الزَّمَانِ، إِلاَّ وَقَدْ أُعْطِيتُمْ مِثْلَهَا فِي هذا الزَّمَانِ. وَوَاللهِ مَا بُصِّرْتُمْ بَعْدَهُمْ شَيْئاً جَهِلُوهُ، وَلاَ أُصْفِيتُمْ(٢٣) بِهِ وَحُرِمُوهُ، وَلَقَدْ نَزَلَتْ بِكُمُ البَلِيَّةُ(٢٤) جَائِلاً(٢٥) خِطَامُهَا(٢٦)، رِخْواً بِطَانُهَا(٢٧)، فَلاَ يَغُرَّنَّكُمْ مَا أَصْبَحَ فِيهِ أَهْلُ الغُرُورِ، فَإِنَّمَا هُوَ ظِلٌّ مَمْدُودٌ، إلى أَجَلٍ مَعْدُودٍ.

٨٩ ـ ومن خطبة له عليه السلام

في الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وبلاغ الإمام عنه

أَرْسَلَهُ عَلَى حِينِ فَتْرَةٍ[١] مِنَ الرُّسُلِ، وَطُولِ هَجْعَةٍ[٢] مِنَ الأُمَمِ[٣]، واعْتِزَامٍ[٤] مِنَ الفِتَنِ[٥]. وانْتِشَارٍ مِنَ الأُمُورِ، وَتَلَظٍّ[٦] مِنَ الحُرُوبِ، والدُّنْيَا كَاسِفَةُ[٧] النُّورِ، ظَاهِرَةُ الغُرُورِ[٨]، عَلَى حِينِ اصْفِرَارٍ مِنْ وَرَقِها، وَإِيَاسٍ[٩] مِنْ ثَمَرِها، وَاغْوِرَارٍ[١٠] مِنْ مَائِهَا، قَدْ دَرَسَتْ[١١] مَنَارُ الهُدَى، وظَهَرَتْ أَعْلاَمُ الرَّدَى[١٢]، فَهِيَ مُتَجَهِّمَةٌ[١٣] لأَهْلِها، عَابِسَةٌ فِي وَجْهِ طَالِبِهَا. ثَمَرُها الفِتْنَةُ، وَطَعَامُهَا الجِيفَةُ[١٤]، وَشِعَارُهَا[١٥] الخَوْفُ، وَدِثَارُهَا[١٦] السَّيْفُ. فَاعْتَبِرُوا عِبَادَ اللهِ، وَاذْكُرُوا تِيكَ التي آبَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ بِهَا مُرْتَهَنُونَ[١٧]، وَعَلَيْهَا مُحَاسَبُونَ. وَلَعَمْرِي مَا تَقَادَمَتْ[١٨] بِكُمْ وَلاَ بِهِمُ العُهُودُ، وَلاَ خَلَتْ فيمَا بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمُ الأَحْقَابُ[١٩] والقُرُونُ[٢٠]، وَمَا أَنْتُمُ اليَوْمَ مِنْ يَوْمَ كُنْتُمْ فِي أَصْلاَبِهِمْ[٢١] بِبَعِيدٍ. واللهِ مَا أَسْمَعَكُمُ الرَّسُولُ شَيْئاً إِلاَّ وَهَا أَنَا ذَا مُسْمِعُكُمُوهُ، وَمَا أَسْمَاعُكُمُ اليَوْمَ بِدُونِ أَسْمَاعِكُمْ بِالأَمْسِ، وَلاَ شُقَّتْ لَهُمُ الأَبْصَارُ، وَلاَ جُعِلَتْ لَهُمُ الأَفْئِدَةُ[٢٢] في ذلِكَ الزَّمَانِ، إِلاَّ وَقَدْ أُعْطِيتُمْ مِثْلَهَا فِي هذا الزَّمَانِ. وَوَاللهِ مَا بُصِّرْتُمْ بَعْدَهُمْ شَيْئاً جَهِلُوهُ، وَلاَ أُصْفِيتُمْ[٢٣] بِهِ وَحُرِمُوهُ، وَلَقَدْ نَزَلَتْ بِكُمُ البَلِيَّةُ[٢٤] جَائِلاً[٢٥] خِطَامُهَا[٢٦]، رِخْواً بِطَانُهَا[٢٧]، فَلاَ يَغُرَّنَّكُمْ مَا أَصْبَحَ فِيهِ أَهْلُ الغُرُورِ، فَإِنَّمَا هُوَ ظِلٌّ مَمْدُودٌ، إلى أَجَلٍ مَعْدُودٍ.

الشرح

(**أرسله على حين فترة من الرسل وطول هجعة من الأمم**). في هذه الخطبة المباركة تذكير بمنافع البعثة المحمدية وكيف كانت سبب سعادة الإنسانية في الدنيا ونجاتها من النار في الآخرة وقدّم مقدمة في بيان ما كانوا عليه من الشقاء والتعاسة وكيف إذا حصلت منهم المخالفة الآن كانت الإنتكاسة والإرتداد إلى ما كانوا عليه. . .

ابتدأ عليه السلام بذكر رسول الله وإن الله سبحانه أرسله بعد انقطاع الرسل وتوقف بعثتهم إذ ليس بعد عيسى من نبي يحمل لواء الحق ويرفع أعلامم الدين حتى منّ الله على البشرية ببعثة رسول الله رحمة للعالمين أرسله الله بعد انقطاع الرسل وبعد نوم الأمم عن مصالحها ومنافعها وما يقربها من الله وكيف تهتدي إلى منافعها وليس من مرشد يهديها أو نبي يقودها إلى الخير ويبيِّن لها منافعها وما يصلحها. . .

(**واعتزام من الفتن وانتشار من الأمور وتلظ من الحروب**). إذا كانت اعترام أي مع كثرة الفتن وشدتها إذ فشت الفتن بين الناس وأخذ القوي يقضم الضعيف والكبير يأكل الصغير.

وإذا كانت اعتزام فيكون المعنى أن الفتن لشدتها كأنها هي المريدة لما يقع بين الناس وهي الموجهة لهم نحو الشر والرذيلة. . .

وأما انتشار الأمور فهي الفوضى وعدم الضوابط بين الناس، انعدمت القوانين وسادت شريعة الغاب وقانون الناب.

وأما اشتداد الحروب واستعارها فقد كانت تندلع لأتفه الأسباب وأحقرها وتأتي على الحرث والنسل وما يذكره التاريخ نماذج لهذه الحروب التافهة كحرب البسوس التي اندلعت من أجل ناقة أو حرب داحس والغبراء وقد امتدت كل واحدة منهما عمراً طويلاً من حياة العرب وهكذا عند غيرهم من الأمم والشعوب. . .

(**والدنيا كاسفة النور ظاهرة الغرور**). والدنيا مظلمة فلا هادي يأخذ بيدها إلى الهدى وينقذها من الردى، إنها تعيش الجهل والانحراف والضلال، فلا رسل ولا أنبياء ولا هداة ولا مبشرين ولا كتب ولا صحف. . ومع هذه الحالة السيئة فإنها تخدع أبناءها وتمنيهم ويعيشون على وعودها وآمالها فنرى الناس تنصرف إلى غير مرضاة الله. . .

(**على حين اصفرار من ورقها وإياس من ثمرها واغورار من مائها**). وهذا بيان

الشرح

(**أرسله على حين فترة من الرسل وطول هجعة من الأمم**). في هذه الخطبة المباركة تذكير بمنافع البعثة المحمدية وكيف كانت سبب سعادة الإنسانية في الدنيا ونجاتها من النار في الآخرة وقدّم مقدمة في بيان ما كانوا عليه من الشقاء والتعاسة وكيف إذا حصلت منهم المخالفة الآن كانت الإنتكاسة والإرتداد إلى ما كانوا عليه. . .

ابتدأ عليه السلام بذكر رسول الله وإن الله سبحانه أرسله بعد انقطاع الرسل وتوقف بعثتهم إذ ليس بعد عيسى من نبي يحمل لواء الحق ويرفع أعلامه الدين حتى منّ الله على البشرية ببعثة رسول الله رحمة للعالمين أرسله الله بعد انقطاع الرسل وبعد نوم الأمم عن مصالحها ومنافعها وما يقربها من الله وكيف تهتدي إلى منافعها وليس من مرشد يهديها أو نبي يقودها إلى الخير ويبيِّن لها منافعها وما يصلحها. . .

(**واعتزام من الفتن وانتشار من الأمور وتلظ من الحروب**). إذا كانت اعترام أي مع كثرة الفتن وشدتها إذ فشت الفتن بين الناس وأخذ القوي يقضم الضعيف والكبير يأكل الصغير.

وإذا كانت اعتزام فيكون المعنى أن الفتن لشدتها كأنها هي المريدة لما يقع بين الناس وهي الموجهة لهم نحو الشر والرذيلة. . .

وأما انتشار الأمور فهي الفوضى وعدم الضوابط بين الناس، انعدمت القوانين وسادت شريعة الغاب وقانون الناب.

وأما اشتداد الحروب واستعارها فقد كانت تندلع لأتفه الأسباب وأحقرها وتأتي على الحرث والنسل وما يذكره التاريخ نماذج لهذه الحروب التافهة كحرب البسوس التي اندلعت من أجل ناقة أو حرب داحس والغبراء وقد امتدت كل واحدة منهما عمراً طويلاً من حياة العرب وهكذا عند غيرهم من الأمم والشعوب. . .

(**والدنيا كاسفة النور ظاهرة الغرور**). والدنيا مظلمة فلا هادي يأخذ بيدها إلى الهدى وينقذها من الردى، إنها تعيش الجهل والانحراف والضلال، فلا رسل ولا أنبياء ولا هداة ولا مبشرين ولا كتب ولا صحف. . ومع هذه الحالة السيئة فإنها تخدع أبناءها وتمنيهم ويعيشون على وعودها وآمالها فنرى الناس تنصرف إلى غير مرضاة الله. . .

(**على حين اصفرار من ورقها وإياس من ثمرها واغورار من مائها**). وهذا بيان

رسول الله، انظروا نظرة المنتفعين في الرؤية المتعظين بها.

(واذكروا تيك التي آباؤكم وأخوانكم بها مرتهنون وعليها محاسبون). اذكروا تلك الحالة القبيحة السيئة التي عاشها آباؤكم وأخوانكم الذين تحبونهم وتتعصبون لهم فإنهم محبوسون بها يعيشون ضيقها وألمها وهم محاسبون عليها مجازون بها ومصيرهم من خلالها إلى العذاب والعقاب...

(ولعمري ما تقادمت بكم ولا بهم العهود). حلف لهم أن ما جرى على حال أهلهم لم يكن غائراً في عمق الزمن القديم بحيث يُنسى وكذلك بالنسبة إليكم فأنتم على قرب مع ما جرى لهم وما كانت أحوالهم فأنتم لستم بعيدين عنهم وعما حدث لهم.

(ولا خلت فيما بينكم وبينهم الأحقاب والقرون). لم يفصلكم عنهم أزمنة كثيرة أو قرون متطاولة مديدة بل العهد بهم متصل والمكان قريب ومن خاطبهم الإمام قد يكونون أبناء من وصفهم سابقاً وقد يكون بعضهم عاش مخضرماً بين الماضي الجاهلي والحاضر الإسلامي...

(وما أنتم اليوم من يوم كنتم في أصلابهم ببعيد). فبالأمس كنتم في أصلاب آبائكم يتوجه النداء إليهم بالأصالة واليوم وقد أصبحتم رجالاً يوجّه إليكم النداء ولا يفصلكم في الحالين إلا مدة قليلة لا تذكر في عمر الزمن...

(والله ما أسمعهم الرسول شيئاً إلا وها أنا ذا مسمعكموه). لقد بلّغ الرسول إلى الآباء أصول الدين وأحكامه أسسه وتشريعاته وحذرهم وأنذرهم وخوفهم وبشرهم ولم يترك سبيلاً يقربهم من الله إلا وهداهم إليه ولم يترك أمراً يبعدهم عنه إلا وقد نهاهم عنه.

وقد قام الإمام بعد النبي بجميع مهامه في حق الأبناء لم ينقصهم شيئاً فقد تعلم هو من الرسول وكان تلميذه المتفوق فقام مقامه وأدى رسالته وبلّغ مهمته، فالرسول بلّغ الآباء والإمام يبلغ الأبناء بدون تفاوت أو نقصان...

(وما أسماعكم اليوم بدون أسماعهم بالأمس). إنكم تملكون من الأسماع كما ملك آباؤكم أسماعاً لم تنقص أسماعكم شيئاً حتى تعتذروا بعدم مجاراتهم أو عدم إدراكهم واللحاق بهم فما سمعتموه فحللوه وادرسوه وفكروا فيه جيداً...

(ولا شقت لهم الأبصار ولا جعلت لهم الأفئدة في ذلك الزمان إلا وقد أعطيتم مثلها في هذا الزمان). فالله الذي فتح أبصارهم لينظروا ويعتبروا وجعل لهم قلوباً يفكرون بها ويحللون الأشياء ويدركون أسرارها هو سبحانه الذي جعل لكم في زمانكم

رسول الله، انظروا نظرة المنتفعين في الرؤية المتعظين بها.

(واذكروا تيك التي آباؤكم وأخوانكم بها مرتهنون وعليها محاسبون). اذكروا تلك الحالة القبيحة السيئة التي عاشها آباؤكم وأخوانكم الذين تحبونهم وتتعصبون لهم فإنهم محبوسون بها يعيشون ضيقها وألمها وهم محاسبون عليها مجازون بها ومصيرهم من خلالها إلى العذاب والعقاب...

(ولعمري ما تقادمت بكم ولا بهم العهود). حلف لهم أن ما جرى على حال أهلهم لم يكن غائراً في عمق الزمن القديم بحيث يُنسى وكذلك بالنسبة إليكم فأنتم على قرب مع ما جرى لهم وما كانت أحوالهم فأنتم لستم بعيدين عنهم وعما حدث لهم.

(ولا خلت فيما بينكم وبينهم الأحقاب والقرون). لم يفصلكم عنهم أزمنة كثيرة أو قرون متطاولة مديدة بل العهد بهم متصل والمكان قريب ومن خاطبهم الإمام قد يكونون أبناء من وصفهم سابقاً وقد يكون بعضهم عاش مخضرماً بين الماضي الجاهلي والحاضر الإسلامي...

(وما أنتم اليوم من يوم كنتم في أصلابهم ببعيد). فبالأمس كنتم في أصلاب آبائكم يتوجه النداء إليهم بالأصالة واليوم وقد أصبحتم رجالاً يوجّه إليكم النداء ولا يفصلكم في الحالين إلا مدة قليلة لا تذكر في عمر الزمن...

(والله ما أسمعهم الرسول شيئاً إلا وها أنا ذا مسمعكموه). لقد بلّغ الرسول إلى الآباء أصول الدين وأحكامه أسسه وتشريعاته وحذرهم وأنذرهم وخوفهم وبشرهم ولم يترك سبيلاً يقربهم من الله إلا وهداهم إليه ولم يترك أمراً يبعدهم عنه إلا وقد نهاهم عنه.

وقد قام الإمام بعد النبي بجميع مهامه في حق الأبناء لم ينقصهم شيئاً فقد تعلم هو من الرسول وكان تلميذه المتفوق فقام مقامه وأدى رسالته وبلّغ مهمته، فالرسول بلّغ الآباء والإمام يبلغ الأبناء بدون تفاوت أو نقصان...

(وما أسماعكم اليوم بدون أسماعهم بالأمس). إنكم تملكون من الأسماع كما ملك آباؤكم أسماعاً لم تنقص أسماعكم شيئاً حتى تعتذروا بعدم مجاراتهم أو عدم إدراكهم واللحاق بهم فما سمعتموه فحللوه وادرسوه وفكروا فيه جيداً...

(ولا شقت لهم الأبصار ولا جعلت لهم الأفئدة في ذلك الزمان إلا وقد أعطيتم مثلها في هذا الزمان). فالله الذي فتح أبصارهم لينظروا ويعتبروا وجعل لهم قلوباً يفكرون بها ويحللون الأشياء ويدركون أسرارها هو سبحانه الذي جعل لكم في زمانكم

٩٠ ـ ومن خطبة له عليه السلام

وتشتمل على قدم الخالق وعظم مخلوقاته، ويختمها بالوعظ

الحَمْدُ للهِ المَعْرُوفِ مِنْ غَيْرِ رُؤْيَةٍ، وَالخَالِقِ مِنْ غَيْرِ رَوِيَّةٍ[١]، الَّذِي لَمْ يَزَلْ قَائِماً دَائِماً؛ إِذْ لاَ سَمَاءٌ ذَاتُ أَبْرَاجٍ[٢]، وَلاَ حُجُبٌ ذَاتُ إِرْتَاجٍ[٣]، وَلاَ لَيْلٌ دَاجٍ[٤]، وَلاَ بَحْرٌ سَاجٍ[٥]، وَلاَ جَبَلٌ ذُو فِجَاجٍ[٦]، وَلاَ فَجٌّ ذُو اعْوِجَاجٍ[٧]، وَلاَ أَرْضٌ ذَاتُ مِهَادٍ[٨]، وَلاَ خَلْقٌ ذُو اعْتِمَادٍ[٩]: ذلِكَ مُبْتَدِعُ[١٠] الخَلْقِ وَوَارِثُهُ، وَإِلهُ الخَلْقِ وَرَازِقُهُ، والشَّمْسُ وَالقَمَرُ دَائِبَانِ[١١] فِي مَرْضَاتِهِ: يُبْلِيَانِ[١٢] كُلَّ جَدِيدٍ، وَيُقَرِّبَانِ كُلَّ بَعِيدٍ.

قَسَمَ أَرْزَاقَهُمْ، وَأَحْصَى[١٣] آثَارَهُمْ وَأَعْمَالَهُمْ، وَعَدَدَ أَنْفُسِهِمْ، وَخَائِنَةَ أَعْيُنِهِمْ[١٤]، وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ مِنَ الضَّمِيرِ، وَمُسْتَقَرَّهُمْ وَمُسْتَوْدَعَهُمْ مِنَ الأَرْحَامِ[١٥] وَالظُّهُورِ، إِلَى أَنْ تَتَنَاهَى بِهِمُ الغَايَاتُ.

هُوَ الَّذِي اشْتَدَّتْ نِقْمَتُهُ[١٦] عَلَى أَعْدَائِهِ فِي سَعَةِ رَحْمَتِهِ، وَاتَّسَعَتْ رَحْمَتُهُ لأَوْلِيَائِهِ فِي شِدَّةِ نِقْمَتِهِ، قَاهِرُ مَنْ عَازَّهُ[١٧]، وَمُدَمِّرُ[١٨] مَنْ شَاقَّهُ[١٩]، وَمُذِلُّ مَنْ نَاوَاهُ[٢٠]، وَغَالِبُ مَنْ عَادَاهُ. مَنْ تَوَكَّلَ عَلَيْهِ كَفَاهُ، وَمَنْ سَأَلَهُ أَعْطَاهُ، وَمَنْ أَقْرَضَهُ قَضَاهُ، وَمَنْ شَكَرَهُ جَزَاهُ.

عِبَادَ اللهِ، زِنُوا أَنْفُسَكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ تُوزَنُوا، وَحَاسِبُوهَا مِنْ قَبْلِ أَنْ تُحَاسَبُوا، وَتَنَفَّسُوا قَبْلَ ضِيقِ الخِنَاقِ، وَانْقَادُوا قَبْلَ عُنْفِ[٢١] السِّيَاقِ،

٩٠ ـ ومن خطبة له عليه السلام

وتشتمل على قدم الخالق وعظم مخلوقاته، ويختمها بالوعظ

الحَمْدُ للهِ المَعْرُوفِ مِنْ غَيْرِ رُؤْيَةٍ، وَالخَالِقِ مِنْ غَيْرِ رَوِيَّةٍ(١)، الَّذِي لَمْ يَزَلْ قَائِماً دَائِماً؛ إِذْ لاَ سَمَاءٌ ذَاتُ أَبْرَاجٍ(٢)، وَلاَ حُجُبٌ ذَاتُ إِرْتَاجٍ(٣)، وَلاَ لَيْلٌ دَاجٍ(٤)، وَلاَ بَحْرٌ سَاجٍ(٥)، وَلاَ جَبَلٌ ذُو فِجَاجٍ(٦)، وَلاَ فَجٌّ ذُو اعْوِجَاجٍ(٧)، وَلاَ أَرْضٌ ذَاتُ مِهَادٍ(٨)، وَلاَ خَلْقٌ ذُو اعْتِمَادٍ(٩): ذٰلِكَ مُبْتَدِعُ(١٠) الخَلْقِ وَوَارِثُهُ، وَإِلٰهُ الخَلْقِ وَرَازِقُهُ، والشَّمْسُ وَالقَمَرُ دَائِبَانِ(١١) فِي مَرْضَاتِهِ: يُبْلِيَانِ(١٢) كُلَّ جَدِيدٍ، وَيُقَرِّبَانِ كُلَّ بَعِيدٍ.

قَسَمَ أَرْزَاقَهُمْ، وَأَحْصَى(١٣) آثَارَهُمْ وَأَعْمَالَهُمْ، وَعَدَدَ أَنْفُسِهِمْ، وَخَائِنَةَ أَعْيُنِهِمْ(١٤)، وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ مِنَ الضَّمِيرِ، وَمُسْتَقَرَّهُمْ وَمُسْتَوْدَعَهُمْ مِنَ الأَرْحَامِ(١٥) وَالظُّهُورِ، إِلَى أَنْ تَتَنَاهَى بِهِمُ الغَايَاتُ.

هُوَ الَّذِي اشْتَدَّتْ نِقْمَتُهُ(١٦) عَلَى أَعْدَائِهِ فِي سَعَةِ رَحْمَتِهِ، وَاتَّسَعَتْ رَحْمَتُهُ لأَوْلِيَائِهِ فِي شِدَّةِ نِقْمَتِهِ، قَاهِرُ مَنْ عَازَّهُ(١٧)، وَمُدَمِّرُ(١٨) مَنْ شَاقَّهُ(١٩)، وَمُذِلُّ مَنْ نَاوَاهُ(٢٠)، وَغَالِبُ مَنْ عَادَاهُ. مَنْ تَوَكَّلَ عَلَيْهِ كَفَاهُ، وَمَنْ سَأَلَهُ أَعْطَاهُ، وَمَنْ أَقْرَضَهُ قَضَاهُ، وَمَنْ شَكَرَهُ جَزَاهُ.

عِبَادَ اللهِ، زِنُوا أَنْفُسَكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ تُوزَنُوا، وَحَاسِبُوهَا مِنْ قَبْلِ أَنْ تُحَاسَبُوا، وَتَنَفَّسُوا قَبْلَ ضِيقِ الخِنَاقِ، وَانْقَادُوا قَبْلَ عُنْفِ(٢١) السِّيَاقِ،

عباده به فطرة وعرفاناً، فإن النظام العام يحكم بوجود منظم وإن لم نكن نراه كمن يدخل إلى قرية منظمة كأبدع ما يكون ومجهزة بأدق ما تحتاج ولكنه لم يجد المهندس فهو ببساطة متناهية يحكم بوجوده وإن لم يره وهذا المعنى الفطري البسيط أقرب إلى فهم البشر من جميع الأدلة والبراهين وهذا ما عبّرت عنه أحاديث أهل البيت.

جاء رجل إلى الإمام أمير المؤمنين فقال له: خبّرني عن الله أرأيته حين عبدته؟.

فقال له أمير المؤمنين عليه السلام: لم أكُ[1] بالذي أعبد من لم أره.

فقال له: كيف رأيته يا أمير المؤمنين؟.

فقال له: يا ويلك لم تره العيون بمشاهدة العيان ولكن رأته القلوب بحقايق الإيمان، معروف بالدلالات، منعوت بالعلامات، لا يقاس بالناس ولا يدرك بالحواس.

فانصرف الرجل وهو يقول: الله أعلم حيث يجعل رسالته.

وهذا رجل يأتي[2] إلى الإمام الصادق فيقول له: أرأيت الله حين عبدته؟.

قال الصادق: ما كنت أعبد شيئاً لم أره.

قال: كيف؟.

قال: لم تره الأبصار بمشاهدة العيان ولكن رأته القلوب بحقايق الإيمان لا يدرك بالحواس ولا يقاس بالناس معروف بغير تشبيه.

(والخالق من غير رويّة). البشر الذين يحكمهم القصور والإمكان ويحتاجون في صنع شيء بسيط إلى وقت وإلى تصميم وإجالة فكرهم بما عندهم من معلومات للحصول على هذا الشيء فهو سبحانه منزه عن ذلك كل شيء حاضر عنده إذا أراد شيئاً يقول له كن فيكون...

(الذي لم يزل قائماً دائماً). فهو ثابت الوجود دائم البقاء لا يطرأ عليه تغيير أو تبديل أو تحوير أو تحويل لأنه واجب الوجود الأبدي الأزلي السرمدي.

(إذ لا سماء ذات أبراج ولا حجب ذات ارتاج). كان الله ولم يكن سماء ذات أبراج وهي منازل الشمس وحركتها وكذلك كان موجوداً ولا حجاب بينه وبين غيره إذ لا شيء غيره فهو المتفرد...

---

(١) احتجاج الطبرسي ج ١ ص ٢٠٩.

(٢) احتجاج الطبرسي ج ٢ ص ٣٣٦ طبعة مؤسسة الأعلمي.

عباده به فطرة وعرفاناً، فإن النظام العام يحكم بوجود منظم وإن لم نكن نراه كمن يدخل إلى قرية منظمة كأبدع ما يكون ومجهزة بأدق ما تحتاج ولكنه لم يجد المهندس فهو ببساطة متناهية يحكم بوجوده وإن لم يره وهذا المعنى الفطري البسيط أقرب إلى فهم البشر من جميع الأدلة والبراهين وهذا ما عبّرت عنه أحاديث أهل البيت.

جاء رجل إلى الإمام أمير المؤمنين فقال له: خبّرني عن الله أرأيته حين عبدته؟.

فقال له أمير المؤمنين عليه السلام: لم أكُ[1] بالذي أعبد من لم أره.

فقال له: كيف رأيته يا أمير المؤمنين؟.

فقال له: يا ويلك لم تره العيون بمشاهدة العيان ولكن رأته القلوب بحقايق الإيمان، معروف بالدلالات، منعوت بالعلامات، لا يقاس بالناس ولا يدرك بالحواس.

فانصرف الرجل وهو يقول: الله أعلم حيث يجعل رسالته.

وهذا رجل يأتي[2] إلى الإمام الصادق فيقول له: أرأيت الله حين عبدته؟.

قال الصادق: ما كنت أعبد شيئاً لم أره.

قال: كيف؟.

قال: لم تره الأبصار بمشاهدة العيان ولكن رأته القلوب بحقايق الإيمان لا يدرك بالحواس ولا يقاس بالناس معروف بغير تشبيه.

(والخالق من غير رويّة). البشر الذين يحكمهم القصور والإمكان ويحتاجون في صنع شيء بسيط إلى وقت وإلى تصميم وإجالة فكرهم بما عندهم من معلومات للحصول على هذا الشيء فهو سبحانه منزه عن ذلك كل شيء حاضر عنده إذا أراد شيئاً يقول له كن فيكون...

(الذي لم يزل قائماً دائماً). فهو ثابت الوجود دائم البقاء لا يطرأ عليه تغيير أو تبديل أو تحوير أو تحويل لأنه واجب الوجود الأبدي الأزلي السرمدي.

(إذ لا سماء ذات أبراج ولا حجب ذات ارتاج). كان الله ولم يكن سماء ذات أبراج وهي منازل الشمس وحركتها وكذلك كان موجوداً ولا حجاب بينه وبين غيره إذ لا شيء غيره فهو المتفرد...

---

(١) احتجاج الطبرسي ج ١ ص ٢٠٩.

(٢) احتجاج الطبرسي ج ٢ ص ٣٣٦ طبعة مؤسسة الأعلمي.

أمر وبذلك يحقق أرادة الله . . .

(وأحصى آثارهم وأعمالهم وعدد أنفسهم). فهو العالم بما يجري في العالم قال تعالى: ﴿**لا يعزب عنه مثقال**[1] **ذرة في السماوات والأرض . .**﴾ وقال تعالى: ﴿**ونكتب ما قدموا وآثارهم**﴾ فهو سبحانه الذي عنده كل ما تركوا وما عملوا وعددهم فرداً فرداً . . .

(وخائنة أعينهم وما تخفي صدورهم من الضمير). قال تعالى: ﴿**يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور**﴾ وخائنة الأعين هي مسارقة النظر إلى ما لا يجوز النظر إليه . . .

وفي هذا تنبيه لهذا الإنسان أن يصحّح سلوكه ويصلح داخله . . .

(ومستقرهم ومستودعهم من الأرحام والظهور إلى أن تتناهى بهم الغايات). وهو سبحانه يعلم استقرارهم في أصلاب الآباء وتنقلهم من ظهر إلى ظهر كما يعلم استقرارهم في الأرحام وهم نطف لا تعقل يعلم وجود هذا الإنسان وهو نطفة متنقلة إلى أن تستقر في الأرحام ثم بعدها يعلم تنقلاته وأطواره وما يمر عليه إلى أن ينتهي إلى الغاية القصوى من الخير أو الشر من الجنة أو النار . . .

(هو الذي اشتدت نقمته على أعدائه في سعة رحمته). فمع كونه أرحم الراحمين فإن عذابه شديد على الكافرين المعاندين والمخالفين وقيل إنه لا يشغله عذابه عن رحمته فهو في نفس الوقت الذي يرحم المطيعين يعذب العاصين . . .

(واتسعت رحمته لأوليائه في شدة نقمته). فهو مع كونه شديد العقاب فإن رحمته وسعت كل شيء . . .

وقيل إنه مع كونه يرحم المطيعين يعذب العاصين . . .

(قاهر من عازه). من أراد مشاركة الله في عزته ويدعيها لنفسه كما هي لله فإن الله لن يمهله بل يأخذه كما أخذ الطغاة والجبابرة والعزة لله جميعاً . . .

(ومدمّر من شاقه). أي مهلك من خالف أمره ونهيه واتخذ طريقاً يخالفه .

(ومذل من ناواه). ومن خالف الله أذله لأنه خرج عن الحدود الطبيعية التي يجب أن يأخذ منها العزة فكان أن عومل بضدها . . .

---

(١) سورة سبأ آية/ ٣٤ .

أمر وبذلك يحقق أرادة الله . . .

(وأحصى آثارهم وأعمالهم وعدد أنفسهم). فهو العالم بما يجري في العالم قال تعالى: **﴿لا يعزب عنه مثقال [1] ذرة في السماوات والأرض . .﴾** وقال تعالى: **﴿ونكتب ما قدموا وآثارهم﴾** فهو سبحانه الذي عنده كل ما تركوا وما عملوا وعددهم فرداً فرداً . . .

(وخائنة أعينهم وما تخفي صدورهم من الضمير). قال تعالى: **﴿يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور﴾** وخائنة الأعين هي مسارقة النظر إلى ما لا يجوز النظر إليه . . .

وفي هذا تنبيه لهذا الإنسان أن يصحّح سلوكه ويصلح داخله . . .

(ومستقرهم ومستودعهم من الأرحام والظهور إلى أن تتناهى بهم الغايات). وهو سبحانه يعلم استقرارهم في أصلاب الآباء وتنقلهم من ظهر إلى ظهر كما يعلم استقرارهم في الأرحام وهم نطف لا تعقل يعلم وجود هذا الإنسان وهو نطفة متنقلة إلى أن تستقر في الأرحام ثم بعدها يعلم تنقلاته وأطواره وما يمر عليه إلى أن ينتهي إلى الغاية القصوى من الخير أو الشر من الجنة أو النار . . .

(هو الذي اشتدت نقمته على أعدائه في سعة رحمته). فمع كونه أرحم الراحمين فإن عذابه شديد على الكافرين المعاندين والمخالفين وقيل إنه لا يشغله عذابه عن رحمته فهو في نفس الوقت الذي يرحم المطيعين يعذب العاصين . . .

(واتسعت رحمته لأوليائه في شدة نقمته). فهو مع كونه شديد العقاب فإن رحمته وسعت كل شيء . . .

وقيل إنه مع كونه يرحم المطيعين يعذب العاصين . . .

(قاهر من عازه). من أراد مشاركة الله في عزته ويدعيها لنفسه كما هي لله فإن الله لن يمهله بل يأخذه كما أخذ الطغاة والجبابرة والعزة لله جميعاً . . .

(ومدمّر من شاقه). أي مهلك من خالف أمره ونهيه واتخذ طريقاً يخالفه .

(ومذل من ناواه). ومن خالف الله أذله لأنه خرج عن الحدود الطبيعية التي يجب أن يأخذ منها العزة فكان أن عومل بضدها . . .

---

(١) سورة سبأ آية/ ٣٤ .

وعلى سيئاتها كي تجتنب عنها. . . حاسبوها أنتم ولا تهملوها إلى يوم القيامة فإنها إذا وزنت هناك خسرت وإذا خسرت فلا تستطيع بعد ذلك ربحاً أو تعويضاً. . .

(وتنفسوا قبل ضيق الخناق وانقادوا قبل عنف السياق). انتهزوا الفرصة واعملوا واستغلوا أوقاتكم واجمعوا الحسنات قبل أن يأتيكم الموت وشدائده وما فيه من غم فيقطع ذلك كله، وانقادوا لما أمر الله وأطيعوه قبل أن تأتي ملائكة الموت فيجذبون الأرواح ويسوقونكم قهراً عنكم بقوة وقسوة. . .

(واعلموا أنه من لم يعن على نفسه حتى يكون له منها واعظ وزاجر لم يكن له من غيرها لا زاجر ولا واعظ). إذا لم يُعنْ هذا الإنسان على نفسه الشريرة من داخل نفسه سقطت عندها كل الزواجر والمواعظ الخارجية. . . والمواعظ الداخلية هي الرشد العقلي والتفكر والانتباه وحكم العقل بزوال هذه الدنيا وفنائها وبقاء الآخرة ودوامها. . . هي حكم العقل بحسن الطاعة لله وقبح المعصية وحمل هذه النفس على الأولى وزجرها عن الثانية وكم من فرد هداه الله بلفتة صغيرة إلى نفسه أنقذته من الجحيم وأدخلته جنات النعيم. . .

وعلى سيئاتها كي تجتنب عنها. . . حاسبوها أنتم ولا تهملوها إلى يوم القيامة فإنها إذا وزنت هناك خسرت وإذا خسرت فلا تستطيع بعد ذلك ربحاً أو تعويضاً. . .

(وتنفسوا قبل ضيق الخناق وانقادوا قبل عنف السياق). انتهزوا الفرصة واعملوا واستغلوا أوقاتكم واجمعوا الحسنات قبل أن يأتيكم الموت وشدائده وما فيه من غم فيقطع ذلك كله، وانقادوا لما أمر الله وأطيعوه قبل أن تأتي ملائكة الموت فيجذبون الأرواح ويسوقونكم قهراً عنكم بقوة وقسوة. . .

(واعلموا أنه من لم يعن على نفسه حتى يكون له منها واعظ وزاجر لم يكن له من غيرها لا زاجر ولا واعظ). إذا لم يُعنْ هذا الإنسان على نفسه الشريرة من داخل نفسه سقطت عندها كل الزواجر والمواعظ الخارجية. . . والمواعظ الداخلية هي الرشد العقلي والتفكر والانتباه وحكم العقل بزوال هذه الدنيا وفنائها وبقاء الآخرة ودوامها. . . هي حكم العقل بحسن الطاعة لله وقبح المعصية وحمل هذه النفس على الأولى وزجرها عن الثانية وكم من فرد هداه الله بلفتة صغيرة إلى نفسه أنقذته من الجحيم وأدخلته جنات النعيم. . .

مَطَالِبُ الأَنَامِ، لأَنَّهُ الجَوَادُ الَّذِي لاَ يَغِيضُهُ[٢٠] سُؤَالُ السَّائِلِينَ، وَلاَ يُبْخِلُهُ إِلْحَاحُ[٢١] المُلِحِّينَ.

اللغة

١ ـ يفره : من وفر وفوراً إذا تم وكمل ويفره يزيد ماله وفوراً ويتممه.
٢ ـ المنع : منعه الشيء ومنه وعنه حرمه إياه والمانع الضنين الممسك.
٣ ـ الجمود : البخل.
٤ ـ يكديه : يفقره وينفد خزائنه.
٥ ـ المنان : من المنّ وهو إظهار الاصطناع واعتداد الضايع كأن تقول: ألم أعطك ألم أعنك ألم...
٦ ـ العوائد : جمع العائدة وهو المعروف والصلة.
٧ ـ العيال : للرجل هم أهل بيته الذين تجب نفقتهم عليه.
٨ ـ ضمن أرزاقهم : تكفّل والتزم بأرزاقهم.
٩ ـ الأقوات : جمع قوت ما يأكله الإنسان ويقتات به.
١٠ ـ نهج : الأمر أبانه وأوضحه.
١١ ـ أناسي : جمع أنسان وانسان البصر هو ما يرى وسط الحدقة ممتازاً عنها في لونها.
١٢ ـ الأصداف : غشاء الدّر.
١٣ ـ الفلز : بكسر الفاء واللام وتشديد الزاء الجوهر النفيس.
١٤ ـ اللجين : الفضة الخالصة.
١٥ ـ العقيان : الذهب الخالص.
١٦ ـ نثارة الدر : ما تناثر منه، والدر هو اللؤلؤ.
١٧ ـ المرجان : جمع مرجانة صغار اللؤلؤ.
١٨ ـ أنفد : من نفد الشيء إذا فني.
١٩ ـ الذخائر : جمع ذخيرة ما يخبؤه الإنسان لوقت الحاجة.
٢٠ ـ يغيضه : ينقصه.
٢١ ـ الإلحاح : مصدر ألحّ على الأمر أي أقام عليه دائماً فهو يطلبه مستمراً.

مَطَالِبُ الأَنَامِ، لأَنَّهُ الجَوَادُ الَّذِي لاَ يَغِيضُهُ[٢٠] سُؤَالُ السَّائِلِينَ، وَلاَ يُبْخِلُهُ إِلْحَاحُ[٢١] المُلِحِّينَ.

اللغة

١ ـ يفره : من وفر وفوراً إذا تم وكمل ويفره يزيد ماله وفوراً ويتممه.
٢ ـ المنع : منعه الشيء ومنه وعنه حرمه إياه والمانع الضنين الممسك.
٣ ـ الجمود : البخل.
٤ ـ يكديه : يفقره وينفد خزائنه.
٥ ـ المنان : من المنّ وهو إظهار الاصطناع واعتداد الضايع كأن تقول: ألم أعطك ألم أعنك ألم...
٦ ـ العوائد : جمع العائدة وهو المعروف والصلة.
٧ ـ العيال : للرجل هم أهل بيته الذين تجب نفقتهم عليه.
٨ ـ ضمن أرزاقهم : تكفّل والتزم بأرزاقهم.
٩ ـ الأقوات : جمع قوت ما يأكله الإنسان ويقتات به.
١٠ ـ نهج : الأمر أبانه وأوضحه.
١١ ـ أناسي : جمع أنسان وانسان البصر هو ما يرى وسط الحدقة ممتازاً عنها في لونها.
١٢ ـ الأصداف : غشاء الدّر.
١٣ ـ الفلز : بكسر الفاء واللام وتشديد الزاء الجوهر النفيس.
١٤ ـ اللجين : الفضة الخالصة.
١٥ ـ العقيان : الذهب الخالص.
١٦ ـ نثارة الدر : ما تناثر منه، والدر هو اللؤلؤ.
١٧ ـ المرجان : جمع مرجانة صغار اللؤلؤ.
١٨ ـ أنفد : من نفد الشيء إذا فني.
١٩ ـ الذخائر : جمع ذخيرة ما يخبؤه الإنسان لوقت الحاجة.
٢٠ ـ يغيضه : ينقصه.
٢١ ـ الإلحاح : مصدر ألحّ على الأمر أي أقام عليه دائماً فهو يطلبه مستمراً.

كان القسم أمراً مادياً أم معنوياً . . .

(**عياله الخلائق ضمن أرزاقهم وقدر أقواتهم**). عيال الرجل من يعولهم ويتكفل بهم وعليه مؤنتهم وباعتبار أن الله هو القائم بشؤون الخلق والرازق لهم والمعطي فهم عياله وقد تكفل لهم بصلاح دنياهم وآخرتهم أما في الدنيا فقد أخذ على نفسه أن يرزقهم ما يكملون به شوط الحياة من الأرزاق وأعطى لكل نفس نصيبها مما تحتاج من القوت فهو سبحانه الذي رزق النطفة في رحم الأم ورباها هو سبحانه الذي حول ذلك الرزق إلى ثديها فأعطته لبناً سائغاً ثم رزقه بعد الفطام وكذلك بعد أن أصبح رجلاً إلى أن تنتهي حياته من هذه الأرض . . .

(**ونهج سبيل الراغبين إليه والطالبين ما لديه**). وهو سبحانه قد سنّ للراغبين إليه وإلى المتقربين منه وللطالبين ما عنده من نعيم وخير سن لهم الشريعة التي تؤهلهم لبلوغ مرامهم والوصول بهم إلى مرادهم فإن من عمل بأحكام الله واتبع ما أنزل استطاع الوصول إلى الله وإدراك ما عنده من النعيم . . .

(**وليس بما سئل بأجود منه بما لم يسأل**). هذا تنزيه لله عن صفات المخلوقين من البشر الذين يتأثرون بالسؤال فيعطون إذا سئلوا وقد يمنعون بدونه والله منزه عن ذلك يعطي على كل حال حسب قابلية الموضوع وأهليته وقد أعطى بدون سؤال لكل نفس ما تعيش فيه وتحفظ وجودها منذ كونها نطفة وإلى آخر العمر . . .

(**الأول الذي لم يكن له قبل فيكون شيء قبله والآخر الذي ليس له بعد فيكون شيء بعده**). هو الأول بحسب كونه علة للوجود ولكل موجود لأنه خالقها وصانعها ولكن أوليته ليس لها حد لأنها متى تحددت بزمان كان هناك شيء قبله ولا أقل من الزمان والله سبحانه كان ولم يكن زمان ولا مكان وكذلك آخريته باعتبار أنه الباقي بعد فناء الأشياء وليس معناه أن له نهاية يتوقف عندها وإلا لم يكن واجب الوجود لأنه متى حدد له أمد كان هناك بعده شيء ولا أقل من الزمان نفسه والله سبحانه منزه عن ذلك . . .

(**والرادع أناسي الأبصار عن أن تناله أو تدركه**). وهذا من مواقع عظمة الله جل جلاله أنه يمنع حدقات العيون أن تطاله أو تدركه لأنها لا تدرك إلا المحدود المنظور والله منزه عن الجهة التي تحده وعن الجسمية وعوارضها التي تقع تحت النظر قال تعالى: ﴿**لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار . . .**﴾.

(**ما اختلف عليه دهر فيختلف منه الحال**). الله هو الذي خلق الزمان فلا يأتي عليه الزمان أو يقع تحت دورته حتى يؤثر فيه ويعرّضه لما تتعرض إليه الأشياء من نقص أو

كان القسم أمراً مادياً أم معنوياً. . .

(**عياله الخلائق ضمن أرزاقهم وقدر أقواتهم**). عيال الرجل من يعولهم ويتكفل بهم وعليه مؤنتهم وباعتبار أن الله هو القائم بشؤون الخلق والرازق لهم والمعطي فهم عياله وقد تكفل لهم بصلاح دنياهم وآخرتهم أما في الدنيا فقد أخذ على نفسه أن يرزقهم ما يكملون به شوط الحياة من الأرزاق وأعطى لكل نفس نصيبها مما تحتاج من القوت فهو سبحانه الذي رزق النطفة في رحم الأم ورباها هو سبحانه الذي حول ذلك الرزق إلى ثديها فأعطته لبناً سائغاً ثم رزقه بعد الفطام وكذلك بعد أن أصبح رجلاً إلى أن تنتهي حياته من هذه الأرض. . .

(**ونهج سبيل الراغبين إليه والطالبين ما لديه**). وهو سبحانه قد سنّ للراغبين إليه وإلى المتقربين منه وللطالبين ما عنده من نعيم وخير سن لهم الشريعة التي تؤهلهم لبلوغ مرامهم والوصول بهم إلى مرادهم فإن من عمل بأحكام الله واتبع ما أنزل استطاع الوصول إلى الله وإدراك ما عنده من النعيم. . .

(**وليس بما سئل بأجود منه بما لم يسأل**). هذا تنزيه لله عن صفات المخلوقين من البشر الذين يتأثرون بالسؤال فيعطون إذا سئلوا وقد يمنعون بدونه والله منزه عن ذلك يعطي على كل حال حسب قابلية الموضوع وأهليته وقد أعطى بدون سؤال لكل نفس ما تعيش فيه وتحفظ وجودها منذ كونها نطفة وإلى آخر العمر. . .

(**الأول الذي لم يكن له قبل فيكون شيء قبله والآخر الذي ليس له بعد فيكون شيء بعده**). هو الأول بحسب كونه علة للوجود ولكل موجود لأنه خالقها وصانعها ولكن أوليته ليس لها حد لأنها متى تحددت بزمان كان هناك شيء قبله ولا أقل من الزمان والله سبحانه كان ولم يكن زمان ولا مكان وكذلك آخريته باعتبار أنه الباقي بعد فناء الأشياء وليس معناه أن له نهاية يتوقف عندها وإلا لم يكن واجب الوجود لأنه متى حدد له أمد كان هناك بعده شيء ولا أقل من الزمان نفسه والله سبحانه منزه عن ذلك. . .

(**والرادع أناسي الأبصار عن أن تناله أو تدركه**). وهذا من مواقع عظمة الله جل جلاله أنه يمنع حدقات العيون أن تطاله أو تدركه لأنها لا تدرك إلا المحدود المنظور والله منزه عن الجهة التي تحده وعن الجسمية وعوارضها التي تقع تحت النظر قال تعالى: ﴿**لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار**. . .﴾.

(**ما اختلف عليه دهر فيختلف منه الحال**). الله هو الذي خلق الزمان فلا يأتي عليه الزمان أو يقع تحت دورته حتى يؤثر فيه ويعرّضه لما تتعرض إليه الأشياء من نقص أو

عِلْمَهُ إِلَى اللهِ سُبْحَانَهُ، فَإِنَّ ذلِكَ مُنْتَهَى حَقِّ اللهِ عَلَيْكَ. وَاعْلَمْ أَنَّ الرَّاسِخِينَ[٥] فِي العِلْمِ هُمُ الَّذِينَ أَغْنَاهُمْ عَنِ اقْتِحَامِ[٦] السُّدَدِ[٧] المَضْرُوبَةِ دُونَ الغُيُوبِ، الإِقْرَارُ بِجُمْلَةِ مَا جَهِلُوا تَفْسِيرَهُ مِنَ الغَيْبِ المَحْجُوبِ، فَمَدَحَ اللهُ ـ تَعَالَى ـ اعْتِرَافَهُمْ بِالعَجْزِ عَنْ تَنَاوُلِ مَا لَمْ يُحِيطُوا بِهِ عِلْمَاً، وَسَمَّى تَرْكَهُمُ التَّعَمُّقَ[٨] فِيمَا لَمْ يُكَلِّفْهُمُ البَحْثَ عَنْ كُنْهِهِ رُسُوخاً، فَاقْتَصِرْ عَلَى ذلِكَ، وَلاَ تُقَدِّرْ عَظَمَةَ اللهِ سُبْحَانَهُ عَلَى قَدْرِ عَقْلِكَ فَتَكُونَ مِنَ الهَالِكِينَ. هُوَ القَادِرُ الَّذِي إِذَا ارْتَمَتِ[٩] الأَوْهَامُ[١٠] لِتُدْرِكَ مُنْقَطَعَ[١١] قُدْرَتِهِ، وَحَاوَلَ الفِكْرُ المُبَرَّأُ[١٢] مِنْ خَطَرَاتِ[١٣] الوَسَاوِسِ[١٤] أَنْ يَقَعَ عَلَيْهِ فِي عَمِيقَاتِ غُيُوبِ مَلَكُوتِهِ، وَتَوَلَّهَتِ[١٥] القُلُوبُ إِلَيْهِ، لِتَجْرِيَ فِي كَيْفِيَّةِ صِفَاتِهِ، وَغَمَضَتْ[١٦] مَدَاخِلُ العُقُولِ فِي حَيْثُ لاَ تَبْلُغُهُ الصِّفَاتُ لِتَنَاوُلِ عِلْمِ ذَاتِهِ، رَدَعَهَا[١٧] وَهِيَ تَجُوبُ[١٨] مَهَاوِيَ[١٩] سُدَفِ[٢٠] الغُيُوبِ، مُتَخَلِّصَةً إِلَيْهِ ـ سُبْحَانَهُ ـ فَرَجَعَتْ إِذْ جُبِهَتْ[٢١] مُعْتَرِفَةً بِأَنَّهُ لاَ يُنَالُ بِجَوْرِ[٢٢] الاعْتِسَافِ[٢٣] كُنْهُ[٢٤] مَعْرِفَتِهِ، وَلاَ تَخْطُرُ بِبَالِ أُولِي الرَّوِيَّاتِ[٢٥] خَاطِرَةٌ مِنْ تَقْدِيرِ جَلاَلِ عِزَّتِهِ. الَّذِي ابْتَدَعَ[٢٦] الخَلْقَ عَلَى غَيْرِ مِثَالٍ[٢٧] امْتَثَلَهُ[٢٨]، وَلاَ مِقْدَارٍ احْتَذَى عَلَيْهِ[٢٩]، مِنْ خَالِقٍ مَعْبُودٍ كَانَ قَبْلَهُ، وَأَرَانَا مِنْ مَلَكُوتِ قُدْرَتِهِ، وَعَجَائِبِ مَا نَطَقَتْ بِهِ آثَارُ حِكْمَتِهِ، وَاعْتِرَافِ الحَاجَةِ مِنَ الخَلْقِ إِلَى أَنْ يُقِيمَهَا بِمِسَاكِ[٣٠] قُوَّتِهِ، مَا دَلَّنَا بِاضْطِرَارِ قِيَامِ الحُجَّةِ لَهُ عَلَى مَعْرِفَتِهِ، فَظَهَرَتِ البَدَائِعُ الَّتِي أَحْدَثَتْهَا آثَارُ صَنْعَتِهِ، وَأَعْلاَمُ حِكْمَتِهِ، فَصَارَ كُلُّ مَا خَلَقَ حُجَّةً لَهُ وَدَلِيلاً عَلَيْهِ، وَإِنْ كَانَ خَلْقاً صَامِتاً[٣١]، فَحُجَّتُهُ بِالتَّدْبِيرِ نَاطِقَةٌ، وَدَلاَلَتُهُ عَلَى المُبْدِعِ قَائِمَةٌ[٣٢]. فَأَشْهَدُ أَنَّ مَنْ شَبَّهَكَ بِتَبَايُنِ أَعْضَاءِ خَلْقِكَ، وَتَلاَحُمِ[٣٣] حِقَاقِ[٣٤] مَفَاصِلِهِمُ المُحْتَجِبَةِ لِتَدْبِيرِ حِكْمَتِكَ، لَمْ يَعْقِدْ[٣٥] غَيْبَ ضَمِيرِهِ عَلَى مَعْرِفَتِكَ، وَلَمْ

عِلْمَهُ إِلَى اللهِ سُبْحَانَهُ، فَإِنَّ ذلِكَ مُنْتَهَى حَقِّ اللهِ عَلَيْكَ. وَاعْلَمْ أَنَّ الرَّاسِخِينَ[٥] فِي العِلْمِ هُمُ الَّذِينَ أَغْنَاهُمْ عَنِ اقْتِحَامِ[٦] السُّدَدِ[٧] المَضْرُوبَةِ دُونَ الغُيُوبِ، الإِقْرَارُ بِجُمْلَةِ مَا جَهِلُوا تَفْسِيرَهُ مِنَ الغَيْبِ المَحْجُوبِ، فَمَدَحَ اللهُ ـ تَعَالَى ـ اعْتِرَافَهُمْ بِالعَجْزِ عَنْ تَنَاوُلِ مَا لَمْ يُحِيطُوا بِهِ عِلْمَاً، وَسَمَّى تَرْكَهُمُ التَّعَمُّقَ[٨] فِيمَا لَمْ يُكَلِّفْهُمُ البَحْثَ عَنْ كُنْهِهِ رُسُوخاً، فَاقْتَصِرْ عَلَى ذلِكَ، وَلاَ تُقَدِّرْ عَظَمَةَ اللهِ سُبْحَانَهُ عَلَى قَدْرِ عَقْلِكَ فَتَكُونَ مِنَ الهَالِكِينَ. هُوَ القَادِرُ الَّذِي إِذَا ارْتَمَتِ[٩] الأَوْهَامُ[١٠] لِتُدْرِكَ مُنْقَطَعَ[١١] قُدْرَتِهِ، وَحَاوَلَ الفِكْرُ المُبْرَّأُ[١٢] مِنْ خَطَرَاتِ[١٣] الوَسَاوِسِ[١٤] أَنْ يَقَعَ عَلَيْهِ فِي عَمِيقَاتِ غُيُوبِ مَلَكُوتِهِ، وَتَوَلَّهَتِ[١٥] القُلُوبُ إِلَيْهِ، لِتَجْرِيَ فِي كَيْفِيَّةِ صِفَاتِهِ، وَغَمَضَتْ[١٦] مَدَاخِلُ العُقُولِ فِي حَيْثُ لاَ تَبْلُغُهُ الصِّفَاتُ لِتَنَاوُلِ عِلْمِ ذَاتِهِ، رَدَعَهَا[١٧] وَهِيَ تَجُوبُ[١٨] مَهَاوِيَ[١٩] سُدَفِ[٢٠] الغُيُوبِ، مُتَخَلِّصَةً إِلَيْهِ ـ سُبْحَانَهُ ـ فَرَجَعَتْ إِذْ جُبِهَتْ[٢١] مُعْتَرِفَةً بِأَنَّهُ لاَ يُنَالُ بِجَوْرِ[٢٢] الاعْتِسَافِ[٢٣] كُنْهُ[٢٤] مَعْرِفَتِهِ، وَلاَ تَخْطُرُ بِبَالِ أُولِي الرَّوِيَّاتِ[٢٥] خَاطِرَةٌ مِنْ تَقْدِيرِ جَلاَلِ عِزَّتِهِ. الَّذِي ابْتَدَعَ[٢٦] الخَلْقَ عَلَى غَيْرِ مِثَالٍ[٢٧] امْتَثَلَهُ[٢٨]، وَلاَ مِقْدَارٍ احْتَذَى عَلَيْهِ[٢٩]، مِنْ خَالِقٍ مَعْبُودٍ كَانَ قَبْلَهُ، وَأَرَانَا مِنْ مَلَكُوتِ قُدْرَتِهِ، وَعَجَائِبِ مَا نَطَقَتْ بِهِ آثَارُ حِكْمَتِهِ، وَاعْتِرَافِ الحَاجَةِ مِنَ الخَلْقِ إِلَى أَنْ يُقِيمَهَا بِمِسَاكِ[٣٠] قُوَّتِهِ، مَا دَلَّنَا بِاضْطِرَارِ قِيَامِ الحُجَّةِ لَهُ عَلَى مَعْرِفَتِهِ، فَظَهَرَتِ البَدَائِعُ الَّتِي أَحْدَثَتْهَا آثَارُ صَنْعَتِهِ، وَأَعْلاَمُ حِكْمَتِهِ، فَصَارَ كُلُّ مَا خَلَقَ حُجَّةً لَهُ وَدَلِيلاً عَلَيْهِ، وَإِنْ كَانَ خَلْقاً صَامِتاً[٣١]، فَحُجَّتُهُ بِالتَّدْبِيرِ نَاطِقَةٌ، وَدَلاَلَتُهُ عَلَى المُبْدِعِ قَائِمَةٌ[٣٢]. فَأَشْهَدُ أَنَّ مَنْ شَبَّهَكَ بِتَبَايُنِ أَعْضَاءِ خَلْقِكَ، وَتَلاَحُمِ[٣٣] حِقَاقِ[٣٤] مَفَاصِلِهِمُ المُحْتَجِبَةِ لِتَدْبِيرِ حِكْمَتِكَ، لَمْ يَعْقِدْ[٣٥] غَيْبَ ضَمِيرِهِ عَلَى مَعْرِفَتِكَ، وَلَمْ

١٥ ـ تولهت : من الوله وهو شدة العشق، والتحير.
١٦ ـ غمضت : من غمض الحق إذا خفي مأخذه.
١٧ ـ ردعها : منعها، وكفّها.
١٨ ـ تجوب : من جاب البلاد إذا قطعها.
١٩ ـ المهاوي : المهالك.
٢٠ ـ السدف : جمع السدفة وهي الظلمة.
٢١ ـ جبهه : رده.
٢٢ ـ الجور : الظلم.
٢٣ ـ الاعتساف : هو المشي على غير جادة معلومة.
٢٤ ـ كنه : الشيء، أصله وحقيقته.
٢٥ ـ الرويّات : جمع رويّة وهي الفكر.
٢٦ ـ الابتداع : هو إيجاد الشيء من العدم المحض على غير مثال سابق.
٢٧ ـ المثال : المقدار والصفة.
٢٨ ـ امتثله : حاذاه وحاكاه.
٢٩ ـ احتذى عليه : سلك مسلكه.
٣٠ ـ المساك : بكسر الميم ما يمسك الشيء.
٣١ ـ الصامت : كل ما ليس بناطق فيشمل كل ما عدا الإنسان.
٣٢ ـ قائمة : شاهدة.
٣٣ ـ التلاحم : تلاصق الشيء وتلاؤمه.
٣٤ ـ الحقاق : جمع حق وهو رأس العظم عند المفصل.
٣٥ ـ يعقد : من عقد الحبل نقيض حلّه وعقد البيع أحكمه.
٣٦ ـ يباشر : من باشر الأمر إذا تولاه بنفسه.
٣٧ ـ الند : المثل والنظير.
٣٨ ـ تبرأ : من هذا الفعل.
٣٩ ـ العادلون بك : الذين جعلوا لك عديلاً ونظيراً.
٤٠ ـ نحلوك : أعطوك.
٤١ ـ الحلية : الصفة.
٤٢ ـ المجسمات : جمع مجسّم وهو كل جسم له طول وعرض وعمق.
٤٣ ـ قدروك : قاسوك.
٤٤ ـ الخلقة : بكسر الخاء الفطرة.
٤٥ ـ القرائح : جمع قريحة وهي قوة الفكر.

١٥ ـ تولهت : من الوله وهو شدة العشق، والتحير.
١٦ ـ غمضت : من غمض الحق إذا خفي مأخذه.
١٧ ـ ردعها : منعها، وكفّها.
١٨ ـ تجوب : من جاب البلاد إذا قطعها.
١٩ ـ المهاوي : المهالك.
٢٠ ـ السدف : جمع السدفة وهي الظلمة.
٢١ ـ جبهه : رده.
٢٢ ـ الجور : الظلم.
٢٣ ـ الاعتساف : هو المشي على غير جادة معلومة.
٢٤ ـ كنه : الشيء، أصله وحقيقته.
٢٥ ـ الرويّات : جمع رويّة وهي الفكر.
٢٦ ـ الابتداع : هو إيجاد الشيء من العدم المحض على غير مثال سابق.
٢٧ ـ المثال : المقدار والصفة.
٢٨ ـ امتثله : حاذاه وحاكاه.
٢٩ ـ احتذى عليه : سلك مسلكه.
٣٠ ـ المساك : بكسر الميم ما يمسك الشيء.
٣١ ـ الصامت : كل ما ليس بناطق فيشمل كل ما عدا الإنسان.
٣٢ ـ قائمة : شاهدة.
٣٣ ـ التلاحم : تلاصق الشيء وتلاؤمه.
٣٤ ـ الحقاق : جمع حق وهو رأس العظم عند المفصل.
٣٥ ـ يعقد : من عقد الحبل نقيض حلّه وعقد البيع أحكمه.
٣٦ ـ يباشر : من باشر الأمر إذا تولاه بنفسه.
٣٧ ـ الند : المثل والنظير.
٣٨ ـ تبراً : من هذا الفعل.
٣٩ ـ العادلون بك : الذين جعلوا لك عديلاً ونظيراً.
٤٠ ـ نحلوك : أعطوك.
٤١ ـ الحلية : الصفة.
٤٢ ـ المجسمات : جمع مجسّم وهو كل جسم له طول وعرض وعمق.
٤٣ ـ قدروك : قاسوك.
٤٤ ـ الخلقة : بكسر الخاء الفطرة.
٤٥ ـ القرائح : جمع قريحة وهي قوة الفكر.

الغيوب الإقرار بجملة ما جهلوا تفسيره من الغيب المحجوب). وهذا ترغيب لهذا الشخص ولنا بذكر الراسخين في العلم أصحاب العلم الثابت الذين يعرفون حقائق العلم وبحور المعرفة فهؤلاء من خلال موقفهم يمكن أن يكونوا قدوة لنا وأسوة، هؤلاء استغنوا عن طرق هذه الأبواب المسدودة والأسوار المضروبة دون هذا الغيب المجهول بالاعتراف على وجه الإجمال بكل ما جهلوا تفسيره ومعرفته من هذا الغيب المحجوب. فما كان مستوراً لم يعرفوا معناه أوكلوا معرفته إلى الله واكتفوا بذلك...

(فمدح الله تعالى اعترافهم بالعجز عن تناول ما لم يحيطوا به علماً وسمى تركهم التعمق فيما لم يكلفهم البحث عن كنهه رسوخاً). قال تعالى: **﴿هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات، فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا وما يذكر إلا أولوا الألباب﴾**. فهؤلاء الراسخون في العلم المتعمقون فيه إذا وصلوا إلى الأبواب الموصدة ولم يقدروا على فتحها بمعرفتهم لم يذهبوا بعيداً بل عادوا بها إلى الله وآمنوا بها على إجمالها وأوكلوا معرفتها لله فمدحهم الله بأنهم الراسخون في العلم.

(فاقتصر على ذلك ولا تقدر عظمة الله سبحانه على قدر عقلك فتكون من الهالكين). أمره أن يقتصر على ما ورد في الكتاب والسنة عن النبي وأئمة الهدى لأن في ذلك كفاية لبيان المطلوب وما زاد عن ذلك فيكل علمه إلى الله ونهاه بعد ذلك عن أن يقدر عظمة الله وسلطانه وما له بحسب عقله القاصر فيهلك لأن العقل البشري لقصوره عن إدراك عظمة الله يصوّر العظمة بحسب ما يتوهمه من الأمور التي رآها فيقع في تكوين صورة العظمة الإلهية على غير حقيقتها ويعتقد صحتها وبذلك يخرج عن الحقيقة ويهلك نفسه لانحرافه ونسبته إلى الله من الأمور ما لا يليق بشأنه.

(هو القادر الذي إذا ارتمت الأوهام لتدرك منقطع قدرته وحاول الفكر المبرأ من خطرات الوساوس أن يقع عليه في عميقات غيوب ملكوته). ذكر أن الله هو القادر بقول مطلق الذي لا يعجزه شيء...

وذكر عليه السلام بعض المحاولات التي يمكن أن يقوم بها الإنسان ثم رد الإمام باستحالة الوصول إلى الغاية وبفشل جميع المحاولات...

وأولها فشل الأوهام التي إذا جالت وصالت واسترسلت بكل قدرتها مجدة في الوصول إلى غاية ومنتهى قدرة الله عجزت وكلت...

الغيوب الإقرار بجملة ما جهلوا تفسيره من الغيب المحجوب). وهذا ترغيب لهذا الشخص ولنا بذكر الراسخين في العلم أصحاب العلم الثابت الذين يعرفون حقائق العلم وبحور المعرفة فهؤلاء من خلال موقفهم يمكن أن يكونوا قدوة لنا وأسوة، هؤلاء استغنوا عن طرق هذه الأبواب المسدودة والأسوار المضروبة دون هذا الغيب المجهول بالاعتراف على وجه الإجمال بكل ما جهلوا تفسيره ومعرفته من هذا الغيب المحجوب. فما كان مستوراً لم يعرفوا معناه أوكلوا معرفته إلى الله واكتفوا بذلك...

(فمدح الله تعالى اعترافهم بالعجز عن تناول ما لم يحيطوا به علماً وسمى تركهم التعمق فيما لم يكلفهم البحث عن كنهه رسوخاً). قال تعالى: **﴿هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات، فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا وما يذكر إلا أولوا الألباب﴾**. فهؤلاء الراسخون في العلم المتعمقون فيه إذا وصلوا إلى الأبواب الموصدة ولم يقدروا على فتحها بمعرفتهم لم يذهبوا بعيداً بل عادوا بها إلى الله وآمنوا بها على إجمالها وأوكلوا معرفتها لله فمدحهم الله بأنهم الراسخون في العلم.

(فاقتصر على ذلك ولا تقدر عظمة الله سبحانه على قدر عقلك فتكون من الهالكين). أمره أن يقتصر على ما ورد في الكتاب والسنة عن النبي وأئمة الهدى لأن في ذلك كفاية لبيان المطلوب وما زاد عن ذلك فيكل علمه إلى الله ونهاه بعد ذلك عن أن يقدر عظمة الله وسلطانه وما له بحسب عقله القاصر فيهلك لأن العقل البشري لقصوره عن إدراك عظمة الله يصوّر العظمة بحسب ما يتوهمه من الأمور التي رآها فيقع في تكوين صورة العظمة الإلهية على غير حقيقتها ويعتقد صحتها وبذلك يخرج عن الحقيقة ويهلك نفسه لانحرافه ونسبته إلى الله من الأمور ما لا يليق بشأنه.

(هو القادر الذي إذا ارتمت الأوهام لتدرك منقطع قدرته وحاول الفكر المبرأ من خطرات الوساوس أن يقع عليه في عميقات غيوب ملكوته). ذكر أن الله هو القادر بقول مطلق الذي لا يعجزه شيء...

وذكر عليه السلام بعض المحاولات التي يمكن أن يقوم بها الإنسان ثم رد الإمام باستحالة الوصول إلى الغاية وبفشل جميع المحاولات...

وأولها فشل الأوهام التي إذا جالت وصالت واسترسلت بكل قدرتها مجدة في الوصول إلى غاية ومنتهى قدرة الله عجزت وكلت...

الخلق إلى أن يقيمها بمساك قوته). هذا بيان لا مكان معرفته بآثاره وما خلقه من هذا العالم فإنه سبحانه أرانا من ملكه العظيم الذي خلقه بقدرته ما يدل على معرفته.

كما أن عجائب افعاله وأعماله وما افصحت عنه من الاتقان والحكمة والسداد والصواب يدل على أن هناك خالقاً مبدعاً لها وقائماً عليها.

وكذلك المخلوقات كلها تحكي فقرها وحاجتها إليه ليبقى وجودها ويحفظها من التفتت والانهيار..

(ما دلنا باضطرار قيام الحجة له على معرفته). أرانا جميع ما تقدم ـ من ملكوت القدرة وعجائب آثاره واعتراف الحاجة من الخلق ـ أرانا كل هذا ليدلنا من خلالها بالبداهة والفطرة وبالنظرة البسيطة إلى وجود الأدلة والبراهين على وجوده فإن من تفكر في هذه الأمور اكتشف من خلالها بكل بساطة وجود الله وأهم صفاته كالقدرة والعلم وغيرها...

(فظهرت البدائع التي احدثتها آثار صنعته وأعلام حكمته فصار كل ما خلق حجة له ودليلاً عليه وإن كان خلقاً صامتاً فحجته بالتدبير ناطقة ودلالته على المبدع قائمة). ما ابدعه الله من خلقه في حسن صورة وتناسق ودقة وحكمة سواء كان في العالم الكبير الذي هو الكون أو العالم الصغير الذي هو الإنسان كل ذلك حجة له على خلقه بأنه الله الواحد الأحد ودليلاً يدل عليه فصار كل ما خلق يحكي عن وجوده وحجة له على خلقه ودليلاً عليه حتى الصامت كالجمادات تحكي وجود الله وتدلل عليه بلسان الحال الذي يحكمها وهو الامكان والفقر واحتياجها إلى موجد يوجدها ويخرجها من زاوية العدم فإن كل ذلك يحكي عنه ويبرهن على وجوده...

(فاشهد أن من شبهك بتباين اعضاء خلقك وتلاحم حقاق مفاصلهم المحتجبه لتدبير حكمتك لم يعقد غيب ضميره على معرفتك ولم يباشر قلبه اليقين بأنه لا ندلك). أراد عليه السلام أن ينزه الله عن مشابهته لمخلوقاته فشهد أن من شبه الله بخلقه الذين خلقهم وخلق لهم اعضاء متباينة وجعلها متلاحمة مكسوة باللحم لتحفظ من الفساد منْ شبّه الله بمثل هذا المخلوق ذو التركيب لم يعرف الله ولم يهتد إليه ولم يحصل له اليقين بأنه لا نظير له ولا شبيه.

(وكأنه لم يسمع تبرؤ التابعين من المتبوعين إذ يقولون ﴿تالله إن كنا لفي ضلال مبين إذ نسويكم برب العالمين﴾). هذا شاهد له ودليل على ما قال من أن من شبه الله بخلقه لم يعرفه فقد حكت الآية الكريمة قول المشبهة فقال تعالى: **﴿فكبكبوا فيها هم**

الخلق إلى أن يقيمها بمساك قوته). هذا بيان لا مكان معرفته بآثاره وما خلقه من هذا العالم فإنه سبحانه أرانا من ملكه العظيم الذي خلقه بقدرته ما يدل على معرفته.

كما أن عجائب افعاله وأعماله وما افصحت عنه من الاتقان والحكمة والسداد والصواب يدل على أن هناك خالقاً مبدعاً لها وقائماً عليها.

وكذلك المخلوقات كلها تحكي فقرها وحاجتها إليه ليبقى وجودها ويحفظها من التفتت والانهيار..

(ما دلنا باضطرار قيام الحجة له على معرفته). أرانا جميع ما تقدم ـ من ملكوت القدرة وعجائب آثاره واعتراف الحاجة من الخلق ـ أرانا كل هذا ليدلنا من خلالها بالبداهة والفطرة وبالنظرة البسيطة إلى وجود الأدلة والبراهين على وجوده فإن من تفكر في هذه الأمور اكتشف من خلالها بكل بساطة وجود الله وأهم صفاته كالقدرة والعلم وغيرها...

(فظهرت البدائع التي احدثتها آثار صنعته وأعلام حكمته فصار كل ما خلق حجة له ودليلاً عليه وإن كان خلقاً صامتاً فحجته بالتدبير ناطقة ودلالته على المبدع قائمة). ما ابدعه الله من خلقه في حسن صورة وتناسق ودقة وحكمة سواء كان في العالم الكبير الذي هو الكون أو العالم الصغير الذي هو الإنسان كل ذلك حجة له على خلقه بأنه الله الواحد الأحد ودليلاً يدل عليه فصار كل ما خلق يحكي عن وجوده وحجة له على خلقه ودليلاً عليه حتى الصامت كالجمادات تحكي وجود الله وتدلل عليه بلسان الحال الذي يحكمها وهو الامكان والفقر واحتياجها إلى موجد يوجدها ويخرجها من زاوية العدم فإن كل ذلك يحكي عنه ويبرهن على وجوده...

(فاشهد أن من شبهك بتباين اعضاء خلقك وتلاحم حقاق مفاصلهم المحتجبه لتدبير حكمتك لم يعقد غيب ضميره على معرفتك ولم يباشر قلبه اليقين بأنه لا ندلك). أراد عليه السلام أن ينزه الله عن مشابهته لمخلوقاته فشهد أن من شبه الله بخلقه الذين خلقهم وخلق لهم اعضاء متباينة وجعلها متلاحمة مكسوة باللحم لتحفظ من الفساد منْ شبّه الله بمثل هذا المخلوق ذو التركيب لم يعرف الله ولم يهتد إليه ولم يحصل له اليقين بأنه لا نظير له ولا شبيه.

(وكأنه لم يسمع تبرؤ التابعين من المتبوعين إذ يقولون ﴿تالله إن كنا لفي ضلال مبين إذ نسويكم برب العالمين﴾). هذا شاهد له ودليل على ما قال من أن من شبه الله بخلقه لم يعرفه فقد حكت الآية الكريمة قول المشبهة فقال تعالى: **﴿فكبكبوا فيها هم**

فإن ذلك يجعله متغيراً من حال إلى حال ومتقلب من هيئة إلى هيئة ومتغير يخضع إلى تقلبات الفكر وتحولاته ولما كان هذا غير سليم لم يمكن ذلك في حق العقول. .

ومنها: قَدَّرَ[١] مَا خَلَقَ فَأَحْكَمَ تَقْدِيرَهُ[٢]، ودَبَّرَهُ فأَلْطَفَ تَدْبِيرَهُ[٣]، وَوَجَّهَهُ[٤] لِوِجْهَتِهِ فَلَمْ يَتَعَدَّ[٥] حدُودَ منْزِلَتِهِ، وَلَمْ يَقْصُرْ دُونَ الإِنتهَاءِ إلى غَايَتِهِ، ولَمْ يَسْتَصْعِبْ[٦] إذْ أُمِرَ بالمُضِيِّ عَلَى إرَادَتِهِ، فَكَيْفَ وَإِنَّمَا صَدَرَتِ الأُمُورُ عَنْ مَشِيئَتِهِ؟ المُنْشِيءُ أَصْنَافَ الأَشْيَاءِ بِلاَ رَوِيَّةٍ[٧] فكْر آل[٨] إلَيْهَا، ولاَ قَرِيحَةٍ[٩] غَرِيزَةٍ[١٠] أضْمَرَ عَلَيْهَا، وَلاَ تَجْرِبَةٍ أَفَادَهَا[١١] مِنْ حَوَادِثِ الدُّهُورِ، وَلاَ شَرِيكٍ أَعَانَهُ عَلَى ابْتِدَاعِ عَجَائِبِ الأُمُورِ، فَتَمَّ خَلْقُهُ بأَمْرِهِ، وأَذْعَنَ[١٢] لِطَاعَتِهِ، وأَجَابَ إلى دَعْوَتِهِ، لَم يَعْتَرِضْ دُونَهُ رَيْثَ[١٣] الْمُبْطِيءِ[١٤]، وَلاَ أَنَاةُ[١٥] الْمُتَلَكِّيءِ[١٥]، فأَقَامَ مِنَ الأَشْيَاءِ أَوَدَهَا[١٧]، ونَهَجَ[١٨] حُدُودَهَا، وَلاَءَمَ[١٩] بِقُدْرَتِهِ بَيْنَ مُتَضَادِّهَا، وَوَصَلَ أَسْبَابَ قَرَائِنِهَا[٢٠]، وفَرَّقَهَا أَجْنَاساً مُخْتَلِفَاتِ في الحُدُودِ والأَقْدَارِ، والغَرَائِزِ[٢١] والهَيْئَاتِ، بَدَايَا[٢٢] خَلاَئِقَ أَحْكَمَ صُنْعَهَا، وَفَطَرَهَا عَلَى مَا أَرَادَ وابْتَدَعَهَا!.

اللغة

١ ـ قدّر : الشيء بالشيء قاسه به وجعله على مقداره.
٢ ـ أحكم التقدير : أتقنه.
٣ ـ التدبير : للأمور النظر إلى ما يؤل إليه عاقبتها.
٤ ـ وجهه : الشيء جهته التي يتوجه إليها.
٥ ـ تعدى : تجاوز.

فإن ذلك يجعله متغيراً من حال إلى حال ومتقلب من هيئة إلى هيئة ومتغير يخضع إلى تقلبات الفكر وتحولاته ولما كان هذا غير سليم لم يمكن ذلك في حق العقول . .

ومنها: قَدَّرَ[١] مَا خَلَقَ فَأَحْكَمَ تَقْدِيرَهُ[٢]، ودَبَّرَهُ فأَلْطَفَ تَدْبِيرَهُ[٣]، وَوَجَّهَهُ[٤] لِوِجْهَتِهِ فَلَمْ يَتَعَدَّ[٥] حدُودَ منْزِلَتِهِ، وَلَمْ يَقْصُرْ دُون الِانتهَاءِ إلى غَايَتِهِ، ولَمْ يَسْتَصْعِبْ[٦] إذْ أُمِرَ بالمُضِيِّ عَلَى إرَادَتِهِ، فَكَيْفَ وَإنَّمَا صَدَرَتِ الأُمُورُ عَنْ مَشِيئَتِهِ؟ المُنْشِيءُ أصْنَافَ الأشْيَاءِ بِلاَ رَوِيَّةٍ[٧] فكْر آل[٨] إلَيْهَا، ولاَ قَرِيحَةٍ[٩] غَرِيزَةٍ[١٠] أضْمَرَ عَلَيْهَا، وَلاَ تَجْرِبَةٍ أَفَادَهَا[١١] مِنْ حَوَادِثِ الدُّهُورِ، وَلاَ شَرِيكٍ أعَانَهُ عَلَى ابْتِدَاعِ عَجَائِبِ الأُمُورِ، فَتَمَّ خَلْقُهُ بأَمْرِهِ، وأذْعَنَ[١٢] لِطَاعَتِهِ، وأجَابَ إلى دَعْوَتِهِ، لَم يَعْتَرِضْ دُونَهُ رَيْثَ[١٣] الْمُبْطِيءِ[١٤]، وَلاَ أنَاةُ[١٥] الْمُتَلَكِّيءِ[١٥]، فأقَامَ مِنَ الأَشْيَاءِ أوَدَهَا[١٧]، ونَهَجَ[١٨] حُدُودَهَا، وَلاَءَمَ[١٩] بِقُدْرَتِهِ بَيْنَ مُتَضَادِّهَا، وَوَصَلَ أسْبَابَ قَرَائِنِهَا[٢٠]، وفَرَّقَهَا أجْنَاساً مُخْتَلِفَاتٍ في الحُدُودِ والأقْدَارِ، والغَرَائِزِ[٢١] والهَيْئَاتِ، بَدَايَا[٢٢] خَلاَئِقَ أحْكَمَ صُنْعَهَا، وَفَطَرَهَا عَلَى مَا أرَادَ وابْتَدَعَهَا!.

اللغة

١ ـ قدّر : الشيء بالشيء قاسه به وجعله على مقداره.
٢ ـ أحكم التقدير : أتقنه.
٣ ـ التدبير : للأمور النظر إلى ما يؤل إليه عاقبتها.
٤ ـ وجهه : الشيء جهته التي يتوجه إليها.
٥ ـ تعدى : تجاوز.

ولكل واحد دور يجب أن يؤديه فالنحلة مخلوقة لإنتاج العسل والعين للرؤية وهكذا كل واحدة لا تتجاوز عما رسم لها وحدد فلم تخرج النحلة عن وظيفتها لغيرها من الأمور فلا تقدر على أن تحل محل النور أو السيف كما أنها لا تقدر على الكف عما من أجله كانت ووجدت فلا تقدر على عدم انتاج العسل. . .

كما أن كل مخلوق إذا أُمر بمقتضى الأمر التكويني لا يقدر على التمرد والعصيان وعدم تنفيذ الأمر.

(**فكيف وإنما صدرت الأمور عن مشيئته؟**) . علل نفي الاستصعاب بأن الأمور كلها كانت بإرادته ومشيئته وإذا كانت بأصل وجودها بيده فكيف يمتنع عليه منها ما يتفرع عنها ويخرج منها ويتوقف عليها فإذا كان الأصل محكوماً بإرادة الله فتوابعه تتبعه. . .

(**المنشىء أصناف الأشياء بلا روية فكر آل إليها**). أراد عليه السلام أن ينزه الله عن صفات المخلوقين فهو سبحانه خلق أصناف الأشياء بدون إجالة فكر وعودة إلى ما عنده من معلومات على حدّ ما تعارف عليه البشر.

(**ولا قريحة غريزة أضمر عليها**). وكذلك لا يحتاج إلى استعمال قوة الفكر وجودته يجيلها ليستخرج منها الخلق.

(**ولا تجربة أفادها من حوادث الدهور**). والله منزه عن أن يستفيد مما مرّ في الحياة من الحوادث ليأخذ منها الدروس والعبر ويخلق الخلق كما مر فيما مضى على مستوى ما يعيشه البشر فيصنع هذا جهازاً لألتقاط الأصوات مثل ما صنع غيره من قبل.

(**ولا شريك أعانه على ابتداع عجائب الأمور**). فهذه الأمور العجيبة والمخلوقات الغريبة من سماء وأرض وإنسان وحيوان وصامت وناطق وجامد ومتحرك كلها بيده لم يعاونه شريك ولم يحتج إلى معين. . .

(**فتم خلقه بأمره وأذعن لطاعته وأجاب إلى دعوته**). كملت مخلوقاته كما أراد بأمره وإرادته وانقاد لطاعته كل ما خلق ولم يقدر بلسان الحال على التمرد وأجاب دعوته التي أطلقها في خلقه فكان بكلمة كن التكوينية كل شيء موجود في محله وفي وقته وكما أراد. . .

(**لم يعترض دونه ريث المبطىء ولا أناة المتلكىء**). نزه الله أن يعترض سبيل أمره وتنفيذ مراده ما يعترض البشر إذا أرادوا أمراً فإنه يعترض مرادهم بطؤ أو تأخر أو تريث وانتظار والله منزه عن ذلك لأنه بهبة الوجود توجد الأشياء ولا يحتاج إلى كلمة كن إلا

ولكل واحد دور يجب أن يؤديه فالنحلة مخلوقة لإنتاج العسل والعين للرؤية وهكذا كل واحدة لا تتجاوز عما رسم لها وحدد فلم تخرج النحلة عن وظيفتها لغيرها من الأمور فلا تقدر على أن تحل محل النور أو السيف كما أنها لا تقدر على الكف عما من أجله كانت ووجدت فلا تقدر على عدم انتاج العسل. . .

كما أن كل مخلوق إذا أُمر بمقتضى الأمر التكويني لا يقدر على التمرد والعصيان وعدم تنفيذ الأمر.

(**فكيف وإنما صدرت الأمور عن مشيئته؟**) . علل نفي الاستصعاب بأن الأمور كلها كانت بإرادته ومشيئته وإذا كانت بأصل وجودها بيده فكيف يمتنع عليه منها ما يتفرع عنها ويخرج منها ويتوقف عليها فإذا كان الأصل محكوماً بإرادة الله فتوابعه تتبعه. . .

(**المنشىء أصناف الأشياء بلا روية فكر آل إليها**). أراد عليه السلام أن ينزه الله عن صفات المخلوقين فهو سبحانه خلق أصناف الأشياء بدون إجالة فكر وعودة إلى ما عنده من معلومات على حدّ ما تعارف عليه البشر.

(**ولا قريحة غريزة أضمر عليها**). وكذلك لا يحتاج إلى استعمال قوة الفكر وجودته يجيلها ليستخرج منها الخلق.

(**ولا تجربة أفادها من حوادث الدهور**). والله منزه عن أن يستفيد مما مرّ في الحياة من الحوادث ليأخذ منها الدروس والعبر ويخلق الخلق كما مر فيما مضى على مستوى ما يعيشه البشر فيصنع هذا جهازاً لألتقاط الأصوات مثل ما صنع غيره من قبل.

(**ولا شريك أعانه على ابتداع عجائب الأمور**). فهذه الأمور العجيبة والمخلوقات الغريبة من سماء وأرض وإنسان وحيوان وصامت وناطق وجامد ومتحرك كلها بيده لم يعاونه شريك ولم يحتج إلى معين. . .

(**فتم خلقه بأمره وأذعن لطاعته وأجاب إلى دعوته**). كملت مخلوقاته كما أراد بأمره وإرادته وانقاد لطاعته كل ما خلق ولم يقدر بلسان الحال على التمرد وأجاب دعوته التي أطلقها في خلقه فكان بكلمة كن التكوينية كل شيء موجود في محله وفي وقته وكما أراد. . .

(**لم يعترض دونه ريث المبطىء ولا أناة المتلكىء**). نزه الله أن يعترض سبيل أمره وتنفيذ مراده ما يعترض البشر إذا أرادوا أمراً فإنه يعترض مرادهم بطؤ أو تأخر أو تريث وانتظار والله منزه عن ذلك لأنه بهبة الوجود توجد الأشياء ولا يحتاج إلى كلمة كن إلا

ومنها في صفة السماء

وَنَظَمَ بِلاَ تَعْلِيقِ رَهَوَاتِ[١] فُرَجِهَا[٢]، وَلاَحَمَ[٣] صُدُوعَ[٤] انْفِرَاجِهَا، وَوَشَّجَ[٥] بَيْنَهَا وَبَيْنَ أَزْوَاجِهَا[٦]، وَذَلَّلَ[٧] لِلْهَابِطِينَ[٨] بِأَمْرِهِ، وَالصَّاعِدِينَ بِأَعْمَالِ خَلْقِهِ، حُزُونَةَ[٩] مِعْرَاجِهَا[١٠]، وَنَادَاهَا بَعْدَ إِذْ هِيَ دُخَانٌ، فَالْتَحَمَتْ[١١] عُرَى[١٢] أَشْرَاجِهَا[١٣]، وَفَتَقَ[١٤] بَعْدَ الارْتِتَاقِ[١٥] صَوَامِتَ[١٦] أَبْوَابِهَا، وَأَقَامَ رَصَداً[١٧] مِنَ الشُّهُبِ[١٨] الثَّوَاقِبِ[١٩] عَلَى نِقَابِهَا[٢٠]، وَأَمْسَكَهَا مِنْ أَنْ تَمُورَ[٢١] فِي خَرْقِ[٢٢] الهَوَاءِ بِأَيْدِهِ[٢٣]، وَأَمَرَهَا أَنْ تَقِفَ مُسْتَسْلِمَةً لأَمْرِهِ، وَجَعَلَ شَمْسَهَا آيَةً[٢٤] مُبْصِرَةً لِنَهَارِهَا، وَقَمَرِهَا آيَةً مَمْحُوَّةً[٢٥] مِنْ لَيْلِهَا، وَأَجْرَاهُمَا[٢٦] فِي مَنَاقِلِ[٢٧] مَجْرَاهُمَا، وَقَدَّرَ[٢٨] سَيْرَهُمَا فِي مَدَارِجِ[٢٩] دَرَجِهِمَا، لِيُمَيِّزَ[٣٠] بَيْنَ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ بِهِمَا، وَلِيُعْلَمَ عَدَدُ السِّنِينَ وَالحِسَابُ بِمَقَادِيرِهِمَا، ثُمَّ عَلَّقَ[٣١] فِي جَوِّهَا[٣٢] فَلَكَهَا[٣٣]، وَنَاطَ[٣٤] بِهَا زِينَتَهَا، مِنْ خَفِيَّاتِ دَرَارِيِّهَا[٣٥] وَمَصَابِيحِ[٣٦] كَوَاكِبِهَا، وَرَمَى مُسْتَرِقِي السَّمْعِ[٣٧] بِثَوَاقِبِ شُهُبِهَا، وَأَجْرَاهَا عَلَى أَذْلاَلِ[٣٨] تَسْخِيرِهَا[٣٩] مِنْ ثَبَاتِ[٤٠] ثَابِتِهَا، وَمَسِيرِ سَائِرِهَا، وَهُبُوطِهَا وَصُعُودِهَا، وَنُحُوسِهَا[٤١] وَسُعُودِهَا.

اللغة

١ ـ الرهوات : جمع رهوة المكان المرتفع ويقال للمنخفض فهو من الأضداد.
٢ ـ الفرج : جمع فرجة بضم فسكون وهي المكان الخالي.
٣ ـ لاحم : ألصق.
٤ ـ الصدوع : جمع صدع وهو الشق.
٥ ـ ووشج : بالتشديد شبّك.

ومنها في صفة السماء

وَنَظَمَ بِلاَ تَعْلِيقِ رَهَوَاتِ[١] فُرَجِهَا[٢]، وَلاَحَمَ[٣] صُدُوعَ[٤] انْفِرَاجِهَا، وَوَشَّجَ[٥] بَيْنَهَا وَبَيْنَ أَزْوَاجِهَا[٦]، وَذَلَّلَ[٧] لِلْهَابِطِينَ[٨] بِأَمْرِهِ، وَالصَّاعِدِينَ بِأَعْمَالِ خَلْقِهِ، حُزُونَةَ[٩] مِعْرَاجِهَا[١٠]، وَنَادَاهَا بَعْدَ إِذْ هِيَ دُخَانٌ، فَالْتَحَمَتْ[١١] عُرَى[١٢] أَشْرَاجِهَا[١٣]، وَفَتَقَ[١٤] بَعْدَ الارْتِتَاقِ[١٥] صَوَامِتَ[١٦] أَبْوَابِهَا، وَأَقَامَ رَصَداً[١٧] مِنَ الشُّهُبِ[١٨] الثَّوَاقِبِ[١٩] عَلَى نِقَابِهَا[٢٠]، وَأَمْسَكَهَا مِنْ أَنْ تَمُورَ[٢١] فِي خَرْقِ[٢٢] الهَوَاءِ بِأَيْدِهِ[٢٣]، وَأَمَرَهَا أَنْ تَقِفَ مُسْتَسْلِمَةً لأَمْرِهِ، وَجَعَلَ شَمْسَهَا آيَةً[٢٤] مُبْصِرَةً لِنَهَارِهَا، وَقَمَرِهَا آيَةً مَمْحُوَّةً[٢٥] مِنْ لَيْلِهَا، وَأَجْرَاهُمَا[٢٦] فِي مَنَاقِلِ[٢٧] مَجْرَاهُمَا، وَقَدَّرَ[٢٨] سَيْرَهُمَا فِي مَدَارِجِ[٢٩] دَرَجِهِمَا، لِيُمَيِّزَ[٣٠] بَيْنَ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ بِهِمَا، وَلِيُعْلَمَ عَدَدُ السِّنِينَ وَالحِسَابُ بِمَقَادِيرِهِمَا، ثُمَّ عَلَّقَ[٣١] فِي جَوِّهَا[٣٢] فَلَكَهَا[٣٣]، وَنَاطَ[٣٤] بِهَا زِينَتَهَا، مِنْ خَفِيَّاتِ دَرَارِيِّهَا[٣٥] وَمَصَابِيحِ[٣٦] كَوَاكِبِهَا، وَرَمَى مُسْتَرِقِي السَّمْعِ[٣٧] بِثَوَاقِبِ شُهُبِهَا، وَأَجْرَاهَا عَلَى أَذْلاَلِ[٣٨] تَسْخِيرِهَا[٣٩] مِنْ ثَبَاتِ[٤٠] ثَابِتِهَا، وَمَسِيرِ سَائِرِهَا، وَهُبُوطِهَا وَصُعُودِهَا، وَنُحُوسِهَا[٤١] وَسُعُودِهَا.

اللغة

١ ـ الرهوات : جمع رهوة المكان المرتفع ويقال للمنخفض فهو من الأضداد.
٢ ـ الفرج : جمع فرجة بضم فسكون وهي المكان الخالي.
٣ ـ لاحم : ألصق.
٤ ـ الصدوع : جمع صدع وهو الشق.
٥ ـ ووشج : بالتشديد شبّك.

٣٧ ـ استرق السمع : استمع مستخفياً.
٣٨ ـ إذلال : على وزن إقفال جمع ذل بالكسر وهو محجة الطريق.
٣٩ ـ التسخير : الإذلال والقهر.
٤٠ ـ ثبات : استقرار.
٤١ ـ النحوس : الشؤوم.

الشرح

(ونظم بلا تعليق رهوات فرجها ولاحم صدوع انفراجها ووشج بينها وبين أزواجها). في هذا الفصل بيان لعظمة الله وقدرته من خلال خلق السماوات التي كانت أول ما خلقت غير منتظمة الأجزاء بل بعضها أعلى من بعض وبعضها أخفض من بعض فجعلها وحدة كاملة لا يظهر عليها أثر الوصل والتنظيم بخلاف ما عليه البشر عندما يقومون بوصل الأشياء وربطها وخياطتها تظهر أماكن وصلها ومواضع ربطها، وألصق تلك الفروج والشقوق فجعلها جسماً متصلاً وسطحاً أملس لا نتؤات فيه ولا فرج ولا صدوع بل شبّك بينها وجعل كل جزء ملتصقاً بمثله.

(وذلل للهابطين بأمره والصاعدين بأعمال خلقه حزونه معراجها). إشارة إلى الملائكة الموكلة بالعباد التي تنزل إلى الأرض حاملة معها أمر الله وما يريده منهم وما يكلفهم به وكذلك للملائكة التي تنقل إليه أعمال الخلق وما يفعلون لقد ذلل لهؤلاء الملائكة صعوبة النزول فيها والصعود منها...

(وناداها بعد إذ هي دخان فالتحمت عرى أشراجها). لم يكن هناك نداء على وجه الحقيقة وإنما هو لبيان سرعة الفعل من الله وعدم الكلفة وهي على حد قوله تعالى: ﴿**ثم استوى إلى السماء وهي دخان فقال لها وللأرض إئتيا طوعاً أو كرهاً قالتا أتينا طائعين...**﴾. فقد كانت السماء دخاناً منتشراً موزعاً فبأمره كان اتصالها وتشابكها والتحامها.

(وفتق بعد الارتتاق صوامت أبوابها). فقد كانت السماء سطحاً واحداً لا فرجة فيها ولا فتحة ففتقها الله وفتح فيها أبواباً لنزول الملائكة وصعودها...

(وأقام رصداً من الشهب الثواقب على نقابها). جعل الله بعض الكواكب على هذه الأبواب المفتوحة رقيباً ينظر من يقترب منها ليدخلها بدون إذن أو ليدخلها وهو ممنوع

٣٧ ـ استرق السمع : استمع مستخفياً.
٣٨ ـ إذلال : على وزن إقفال جمع ذل بالكسر وهو محجة الطريق.
٣٩ ـ التسخير : الإذلال والقهر.
٤٠ ـ ثبات : استقرار.
٤١ ـ النحوس : الشؤوم.

الشرح

(ونظم بلا تعليق رهوات فرجها ولاحم صدوع انفراجها ووشج بينها وبين أزواجها). في هذا الفصل بيان لعظمة الله وقدرته من خلال خلق السماوات التي كانت أول ما خلقت غير منتظمة الأجزاء بل بعضها أعلى من بعض وبعضها أخفض من بعض فجعلها وحدة كاملة لا يظهر عليها أثر الوصل والتنظيم بخلاف ما عليه البشر عندما يقومون بوصل الأشياء وربطها وخياطتها تظهر أماكن وصلها ومواضع ربطها، وألصق تلك الفروج والشقوق فجعلها جسماً متصلاً وسطحاً أملس لا نتوءات فيه ولا فرج ولا صدوع بل شبّك بينها وجعل كل جزء ملتصقاً بمثله.

(وذلل للهابطين بأمره والصاعدين بأعمال خلقه حزونه معراجها). إشارة إلى الملائكة الموكلة بالعباد التي تنزل إلى الأرض حاملة معها أمر الله وما يريده منهم وما يكلفهم به وكذلك للملائكة التي تنقل إليه أعمال الخلق وما يفعلون لقد ذلل لهؤلاء الملائكة صعوبة النزول فيها والصعود منها...

(وناداها بعد إذ هي دخان فالتحمت عرى أشراجها). لم يكن هناك نداء على وجه الحقيقة وإنما هو لبيان سرعة الفعل من الله وعدم الكلفة وهي على حد قوله تعالى: ﴿**ثم استوى إلى السماء وهي دخان فقال لها وللأرض إئتيا طوعاً أو كرهاً قالتا أتينا طائعين...**﴾. فقد كانت السماء دخاناً منتشراً موزعاً فبأمره كان اتصالها وتشابكها والتحامها.

(وفتق بعد الارتتاق صوامت أبوابها). فقد كانت السماء سطحاً واحداً لا فرجة فيها ولا فتحة ففتقها الله وفتح فيها أبواباً لنزول الملائكة وصعودها...

(وأقام رصداً من الشهب الثواقب على نقابها). جعل الله بعض الكواكب على هذه الأبواب المفتوحة رقيباً ينظر من يقترب منها ليدخلها بدون إذن أو ليدخلها وهو ممنوع

القوس، الجدي، الدلو، الحوت. والشمس تسير كل برج في شهر فتقطعها جميعاً في سنة واحدة.

وللقمر منازل وهي ثمانية وعشرون وأسماؤها هي: الشرطين، البطين، الثريا، الديران، الهقعة، الهنعة، الذراع، النثرة، الطرفة، الجبهة، الدبرة، الصرفة، العواء، السماك، الغفر، الزبانا، الإكليل، القلب، الشولة، النعايم، البلدة، سعد الذابح، سعد بلع، سعد السعود، سعد الأخبية، فرغ الدلو المقدم، فرغ الدلو المؤخر، الرشا وهو بطن الحوت.

وإلى هذه المنازل أشار تعالى: ﴿**والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم**﴾ وهذه المنازل يقطعها القمر في ثمانية وعشرون يوماً.

وميز الله بين النهار والليل بهاتين الآيتين ولولاهما لأنطمست الحياة ولم يعرف الليل من النهار.

أجرى الله الشمس والقمر في منازلهما ليحصل العلم بعدد السنين والحساب وما يحتاجه الناس في أمور دينهم ودنياهم من حضور موسم الحج أو الصلاة والصوم أو حلول أجل الدين أو انقضاء عدة المطلقة وهكذا.

(**ثم علّق في جوها فلكها**). قالوا: إن الله سبحانه وضع كل كوكب في مكانه اللائق به وبحركاته ليؤدي الغرض المسخر له.

(**وناط بها زينتها من خفيات دراريها ومصابيح كواكبها ورمى مسترقي السمع بثواقب شهبها**). علق في السماء ما يزينها من الكواكب الخفية المضيئة والكواكب التي هي كالمصابيح والقناديل تضيء وتؤنس قال تعالى: ﴿**إنا زينا السماء الدنيا بزينة الكواكب**﴾ كما أنه سبحانه رمى من أراد أن يسترق السمع من السماء بما فيها من الشهب النارية التي تحرقه أو تبعده وهو من قوله تعالى: ﴿**إلا من استرق السمع فاتبعه شهاب مبين**﴾ وقوله تعالى: ﴿**إلا من خطف الخطفة فاتبعه شهاب ثاقب**﴾.

(**وأجراها على أذلال تسخيرها من ثبات ثابتها ومسير سائرها وهبوطها وصعودها ونحوسها وسعودها**). أجراها الله كما أراد وجعلها مسخرة لأمره كما قال تعالى: ﴿**والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره ألا له الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين**﴾. سخرها كما أراد بحيث جعل بعضها ثابت في مكانه لا يتحرك وسخر بعضها بالجريان والحركة كالكواكب السيارة السبعة وهي القمر، عطارد، الزهرة، الشمس، المريخ، المشتري، زحل.

القوس، الجدي، الدلو، الحوت. والشمس تسير كل برج في شهر فتقطعها جميعاً في سنة واحدة.

وللقمر منازل وهي ثمانية وعشرون وأسماؤها هي: الشرطين، البطين، الثريا، الديران، الهقعة، الهنعة، الذراع، النثرة، الطرفة، الجبهة، الدبرة، الصرفة، العواء، السماك، الغفر، الزبانا، الإكليل، القلب، الشولة، النعايم، البلدة، سعد الذابح، سعد بلع، سعد السعود، سعد الأخبية، فرغ الدلو المقدم، فرغ الدلو المؤخر، الرشا وهو بطن الحوت.

وإلى هذه المنازل أشار تعالى: ﴿**والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم**﴾ وهذه المنازل يقطعها القمر في ثمانية وعشرون يوماً.

وميز الله بين النهار والليل بهاتين الآيتين ولولاهما لأنطمست الحياة ولم يعرف الليل من النهار.

أجرى الله الشمس والقمر في منازلهما ليحصل العلم بعدد السنين والحساب وما يحتاجه الناس في أمور دينهم ودنياهم من حضور موسم الحج أو الصلاة والصوم أو حلول أجل الدين أو انقضاء عدة المطلقة وهكذا.

(**ثم علّق في جوها فلكها**). قالوا: إن الله سبحانه وضع كل كوكب في مكانه اللائق به وبحركاته ليؤدي الغرض المسخر له.

(**وناط بها زينتها من خفيات دراريها ومصابيح كواكبها ورمى مسترقي السمع بثواقب شهبها**). علق في السماء ما يزينها من الكواكب الخفية المضيئة والكواكب التي هي كالمصابيح والقناديل تضيء وتؤنس قال تعالى: ﴿**إنا زينا السماء الدنيا بزينة الكواكب**﴾ كما أنه سبحانه رمى من أراد أن يسترق السمع من السماء بما فيها من الشهب النارية التي تحرقه أو تبعده وهو من قوله تعالى: ﴿**إلا من استرق السمع فاتبعه شهاب مبين**﴾ وقوله تعالى: ﴿**إلا من خطف الخطفة فاتبعه شهاب ثاقب**﴾.

(**وأجراها على أذلال تسخيرها من ثبات ثابتها ومسير سائرها وهبوطها وصعودها ونحوسها وسعودها**). أجراها الله كما أراد وجعلها مسخرة لأمره كما قال تعالى: ﴿**والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره ألا له الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين**﴾. سخرها كما أراد بحيث جعل بعضها ثابت في مكانه لا يتحرك وسخر بعضها بالجريان والحركة كالكواكب السيارة السبعة وهي القمر، عطارد، الزهرة، الشمس، المريخ، المشتري، زحل.

رَيْبِ[٢٤] الشُّبُهَاتِ[٢٥]، فَمَا مِنْهُمْ زَائِغٌ[٢٦] عَنْ سَبِيلِ مَرْضَاتِهِ. وَأَمَدَّهُمْ[٢٧] بِفَوَائِدِ[٢٨] المَعُونَةِ[٢٩]، وَأَشْعَرَ[٣٠] قُلُوبَهُمْ تَوَاضُعَ إِخْبَاتِ[٣١] السَّكِينَةِ[٣٢]، وَفَتَحَ لَهُمْ أَبْوَاباً ذُلُلاً[٣٣] إِلى تَمَاجِيدِهِ[٣٤]، وَنَصَبَ لَهُمْ مَنَاراً[٣٥] وَاضِحَةً عَلَى أَعْلاَمِ[٣٦] تَوْحِيدِهِ، لَمْ تُثْقِلْهُمْ مُوصِرَاتُ[٣٧] الآثَامِ[٣٨]، وَلَمْ تَرْتَحِلْهُمْ[٣٩] عُقَبُ[٤٠] اللَّيَالِي وَالأَيَّام، وَلَمْ تَرْمِ الشُّكُوكُ بِنَوَازِعِها[٤١] عَزِيمَةَ إِيمَانِهِمْ، وَلَمْ تَعْتَرِكْ[٤٢] الظُّنُونُ عَلَى مَعَاقِدِ[٤٣] يَقِينِهِمْ، وَلاَ قَدَحَتْ[٤٤] قَادِحَةُ الإِحَنِ[٤٥] فِيمَا بَيْنَهُمْ، وَلاَ سَلَبَتْهُمُ الحَيْرَةُ مَا لاَقَ[٤٦] مِنْ مَعْرِفَتِهِ بِضَمَائِرِهِمْ، وَمَا سَكَنَ مِنْ عَظَمَتِهِ وَهَيْبَةِ جَلاَلَتِهِ فِي أَثْنَاءِ صُدُورِهِمْ، وَلَمْ تَطْمَعْ فِيهِمُ الوَسَاوِسُ فَتَقْتَرِعَ[٤٧] بِرَيْنِهَا[٤٨] عَلَى فِكْرِهِمْ. وَمِنْهُمْ مَنْ هُوَ فِي خَلْقِ الغَمَامِ[٤٩] الدُّلَّحِ[٥٠]، وَفِي عِظَمِ الجِبَالِ الشُّمَّخِ[٥١]، وَفِي قَتَرَةِ[٥٢] الظَّلاَمِ الأَيْهَمِ[٥٣]، وَمِنْهُمْ مَنْ قَدْ خَرَقَتْ[٥٤] أَقْدَامُهُمْ تُخُومَ[٥٥] الأَرْضِ السُّفْلَى، فَهِيَ كَرَايَاتِ[٥٦] بِيضٍ قَدْ نَفَذَتْ فِي مَخَارِقِ[٥٧] الهَوَاءِ، وَتَحْتَهَا رِيحٌ هَفَّافَةٌ[٥٨] تَحْبِسُهَا عَلَى حَيْثُ انْتَهَتْ مِنَ الحُدُودِ المُتَنَاهِيَةِ، قَدِ اسْتَفْرَغَتْهُمْ[٥٩] أَشْغَالُ عِبَادَتِهِ، وَوَصَلَتْ حَقَائِقُ الإِيمَانِ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَعْرِفَتِهِ، وَقَطَعَهُمُ الإِيقَانُ بِهِ إِلَى الوَلَهِ[٦٠] إِلَيْهِ، وَلَمْ تُجَاوِزْ رَغَبَاتُهُمْ مَا عِنْدَهُ إِلَى مَا عِنْدَ غَيْرِهِ. قَدْ ذَاقُوا حَلاَوَةَ مَعْرِفَتِهِ، وَشَرِبُوا بِالْكَأْسِ الرَّوِيَّةِ[٦١] مِنْ مَحَبَّتِهِ، وَتَمَكَّنَتْ مِنْ سُوَيْدَاءِ[٦٢] قُلُوبِهِمْ وَشِيجَةُ[٦٣] خِيفَتِهِ، فَحَنَوْا[٦٤] بِطُولِ الطَّاعَةِ اعْتِدَالَ ظُهُورِهِمْ، وَلَمْ يُنْفِدْ[٦٥] طُولُ الرَّغْبَةِ إِلَيْهِ مَادَّةَ تَضَرُّعِهِمْ، وَلاَ أَطْلَقَ عَنْهُمْ عَظِيمُ الزُّلْفَةِ[٦٦] رِبَقَ[٦٧] خُشُوعِهِمْ، وَلَمْ يَتَوَلَّهُمُ[٦٨] الإِعْجَابُ فَيَسْتَكْثِرُوا مَا سَلَفَ[٦٩] مِنْهُمْ، وَلاَ تَرَكَتْ لَهُمُ اسْتِكَانَةُ[٧٠] الإِجْلاَلِ نَصِيباً[٧١] فِي تَعْظِيمِ حَسَنَاتِهِمْ، وَلَمْ تَجْرِ الفَتَرَاتُ فِيهِمْ عَلَى طُولِ دُؤُوبِهِمْ[٧٢]، وَلَمْ

رَيْبِ[٢٤] الشُّبُهَاتِ[٢٥]، فَمَا مِنْهُمْ زَائِغٌ[٢٦] عَنْ سَبِيلِ مَرْضَاتِهِ. وَأَمَدَّهُمْ[٢٧] بِفَوَائِدِ[٢٨] المَعُونَةِ[٢٩]، وَأَشْعَرَ[٣٠] قُلُوبَهُمْ تَوَاضُعَ إِخْبَاتِ[٣١] السَّكِينَةِ[٣٢]، وَفَتَحَ لَهُمْ أَبْوَاباً ذُلُلاً[٣٣] إِلى تَمَاجِيدِهِ[٣٤]، وَنَصَبَ لَهُمْ مَنَاراً[٣٥] وَاضِحَةً عَلَى أَعْلاَمِ[٣٦] تَوْحِيدِهِ، لَمْ تُثْقِلْهُمْ مُوصِرَاتُ[٣٧] الآثَامِ[٣٨]، وَلَمْ تَرْتَحِلْهُمْ[٣٩] عُقَبُ[٤٠] اللَّيَالِي وَالأَيَّام، وَلَمْ تَرْمِ الشُّكُوكُ بِنَوَازِعِهَا[٤١] عَزِيمَةَ إِيمَانِهِمْ، وَلَمْ تَعْتَرِكْ[٤٢] الظُّنُونُ عَلَى مَعَاقِدِ[٤٣] يَقِينِهِمْ، وَلاَ قَدَحَتْ[٤٤] قَادِحَةُ الإِحَنِ[٤٥] فِيمَا بَيْنَهُمْ، وَلاَ سَلَبَتْهُمُ الحَيْرَةُ مَا لاَقَ[٤٦] مِنْ مَعْرِفَتِهِ بِضَمَائِرِهِمْ، وَمَا سَكَنَ مِنْ عَظَمَتِهِ وَهَيْبَةِ جَلاَلَتِهِ فِي أَثْنَاءِ صُدُورِهِمْ، وَلَمْ تَطْمَعْ فِيهِمُ الوَسَاوِسُ فَتَقْتَرِعَ[٤٧] بِرَيْنِهَا[٤٨] عَلَى فِكْرِهِمْ. وَمِنْهُمْ مَنْ هُوَ فِي خَلْقِ الغَمَامِ[٤٩] الدُّلَّحِ[٥٠]، وَفِي عِظَمِ الجِبَالِ الشُّمَّخِ[٥١]، وَفِي قَتَرَةِ[٥٢] الظَّلاَمِ الأَيْهَمِ[٥٣]، وَمِنْهُمْ مَنْ قَدْ خَرَقَتْ[٥٤] أَقْدَامُهُمْ تُخُومَ[٥٥] الأَرْضِ السُّفْلَى، فَهِيَ كَرَايَاتِ[٥٦] بِيضٍ قَدْ نَفَذَتْ فِي مَخَارِقِ[٥٧] الهَوَاءِ، وَتَحْتَهَا رِيحٌ هَفَّافَةٌ[٥٨] تَحْبِسُهَا عَلَى حَيْثُ انْتَهَتْ مِنَ الحُدُودِ المُتَنَاهِيَةِ، قَدِ اسْتَفْرَغَتْهُمْ[٥٩] أَشْغَالُ عِبَادَتِهِ، وَوَصَلَتْ حَقَائِقُ الإِيمَانِ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَعْرِفَتِهِ، وَقَطَعَهُمُ الإِيقَانُ بِهِ إِلَى الوَلَهِ[٦٠] إِلَيْهِ، وَلَمْ تُجَاوِزْ رَغَبَاتُهُمْ مَا عِنْدَهُ إِلَى مَا عِنْدَ غَيْرِهِ. قَدْ ذَاقُوا حَلاَوَةَ مَعْرِفَتِهِ، وَشَرِبُوا بِالْكَأْسِ الرَّوِيَّةِ[٦١] مِنْ مَحَبَّتِهِ، وَتَمَكَّنَتْ مِنْ سُوَيْدَاءِ[٦٢] قُلُوبِهِمْ وَشِيجَةُ[٦٣] خِيفَتِهِ، فَحَنَوْا[٦٤] بِطُولِ الطَّاعَةِ اعْتِدَالَ ظُهُورِهِمْ، وَلَمْ يُنْفِدْ[٦٥] طُولُ الرَّغْبَةِ إِلَيْهِ مَادَّةَ تَضَرُّعِهِمْ، وَلاَ أَطْلَقَ عَنْهُمْ عَظِيمُ الزُّلْفَةِ[٦٦] رِبَقَ[٦٧] خُشُوعِهِمْ، وَلَمْ يَتَوَلَّهُمُ[٦٨] الإِعْجَابُ فَيَسْتَكْثِرُوا مَا سَلَفَ[٦٩] مِنْهُمْ، وَلاَ تَرَكَتْ لَهُمُ اسْتِكَانَةُ[٧٠] الإِجْلاَلِ نَصِيباً[٧١] فِي تَعْظِيمِ حَسَنَاتِهِمْ، وَلَمْ تَجْرِ الفَتَرَاتُ فِيهِمْ عَلَى طُولِ دُؤُوبِهِمْ[٧٢]، وَلَمْ

اللغة

١ ـ عمارة : البلاد أو المنزل نشيدها.
٢ ـ الصفيح : كل شيء عريض يقال له: صفيح والصفيح هنا هو السماء.
٣ ـ الملكوت : الملك العظيم.
٤ ـ البديع : الذي لا مثيل له.
٥ ـ الفجاج : بكسر الفاء جمع فج بفتحها الطريق الواسع بين جبلين.
٦ ـ حشا : ملأ.
٧ ـ الفتوق : الشقوق، انفتق انشق.
٨ ـ الأجواء : جمع جو وهو المكان المتسع.
٩ ـ الفجوات : جمع فجوة وهي الفرجة والموضع المتسع بين جبلين.
١٠ ـ الزجل : محركة رفع الصوت.
١١ ـ الحظائر : جمع حظيرة وهي الموضع يحاط عليه لتأوي إليه الإبل والغنم توقياً من البرد والريح.
١٢ ـ القدس : الطهر.
١٣ ـ السترات : جمع سترة وهي ما يستتر به.
١٤ ـ السرادقات : جمع سرادق وهو ما يمد على صحن البيت فيغطيه.
١٥ ـ المجد : الشرف والعظمة.
١٦ ـ الرجيج : الزلزلة والاضطراب.
١٧ ـ استكت : المسامع صُمت ولم تعد تسمع.
١٨ ـ السبحات : بضمتين النور والبهاء والعظمة وسبحات الوجه محاسنه.
١٩ ـ تردع : تمنع وتكف.
٢٠ ـ البلوغ : الوصول.
٢١ ـ خاسئة : مدفوعة، مطرودة عن الترامي إليها.
٢٢ ـ أقدار : جمع قدر، الطاقة والقوة، كون الشيء مساوياً لغيره.
٢٣ ـ لا ينتحلون : لا يدعون وانتحل الشيء إذا ادعاه لنفسه وهو لغيره.
٢٤ ـ الريب : الشك.
٢٥ ـ الشبهات : جمع شبهة الإلتباس ما يلتبس فيه الحق بالباطل.
٢٦ ـ الزائغ : العادل عن الطريق.
٢٧ ـ أمدهم : أعانهم وأغاثهم.
٢٨ ـ الفوائد : جمع الفائدة الزيادة، ما يستفيده الإنسان.

اللغة

١ ـ عمارة : البلاد أو المنزل نشيدها.
٢ ـ الصفيح : كل شيء عريض يقال له: صفيح والصفيح هنا هو السماء.
٣ ـ الملكوت : الملك العظيم.
٤ ـ البديع : الذي لا مثيل له.
٥ ـ الفجاج : بكسر الفاء جمع فج بفتحها الطريق الواسع بين جبلين.
٦ ـ حشا : ملأ.
٧ ـ الفتوق : الشقوق، انفتق انشق.
٨ ـ الأجواء : جمع جو وهو المكان المتسع.
٩ ـ الفجوات : جمع فجوة وهي الفرجة والموضع المتسع بين جبلين.
١٠ ـ الزجل : محركة رفع الصوت.
١١ ـ الحظائر : جمع حظيرة وهي الموضع يحاط عليه لتأوي إليه الإبل والغنم توقياً من البرد والريح.
١٢ ـ القدس : الطهر.
١٣ ـ السترات : جمع سترة وهي ما يستتر به.
١٤ ـ السرادقات : جمع سرادق وهو ما يمد على صحن البيت فيغطيه.
١٥ ـ المجد : الشرف والعظمة.
١٦ ـ الرجيج : الزلزلة والاضطراب.
١٧ ـ استكت : المسامع صُمت ولم تعد تسمع.
١٨ ـ السبحات : بضمتين النور والبهاء والعظمة وسبحات الوجه محاسنه.
١٩ ـ تردع : تمنع وتكف.
٢٠ ـ البلوغ : الوصول.
٢١ ـ خاسئة : مدفوعة، مطرودة عن الترامي إليها.
٢٢ ـ أقدار : جمع قدر، الطاقة والقوة، كون الشيء مساوياً لغيره.
٢٣ ـ لا ينتحلون : لا يدعون وانتحل الشيء إذا ادعاه لنفسه وهو لغيره.
٢٤ ـ الريب : الشك.
٢٥ ـ الشبهات : جمع شبهة الإلتباس ما يلتبس فيه الحق بالباطل.
٢٦ ـ الزائغ : العادل عن الطريق.
٢٧ ـ أمدهم : أعانهم وأغاثهم.
٢٨ ـ الفوائد : جمع الفائدة الزيادة، ما يستفيده الإنسان.

٥٩ ـ استفرغتهم : جعلتهم فارغين من الاشتغال بغيرها.
٦٠ ـ الوله : شدة الشوق.
٦١ ـ الروية : التي تروي وتطفىء الظمأ.
٦٢ ـ سويداء القلب : حبته.
٦٣ ـ الوشيجة : في الأصل عرق الشجر.
٦٤ ـ الإنحناء : الإعوجاج حنيت ضلعي عوّجته.
٦٥ ـ لم ينفد : لم يغن.
٦٦ ـ الزلفة : القربة والمنزلة.
٦٧ ـ الربق : جمع ربقة بالكسر والفتح وهي العروة والحلقة من الحبل.
٦٨ ـ تولاهم : استولى عليهم، وسيطر.
٦٩ ـ ما سلف : ما تقدم ومضى.
٧٠ ـ الإستكانة : الخشوع وأصل الميل للسكون من شدة الخوف.
٧١ ـ النصيب : الحصة من الشيء، الحظ.
٧٢ ـ الدؤوب : الجد والاجتهاد والمداومة على الشيء.
٧٣ ـ غاض : الماء قلّ ونقص.
٧٤ ـ الرغبات : ما تحبه النفس وترغبه.
٧٥ ـ جفّ : يبس ونشف.
٧٦ ـ الأسلات : جمع أسلة طرف اللسان ومستدقه.
٧٧ ـ الهمس : الصوت الخفي.
٧٨ ـ الجؤار : رفع الصوت بالتضرع والدعاء.
٧٩ ـ المقاوم : جمع مقام.
٨٠ ـ المناكب : جمع منكب وهو مجتمع رأس الكتف والعضد.
٨١ ـ ثنا : الشيء رد بعضه على بعض وثنيته صرفته إلى مراده.
٨٢ ـ لا تعدو : لا تسطو ولا تثب.
٨٣ ـ الجد : بكسر الجيم الاجتهاد.
٨٤ ـ البلادة : قلة الذكاء وعدم الفطنة.
٨٥ ـ الغفلات : جمع غفلة عدم الانتباه.
٨٦ ـ الإنتضال : الرمي بالسهم.
٨٧ ـ الهمم : جمع الهمة العزم الشديد.
٨٨ ـ الخدائع : جمع خديعة، ما يخدع به، المكر والحيلة.
٨٩ ـ الذخيرة : ما يجمع ويدخر لوقت الحاجة.
٩٠ ـ الفاقة : الحاجة.

٥٩ ـ استفرغتهم : جعلتهم فارغين من الاشتغال بغيرها .
٦٠ ـ الوله : شدة الشوق .
٦١ ـ الروية : التي تروي وتطفىء الظمأ .
٦٢ ـ سويداء القلب : حبته .
٦٣ ـ الوشيجة : في الأصل عرق الشجر .
٦٤ ـ الإنحناء : الإعوجاج حنيت ضلعي عوّجته .
٦٥ ـ لم ينفد : لم يغن .
٦٦ ـ الزلفة : القربة والمنزلة .
٦٧ ـ الربق : جمع ربقة بالكسر والفتح وهي العروة والحلقة من الحبل .
٦٨ ـ تولاهم : استولى عليهم، وسيطر .
٦٩ ـ ما سلف : ما تقدم ومضى .
٧٠ ـ الإستكانة : الخشوع وأصل الميل للسكون من شدة الخوف .
٧١ ـ النصيب : الحصة من الشيء، الحظ .
٧٢ ـ الدؤوب : الجد والاجتهاد والمداومة على الشيء .
٧٣ ـ غاض : الماء قلّ ونقص .
٧٤ ـ الرغبات : ما تحبه النفس وترغبه .
٧٥ ـ جفّ : يبس ونشف .
٧٦ ـ الأسلات : جمع أسلة طرف اللسان ومستدقه .
٧٧ ـ الهمس : الصوت الخفي .
٧٨ ـ الجؤار : رفع الصوت بالتضرع والدعاء .
٧٩ ـ المقاوم : جمع مقام .
٨٠ ـ المناكب : جمع منكب وهو مجتمع رأس الكتف والعضد .
٨١ ـ ثنا : الشيء رد بعضه على بعض وثنيته صرفته إلى مراده .
٨٢ ـ لا تعدو : لا تسطو ولا تثب .
٨٣ ـ الجد : بكسر الجيم الاجتهاد .
٨٤ ـ البلادة : قلة الذكاء وعدم الفطنة .
٨٥ ـ الغفلات : جمع غفلة عدم الانتباه .
٨٦ ـ الإنتضال : الرمي بالسهم .
٨٧ ـ الهمم : جمع الهمة العزم الشديد .
٨٨ ـ الخدائع : جمع خديعة، ما يخدع به، المكر والحيلة .
٨٩ ـ الذخيرة : ما يجمع ويدخر لوقت الحاجة .
٩٠ ـ الفاقة : الحاجة .

الشرح

(ثم خلق سبحانه لإسكان سماواته وعمارة الصفيح الأعلى من ملكوته خلقاً بديعاً من ملائكته). كلمة ابن أبي الحديد: .

هناك كلمة لابن أبي الحديد في شرحه عند استعراضه لحديث الإمام عن الملائكة في هذا الفصل يقول بلفظه: .

هذا موضع المثل «إذا جاء نهر الله بطل نهر معقل» إذا جاء هذا الكلام الرباني واللفظ القدسي بطلت فصاحة العرب وكانت نسبة الفصيح من كلامها إليه نسبة التراب إلى النضار الخالص، ولو فرضنا أن العرب تقدر على الألفاظ الفصيحة المناسبة أو المقاربة لهذه اللألفاظ من أين لهم المادة التي عبّرت هذه الألفاظ عنها؟ ومن أين تعرف الجاهلية بل الصحابة المعاصرون لرسول الله صلى الله عليه وآله هذه المعاني الغامضة السمائية ليتهيأ لها التعبير عنها! أما الجاهلية فإنهم إنما كانت فصاحتهم في صفة بعير أو فرس أو حمار وحش أو ثور فلاة أو صفة جبال أو فلوات ونحو ذلك، وأما الصحابة فالمذكورون منهم بفصاحة إنما كان منتهى فصاحة أحدهم كلمات لا تتجاوز السطرين أو الثلاثة أما في موعظة تتضمن ذكر الموت أو ذم الدنيا أو ما يتعلق بحرب وقتال من ترغيب أو ترهيب أما الكلام في الملائكة وصفاتها وصورها وعباداتها وتسبيحها ومعرفتها بخالقها وحبها له وولهها إليه وما جرى مجرى ذلك مما تضمنه هذا الفصل على طوله فإنه لم يكن معروفاً عندهم على هذا التفصيل، نعم ربما علموه جملة غير مقسمة هذا التقسيم ولا مرتبة هذا الترتيب بما سمعوه من ذكر الملائكة في القرآن العظيم، وأما من عنده علم من هذه المادة كعبد الله بن سلام وأمية بن أبي الصلت وغيرهم فلم تكن لهم هذه العبارة ولا قدروا على هذه الفصاحة فثبت أن هذه الأمور الدقيقة في مثل هذه العبارة الفصيحة لم تحصل إلا لعلي وحده. وأقسم أن هذا الكلام إذا تأمله اللبيب إقشعر جلده ورجف قلبه واستشعر عظمة الله العظيم في روعه وخلده وهام نحوه وغلب الوجد عليه وكاد أن يخرج من مسكه شوقاً وأن يفارق هيكله صبابة ووجداً.

أقول: هذه شهادة أحد أهل الخبرة ممن تذوق الكلام العلوي ووقف على سر ما تحته من المعاني ولا غرابة في ذلك فعلي في التاريخ واحد يجب أن يكون كلامه واحد متميز. . .

وفي هذا الفصل يتناول الإمام في كلامه الملائكة وصفاتهم وعباداتهم وخشوعهم

الشرح

(ثم خلق سبحانه لإسكان سماواته وعمارة الصفيح الأعلى من ملكوته خلقاً بديعاً من ملائكته). كلمة ابن أبي الحديد: .

هناك كلمة لابن أبي الحديد في شرحه عند استعراضه لحديث الإمام عن الملائكة في هذا الفصل يقول بلفظه: .

هذا موضع المثل «إذا جاء نهر الله بطل نهر معقل» إذا جاء هذا الكلام الرباني واللفظ القدسي بطلت فصاحة العرب وكانت نسبة الفصيح من كلامها إليه نسبة التراب إلى النضار الخالص، ولو فرضنا أن العرب تقدر على الألفاظ الفصيحة المناسبة أو المقاربة لهذه اللألفاظ من أين لهم المادة التي عبّرت هذه الألفاظ عنها؟ ومن أين تعرف الجاهلية بل الصحابة المعاصرون لرسول الله صلى الله عليه وآله هذه المعاني الغامضة السمائية ليتهيأ لها التعبير عنها! أما الجاهلية فإنهم إنما كانت فصاحتهم في صفة بعير أو فرس أو حمار وحش أو ثور فلاة أو صفة جبال أو فلوات ونحو ذلك، وأما الصحابة فالمذكورون منهم بفصاحة إنما كان منتهى فصاحة أحدهم كلمات لا تتجاوز السطرين أو الثلاثة أما في موعظة تتضمن ذكر الموت أو ذم الدنيا أو ما يتعلق بحرب وقتال من ترغيب أو ترهيب أما الكلام في الملائكة وصفاتها وصورها وعباداتها وتسبيحها ومعرفتها بخالقها وحبها له وولهها إليه وما جرى مجرى ذلك مما تضمنه هذا الفصل على طوله فإنه لم يكن معروفاً عندهم على هذا التفصيل، نعم ربما علموه جملة غير مقسمة هذا التقسيم ولا مرتبة هذا الترتيب بما سمعوه من ذكر الملائكة في القرآن العظيم، وأما من عنده علم من هذه المادة كعبد الله بن سلام وأمية بن أبي الصلت وغيرهم فلم تكن لهم هذه العبارة ولا قدروا على هذه الفصاحة فثبت أن هذه الأمور الدقيقة في مثل هذه العبارة الفصيحة لم تحصل إلا لعلي وحده. وأقسم أن هذا الكلام إذا تأمله اللبيب إقشعر جلده ورجف قلبه واستشعر عظمة الله العظيم في روعه وخلده وهام نحوه وغلب الوجد عليه وكاد أن يخرج من مسكه شوقاً وأن يفارق هيكله صبابة ووجداً.

أقول: هذه شهادة أحد أهل الخبرة ممن تذوق الكلام العلوي ووقف على سر ما تحته من المعاني ولا غرابة في ذلك فعلي في التاريخ واحد يجب أن يكون كلامه واحد متميز. . .

وفي هذا الفصل يتناول الإمام في كلامه الملائكة وصفاتهم وعباداتهم وخشوعهم

الرحمن ولداً بل عباد مكرمون لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون..﴾. فقد رد الله على الذين قالوا: إن الملائكة بنات الله بهذه الآية التي ترفع من شأن الملائكة فتجعلهم مشمولين لكرامة الله ولا يتكلمون إلا بما يأمرهم به فكل أقوالهم طاعة وهم بأمره يعملون لا يخالفونه ولا يعصونه.

وبعبارة أخرى: إنهم يتبعون قوله ولا يقولون شيئاً حتى يقوله فلا يسبق قولهم قوله وعملهم فرع عن أمره...

(**جعلهم الله فيما هنالك أهل الأمانة على وحيه وحملهم إلى المرسلين ودائع أمره ونهيه**). نعم جعلهم الله مستحقين لحمل الأمانة التي هي وحيه بحيث لا يجري في حقهم خيانة أو سهو وقد جعلهم الله وسائط ينقلون إلى المرسلين من الأنبياء ما أراد الله إيداعه عندهم من أمر أو نهي، فهم الوسطاء في حمل الوحي إلى الأنبياء وتبليغهم مراد الله سواء كان أمراً أم نهياً وهذه المرتبة كانت لهم لخصوصية فيهم جعلها الله وهي أنهم ينقلون الأمانة بصدق وأمانة كما هي بدون زيادة أو نقصان...

(**وعصمهم من ريب الشبهات فما منهم زائغ عن سبيل مرضاته**). فكل الملائكة معصومون من الشك والشبهة والإنحراف عن سبيل الله وذلك لأن هذه الأمور إنما تحصل من النفس الأمارة بالسوء التي تقود صاحبها إلى ذلك والملائكة ليس فيها إلا العقل ودواعي الخير فهي بطبيعتها لا تقبل الإنحراف عن سبيل الله وطاعته.

(**وأمدهم بفوائد المعونة وأشعر قلوبهم تواضع إخبات السكينة**). وهذه من عنايات الله بالملائكة أنه سبحانه أمدهم بما فيه الإعانة على الطاعة والتزام أمر الله من حيث خلق لهم طبائع لا تقبل غير التقرب منه.

كما أنه جعل قلوبهم ملازمة للخشوع والتواضع التي هي نتيجة الخوف منه أو يكون المراد أنه أعلمهم ذلك...

(**وفتح لهم أبواباً ذللاً إلى تماجيده**). والأبواب السهلة التي فتحها الله للملائكة كي يمجدونه بأنواع التعظيم والثناء هي ما خلق فيهم من دواعي الطاعة بحيث أن أنفسهم مجبولة على مرضات الله ولا تقبل غير ذلك...

(**ونصب لهم مناراً واضحة على أعلام توحيده**). وضع لهم أدلة وبراهين جلية واضحة على أنه الله الواحد الأحد، وذلك بما أودعه فيهم من العقل الكامل الذي يهتدي به الإنسان إلى الله وتوحيده فضلاً عن الملائكة التي لم يعكر صفو أفكارها ميل أو هوى...

الرحمن ولداً بل عباد مكرمون لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون..﴾. فقد رد الله على الذين قالوا: إن الملائكة بنات الله بهذه الآية التي ترفع من شأن الملائكة فتجعلهم مشمولين لكرامة الله ولا يتكلمون إلا بما يأمرهم به فكل أقوالهم طاعة وهم بأمره يعملون لا يخالفونه ولا يعصونه.

وبعبارة أخرى: إنهم يتبعون قوله ولا يقولون شيئاً حتى يقوله فلا يسبق قولهم قوله وعملهم فرع عن أمره...

(**جعلهم الله فيما هنالك أهل الأمانة على وحيه وحملهم إلى المرسلين ودائع أمره ونهيه**). نعم جعلهم الله مستحقين لحمل الأمانة التي هي وحيه بحيث لا يجري في حقهم خيانة أو سهو وقد جعلهم الله وسائط ينقلون إلى المرسلين من الأنبياء ما أراد الله إيداعه عندهم من أمر أو نهي، فهم الوسطاء في حمل الوحي إلى الأنبياء وتبليغهم مراد الله سواء كان أمراً أم نهياً وهذه المرتبة كانت لهم لخصوصية فيهم جعلها الله وهي أنهم ينقلون الأمانة بصدق وأمانة كما هي بدون زيادة أو نقصان...

(**وعصمهم من ريب الشبهات فما منهم زائغ عن سبيل مرضاته**). فكل الملائكة معصومون من الشك والشبهة والإنحراف عن سبيل الله وذلك لأن هذه الأمور إنما تحصل من النفس الأمارة بالسوء التي تقود صاحبها إلى ذلك والملائكة ليس فيها إلا العقل ودواعي الخير فهي بطبيعتها لا تقبل الإنحراف عن سبيل الله وطاعته.

(**وأمدهم بفوائد المعونة وأشعر قلوبهم تواضع إخبات السكينة**). وهذه من عنايات الله بالملائكة أنه سبحانه أمدهم بما فيه الإعانة على الطاعة والتزام أمر الله من حيث خلق لهم طبائع لا تقبل غير التقرب منه.

كما أنه جعل قلوبهم ملازمة للخشوع والتواضع التي هي نتيجة الخوف منه أو يكون المراد أنه أعلمهم ذلك...

(**وفتح لهم أبواباً ذللاً إلى تماجيده**). والأبواب السهلة التي فتحها الله للملائكة كي يمجدونه بأنواع التعظيم والثناء هي ما خلق فيهم من دواعي الطاعة بحيث أن أنفسهم مجبولة على مرضات الله ولا تقبل غير ذلك...

(**ونصب لهم مناراً واضحة على أعلام توحيده**). وضع لهم أدلة وبراهين جلية واضحة على أنه الله الواحد الأحد، وذلك بما أودعه فيهم من العقل الكامل الذي يهتدي به الإنسان إلى الله وتوحيده فضلاً عن الملائكة التي لم يعكر صفو أفكارها ميل أو هوى...

(ومنهم من هو في خلق الغمام الدلح، وفي عظم الجبال الشمخ، وفي قترة الظلام الأيهم). بعد أن ذكر بعض أوصاف الملائكة الذين يسكنون السماء أخذ في ذكر أصناف الملائكة فذكر جملة:.

فمنهم: هذا صنف من الملائكة يمتلك صورة الغيوم المثقلة بالماء والغيوم الممطرة لها شكل معروف كغيوم الشتاء عكس سحابة الصيف الناشفة التي ليس فيها ماء.

ومنهم: من يملك صورة الجبال العظيمة الشامخة التي ترتفع في عنان السماء فيهول منظرها لعلوها وضخامتها.

ومنهم: صنف ثالث أسود شديد الظلام يرعب الناظر إليه.

(ومنهم من قد خرقت أقدامهم تخوم الأرض السفلى فهي كرايات بيض قد نفذت في مخارق الهواء وتحتها ريح هفافة تحبسها على حيث انتهت من الحدود المتناهية). وهذا صنف من الملائكة يصورهم الإمام في هذه الضخامة العجيبة بحيث وهم في السماء تخرق أقدامهم الأرض السفلى فتصبح كالرايات البيضاء لا يصدها إلا ريح ساكنة تقف أمامها وتمنعها من التمدد والإنبساط.

(قد استفرغتهم أشغال عبادته). أخذت عبادة الله منهم كل وقتهم فليس عندهم وقت لغيرها...

(ووصلت حقائق الإيمان بينهم وبين معرفته). فإن الإيمان بوجود الله استدعى منهم الوصول إلى معرفته الكاملة الصحيحة بصفاته وأفعاله...

(وقطعهم الإيقان به إلى الوله إليه). علمهم بوجوده ويقينهم به جعلهم منصرفين إليه عاشقين له متيمين بحبه لا ينظرون إلى غيره بل نظرهم إليه وعشقهم له...

(ولم تجاوز رغباتهم ما عنده إلى ما عند غيره). فرغبة الملائكة انحصرت بما عند الله من الثواب والأجر ولم ينظروا أبداً إلى ما عند غيره من البشر بل ممن هم أقرب منهم إليه من الملائكة.

(قد ذاقوا حلاوة معرفته وشربوا بالكأس الروية من محبته وتمكنت من سويداء قلوبهم وشيجة خيفته). معرفة الله قد وقف عليها الملائكة فلم يجدوا أطيب منها وأحسن. لقد فاقت لذتها جميع اللذاذات الأخرى وهذه المعرفة استدعت منهم أن يعيشوا حبه وهواه فيعشقوا كل ما يرغب فيه ويحبه فأخذوا يعشيون حبه...

كما أن هذه المعرفة التي استدعت الحب له ولما أراد استدعت أيضاً الخوف منه

(ومنهم من هو في خلق الغمام الدلح، وفي عظم الجبال الشمخ، وفي قترة الظلام الأيهم). بعد أن ذكر بعض أوصاف الملائكة الذين يسكنون السماء أخذ في ذكر أصناف الملائكة فذكر جملة: .

فمنهم: هذا صنف من الملائكة يمتلك صورة الغيوم المثقلة بالماء والغيوم الممطرة لها شكل معروف كغيوم الشتاء عكس سحابة الصيف الناشفة التي ليس فيها ماء.

ومنهم: من يملك صورة الجبال العظيمة الشامخة التي ترتفع في عنان السماء فيهول منظرها لعلوها وضخامتها.

ومنهم: صنف ثالث أسود شديد الظلام يرعب الناظر إليه.

(ومنهم من قد خرقت أقدامهم تخوم الأرض السفلى فهي كرايات بيض قد نفذت في مخارق الهواء وتحتها ريح هفافة تحبسها على حيث انتهت من الحدود المتناهية). وهذا صنف من الملائكة يصورهم الإمام في هذه الضخامة العجيبة بحيث وهم في السماء تخرق أقدامهم الأرض السفلى فتصبح كالرايات البيضاء لا يصدها إلا ريح ساكنة تقف أمامها وتمنعها من التمدد والإنبساط.

(قد استفرغتهم أشغال عبادته). أخذت عبادة الله منهم كل وقتهم فليس عندهم وقت لغيرها. . .

(ووصلت حقائق الإيمان بينهم وبين معرفته). فإن الإيمان بوجود الله استدعى منهم الوصول إلى معرفته الكاملة الصحيحة بصفاته وأفعاله. . .

(وقطعهم الإيقان به إلى الوله إليه). علمهم بوجوده ويقينهم به جعلهم منصرفين إليه عاشقين له متيمين بحبه لا ينظرون إلى غيره بل نظرهم إليه وعشقهم له. . .

(ولم تجاوز رغباتهم ما عنده إلى ما عند غيره). فرغبة الملائكة انحصرت بما عند الله من الثواب والأجر ولم ينظروا أبداً إلى ما عند غيره من البشر بل ممن هم أقرب منهم إليه من الملائكة.

(قد ذاقوا حلاوة معرفته وشربوا بالكأس الروية من محبته وتمكنت من سويداء قلوبهم وشيجة خيفته). معرفة الله قد وقف عليها الملائكة فلم يجدوا أطيب منها وأحسن. لقد فاقت لذتها جميع اللذاذات الأخرى وهذه المعرفة استدعت منهم أن يعيشوا حبه وهواه فيعشقوا كل ما يرغب فيه ويحبه فأخذوا يعشيون حبه. . .

كما أن هذه المعرفة التي استدعت الحب له ولما أراد استدعت أيضاً الخوف منه

ثواب الله وعطائه لا تنقص أو تقل فلذا لا يعدلون عن رجاء ثوابه وأجره إلى اليأس والقنوط. . .

(ولم تجف لطول المناجاة أسلات ألسنتهم). من تحدّث طويلاً أو اشتغل في مناجاة كثيراً يجف حلقه ولسانه ويتوقف عن الحديث لتعبه وكلله وعدم إمكان استمراريته في الحديث هذا ما يحدث بيننا أما الملائكة فإنهم لا يجري عليهم ذلك ولا يتعرضون لمثله بل لا يكلّون ولا يملّون ولا يتعبون. . .

(ولا ملكتهم الأشغال فتنقطع بهمس الجؤار إليه أصواتهم). ليس لهم أشغال غير العبادة تشغلهم عن ارتفاع أصواتهم العالية المرتفعة بالدعاء والذكر، فأصواتهم المرتفعة بالدعاء لا يخففها شغل يشغلهم عنه.

(ولم تختلف في مقاوم الطاعة مناكبهم). هم في طاعة الله في صفوف منتظمة لا يتقدم بعضهم على بعض ولا يعلو بعضهم على بعض.

(ولم يثنوا إلى راحة التقصير في أمره رقابهم). لم تتعبهم العبادات والطاعات حتى يستريحوا بتركها أو الإقلال منها فيقصروا في أمر الله، ومن تعب من أمر لوى رقبته تعباً وقصر في المطلوب منه لعروض التعب عليه والملائكة لا يجري في حقهم ذلك ولا ينالهم شيء منه. . .

(ولا تعدوا على عزيمة جدهم بلادة الغفلات). قوتهم في طاعة الله واجتهادهم في طلب رضاه لا يأتي عليها غفلة من غفلات البشر فتنسيهم شيئاً منها أو يعترضهم كسل عن القيام بها بل هم دائما في اجتهاد وقوة ونشاط. . .

(ولا تنتضل في هممهم خدائع الشهوات). لا شهوات لهم تتجاذبهم وتقتل هممهم العالية في الطاعة والعبادة وبلوغ رضا الله وهذا نفي لما عليه البشر حيث إن هذا الإنسان إذا توجه إلى الطاعة وانصرفت همته إلى ذلك ورغبته إليه تجاذبته الشهوات والغرائز فتارة شهوة المال وأخرى شهوة الشهرة وثالثة شهوة الراحة ورابعة شهوة البطن والفرج وهكذا كل شهوة ترمي بسهمها فتصرف هذا الإنسان عما كان عازماً عليه من الطاعة والعبادة والهمة العالية التي يرتفع بها إلى مقام الطاعة لله والإخلاص له. . .

(قد اتخذوا ذا العرش ذخيرة ليوم فاقتهم ويمموه عند انقطاع الخلق إلى المخلوقين برغبتهم). عدتهم التي يرجعون إليها يوم حاجتهم وفقرهم هو الله في ذلك اليوم الذي يبحث فيه عن كريم حليم يسد العوز ويرفع المسكنة فهم ليس لهم إلا الله ذخراً ومرجعاً. . .

ثواب الله وعطائه لا تنقص أو تقل فلذا لا يعدلون عن رجاء ثوابه وأجره إلى اليأس والقنوط. . .

(**ولم تجف لطول المناجاة ألسنتهم**). من تحدّث طويلاً أو اشتغل في مناجاة كثيراً يجف حلقه ولسانه ويتوقف عن الحديث لتعبه وكلله وعدم إمكان استمراريته في الحديث هذا ما يحدث بيننا أما الملائكة فإنهم لا يجري عليهم ذلك ولا يتعرضون لمثله بل لا يكلّون ولا يملّون ولا يتعبون. . .

(**ولا ملكتهم الأشغال فتنقطع بهمس الجؤار إليه أصواتهم**). ليس لهم أشغال غير العبادة تشغلهم عن ارتفاع أصواتهم العالية المرتفعة بالدعاء والذكر، فأصواتهم المرتفعة بالدعاء لا يخففها شغل يشغلهم عنه.

(**ولم تختلف في مقاوم الطاعة مناكبهم**). هم في طاعة الله في صفوف منتظمة لا يتقدم بعضهم على بعض ولا يعلو بعضهم على بعض.

(**ولم يثنوا إلى راحة التقصير في أمره رقابهم**). لم تتعبهم العبادات والطاعات حتى يستريحوا بتركها أو الإقلال منها فيقصروا في أمر الله، ومن تعب من أمر لوى رقبته تعباً وقصر في المطلوب منه لعروض التعب عليه والملائكة لا يجري في حقهم ذلك ولا ينالهم شيء منه. . .

(**ولا تعدوا على عزيمة جدهم بلادة الغفلات**). فوتهم في طاعة الله واجتهادهم في طلب رضاه لا يأتي عليها غفلة من غفلات البشر فتنسيهم شيئاً منها أو يعترضهم كسل عن القيام بها بل هم دائما في اجتهاد وقوة ونشاط. . .

(**ولا تنتضل في هممهم خدائع الشهوات**). لا شهوات لهم تتجاذبهم وتقتل هممهم العالية في الطاعة والعبادة وبلوغ رضا الله وهذا نفي لما عليه البشر حيث إن هذا الإنسان إذا توجه إلى الطاعة وانصرفت همته إلى ذلك ورغبته إليه تجاذبته الشهوات والغرائز فتارة شهوة المال وأخرى شهوة الشهرة وثالثة شهوة الراحة ورابعة شهوة البطن والفرج وهكذا كل شهوة ترمي بسهمها فتصرف هذا الإنسان عما كان عازماً عليه من الطاعة والعبادة والهمة العالية التي يرتفع بها إلى مقام الطاعة لله والإخلاص له. . .

(**قد اتخذوا ذا العرش ذخيرة ليوم فاقتهم ويمموه عند انقطاع الخلق إلى المخلوقين برغبتهم**). عدتهم التي يرجعون إليها يوم حاجتهم وفقرهم هو الله في ذلك اليوم الذي يبحث فيه عن كريم حليم يسد العوز ويرفع المسكنة فهم ليس لهم إلا الله ذخراً ومرجعاً. . .

ثواب الله وعطائه لا تنقص أو تقل فلذا لا يعدلون عن رجاء ثوابه وأجره إلى اليأس والقنوط. . .

(ولم تجف لطول المناجاة ألسلات ألسنتهم). من تحدّث طويلاً أو اشتغل في مناجاة كثيراً يجف حلقه ولسانه ويتوقف عن الحديث لتعبه وكلله وعدم إمكان استمراريته في الحديث هذا ما يحدث بيننا أما الملائكة فإنهم لا يجري عليهم ذلك ولا يتعرضون لمثله بل لا يكلّون ولا يملّون ولا يتعبون. . .

(ولا ملكتهم الأشغال فتنقطع بهمس الجؤار إليه أصواتهم). ليس لهم أشغال غير العبادة تشغلهم عن ارتفاع أصواتهم العالية المرتفعة بالدعاء والذكر، فأصواتهم المرتفعة بالدعاء لا يخففها شغل يشغلهم عنه.

(ولم تختلف في مقاوم الطاعة مناكبهم). هم في طاعة الله في صفوف منتظمة لا يتقدم بعضهم على بعض ولا يعلو بعضهم على بعض.

(ولم يثنوا إلى راحة التقصير في أمره رقابهم). لم تتعبهم العبادات والطاعات حتى يستريحوا بتركها أو الإقلال منها فيقصروا في أمر الله، ومن تعب من أمر لوى رقبته تعباً وقصر في المطلوب منه لعروض التعب عليه والملائكة لا يجري في حقهم ذلك ولا ينالهم شيء منه. . .

(ولا تعدوا على عزيمة جدهم بلادة الغفلات). قوتهم في طاعة الله واجتهادهم في طلب رضاه لا يأتي عليها غفلة من غفلات البشر فتنسيهم شيئاً منها أو يعترضهم كسل عن القيام بها بل هم دائما في اجتهاد وقوة ونشاط. . .

(ولا تنتضل في هممهم خدائع الشهوات). لا شهوات لهم تتجاذبهم وتقتل هممهم العالية في الطاعة والعبادة وبلوغ رضا الله وهذا نفي لما عليه البشر حيث إن هذا الإنسان إذا توجه إلى الطاعة وانصرفت همته إلى ذلك ورغبته إليه تجاذبته الشهوات والغرائز فتارة شهوة المال وأخرى شهوة الشهرة وثالثة شهوة الراحة ورابعة شهوة البطن والفرج وهكذا كل شهوة ترمي بسهمها فتصرف هذا الإنسان عما كان عازماً عليه من الطاعة والعبادة والهمة العالية التي يرتفع بها إلى مقام الطاعة لله والإخلاص له. . .

(قد اتخذوا ذا العرش ذخيرة ليوم فاقتهم ويمموه عند انقطاع الخلق إلى المخلوقين برغبتهم). عدتهم التي يرجعون إليها يوم حاجتهم وفقرهم هو الله في ذلك اليوم الذي يبحث فيه عن كريم حليم يسد العوز ويرفع المسكنة فهم ليس لهم إلا الله ذخراً ومرجعاً. . .

ثواب الله وعطائه لا تنقص أو تقل فلذا لا يعدلون عن رجاء ثوابه وأجره إلى اليأس والقنوط . . .

(ولم تجف لطول المناجاة أسلات ألسنتهم). من تحدّث طويلاً أو اشتغل في مناجاة كثيراً يجف حلقه ولسانه ويتوقف عن الحديث لتعبه وكلله وعدم إمكان استمراريته في الحديث هذا ما يحدث بيننا أما الملائكة فإنهم لا يجري عليهم ذلك ولا يتعرضون لمثله بل لا يكلّون ولا يملّون ولا يتعبون . . .

(ولا ملكتهم الأشغال فتنقطع بهمس الجؤار إليه أصواتهم). ليس لهم أشغال غير العبادة تشغلهم عن ارتفاع أصواتهم العالية المرتفعة بالدعاء والذكر، فأصواتهم المرتفعة بالدعاء لا يخففها شغل يشغلهم عنه .

(ولم تختلف في مقاوم الطاعة مناكبهم). هم في طاعة الله في صفوف منتظمة لا يتقدم بعضهم على بعض ولا يعلو بعضهم على بعض .

(ولم يثنوا إلى راحة التقصير في أمره رقابهم). لم تتعبهم العبادات والطاعات حتى يستريحوا بتركها أو الإقلال منها فيقصروا في أمر الله، ومن تعب من أمر لوى رقبته تعباً وقصر في المطلوب منه لعروض التعب عليه والملائكة لا يجري في حقهم ذلك ولا ينالهم شيء منه . . .

(ولا تعدوا على عزيمة جدهم بلادة الغفلات). قوتهم في طاعة الله واجتهادهم في طلب رضاه لا يأتي عليها غفلة من غفلات البشر فتنسيهم شيئاً منها أو يعترضهم كسل عن القيام بها بل هم دائما في اجتهاد وقوة ونشاط . . .

(ولا تنتضل في هممهم خدائع الشهوات). لا شهوات لهم تتجاذبهم وتقتل هممهم العالية في الطاعة والعبادة وبلوغ رضا الله وهذا نفي لما عليه البشر حيث إن هذا الإنسان إذا توجه إلى الطاعة وانصرفت همته إلى ذلك ورغبته إليه تجاذبته الشهوات والغرائز فتارة شهوة المال وأخرى شهوة الشهرة وثالثة شهوة الراحة ورابعة شهوة البطن والفرج وهكذا كل شهوة ترمي بسهمها فتصرف هذا الإنسان عما كان عازماً عليه من الطاعة والعبادة والهمة العالية التي يرتفع بها إلى مقام الطاعة لله والإخلاص له . . .

(قد اتخذوا ذا العرش ذخيرة ليوم فاقتهم ويمموه عند انقطاع الخلق إلى المخلوقين برغبتهم). عدتهم التي يرجعون إليها يوم حاجتهم وفقرهم هو الله في ذلك اليوم الذي يبحث فيه عن كريم حليم يسد العوز ويرفع المسكنة فهم ليس لهم إلا الله ذخراً ومرجعاً . . .

بدوره أن يسقط من نفوسهم الخوف من الله والفزع من عقابه وهذا بخلاف ما يجب أن يكون عليه العامل لله من الخوف والإشفاق. . .

وقد شبهوا ذلك بالإنسان الذي إذا عمل لبعض الملوك عملاً يستعظمه فإنه يرى في نفسه استحقاق أجزل جزاء له ويجد التطاول به فيهون ذلك ما يجده من خوفه وكلما ازداد استعظامه لخدمته ازداد اعتقاده في قربه من الملك قوة وبمقدار ذلك ينقص خوفه وتقل هيبته في نظره فنفى عليه السلام أن يكون الملائكة كذلك بل هم دائماً خائفون من الله ووجلون من عذابه. . .

(**ولم يختلفوا في ربهم باستحواذ الشيطان عليهم**). لم يغلبهم الشيطان بوسوسته لهم فيختلفوا في الله أو في صفاته كما هي حال البشر حيث استولى عليهم الشيطان فبعضهم أنكر وجوده وبعضهم أشرك معه غيره وبعضهم نفى عنه بعض صفاته وهكذا. . .

(**ولم يفرقهم سوء التقاطع**). التقاطع الذي يعني أن كل واحد يقطع الآخر ولا يوصله ولا يتعارف معه المؤدي إلى الفرقة وأن يعيش كل واحد منفرداً عن الآخر وبعيداً عنه لم يجتمعوا نحو غاية ولم يمشوا نحو هدف هذا الأمر لم يحشه الملائكة ولم يعرفوه لأن هدفهم الله وهم في طاعته وحدة متكاملة. . .

(**ولا تولاهم غل التحاسد**). لم يستولِ عليهم حقد المتحاسدين الذين ينظرون إلى بعضهم بمنظار العداوة والحقد ويتمنى كل واحد منهم أن تزول النعمة عن غيره حقداً وحنقاً عليه. . .

(**ولا تشعبتهم مصارف الريب**). لم تفرقهم أو تقسمهم الشكوك ببعضهم، فلم يجر في حق أحدهم شك في شبيهه أو نظيره لأنه لا مصالح أو منافع تحكمهم وتجعلهم أسراء الظنون والشكوك. . .

(**ولا اقتسمتهم أخياف الهمم**). لم تجعلهم الهمم المختلفة عندهم أصنافاً منقسمة وأجزاء موزعة بل هم جبهة واحدة موحدة متوجهة نحو الله تعالى.

(**فهم أسراء إيمان لم يفكهم من ربقته زيغ ولا عدول ولا ونى ولا فتور**). إنهم يعيشون في ظل الإيمان بالله قد استحكمت العقيدة من نفوسهم بحيث لا يمكن أن يطرأ عليهم شيء من العوارض التي تمر على البشر فيخرجهم عن إيمانهم، فلا يحرفهم جور ولا عدول عن الحق ولا ضعف ولا ملل كما هي حالة البشر وطبيعتهم حيث تخرجهم هذه عن حظيرة الإيمان إلى التمرد والعصيان. . .

بدوره أن يسقط من نفوسهم الخوف من الله والفزع من عقابه وهذا بخلاف ما يجب أن يكون عليه العامل لله من الخوف والإشفاق. . .

وقد شبهوا ذلك بالإنسان الذي إذا عمل لبعض الملوك عملاً يستعظمه فإنه يرى في نفسه استحقاق أجزل جزاء له ويجد التطاول به فيهون ذلك ما يجده من خوفه وكلما ازداد استعظامه لخدمته ازداد اعتقاده في قربه من الملك قوة وبمقدار ذلك ينقص خوفه وتقل هيبته في نظره فنفى عليه السلام أن يكون الملائكة كذلك بل هم دائماً خائفون من الله ووجلون من عذابه. . .

(**ولم يختلفوا في ربهم باستحواذ الشيطان عليهم**). لم يغلبهم الشيطان بوسوسته لهم فيختلفوا في الله أو في صفاته كما هي حال البشر حيث استولى عليهم الشيطان فبعضهم أنكر وجوده وبعضهم أشرك معه غيره وبعضهم نفى عنه بعض صفاته وهكذا. . .

(**ولم يفرقهم سوء التقاطع**). التقاطع الذي يعني أن كل واحد يقطع الآخر ولا يوصله ولا يتعارف معه المؤدي إلى الفرقة وأن يعيش كل واحد منفرداً عن الآخر وبعيداً عنه لم يجتمعوا نحو غاية ولم يمشوا نحو هدف هذا الأمر لم يعشه الملائكة ولم يعرفوه لأن هدفهم الله وهم في طاعته وحدة متكاملة. . .

(**ولا تولاهم غل التحاسد**). لم يستولِ عليهم حقد المتحاسدين الذين ينظرون إلى بعضهم بمنظار العداوة والحقد ويتمنى كل واحد منهم أن تزول النعمة عن غيره حقداً وحنقاً عليه. . .

(**ولا تشعبتهم مصارف الريب**). لم تفرقهم أو تقسمهم الشكوك ببعضهم، فلم يجر في حق أحدهم شك في شبيهه أو نظيره لأنه لا مصالح أو منافع تحكمهم وتجعلهم أسراء الظنون والشكوك. . .

(**ولا اقتسمتهم أخياف الهمم**). لم تجعلهم الهمم المختلفة عندهم أصنافاً منقسمة وأجزاء موزعة بل هم جبهة واحدة موحدة متوجهة نحو الله تعالى.

(**فهم أسراء إيمان لم يفكهم من ربقته زيغ ولا عدول ولا ونى ولا فتور**). إنهم يعيشون في ظل الإيمان بالله قد استحكمت العقيدة من نفوسهم بحيث لا يمكن أن يطرأ عليهم شيء من العوارض التي تمر على البشر فيخرجهم عن إيمانهم، فلا يحرفهم جور ولا عدول عن الحق ولا ضعف ولا ملل كما هي حالة البشر وطبيعتهم حيث تخرجهم هذه عن حظيرة الإيمان إلى التمرد والعصيان. . .

بِيدِهَا[٥٠] وَأَخَادِيدِهَا[٥١]، وَعَدَّلَ حَرَكَاتِهَا بِالرَّاسِيَاتِ[٥٢] مِنْ جَلَامِيدِهَا[٥٣]، وَذَوَاتِ الشَّنَاخِيبِ[٥٤] الشُّمِّ[٥٥] مِنْ صَيَاخِيدِهَا[٥٦]، فَسَكَنَتْ مِنَ المَيَدَانِ[٥٧] لِرُسُوبِ الجِبَالِ فِي قِطَعِ أَدِيمِهَا[٥٨]، وَتَغَلْغُلِهَا[٥٩] مُتَسَرِّبَةً[٦٠] فِي جَوْبَاتِ[٦١] خَيَاشِيمِهَا[٦٢]، وَرُكُوبِهَا أَعْنَاقَ سُهُولِ الأَرْضِينَ وَجَرَائِيمِهَا[٦٣]، وَفَسَحَ[٦٤] بَيْنَ الجَوِّ وَبَيْنَهَا، وَأَعَدَّ الهَوَاءَ مُتَنَسَّماً[٦٥] لِسَاكِنِهَا، وَأَخْرَجَ إِلَيْهَا أَهْلَهَا عَلَى تَمَامِ مَرَافِقِهَا[٦٦]، ثُمَّ لَمْ يَدَعْ جُرُزَ[٦٧] الأَرْضِ الَّتِي تَقْصُرُ مِيَاهُ العُيُونِ عَنْ رَوَابِيهَا[٦٨]، وَلاَ تَجِدُ جَدَاوِلُ[٦٩] الأَنْهَارِ ذَرِيعَةً[٧٠] إِلى بُلُوغِهَا، حَتَّى أَنْشَأَ لَهَا نَاشِئَةَ سَحَابٍ[٧١] تُحْيِي مَوَاتَهَا[٧٢]، وَتَسْتَخْرِجُ نَبَاتَهَا. أَلَّفَ غَمَامَهَا بَعْدَ افْتِرَاقِ لُمَعِهِ[٧٣]، وَتَبَايُنِ[٧٤] قَزَعِهِ[٧٥]، حَتَّى إِذَا تَمَخَّضَتْ[٧٦] لُجَّةُ المُزْنِ فِيهِ[٧٧]، وَالتَمَعَ بَرْقُهُ فِي كُفَفِهِ[٧٨]، وَلَمْ يَنَمْ وَمِيضُهُ[٧٩] فِي كَنَهْوَرِ[٨٠] رَبَابِهِ[٨١]، وَمُتَرَاكِمِ[٨٢] سَحَابِهِ، أَرْسَلَهُ سَحّاً[٨٣] مُتَدَارِكاً[٨٤]، قَدْ أَسَفَّ[٨٥] هَيْدَبُهُ[٨٦]، تَمْرِيهِ[٨٧] الجَنُوبُ دِرَرَ[٨٨] أَهَاضِيبِهِ[٨٩] وَدُفَعَ[٩٠] شَآبِيبِهِ[٩١]. فَلَمَّا أَلْقَتِ السَّحَابُ بَرْكَ[٩٢] بِوَانِيهَا[٩٣]، وَبَعَاعَ[٩٤] مَا اسْتَقَلَّتْ[٩٥] بِهِ مِنَ العِبْءِ[٩٦] المَحْمُولِ عَلَيْهَا، أَخْرَجَ بِهِ مِنْ هَوَامِدِ[٩٧] الأَرْضِ النَّبَاتَ، وَمِنْ زُعْرِ[٩٨] الجِبَالِ الأَعْشَابَ، فَهِيَ تَبْهَجُ[٩٩] بِزِينَةِ رِيَاضِهَا[١٠٠]، وَتَزْدَهِي[١٠١] بِمَا أُلْبِسَتْهُ مِنْ رَيْطِ[١٠٢] أَزَاهِيرِهَا[١٠٣]، وَحِلْيَةِ[١٠٤] مَا سُمِطَتْ[١٠٥] بِهِ مِنْ نَاضِرِ[١٠٦] أَنْوَارِهَا[١٠٧]، وَجَعَلَ ذلِكَ بَلَاغاً[١٠٨] لِلأَنَامِ، وَرِزْقاً لِلأَنْعَامِ، وَخَرَقَ[١٠٩] الفِجَاجَ[١١٠] فِي آفَاقِهَا، وَأَقَامَ المَنَارَ[١١١] لِلسَّالِكِينَ عَلَى جَوَادِّ[١١٢] طُرُقِهَا. فَلَمَّا مَهَدَ أَرْضَهُ[١١٣]، وَأَنْفَذَ أَمْرَهُ، اخْتَارَ آدَمَ، عَلَيْهِ السَّلَامُ، خِيرَةً[١١٤] مِنْ خَلْقِهِ، وَجَعَلَهُ أَوَّلَ جِبِلَّتِهِ[١١٥]، وَأَسْكَنَهُ جَنَّتَهُ، وَأَرْغَدَ[١١٦] فِيهَا أُكُلَهُ[١١٧]، وَأَوْعَزَ[١١٨] إِلَيْهِ

بِيدِهَا[٥٠] وَأَخَادِيدِهَا[٥١]، وَعَدَّلَ حَرَكَاتِهَا بِالرَّاسِيَاتِ[٥٢] مِنْ جَلَامِيدِهَا[٥٣]، وَذَوَاتِ الشَّنَاخِيبِ[٥٤] الشُّمِّ[٥٥] مِنْ صَيَاخِيدِهَا[٥٦]، فَسَكَنَتْ مِنَ المَيَدَانِ[٥٧] لِرُسُوبِ الجِبَالِ فِي قِطَعِ أَدِيمِهَا[٥٨]، وَتَغَلْغُلِهَا[٥٩] مُتَسَرِّبَةً[٦٠] فِي جَوْبَاتِ[٦١] خَيَاشِيمِهَا[٦٢]، وَرُكُوبِهَا أَعْنَاقَ سُهُولِ الأَرْضِينَ وَجَرَائِيمِهَا[٦٣]، وَفَسَحَ[٦٤] بَيْنَ الجَوِّ وَبَيْنَهَا، وَأَعَدَّ الهَوَاءَ مُتَنَسَّماً[٦٥] لِسَاكِنِهَا، وَأَخْرَجَ إِلَيْهَا أَهْلَهَا عَلَى تَمَامِ مَرَافِقِهَا[٦٦]، ثُمَّ لَمْ يَدَعْ جُرُزَ[٦٧] الأَرْضِ الَّتِي تَقْصُرُ مِيَاهُ العُيُونِ عَنْ رَوَابِيهَا[٦٨]، وَلاَ تَجِدُ جَدَاوِلُ[٦٩] الأَنْهَارِ ذَرِيعَةً[٧٠] إِلى بُلُوغِهَا، حَتَّى أَنْشَأَ لَهَا نَاشِئَةَ سَحَابٍ[٧١] تُحْيِي مَوَاتَهَا[٧٢]، وَتَسْتَخْرِجُ نَبَاتَهَا. أَلَّفَ غَمَامَهَا بَعْدَ افْتِرَاقِ لُمَعِهِ[٧٣]، وَتَبَايُنِ[٧٤] قَزَعِهِ[٧٥]، حَتَّى إِذَا تَمَخَّضَتْ[٧٦] لُجَّةُ المُزْنِ فِيهِ[٧٧]، وَالتَمَعَ بَرْقُهُ فِي كُفَفِهِ[٧٨]، وَلَمْ يَنَمْ وَمِيضُهُ[٧٩] فِي كَنَهْوَرِ[٨٠] رَبَابِهِ[٨١]، وَمُتَرَاكِمِ[٨٢] سَحَابِهِ، أَرْسَلَهُ سَحّاً[٨٣] مُتَدَارِكاً[٨٤]، قَدْ أَسَفَّ[٨٥] هَيْدَبُهُ[٨٦]، تَمْرِيهِ[٨٧] الجَنُوبُ دِرَرَ[٨٨] أَهَاضِيبِهِ[٨٩] وَدُفَعَ[٩٠] شَآبِيبِهِ[٩١]. فَلَمَّا أَلْقَتِ السَّحَابُ بَرْكَ[٩٢] بِوَانِيهَا[٩٣]، وَبَعَاعَ[٩٤] مَا اسْتَقَلَّتْ[٩٥] بِهِ مِنَ العِبْءِ[٩٦] المَحْمُولِ عَلَيْهَا، أَخْرَجَ بِهِ مِنْ هَوَامِدِ[٩٧] الأَرْضِ النَّبَاتَ، وَمِنْ زُعْرِ[٩٨] الجِبَالِ الأَعْشَابَ، فَهِيَ تَبْهَجُ[٩٩] بِزِينَةِ رِيَاضِهَا[١٠٠]، وَتَزْدَهِي[١٠١] بِمَا أُلْبِسَتْهُ مِنْ رَيْطِ[١٠٢] أَزَاهِيرِهَا[١٠٣]، وَحِلْيَةِ[١٠٤] مَا سُمِطَتْ[١٠٥] بِهِ مِنْ نَاضِرِ[١٠٦] أَنْوَارِهَا[١٠٧]، وَجَعَلَ ذَلِكَ بَلَاغاً[١٠٨] لِلأَنَامِ، وَرِزْقاً لِلأَنْعَامِ، وَخَرَقَ[١٠٩] الفِجَاجَ[١١٠] فِي آفَاقِهَا، وَأَقَامَ المَنَارَ[١١١] لِلسَّالِكِينَ عَلَى جَوَادِّ[١١٢] طُرُقِهَا. فَلَمَّا مَهَدَ أَرْضَهُ[١١٣]، وَأَنْفَذَ أَمْرَهُ، اخْتَارَ آدَمَ، عَلَيْهِ السَّلَامُ، خِيرَةً[١١٤] مِنْ خَلْقِهِ، وَجَعَلَهُ أَوَّلَ جِبِلَّتِهِ[١١٥]، وَأَسْكَنَهُ جَنَّتَهُ، وَأَرْغَدَ[١١٦] فِيهَا أُكُلَهُ[١١٧]، وَأَوْعَزَ[١١٨] إِلَيْهِ

وَأَلْحِيَتِهَا[١٧٥]، وَمَغْرِزِ الأَوْرَاقِ[١٧٦] مِنَ الأَفْنَانِ[١٧٧]، وَمَحَطِّ الأَمْشَاجِ[١٧٨] مِنْ مَسَارِبِ الأَصْلاَبِ[١٧٩]، وَنَاشِئَةِ الغُيُومِ[١٨٠] وَمُتَلاَحِمِهَا[١٨١]، وَدُرُورِ[١٨٢] قَطْرِ السَّحَابِ فِي مُتَرَاكِمِهَا[١٨٣]، وَمَا تَسْفِي[١٨٤] الأَعَاصِيرُ[١٨٥] بِذُيُولِهَا، وَتَعْفُو[١٨٦] الأَمْطَارُ بِسُيُولِهَا، وَعَوْمَ[١٨٧] بَنَاتِ الأَرْضِ فِي كُثْبَانِ[١٨٨] الرِّمَالِ، وَمُسْتَقَرِّ ذَوَاتِ الأَجْنِحَةِ بِذُرَا[١٩٠] شَنَاخِيبِ[١٩١] الجِبَالِ، وَتَغْرِيدَ[١٩٢] ذَوَاتِ المَنْطِقِ فِي دَيَاجِيرِ[١٩٣] الأَوْكَارِ[١٩٤]، وَمَا أَوْعَبَتْهُ[١٩٥] الأَصْدَافُ[١٩٦]، وَحَضَنَتْ[١٩٧] عَلَيْهِ أَمْوَاجُ البِحَارِ، وَمَا غَشِيَتْهُ سُدْفَةُ لَيْلٍ[١٩٨]، أَوْ ذَرَّ[١٩٩] عَلَيْهِ شَارِقٌ[٢٠٠] نَهَارٍ، وَمَا اعْتَقَبَتْ[٢٠١] عَلَيْهِ أَطْبَاقُ[٢٠٢] الدَّيَاجِيرِ، وَسُبُحَاتُ النُّورِ[٢٠٣]؛ وَأَثَرِ كُلِّ خَطْوَةٍ[٢٠٤]، وَحِسِّ كُلِّ حَرَكَةٍ، وَرَجْعِ[٢٠٥] كُلِّ كَلِمَةٍ، وَتَحْرِيكِ كُلِّ شَفَةٍ، وَمَسْتَقَرِّ كُلِّ نَسَمَةٍ[٢٠٦]، وَمِثْقَالِ[٢٠٧] كُلِّ ذَرَّةٍ، وَهَمَاهِمِ[٢٠٨] كُلِّ نَفْسٍ هَامَّةٍ[٢٠٩]، وَمَا عَلَيْهَا مِنْ ثَمَرِ شَجَرَةٍ، أَوْ سَاقِطِ وَرَقَةٍ؛ أَوْ قَرَارَةِ[٢١٠] نُطْفَةٍ[٢١١]، أَوْ نُقَاعَةِ[٢١٢] دَمٍ وَمُضْغَةٍ[٢١٣]، أَوْ نَاشِئَةِ خَلْقٍ وَسُلاَلَةٍ[٢١٤]؛ لَمْ يَلْحَقْهُ فِي ذلِكَ كُلْفَةٌ[٢١٥]، وَلاَ اعْتَرَضَتْهُ فِي حِفْظِ مَا ابْتَدَعَ مِنْ خَلْقِهِ عَارِضَةٌ[٢١٦]، وَلاَ اعْتَوَرَتْهُ[٢١٧] فِي تَنْفِيذِ الأُمُورِ وَتَدَابِيرِ المَخْلُوقِينَ مَلاَلَةٌ وَلاَ فَتْرَةٌ[٢١٨]، بَلْ نَفَذَهُمْ عِلْمُهُ، وَأَحْصَاهُمْ عَدَدُهُ، وَوَسِعَهُمْ عَدْلُهُ، وَغَمَرَهُمْ فَضْلُهُ، مَعَ تَقْصِيرِهِمْ عَنْ كُنْهِ مَا هُوَ أَهْلُهُ.

اللغة

١ ـ كبس : الأرض أي أدخلها في الماء.

٢ ـ المور : مصدر مار أي ذهب وجاء.

وَأَلْحِيَتِهَا[١٧٥]، وَمَغْرِزِ الأَوْرَاقِ[١٧٦] مِنَ الأَفْنَانِ[١٧٧]، وَمَحَطِّ الأَمْشَاجِ[١٧٨] مِنْ مَسَارِبِ الأَصْلاَبِ[١٧٩]، وَنَاشِئَةِ الغُيُومِ[١٨٠] وَمُتَلاَحِمِهَا[١٨١]، وَدُرُورِ[١٨٢] قَطْرِ السَّحَابِ فِي مُتَرَاكِمِهَا[١٨٣]، وَمَا تَسْفِي[١٨٤] الأَعَاصِيرُ[١٨٥] بِذُيُولِهَا، وَتَعْفُو[١٨٦] الأَمْطَارُ بِسُيُولِهَا، وَعَوْمَ[١٨٧] بَنَاتِ الأَرْضِ فِي كُثْبَانِ[١٨٨] الرِّمَالِ، وَمُسْتَقَرِّ ذَوَاتِ الأَجْنِحَةِ بِذُرَا[١٩٠] شَنَاخِيبِ[١٩١] الجِبَالِ، وَتَغْرِيدَ[١٩٢] ذَوَاتِ المَنْطِقِ فِي دَيَاجِيرِ[١٩٣] الأَوْكَارِ[١٩٤]، وَمَا أَوْعَبَتْهُ[١٩٥] الأَصْدَافُ[١٩٦]، وَحَضَنَتْ[١٩٧] عَلَيْهِ أَمْوَاجُ البِحَارِ، وَمَا غَشِيَتْهُ سُدْفَةُ لَيْلٍ[١٩٨]، أَوْ ذَرَّ[١٩٩] عَلَيْهِ شَارِقٌ[٢٠٠] نَهَارٍ، وَمَا اعْتَقَبَتْ[٢٠١] عَلَيْهِ أَطْبَاقُ[٢٠٢] الدَّيَاجِيرِ، وَسُبُحَاتُ النُّورِ[٢٠٣]؛ وَأَثَرِ كُلِّ خَطْوَةٍ[٢٠٤]، وَحِسِّ كُلِّ حَرَكَةٍ، وَرَجْعِ[٢٠٥] كُلِّ كَلِمَةٍ، وَتَحْرِيكِ كُلِّ شَفَةٍ، وَمَسْتَقَرِّ كُلِّ نَسَمَةٍ[٢٠٦]، وَمِثْقَالِ[٢٠٧] كُلِّ ذَرَّةٍ، وَهَمَاهِمِ[٢٠٨] كُلِّ نَفْسٍ هَامَّةٍ[٢٠٩]، وَمَا عَلَيْهَا مِنْ ثَمَرِ شَجَرَةٍ، أَوْ سَاقِطِ وَرَقَةٍ؛ أَوْ قَرَارَةِ[٢١٠] نُطْفَةٍ[٢١١]، أَوْ نُقَاعَةِ[٢١٢] دَمٍ وَمُضْغَةٍ[٢١٣]، أَوْ نَاشِئَةِ خَلْقٍ وَسُلاَلَةٍ[٢١٤]؛ لَمْ يَلْحَقْهُ فِي ذلِكَ كُلْفَةٌ[٢١٥]، وَلاَ اعْتَرَضَتْهُ فِي حِفْظِ مَا ابْتَدَعَ مِنْ خَلْقِهِ عَارِضَةٌ[٢١٦]، وَلاَ اعْتَوَرَتْهُ[٢١٧] فِي تَنْفِيذِ الأُمُورِ وَتَدَابِيرِ المَخْلُوقِينَ مَلاَلَةٌ وَلاَ فَتْرَةٌ[٢١٨]، بَلْ نَفَذَهُمْ عِلْمُهُ، وَأَحْصَاهُمْ عَدَدُهُ، وَوَسِعَهُمْ عَدْلُهُ، وَغَمَرَهُمْ فَضْلُهُ، مَعَ تَقْصِيرِهِمْ عَنْ كُنْهِ مَا هُوَ أَهْلُهُ.

اللغة

١ ـ كبس : الأرض أي أدخلها في الماء.

٢ ـ المور : مصدر مار أي ذهب وجاء.

٣٢ ـ النخوة : الفخر، المرؤة، والحماسة.
٣٣ ـ البأو : الكبر والفخر.
٣٤ ـ الإعتلاء : التيه والتكبر.
٣٥ ـ الشموخ : العلو وشمخ بأنفه أي تكبّر.
٣٦ ـ الغلواء : بضم الغين وفتح اللام النشاط وتجاوز الحد.
٣٧ ـ كعمت : البعير شددت فاه بالكعام شيء يجعل في فيه إذا هاج لئلا يعضّ أو يأكل.
٣٨ ـ الكظة : بالكسر الجهد والثقل الذي يعتري الإنسان عند الامتلاء من الطعام.
٣٩ ـ همد : سكن وخمد.
٤٠ ـ النزق : الخفة والطيش.
٤١ ـ لبد : الشيء بالأرض إذا لصق بها ساكناً.
٤٢ ـ الزيفان : التبختر.
٤٣ ـ الوثبة : الطفرة.
٤٤ ـ الأكناف : الجوانب والنواحي.
٤٥ ـ شواهق الجبال : عواليها.
٤٦ ـ البذخ : جمع الباذخ وهو العالي.
٤٧ ـ الينابيع : جمع ينبوع وهو ما انفجر من الأرض عن الماء.
٤٨ ـ عرانين : جمع عرنين بالكسر أعلى الأنف عند ملتقى الحاجبين.
٤٩ ـ السهوب : جمع سهب وهو الفلاة.
٥٠ ـ البيد : جمع بيداء وهي أيضاً الفلاة.
٥١ ـ الأخاديد : جمع أخدود، وهو الشق في الأرض.
٥٢ ـ الراسيات : الثقال.
٥٣ ـ الجلاميد : جمع جلمود وهو الحجر الصلد.
٥٤ ـ الشناخيب : رؤوس الجبال.
٥٥ ـ الشم : العالية، المرتفعة.
٥٦ ـ الصياخيد : جمع صيخود: الصخرة الصلبة.
٥٧ ـ الميدان : بالتحريك الإضطراب.
٥٨ ـ أديم الأرض : سطحها.
٥٩ ـ التغلغل : المبالغة في الدخول.
٦٠ ـ متسربة : داخلة.
٦١ ـ الجوبات : جمع جوبة الفرجة في جبل أو غيره.
٦٢ ـ الخياشيم : جمع خيشوم وهو أقصى الأنف.

٣٢ ـ النخوة : الفخر، المرؤة، والحماسة.
٣٣ ـ البأو : الكبر والفخر.
٣٤ ـ الإعتلاء : التيه والتكبر.
٣٥ ـ الشموخ : العلو وشمخ بأنفه أي تكبّر.
٣٦ ـ الغلواء : بضم الغين وفتح اللام النشاط وتجاوز الحد.
٣٧ ـ كعمت : البعير شددت فاه بالكعام شيء يجعل في فيه إذا هاج لئلا يعضّ أو يأكل.
٣٨ ـ الكظة : بالكسر الجهد والثقل الذي يعتري الإنسان عند الامتلاء من الطعام.
٣٩ ـ همد : سكن وخمد.
٤٠ ـ النزق : الخفة والطيش.
٤١ ـ لبد : الشيء بالأرض إذا لصق بها ساكناً.
٤٢ ـ الزيفان : التبختر.
٤٣ ـ الوثبة : الطفرة.
٤٤ ـ الأكناف : الجوانب والنواحي.
٤٥ ـ شواهق الجبال : عواليها.
٤٦ ـ البذخ : جمع الباذخ وهو العالي.
٤٧ ـ الينابيع : جمع ينبوع وهو ما انفجر من الأرض عن الماء.
٤٨ ـ عرانين : جمع عرنين بالكسر أعلى الأنف عند ملتقى الحاجبين.
٤٩ ـ السهوب : جمع سهب وهو الفلاة.
٥٠ ـ البيد : جمع بيداء وهي أيضاً الفلاة.
٥١ ـ الأخاديد : جمع أخدود، وهو الشق في الأرض.
٥٢ ـ الراسيات : الثقال.
٥٣ ـ الجلاميد : جمع جلمود وهو الحجر الصلد.
٥٤ ـ الشناخيب : رؤوس الجبال.
٥٥ ـ الشم : العالية، المرتفعة.
٥٦ ـ الصياخيد : جمع صيخود: الصخرة الصلبة.
٥٧ ـ الميدان : بالتحريك الإضطراب.
٥٨ ـ أديم الأرض : سطحها.
٥٩ ـ التغلغل : المبالغة في الدخول.
٦٠ ـ متسربة : داخلة.
٦١ ـ الجوبات : جمع جوبة الفرجة في جبل أو غيره.
٦٢ ـ الخياشيم : جمع خيشوم وهو أقصى الأنف.

٩٤ ـ بعاع السحاب : ما كان مثقل بالمطر.
٩٥ ـ استقلت : ارتفعت ونهضت.
٩٦ ـ العبء : الثقل.
٩٧ ـ الهوامد : من الأرض ما لا نبات بها.
٩٨ ـ زعر : بالضم جمع أزعر من الجبال قلة العشب.
٩٩ ـ بهج : سر وفرح.
١٠٠ ـ الرياض : جمع روضة الأرض المخضرة بأنواع النبات.
١٠١ ـ تزدهي : تعجب.
١٠٢ ـ ريط : جمع ريطة وهي كل ثوب رقيق ليّن.
١٠٣ ـ أزاهير : جمع أزهار جمع زهرة النبات أو نورها.
١٠٤ ـ الحلية : الزينة.
١٠٥ ـ السمط : الخيط تنظم فيه القلادة.
١٠٦ ـ النضارة : الحسن والطراوة.
١٠٧ ـ الأنوار : جمع نور بفتح النون الزهر.
١٠٨ ـ البلاغ : ما يتبلّغ به من القوت.
١٠٩ ـ خرق : من الخرق وهو الثقب والفرجة.
١١٠ ـ الفجاج : جمع فج الطريق الواسع بين جبلين.
١١١ ـ المنار : الأعلام.
١١٢ ـ الجواد : جمع جادة وسط الطريق.
١١٣ ـ مهد الأرض : سواها وأصلها من المهاد وهو الفراش.
١١٤ ـ الخيرة : المختار.
١١٥ ـ الجبلة : بكسر الجيم والباء وتشديد اللام الخلقة والطبيعة.
١١٦ ـ الرغد : من العيش ما طاب واتسع.
١١٧ ـ الأكل : بضمتين الرزق والحظ.
١١٨ ـ أوعزت : إليه بكذا تقدمت إليه به وأمرت.
١١٩ ـ أقدم عليه : تناوله.
١٢٠ ـ تعرّض للمعصية : أبدى جانبه إليها وأرادها.
١٢١ ـ خاطر : بنفسه وماله أشفاهما على خطر وألقاهما في المهلكة.
١٢٢ ـ الموافاة : أدراك الشيء.
١٢٣ ـ النسل : الذرية.
١٢٤ ـ تعاهدهم : جدد العهد بهم، والتعهّد التحفظ بالشيء.
١٢٥ ـ الودائع : جمع وديعة وهو الشيء يوضع عند إنسان ليحفظه لصاحبه.

٩٤ ـ بعاع السحاب : ما كان مثقل بالمطر.
٩٥ ـ استقلت : ارتفعت ونهضت.
٩٦ ـ العبء : الثقل.
٩٧ ـ الهوامد : من الأرض ما لا نبات بها.
٩٨ ـ زعر : بالضم جمع أزعر من الجبال قلة العشب.
٩٩ ـ بهج : سر وفرح.
١٠٠ ـ الرياض : جمع روضة الأرض المخضرة بأنواع النبات.
١٠١ ـ تزدهي : تعجب.
١٠٢ ـ ريط : جمع ريطة وهي كل ثوب رقيق ليّن.
١٠٣ ـ أزاهير : جمع أزهار جمع زهرة النبات أو نورها.
١٠٤ ـ الحلية : الزينة.
١٠٥ ـ السمط : الخيط تنظم فيه القلادة.
١٠٦ ـ النضارة : الحسن والطراوة.
١٠٧ ـ الأنوار : جمع نور بفتح النون الزهر.
١٠٨ ـ البلاغ : ما يتبلّغ به من القوت.
١٠٩ ـ خرق : من الخرق وهو الثقب والفرجة.
١١٠ ـ الفجاج : جمع فج الطريق الواسع بين جبلين.
١١١ ـ المنار : الأعلام.
١١٢ ـ الجواد : جمع جادة وسط الطريق.
١١٣ ـ مهد الأرض : سواها وأصلها من المهاد وهو الفراش.
١١٤ ـ الخيرة : المختار.
١١٥ ـ الجبلة : بكسر الجيم والباء وتشديد اللام الخلقة والطبيعة.
١١٦ ـ الرغد : من العيش ما طاب واتسع.
١١٧ ـ الأكل : بضمتين الرزق والحظ.
١١٨ ـ أوعزت : إليه بكذا تقدمت إليه به وأمرت.
١١٩ ـ أقدم عليه : تناوله.
١٢٠ ـ تعرّض للمعصية : أبدى جانبه إليها وأرادها.
١٢١ ـ خاطر : بنفسه وماله أشفاهما على خطر وألقاهما في المهلكة.
١٢٢ ـ الموافاة : أدراك الشيء.
١٢٣ ـ النسل : الذرية.
١٢٤ ـ تعاهدهم : جدد العهد بهم، والتعهّد التحفظ بالشيء.
١٢٥ ـ الودائع : جمع وديعة وهو الشيء يوضع عند إنسان ليحفظه لصاحبه.

١٥٧ ـ استراق الكلام : استماعه خفية.
١٥٨ ـ مصائخ الأسماع : خروقها التي يتسمع بها.
١٥٩ ـ المصائف : محل الإقامة في الصيف.
١٦٠ ـ الذر : جمع ذرة وهي أصغر النمل.
١٦١ ـ المشاتي : محل الإقامة في الشتاء.
١٦٢ ـ الهوّام : جمع هامة ولا يقع هذا الاسم إلا على المخوف من الأحناش.
١٦٣ ـ رجع الحنين : ترجيعه وترديده.
١٦٤ ـ المولهات : الحزينات، النوق والنساء اللواتي حيل بينهن وبين أولادهن.
١٦٥ ـ همس الأقدام : صوت وطئها حينما يكون خفياً جداً.
١٦٦ ـ منفسح الثمرة : مكان نمائها.
١٦٧ ـ الولائج : جمع وليجة البطانة الداخلية.
١٦٨ ـ الغلف : جمع غلاف.
١٦٩ ـ الأكمام : جمع كم بالكسر وهو غطاء النوار ووعاء الطلع.
١٧٠ ـ منقمع : الوحوش موضع انقماعها أي اختفائها واستتارها.
١٧١ ـ الغبران : جمع غار وهو كالكهف في الجبل.
١٧٢ ـ مختبأ البعوض : موضع اختبائها واستتارها.
١٧٣ ـ البعوض : البرغش، حشرات مضرة من ذوات الجناحين.
١٧٤ ـ سوق : جمع ساق أسفل الشجرة التي تقوم عليه فروعها.
١٧٥ ـ الألحية : جمع لحاء وهو قشر الشجرة.
١٧٦ ـ مغرز الأوراق : موضع غرزها فيها.
١٧٧ ـ الأفنان : جمع فنن وهو الغصن.
١٧٨ ـ الأمشاج : النطف سميت أمشاجاً لاختلاطها بمني المرأة ودمها.
١٧٩ ـ مسارب الأصلاب : جمع مسرب وهو ما يتسرب المني فيها عند نزوله أو تكوّنه.
١٨٠ ـ ناشئة الغيوم : أول ما ينشأ منها.
١٨١ ـ متلاحمها : المتلاصق منها بعضه ببعض.
١٨٢ ـ درور : من درّ يدرّ أي سال وناقة درور أي كثيرة اللبن.
١٨٣ ـ المتراكم : المجتمع المتكاثف منها.
١٨٤ ـ سفت الريح التراب : ذرته وحملته.
١٨٥ ـ الأعاصير : جمع إعصار الريح التي تهب فتثير غباراً فيرتفع في السماء.
١٨٦ ـ تعفو : تمحو وعفت الريح المنزل درسته.

١٥٧ ـ استراق الكلام : استماعه خفية.
١٥٨ ـ مصائخ الأسماع : خروقها التي يتسمع بها.
١٥٩ ـ المصائف : محل الإقامة في الصيف.
١٦٠ ـ الذر : جمع ذرة وهي أصغر النمل.
١٦١ ـ المشاتي : محل الإقامة في الشتاء.
١٦٢ ـ الهوّام : جمع هامة ولا يقع هذا الاسم إلا على المخوف من الأحناش.
١٦٣ ـ رجع الحنين : ترجيعه وترديده.
١٦٤ ـ المولهات : الحزينات، النوق والنساء اللواتي حيل بينهن وبين أولادهن.
١٦٥ ـ همس الأقدام : صوت وطئها حينما يكون خفياً جداً.
١٦٦ ـ منفسح الثمرة : مكان نمائها.
١٦٧ ـ الولائج : جمع وليجة البطانة الداخلية.
١٦٨ ـ الغلف : جمع غلاف.
١٦٩ ـ الأكمام : جمع كم بالكسر وهو غطاء النوار ووعاء الطلع.
١٧٠ ـ منقمع : الوحوش موضع انقماعها أي اختفائها واستتارها.
١٧١ ـ الغيران : جمع غار وهو كالكهف في الجبل.
١٧٢ ـ مختبأ البعوض : موضع اختبائها واستتارها.
١٧٣ ـ البعوض : البرغش، حشرات مضرة من ذوات الجناحين.
١٧٤ ـ سوق : جمع ساق أسفل الشجرة التي تقوم عليه فروعها.
١٧٥ ـ الألحية : جمع لحاء وهو قشر الشجرة.
١٧٦ ـ مغرز الأوراق : موضع غرزها فيها.
١٧٧ ـ الأفنان : جمع فنن وهو الغصن.
١٧٨ ـ الأمشاج : النطف سميت أمشاجاً لاختلاطها بمني المرأة ودمها.
١٧٩ ـ مسارب الأصلاب : جمع مسرب وهو ما يتسرب المني فيها عند نزوله أو تكوّنه.
١٨٠ ـ ناشئة الغيوم : أول ما ينشأ منها.
١٨١ ـ متلاحمها : المتلاصق منها بعضه ببعض.
١٨٢ ـ درور : من درّ يدرّ أي سال وناقة درور أي كثيرة اللبن.
١٨٣ ـ المتراكم : المجتمع المتكاثف منها.
١٨٤ ـ سفت الريح التراب : ذرته وحملته.
١٨٥ ـ الأعاصير : جمع إعصار الريح التي تهب فتثير غباراً فيرتفع في السماء.
١٨٦ ـ تعفو : تمحو وعفت الريح المنزل درسته.

٢١٧ ـ اعتورته : تداولته وتناولته.
٢١٨ ـ الفترة : الضعف.

الشرح

(**كبس الأرض على مور أمواج مستفحلة ولجج بحار زاخرة**). في هذا الفصل المبارك من كلامه عليه السلام بيان عظمة الله وقدرته في خلق الأرض وبعض ما عليها وما فيها وبيان بعض الفوايد والمنافع...

ابتدأ في هذا الفصل بذكر كيفية خلق الأرض فذكر أن الكون مملوء بالماء المضطرب المتموج المستفحل الذي يرعد ويزبد فهو مملوء بالبحار الممتلئة بالماء فخلق الله الأرض ودفعها على تلك المياه بحالتها الموصوفة وأدخلها فيها بقوة وشدة.

(**تلتطم أواذي أمواجها وتصطفق متقاذفات أثباجها وترغو زبداً كالفحول عند هياجها**). لا يزال الحديث عن حال المياه وأوصافها عندما كبس الله الأرض فيها... إنها صورة مرعبة لمن يشاهدها إنها صورة الأمواج التي يضرب بعضها بعضاً لشدتها وأمواجها العالية العظيمة ترد فيتكسر بعضها على بعض ويرتفع منها أصوات مخيفة ولشدتها يتولد منها رغوة تطفو على وجه الماء حاكية عن شدتها مفصحة عن قوتها ناطقة بعظيم قدرتها فهي عاصية متمردة لا تقبل التطويع ولا يقدر أحد على ضبطها والسيطرة عليها وقد شبهها بالفحول عند هيجانها...

(**فخضع جماح الماء المتلاطم لثقل حملها وسكن هيج ارتمائه إذ وطئته بكلكلها وذل مستخذياً إذ تمعكت عليه بكواهلها**). بعد أن القى الله الأرض في الماء المستفحل المتلاطم الذي يزبد ويرغي لقوته وعنفه ذل اضطراب الماء وسكن ضرب بعضها ببعض لوزنها الضخم الكبير فشكلت ميزان الهدوء ومانعاً من الحركة وهدأ تدافعه عندما وضعت منها واستمكنت عليه؛ شبّه الأرض في الماء كالناقة التي وضعت صدرها على أحد واستحكمت منه ومنعته من الحركة فأصبح ذليلاً أو هي مثل الناقة التي عركت بكاهلها من تحتها فإنه ينكسر ويذل...

(**فأصبح بعد اصطخاب أمواجه ساجياً مقهوراً وفي حكمة الذل منقاداً أسيراً**). فبعد تلك الحركة والاضطراب في الأمواج أصبح كل ذلك ساكناً مغلوباً لا يتحرك وفي ذمام الذل والخزي منقاداً محبوساً كما أراد الله وأحب وقد شبّه اضطراب الأمواج وحركتها

٢١٧ ـ اعتورته : تداولته وتناولته.
٢١٨ ـ الفترة : الضعف.

الشرح

(**كبس الأرض على مور أمواج مستفحلة ولجج بحار زاخرة**). في هذا الفصل المبارك من كلامه عليه السلام بيان عظمة الله وقدرته في خلق الأرض وبعض ما عليها وما فيها وبيان بعض الفوايد والمنافع...

ابتدأ في هذا الفصل بذكر كيفية خلق الأرض فذكر أن الكون مملوء بالماء المضطرب المتموج المستفحل الذي يرعد ويزبد فهو مملوء بالبحار الممتلئة بالماء فخلق الله الأرض ودفعها على تلك المياه بحالتها الموصوفة وأدخلها فيها بقوة وشدة.

(**تلتطم أواذي أمواجها وتصطفق متقاذفات أثباجها وترغو زبداً كالفحول عند هياجها**). لا يزال الحديث عن حال المياه وأوصافها عندما كبس الله الأرض فيها... إنها صورة مرعبة لمن يشاهدها إنها صورة الأمواج التي يضرب بعضها بعضاً لشدتها وأمواجها العالية العظيمة ترد فيتكسر بعضها على بعض ويرتفع منها أصوات مخيفة ولشدتها يتولد منها رغوة تطفو على وجه الماء حاكية عن شدتها مفصحة عن قوتها ناطقة بعظيم قدرتها فهي عاصية متمردة لا تقبل التطويع ولا يقدر أحد على ضبطها والسيطرة عليها وقد شبهها بالفحول عند هيجانها...

(**فخضع جماح الماء المتلاطم لثقل حملها وسكن هيج ارتمائه إذ وطئته بكلكلها وذل مستخذياً إذ تمعكت عليه بكواهلها**). بعد أن القى الله الأرض في الماء المستفحل المتلاطم الذي يزبد ويرغي لقوته وعنفه ذل اضطراب الماء وسكن ضرب بعضها ببعض لوزنها الضخم الكبير فشكلت ميزان الهدوء ومانعاً من الحركة وهدأ تدافعه عندما وضعت منها واستمكنت عليه؛ شبّه الأرض في الماء كالناقة التي وضعت صدرها على أحد واستحكمت منه ومنعته من الحركة فأصبح ذليلاً أو هي مثل الناقة التي عركت بكاهلها من تحتها فإنه ينكسر ويذل...

(**فأصبح بعد اصطخاب أمواجه ساجياً مقهوراً وفي حكمة الذل منقاداً أسيراً**). فبعد تلك الحركة والاضطراب في الأمواج أصبح كل ذلك ساكناً مغلوباً لا يتحرك وفي ذمام الذل والخزي منقاداً محبوساً كما أراد الله وأحب وقد شبّه اضطراب الأمواج وحركتها

(وفسح بين الجو وبينها وأعد الهواء متنسماً لساكنها وأخرج إليها أهلها على تمام مرافقها). وجعل بين السماء وبين هذه الجبال التي بها هدأت الأرض جعل فسحة واسعة نراها بأعيننا.

ووفّر الهواء يتنفسه ساكن هذه الأرض حتى يستطيع الحياة عليها وإكمال الشوط.

وبعد أن كملت كل أسباب الراحة ولاستقرار لهذا الإنسان على ظهرها أخرجه الله إليها وأسكنه فيه ليعمرها ويبني الحياة على ظهرها...

(ثم لم يدع جزر الأرض التي تقصر مياه العيون عن روابيها ولا تجد جداول الأنهار ذريعة إلى بلوغها). بعد أن خلق الله الأرض وفجر فيها العيون وأجرى الجداول لم يترك من هذه الأرض ما لا يمكن أن تصل إليه مياه العيون أو الجداول كالروابي العالية لم يتركها قفراء نفراء بل إن منعت من ماء الأرض فإن ماء السماء قد أعدته يد العليم الخبير ولذا أرسل لها الغمام ليسقيها ويحييها...

(حتى أنشأ لها ناشئة سحاب تحي مواتها وتستخرج نباتها). فالله سبحانه أراد أن يحي من الأرض ما كان معطلاً غير صالح للزرع ويستخرج منها النبات فلذا خلق لها الغيوم المملؤة بالماء التي ترويها وتسقيها وتعيد إليها الحياة ثم بين كيف يتكون الغمام وكيف يجتمع.

(ألّف غمامها بعد افتراق لمعه وتباين قزعه حتى إذا تمخضت لجة المزن فيه والتمع برقه في كففه ولم ينم وميضه في كنهور ربابه ومتراكم سحابه أرسله سحاً متداركاً). جمع هذه الغيوم فجعلها كتلة واحدة بعد أن كانت متفرقة الأجزاء موزعة فهذه غيمة مجزأة تراها تلمع كالعشب اليابس وأخرى متباعدة الأجزاء فجمعها الله بقدرته وصيّرها كتلة واحدة وعندما تحرك الماء العظيم في داخلها واستعد للنزول أضاء البرق والتمع في جوانب هذا الغيم ولم ينقطع في الغيم الأبيض المجتمع الذي تراكم فوق بعضه، عندما تمت كل هذه العملية الإلهية أنزله الله وأرسله يصب الماء صباً متلاحقاً متواصلاً...

(قد أسفّ هيدبه تمريه الجنوب درر أهاضيبه ودفع شآبيبه). وصف لحال الغيوم المثقلة بالمطر وكيف أن أطراف الغيوم عندما تنخفض نحو الأرض تأتيها رياح الجنوب وهي أدر ريح للمطر تحركها بلين فتستخرج منها مياهها المتدافعة ودفعات تلك المياه النازلة بشدة وقوة...

(فلما ألقت السحاب برك بوانيها وبعاع ما استقلت به من العبء المحمول عليها

(وفسح بين الجو وبينها وأعد الهواء متنسماً لساكنها وأخرج إليها أهلها على تمام مرافقها). وجعل بين السماء وبين هذه الجبال التي بها هدأت الأرض جعل فسحة واسعة نراها بأعيننا.

ووفّر الهواء يتنفسه ساكن هذه الأرض حتى يستطيع الحياة عليها وإكمال الشوط.

وبعد أن كملت كل أسباب الراحة ولاستقرار لهذا الإنسان على ظهرها أخرجه الله إليها وأسكنه فيه ليعمرها ويبني الحياة على ظهرها...

(ثم لم يدع جزر الأرض التي تقصر مياه العيون عن روابيها ولا تجد جداول الأنهار ذريعة إلى بلوغها). بعد أن خلق الله الأرض وفجر فيها العيون وأجرى الجداول لم يترك من هذه الأرض ما لا يمكن أن تصل إليه مياه العيون أو الجداول كالروابي العالية لم يتركها قفراء نفراء بل إن منعت من ماء الأرض فإن ماء السماء قد أعدته يد العليم الخبير ولذا أرسل لها الغمام ليسقيها ويحييها...

(حتى أنشأ لها ناشئة سحاب تحي مواتها وتستخرج نباتها). فالله سبحانه أراد أن يحي من الأرض ما كان معطلاً غير صالح للزرع ويستخرج منها النبات فلذا خلق لها الغيوم المملؤة بالماء التي ترويها وتسقيها وتعيد إليها الحياة ثم بين كيف يتكون الغمام وكيف يجتمع.

(ألّف غمامها بعد افتراق لمعه وتباين قزعه حتى إذا تمخضت لجة المزن فيه والتمع برقه في كففه ولم ينم وميضه في كنهور ربابه ومتراكم سحابه أرسله سحاً متداركاً). جمع هذه الغيوم فجعلها كتلة واحدة بعد أن كانت متفرقة الأجزاء موزعة فهذه غيمة مجزأة تراها تلمع كالعشب اليابس وأخرى متباعدة الأجزاء فجمعها الله بقدرته وصيّرها كتلة واحدة وعندما تحرك الماء العظيم في داخلها واستعد للنزول أضاء البرق والتمع في جوانب هذا الغيم ولم ينقطع في الغيم الأبيض المجتمع الذي تراكم فوق بعضه، عندما تمت كل هذه العملية الإلهية أنزله الله وأرسله يصب الماء صباً متلاحقاً متواصلاً...

(قد أسفّ هيدبه تمريه الجنوب درر أهاضيبه ودفع شآبيبه). وصف لحال الغيوم المثقلة بالمطر وكيف أن أطراف الغيوم عندما تنخفض نحو الأرض تأتيها رياح الجنوب وهي أدر ريح للمطر تحركها بلين فتستخرج منها مياهها المتدافعة ودفعات تلك المياه النازلة بشدة وقوة...

(فلما ألقت السحاب برك بوانيها وبعاع ما استقلت به من العبء المحمول عليها

ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين﴾.

(والمخاطرة بمنزلته فأقدم على ما نهاه عنه موافاة لسابق علمه فأهبطه بعد التوبة ليعمر أرضه بنسله وليقيم الحجة به على عباده). نهاه أن يقع في مهلكة المعصية فتنزل مكانته وتسقط رتبته ولكن الشيطان وسوس إليه فأقدم عليها وتناولها طبقاً لما كان يعلمه الله منه وأنه سيوافيها ويتناولها فلما أكل منها وعصى ربه أدرك خطأه فتاب وعاد إلى الله فعاد الله عليه وقبل توبته ثم أنزله إلى الأرض كما قال تعالى: ﴿**وعصى آدم ربه فغوى ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى وقال اهبطا منها جميعاً**﴾. وأنزاله إلى الأرض ليجعلها عامرة بأولاده وذريته وليكون حجة على عباده وأنه النبي الذي اختاره الله وتاب عليه واجتباه.

وقال بعضهم أن المراد بإقامة الحجة به أنه إذا كان أبوهم أخرج من الجنة بخطيئة واحدة فأخلق بها أن لا يدخلها ذو خطايا جمة...

والأظهر الأول لما سيرد بعد هذا الكلام من عدم خلو الأرض من حجة بعد آدم...

(ولم يخلهم بعد أن قبضه مما يؤكد عليهم حجة ربوبيته ويصل بينهم وبين معرفته بل تعاهدهم بالحجج على ألسن الخيرة من أنبيائه ومتحملي ودائع رسالاته قرناً فقرناً). بعد أن قبض الله آدم إليه لم تخل الناس من الحجج والبراهين الدالة على ربوبيته فإن الإنسان بما زوده الله به من العقل يكفي ليستدل به على إثبات وجوده وعلى صلته به فإن معرفة الله فطرية في نفس هذا الإنسان يهتدي إلى الله. بمجرد أن يتوجه إليه ويلتفت إلى نفسه وإلى خلق العالم ومن هنا كانت الرسل والأنبياء، من أجل تأكيد هذه الربوبية من جهة ولبيان الشريعة من جهة أخرى.

ومع ما زودهم الله به من الفطرة التي تهدي هذا الإنسان إلى الله أرسل لهم خيرته من الأنبياء وحاملي ما أودعهم الله عندهم من الرسالات وهكذا لم يخل زمان بدون رسول يحتج به على الخلق بما يحمل إليهم من الحجج والبينات وبما زودهم به من التعاليم والأحكام...

(حتى تمت بنبينا محمد صلى الله عليه وسلم حجته وبلغ المقطع عذره ونذره). وهكذا بقيت الرسل قائمة تترى إلى أن كملت وتمت حجته ببعثة نبينا محمد صلى الله عليه وآله فعندها بلغ النهاية في إعذاره وإنذاره وسقطت حجة الناس وكان لله الحجة والعذر في عقاب المخالف ومن أنذرهم وخوفهم فلم يرتدعوا...

(وقدّر الأرزاق فكثرها وقللها وقسمها على الضيق والسعة فعدل فيها ليبتلي من أراد

ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين﴾.

(والمخاطرة بمنزلته فأقدم على ما نهاه عنه موافاة لسابق علمه فأهبطه بعد التوبة ليعمر أرضه بنسله وليقيم الحجة به على عباده). نهاه أن يقع في مهلكة المعصية فتنزل مكانته وتسقط رتبته ولكن الشيطان وسوس إليه فأقدم عليها وتناولها طبقاً لما كان يعلمه الله منه وأنه سيوافيها ويتناولها فلما أكل منها وعصى ربه أدرك خطأه فتاب وعاد إلى الله فعاد الله عليه وقبل توبته ثم أنزله إلى الأرض كما قال تعالى: ﴿**وعصى آدم ربه فغوى ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى وقال اهبطا منها جميعاً**﴾. وأنزاله إلى الأرض ليجعلها عامرة بأولاده وذريته وليكون حجة على عباده وأنه النبي الذي اختاره الله وتاب عليه واجتباه.

وقال بعضهم أن المراد بإقامة الحجة به أنه إذا كان أبوهم أخرج من الجنة بخطيئة واحدة فأخلق بها أن لا يدخلها ذو خطايا جمة...

والأظهر الأول لما سيرد بعد هذا الكلام من عدم خلو الأرض من حجة بعد آدم...

(ولم يخلهم بعد أن قبضه مما يؤكد عليهم حجة ربوبيته ويصل بينهم وبين معرفته بل تعاهدهم بالحجج على ألسن الخيرة من أنبيائه ومتحملي ودائع رسالاته قرناً فقرناً). بعد أن قبض الله آدم إليه لم تخل الناس من الحجج والبراهين الدالة على ربوبيته فإن الإنسان بما زوده الله به من العقل يكفي ليستدل به على إثبات وجوده وعلى صلته به فإن معرفة الله فطرية في نفس هذا الإنسان يهتدي إلى الله. بمجرد أن يتوجه إليه ويلتفت إلى نفسه وإلى خلق العالم ومن هنا كانت الرسل والأنبياء، من أجل تأكيد هذه الربوبية من جهة ولبيان الشريعة من جهة أخرى.

ومع ما زودهم الله به من الفطرة التي تهدي هذا الإنسان إلى الله أرسل لهم خيرته من الأنبياء وحاملي ما أودعهم الله عندهم من الرسالات وهكذا لم يخل زمان بدون رسول يحتج به على الخلق بما يحمل إليهم من الحجج والبينات وبما زودهم به من التعاليم والأحكام...

(حتى تمت بنبينا محمد صلى الله عليه وسلم حجته وبلغ المقطع عذره ونذره). وهكذا بقيت الرسل قائمة تترى إلى أن كملت وتمت حجته ببعثة نبينا محمد صلى الله عليه وآله فعندها بلغ النهاية في إعذاره وإنذاره وسقطت حجة الناس وكان لله الحجة والعذر في عقاب المخالف ومن أنذرهم وخوفهم فلم يرتدعوا...

(وقدّر الأرزاق فكثرها وقللها وقسمها على الضيق والسعة فعدل فيها ليبتلي من أراد

هذه الأعمار الفتية القوية الشابة التي تمتلىء نضارة وبهجة وقد شبه ذلك بالحبال القوية المفتولة على أكثر من طاق بحيث يظن الإنسان عدم إمكان قطعها ولكن الموت يقطع أعمار الشباب والفتيان مهما كانوا أقوياء. . .

(**عالم السر من ضمائر المضمرين**). أشار عليه السلام إلى علم الله بالجزئيات وقد أحسن ابن أبي الحديد عند ذكر هذا الفصل فأثنى عليه بقوله:

لو سمع النضر بن كنانة هذا الكلام لقال لقائله ما قاله علي بن العباس بن جريح لإسماعيل بن بلبل:

قالوا أبو الصقر من شيبان قلت لهم ... كلا ولكن لعمري منه شيبان
وكم أب قد علا بابن ذرا شرف ... كما علا برسول الله عدنان

إذا كان يفخر به على عدنان وقحطان بل كان يقربه عين أبيه إبراهيم خليل الرحمن ويقول له: إنه لم يُعفِ ما شيّدت من معالم التوحيد بل أخرج الله تعالى لك من ظهري ولداً ابتدع من علوم التوحيد في جاهلية العرب ما لم تبتدعه أنت في جاهلية النبط، بل لو سمع هذا الكلام أرسطوطاليس القائل بأنه تعالى لا يعلم الجزئيات لخشع قلبه ووقف شعره واضطرب فكره ألا ترى ما عليه من الرواء والمهابة والعظمة والفخامة والمتانة والجزالة مع ما قد أشرب من الحلاوة والطلاوة واللطف والسلاسة لا أرى كلاماً يشبه هذا إلا أن يكون كلام الخالق سبحانه فإن هذا الكلام نبعة من تلك الشجرة وجدول من ذلك البحر وجذوة من تلك النار وكأنه شرح قوله تعالى: ﴿**وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها إلا هو ويعلم ما في البر والبحر وما تسقط من ورقة ألا يعلمها ولا حبة في ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس إلا في كتاب مبين**﴾ انتهى كلامه. . .

(**ونجوى المتخافتين**). وإذا كان سبحانه يعلم السر وأخفى فهو يعلم بطريق أولى ما يدور بين إنسان وآخر قال تعالى: ﴿**ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم ولا خمسة إلا هو سادسهم ولا أدنى من ذلك ولا أكثر إلا هو معهم**﴾ فالله مع كل اثنين يتخافتان في حديثهما ويتساران به. . .

(**وخواطر رجم الظنون**). يعلم سبحانه ما يسبق إلى خواطر هذا الإنسان من الظنون التي لا دليل عليها.

(**وعقد عزيمات اليقين**). ويعلم سبحانه ما تعقد عليه ضميرك ولا تتردد فيه.

(**ومسارق إيماض الجفون**). يعلم ما يسرقه البصر خفية وحين تكون الناس في

هذه الأعمار الفتية القوية الشابة التي تمتلىء نضارة وبهجة وقد شبه ذلك بالحبال القوية المفتولة على أكثر من طاق بحيث يظن الإنسان عدم إمكان قطعها ولكن الموت يقطع أعمار الشباب والفتيان مهما كانوا أقوياء. . .

(**عالم السر من ضمائر المضمرين**). أشار عليه السلام إلى علم الله بالجزئيات وقد أحسن ابن أبي الحديد عند ذكر هذا الفصل فأثنى عليه بقوله:

لو سمع النضر بن كنانة هذا الكلام لقال لقائله ما قاله علي بن العباس بن جريح لإسماعيل بن بلبل:

قالوا أبو الصقر من شيبان قلت لهم ... كلا ولكن لعمري منه شيبان
وكم أب قد علا بابن ذرا شرف ... كما علا برسول الله عدنان

إذا كان يفخر به على عدنان وقحطان بل كان يقربه عين أبيه إبراهيم خليل الرحمن ويقول له: إنه لم يُعفِ ما شيّدت من معالم التوحيد بل أخرج الله تعالى لك من ظهري ولداً ابتدع من علوم التوحيد في جاهلية العرب ما لم تبتدعه أنت في جاهلية النبط، بل لو سمع هذا الكلام أرسطوطاليس القائل بأنه تعالى لا يعلم الجزئيات لخشع قلبه ووقف شعره واضطرب فكره ألا ترى ما عليه من الرواء والمهابة والعظمة والفخامة والمتانة والجزالة مع ما قد أشرب من الحلاوة والطلاوة واللطف والسلاسة لا أرى كلاماً يشبه هذا إلا أن يكون كلام الخالق سبحانه فإن هذا الكلام نبعة من تلك الشجرة وجدول من ذلك البحر وجذوة من تلك النار وكأنه شرح قوله تعالى: ﴿**وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها إلا هو ويعلم ما في البر والبحر وما تسقط من ورقة ألا يعلمها ولا حبة في ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس إلا في كتاب مبين**﴾ انتهى كلامه. . .

(**ونجوى المتخافتين**). وإذا كان سبحانه يعلم السر وأخفى فهو يعلم بطريق أولى ما يدور بين إنسان وآخر قال تعالى: ﴿**ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم ولا خمسة إلا هو سادسهم ولا أدنى من ذلك ولا أكثر إلا هو معهم**﴾ فالله مع كل اثنين يتخافتان في حديثهما ويتساران به. . .

(**وخواطر رجم الظنون**). يعلم سبحانه ما يسبق إلى خواطر هذا الإنسان من الظنون التي لا دليل عليها.

(**وعقد عزيمات اليقين**). ويعلم سبحانه ما تعقد عليه ضميرك ولا تتردد فيه.

(**ومسارق إيماض الجفون**). يعلم ما يسرقه البصر خفية وحين تكون الناس في

(وما تسفي الأعاصير بذيولها وتعفو الأمطار بسيولها). فكل ذرة تحركها الرياح وتثيرها بهبوبها يعلمه الله كما يعلم ما تمحوه المياه بفيضاناتها وسيولها وتأتي عليه فلا تدع له أثراً. . .

(وعوم بنات الأرض في كثبان الرمال ومستقر ذوات الأجنحة بذرا شناخيب الجبال). يعلم الحشرات التي تتحرك في تلال الرمال وبين ذراتها ويعلم الطيور في أعالي الجبال الشاهقة ورؤوس القمم العالية. . .

(وتغريد ذوات المنطق في دياجير الأوكار). يعلم أصوات العصافير والطيور التي تطرب وهي في ظلمات أعشاشها ومختبآتها. . .

(وما أوعبته الأصداف). ما ضمته الأصداف وحفظته من اللؤلؤ يعلمه الله بحجمه وجودته ولونه. . .

(وحضنت عليه أمواج البحار). ما نمى وعاش في البحار كالعنبر والأسماك وقد عبر بالأمواج أنها تحتضنه لأنه يعيش في كنفها. . .

(وما غشيته سدفة ليل أو ذر عليه شارق نهار). يعلم كل ما يحويه ظلام الليل وما يظهر عليه ضوء النهار فما يمر عليه ليل أو نهار من حيوان وأشجار وأشياء يعلمه الله. . .

(وما اعتقبت عليه أطباق الدياجير وسبحات النور). وعلمه سبحانه يشمل ما تعاقبت عليه ظلمات الظلام وأطوار النور المختلفة فعلمه يشمل ما تعاقب عليه الظلام والضياء. . .

(وأثر كل خطوة وحس كل حركة ورجع كل كلمة). يعلم سبحانه ما تتركه كل خطوة من أثر وعلامة إذا مشت ويعلم كل صوت خفي من أي حركة تصدر في الوجود كما أنه يعلم ما يردده الإنسان بينه وبين نفسه ويفكر فيه من الحديث.

(وتحريك كل شفة ومستقر كل نسمة ومثقال كل ذرة). يعلم سبحانه ما تتحرك به الشفاه وتنطق وفي كل لغة ومن أي إنسان كما يعلم مستقر كل نفس سواء كانت في الأصلاب والأرحام أم في زوايا الوجود في الدنيا والآخرة. . .

كما أنه سبحانه بعلمه يعلم وزن كل ذرة صغيرة مهما تناهت في الصغر وفي أي موضع كانت وفي أي محل استقرت. . .

(وهماهم كل نفس هامة وما عليها من ثمر شجرة أو ساقط ورقة). يعلم سبحانه ما

(وما تسفي الأعاصير بذيولها وتعفو الأمطار بسيولها). فكل ذرة تحركها الرياح وتثيرها بهبوبها يعلمه الله كما يعلم ما تمحوه المياه بفيضاناتها وسيولها وتأتي عليه فلا تدع له أثراً. . .

(وعوم بنات الأرض في كثبان الرمال ومستقر ذوات الأجنحة بذرا شناخيب الجبال). يعلم الحشرات التي تتحرك في تلال الرمال وبين ذراتها ويعلم الطيور في أعالي الجبال الشاهقة ورؤوس القمم العالية. . .

(وتغريد ذوات المنطق في دياجير الأوكار). يعلم أصوات العصافير والطيور التي تطرب وهي في ظلمات أعشاشها ومختبآتها. . .

(وما أوعبته الأصداف). ما ضمته الأصداف وحفظته من اللؤلؤ يعلمه الله بحجمه وجودته ولونه. . .

(وحضنت عليه أمواج البحار). ما نمى وعاش في البحار كالعنبر والأسماك وقد عبر بالأمواج أنها تحتضنه لأنه يعيش في كنفها. . .

(وما غشيته سدفة ليل أو ذر عليه شارق نهار). يعلم كل ما يحويه ظلام الليل وما يظهر عليه ضوء النهار فما يمر عليه ليل أو نهار من حيوان وأشجار وأشياء يعلمه الله. . .

(وما اعتقبت عليه أطباق الدياجير وسبحات النور). وعلمه سبحانه يشمل ما تعاقبت عليه ظلمات الظلام وأطوار النور المختلفة فعلمه يشمل ما تعاقب عليه الظلام والضياء. . .

(وأثر كل خطوة وحس كل حركة ورجع كل كلمة). يعلم سبحانه ما تتركه كل خطوة من أثر وعلامة إذا مشت ويعلم كل صوت خفي من أي حركة تصدر في الوجود كما أنه يعلم ما يردده الإنسان بينه وبين نفسه ويفكر فيه من الحديث.

(وتحريك كل شفة ومستقر كل نسمة ومثقال كل ذرة). يعلم سبحانه ما تتحرك به الشفاه وتنطق وفي كل لغة ومن أي إنسان كما يعلم مستقر كل نفس سواء كانت في الأصلاب والأرحام أم في زوايا الوجود في الدنيا والآخرة. . .

كما أنه سبحانه بعلمه يعلم وزن كل ذرة صغيرة مهما تناهت في الصغر وفي أي موضع كانت وفي أي محل استقرت. . .

(وهماهم كل نفس هامة وما عليها من ثمر شجرة أو ساقط ورقة). يعلم سبحانه ما

دعـــاء

اللَّهُمَّ أَنْتَ أَهْلُ[١] الوَصْفِ الجَمِيلِ، والتَّعْدَادِ[٢] الْكَثِير، إنْ تُؤَمَّلْ فَخَيْرُ مَأمُولٍ، وإنْ تُرْجَ فَخَيْرُ مَرْجُوٍّ. اللَّهُمَّ وَقَدْ بَسَطْتَ لِي فِيمَا لاَ أَمْدَحُ بِهِ غَيْرَكَ، وَلاَ أُثْنِي بِهِ عَلَى أَحَدٍ سِوَاكَ، وَلاَ أُوَجِّهُهُ إِلَى مَعَادِنِ الخَيْبَةِ[٣] وَمَوَاضِعِ الرِّيبَةِ[٤]، وَعَدَلْتَ[٥] بِلِسَانِي عَنْ مَدَائِحِ الآدمِيِّينَ، والثَّنَاءِ[٦] عَلَى المَرْبُوبِينَ المَخْلُوقِينَ. اللَّهُمَّ وَلِكُلِّ مُثْنٍ عَلَى مَنْ أَثْنَى عَلَيْهِ مَثُوبَةٌ[٧] مِنْ جَزَاءٍ، أَوْ عَارِفَةٌ[٨] مِنْ عَطَاءٍ، وَقَدْ رَجَوْتُكَ دَلِيلاً عَلَى ذَخَائِرِ[٩] الرَّحْمَةِ وَكُنُوزِ[١٠] الْمَغْفِرَةِ. اللَّهُمَّ وَهذَا مَقَامُ مَنْ أَفْرَدَكَ بِالتَّوْحِيدِ الَّذِي هُوَ لَكَ، ولَمْ يَرَ مُسْتَحِقاً لِهذِهِ المَحَامِدِ والمَمادِحِ غَيْرَكَ، وَبِي فَاقَةٌ[١١] إِلَيْكَ لاَ يَجْبُرُ مَسْكَنَتَهَا إِلاَّ فَضْلُكَ، وَلاَ يَنْعَشُ[١٢] مِنْ خَلَّتِهَا[١٣] إِلاَّ مَنُّكَ[١٤] وَجُودُكَ، فَهَبْ لَنَا فِي هذَا المَقَامِ رِضَاكَ، وَأَغْنِنَا عَنْ مَدِّ الأَيْدِي إِلَى سِوَاكَ، «إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ!».

اللغة

١ ـ أهل : لكذا مستحق له.
٢ ـ التعداد : الاحصاء والحساب.
٣ ـ الخيبة : انقطع الأمل في المطلوب، وعدم الظفر به.
٤ ـ الريبة : الشك والتهمة.
٥ ـ عدلت : عن كذا ملت عنه ورجعت عنه.
٦ ـ الثناء : المدح.
٧ ـ المثوبة : الثواب والجزاء.
٨ ـ العارفة : المعروف.
٩ ـ الذخائر : جمع ذخيرة ما ذخر أي خُبىء لوقت الحاجة.
١٠ ـ الكنوز : جمع كنز كل مجموع مذخّر يتنافس فيه، المال المدفون في الأرض.

دعـــاء

اللَّهُمَّ أَنْتَ أَهْلُ[١] الوَصْفِ الجَمِيلِ، والتَّعْدَادِ[٢] الْكَثِير، إنْ تُؤَمَّلْ فَخَيْرُ مَأمُولٍ، وإنْ تُرْجَ فَخَيْرُ مَرْجُوٍّ. اللَّهُمَّ وَقَدْ بَسَطْتَ لِي فِيمَا لاَ أَمْدَحُ بِهِ غَيْرَكَ، وَلاَ أُثْنِي بِهِ عَلَى أَحَدٍ سِوَاكَ، وَلاَ أُوَجِّهُهُ إِلَى مَعَادِنِ الخَيْبَةِ[٣] وَمَوَاضِعِ الرِّيبَةِ[٤]، وَعَدَلْتَ[٥] بِلِسَانِي عَنْ مَدَائِحِ الآدمِيِّينَ، والثَّنَاءِ[٦] عَلَى المَرْبُوبِينَ المَخْلُوقِينَ. اللَّهُمَّ وَلِكُلِّ مُثْنٍ عَلَى مَنْ أَثْنَى عَلَيْهِ مَثُوبَةٌ[٧] مِنْ جَزَاءٍ، أَوْ عَارِفَةٌ[٨] مِنْ عَطَاءٍ، وَقَدْ رَجَوْتُكَ دَلِيلاً عَلَى ذَخَائِرِ[٩] الرَّحْمَةِ وَكُنُوزِ[١٠] الْمَغْفِرَةِ. اللَّهُمَّ وَهذَا مَقَامُ مَنْ أَفْرَدَكَ بِالتَّوْحِيدِ الَّذِي هُوَ لَكَ، ولَمْ يَرَ مُسْتَحِقاً لِهذِهِ المَحَامِدِ والمَمادِحِ غَيْرَكَ، وَبِي فَاقَةٌ[١١] إِلَيْكَ لاَ يَجْبُرُ مَسْكَنَتَهَا إِلاَّ فَضْلُكَ، وَلاَ يَنْعَشُ[١٢] مِنْ خَلَّتِهَا[١٣] إِلاَّ مَنُّكَ[١٤] وَجُودُكَ، فَهَبْ لَنَا فِي هذَا المَقَامِ رِضَاكَ، وَأَغْنِنَا عَنْ مَدِّ الأَيْدِي إِلَى سِوَاكَ، «إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ!».

اللغة

١ ـ أهل : لكذا مستحق له.
٢ ـ التعداد : الاحصاء والحساب.
٣ ـ الخيبة : انقطع الأمل في المطلوب، وعدم الظفر به.
٤ ـ الريبة : الشك والتهمة.
٥ ـ عدلت : عن كذا ملت عنه ورجعت عنه.
٦ ـ الثناء : المدح.
٧ ـ المثوبة : الثواب والجزاء.
٨ ـ العارفة : المعروف.
٩ ـ الذخائر : جمع ذخيرة ما ذخر أي خُبىء لوقت الحاجة.
١٠ ـ الكنوز : جمع كنز كل مجموع مذخّر يتنافس فيه، المال المدفون في الأرض.

والممادح غيرك). أنت ترى مكان هذا العبد الذي وحدّك وشهد إنك واحد لا شريك لك وهذا حق لك وأنت تستحقه وأهله إنه لم ير أحداً سواك مهما علت منزلته وارتفعت رتبته يستحق هذه الممادح الكريمة التي ذكرها وهذه المحامد الجليلة غيرك بل أنت وحدك الذي تستحق ذلك. . .

(**وبي فاقة اليك لا يجبر مسكنتها إلا فضلك ولا ينعش من خلتها إلا منكّ وجودك**). إنني محتاج إلى جودك وعطائك ولا يرفع هذا الفقر والمسكنة إلا عطاؤك وجودك ولا يرفع هذا الفقر والحاجة إلا كرمك. . .

(**فهب لنا في هذا المقام رضاك وأغننا عن مد الأيدي إلى سواك إنك على كل شيء قدير**). عطاياك يا رب أنزلها علينا ونحن في مقامنا هذا الذي نتوجه إليك فيه ونخلص في دعائنا لك وأغننا من فضلك وأفض علينا من فضلك حتى نكف أيدينا عن الحاجة إلى غيرك فإنك القادر على كل شيء تقدر على عطائنا وتكفينا إنك على كل شيء قدير. . .

والممادح غيرك). أنت ترى مكان هذا العبد الذي وحدّك وشهد إنك واحد لا شريك لك وهذا حق لك وأنت تستحقه وأهله إنه لم ير أحداً سواك مهما علت منزلته وارتفعت رتبته يستحق هذه الممادح الكريمة التي ذكرها وهذه المحامد الجليلة غيرك بل أنت وحدك الذي تستحق ذلك. . .

(**وبي فاقة اليك لا يجبر مسكنتها إلا فضلك ولا ينعش من خلتها إلا منكّ وجودك**). إنني محتاج إلى جودك وعطائك ولا يرفع هذا الفقر والمسكنة إلا عطاؤك وجودك ولا يرفع هذا الفقر والحاجة إلا كرمك. . .

(**فهب لنا في هذا المقام رضاك وأغننا عن مد الأيدي إلى سواك إنك على كل شيء قدير**). عطاياك يا رب أنزلها علينا ونحن في مقامنا هذا الذي نتوجه إليك فيه ونخلص في دعائنا لك وأغننا من فضلك وأفض علينا من فضلك حتى نكف أيدينا عن الحاجة إلى غيرك فإنك القادر على كل شيء تقدر على عطائنا وتكفينا إنك على كل شيء قدير. . .

يطلبون منه قبول البيعة وتولي الإمامة فأجابهم عليه السلام بقوله هذا يطلب منهم أن يتركوه ويعدلوا عنه إلى غيره من المسلمين.

وهذا القول منه ليس تهرباً من الواقع أو رفضاً لحقه المشروع وإنما ليلقي الحجة عليهم من جهة ما يقوم به في مستقبل أمره في شأنهم فيسقط احتجاجهم عليه...

وقد يكون لعلمه بما ستجري عليه الأمور من قيام الناكثين والقاسطين والمارقين بحربه فإذا التمسوا غيره ولم يجد الناصر له سقط التكليف عنه بتولي الخلافة ويكون هذا من قبيل انتفاء الحكم بانتفاء موضوعه في حقه...

التمسوا غيري.. اطلبوا غيري فإنّ أمامنا أمر نستقبله له وجوه وألوان إنها فتنة نستقبلها سيخرج الثالوث طلحة والزبير وأم المؤمنين وسيخرج الخوارج وسيخرج معاوية وهي فتن صعبة ومحن مريرة لا تصبر عليها القلوب وتتردد فيها العقول.. سيرى الناس أصحاب رسول الله وأم المؤمنين يحملون راية المعارضة ويخرجون لحرب الخليفة.. سيرى الناس هذا المشهد فتضطرب عقولهم وتشوش أفكارهم ويترددون طويلاً في تعيين المحق من المبطل.. وكيف يصبر من لا علم له بالحق ولا خيرة له به.. هناك أمة ستقرأ الحق في الرجال ولا تقرأ الرجال في الحق.. سيرون في عمل بعض الصحابة حجة وينسبون الحق إليهم ولا يقيسون أعمالهم على الحق...

(وإن الآفاق قد أغامت والمحجة قد تنكرت). إن المستقبل م لئلم معتم فيه فتن واضطرابات بل تمرد وخلاف.. فيه حروب ودماء والطريق الصحيحة السليمة قد تشوشت معالمها وطمست آثارها وضل السائرون في متاهاتها وما عليه الإمام هي المحجة والطريق ولكن للأهواء قوة في الإنحراف عنها لا يقوى على مقاومتها أحد...

(واعلموا إني إن أجبتكم ركبت بكم ما أعلم ولم أصغ إلى قول القائل وعتب العاتب). وهذا إنذار لهم وبيان لدوره إن أجابهم إلى البيعة وأضحى خليفة عليهم إنه سيحملهم على علمه بالشريعة وما تلقاه من النبي، فقد عاش مع الرسول فترة طويلة بل هي أطول فترة زمنية عاشها أحد من الصحابة مع النبي وقد تلقى عنه ألف باب من العلم وكل باب يفتح له منه ألف باب فهو بعد هذا على علم بالشريعة المحمدية سيحمل الناس عليها إن تولى الأمر وتقلد الخلافة وعندها لا يستمع إلى أقوال الناس ولا إلى آرائهم المخالفة لرأيه ولن يلتفت إلى العاتبين عليه الذين يريدون أكثر من حقهم ويطلبون أزيد من نصيبهم فيلومونه على عدم إعطائهم ذلك...

(وإن تركتموني فأنا كأحدكم ولعليّ أسمعكم وأطوعكم لمن وليتموه أمركم وأنا

يطلبون منه قبول البيعة وتولي الإمامة فأجابهم عليه السلام بقوله هذا يطلب منهم أن يتركوه ويعدلوا عنه إلى غيره من المسلمين.

وهذا القول منه ليس تهرباً من الواقع أو رفضاً لحقه المشروع وإنما ليلقي الحجة عليهم من جهة ما يقوم به في مستقبل أمره في شأنهم فيسقط احتجاجهم عليه...

وقد يكون لعلمه بما ستجري عليه الأمور من قيام الناكثين والقاسطين والمارقين بحربه فإذا التمسوا غيره ولم يجد الناصر له سقط التكليف عنه بتولي الخلافة ويكون هذا من قبيل انتفاء الحكم بانتفاء موضوعه في حقه...

التمسوا غيري.. اطلبوا غيري فإنّ أمامنا أمر نستقبله له وجوه وألوان إنها فتنة نستقبلها سيخرج الثالوث طلحة والزبير وأم المؤمنين وسيخرج الخوارج وسيخرج معاوية وهي فتن صعبة ومحن مريرة لا تصبر عليها القلوب وتتردد فيها العقول.. سيرى الناس أصحاب رسول الله وأم المؤمنين يحملون راية المعارضة ويخرجون لحرب الخليفة.. سيرى الناس هذا المشهد فتضطرب عقولهم وتشوش أفكارهم ويترددون طويلاً في تعيين المحق من المبطل.. وكيف يصبر من لا علم له بالحق ولا خيرة له به.. هناك أمة ستقرأ الحق في الرجال ولا تقرأ الرجال في الحق.. سيرون في عمل بعض الصحابة حجة وينسبون الحق إليهم ولا يقيسون أعمالهم على الحق...

(وإن الآفاق قد أغامت والمحجة قد تنكرت). إن المستقبل م لئلم معتم فيه فتن واضطرابات بل تمرد وخلاف.. فيه حروب ودماء والطريق الصحيحة السليمة قد تشوشت معالمها وطمست آثارها وضل السائرون في متاهاتها وما عليه الإمام هي المحجة والطريق ولكن للأهواء قوة في الإنحراف عنها لا يقوى على مقاومتها أحد...

(واعلموا إني إن أجبتكم ركبت بكم ما أعلم ولم أصغ إلى قول القائل وعتب العاتب). وهذا إنذار لهم وبيان لدوره إن أجابهم إلى البيعة وأضحى خليفة عليهم إنه سيحملهم على علمه بالشريعة وما تلقاه من النبي، فقد عاش مع الرسول فترة طويلة بل هي أطول فترة زمنية عاشها أحد من الصحابة مع النبي وقد تلقى عنه ألف باب من العلم وكل باب يفتح له منه ألف باب فهو بعد هذا على علم بالشريعة المحمدية سيحمل الناس عليها إن تولى الأمر وتقلد الخلافة وعندها لا يستمع إلى أقوال الناس ولا إلى آرائهم المخالفة لرأيه ولن يلتفت إلى العاتبين عليه الذين يريدون أكثر من حقهم ويطلبون أزيد من نصيبهم فيلومونه على عدم إعطائهم ذلك...

(وإن تركتموني فأنا كأحدكم ولعليّ أسمعكم وأطوعكم لمن وليتموه أمركم وأنا

٩٣ ـ ومن خطبة له عليه السلام

وفيها ينبّه أمير المؤمنين على فضله وعلمه ويبين فتنة بني أمية

أمَّا بَعْدَ حَمْدِ اللهِ، والثَّنَاءِ عَلَيْهِ، أيُّهَا النَّاسُ، فَإنِّي فَقَأْتُ[١] عَيْنَ الفِتْنَةِ[٢]، ولمْ يَكُنْ لِيَجْتَرِىءَ[٣] عَلَيْها أحَدٌ غَيْرِي بَعْدَ أنْ مَاجَ[٤] غَيْهَبُهَا[٥]، واشْتَدَّ كَلَبُهَا[٦]. فاسْألُونِي قَبْلَ أنْ تَفْقِدُونِي، فَوَالَّذِي نَفْسي بِيَدِهِ لاَ تَسْألُونِي عَنْ شَيْءٍ فِيمَا بَيْنَكُمْ وَبَيْن السَّاعَةِ، وَلاَ عَنْ فِئَةٍ[٧] تَهْدِي مِئَةً وتَضِلُّ مِئَةً إلاَّ أنْبَأْتُكُمْ بِنَاعِقِهَا[٨] وَقَائِدِهَا وَسَائِقِهَا، ومُنَاخِ[٩] رِكَابِهَا، ومَحَطِّ رِحَالِهَا[١٠]، وَمَنْ يُقْتَلُ مِنْ أهْلِهَا قَتْلاً، ومَنْ يَمُوتُ مِنْهُمْ مَوْتاً، وَلَوْ قَدْ فَقَدْتُمُونِي ونَزَلَتْ بِكُمْ كَرَائِهُ[١١] الأُمُورِ، وَحَوَازِبُ[١٢] الخُطُوبِ[١٣]، لأَطْرَقَ[١٤] كَثِيرٌ مِنَ السَّائِلِينَ، وَفَشِلَ كَثِيرٌ مِنَ المسْؤُولِينَ، وَذَلِك إذَا قَلَّصَتْ[١٥] حَرْبُكُمْ، وَشَمَّرَتْ[١٦] عَنْ سَاقٍ، وَضَاقَتِ الدُّنْيَا عَلَيْكُمْ ضِيقاً، تَستَطِيلُون مَعَهُ أيَّام البَلاَءِ عَلَيْكُمْ، حتَّى يَفْتَحَ اللهُ لِبَقِيَّةِ الأبْرَارِ مِنْكُم.

إنَّ الفِتَنَ إذَا أقْبَلَتْ شَبَّهَتْ[١٧]، وَإذَا أدْبَرَتْ نَبَّهَتْ[١٨]، يُنْكَرْنَ مُقْبِلاَتٍ، ويَعْرَفْنَ مُدْبِرَات، يَحُمْنَ[١٩] حَوْمَ الرِّيَاحِ، يُصِبْنَ بَلَداً وَيُخْطِئْنَ بَلَداً. ألاَ وَإنَّ أخْوَفَ الفِتَنِ عِنْدِي عَلَيكُمْ فِتْنَةُ بَنِي أُمَيَّةَ، فإنَّهَا فِتْنَةٌ عَمْيَاءُ مُظْلِمَةٌ: عَمَّتْ خُطَّتُهَا[٢٠]، وَخَصَّتْ بَلِيَّتُهَا، وَأصَابَ الْبَلاَءُ مَنْ أبْصَرَ فِيهَا، وَأخْطَأ الْبَلاَءُ[٢١] مَنْ عَمِيَ عَنْهَا. وَايْمُ اللهِ لَتَجِدُنَّ بَنِي أُمَيَّةَ لَكُمْ أرْبَابَ سُوْءٍ بَعْدِي، كَالنَّابِ[٢٢] الضَّرُوسِ[٢٣]: تَعْذِمُ[٢٤] بِفِيهَا، وَتَخْبِطُ[٢٥] بِيَدِهَا،

٩٣ ـ ومن خطبة له عليه السلام

وفيها ينبّه أمير المؤمنين على فضله وعلمه ويبين فتنة بني أمية

أمَّا بَعْدَ حَمْدِ اللهِ، والثَّنَاءِ عَلَيْهِ، أيُّهَا النَّاسُ، فَإنِّي فَقَأْتُ[١] عَيْنَ الفِتْنَةِ[٢]، ولمْ يَكُنْ لِيَجْتَرِىءَ[٣] عَلَيْها أحَدٌ غَيْرِي بَعْدَ أنْ مَاجَ[٤] غَيْهَبُهَا[٥]، واشْتَدَّ كَلَبُهَا[٦]. فاسْألُونِي قَبْلَ أنْ تَفْقِدُونِي، فَوَالَّذِي نَفْسي بِيَدِهِ لاَ تَسْألُونِي عَنْ شَيْءٍ فِيمَا بَيْنَكُمْ وَبَيْن السَّاعَةِ، وَلاَ عَنْ فِئَةٍ[٧] تَهْدِي مِئَةً وتَضِلُّ مِئَةً إلاَّ أنْبَأْتُكُمْ بِنَاعِقِهَا[٨] وَقَائِدِهَا وَسَائِقِهَا، ومُنَاخِ[٩] رِكَابِهَا، ومَحَطِّ رِحَالِهَا[١٠]، وَمَنْ يُقْتَلُ مِنْ أهْلِهَا قَتْلاً، ومَنْ يَمُوتُ مِنْهُمْ مَوْتاً، وَلَوْ قَدْ فَقَدْتُمُونِي ونَزَلَتْ بِكُمْ كَرَائِهُ[١١] الأُمُورِ، وَحَوَازِبُ[١٢] الخُطُوبِ[١٣]، لأَطْرَقَ[١٤] كَثِيرٌ مِنَ السَّائِلِينَ، وَفَشِلَ كَثِيرٌ مِنَ المسْؤُولِينَ، وَذَلِك إذَا قَلَّصَتْ[١٥] حَرْبُكُمْ، وَشَمَّرَتْ[١٦] عَنْ سَاقٍ، وَضَاقَتِ الدُّنْيَا عَلَيْكُمْ ضِيقاً، تَستَطِيلُون مَعَهُ أيَّام البَلاَءِ عَلَيْكُمْ، حتَّى يَفْتَحَ اللهُ لِبَقِيَّةِ الأبْرَارِ مِنْكُم.

إنَّ الفِتَنَ إذَا أقْبَلَتْ شَبَّهَتْ[١٧]، وَإذَا أدْبَرَتْ نَبَّهَتْ[١٨]، يُنْكَرْنَ مُقْبِلاَتٍ، ويَعْرَفْنَ مُدْبِرَات، يَحُمْنَ[١٩] حَوْمَ الرِّيَاحِ، يُصِبْنَ بَلَداً وَيُخْطِئْنَ بَلَداً. ألاَ وَإنَّ أخْوَفَ الفِتَنِ عِنْدِي عَلَيكُمْ فِتْنَةُ بَنِي أُمَيَّةَ، فإنَّهَا فِتْنَةٌ عَمْيَاءُ مُظْلِمَةٌ: عَمَّتْ خُطَّتُهَا[٢٠]، وَخَصَّتْ بَلِيَّتُهَا، وَأصَابَ الْبَلاَءُ مَنْ أبْصَرَ فِيهَا، وَأخْطَأ الْبَلاَءُ[٢١] مَنْ عَمِيَ عَنْهَا. وَايْمُ اللهِ لَتَجِدُنَّ بَنِي أُمَيَّةَ لَكُمْ أرْبَابَ سُوْءٍ بَعْدِي، كَالنَّابِ[٢٢] الضَّرُوسِ[٢٣]: تَعْذِمُ[٢٤] بِفِيهَا، وَتَخْبِطُ[٢٥] بِيَدِهَا،

١٢ ـ الحوازب : جمع حازب وهو الأمر الشديد وحزبه الأمر أي دهمه.
١٣ ـ الخطوب : جمع الخطبِ وهو الأمر العظيم.
١٤ ـ اطرقَ : إذا سكت وأقبل ببصره إلى صدره.
١٥ ـ قلّصت : اجتمعت وانضمت.
١٦ ـ شمرت : عن ساقها اشتدت من شمر إذا مر مسرعاً أو من شمر ثوبه إذا رفعه.
١٧ ـ شبّلهت : اشتبه فيها الحق بالباطل.
١٨ ـ نبّهت : ايقظت.
١٩ ـ يحمن : من حام إذا دار.
٢٠ ـ الخُطة : بالضم الأمر، والحال.
٢١ ـ البلاء : الغم، المصيبة، الشر.
٢٢ ـ الناب : الناقة المسّنه.
٢٣ ـ الضروس : السيئة الخلق التي تَعضّ صاحبها.
٢٤ ـ تعذم : تعضّ أو تأكل بجفاء.
٢٥ ـ خبط : البعير الأرض إذا ضربها بيده.
٢٦ ـ تزّين : تضرب.
٢٧ ـ الدر : اللبن.
٢٨ ـ غير ضائر : غير ضار ولا مؤذي.
٢٩ ـ شوهاء : قبيحه.
٣٠ ـ مخشية : مخوفة.
٣١ ـ القطع : جمع قطعة الطائفة من الشيء.
٣٢ ـ علم : دليل يهتدى به.
٣٣ ـ المنجاة : من نجا إذا خلص، ما ارتفع من الأرض، الباعث على النجاة.
٣٤ ـ الأديم : الجلد.
٣٥ ـ السوم : المعاملة بجفاء.
٣٦ ـ الخسف : الذل.
٣٧ ـ العنف : مثلث ضد اللين.
٣٨ ـ مصيرة : أما بمعنى الجوانب، وأما الممزوجة بالصبر وهو عصارة شجر مّر.
٣٩ ـ يحلسهم : يلبسهم الحلس وهو الكساء تحت بردعة البعير.
٤٠ ـ تود : تتمنى، تحب.
٤١ ـ الجزر : القطع.
٤٢ ـ الجزور : الناقة المجزورة.

١٢ ـ الحوازب : جمع حازب وهو الأمر الشديد وحزبه الأمر أي دهمه.
١٣ ـ الخطوب : جمع الخطبِ وهو الأمر العظيم.
١٤ ـ اطرقَ : إذا سكت وأقبل ببصره إلى صدره.
١٥ ـ قلّصت : اجتمعت وانضمت.
١٦ ـ شمرت : عن ساقها اشتدت من شمر إذا مر مسرعاً أو من شمر ثوبه إذا رفعه.
١٧ ـ شبّلهت : اشتبه فيها الحق بالباطل.
١٨ ـ نبّهت : ايقظت.
١٩ ـ يحمن : من حام إذا دار.
٢٠ ـ الخُطة : بالضم الأمر، والحال.
٢١ ـ البلاء : الغم، المصيبة، الشر.
٢٢ ـ الناب : الناقة المسّنه.
٢٣ ـ الضروس : السيئة الخلق التي تَعضّ صاحبها.
٢٤ ـ تعذم : تعضّ أو تأكل بجفاء.
٢٥ ـ خبط : البعير الأرض إذا ضربها بيده.
٢٦ ـ تزّين : تضرب.
٢٧ ـ الدر : اللبن.
٢٨ ـ غير ضائر : غير ضار ولا مؤذي.
٢٩ ـ شوهاء : قبيحه.
٣٠ ـ مخشية : مخوفة.
٣١ ـ القطع : جمع قطعة الطائفة من الشيء.
٣٢ ـ علم : دليل يهتدى به.
٣٣ ـ المنجاة : من نجا إذا خلص، ما ارتفع من الأرض، الباعث على النجاة.
٣٤ ـ الأديم : الجلد.
٣٥ ـ السوم : المعاملة بجفاء.
٣٦ ـ الخسف : الذل.
٣٧ ـ العنف : مثلث ضد اللين.
٣٨ ـ مصبرة : أما بمعنى الجوانب، وأما الممزوجة بالصبر وهو عصارة شجر مّر.
٣٩ ـ يحلسهم : يلبسهم الحلس وهو الكساء تحت بردعة البعير.
٤٠ ـ تود : تتمنى، تحب.
٤١ ـ الجزر : القطع.
٤٢ ـ الجزور : الناقة المجزورة.

(فاسألوني قبل أن تفقدوني). وهذه مقولة اختص بها الإمام وأضحت عنواناً ترمز إليه وتدل عليه طلب أن يسألوه عن كل شيء قبل استشهاده وخروجه من بين أظهرهم ولكن أولئك القوم على ما يبدو كانوا اغبياء سخفاء لم يسألوا عن شيء ينفعهم ويفيدهم وجلّ مسائلهم كانت امتحاناً أو تعنتاً، وهذا العلم من علم رسول الله الذي علمه إياه ومن فضل الله عليه وما اختصه الله به حيث أفاض عليه من علمه. . .

(فوالذي نفسي بيده لا تسألوني عن شيء فيما بينكم وبين الساعة ولا عن فئة تهدي مئة وتضل مئة إلا انبأتكم بناعقها وقائدها وسائقها ومناخ ركابها ومحط رحالها ومن يقتل من أهلها قتلاً ومن يموت منهم موتاً). أقسم بالله الذي يملك نفسه وهو سبحانه يملك نفوس الناس جميعاً إنهم لا يسألونه عن شيء مدة حياتهم وإلى البعث والنشور ولا عن طائفة قليلة تهدي أمة أو تضلهاإلا كان عنده علمها بتفاصيلها وحدودها من صغير الأمور فيها إلى كبيرها من مطلق صوتها ومعلن نفيرها إلى قائدها الذي يحمل راية ضلالها ويأتي بها. . إلى سائقها الذي يدفعها إلى الضلال والانحراف، يعلم علية السلام أين تضع اثقالها وتنزل بخيلها ورجلها كما يعلم من يموت فيها قتلاً ومن يبقى حتى يموت موتاً بدون قتل، إنه عليه السلام يعلم بخصوصيات الأمور وجزئياتها. . .

قال ابن أبي الحديد في شرحه «وكم له[1] من الأخبار بالغيوب الجارية هذا المجرى مما لو أردنا استقصاؤه لكسرنا له كراريس كثيرة وكتب السير تشتمل عليها مشروحة».

أقول: ومن اخباره بالأمور الغيبية وما يجري من الفتن وما يمر على بعض الناس ويحدث لهم مما لا تتحمله العقول ولا تقوم له القلوب من ذلك كان الغلو فيه ورفع منزلته إلى ما لا يجوز. . .

(ولو قد فقدتموني ونزلت بكم كرائه الأمور وحوازب الخطوب لأطرق كثير من السائلين وفشل كثير من المسؤولين). ولو خلي مكاني من بينكم ورحلت عنكم إلى الآخرة ونزلت بكم الأمور التي تكرهها انفسكم ولا تصبر عليها والشدائد الصعبة من المصائب والبلايا عندها يبهت السائل ويسقط ما في يديه ويطرق إلى الأرض مفكراً يمتنع عليه السؤال أما المسؤول فإنه يفشل أمام السؤال ولا يستطيع أن يرد الجواب لعدم معرفته بالأحداث وكيف تجري وما هو حلها. . .

(وذلك إذا قلّصت حربكم وشمّرت عن ساق وضاقت الدنيا عليكم ضيقاً تستطيلون

---

(١) ابن أبي الحديد ج ٧ ص ٥٠.

(فاسألوني قبل أن تفقدوني). وهذه مقولة اختص بها الإمام وأضحت عنواناً ترمز إليه وتدل عليه طلب أن يسألوه عن كل شيء قبل استشهاده وخروجه من بين أظهرهم ولكن أولئك القوم على ما يبدو كانوا اغبياء سخفاء لم يسألوا عن شيء ينفعهم ويفيدهم وجلّ مسائلهم كانت امتحاناً أو تعنتاً، وهذا العلم من علم رسول الله الذي علمه إياه ومن فضل الله عليه وما اختصه الله به حيث أفاض عليه من علمه. . .

(فوالذي نفسي بيده لا تسألوني عن شيء فيما بينكم وبين الساعة ولا عن فئة تهدي مئة وتضل مئة إلا انبأتكم بناعقها وقائدها وسائقها ومناخ ركابها ومحط رحالها ومن يقتل من أهلها قتلاً ومن يموت منهم موتاً). أقسم بالله الذي يملك نفسه وهو سبحانه يملك نفوس الناس جميعاً إنهم لا يسألونه عن شيء مدة حياتهم وإلى البعث والنشور ولا عن طائفة قليلة تهدي أمة أو تضلهاإلا كان عنده علمها بتفاصيلها وحدودها من صغير الأمور فيها إلى كبيرها من مطلق صوتها ومعلن نفيرها إلى قائدها الذي يحمل راية ضلالها ويأتي بها. . إلى سائقها الذي يدفعها إلى الضلال والانحراف، يعلم علية السلام أين تضع اثقالها وتنزل بخيلها ورجلها كما يعلم من يموت فيها قتلاً ومن يبقى حتى يموت موتاً بدون قتل، إنه عليه السلام يعلم بخصوصيات الأمور وجزئياتها. . .

قال ابن أبي الحديد في شرحه «وكم له[1] من الأخبار بالغيوب الجارية هذا المجرى مما لو أردنا استقصاؤه لكسرنا له كراريس كثيرة وكتب السير تشتمل عليها مشروحة».

أقول: ومن اخباره بالأمور الغيبية وما يجري من الفتن وما يمر على بعض الناس ويحدث لهم مما لا تتحمله العقول ولا تقوم له القلوب من ذلك كان الغلو فيه ورفع منزلته إلى ما لا يجوز. . .

(ولو قد فقدتموني ونزلت بكم كرائه الأمور وحوازب الخطوب لأطرق كثير من السائلين وفشل كثير من المسؤولين). ولو خلي مكاني من بينكم ورحلت عنكم إلى الآخرة ونزلت بكم الأمور التي تكرهها انفسكم ولا تصبر عليها والشدائد الصعبة من المصائب والبلايا عندها يبهت السائل ويسقط ما في يديه ويطرق إلى الأرض مفكراً يمتنع عليه السؤال أما المسؤول فإنه يفشل أمام السؤال ولا يستطيع أن يرد الجواب لعدم معرفته بالأحداث وكيف تجري وما هو حلها. . .

(وذلك إذا قلّصت حربكم وشمّرت عن ساق وضاقت الدنيا عليكم ضيقاً تستطيلون

---

(١) ابن أبي الحديد ج ٧ ص ٥٠.

والمصائب وهؤلاء المخصصّون بهذا البلاء هم أهل البيت وشيعتهم والشرفاء من أبناء الأمة ونظرة سريعة إلى قائمة الشهداء في العهد الأموي تجد ما يعجز الحساب عن ضبطه وعده وهل يقدر المرء أن يحسب ما طاله سيف ابن زياد وعمر بن سعد والحجاج ومسرف بن عقبة وغيرهم من عملاء بني أمية وأمرائهم. . .

وأشار إلى أن البلاء والمصيبة حلت بمن أبصر فيها أي رأى الحق لأنه لا يستطيع كتمه بل لا بد له من الجهر به والاعلان عنه وهذا يعرضه إلى بلاء الأمويين وانتقامهم. . .

أما من لم يكن يعرف الحق ولم يقف على المنكر فإنه يسالم الأمور ويسلم ولا يصيبه بلاء أو مصيبة. . .

(وأيم الله لتُجدن بني أمية لكم أرباب سوء بعدي كالناب الضروس تعذم بفيها وتخبط بيدها وتزين برجلها وتمنع درها). أقسم بالله وأخبر أن بني أمية يجعلون أنفسهم كالارباب في أمرهم ونهيهم بحيث يجب اطاعتهم وأمتثال أمرهم وشبههم بالناقة المسنة السيئة الاخلاق التي تعض بفمها وتضرب بيدها وتدفع برجلها وتمنع حالبها من حلبها فهم مثلها من جهة ايذاؤهم للناس واعتداؤهم عليهم وقتلهم لهم ومنعهم العطاء والفيىء وقد مارس بنو أمية أبشع أنواع الظلم والتعدي ومنعوا الناس حقوقهم إلا من رضوا عنه وكان على دينهم وفي خطهم وضمن سياستهم.

(لا يزالون بكم حتى لا يتركوا منكم إلا نافعاً لهم أو غير ضائر بهم). لا يزالون في ظلمهم عليكم ولا يتحولون عن قهركم وإذلالكم بل سيبقون كذلك حتى لا يتركوا منكم إلا عميلاً يخدمهم ويستفيدون منه أو من لا يضرهم ولا يؤثر على حكمهم وسلطانهم. . .

(ولا يزال بلاؤهم عنكم حتى لا يكون انتصار أحدكم منهم إلا كانتصار العبد من ربه والصاحب من مستصحبه). لا يرتفع بلاء الأمويين وعذابهم عن الأمة ولا يمكن للأمة أن تنتصر لنفسها إلا كانتصار العبد من سيده والتابع من متبوعه أي ليس لهم انتصار أو تغيير أبداً أو ليس لهم انتصار إلا الغيبة لهم والكلام عليهم فحسب دون أن يغيروا بفعل أو سلوك كما ذكر ذلك في موضع آخر ويكون نصرة أحدكم كنصرة العبد من سيده إذا شهد أطاعه وإذا غاب اغتابه. . .

(ترد عليكم فتنتهم شوهاءمخشية وقطعاً جاهلية ليس فيها منار هدى ولا علم يرى). إنها فتنة منكرة عقلاً وشرعاً وقبيحة أشد القبح منفره للطباع مبعدة للقلوب، إنها أمواج من أمواج الجاهلية التي أحيتها العصبة الأموية لا تجد فيها معلماً يدل على الخير

والمصائب وهؤلاء المخصصّون بهذا البلاء هم أهل البيت وشيعتهم والشرفاء من أبناء الأمة ونظرة سريعة إلى قائمة الشهداء في العهد الأموي تجد ما يعجز الحساب عن ضبطه وعده وهل يقدر المرء أن يحسب ما طاله سيف ابن زياد وعمر بن سعد والحجاج ومسرف بن عقبة وغيرهم من عملاء بني أمية وأمرائهم. . .

وأشار إلى أن البلاء والمصيبة حلت بمن أبصر فيها أي رأى الحق لأنه لا يستطيع كتمه بل لا بد له من الجهر به والاعلان عنه وهذا يعرضه إلى بلاء الأمويين وانتقامهم. . .

أما من لم يكن يعرف الحق ولم يقف على المنكر فإنه يسالم الأمور ويسلم ولا يصيبه بلاء أو مصيبة. . .

(وأيم الله لتُجدن بني أمية لكم أرباب سوء بعدي كالناب الضروس تعذم بفيها وتخبط بيدها وتزين برجلها وتمنع درها). أقسم بالله وأخبر أن بني أمية يجعلون أنفسهم كالارباب في أمرهم ونهيهم بحيث يجب اطاعتهم وأمتثال أمرهم وشبههم بالناقة المسنة السيئة الاخلاق التي تعض بفمها وتضرب بيدها وتدفع برجلها وتمنع حالبها من حلبها فهم مثلها من جهة ايذاؤهم للناس واعتداؤهم عليهم وقتلهم لهم ومنعهم العطاء والفيىء وقد مارس بنو أمية أبشع أنواع الظلم والتعدي ومنعوا الناس حقوقهم إلا من رضوا عنه وكان على دينهم وفي خطهم وضمن سياستهم.

(لا يزالون بكم حتى لا يتركوا منكم إلا نافعاً لهم أو غير ضائر بهم). لا يزالون في ظلمهم عليكم ولا يتحولون عن قهركم وإذلالكم بل سيبقون كذلك حتى لا يتركوا منكم إلا عميلاً يخدمهم ويستفيدون منه أو من لا يضرهم ولا يؤثر على حكمهم وسلطانهم. . .

(ولا يزال بلاؤهم عنكم حتى لا يكون انتصار أحدكم منهم إلا كانتصار العبد من ربه والصاحب من مستصحبه). لا يرتفع بلاء الأمويين وعذابهم عن الأمة ولا يمكن للأمة أن تنتصر لنفسها إلا كانتصار العبد من سيده والتابع من متبوعه أي ليس لهم انتصار أو تغيير أبداً أو ليس لهم انتصار إلا الغيبة لهم والكلام عليهم فحسب دون أن يغيروا بفعل أو سلوك كما ذكر ذلك في موضع آخر ويكون نصرة أحدكم كنصرة العبد من سيده إذا شهد أطاعه وإذا غاب اغتابه. . .

(ترد عليكم فتنتهم شوهاءمخشية وقطعاً جاهلية ليس فيها منار هدى ولا علم يرى). إنها فتنة منكرة عقلاً وشرعاً وقبيحة أشد القبح منفره للطباع مبعدة للقلوب، إنها أمواج من أمواج الجاهلية التي أحيتها العصبة الأموية لا تجد فيها معلماً يدل على الخير

٩٤ ـ ومن خطبة له عليه السلام

وفيها يصف الله تعالى ثم يبين فضل الرسول الكريم وأهل بيته ثم يعظ الناس

الله تعالى

فَتَبَارَكَ[١] اللهُ الَّذِي لاَ يَبْلُغُهُ[٢] بُعْدُ الهِمَمِ[٣]، وَلاَ يَنَالُهُ[٤] حَدْسُ[٥] الفِطَنِ[٦]، الأَوَّلُ الَّذِي لاَ غَايَةَ لَهُ فَيَنْتَهِيَ، وَلاَ آخِرَ لَه فَيَنْقَضِيَ.

ومنها في وصف الأنبياء

فَاسْتَوْدَعَهُمْ[٧] فِي أَفْضَلِ مُسْتَوْدَعٍ، وَأَقَرَّهُمْ[٨] فِي خَيْرِ مُسْتَقَرٍّ، تَنَاسَخَتْهُمْ[٩] كَرَائِمُ الأَصْلاَبِ[١٠] إِلَى مُطَهَّرَاتِ الأَرْحَامِ[١١]؛ كُلَّمَا مَضَى مِنْهُمْ سَلَفٌ[١٢]، قَامَ مِنْهُمْ بِدِينِ اللهِ خَلَفٌ[١٣].

رسول الله وآل بيته

حَتَّى أَفْضَتْ[١٤] كَرَامَةُ اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى إِلَى مُحَمَّدٍ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ؛ فَأَخْرَجَهُ مِنْ أَفْضَلِ المَعَادِنِ مَنْبِتاً[١٥]، وَأَعَزِّ الأَرُومَاتِ[١٦] مَغْرِساً[١٧]؛ مِنَ الشَّجَرَةِ الَّتِي صَدَعَ[١٨] مِنْهَا أَنْبِيَاءَهُ، وَانْتَجَبَ[١٩] مِنْهَا أُمَنَاءَهُ. عِتْرَتُهُ خَيْرُ العِتَرِ[٢٠]، وَأُسْرَتُهُ خَيْرُ الأُسَرِ[٢١]، وَشَجَرَتُهُ خَيْرُ الشَّجَرِ؛ نَبَتَتْ فِي حَرَمٍ[٢٢]؛ وَبَسَقَتْ[٢٣] فِي كَرَمٍ؛ لَهَا فُرُوعٌ طِوَالٌ؛ وَثَمَرٌ لاَ يُنَالُ؛ فَهُوَ إِمَامُ مَنِ اتَّقَى، وَبَصِيرَةُ[٢٤] مَنِ اهْتَدَى، سِرَاجٌ لَمَعَ[٢٥] ضَوْؤُهُ، وَشِهَابٌ سَطَعَ نُورُهُ، وَزَنْدٌ بَرَقَ لَمْعُهُ؛ سِيرَتُهُ القَصْدُ، وَسُنَّتُهُ الرُّشْدُ[٣٠]، وَكَلاَمُهُ الفَصْلُ[٣١]،

٩٤ ـ ومن خطبة له عليه السلام

وفيها يصف الله تعالى ثم يبين فضل الرسول الكريم وأهل بيته ثم يعظ الناس

الله تعالى

فَتَبَارَكَ[١] اللهُ الَّذِي لاَ يَبْلُغُهُ[٢] بُعْدُ الهِمَمِ[٣]، وَلاَ يَنَالُهُ[٤] حَدْسُ[٥] الفِطَنِ[٦]، الأَوَّلُ الَّذِي لاَ غَايَةَ لَهُ فَيَنْتَهِيَ، وَلاَ آخِرَ لَه فَيَنْقَضِيَ.

ومنها في وصف الأنبياء

فَاسْتَوْدَعَهُمْ[٧] فِي أَفْضَلِ مُسْتَوْدَعٍ، وَأَقَرَّهُمْ[٨] فِي خَيْرِ مُسْتَقَرٍّ، تَنَاسَخَتْهُمْ[٩] كَرَائِمُ الأَصْلاَبِ[١٠] إِلَى مُطَهَّرَاتِ الأَرْحَامِ[١١]؛ كُلَّمَا مَضَى مِنْهُمْ سَلَفٌ[١٢]، قَامَ مِنْهُمْ بِدِينِ اللهِ خَلَفٌ[١٣].

رسول الله وآل بيته

حَتَّى أَفْضَتْ[١٤] كَرَامَةُ اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى إِلَى مُحَمَّدٍ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ؛ فَأَخْرَجَهُ مِنْ أَفْضَلِ المَعَادِنِ مَنْبِتاً[١٥]، وَأَعَزِّ الأَرُومَاتِ[١٦] مَغْرِساً[١٧]؛ مِنَ الشَّجَرَةِ الَّتِي صَدَعَ[١٨] مِنْهَا أَنْبِيَاءَهُ، وَانْتَجَبَ[١٩] مِنْهَا أُمَنَاءَهُ. عِتْرَتُهُ خَيْرُ العِتَرِ[٢٠]، وَأُسْرَتُهُ خَيْرُ الأُسَرِ[٢١]، وَشَجَرَتُهُ خَيْرُ الشَّجَرِ؛ نَبَتَتْ فِي حَرَمٍ[٢٢]؛ وَبَسَقَتْ[٢٣] فِي كَرَمٍ؛ لَهَا فُرُوعٌ طِوَالٌ؛ وَثَمَرٌ لاَ يُنَالُ؛ فَهُوَ إِمَامُ مَنِ اتَّقَى، وَبَصِيرَةُ[٢٤] مَنِ اهْتَدَى، سِرَاجٌ لَمَعَ[٢٥] ضَوْؤُهُ، وَشِهَابٌ سَطَعَ نُورُهُ، وَزَنْدٌ بَرَقَ لَمْعُهُ؛ سِيرَتُهُ ٱلْقَصْدُ، وَسُنَّتُهُ الرُّشْدُ[٣٠]، وَكَلاَمُهُ الفَصْلُ[٣١]،

١٧ ـ المغرس : موضع الغرس.
١٨ ـ صدع : إليه مال إليه؟ وعنه كف، ومنه شق وأخرج.
١٩ ـ انتجب : اختار واصطفى.
٢٠ ـ العترة : أهل الرجل وأقرب الناس إليه.
٢١ ـ الأسرة : جمعها أسر أهل بيت الرجل وأقرب الناس إليه.
٢٢ ـ الحرم : ما يحميه الرجل ويدافع عنه، ما لا يحل انتهاكه، والحرمان مكة والمدينة.
٢٣ ـ بسقت : ارتفعت.
٢٤ ـ البصيرة : في الداخل كالبصر في الخارج.
٢٥ ـ لمع : البرق إذا أضاء.
٢٦ ـ الشهاب : كل شيء مضيء.
٢٧ ـ سطع : ارتفع.
٢٨ ـ الزند : العود الذي يقدح به لإخراج النار.
٢٩ ـ القصد : الاستقامة.
٣٠ ـ الرشد : ضد الغي، الاستقامة على طريق الحق.
٣١ ـ الفصل : الفاصل والفارق بين الحق والباطل.
٣٢ ـ الفترة : الزمان بين الرسولين.
٣٣ ـ الهفوة : الزلة.
٣٤ ـ الغباوة : الجهل وقلة الفطنة.
٣٥ ـ أعلام : جمع علم وهو الراية، ما ينصب ليهتدى به.
٣٦ ـ نهج : واضح قويم.
٣٧ ـ دار السلام : الجنة.
٣٨ ـ مستعتب : بفتح التائين طلب العتبى أي طلب الرضى.
٣٩ ـ المهل : عدم العجلة، الرفق، التوءدة.

الشرح

(فتبارك الله الذي لا يبلغه بعد الهمم ولا يناله حدس الفطن). تعالى الله وتعاظم عن صفات المخلوقين الذي لا تدركه العزائم الكبيرة والأفكار العالية وتعجز عن إدراك كنهه ولا تصل إلى شيء من خصائصه الواقعية، والأذهان مهما كانت في جودتها عالية وفي

١٧ ـ المغرس : موضع الغرس.
١٨ ـ صدع : إليه مال إليه؟ وعنه كف، ومنه شق وأخرج.
١٩ ـ انتجب : اختار واصطفى.
٢٠ ـ العترة : أهل الرجل وأقرب الناس إليه.
٢١ ـ الأسرة : جمعها أسر أهل بيت الرجل وأقرب الناس إليه.
٢٢ ـ الحرم : ما يحميه الرجل ويدافع عنه، ما لا يحل انتهاكه، والحرمان مكة والمدينة.
٢٣ ـ بسقت : ارتفعت.
٢٤ ـ البصيرة : في الداخل كالبصر في الخارج.
٢٥ ـ لمع : البرق إذا أضاء.
٢٦ ـ الشهاب : كل شيء مضيء.
٢٧ ـ سطع : ارتفع.
٢٨ ـ الزند : العود الذي يقدح به لإخراج النار.
٢٩ ـ القصد : الاستقامة.
٣٠ ـ الرشد : ضد الغي، الاستقامة على طريق الحق.
٣١ ـ الفصل : الفاصل والفارق بين الحق والباطل.
٣٢ ـ الفترة : الزمان بين الرسولين.
٣٣ ـ الهفوة : الزلة.
٣٤ ـ الغباوة : الجهل وقلة الفطنة.
٣٥ ـ أعلام : جمع علم وهو الراية، ما ينصب ليهتدى به.
٣٦ ـ نهج : واضح قويم.
٣٧ ـ دار السلام : الجنة.
٣٨ ـ مستعتب : بفتح التائين طلب العتبى أي طلب الرضى.
٣٩ ـ المهل : عدم العجلة، الرفق، التوءدة.

الشرح

(فتبارك الله الذي لا يبلغه بعد الهمم ولا يناله حدس الفطن). تعالى الله وتعاظم عن صفات المخلوقين الذي لا تدركه العزائم الكبيرة والأفكار العالية وتعجز عن إدراك كنهه ولا تصل إلى شيء من خصائصه الواقعية، والأذهان مهما كانت في جودتها عالية وفي

وقد فسّر النبي ذلك في حديث الثقلين المتواتر عند المسلمين حيث قال: «إني مخلّف فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي وإنهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض».

وأسرته وهم الهاشميون خير الأسر ومن الثابت أن بني هاشم تمتعوا بأفضل الصفات وأجلها.

وأما شجرته خير الشجر فيريد أنه من أفضل الأصول وأكرمها وهو إبراهيم وإسماعيل وهل هناك أفضل من خليل الله إبراهيم شيخ الأنبياء...

(نبتت في حرم وبسقت في كرم). فقد كان مولد النبي في مكة وهي حرم الله وتربت وتمت في عز وعلو وشموخ.

(لها فروع طوال وثمر لا ينال). ففروعها الأئمة الهداة أصحاب الشرف ومنتهى الكمال وأن علومهم ومكارم أخلاقهم لا يمكن إدراكها أو الوصول إليها لدقتها وعظمتها وعمقها ورقتها...

(فهو إمام من أتقى وبصيرة من اهتدى). فكل تقي يتخذ الرسول قدوة له وأسوة على طريقته يمشي ومن تقاه يتزود.

كما أن من اهتدى إلى الحق وأدركه ووصل إليه فهو عن طريق النبي وبإرشاده وتوجيهه وهدايته...

(سراج لمع ضوؤه وشهاب سطع نوره وزند برق لمعه). فالسراج إذا لمع ضوؤه اهتدى إليه الناس وأنسوا بوجوده والشهاب كذلك والزند وهو ما يخرج منه النار فإن هذه تتلفت إليها الأنظار عند حدوثها وترتاح إليها وتستأنس وترى فيها الخير فكذلك رسول الله عندما جاء جاءت الهداية والخير والبركة...

(سيرته القصد). فهو بسلوكه على محور الاعتدال لا إفراط ولا تفريط.

(وسنته الرشد). الحكمة والصواب وما هو جدير به وحقيق.

(وكلامه الفصل). كلامه يفصل بين الحق والباطل إذا وقع خلاف أو نزاع فهو الحاكم العادل الذي عن يديه تسترد الحقوق وتسترجع المظالم.

(وحكمه العدل). فإذا حكم بحكم كان حكمه عدلاً لا جور فيه وهو الذي قال لمن قال له: اعدل يا محمد قال له: ويلك ومن يعدل إن لم أعدل أنا...

(أرسله على حين فترة من الرسل وهفوة عن العمل وغباوة من الأمم). أرسله بعد

وقد فسّر النبي ذلك في حديث الثقلين المتواتر عند المسلمين حيث قال: «إني مخلّف فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي وإنهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض».

وأسرته وهم الهاشميون خير الأسر ومن الثابت أن بني هاشم تمتعوا بأفضل الصفات وأجلها.

وأما شجرته خير الشجر فيريد أنه من أفضل الأصول وأكرمها وهو إبراهيم وإسماعيل وهل هناك أفضل من خليل الله إبراهيم شيخ الأنبياء...

(**نبتت في حرم وبسقت في كرم**). فقد كان مولد النبي في مكة وهي حرم الله وتربت وتمت في عز وعلو وشموخ.

(**لها فروع طوال وثمر لا ينال**). ففروعها الأئمة الهداة أصحاب الشرف ومنتهى الكمال وأن علومهم ومكارم أخلاقهم لا يمكن إدراكها أو الوصول إليها لدقتها وعظمتها وعمقها ورقتها...

(**فهو إمام من أتقى وبصيرة من اهتدى**). فكل تقي يتخذ الرسول قدوة له وأسوة على طريقته يمشي ومن تقاه يتزود.

كما أن من اهتدى إلى الحق وأدركه ووصل إليه فهو عن طريق النبي وبإرشاده وتوجيهه وهدايته...

(**سراج لمع ضوؤه وشهاب سطع نوره وزند برق لمعه**). فالسراج إذا لمع ضوؤه اهتدى إليه الناس وأنسوا بوجوده والشهاب كذلك والزند وهو ما يخرج منه النار فإن هذه تتلفت إليها الأنظار عند حدوثها وترتاح إليها وتستأنس وترى فيها الخير فكذلك رسول الله عندما جاء جاءت الهداية والخير والبركة...

(**سيرته القصد**). فهو بسلوكه على محور الاعتدال لا إفراط ولا تفريط.

(**وسنته الرشد**). الحكمة والصواب وما هو جدير به وحقيق.

(**وكلامه الفصل**). كلامه يفصل بين الحق والباطل إذا وقع خلاف أو نزاع فهو الحاكم العادل الذي عن يديه تسترد الحقوق وتسترجع المظالم.

(**وحكمه العدل**). فإذا حكم بحكم كان حكمه عدلاً لا جور فيه وهو الذي قال لمن قال له: اعدل يا محمد قال له: ويلك ومن يعدل إن لم أعدل أنا...

(**أرسله على حين فترة من الرسل وهفوة عن العمل وغباوة من الأمم**). أرسله بعد

أما إذا مرضت الأبدان وخرست الألسن فكيف يقدر المرء على إدراك حظه من النجاح أو على تحقيق رضى الله . . .

(**والتوبة مسموعة والأعمال مقبولة**). وهذه من مرغبات العمل والرجوع إلى الله إننا ونحن في دار الدنيا إذا عدنا إلى الله ورجعنا عن ذنوبنا وتحققت التوبة الصادقة منا كانت مقبولة ﴿**هو الذي يقبل التوبة عن عباده**﴾ بل هو الذي قال: ﴿**توبوا إلى الله توبة نصوحا**﴾ والأعمال التي نصلح بها الخلل مقبولة يرضاها الله ويقبلها يكفر بها عنا السيئات ويدخلنا بها الجنات . . .

أما إذا مرضت الأبدان وخرست الألسن فكيف يقدر المرء على إدراك حظه من النجاح أو على تحقيق رضى الله . . .

(والتوبة مسموعة والأعمال مقبولة). وهذه من مرغبات العمل والرجوع إلى الله إننا ونحن في دار الدنيا إذا عدنا إلى الله ورجعنا عن ذنوبنا وتحققت التوبة الصادقة منا كانت مقبولة **﴿هو الذي يقبل التوبة عن عباده﴾** بل هو الذي قال: **﴿توبوا إلى الله توبة نصوحا﴾** والأعمال التي نصلح بها الخلل مقبولة يرضاها الله ويقبلها يكفر بها عنا السيئات ويدخلنا بها الجنات . . .

فعندما بعث الله نبيه محمداً إلى الناس كانوا في انحراف وتيه لا يهتدون السبيل ولا يدركون ما ينفع مما يضر يجمعون البدع ويلمون الرذائل ولا يتورعون عن معصية أو إثم، كانوا يجمعون ما يصل إليهم من أقوال وأفعال دون أن يعرفوا النافع من الضار والصحيح من السقيم والحق من الباطل.

(**قد استهوتهم الأهواء واستزلتهم الكبرياء واستخفتهم الجاهلية الجهلاء**). هذه بعض أعمالهم ونبذة من تصرفاتهم لقد جذبتهم الأهواء إليها فكل يمشي على مقتضى هواه وما يرغب فيه وإن كان فيه فساد الأوضاع واضطراب الأحوال، جذبتهم أهواؤهم إلى الرذيلة وشدتهم إلى المعصية.

وأما كبرياؤهم فقد قادتهم إلى الإنحراف والخطأ فكان أحدهم من أجل ناقة يضرمها حرباً شعواء تأكل الأخضر واليابس تمشياً منه مع كبريائه واستعظامه لنفسه.

وأما الجاهلية المظلمة القاتمة فقد أخذتهم إلى حيث لا يجوز من الغارات والفساد والظلم والاعتداء، لقد أخذت عقولهم وأضعفتها عن إدراك منافعهم وما يفيدهم...

(**حيارى في زلزال من الأمر وبلاء من الجهل**). وهذه أيضاً بعض خصالهم وما كانوا عليه، إنهم كانوا في حيرة واضطراب من شؤونهم لا يملكون رؤية واضحة يهتدون بها إلى الحق وإلى ما يصلحهم ويفيدهم.

وأما الجهل فهو سبب بلائهم ومصائبهم لأن الأمة الواعية المتعلمة المثقفة تستطيع بما عندها من رصيد علمي أن تتلافى أخطاءها وتقف على مصالحها وما ينفعها والعرب كانوا في جهل وعمى...

(**فبالغ صلى الله عليه وآله في النصيحة ومضى على الطريقة ودعا إلى الحكمة والموعظة الحسنة**). جهد بكل طاقاته ليوفر للأمة ما يرشدها ويصلحها وينفعها وبذل ما في وسعه حتى لم يعذّب)نبي كما عُذّب)من أجلهم ومن أجل هدايتهم وقد ذهب إلى ربه على ما شرّع وبيّن وعلى ما سنّ للناس فكل حق أمر به كان ينفذه على نفسه وكل باطل نهى عنه كان أول من يبعد عنه، لم يخالف عمله ما شرّعه وسنه ونطق به وقاله...

ودعا إلى ربه بالحكمة والموعظة الحسنة كما أمره الله حيث خاطبه قائلا: ﴿**ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين**﴾ وقد كان النبي بحكمته وحسن موعظته دافعاً للناس إلى دخولهم في دين الله والالتزام بشرع الله.

فعندما بعث الله نبيه محمداً إلى الناس كانوا في انحراف وتيه لا يهتدون السبيل ولا يدركون ما ينفع مما يضر يجمعون البدع ويلمون الرذائل ولا يتورعون عن معصية أو إثم، كانوا يجمعون ما يصل إليهم من أقوال وأفعال دون أن يعرفوا النافع من الضار والصحيح من السقيم والحق من الباطل.

(قد استهوتهم الأهواء واستزلتهم الكبرياء واستخفتهم الجاهلية الجهلاء). هذه بعض أعمالهم ونبذة من تصرفاتهم لقد جذبتهم الأهواء إليها فكل يمشي على مقتضى هواه وما يرغب فيه وإن كان فيه فساد الأوضاع واضطراب الأحوال، جذبتهم أهواؤهم إلى الرذيلة وشدتهم إلى المعصية.

وأما كبرياؤهم فقد قادتهم إلى الإنحراف والخطأ فكان أحدهم من أجل ناقة يضرمها حرباً شعواء تأكل الأخضر واليابس تمشياً منه مع كبريائه واستعظامه لنفسه.

وأما الجاهلية المظلمة القاتمة فقد أخذتهم إلى حيث لا يجوز من الغارات والفساد والظلم والاعتداء، لقد أخذت عقولهم وأضعفتها عن إدراك منافعهم وما يفيدهم...

(حيارى في زلزال من الأمر وبلاء من الجهل). وهذه أيضاً بعض خصالهم وما كانوا عليه، إنهم كانوا في حيرة واضطراب من شؤونهم لا يملكون رؤية واضحة يهتدون بها إلى الحق وإلى ما يصلحهم ويفيدهم.

وأما الجهل فهو سبب بلائهم ومصائبهم لأن الأمة الواعية المتعلمة المثقفة تستطيع بما عندها من رصيد علمي أن تتلافى أخطاءها وتقف على مصالحها وما ينفعها والعرب كانوا في جهل وعمى...

(فبالغ صلى الله عليه وآله في النصيحة ومضى على الطريقة ودعا إلى الحكمة والموعظة الحسنة). جهد بكل طاقاته ليوفر للأمة ما يرشدها ويصلحها وينفعها وبذل ما في وسعه حتى لم يعذّب نبي كما عُذّب من أجلهم ومن أجل هدايتهم وقد ذهب إلى ربه على ما شرّع وبيّن وعلى ما سنّ للناس فكل حق أمر به كان ينفذه على نفسه وكل باطل نهى عنه كان أول من يبعد عنه، لم يخالف عمله ما شرّعه وسنه ونطق به وقاله...

ودعا إلى ربه بالحكمة والموعظة الحسنة كما أمره الله حيث خاطبه قائلا: ﴿**ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين**﴾ وقد كان النبي بحكمته وحسن موعظته دافعاً للناس إلى دخولهم في دين الله والالتزام بشرع الله.

٧ ـ **الضغائن** : الأحقاد.
٨ ـ **الثوائر** : جمع ثائرة العداوة والمخاصمة.
٩ ـ **ألف** : جمع الشيء ووصل بعضه ببعض، وحدّ.
١٠ ـ **الأقران** : النظراء، والأكفاء.

الشرح

(الحمد لله الأول فلا شيء قبله والآخر فلا شيء بعده والظاهر فلا شيء فوقه والباطن فلا شيء دونه). صدّر هذه الخطبة في الثناء على الله وقد أثنى عليه بأمور الأول فلا شيء قبله كان ولم يكن معه أحد والآخر فلا شيء بعده يبقى ويفنى كل شيء والظاهر وهو الغالب فلا غالب يغلبه أو يراد بالظاهر أنه في وجوده لا يحتاج إلى براهين وأدلة.

والباطن العالم بخفايا الأمور ودقائقها ولا يعزب عن علمه شيء أو إن حقيقته لا تدرك كما هي وكما يجب...

(مستقره خير مستقر ومنبته أشرف منبت في معادن الكرامة ومماهد السلامة). في هذا الفصل يذكر النبي الأكرم وبعض مناقبه ومآثره وما كان له من يد كريمة على هذه الأمة... مستقره خير مستقر يراد به مكة لأنها أشرف بقاع الأرض وأطهرها ومراده بمنبته محل ولادته وهي مكة أيضاً ويمكن أن يكون مراده بالمنبت نسبه الشريف وأنه طهر طاهر من أطهار...

في معادن الكرامة ومماهد السلامة يراد أنه خرج من أصول كريمة لم تدنس بعهر أو فجور وفيها السلامة من كل العيوب التي تحط من قدر الإنسان ومنزلته.

(قد صرفت نحوه أفئدة الأبرار وثنيت إليه أزمة الأبصار). قد توجهت إليه القلوب الطيبة الوفية الصادقة التي تتأثر بكل طيب وخير وعطفت إليه الأبصار فراحت تنظر إلى فضله وكرمه وما يتمتع به(تنجذب نحوه قهراً عنها ويشدها إليه ما هو فيه من صفات الكمال والعظمة...

(دفن الله به الضغائن وأطفأ به الثوائر). ما كان من أحقاد بين الناس فقد قضى عليها النبي ودفنها إلى الأبد ونموذجاً لذلك ما كان يقع بين الأوس والخزرج وما جرى بينهما من حروب وثأر فلما جاء النبي وآمنوا به ماتت تلك الأحقاد وطويت تلك الصفحة

٧ ـ **الضغائن** : الأحقاد.
٨ ـ **الثوائر** : جمع ثائرة العداوة والمخاصمة.
٩ ـ **ألف** : جمع الشيء ووصل بعضه ببعض، وحدّ.
١٠ ـ **الأقران** : النظراء، والأكفاء.

الشرح

(الحمد لله الأول فلا شيء قبله والآخر فلا شيء بعده والظاهر فلا شيء فوقه والباطن فلا شيء دونه). صدّر هذه الخطبة في الثناء على الله وقد أثنى عليه بأمور الأول فلا شيء قبله كان ولم يكن معه أحد والآخر فلا شيء بعده يبقى ويفنى كل شيء والظاهر وهو الغالب فلا غالب يغلبه أو يراد بالظاهر أنه في وجوده لا يحتاج إلى براهين وأدلة.

والباطن العالم بخفايا الأمور ودقائقها ولا يعزب عن علمه شيء أو إن حقيقته لا تدرك كما هي وكما يجب...

(مستقره خير مستقر ومنبته أشرف منبت في معادن الكرامة ومماهد السلامة). في هذا الفصل يذكر النبي الأكرم وبعض مناقبه ومآثره وما كان له من يد كريمة على هذه الأمة... مستقره خير مستقر يراد به مكة لأنها أشرف بقاع الأرض وأطهرها ومراده بمنبته محل ولادته وهي مكة أيضاً ويمكن أن يكون مراده بالمنبت نسبه الشريف وأنه طهر طاهر من أطهار...

في معادن الكرامة ومماهد السلامة يراد أنه خرج من أصول كريمة لم تدنس بعهر أو فجور وفيها السلامة من كل العيوب التي تحط من قدر الإنسان ومنزلته.

(قد صرفت نحوه أفئدة الأبرار وثنيت إليه أزمة الأبصار). قد توجهت إليه القلوب الطيبة الوفية الصادقة التي تتأثر بكل طيب وخير وعطفت إليه الأبصار فراحت تنظر إلى فضله وكرمه وما يتمتع به(تنجذب نحوه قهراً عنها ويشدها إليه ما هو فيه من صفات الكمال والعظمة...

(دفن الله به الضغائن وأطفأ به الثوائر). ما كان من أحقاد بين الناس فقد قضى عليها النبي ودفنها إلى الأبد ونموذجاً لذلك ما كان يقع بين الأوس والخزرج وما جرى بينهما من حروب وثأر فلما جاء النبي وآمنوا به ماتت تلك الأحقاد وطويت تلك الصفحة

٩٧ ـ ومن خطبة له عليه السلام

في أصحابه وأصحاب رسول الله

أصحاب علي

وَلَئِنْ أَمْهَلَ[١] الظَّالِمَ فَلَنْ يَفُوتَ[٢] أَخْذُهُ، وَهُوَ لَهُ بِالمِرْصَادِ[٣] عَلَى مجَازِ[٤] طَرِيقِهِ، وَبِمَوْضِعِ الشَّجَا[٥] مِنْ مَسَاغِ[٦] رِيقِهِ[٧]. أَمَا وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَيَظْهَرَنَّ هؤُلَاءِ القَوْمُ عَلَيْكُمْ، لَيْسَ لأَنَّهُمْ أَوْلَى[٨] بِالحَقِّ مِنْكُمْ، وَلَكِنْ لإِسْرَاعِهِمْ إِلَى بَاطِلِ صَاحِبِهِمْ، وَإِبْطَائِكُمْ[٩] عَنْ حَقِّي. وَلَقَدْ أَصْبَحَتِ الأُمَمُ تَخَافُ ظُلْمَ رُعَاتِهَا[١٠]، وَأَصْبَحْتُ أَخَافُ ظُلْمَ رَعِيَّتِي. اسْتَنْفَرْتُكُمْ[١١] لِلْجِهَادِ فَلَمْ تَنْفِرُوا، وَأَسْمَعْتُكُمْ فَلَمْ تَسْمَعُوا، وَدَعَوْتُكُمْ سِرًّا وَجَهْراً فَلَمْ تَسْتَجِيبُوا، وَنَصَحْتُ لَكُمْ فَلَمْ تَقْبَلُوا، أَشُهُودٌ[١٢] كَغُيَّابٍ[١٣]، وَعَبِيدٌ كَأَرْبَابٍ! أَتْلُو عَلَيْكُمُ الحِكَمَ فَتَنْفِرُونَ[١٤] مِنْهَا، وَأَعِظُكُمْ بِالمَوْعِظَةِ البَالِغَةِ فَتَتَفَرَّقُونَ عَنْهَا، وَأَحُثُّكُمْ[١٥] عَلَى جِهَادِ أَهْلِ البَغْيِ[١٦] فَمَا آتِي عَلَى آخِرِ قَوْلِي حَتَّى أَرَاكُمْ مُتَفَرِّقِينَ أَيَادِيَ سَبَا[١٧]. تَرْجِعُونَ إِلَى مَجَالِسِكُمْ، وَتَتَخَادَعُونَ[١٨] عَنْ مَوَاعِظِكُمْ، أُقَوِّمُكُمْ[١٩] غُدْوَةً[٢٠]، وَتَرْجِعُونَ إِلَيَّ عَشِيَّةً[٢١]، كَظَهْرِ الحَنِيَّةِ[٢٢]، عَجَزَ المُقَوَّمُ، وَأَعْضَلَ[٢٣] المُقَوَّمُ.

أَيُّهَا القَوْمُ الشَّاهِدَةُ أَبْدَانُهُمْ[٢٤]، الغَائِبَةُ عَنْهُمْ عُقُولُهُمْ، المُخْتَلِفَةُ أَهْوَاؤُهُمْ، المُبْتَلَى بِهِمْ أُمَرَاؤُهُمْ. صَاحِبُكُمْ يُطِيعُ اللهَ وَأَنْتُمْ تَعْصُونَهُ، وَصَاحِبُ أَهْلِ الشَّامِ يَعْصِي اللهَ وَهُمْ يُطِيعُونَهُ. لَوَدِدْتُ[٢٥] وَاللهِ أَنَّ مُعَاوِيَةَ

٩٧ ـ ومن خطبة له عليه السلام

في أصحابه وأصحاب رسول الله

أصحاب علي

وَلَئِنْ أَمْهَلَ[١] الظَّالِمَ فَلَنْ يَفُوتَ[٢] أَخْذُهُ، وَهُوَ لَهُ بِالمِرْصَادِ[٣] عَلَى مجَازِ[٤] طَرِيقِهِ، وَبِمَوْضِعِ الشَّجَا[٥] مِنْ مَسَاغِ[٦] رِيقِهِ[٧]. أَمَا وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَيَظْهَرَنَّ هؤُلَاءِ القَوْمُ عَلَيْكُمْ، لَيْسَ لأَنَّهُمْ أَوْلَى[٨] بِالحَقِّ مِنْكُمْ، وَلَكِنْ لإِسْرَاعِهِمْ إِلَى بَاطِلِ صَاحِبِهِمْ، وَإِبْطَائِكُمْ[٩] عَنْ حَقِّي. وَلَقَدْ أَصْبَحَتِ الأُمَمُ تَخَافُ ظُلْمَ رُعَاتِهَا[١٠]، وَأَصْبَحْتُ أَخَافُ ظُلْمَ رَعِيَّتِي. اسْتَنْفَرْتُكُمْ[١١] لِلْجِهَادِ فَلَمْ تَنْفِرُوا، وَأَسْمَعْتُكُمْ فَلَمْ تَسْمَعُوا، وَدَعَوْتُكُمْ سِرًّا وَجَهْراً فَلَمْ تَسْتَجِيبُوا، وَنَصَحْتُ لَكُمْ فَلَمْ تَقْبَلُوا، أَشُهُودٌ[١٢] كَغُيَّابٍ[١٣]، وَعَبِيدٌ كَأَرْبَابٍ! أَتْلُو عَلَيْكُمُ الحِكَمَ فَتَنْفِرُونَ[١٤] مِنْهَا، وَأَعِظُكُمْ بِالمَوْعِظَةِ البَالِغَةِ فَتَتَفَرَّقُونَ عَنْهَا، وَأَحُثُّكُمْ[١٥] عَلَى جِهَادِ أَهْلِ البَغْيِ[١٦] فَمَا آتِي عَلَى آخِرِ قَوْلِي حَتَّى أَرَاكُمْ مُتَفَرِّقِينَ أَيَادِيَ سَبَا[١٧]. تَرْجِعُونَ إِلَى مَجَالِسِكُمْ، وَتَتَخَادَعُونَ[١٨] عَنْ مَوَاعِظِكُمْ، أُقَوِّمُكُمْ[١٩] غُدْوَةً[٢٠]، وَتَرْجِعُونَ إِلَيَّ عَشِيَّةً[٢١]، كَظَهْرِ الحَنِيَّةِ[٢٢]، عَجَزَ المُقَوِّمُ، وَأَعْضَلَ[٢٣] المُقَوَّمُ.

أَيُّهَا القَوْمُ الشَّاهِدَةُ أَبْدَانُهُمْ[٢٤]، الغَائِبَةُ عَنْهُمْ عُقُولُهُمْ، المُخْتَلِفَةُ أَهْوَاؤُهُمْ، المُبْتَلَى بِهِمْ أُمَرَاؤُهُمْ. صَاحِبُكُمْ يُطِيعُ اللهَ وَأَنْتُمْ تَعْصُونَهُ، وَصَاحِبُ أَهْلِ الشَّامِ يَعْصِي اللهَ وَهُمْ يُطِيعُونَهُ. لَوَدِدْتُ[٢٥] وَاللهِ أَنَّ مُعَاوِيَةَ

اللغة

١ ـ أمهل : أخّر.
٢ ـ فات الأمر : مضى، ذهب وقت فعله وفاته الأمر إذا صار لا يستطيع أن يدركه.
٣ ـ المرصاد : الطريق والراصد معناه الرقيب.
٤ ـ المجاز : المسلك.
٥ ـ الشجا : ما يعترض في الحلق من عظم وغيره.
٦ ـ مساغ : ريقه مكانه من ساغ الشراب سهل ممره.
٧ ـ الريق : لعاب الفم.
٨ ـ أولى : أحق.
٩ ـ الإبطاء : ضد الإسراع، التأخير.
١٠ ـ الرعاة : كالرعاء جمع الراعي وهو كل من ولي أمر قوم والقوم رعيته.
١١ ـ استنفرتكم : دعوتكم إلى أن تنفروا أي تسرعوا إلى الجهاد.
١٢ ـ شهود : جمع شاهد الحاضر.
١٣ ـ غيّاب : جمع غائب من لم يكن حاضراً.
١٤ ـ تنفرون : تشردون، تفرون.
١٥ ـ أحثكم : أحضّكم وأنشطكم.
١٦ ـ البغي : الظلم والعدول عن الحق.
١٧ ـ أيادي سبا : مثل يضرب للمتفرقين.
١٨ ـ تتخادعون : من تخادع إذا أري أنه مخدوع وليس به.
١٩ ـ أقومكم : أعدلكم من قومه إذا عدله وأصلح اعوجاجه.
٢٠ ـ الغدوة : جمعها غدًى وغدّو أول النهار أو ما بين الطلوعين.
٢١ ـ العشية : آخر النهار، أول الظلام من المغرب إلى العتمة.
٢٢ ـ الحنية : القوس.
٢٣ ـ أعضل : استصعب واستعصى.
٢٤ ـ الأبدان : الأجساد.
٢٥ ـ وددت : تمنيت.
٢٦ ـ صرف الدينار : أبدله بدراهم أو دينار سواه.
٢٧ ـ منيت : ابتليت.
٢٨ ـ الصمم : علة في الأذن تمنع من السمع.
٢٩ ـ بكم : جمع أبكم الأخرس.

اللغة

١ ـ أمهل : أخّر.
٢ ـ فات الأمر : مضى، ذهب وقت فعله وفاته الأمر إذا صار لا يستطيع أن يدركه.
٣ ـ المرصاد : الطريق والراصد معناه الرقيب.
٤ ـ المجاز : المسلك.
٥ ـ الشجا : ما يعترض في الحلق من عظم وغيره.
٦ ـ مساغ : ريقه مكانه من ساغ الشراب سهل ممره.
٧ ـ الريق : لعاب الفم.
٨ ـ أولى : أحق.
٩ ـ الإبطاء : ضد الإسراع، التأخير.
١٠ ـ الرعاة : كالرعاء جمع الراعي وهو كل من ولي أمر قوم والقوم رعيته.
١١ ـ استنفرتكم : دعوتكم إلى أن تنفروا أي تسرعوا إلى الجهاد.
١٢ ـ شهود : جمع شاهد الحاضر.
١٣ ـ غيّاب : جمع غائب من لم يكن حاضراً.
١٤ ـ تنفرون : تشردون، تفرون.
١٥ ـ أحثكم : أحضّكم وأنشطكم.
١٦ ـ البغي : الظلم والعدول عن الحق.
١٧ ـ أيادي سبا : مثل يضرب للمتفرقين.
١٨ ـ تتخادعون : من تخادع إذا أري أنه مخدوع وليس به.
١٩ ـ أقومكم : أعدلكم من قومه إذا عدله وأصلح اعوجاجه.
٢٠ ـ الغدوة : جمعها غدًى وغدّو أول النهار أو ما بين الطلوعين.
٢١ ـ العشية : آخر النهار، أول الظلام من المغرب إلى العتمة.
٢٢ ـ الحنية : القوس.
٢٣ ـ أعضل : استصعب واستعصى.
٢٤ ـ الأبدان : الأجساد.
٢٥ ـ وددت : تمنيت.
٢٦ ـ صرف الدينار : أبدله بدراهم أو دينار سواه.
٢٧ ـ منيت : ابتليت.
٢٨ ـ الصمم : علة في الأذن تمنع من السمع.
٢٩ ـ بكم : جمع أبكم الأخرس.

مع معاوية ـ هددهم بأن الله يؤخر الظالم فلا يأخذه فوراً عند عمل المعصية بل يتركه حتى يتمادى ويطغى ولكن ذلك لن يفوت الله أخذه بل يأخذه مهما امتد عمره وعمَّر في المعصية وهو على حد «إن الله يمهل ولا يهمل»...

ثم بيّن عليه السلام قرب الله من هذا الإنسان وأنه تحت رقابة الله يعلم بكل حركة وكل كلمة فهو له بالمرصاد كما قال تعالى: ﴿**إن ربك لبالمرصاد**﴾ أي لا يفوته شيء من أعمال هذا الإنسان لأنه يرى ويسمع جميع أقواله وأفعاله ومن كان يراقبك ويرصد حركاتك يعرف عنك أمورك بدقة ويستطيع أخذك...

وأيضاً هو سبحانه يأخذ عليه الطريق التي يسلكها وقادر عليه.

كما أنه سبحانه من جهة قربه منه بموضع ما ينبت في الحلق كما قال تعالى: ﴿**وهو أقرب إليكم من حبل الوريد**﴾ أو إنه يستطيع أن يخلق له ما يؤذيه ويمنعه من الإساغة في حلقه مع سعته...

(**أما والذي نفسي بيده ليظهرن هؤلاء القوم عليكم**). أقسم عليه السلام بالله الذي روحه عليه السلام وروح كل الناس بيده أن معاوية وأتباعه سينتصرون على أهل العراق وهذا من أخباره بالغيب وبما كان عنده من آثار النبوة وأخبار الحق أو بما يظهر من الآثار المرئية عنده ومن المقدمات التي بين يديه التي هي بمستوى اليقين حيث علل هذا الظهور بما يأتي بعد ذلك من اجتماع أهل الشام على باطلهم وتفرق أتباعه عن حقهم...

(**ليس لأنهم أولى بالحق منكم ولكن لإسراعهم إلى باطل صاحبهم وإبطائكم عن حقي**). دفع توهماً يمكن أن يحصل ومفاده أن انتصارهم لأنهم أهل الحق دفعه بأن انتصارهم ليس لأنهم أهل الحق بل لأطاعتهم إلى صاحبهم وباطله وتفرقكم عن صاحبكم وحقه فإن سنن الحرب جارية على أن من اجتمعت كلمتهم وتوحدت صفوفهم واعدوا واستعدوا كان النصر حليفهم وإن كانوا كفاراً وإن الهزيمة والخسران نتيجة من اختلفت كلمتهم وتشتت رأيهم ولم يستعدوا وإن كانوا مؤمنين...

وهذا قانون طبيعي يجب أن يعيه أصحاب الحق ويعملوا به ولا يتكلوا على إيمانهم العاري عن الاستعداد.

فإن ذلك يناقض حكم الله ويعارض الإيمان فإن من كان مؤمناً عمل بقوله: ﴿**وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل..**﴾.

(**ولقد أصبحت الأمم تخاف ظلم رعاتها وأصبحت أخاف ظلم رعيتي**). عادة

مع معاوية ـ هددهم بأن الله يؤخر الظالم فلا يأخذه فوراً عند عمل المعصية بل يتركه حتى يتمادى ويطغى ولكن ذلك لن يفوت الله أخذه بل يأخذه مهما امتد عمره وعمَّر في المعصية وهو على حد «إن الله يمهل ولا يهمل»...

ثم بيّن عليه السلام قرب الله من هذا الإنسان وأنه تحت رقابة الله يعلم بكل حركة وكل كلمة فهو له بالمرصاد كما قال تعالى: ﴿**إن ربك لبالمرصاد**﴾ أي لا يفوته شيء من أعمال هذا الإنسان لأنه يرى ويسمع جميع أقواله وأفعاله ومن كان يراقبك ويرصد حركاتك يعرف عنك أمورك بدقة ويستطيع أخذك...

وأيضاً هو سبحانه يأخذ عليه الطريق التي يسلكها وقادر عليه.

كما أنه سبحانه من جهة قربه منه بموضع ما ينبت في الحلق كما قال تعالى: ﴿**وهو أقرب إليكم من حبل الوريد**﴾ أو إنه يستطيع أن يخلق له ما يؤذيه ويمنعه من الإساغة في حلقه مع سعته...

(**أما والذي نفسي بيده ليظهرن هؤلاء القوم عليكم**). أقسم عليه السلام بالله الذي روحه عليه السلام وروح كل الناس بيده أن معاوية وأتباعه سينتصرون على أهل العراق وهذا من أخباره بالغيب وبما كان عنده من آثار النبوة وأخبار الحق أو بما يظهر من الآثار المرئية عنده ومن المقدمات التي بين يديه التي هي بمستوى اليقين حيث علل هذا الظهور بما يأتي بعد ذلك من اجتماع أهل الشام على باطلهم وتفرق أتباعه عن حقهم...

(**ليس لأنهم أولى بالحق منكم ولكن لإسراعهم إلى باطل صاحبهم وإبطائكم عن حقي**). دفع توهماً يمكن أن يحصل ومفاده أن انتصارهم لأنهم أهل الحق دفعه بأن انتصارهم ليس لأنهم أهل الحق بل لأطاعتهم إلى صاحبهم وباطله وتفرقكم عن صاحبكم وحقه فإن سنن الحرب جارية على أن من اجتمعت كلمتهم وتوحدت صفوفهم واعدوا واستعدوا كان النصر حليفهم وإن كانوا كفاراً وإن الهزيمة والخسران نتيجة من اختلفت كلمتهم وتشتت رأيهم ولم يستعدوا وإن كانوا مؤمنين...

وهذا قانون طبيعي يجب أن يعيه أصحاب الحق ويعملوا به ولا يتكلوا على إيمانهم العاري عن الاستعداد.

فإن ذلك يناقض حكم الله ويعارض الإيمان فإن من كان مؤمناً عمل بقوله: ﴿**وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل**..﴾.

(**ولقد أصبحت الأمم تخاف ظلم رعاتها وأصبحت أخاف ظلم رعيتي**). عادة

يلتقطون الحكم ويبحثون عن أصحابها . . .

(وأعظكم بالموعظة البالغة فتتفرقون عنها). أعظكم بكل موعظة ترقق القلب وتخشع لها النفس وتؤثر أثرها في النفس القابلة للإنتفاع فتتفرقون عنها وكأنكم لم تسمعوها وكأنها لم تطرق أسماعكم. . .

(وأحثكم على جهاد أهل البغي فما آتي على آخر قولي حتى أراكم متفرقين أيادي سبا ترجعون إلى مجالسكم وتتخادعون عن مواعظكم). كان عليه السلام يدفع أصحابه ويحضهم على قتال أهل الشام الفئة الباغية التي جاءت تسميتها على لسان النبي الأكرم. كان يحضهم وبمختلف الأساليب الشرعية والعرفية والوعظية فلم يتم كلامه ويخرجوا من عنده حتى يتفرقوا إلى غير اجتماع ولا لقاء فكل واحد يعود إلى بيته وأسرته ومحل عمله ويخدعون أنفسهم كأنهم لم يسمعوا الكلام ولم يصغوا إلى المقال. . .

(أقومكم غدوة وترجعون إليّ عشية كظهر الحنية عجز المقوم وأعضل المقوّم). أُصلحكم في أول النهار بمواعظي وكلامي وما ألقيه عليكم ولكن لم يأت عليكم المساء حتى تعودوا إلى اعوجاجكم وعصيانكم وتمردكم شبههم بظهر القوس في الاعوجاج من حيث عدم امكان تقويمه وتعديله لقد عجزت عن إصلاحكم إقرار منه بالعجز عن إصلاحهم لعدم قابليتهم للهداية لا لقصور في البيان وعجز في اللسان لقد أضحى مرضهم مزمناً لا شفاء له ونفاقهم قديم لا يصلحه موعظة أو حكمة. . .

(أيها القوم الشاهدة أبدانهم الغائبة عنهم عقولهم المختلفة أهواؤهم، المبتلى بهم أمراؤهم). هكذا كانوا وبهذه الصفات عاشوا فأبدانهم حاضرة أمام عليّ وفي هذه الدنيا. . . هياكل بشرية تأخذ حجماً من المساحة وقد تملأ العين منظراً وهيئة ولكنها بدون عقل. . . لقد عطلت قواها العقلية وإدراكاتها الذهنية، وهذا على حد قوله تعالى: **﴿وإذا رأيتهم تعجبك[1] أجسامهم وإن يقولوا تسمع لقولهم كأنهم خشب مسندة﴾**. وأما أهواؤهم فمختلفة فهذا يريد الحرب وذاك يريد السلم هذا يريد الدنيا وذاك يريد الآخرة وهذا يريد أمراً والآخر يريد خلافه لم يجتمعوا إلا على اختلاف الآراء والأهواء. . .

ثم بيّن ابتلاؤه بهم وما أشده وأقساه من ابتلاء ابتلي بهم حيث لم يطيعوه ولم يسمعوا قوله فكانت له فتنة صعبة هل يأخذهم بالقهر والقوة وبما يأخذ الظالمون به رعيتهم وحاشاه أن يكون جباراً يطلب الدنيا ويروّع الناس أم يعاملهم باللين واللطف

(١) سورة المنافقون آية/ ٤.

يلتقطون الحكم ويبحثون عن أصحابها. . .

(وأعظكم بالموعظة البالغة فتتفرقون عنها). أعظكم بكل موعظة ترقق القلب وتخشع لها النفس وتؤثر أثرها في النفس القابلة للإنتفاع فتتفرقون عنها وكأنكم لم تسمعوها وكأنها لم تطرق أسماعكم. . .

(وأحثكم على جهاد أهل البغي فما آتي على آخر قولي حتى أراكم متفرقين أيادي سبا ترجعون إلى مجالسكم وتتخادعون عن مواعظكم). كان عليه السلام يدفع أصحابه ويحضهم على قتال أهل الشام الفئة الباغية التي جاءت تسميتها على لسان النبي الأكرم. كان يحضهم وبمختلف الأساليب الشرعية والعرفية والوعظية فلم يتم كلامه ويخرجوا من عنده حتى يتفرقوا إلى غير اجتماع ولا لقاء فكل واحد يعود إلى بيته وأسرته ومحل عمله ويخدعون أنفسهم كأنهم لم يسمعوا الكلام ولم يصغوا إلى المقال. . .

(أقومكم غدوة وترجعون إليّ عشية كظهر الحنية عجز المقوم وأعضل المقوّم). أُصلحكم في أول النهار بمواعظي وكلامي وما ألقيه عليكم ولكن لم يأت عليكم المساء حتى تعودوا إلى اعوجاجكم وعصيانكم وتمردكم شبههم بظهر القوس في الاعوجاج من حيث عدم امكان تقويمه وتعديله لقد عجزت عن إصلاحكم إقرار منه بالعجز عن إصلاحهم لعدم قابليتهم للهداية لا لقصور في البيان وعجز في اللسان لقد أضحى مرضهم مزمناً لا شفاء له ونفاقهم قديم لا يصلحه موعظة أو حكمة. . .

(أيها القوم الشاهدة أبدانهم الغائبة عنهم عقولهم المختلفة أهواؤهم، المبتلى بهم أمراؤهم). هكذا كانوا وبهذه الصفات عاشوا فأبدانهم حاضرة أمام عليّ وفي هذه الدنيا. . . هياكل بشرية تأخذ حجماً من المساحة وقد تملأ العين منظراً وهيئة ولكنها بدون عقل. . . لقد عطلت قواها العقلية وإدراكاتها الذهنية، وهذا على حد قوله تعالى: **﴿وإذا رأيتهم تعجبك[1] أجسامهم وإن يقولوا تسمع لقولهم كأنهم خشب مسندة﴾**. وأما أهواؤهم فمختلفة فهذا يريد الحرب وذاك يريد السلم هذا يريد الدنيا وذاك يريد الآخرة وهذا يريد أمراً والآخر يريد خلافه لم يجتمعوا إلا على اختلاف الآراء والأهواء. . .

ثم بيّن ابتلاؤه بهم وما أشده وأقساه من ابتلاء ابتلي بهم حيث لم يطيعوه ولم يسمعوا قوله فكانت له فتنة صعبة هل يأخذهم بالقهر والقوة وبما يأخذ الظالمون به رعيتهم وحاشاه أن يكون جباراً يطلب الدنيا ويروّع الناس أم يعاملهم باللين واللطف

---

(١) سورة المنافقون آية/ ٤.

٢ ـ وأما الاثنتان: .

أ ـ فالأولى نفى عنهم صفة الأحرار من حيث إنهم لا يصدقون اللقاء في وجه الأعداء لأن من كان حراً أنف الفرار والهزيمة بل أصر على إحدى الحسنين النصر أو الشهادة أما الفرار والهزيمة فهذا فعل الجبناء المتخاذلين، فعل العبيد السفهاء. . .

ب ـ الثانية نفى عنهم أن يكونوا أخوان ثقة لأن الأخ الصادق في اخوته لا يخذلك عند البلاء ووقوع المصيبة عليك بل يبادر إلى إعانتك وتسديدك ونصرك وبذلك تصدق اخوته وما أكثر اخوان المكاشرة في هذه الأيام العصيبة وأقل اخوان الصدق والثقة لقد جربنا الأشخاص وامتحنا قلوبهم فوجدنا أكثرهم بدون وفاء. . .

(تربت أيديكم يا أشباه الإبل غاب عنها رعاتها كلما جمعت من جانب تفرقت من آخر). عاد للدعاء عليهم فقال لا أصبتم خيراً ومن لم يصب خيراً خسر وضل ثم شبههم بالإبل التي غاب عنها رعاتها فإنها تتوزع وتتفرق ولا يعود لها من جامع يجمعها وبذلك تضل في البيداء وكلما جمعتها الصدف من جهة والتقى بعض أفرادها في ناحية تفرقوا من ناحية أخرى فليس هناك من راع يجمعها وقد شبههم بهذا الشبه لعصيانهم أمره وعدم إطاعتهم له بحيث تفرقوا في الآراء والمواقف والأهداف. . .

(والله لكأني بكم فيما إخالكم أن لو حمس الوغى وحمي الضراب قد انفرجتم عن ابن أبي طالب انفراج المرأة عن قبلها). أقسم لقرائن يقرأها فيهم وظناً وظن الألمعي يقين أنه لو اشتعلت الحرب واشتد الضرب بالسيوف والحراب لتركوه وحده فريداً في ساحة المعركة وتخلوا عنه لا يدفعون ضيماً ولا يردون عدواً، عندها تظهر عوراتهم وتهتك أسرارهم وقد شبه انفراجهم وتخليهم عنه بالمرأة التي تكشف عورتها عند ولادتها فتستسلم لمن تتولى أمرها دون حياء أو تكشف عورتها عند الطعان تدرأ بها القتل وتستدفع الموت فإن العرب لا يجهزون على امرأة ويربأ سيف الأبطال أن يطال النساء بل من فعل ذلك يعّير بفعله.

(وإني لعلى بينة من ربي ومنهاج من نبيي وإني لعلى الطريق الواضح ألقطه لقطاً). بين عليه السلام ما هو عليه من الحق ليرغبوا في متابعته فقال: إني على هذين النورين أسير، على كتاب الله وسنة رسوله على مقتضى البينات والأدلة والبراهين الواضحة وعلى مقتضى الشريعة المحمدية. . إني على طريق الدين الواضح الظاهر أجمعه من بين طرق الضلال والمذاهب المبتدعة والأهواء المختلفة. . .

(انظروا أهل بيت نبيكم فالزموا سمتهم واتبعوا أثرهم). أمر الناس أن يتطلعوا نحو

٢ ـ وأما الاثنتان: .

أ ـ فالأولى نفى عنهم صفة الأحرار من حيث إنهم لا يصدقون اللقاء في وجه الأعداء لأن من كان حراً أنف الفرار والهزيمة بل أصر على إحدى الحسنين النصر أو الشهادة أما الفرار والهزيمة فهذا فعل الجبناء المتخاذلين، فعل العبيد السفهاء. . .

ب ـ الثانية نفى عنهم أن يكونوا أخوان ثقة لأن الأخ الصادق في اخوته لا يخذلك عند البلاء ووقوع المصيبة عليك بل يبادر إلى إعانتك وتسديدك ونصرك وبذلك تصدق اخوته وما أكثر اخوان المكاشرة في هذه الأيام العصيبة وأقل اخوان الصدق والثقة لقد جربنا الأشخاص وامتحنا قلوبهم فوجدنا أكثرهم بدون وفاء. . .

(تربت أيديكم يا أشباه الإبل غاب عنها رعاتها كلما جمعت من جانب تفرقت من آخر). عاد للدعاء عليهم فقال لا أصبتم خيراً ومن لم يصب خيراً خسر وضل ثم شبههم بالإبل التي غاب عنها رعاتها فإنها تتوزع وتتفرق ولا يعود لها من جامع يجمعها وبذلك تضل في البيداء وكلما جمعتها الصدف من جهة والتقى بعض أفرادها في ناحية تفرقوا من ناحية أخرى فليس هناك من راع يجمعها وقد شبههم بهذا الشبه لعصيانهم أمره وعدم إطاعتهم له بحيث تفرقوا في الآراء والمواقف والأهداف. . .

(والله لكأني بكم فيما إخالكم أن لو حمس الوغى وحمي الضراب قد انفرجتم عن ابن أبي طالب انفراج المرأة عن قبلها). أقسم لقرائن يقرأها فيهم وظناً وظن الألمعي يقين أنه لو اشتعلت الحرب واشتد الضرب بالسيوف والحراب لتركوه وحده فريداً في ساحة المعركة وتخلوا عنه لا يدفعون ضيماً ولا يردون عدواً، عندها تظهر عوراتهم وتهتك أسرارهم وقد شبه انفراجهم وتخليهم عنه بالمرأة التي تكشف عورتها عند ولادتها فتستسلم لمن تتولى أمرها دون حياء أو تكشف عورتها عند الطعان تدرأ بها القتل وتستدفع الموت فإن العرب لا يجهزون على امرأة ويربأ سيف الأبطال أن يطال النساء بل من فعل ذلك يعّير بفعله.

(وإني لعلى بينة من ربي ومنهاج من نبيي وإني لعلى الطريق الواضح ألقطه لقطاً). بين عليه السلام ما هو عليه من الحق ليرغبوا في متابعته فقال: إني على هذين النورين أسير، على كتاب الله وسنة رسوله على مقتضى البينات والأدلة والبراهين الواضحة وعلى مقتضى الشريعة المحمدية. . إني على طريق الدين الواضح الظاهر أجمعه من بين طرق الضلال والمذاهب المبتدعة والأهواء المختلفة. . .

(انظروا أهل بيت نبيكم فالزموا سمتهم واتبعوا أثرهم). أمر الناس أن يتطلعوا نحو

الأولى: إنهم يصبحون شعثاً غبراً معناه لا يعيرون الدنيا أهمية ولا يعطونها وقتاً بل استغرقوا في طاعة الله فشغلهم ذلك عن الاهتمام بزينتهم وجمالهم.

الثانية: إنهم باتوا في صلاة طيلة ليلهم سجداً لله وقياماً في طاعته كما قال تعالى: **﴿والذين يبيتون لربهم سجداً وقياماً...﴾**. الثالثة: إنهم يراوحون بين جباههم وخدودهم فتارة يتذللون بالخضوع لله بالسجود على جباههم وتارة أخرى يتذللون له بوضع خدودهم على الأرض يرغمون أنفسهم على طاعة الله...

(ويقفون على مثل الجمر من ذكر معادهم). هذه رابعة الصفات وأنهم أمام ذكر يوم الحساب والوقوف بين يدي الله والعودة إليه كالواقفين على الجمر لا استقرار لهم ولا هدوء بل هم في همّ وغم وخوف وعذاب كما قال عليه السلام في خطبة المتقين: «فهم والجنة كمن قد رآها فهم فيها منعمون وهم والنار فيها كمن قد رآها فهم فيها معذبون...».

(كأن بين أعينهم ركب المعزى من طول سجودهم). وهذه خامسة الصفات إنها صفة ظاهرة تحكي عن داخل مطيع لله إن بين أعينهم كركب المعزى من حيث اسوادها وكثرة السجود عليها وقد نقلت لنا كتب السير أن الإمام زين العابدين كانت جبهته الشريفة كثفنة البعير لطول سجوده وقد وصف الله أصحاب النبي بقوله تعالى: **﴿محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعاً سجداً**[1] **يبتغون فضلاً من الله ورضواناً سيماهم في وجوههم من أثر السجود...﴾**.

(إذا ذكر الله هملت أعينهم حتى تبل جيوبهم). وهذه سادسة الصفات إنها صفة الرقة في القلب أمام الله. وإن هذا القلب إذا التفت إلى الله وذُكّر به انعكس ذلك ترجمة عملية لم يتمالك هذا الإنسان من ضبط دموعه ومنعها عن السقوط بل تتساقط لتبل جيوبهم أي ثيابهم...

(ومادوا كما يميد الشجر يوم الريح العاصف خوفاً من العقاب ورجاء للثواب). اضطربت قلوبهم بشدة خوفاً من عقاب الله كما أنها تضطرب من شدة الفرح والسرور وهكذا المؤمن يعيش بين الرجاء والخوف يهزه كل منهما خوفاً وشوقاً.

---

(١) سورة الفتح آية/ ٢٩.

الأولى: إنهم يصبحون شعثاً غبراً معناه لا يعيرون الدنيا أهمية ولا يعطونها وقتاً بل استغرقوا في طاعة الله فشغلهم ذلك عن الاهتمام بزينتهم وجمالهم.

الثانية: إنهم باتوا في صلاة طيلة ليلهم سجداً لله وقياماً في طاعته كما قال تعالى: ﴿**والذين يبيتون لربهم سجداً وقياماً**...﴾. الثالثة: إنهم يراوحون بين جباههم وخدودهم فتارة يتذللون بالخضوع لله بالسجود على جباههم وتارة أخرى يتذللون له بوضع خدودهم على الأرض يرغمون أنفسهم على طاعة الله...

(**ويقفون على مثل الجمر من ذكر معادهم**). هذه رابعة الصفات وأنهم أمام ذكر يوم الحساب والوقوف بين يدي الله والعودة إليه كالواقفين على الجمر لا استقرار لهم ولا هدوء بل هم في همّ وغم وخوف وعذاب كما قال عليه السلام في خطبة المتقين: «فهم والجنة كمن قد رآها فهم فيها منعمون وهم والنار فيها كمن قد رآها فهم فيها معذبون...».

(**كأن بين أعينهم ركب المعزى من طول سجودهم**). وهذه خامسة الصفات إنها صفة ظاهرة تحكي عن داخل مطيع لله إن بين أعينهم كركب المعزى من حيث اسودادها وكثرة السجود عليها وقد نقلت لنا كتب السير أن الإمام زين العابدين كانت جبهته الشريفة كثفنة البعير لطول سجوده وقد وصف الله أصحاب النبي بقوله تعالى: ﴿**محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعاً سجداً**[1] **يبتغون فضلاً من الله ورضواناً سيماهم في وجوههم من أثر السجود**...﴾.

(**إذا ذكر الله هملت أعينهم حتى تبل جيوبهم**). وهذه سادسة الصفات إنها صفة الرقة في القلب أمام الله. وإن هذا القلب إذا التفت إلى الله وذُكّر به انعكس ذلك ترجمة عملية لم يتمالك هذا الإنسان من ضبط دموعه ومنعها عن السقوط بل تتساقط لتبل جيوبهم أي ثيابهم...

(**ومادوا كما يميد الشجر يوم الريح العاصف خوفاً من العقاب ورجاء للثواب**). اضطربت قلوبهم بشدة خوفاً من عقاب الله كما أنها تضطرب من شدة الفرح والسرور وهكذا المؤمن يعيش بين الرجاء والخوف يهزه كل منهما خوفاً وشوقاً.

---

(١) سورة الفتح آية/ ٢٩.

١١ ـ شهد : حضر.
١٢ ـ اغتابه : عابه وذكره بما فيه من السوء.
١٣ ـ العناء : التعب.
١٤ ـ ابتليتم : اختبرتم وأصبتم بسوء.

الشرح

(والله لا يزالون حتى لا يدعوا لله محرماً إلا استحلوه ولا عقداً إلا حلوه). هذا الكلام الشريف يقصد به بني أمية ويبيّن فيه مظالمهم وجورهم بحق المسلمين وقد أقسم بالله أن هذه الأمور ستجري وتتحقق على أيديهم...

أولها: إنهم لن يتركوا لله أمراً حرمه إلا ويستحلونه فهم سيقصدون كل محرم فيبنون على حليته ويرتكبونه مستحلين له مخالفةلله ولرسول الله وما صدر من معاوية وطغاة الأمويين يحكي صدق هذا النبأ فقد استحلوا قتل الشرفاء والأتقياء والأئمة الأطهار سمّوا الحسن وقتلوا الحسين وقضوا على حجر بن عدي وكميل بن زياد ومسلم بن عقيل وهاني بن عروة ودخلوا مدينة النبي دخول الفاتحين وكأنهم من غير الملل فاستباحوها قتلاً وهتكاً حتى افتضت ألف بكر حراماً... وضربوا الكعبة بالمنجنيق وأحرقوها وهكذا دواليك إلى آخر القائمة السوداء التي يأبى الحر الشريف عن ذكرها والكلام فيها...

ثانيها: إنهم لا يلتزمون بعقودهم بل ينكثون العهود ويخالفون الوعود سواء كانت بينهم وبين الله أم بينهم وبين الناس فقد نقضوا عرى هذا الدين وأحكامه كما نقضوا ما أعطوه للشرفاء وفي سيرة معاوية مع الإمام الحسن أصدق شاهد وأقوى برهان.

(وحتى لا يبقى بيت مدر ولا وبر إلا دخله ظلمهم ونبا به سوء رعيهم). ثالثها: تعميم ظلمهم حتى يشمل كل الناس المقيم منهم والظاعن أهل المدن والقرى أم العرب الرحل، أصحاب الطين المستقرين أم أصحاب الخيام المتنقلين حتى يبلغ الظلم بصاحب البيت أن يهجر بيته ويستخفي منهم لما يسومونه من الظلم وسوء الولاية وقد كان الشرفاء يختفون عن أعين السلطة ويهجرون منازلهم خوفاً من الظلم...

(وحتى يقوم الباكيان يبكيان: باك يبكي لدينه وباك يبكي لدنياه). وسيبقى ظلم الأمويين قائماً ومستمراً حتى يعود الشرفاء من الأمة أحد رجلين، رجل يبكي لدينه لأنه يرى تعطيل الأحكام وتغييرها واستحلال حرامها أو لأنه لا يقدر على الجهر بما فرض الله

١١ ـ شهد : حضر.
١٢ ـ اغتابه : عابه وذكره بما فيه من السوء.
١٣ ـ العناء : التعب.
١٤ ـ ابتليتم : اختبرتم وأصبتم بسوء.

الشرح

(**والله لا يزالون حتى لا يدعوا لله محرماً إلا استحلوه ولا عقداً إلا حلوه**). هذا الكلام الشريف يقصد به بني أمية ويبيّن فيه مظالمهم وجورهم بحق المسلمين وقد أقسم بالله أن هذه الأمور ستجري وتتحقق على أيديهم...

أولها: إنهم لن يتركوا لله أمراً حرمه إلا ويستحلونه فهم سيقصدون كل محرم فيبنون على حليته ويرتكبونه مستحلين له مخالفةلله ولرسول الله وما صدر من معاوية وطغاة الأمويين يحكي صدق هذا النبأ فقد استحلوا قتل الشرفاء والأتقياء والأئمة الأطهار سمّوا الحسن وقتلوا الحسين وقضوا على حجر بن عدي وكميل بن زياد ومسلم بن عقيل وهاني بن عروة ودخلوا مدينة النبي دخول الفاتحين وكأنهم من غير الملل فاستباحوها قتلاً وهتكاً حتى افتضت ألف بكر حراماً... وضربوا الكعبة بالمنجنيق وأحرقوها وهكذا دواليك إلى آخر القائمة السوداء التي يأبى الحر الشريف عن ذكرها والكلام فيها...

ثانيها: إنهم لا يلتزمون بعقودهم بل ينكثون العهود ويخالفون الوعود سواء كانت بينهم وبين الله أم بينهم وبين الناس فقد نقضوا عرى هذا الدين وأحكامه كما نقضوا ما أعطوه للشرفاء وفي سيرة معاوية مع الإمام الحسن أصدق شاهد وأقوى برهان.

(**وحتى لا يبقى بيت مدر ولا وبر إلا دخله ظلمهم ونبا به سوء رعيهم**). ثالثها: تعميم ظلمهم حتى يشمل كل الناس المقيم منهم والظاعن أهل المدن والقرى أم العرب الرحل، أصحاب الطين المستقرين أم أصحاب الخيام المتنقلين حتى يبلغ الظلم بصاحب البيت أن يهجر بيته ويستخفي منهم لما يسومونه من الظلم وسوء الولاية وقد كان الشرفاء يختفون عن أعين السلطة ويهجرون منازلهم خوفاً من الظلم...

(**وحتى يقوم الباكيان يبكيان: باك يبكي لدينه وباك يبكي لدنياه**). وسيبقى ظلم الأمويين قائماً ومستمراً حتى يعود الشرفاء من الأمة أحد رجلين، رجل يبكي لدينه لأنه يرى تعطيل الأحكام وتغييرها واستحلال حرامها أو لأنه لا يقدر على الجهر بما فرض الله

٩٩ ـ ومن خطبة له عليه السلام

في التزهيد من الدنيا

نَحْمَدُهُ عَلَى مَا كَانَ، وَنَسْتَعِينُهُ مِنْ أَمْرِنَا عَلَى مَا يَكُونُ، وَنَسْأَلُهُ المُعَافَاةَ[١] فِي الأَيْمَانِ، كَمَا نَسْأَلُهُ المُعَافَاةَ فِي الأَبْدَانِ.

عِبَادَ اللهِ، أُوصِيكُمْ بِالزَّفْضِ لِهٰذِهِ الدُّنْيَا التَّارِكَةِ لَكُمْ وَإِنْ لَمْ تُحِبّوا تَرْكَهَا، وَالمُبْلِيَةِ[٢] لأَجْسَامِكُمْ وَإِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ تَجْدِيدَهَا، فَإِنَّمَا مَثَلُكُمْ وَمَثَلُهَا كَسَفْرٍ[٣] سَلَكُوا سَبِيلاً[٤] فَكَأَنَّهُمْ قَدْ قَطَعُوهُ[٥]، وَأَمُّوا[٦] عَلَماً[٧] فَكَأَنَّهُمْ قَدْ بَلَغُوهُ[٨]. وَكَمْ عَسَىٰ المُجْرِي[٩] إِلَىٰ الغَايَةِ[١٠] أَنْ يَجْرِيَ إِلَيْهَا حَتَّىٰ يَبْلُغَهَا! وَمَا عَسَىٰ أَنْ يَكُونَ بَقَاءُ مَنْ لَهُ يَوْمٌ لاَ يَعْدُوهُ[١١]، وَطَالِبٌ حَثِيثٌ[١٢] مِنَ المَوْتِ يَحْدُوهُ[١٣] وَمُزْعِجٌ[١٤] فِي الدّنْيَا حَتَّىٰ يُفَارِقَهَا رَغْماً[١٥]! فَلاَ تَنَافَسُوا[١٦] فِي عِزِّ الدُّنْيَا وَفَخْرِهَا، وَلاَ تَعْجَبُوا بِزِينَتِهَا[١٧] وَنَعِيمِهَا، وَلاَ تَجْزَعُوا[١٨] مِنْ ضَرَّائِهَا[١٩] وَبُؤْسِهَا، فَإِنَّ عِزَّهَا وَفَخْرَهَا إِلَىٰ انْقِطَاع، وَإِنَّ زِينَتَهَا وَنَعِيمَهَا إِلَىٰ زَوَالٍ، وَضَرَّاءَهَا وَبُؤْسَهَا[٢٠] إِلَىٰ نَفَادٍ[٢١]، وَكُلُّ مُدَّةٍ فِيهَا إِلَىٰ انْتِهَاءٍ، وَكُلُّ حَيٍّ فِيهَا إِلَىٰ فَنَاءٍ. أَوَلَيْسَ لَكُمْ فِي آثَارِ الأَوَّلِينَ مُزْدَجَرٌ[٢٢]، وَفِي آبَائِكُمُ المَاضِينَ تَبْصِرَةٌ وَمُعْتَبَرٌ، إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ! أَوَلَمْ تَرَوْا إِلَىٰ المَاضِينَ مِنْكُمْ لاَ يَرْجِعُونَ، وَإِلَىٰ الخَلَفِ[٢٣] البَاقِينَ لاَ يَبْقَوْنَ! أَوَلَسْتُمْ تَرَوْنَ أَهْلَ الدُّنْيَا يُصْبِحُونَ وَيُمْسُونَ عَلَىٰ أَحْوَالٍ شَتَّى[٢٤]: فَمَيِّتٌ يُبْكَىٰ، وَآخَرُ يُعَزَّىٰ[٢٥]، وَصَرِيعٌ[٢٦] مُبْتَلًى، وَعَائِدٌ[٢٧] يَعُودُ، وَآخَرُ بِنَفْسِهِ يَجُودُ[٢٨]،

٩٩ ـ ومن خطبة له عليه السلام

في التزهيد من الدنيا

نَحْمَدُهُ عَلَى مَا كَانَ، وَنَسْتَعِينُهُ مِنْ أَمْرِنَا عَلَى مَا يَكُونُ، وَنَسْأَلُهُ الْمُعَافَاةَ[١] فِي الأَيْمَانِ، كَمَا نَسْأَلُهُ الْمُعَافَاةَ فِي الأَبْدَانِ.

عِبَادَ اللهِ، أُوصِيكُمْ بِالزَّفْضِ لِهٰذِهِ الدُّنْيَا التَّارِكَةِ لَكُمْ وَإِنْ لَمْ تُحِبّوا تَرْكَهَا، وَالْمُبْلِيَةِ[٢] لأَجْسَامِكُمْ وَإِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ تَجْدِيدَهَا، فَإِنَّمَا مَثَلُكُمْ وَمَثَلُهَا كَسَفْرٍ[٣] سَلَكُوا سَبِيلاً[٤] فَكَأَنَّهُمْ قَدْ قَطَعُوهُ[٥]، وَأَمُّوا[٦] عَلَماً[٧] فَكَأَنَّهُمْ قَدْ بَلَغُوهُ[٨]. وَكَمْ عَسَىٰ الْمُجْرِي[٩] إِلَىٰ الغَايَةِ[١٠] أَنْ يَجْرِيَ إِلَيْهَا حَتَّىٰ يَبْلُغَهَا! وَمَا عَسَىٰ أَنْ يَكُونَ بَقَاءُ مَنْ لَهُ يَوْمٌ لاَ يَعْدُوهُ[١١]، وَطَالِبٌ حَثِيثٌ[١٢] مِنَ الْمَوْتِ يَحْدُوهُ[١٣] وَمُزْعِجٌ[١٤] فِي الدّنْيَا حَتَّىٰ يُفَارِقَهَا رَغْماً[١٥]! فَلاَ تَنَافَسُوا[١٦] فِي عِزِّ الدُّنْيَا وَفَخْرِهَا، وَلاَ تَعْجَبُوا بِزِينَتِهَا[١٧] وَنَعِيمِهَا، وَلاَ تَجْزَعُوا[١٨] مِنْ ضَرَّائِهَا[١٩] وَبُؤْسِهَا، فَإِنَّ عِزَّهَا وَفَخْرَهَا إِلَىٰ انْقِطَاع، وَإِنَّ زِينَتَهَا وَنَعِيمَهَا إِلَىٰ زَوَالٍ، وَضَرَّاءَهَا وَبُؤْسَهَا[٢٠] إِلَىٰ نَفَادٍ[٢١]، وَكُلُّ مُدَّةٍ فِيهَا إِلَىٰ انْتِهَاءٍ، وَكُلُّ حَيٍّ فِيهَا إِلَىٰ فَنَاءٍ. أَوَلَيْسَ لَكُمْ فِي آثَارِ الأَوَّلِينَ مُزْدَجَرٌ[٢٢]، وَفِي آبَائِكُمُ الْمَاضِينَ تَبْصِرَةٌ وَمُعْتَبَرٌ، إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ! أَوَلَمْ تَرَوْا إِلَىٰ الْمَاضِينَ مِنْكُمْ لاَ يَرْجِعُونَ، وَإِلَىٰ الْخَلَفِ[٢٣] الْبَاقِينَ لاَ يَبْقَوْنَ! أَوَلَسْتُمْ تَرَوْنَ أَهْلَ الدُّنْيَا يُصْبِحُونَ وَيُمْسُونَ عَلَىٰ أَحْوَالٍ شَتَّى[٢٤]: فَمَيِّتٌ يُبْكَىٰ، وَآخَرُ يُعَزَّىٰ[٢٥]، وَصَرِيعٌ[٢٦] مُبْتَلًى، وَعَائِدٌ[٢٧] يَعُودُ، وَآخَرُ بِنَفْسِهِ يَجُودُ[٢٨]،

٢١ ـ النفاد : الفناء.
٢٢ ـ المزدجر : مصدر ميمي من أزدجر ومعناه الارتداع والإنزجار.
٢٣ ـ الخلف : الذرية ومن جاء من بعد، الأولاد.
٢٤ ـ أحوال شتى : أحوال متفرقة.
٢٥ ـ يعزّى : يصبّر على نائبة، يعزي المصاب يسليه.
٢٦ ـ الصريع : الطريح.
٢٧ ـ عائد : جمع عوّاد وعاد المريض إذا زاره.
٢٨ ـ يجود : بنفسه سمح لها أن تموت.
٢٩ ـ هاذم اللذات : قاطع اللذات.
٣٠ ـ نغّص عيشه : كدره.
٣١ ـ الأمنيات : ما يتمناه الإنسان ويرغب فيه ويريده.
٣٢ ـ المساورة : المواثبة وسار إليه يسور سوراً وثب.

الشرح

(نحمده على ما كان ونستعينه من أمرنا على ما يكون ونسأله المعافاة في الأديان كما نسأله المعافاة في الأبدان). ابتدأ عليه السلام بحمد الله على ما كان لأنه قد وقع فاستحق عليه الحمد كما أن ما لم يقع طلب من الله معونته عليه لأنه يحتاج إلى ظهر قوي لئلا يتداعى أو يسقط...

وسأل الله أن يعافيه في دينه أي يحفظ له دينه وعقيدته فلا يتعرض لخلل في العقيدة من شك أو تردد أو إهمال للعمل وتسويف فيه فإن سلامة الدين تحتاج إلى دعاء قال تعالى: ﴿**ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا...**﴾. كما أنه سأل الله أن يعافيه في بدنه لأن الصحة إحدى النعمتين المجهولتين ومن كان صحيحاً معافى استطاع القيام بالواجبات وأداء الحقوق والعمل لخير نفسه وخير الإنسانية وعرف طعم الحياة وذاق لذتها.

(عباد الله أوصيكم بالرفض لهذه الدنيا التاركة لكم وإن لم تحبوا تركها والمبلية لأجسامكم وإن كنتم تحبون تجديدها). توجه عليه السلام بالنصيحة للناس كي يتركوا الدنيا ويرفضوا الخنوع لها والاستسلام لحكمها من جهة تنفيرهم عنها وذلك بذكر بعض معايبها. فذكر أن من معايبها:.

٢١ ـ النفاد : الفناء.
٢٢ ـ المزدجر : مصدر ميمي من أزدجر ومعناه الارتداع والإنزجار.
٢٣ ـ الخلف : الذرية ومن جاء من بعد، الأولاد.
٢٤ ـ أحوال شتى : أحوال متفرقة.
٢٥ ـ يعزّى : يصبّر على نائبة، يعزي المصاب يسليه.
٢٦ ـ الصريع : الطريح.
٢٧ ـ عائد : جمع عوّاد وعاد المريض إذا زاره.
٢٨ ـ يجود : بنفسه سمح لها أن تموت.
٢٩ ـ هاذم اللذات : قاطع اللذات.
٣٠ ـ نغّص عيشه : كدره.
٣١ ـ الأمنيات : ما يتمناه الإنسان ويرغب فيه ويريده.
٣٢ ـ المساورة : المواثبة وسار إليه يسور سوراً وثب.

الشرح

(نحمده على ما كان ونستعينه من أمرنا على ما يكون ونسأله المعافاة في الأديان كما نسأله المعافاة في الأبدان). ابتدأ عليه السلام بحمد الله على ما كان لأنه قد وقع فاستحق عليه الحمد كما أن ما لم يقع طلب من الله معونته عليه لأنه يحتاج إلى ظهر قوي لئلا يتداعى أو يسقط...

وسأل الله أن يعافيه في دينه أي يحفظ له دينه وعقيدته فلا يتعرض لخلل في العقيدة من شك أو تردد أو إهمال للعمل وتسويف فيه فإن سلامة الدين تحتاج إلى دعاء قال تعالى: ﴿**ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا...**﴾. كما أنه سأل الله أن يعافيه في بدنه لأن الصحة إحدى النعمتين المجهولتين ومن كان صحيحاً معافى استطاع القيام بالواجبات وأداء الحقوق والعمل لخير نفسه وخير الإنسانية وعرف طعم الحياة وذاق لذتها.

(عباد الله أوصيكم بالرفض لهذه الدنيا التاركة لكم وإن لم تحبوا تركها والمبلية لأجسامكم وإن كنتم تحبون تجديدها). توجه عليه السلام بالنصيحة للناس كي يتركوا الدنيا ويرفضوا الخنوع لها والاستسلام لحكمها من جهة تنفيرهم عنها وذلك بذكر بعض معايبها. فذكر أن من معايبها:.

من نعيم وطيبات ورزق واسع.

(ولا تجزعوا من ضرائها وبؤسها). لا يأخذكم الجزع واليأس وعدم الصبر فتحزنوا وتتألموا مما يمر عليكم من الدنيا وشدتها وضيقها وتقتيرها عليكم.

نهى عليه السلام عن خير الدنيا وعن شرها وأن لا ينظر الإنسان إلى ذلك على أنه كل شيء بل هو لا شيء في ميزان أهل الكشف والمعرفة وأهل الإيمان والدين وقد علل عليه السلام ذلك بقوله:

(فإن عزها وفخرها إلى انقطاع). فإن ما يملكه الإنسان ويحسد غيره عليه ويتنافس فيه لا بد له من نهاية يتوقف عندها.. إن الموت سيخرجك عما تتقاتل عليه وتعتز به وتفتخر ستخرج عن الأموال والأولاد والسلطان.

(وإن زينتها ونعيمها إلى زوال). فما كان يتزين به الإنسان من قصور وسيارات وأموال وأولاد وما كان يتنعم به في الدنيا سيزول عنه ويتحول إلى غيره إن بقي له عين أو أثر.

(وضرائها وبؤسها إلى نفاد). أيام الشدة والبلاء أيام العسر والحرج كل ذلك سينتهي... وسيتوقف... سيقطع الموت بقاءه ويقضي عليه...

وإذا كان هذا هو حال هذه الأمور فيجب أن يعتبر الإنسان بها ويؤمن أنها عارية سترد وستخرج عنه ولا تبقى له ولا يدوم لها...

(وكل مدة فيها إلى انتهاء وكل حي فيها إلى فناء). هذه من جملة القواعد العامة التي يعيشها الإنسان في هذه الحياة إنها قاعدة كل شيء إلى انتهاء... له مدة ينتهي عندها، فالشباب له مدة ينتهي عندها والغنى له حد يتوقف عنده والسلطان له حد يتوقف عنده وهكذا دواليك...

وكل حي فيها إلى الموت كما قال تعالى: **﴿كل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام﴾**.

(أوليس لكم في آثار الأولين مزدجر وفي آبائكم الماضين تبصرة ومعتبر إن كنتم تعقلون). استفهام أنكاري ليتعظوا ويستفيدوا يعني استفيدوا من آثار الأولين وارتدعوا عما لا يجوز لكم، مرّوا في ديار السابقين قوم عاد وثمود وفرعون وخذوا العظة والعبرة منهم كما أنكم لو نظرتم إلى آبائكم الذين تقدموا عليكم وأنهم لم يبقوا ولم يكتب لهم الخلود، لو فكرتم في كل ذلك لنظرتم لأنفسكم ولما يفيدكم وينفعكم...

من نعيم وطيبات ورزق واسع.

(ولا تجزعوا من ضرائها وبؤسها). لا يأخذكم الجزع واليأس وعدم الصبر فتحزنوا وتتألموا مما يمر عليكم من الدنيا وشدتها وضيقها وتقتيرها عليكم.

نهى عليه السلام عن خير الدنيا وعن شرها وأن لا ينظر الإنسان إلى ذلك على أنه كل شيء بل هو لا شيء في ميزان أهل الكشف والمعرفة وأهل الإيمان والدين وقد علل عليه السلام ذلك بقوله:

(فإن عزها وفخرها إلى انقطاع). فإن ما يملكه الإنسان ويحسد غيره عليه ويتنافس فيه لا بد له من نهاية يتوقف عندها.. إن الموت سيخرجك عما تتقاتل عليه وتعتز به وتفتخر ستخرج عن الأموال والأولاد والسلطان.

(وإن زينتها ونعيمها إلى زوال). فما كان يتزين به الإنسان من قصور وسيارات وأموال وأولاد وما كان يتنعم به في الدنيا سيزول عنه ويتحول إلى غيره إن بقي له عين أو أثر.

(وضرائها وبؤسها إلى نفاد). أيام الشدة والبلاء أيام العسر والحرج كل ذلك سينتهي... وسيتوقف... سيقطع الموت بقاءه ويقضي عليه...

وإذا كان هذا هو حال هذه الأمور فيجب أن يعتبر الإنسان بها ويؤمن أنها عارية سترد وستخرج عنه ولا تبقى له ولا يدوم لها...

(وكل مدة فيها إلى انتهاء وكل حي فيها إلى فناء). هذه من جملة القواعد العامة التي يعيشها الإنسان في هذه الحياة إنها قاعدة كل شيء إلى انتهاء... له مدة ينتهي عندها، فالشباب له مدة ينتهي عندها والغنى له حد يتوقف عنده والسلطان له حد يتوقف عنده وهكذا دواليك...

وكل حي فيها إلى الموت كما قال تعالى: **﴿كل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام﴾**.

(أوليس لكم في آثار الأولين مزدجر وفي آبائكم الماضين تبصرة ومعتبر إن كنتم تعقلون). استفهام أنكاري ليتعظوا ويستفيدوا يعني استفيدوا من آثار الأولين وارتدعوا عما لا يجوز لكم، مرّوا في ديار السابقين قوم عاد وثمود وفرعون وخذوا العظة والعبرة منهم كما أنكم لو نظرتم إلى آبائكم الذين تقدموا عليكم وأنهم لم يبقوا ولم يكتب لهم الخلود، لو فكرتم في كل ذلك لنظرتم لأنفسكم ولما يفيدكم وينفعكم...

الخلف، ويجري على الحاضرين ما كان يجري على الماضين. . .

(ألا فاذكروا هادم اللذات). نبههم إلى ذكر هذه الحقيقة التي لا بد وأن نصل إليها ولا بد وأن تدركنا ومع ذلك لا نتعامل معها كحقيقة لا بد من الوقوف عليها. . .

ينبهنا إلى ذكر الموت فما ذكره إنسان إلا ورجع إلى نفسه وعاد إلى حقيقته يستنطقها ويستفسر منها عن هذا اللغز الرهيب الذي لم يقدر هذا الإنسان على حله وإنما الله تولى حله فعاش المؤمنون في رحاب تعاليمه حياة أبدية وكان الموت بالنسبة إليهم كثوب وسخ خلعوه واستبدلوه بثوب نظيف، فهم مطمئنون إلى حكم الله وقضائه يتنعمون بما أحله لهم ويبتعدون عما حرم عليهم وبذلك هان الموت عليهم بل كان القنطرة التي يقطعونها ليدخلوا إلى الجنة ونعيمها. . .

وعلى كل حال يريد الإمام أن يذكرنا بالموت الذي يقطع لذات الدنيا من مأكل ومشرب ونكاح وطيبات.

يذكرنا أن هذه الأمور إذا كانت من حرام لن تدوم لنا وإذا كانت أنفسنا تطمعنا بدوامها فلا دوام لها سيقضي عليها الموت وسيأتي عليها فلا تبقى.

(ومنغص الشهوات). هذه صفة ثانية للموت إنه يكدّر على المرء رغباته ففي ليلة زفافه قد يأتي أجله وفي ليلة فرحه قد يأتي ترحه. . .

(وقاطع الأمنيات). فما يتمناه الإنسان ويطمح إليه ويرغب فيه ويسعى إلى تحقيقه يقطعه الموت ويوقفه وهذه الصفة للموت لتتذكر أن أمنياتنا يجب أن تكون في طاعة الله وفي خدمة عباده.

(عند المساورة للأعمال القبيحة واستعينوا الله على أداء واجب حقه وما لا يحصى من أعداد نعمه وإحسانه). يقول الإمام اذكروا هادم اللذات ومنغّص الشهوات وقاطع الأمنيات عندما تريدون أن تعملوا الأعمال القبيحة التي لا يحبها الله، فإنكم إذا تذكرتم الموت ارتدعتم عن فعل القبيح ولم تقدموا على عمل يكرهه الله ولا يحبه وإن المؤمن باستمرار لا يغفل عن ذكر الموت وخصوصاً في المواقف التي يكون فيها معصية لله فإنه يتوقف عن ارتكابها عندما يتذكر الموت وما بعده من الحساب والعقاب. . .

ثم يأمرنا عليه السلام أن نستعين بالله على القيام بحقه وما أوجبه علينا فإن من أدى حق الله فقد أدرك أقصى الغايات.

كما أن علينا أن نقوم بشكر نعم الله التي لا تعد وإحسانه الذي لا يحد. . .

الخلف، ويجري على الحاضرين ما كان يجري على الماضين. . .

(ألا فاذكروا هاذم اللذات). نبههم إلى ذكر هذه الحقيقة التي لا بد وأن نصل إليها ولا بد وأن تدركنا ومع ذلك لا نتعامل معها كحقيقة لا بد من الوقوف عليها. . .

ينبهنا إلى ذكر الموت فما ذكره إنسان إلا ورجع إلى نفسه وعاد إلى حقيقته يستنطقها ويستفسر منها عن هذا اللغز الرهيب الذي لم يقدر هذا الإنسان على حله وإنما الله تولى حله فعاش المؤمنون في رحاب تعاليمه حياة أبدية وكان الموت بالنسبة إليهم كثوب وسخ خلعوه واستبدلوه بثوب نظيف، فهم مطمئنون إلى حكم الله وقضائه يتنعمون بما أحله لهم ويبتعدون عما حرم عليهم وبذلك هان الموت عليهم بل كان القنطرة التي يقطعونها ليدخلوا إلى الجنة ونعيمها. . .

وعلى كل حال يريد الإمام أن يذكرنا بالموت الذي يقطع لذات الدنيا من مأكل ومشرب ونكاح وطيبات.

يذكرنا أن هذه الأمور إذا كانت من حرام لن تدوم لنا وإذا كانت أنفسنا تطمعنا بدوامها فلا دوام لها سيقضي عليها الموت وسيأتي عليها فلا تبقى.

(ومنغص الشهوات). هذه صفة ثانية للموت إنه يكدّر على المرء رغباته ففي ليلة زفافه قد يأتي أجله وفي ليلة فرحه قد يأتي ترحه. . .

(وقاطع الأمنيات). فما يتمناه الإنسان ويطمح إليه ويرغب فيه ويسعى إلى تحقيقه يقطعه الموت ويوقفه وهذه الصفة للموت لتتذكر أن أمنياتنا يجب أن تكون في طاعة الله وفي خدمة عباده.

(عند المساورة للأعمال القبيحة واستعينوا الله على أداء واجب حقه وما لا يحصى من أعداد نعمه وإحسانه). يقول الإمام اذكروا هادم اللذات ومنغّص الشهوات وقاطع الأمنيات عندما تريدون أن تعملوا الأعمال القبيحة التي لا يحبها الله، فإنكم إذا تذكرتم الموت ارتدعتم عن فعل القبيح ولم تقدموا على عمل يكرهه الله ولا يحبه وإن المؤمن باستمرار لا يغفل عن ذكر الموت وخصوصاً في المواقف التي يكون فيها معصية لله فإنه يتوقف عن ارتكابها عندما يتذكر الموت وما بعده من الحساب والعقاب. . .

ثم يأمرنا عليه السلام أن نستعين بالله على القيام بحقه وما أوجبه علينا فإن من أدى حق الله فقد أدرك أقصى الغايات.

كما أن علينا أن نقوم بشكر نعم الله التي لا تعد وإحسانه الذي لا يحد. . .

٣ ـ اليد : في الأصل هي الجارحة المعلومة وقد يكنى بها عن النعمة كما يقال لفلان يد عندي.
٤ ـ الرعاية : الحفظ والصيانة.
٥ ـ صادعاً : مظهراً ومتجاهراً.
٦ ـ أدى : أوصل.
٧ ـ الرشيد : المدرك للصواب أو المستقيم على طريق الحق.
٨ ـ مرق : خرج من الدين.
٩ ـ تخلف : عنها إذا تأخر ولم يلتحق.
١٠ ـ زهق : هلك.
١١ ـ المكيث : البطيء.
١٢ ـ البطيء : المتأني.
١٣ ـ ألنتم : من اللين وهو ضد الخشونة الملاطفة وحسن العشرة.
١٤ ـ أشار : إليه أوماً إليه.
١٥ ـ لبثتم : مكثتم وأقمتم.
١٦ ـ يضم نشركم : يصل متفرقكم.
١٧ ـ المقبل : المتوجه نحوك.
١٨ ـ لا تيأسوا : لا تقنطوا.
١٩ ـ المدبر : من أعطاك دبره وتوجه بخلاف ما أنت عليه.
٢٠ ـ تزل : تسقط وتزلق.
٢١ ـ قائمتاه : رجلاه.
٢٢ ـ تثبت : تستقر.
٢٣ ـ خوى : سقط للمغيب.
٢٤ ـ طلع : ظهر.
٢٥ ـ الصنائع : جمع صنيعة النعم والإحسان.

الشرح

(الحمد لله الناشر في الخلق فضله، والباسط فيهم بالجود يده نحمده في جميع أموره ونستعينه على رعاية حقوقه). هذه الخطبة المباركة تتضمن أخباره بأمور تجري على الناس ممن يتولون الحكم بعده كما يخبرهم أنه لا بد من ظهور إمام هو الإمام

٣ ـ اليد : في الأصل هي الجارحة المعلومة وقد يكنى بها عن النعمة كما يقال لفلان يد عندي.

٤ ـ الرعاية : الحفظ والصيانة.

٥ ـ صادعاً : مظهراً ومتجاهراً.

٦ ـ أدى : أوصل.

٧ ـ الرشيد : المدرك للصواب أو المستقيم على طريق الحق.

٨ ـ مرق : خرج من الدين.

٩ ـ تخلف : عنها إذا تأخر ولم يلتحق.

١٠ ـ زهق : هلك.

١١ ـ المكيث : البطيء.

١٢ ـ البطيء : المتأني.

١٣ ـ ألنتم : من اللين وهو ضد الخشونة الملاطفة وحسن العشرة.

١٤ ـ أشار : إليه أومأ إليه.

١٥ ـ لبثتم : مكثتم وأقمتم.

١٦ ـ يضم نشركم : يصل متفرقكم.

١٧ ـ المقبل : المتوجه نحوك.

١٨ ـ لا تيأسوا : لا تقنطوا.

١٩ ـ المدبر : من أعطاك دبره وتوجه بخلاف ما أنت عليه.

٢٠ ـ تزل : تسقط وتزلق.

٢١ ـ قائمتاه : رجلاه.

٢٢ ـ تثبت : تستقر.

٢٣ ـ خوى : سقط للمغيب.

٢٤ ـ طلع : ظهر.

٢٥ ـ الصنائع : جمع صنيعة النعم والإحسان.

الشرح

(الحمد لله الناشر في الخلق فضله، والباسط فيهم بالجود يده نحمده في جميع أموره ونستعينه على رعاية حقوقه). هذه الخطبة المباركة تتضمن أخباره بأمور تجري على الناس ممن يتولون الحكم بعده كما يخبرهم أنه لا بد من ظهور إمام هو الإمام

فإنه سيد العترة وزعيمها وراية الحق ودليلها وعنوانها وشعارها. . .

أشار إلى نفسه إلى أنه دليل هذه الراية لأن من عرف الإمام فقد وضع يده على الحق واهتدى أول الطريق واستطاع أن يمشي على الصراط المستقيم. . .

ثم أشار إلى بعض أوصافه فهو متروي متثبت في أقواله لا يقع منه خطأ في حديث ولا يعتذر من كلمة لأن له ملكة تهديه إلى صواب الكلام وصدق الحديث. . .

وأشار أيضاً إلى بطئه في القيام أي لا يتسرّع في أخذ القرار بل يدرس الأمور بتأني ويرى وجه المصلحة فيها، فقد كان صلوات الله عليه يدفع الحرب ما اندفعت ويحاول أن يؤخرها ويسوفها عسى أن يرجع إليه ضال أو يهتدي تائه وكان يصرح بذلك ويقول: ما دفعت الحرب يوماً إلا وأنا أطمع أن تلحق بي فئة فتهتدي بي وتعشو إلى ضوئي وذلك أحب إليّ من أن أقتلها على ضلالها وإن كانت تبوء بآثامها.

ومن صفات هذا الإمام أنه إذا قام عندما تكتمل عناصر القوة وتتم عوامل النصر قام بدون تأخير بل بأقصى سرعة وقد كان في الحرب سيدها وبطلها ومنتزع النصر من شجعانها.

(فإذا أنتم ألنتم له رقابكم وأشرتم إليه بأصابعكم جاءه الموت فذهب به فلبثتم بعده ما شاء الله حتى يطلع الله لكم من يجمعكم ويضم نشركم). وفي هذا إشارة إلى موته وأنه سيكون عندما تخضع له الأمة وتستسلم لإرادته وتؤدي له فروض الطاعة والاحترام وتجلّه وتعظمه عندها يأتيه الموت فيذهب به. . .

وقد قالوا: إنه عليه السلام كنى في هذه الخطبة عن نفسه وأعلمهم فيها أنهم سيفارقونه ويفقدونه بعد اجتماعهم عليه وطاعتهم له وهكذا وقع الأمر فإنه نقل أن أهل العراق لم يكونوا أشد اجتماعاً عليه من الشهر الذي قتل فيه عليه السلام.

وجاء في الأخبار أنه عقد للحسن ابنه عليه السلام على عشرة آلاف ولأبي أيوب الأنصاري على عشرة آلاف ولفلان وفلان حتى اجتمع له مائة ألف سيف وأخرج مقدمته أمامه يريد الشام فضربه اللعين ابن ملجم وكان من أمره ما كان وانفضت تلك الجموع وكانت كالغنم فقدت راعيها. . .

ثم أخبر أنه بعد موته سيتشتتون ويتوزعون ويبقون هكذا ما شاء الله حتى يخرج إليهم القائد العظيم الذي يجمع شملهم ويضم متفرقهم ويوحد كلمتهم وحمل على أنه الإمام المهدي أرواحنا له الفداء وهذا القدر المتيقن وعليه ينطبق الأمر بكماله وتمامه

فإنه سيد العترة وزعيمها وراية الحق ودليلها وعنوانها وشعارها . . .

أشار إلى نفسه إلى أنه دليل هذه الراية لأن من عرف الإمام فقد وضع يده على الحق واهتدى أول الطريق واستطاع أن يمشي على الصراط المستقيم . . .

ثم أشار إلى بعض أوصافه فهو متروي متثبت في أقواله لا يقع منه خطأ في حديث ولا يعتذر من كلمة لأن له ملكة تهديه إلى صواب الكلام وصدق الحديث . . .

وأشار أيضاً إلى بطئه في القيام أي لا يتسرّع في أخذ القرار بل يدرس الأمور بتأني ويرى وجه المصلحة فيها، فقد كان صلوات الله عليه يدفع الحرب ما اندفعت ويحاول أن يؤخرها ويسوفها عسى أن يرجع إليه ضال أو يهتدي تائه وكان يصرح بذلك ويقول: ما دفعت الحرب يوماً إلا وأنا أطمع أن تلحق بي فئة فتهتدي بي وتعشو إلى ضوئي وذلك أحب إليّ من أن أقتلها على ضلالها وإن كانت تبوء بآثامها .

ومن صفات هذا الإمام أنه إذا قام عندما تكتمل عناصر القوة وتتم عوامل النصر قام بدون تأخير بل بأقصى سرعة وقد كان في الحرب سيدها وبطلها ومنتزع النصر من شجعانها .

(فإذا أنتم ألنتم له رقابكم وأشرتم إليه بأصابعكم جاءه الموت فذهب به فلبثتم بعده ما شاء الله حتى يطلع الله لكم من يجمعكم ويضم نشركم) . وفي هذا إشارة إلى موته وأنه سيكون عندما تخضع له الأمة وتستسلم لإرادته وتؤدي له فروض الطاعة والاحترام وتجلّه وتعظمه عندها يأتيه الموت فيذهب به . . .

وقد قالوا: إنه عليه السلام كنى في هذه الخطبة عن نفسه وأعلمهم فيها أنهم سيفارقونه ويفقدونه بعد اجتماعهم عليه وطاعتهم له وهكذا وقع الأمر فإنه نقل أن أهل العراق لم يكونوا أشد اجتماعاً عليه من الشهر الذي قتل فيه عليه السلام .

وجاء في الأخبار أنه عقد للحسن ابنه عليه السلام على عشرة آلاف ولأبي أيوب الأنصاري على عشرة آلاف ولفلان وفلان حتى اجتمع له مائة ألف سيف وأخرج مقدمته أمامه يريد الشام فضربه اللعين ابن ملجم وكان من أمره ما كان وانفضت تلك الجموع وكانت كالغنم فقدت راعيها . . .

ثم أخبر أنه بعد موته سيتشتتون ويتوزعون ويبقون هكذا ما شاء الله حتى يخرج إليهم القائد العظيم الذي يجمع شملهم ويضم متفرقهم ويوحد كلمتهم وحمل على أنه الإمام المهدي أرواحنا له الفداء وهذا القدر المتيقن وعليه ينطبق الأمر بكماله وتمامه

١٠١ ـ ومن خطبة له عليه السلام

وهي إحدى الخطب المشتملة على الملاحم

الحَمْدُ للهِ الأَوَّلِ قَبْلَ كُلِّ أَوَّلٍ، وَالآخِرِ بَعْدَ كُلِّ آخِرٍ، وَبِأَوَّلِيَّتِهِ وَجَبَ[١] أَنْ لاَ أَوَّلَ لَهُ، وَبِآخِرِيَّتِهِ وَجَبَ أَنْ لاَ آخِرَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلٰه إِلاَّ اللهُ شَهَادَةً يُوَافِقُ فِيهَا السِّرُّ[٢] الإِعْلاَنَ، وَالقَلْبُ اللِّسَانَ.

أَيُّهَا النَّاسُ، لاَ يَجْرِمَنَّكُمْ[٣] شِقَاقِي[٤]، وَلاَ يَسْتَهْوِيَنَّكُمْ[٥] عِصْيَانِي[٦]، وَلاَ تَتَرَامَوْا بِالأَبْصَارِ[٧] عِنْدَ مَا تَسْمَعُونَهُ مِنِّي. فَوَالَّذِي فَلَقَ الحَبَّةَ[٨]، وَبَرَأَ[٩] النَّسَمَةَ[١٠]، إِنَّ الَّذِي أُنَبِّئُكُمْ[١١] بِهِ عَنِ النَّبِيِّ الأُمِّيِّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، مَا كَذَبَ المُبَلِّغُ، وَلاَ جَهِلَ السَّامِعُ. لَكَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَىٰ ضِلِّيلٍ[١٢] قَدْ نَعَقَ[١٣] بِالشَّامِ، وَفَحَصَ[١٤] بِرَايَاتِهِ[١٥] فِي ضَوَاحِي[١٦] كُوفَانَ[١٧]. فَإِذَا فَغَرَتْ[١٨] فَاغِرَتُهُ، وَاشْتَدَّتْ شَكِيمَتُهُ[١٩]، وَثَقُلَتْ فِي الأَرْضِ وَطْأَتُهُ[٢٠]، عَضَّتِ[٢١] الفِتْنَةُ[٢٢] أَبْنَاءَهَا بِأَنْيَابِهَا[٢٣]، وَمَاجَتْ[٢٤] الحَرْبُ بِأَمْوَاجِهَا، وَبَدَا[٢٥] مِنَ الأَيَّامِ كُلُوحُهَا[٢٦]، وَمِنَ اللَّيَالِي كُدُوحُهَا[٢٧]. فَإِذَا أَيْنَعَ[٢٨] زَرْعُهُ، وَقَامَ عَلَىٰ يَنْعِهِ، وَهَدَرَتْ[٢٩] شَقَاشِقُهُ[٣٠]، وَبَرَقَتْ[٣١] بَوَارِقُهُ[٣٢]، عُقِدَتْ رَايَاتُ الفِتَنِ المُعْضِلَةِ[٣٣]، وَأَقْبَلْنَ كَاللَّيْلِ المُظْلِمِ، وَالبَحْرِ المُلْتَطِمِ[٣٤]. هٰذَا، وَكَمْ يَخْرِقُ[٣٥] الكُوفَةَ مِنْ قَاصِفٍ[٣٦] وَيَمُرُّ عَلَيْهَا مِنْ عَاصِفٍ[٣٧]! وَعَنْ قَلِيلٍ تَلْتَفُّ القُرُونُ بِالقُرُونِ[٣٨]، وَيُحْصَدُ[٣٩] القَائِمُ، وَيُحْطَمُ[٤٠] المَحْصُودُ!.

١٠١ ـ ومن خطبة له عليه السلام

وهي إحدى الخطب المشتملة على الملاحم

الحَمْدُ للهِ الأَوَّلِ قَبْلَ كُلِّ أَوَّلٍ، وَالآخِرِ بَعْدَ كُلِّ آخِرٍ، وَبِأَوَّلِيَّتِهِ وَجَبَ[١] أَنْ لاَ أَوَّلَ لَهُ، وَبِآخِرِيَّتِهِ وَجَبَ أَنْ لاَ آخِرَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلٰه إِلاَّ اللهُ شَهَادَةً يُوَافِقُ فِيهَا السِّرُّ[٢] الإِعْلاَنَ، وَالقَلْبُ اللِّسَانَ.

أَيُّهَا النَّاسُ، لاَ يَجْرِمَنَّكُمْ[٣] شِقَاقِي[٤]، وَلاَ يَسْتَهْوِيَنَّكُمْ[٥] عِصْيَانِي[٦]، وَلاَ تَتَرَامَوْا بِالأَبْصَارِ[٧] عِنْدَ مَا تَسْمَعُونَهُ مِنِّي. فَوَالَّذِي فَلَقَ الحَبَّةَ[٨]، وَبَرَأَ[٩] النَّسَمَةَ[١٠]، إِنَّ الَّذِي أُنَبِّئُكُمْ[١١] بِهِ عَنِ النَّبِيِّ الأُمِّيِّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، مَا كَذَبَ المُبَلِّغُ، وَلاَ جَهِلَ السَّامِعُ. لَكَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَىٰ ضِلِّيلٍ[١٢] قَدْ نَعَقَ[١٣] بِالشَّامِ، وَفَحَصَ[١٤] بِرَايَاتِهِ[١٥] فِي ضَوَاحِي[١٦] كُوفَانَ[١٧]. فَإِذَا فَغَرَتْ[١٨] فَاغِرَتُهُ، وَاشْتَدَّتْ شَكِيمَتُهُ[١٩]، وَنَقَلَتْ فِي الأَرْضِ وَطْأَتُهُ[٢٠]، عَضَّتِ[٢١] الفِتْنَةُ[٢٢] أَبْنَاءَهَا بِأَنْيَابِهَا[٢٣]، وَمَاجَتْ[٢٤] الحَرْبُ بِأَمْوَاجِهَا، وَبَدَا[٢٥] مِنَ الأَيَّامِ كُلُوحُهَا[٢٦]، وَمِنَ اللَّيَالِي كُدُوحُهَا[٢٧]. فَإِذَا أَيْنَعَ[٢٨] زَرْعُهُ، وَقَامَ عَلَىٰ يَنْعِهِ، وَهَدَرَتْ[٢٩] شَقَاشِقُهُ[٣٠]، وَبَرَقَتْ[٣١] بَوَارِقُهُ[٣٢]، عُقِدَتْ رَايَاتُ الفِتَنِ المُعْضِلَةِ[٣٣]، وَأَقْبَلْنَ كَاللَّيْلِ المُظْلِمِ، وَالبَحْرِ المُلْتَطِمِ[٣٤]. هٰذَا، وَكَمْ يَخْرِقُ[٣٥] الكُوفَةَ مِنْ قَاصِفٍ[٣٦] وَيَمُرُّ عَلَيْهَا مِنْ عَاصِفٍ[٣٧]! وَعَنْ قَلِيلٍ تَلْتَفُّ القُرُونُ بِالقُرُونِ[٣٨]، وَيُحْصَدُ[٣٩] القَائِمُ، وَيُحْطَمُ[٤٠] المَحْصُودُ!.

٢٩ ـ هدرت : سالت وهدر البعير إذا قرقر وكرر صوته في حنجرته.
٣٠ ـ الشقاشق : جمع شقشقة شيء كالزبد يخرج من فم البعير عند هياجه.
٣١ ـ برقت : لمعت.
٣٢ ـ البوارق : السيوف والرماح لبريقها ولمعانها سميت بذلك.
٣٣ ـ المعضلة : كالمشكلة لفظاً ومعنى ما استعصى حلّه.
٣٤ ـ الملتطم : الذي يضرب بعضه بعضاً كالبحر يضرب موجه بعضه بعضاً.
٣٥ ـ يخرق : ينفذ من الشيء ويقطعه.
٣٦ ـ القاصف : ما اشتد صوته من الرعد والريح وغيرها.
٣٧ ـ العاصف : ما اشتد من الريح.
٣٨ ـ القرون : جمع قرن العظم النابت المرتفع في رؤوس بعض الحيوانات.
٣٩ ـ يحصد : يقطع الزرع بالمنجل/ والقرن الجيل من الناس.
٤٠ ـ يحطّم : يكسّر.

الشرح

(الحمد لله الأول قبل كل أول والآخر بعد كل آخر وبأوليته وجب أن لا أول له وبآخريته وجب أن لا آخر له). تحدث عليه السلام بهذه الخطبة عن أمور ستقع في مستقبل الأيام وابتدأها بحمد الله الأول الذي هو مبدأ الكائنات والآخر الذي يبقى وتفنى الكائنات وبهذا الاعتبار امتنع أن يكون قبله أحد أو يبقى بعده أحد لأنه لو كان الأمر كذلك لأنتفت أوليته وآخريته بما فسرناه...

(وأشهد أن لا إله إلا الله شهادة يوافق فيها السر الإعلان والقلب اللسان). أراد أن يثبت صدق توحيده وينفي النفاق عنه وذلك يتطابق ما في السر من هذه الشهادة لما في الظاهر وما في القلب لما في اللسان...

(أيها الناس لا يجرمنكم شقاقي ولا يستهوينكم عصياني ولا تتراموا بالأبصار عندما تسمعونه مني). وجّه الخطاب إلى أولئك الذين جلسوا تحت منبره يستمعون كلامه وهو يحدثهم بأمور خارقة للعادة ستجري عليهم وعلى الناس وهم على أطوار شتى فهذا يحمله عداءه له ومعادته معه إلى تكذيبه وذلك يجره التمرد وحب مخالفته إلى تكذيبه أيضاً وثالث يتغامز مع غيره إشارة منه إلى عدم الصدق في قوله عليه السلام يرى ممن تحت منبره هذه المناظر الموحشة ويبصر بأم عينه مدى تجاوزهم عليه ورميه بما لا يليق

٢٩ ـ هدرت : سالت وهدر البعير إذا قرقر وكرر صوته في حنجرته.
٣٠ ـ الشقاشق : جمع شقشقة شيء كالزبد يخرج من فم البعير عند هياجه.
٣١ ـ برقت : لمعت.
٣٢ ـ البوارق : السيوف والرماح لبريقها ولمعانها سميت بذلك.
٣٣ ـ المعضلة : كالمشكلة لفظاً ومعنى ما استعصى حلّه.
٣٤ ـ الملتطم : الذي يضرب بعضه بعضاً كالبحر يضرب موجه بعضه بعضاً.
٣٥ ـ يخرق : ينفذ من الشيء ويقطعه.
٣٦ ـ القاصف : ما اشتد صوته من الرعد والريح وغيرها.
٣٧ ـ العاصف : ما اشتد من الريح.
٣٨ ـ القرون : جمع قرن العظم النابت المرتفع في رؤوس بعض الحيوانات.
٣٩ ـ يحصد : يقطع الزرع بالمنجل/ والقرن الجيل من الناس.
٤٠ ـ يحطّم : يكسّر.

الشرح

(الحمد لله الأول قبل كل أول والآخر بعد كل آخر وبأوليته وجب أن لا أول له وبآخريته وجب أن لا آخر له). تحدث عليه السلام بهذه الخطبة عن أمور ستقع في مستقبل الأيام وابتدأها بحمد الله الأول الذي هو مبدأ الكائنات والآخر الذي يبقى وتفنى الكائنات وبهذا الاعتبار امتنع أن يكون قبله أحد أو يبقى بعده أحد لأنه لو كان الأمر كذلك لأنتفت أوليته وآخريته بما فسرناه...

(وأشهد أن لا إله إلا الله شهادة يوافق فيها السر الإعلان والقلب اللسان). أراد أن يثبت صدق توحيده وينفي النفاق عنه وذلك يتطابق ما في السر من هذه الشهادة لما في الظاهر وما في القلب لما في اللسان...

(أيها الناس لا يجرمنكم شقاقي ولا يستهوينكم عصياني ولا تتراموا بالأبصار عندما تسمعونه مني). وجّه الخطاب إلى أولئك الذين جلسوا تحت منبره يستمعون كلامه وهو يحدثهم بأمور خارقة للعادة ستجري عليهم وعلى الناس وهم على أطوار شتى فهذا يحمله عداءه له ومعادته معه إلى تكذيبه وذلك يجره التمرد وحب مخالفته إلى تكذيبه أيضاً وثالث يتغامز مع غيره إشارة منه إلى عدم الصدق في قوله عليه السلام يرى ممن تحت منبره هذه المناظر الموحشة ويبصر بأم عينه مدى تجاوزهم عليه ورميه بما لا يليق

إذا كان الأمر كذلك مرّ على الناس فتنة قاسية شرحها الإمام بقوله . . .

(عضت الفتنة أبناءها بأنيابها وماجت الحرب بأمواجها). بيان لما يصيب الأمة عندما يشتد جور هذا الضليل وتقوى شكيمته وتشتد في الأرض وطأته، إنها تأخذ هذه الفتنة الأبناء وتذيقهم مرارتها وألمها فقد شبهها بدابة لها أنياب قد غرزتها في هذه الأمة فكم يكون الألم وكم تكون المرارة؟! .

وعندها تموج الحرب بأمواجها أي تكثر وتشتد وتتحول في كل مكان وتشمل كل إنسان فيكثر القتل والتشريد والعذاب . . .

(وبدا من الأيام كلوحها). عندها تظهر الأيام السوداء على الناس لما تحمله معها من مآسي وآلام .

(ومن الليالي كدوحها). تظهر آثار تلك الليالي السوداء في جسد الأمة حيث يكون العذاب والمرارة والألم بحيث لا تمحى ولا يعفى أثرها . . .

(فإذا أينع زرعه وقام على ينعه). أراد بهذا الكلام أنه إذا هدأت له الحال فتملك واستقر وأراد أن يستفيد من ذلك الاستقرار .

(وهدرت شقاشقه وبرقت بوارقه). ظهرت قبائحه وبان طغيانه بما يصدر منه من تهديد ووعيد وظهرت سطوته وقوته .

(عقدت رايات الفتن المعضلة). عندئذ تقع الفتن الكثيرة التي يصعب حلها ويستعصي علاجها .

(وأقبلن كالليل المظلم والبحر الملتطم). فهذه الفتن لشدتها وقساوتها شبهها بالليل المظلم الذي لا يرى فيه الإنسان مواقع أقدامه ولا يهتدي فيها إلى الحق كما أن الناس فيها يضرب بعضهم وجوه بعض ويقضي بعضهم على بعض كالبحر تتلاطم أمواجه ويضرب بعضها بعضاً . . .

(هذا وكم يخرق الكوفة من قاصف ويمر عليها من عاصف). وهذا إخبار عما سيجري على الكوفة من البلاء والمحن، إنها كثيرة تقضي على الشرفاء والأخيار بل تعم الناس جميعاً . . . سيمر عليها الجبار العنيد والشيطان المريد الذي يأتي على الناس فيقضي عليهم وقد وقع ذلك في زمن ابن زياد والحجاج والأمويين حيث كانوا يعرفون موقع الكوفة من الأحداث ويعرفون مَنْ بها من رجالات العرب وأنصار أهل البيت ولذا أذاقوها المرارات وجرعوها الغصص ومارسوا عليها أبشع صور الإذلال والقهر . . .

إذا كان الأمر كذلك مرّ على الناس فتنة قاسية شرحها الإمام بقوله. . .

(**عضت الفتنة أبناءها بأنيابها وماجت الحرب بأمواجها**). بيان لما يصيب الأمة عندما يشتد جور هذا الضليل وتقوى شكيمته وتشتد في الأرض وطأته، إنها تأخذ هذه الفتنة الأبناء وتذيقهم مرارتها وألمها فقد شبهها بدابة لها أنياب قد غرزتها في هذه الأمة فكم يكون الألم وكم تكون المرارة؟!.

وعندها تموج الحرب بأمواجها أي تكثر وتشتد وتتحول في كل مكان وتشمل كل إنسان فيكثر القتل والتشريد والعذاب. . .

(**وبدا من الأيام كلوحها**). عندها تظهر الأيام السوداء على الناس لما تحمله معها من مآسي وآلام.

(**ومن الليالي كدوحها**). تظهر آثار تلك الليالي السوداء في جسد الأمة حيث يكون العذاب والمرارة والألم بحيث لا تمحى ولا يعفى أثرها. . .

(**فإذا أينع زرعه وقام على ينعه**). أراد بهذا الكلام أنه إذا هدأت له الحال فتملك واستقر وأراد أن يستفيد من ذلك الاستقرار.

(**وهدرت شقاشقه وبرقت بوارقه**). ظهرت قبائحه وبان طغيانه بما يصدر منه من تهديد ووعيد وظهرت سطوته وقوته.

(**عقدت رايات الفتن المعضلة**). عندئذ تقع الفتن الكثيرة التي يصعب حلها ويستعصي علاجها.

(**وأقبلن كالليل المظلم والبحر الملتطم**). فهذه الفتن لشدتها وقساوتها شبهها بالليل المظلم الذي لا يرى فيه الإنسان مواقع أقدامه ولا يهتدي فيها إلى الحق كما أن الناس فيها يضرب بعضهم وجوه بعض ويقضي بعضهم على بعض كالبحر تتلاطم أمواجه ويضرب بعضها بعضاً. . .

(**هذا وكم يخرق الكوفة من قاصف ويمر عليها من عاصف**). وهذا إخبار عما سيجري على الكوفة من البلاء والمحن، إنها كثيرة تقضي على الشرفاء والأخيار بل تعم الناس جميعاً. . . سيمر عليها الجبار العنيد والشيطان المريد الذي يأتي على الناس فيقضي عليهم وقد وقع ذلك في زمن ابن زياد والحجاج والأمويين حيث كانوا يعرفون موقع الكوفة من الأحداث ويعرفون مَنْ بها من رجالات العرب وأنصار أهل البيت ولذا أذاقوها المرارات وجرعوها الغصص ومارسوا عليها أبشع صور الإذلال والقهر. . .

١٠٢ ـ ومن خطبة له عليه السلام

تجري هذا المجرى

وفيها ذكر يوم القيامة وأحوال الناس المقبلة

يوم القيامة

وَذٰلِكَ يَوْمٌ يَجْمَعُ اللهُ فِيهِ الأَوَّلِينَ وَالآخِرِينَ لِنِقَاشِ الحِسَابِ(١) وَجَزَاءِ(٢) الأَعْمَالِ، خُضُوعاً(٣)، قِياماً، قَدْ أَلْجَمَهُمُ العَرَقُ(٤)، وَرَجَفَتْ(٥) بِهِمُ الأَرْضُ، فَأَحْسَنُهُمْ حَالاً مَنْ وَجَدَ لِقَدَمَيْهِ مَوْضِعاً، وَلِنَفْسِهِ مُتَّسَعاً(٦).

حال مقبلة على الناس

ومنها: فِتَنٌ كَقِطَعِ اللَّيْلِ(٧) المُظْلِمِ، لاَ تَقُومُ لَهَا قَائِمَةٌ(٨)، وَلاَ تُرَدُّ لَهَا رَايَةٌ(٩)، تَأْتِيكُمْ مَزْمُومَةً(١٠) مَرْحُولَةً(١١): يَحْفِزُهَا(١٢) قَائِدُهَا(١٣) وَيَجْهَدُهَا(١٤) رَاكِبُهَا، أَهْلُهَا قَوْمٌ شَدِيدٌ كَلَبُهُمْ(١٥)، قَلِيلٌ سَلَبُهُمْ(١٦) يُجَاهِدُهُمْ فِي سَبِيلِ اللهِ قَوْمٌ أَذِلَّةٌ عِنْدَ المُتَكَبِّرِينَ، فِي الأَرْضِ مَجْهُولُونَ، وَفِي السَّمَاءِ مَعْرُوفُونَ. فَوَيْلٌ(١٧) لَكِ يَا بَصْرَةُ عِنْدَ ذٰلِكَ، مِنْ جَيْشٍ مِنْ نِقَمِ(١٨) اللهِ! لاَ رَهَجَ(١٩) لَهُ، وَلاَ حَسَّ(٢٠)، وَسَيُبْتَلَىٰ أَهْلُكِ بِالمَوْتِ الأَحْمَرِ، وَالجُوعِ الأَغْبَرِ(٢١).

١٠٢ ـ ومن خطبة له عليه السلام

تجري هذا المجرى

وفيها ذكر يوم القيامة وأحوال الناس المقبلة

يوم القيامة

وَذٰلِكَ يَوْمٌ يَجْمَعُ اللهُ فِيهِ الأَوَّلِينَ وَالآخِرِينَ لِنِقَاشِ الحِسَابِ(١) وَجَزَاءِ(٢) الأَعْمَالِ، خُضُوعاً(٣)، قِياماً، قَدْ أَلْجَمَهُمُ العَرَقُ(٤)، وَرَجَفَتْ(٥) بِهِمُ الأَرْضُ، فَأَحْسَنُهُمْ حَالاً مَنْ وَجَدَ لِقَدَمَيْهِ مَوْضِعاً، وَلِنَفْسِهِ مُتَّسَعاً(٦).

حال مقبلة على الناس

ومنها: فِتَنٌ كَقِطَعِ اللَّيْلِ(٧) المُظْلِمِ، لاَ تَقُومُ لَهَا قَائِمَةٌ(٨)، وَلاَ تُرَدُّ لَهَا رَايَةٌ(٩)، تَأْتِيكُمْ مَزْمُومَةً(١٠) مَرْحُولَةً(١١): يَحْفِزُهَا(١٢) قَائِدُهَا(١٣) وَيَجْهَدُهَا(١٤) رَاكِبُهَا، أَهْلُهَا قَوْمٌ شَدِيدٌ كَلَبُهُمْ(١٥)، قَلِيلٌ سَلَبُهُمْ(١٦) يُجَاهِدُهُمْ فِي سَبِيلِ اللهِ قَوْمٌ أَذِلَّةٌ عِنْدَ المُتَكَبِّرِينَ، فِي الأَرْضِ مَجْهُولُونَ، وَفِي السَّمَاءِ مَعْرُوفُونَ. فَوَيْلٌ(١٧) لَكِ يَا بَصْرَةُ عِنْدَ ذٰلِكَ، مِنْ جَيْشٍ مِنْ نِقَمِ(١٨) اللهِ! لاَ رَهَجَ(١٩) لَهُ، وَلاَ حَسَّ(٢٠)، وَسَيُبْتَلَىٰ أَهْلُكِ بِالمَوْتِ الأَحْمَرِ، وَالجُوعِ الأَغْبَرِ(٢١).

أما يوم القيامة فهو يوم شديد يجمع الله فيه الناس جميعاً من مضى منهم في قديم الزمان ومن هو قريب عهد يجمعهم للحساب كما قال تعالى: **﴿إن في ذلك لآية لمن خاف عذاب الآخرة ذلك يوم مجموع له الناس وذلك يوم مشهود﴾**. قال الطبرسي في مجمع البيان: أي يجمع فيه الناس كلهم الأولون والآخرون منهم للجزاء والحساب... يشهده الخلائق كلهم من الجن والإنس وأهل السماء وأهل الأرض أي يحضره ولا يوصف بهذه الصفة يوم سواه وفي هذا دلالة على إثبات المعاد وحشر الخلق...

ويوم القيامة يلتقي فيه الظالم والمظلوم، المطيع لله والعاصي، يلتقون جميعاً لتقديم حساباتهم وما عملوا في دار الدنيا.

وقيامهم في خشوع وخضوع يأخذهم الخوف والفزع قد أغرقهم العرق إلى أفواههم واضطربت بهم الأرض وزلزلت زلزالها...

(فأحسنهم حالاً من وجد لقدميه موضعاً ولنفسه متسعاً). وهذا وصف لشدة الزحام في ذلك اليوم وأن أحسن الناس وأفضلهم من وجد موطئاً لقدميه بحيث تستقران به على الأرض ولشخصه مكاناً يسعه دون ضيق...

(فتن كقطع الليل المظلم). اضطرابات شديدة يخبر بها الإمام حتى كأنها ظلمات الليالي الحالكة التي لا يهتدي فيها المرء إلى الطريق ولا يبصر كيف يسير...

(لا تقوم لها قائمة ولا ترد لها راية). لا يقف في وجهها أحد إلا أخذته ودمرته ولا تهزم في موقع أو تسقط في معركة بل يكون النصر لها باستمرار.

(تأتيكم مزمومة مرحولة يحفزها قائدها ويجهدها راكبها). وهذه الفتنة شبهها بالناقة المهيأة للركوب فزمامها التي تقاد به جاهز ورحلها بأدواته كلها عليها وكذلك الفتنة فإن جميع عناصرها جاهزة المشاغبون والإعلاميون والسياسيون والعسكريون.

إنها تأتي متكاملة يدفعها قائدها وهم الأعوان ويسعر نارها راكبها وهم أرباب الفتنة.

وقيل: يمكن أن يراد بالقائد هم الرّجل وبالراكب الفرسان...

ومختصر ما يراد أنها فتنة شديدة وفوضى رهيبة يجهد أهلها في تسعيرها لإدراك ما يطلبون...

(أهلها قوم شديد كلبهم قليل سلبهم). وهذا وصف لأهل هذه الفتنة إنهم قوم

أما يوم القيامة فهو يوم شديد يجمع الله فيه الناس جميعاً من مضى منهم في قديم الزمان ومن هو قريب عهد يجمعهم للحساب كما قال تعالى: ﴿**إن في ذلك لآية لمن خاف عذاب الآخرة ذلك يوم مجموع له الناس وذلك يوم مشهود**﴾. قال الطبرسي في مجمع البيان: أي يجمع فيه الناس كلهم الأولون والآخرون منهم للجزاء والحساب... يشهده الخلائق كلهم من الجن والإنس وأهل السماء وأهل الأرض أي يحضره ولا يوصف بهذه الصفة يوم سواه وفي هذا دلالة على إثبات المعاد وحشر الخلق...

ويوم القيامة يلتقي فيه الظالم والمظلوم، المطيع لله والعاصي، يلتقون جميعاً لتقديم حساباتهم وما عملوا في دار الدنيا.

وقيامهم في خشوع وخضوع يأخذهم الخوف والفزع قد أغرقهم العرق إلى أفواههم واضطربت بهم الأرض وزلزلت زلزالها...

(**فأحسنهم حالاً من وجد لقدميه موضعاً ولنفسه متسعاً**). وهذا وصف لشدة الزحام في ذلك اليوم وأن أحسن الناس وأفضلهم من وجد موطئاً لقدميه بحيث تستقران به على الأرض ولشخصه مكاناً يسعه دون ضيق...

(**فتن كقطع الليل المظلم**). اضطرابات شديدة يخبر بها الإمام حتى كأنها ظلمات الليالي الحالكة التي لا يهتدي فيها المرء إلى الطريق ولا يبصر كيف يسير...

(**لا تقوم لها قائمة ولا ترد لها راية**). لا يقف في وجهها أحد إلا أخذته ودمرته ولا تهزم في موقع أو تسقط في معركة بل يكون النصر لها باستمرار.

(**تأتيكم مزمومة مرحولة يحفزها قائدها ويجهدها راكبها**). وهذه الفتنة شبهها بالناقة المهيأة للركوب فزمامها التي تقاد به جاهز ورحلها بأدواته كلها عليها وكذلك الفتنة فإن جميع عناصرها جاهزة المشاغبون والإعلاميون والسياسيون والعسكريون.

إنها تأتي متكاملة يدفعها قائدها وهم الأعوان ويسعر نارها راكبها وهم أرباب الفتنة.

وقيل: يمكن أن يراد بالقائد هم الرّجل وبالراكب الفرسان...

ومختصر ما يراد أنها فتنة شديدة وفوضى رهيبة يجهد أهلها في تسعيرها لإدراك ما يطلبون...

(**أهلها قوم شديد كلبهم قليل سلبهم**). وهذا وصف لأهل هذه الفتنة إنهم قوم

١٠٣ ـ ومن خطبة له عليه السلام

في التزهيد في الدنيا

أَيُّهَا النَّاسُ، انْظُرُوا إِلَىٰ الدّنْيَا نَظَرَ الزَّاهِدِينَ فِيهَا[١]، الصَّادِقِينَ[٢] عَنْهَا، فَإِنَّهَا وَاللهِ عَمَّا قَلِيلٍ تُزِيلُ[٣] الثَّاوِيَ[٤] السَّاكِنَ، وَتَفْجَعُ[٥] المُتْرَفَ[٦] الآمِنَ، لاَ يَرْجِعُ مَا تَوَلَّى[٧] مِنْهَا فَأَدْبَرَ، وَلاَ يُدْرَى[٨] مَا هُوَ آتٍ مِنْهَا فَيُنْتَظَرَ. سُرُورُهَا مَشُوبٌ[٩] بِالحُزْنِ، وَجَلَدُ[١٠] الرِّجَالِ فِيهَا إِلَىٰ الضَّعْفِ وَالوَهْنِ[١١]، فَلاَ يَغُرَّنَّكُمْ[١٢] كَثْرَةُ مَا يُعْجِبُكُمْ فِيهَا لِقِلَّةِ مَا يَصْحَبُكُمْ مِنْهَا.

رَحِمَ اللهُ امْرَأً تَفَكَّرَ فَاعْتَبَرَ[١٣]، وَاعْتَبَرَ فَأَبْصَرَ، فَكَأَنَّ مَا هُوَ كَائِنٌ مِنَ الدُّنْيَا عَنْ قَلِيلٍ لَمْ يَكُنْ، وَكَأَنَّ مَا هُوَ كَائِنٌ مِنَ الآخِرَةِ عَمَّا قَلِيلٍ لَمْ يَزَلْ، وَكُلُّ مَعْدُودٍ مُنْقَضٍ[١٤]، وَكُلُّ مُتَوَقَّعٍ آتٍ، وَكُلُّ آتٍ قَرِيبٌ دَانٍ[١٥].

صفة العالم

ومنها: العَالِمُ مَنْ عَرَفَ قَدْرَهُ[١٦]، وَكَفَىٰ بِالمَرْءِ جَهْلاً أَلاَّ يَعْرِفَ قَدْرَهُ، وَإِنَّ مِنْ أَبْغَضِ[١٧] الرِّجَالِ إِلَىٰ اللهِ تَعَالَىٰ لَعَبْداً وَكَلَهُ اللهُ إِلَىٰ نَفْسِهِ، جَائِراً[١٨] عَنْ قَصْدِ السَّبِيلِ[١٩]، سَائِراً بِغَيْرِ دَلِيلٍ؛ إِنْ دُعِيَ إِلَىٰ حَرْثِ[٢٠] الدُّنْيَا عَمِلَ، وَإِنْ دُعِيَ إِلَىٰ حَرْثِ الآخِرَةِ كَسِلَ[٢١]! كَأَنَّ مَا عَمِلَ لَهُ وَاجِبٌ عَلَيْهِ؛ وَكَأَنَّ مَا وَنَى[٢٢] فِيهِ سَاقِطٌ عَنْهُ!.

آخر الزمان

ومنها: وَذٰلِكَ زَمَانٌ لاَ يَنْجُو فِيهِ إِلاَّ كُلُّ مُؤْمِنٍ نُومَةٍ[٢٣]، «إِنْ شَهِدَ[٢٤]

١٠٣ ـ ومن خطبة له عليه السلام

في التزهيد في الدنيا

أَيُّهَا النَّاسُ، انْظُرُوا إِلَىٰ الدُّنْيَا نَظَرَ الزَّاهِدِينَ فِيهَا[١]، الصَّادِقِينَ[٢] عَنْهَا، فَإِنَّهَا وَاللهِ عَمَّا قَلِيلٍ تُزِيلُ[٣] الثَّاوِيَ[٤] السَّاكِنَ، وَتَفْجَعُ[٥] المُتْرَفَ[٦] الآمِنَ، لاَ يَرْجِعُ مَا تَوَلَّى[٧] مِنْهَا فَأَدْبَرَ، وَلاَ يُدْرَى[٨] مَا هُوَ آتٍ مِنْهَا فَيُنْتَظَرَ. سُرُورُهَا مَشُوبٌ[٩] بِالحُزْنِ، وَجَلَدُ[١٠] الرِّجَالِ فِيهَا إِلَىٰ الضَّعْفِ وَالوَهْنِ[١١]، فَلاَ يَغُرَّنَّكُمْ[١٢] كَثْرَةُ مَا يُعْجِبُكُمْ فِيهَا لِقِلَّةِ مَا يَصْحَبُكُمْ مِنْهَا.

رَحِمَ اللهُ امْرَأً تَفَكَّرَ فَاعْتَبَرَ[١٣]، وَاعْتَبَرَ فَأَبْصَرَ، فَكَأَنَّ مَا هُوَ كَائِنٌ مِنَ الدُّنْيَا عَنْ قَلِيلٍ لَمْ يَكُنْ، وَكَأَنَّ مَا هُوَ كَائِنٌ مِنَ الآخِرَةِ عَمَّا قَلِيلٍ لَمْ يَزَلْ، وَكُلُّ مَعْدُودٍ مُنْقَضٍ[١٤]، وَكُلُّ مُتَوَقَّعٍ آتٍ، وَكُلُّ آتٍ قَرِيبٌ دَانٍ[١٥].

صفة العالم

ومنها: العَالِمُ مَنْ عَرَفَ قَدْرَهُ[١٦]، وَكَفَىٰ بِالمَرْءِ جَهْلاً أَلاَّ يَعْرِفَ قَدْرَهُ، وَإِنَّ مِنْ أَبْغَضِ[١٧] الرِّجَالِ إِلَىٰ اللهِ تَعَالَىٰ لَعَبْداً وَكَلَهُ اللهُ إِلَىٰ نَفْسِهِ، جَائِراً[١٨] عَنْ قَصْدِ السَّبِيلِ[١٩]، سَائِراً بِغَيْرِ دَلِيلٍ؛ إِنْ دُعِيَ إِلَىٰ حَرْثِ[٢٠] الدُّنْيَا عَمِلَ، وَإِنْ دُعِيَ إِلَىٰ حَرْثِ الآخِرَةِ كَسِلَ[٢١]! كَأَنَّ مَا عَمِلَ لَهُ وَاجِبٌ عَلَيْهِ؛ وَكَأَنَّ مَا وَنَى[٢٢] فِيهِ سَاقِطٌ عَنْهُ!.

آخر الزمان

ومنها: وَذٰلِكَ زَمَانٌ لاَ يَنْجُو فِيهِ إِلاَّ كُلُّ مُؤْمِنٍ نُوَمَةٍ[٢٣]، «إِنْ شَهِدَ[٢٤]

١٤ ـ منقض : من انقضى الشيء إذا فني وتصرم.
١٥ ـ دان : قريب.
١٦ ـ القدر : الشأن، مبلغ الشيء، كون الشيء مساوياً لغيره بدون زيادة ولا نقصان.
١٧ ـ البغض : الكراهية ضد الحب.
١٨ ـ الجائر : المائل عن الاستقامة.
١٩ ـ قصد السبيل : الطريق المستقيم ومعنى وعلى الله قصد السبيل أي بيان الطريق المستقيم الموصل إلى الحق.
٢٠ ـ الحرث : كل ما يصنع ليثمر فائدة.
٢١ ـ الكسل : الفتر والتثاقل والتواني عما لا ينبغي أن يتوانى عنه.
٢٢ ـ ونى فيه : ضعف وفتر.
٢٣ ـ النومة : كثير النوم/ خامل الذكر.
٢٤ ـ شهد : حضر.
٢٥ ـ لم يفتقد : لم يطلب في غيبته.
٢٦ ـ السّرى : كالهدى السير في الليل.
٢٧ ـ المسابيح : جمع مسياح وهو الذي يسيح بين الناس بالفساد والنمائم.
٢٨ ـ المذابيع : جمع مذياع وهو الذي إذا سمع لغيره بفاحشة أذاعها.
٢٩ ـ البُذُر : الذي يذيع الأسرار، أو الذي يكثر سفهه ويلغو منطقه.
٣٠ ـ الضراء : الشدة، نقيض السراء.
٣١ ـ النقمة : العقوبة.
٣٢ ـ يكفأ : الإناء يُقلب على وجهه.
٣٣ ـ الإناء : الوعاء.
٣٤ ـ أعاذكم : الله عصمكم وحفظكم.
٣٥ ـ يجور : يظلم، يميل عن الحق.
٣٦ ـ يبتليكم : يمتحنكم ليميز الخبيث من الطيب.

الشرح

(أيها الناس انظروا إلى الدنيا نظر الزاهدين فيها الصادقين عنها). هذه الخطبة تتضمن التزهيد في الدنيا كما تتضمن وصف أبغض الرجال إلى الله وفي آخرها وصف لأخبار آخر الزمان.

١٤ ـ منقض : من انقضى الشيء إذا فني وتصرم.
١٥ ـ دان : قريب.
١٦ ـ القدر : الشأن، مبلغ الشيء، كون الشيء مساوياً لغيره بدون زيادة ولا نقصان.
١٧ ـ البغض : الكراهية ضد الحب.
١٨ ـ الجائر : المائل عن الاستقامة.
١٩ ـ قصد السبيل : الطريق المستقيم ومعنى وعلى الله قصد السبيل أي بيان الطريق المستقيم الموصل إلى الحق.
٢٠ ـ الحرث : كل ما يصنع ليثمر فائدة.
٢١ ـ الكسل : الفتر والتثاقل والتواني عما لا ينبغى أن يتوانى عنه.
٢٢ ـ ونى فيه : ضعف وفتر.
٢٣ ـ النومة : كثير النوم/ خامل الذكر.
٢٤ ـ شهد : حضر.
٢٥ ـ لم يفتقد : لم يطلب في غيبته.
٢٦ ـ السّرى : كالهدى السير في الليل.
٢٧ ـ المسايح : جمع مسياح وهو الذي يسيح بين الناس بالفساد والنمائم.
٢٨ ـ المذايع : جمع مذياع وهو الذي إذا سمع لغيره بفاحشة أذاعها.
٢٩ ـ البُذُر : الذي يذيع الأسرار، أو الذي يكثر سفهه ويلغو منطقه.
٣٠ ـ الضراء : الشدة، نقيض السراء.
٣١ ـ النقمة : العقوبة.
٣٢ ـ يكفأ : الإناء يُقلب على وجهه.
٣٣ ـ الإناء : الوعاء.
٣٤ ـ أعاذكم : الله عصمكم وحفظكم.
٣٥ ـ يجور : يظلم، يميل عن الحق.
٣٦ ـ يبتليكم : يمتحنكم ليميز الخبيث من الطيب.

الشرح

(أيها الناس انظروا إلى الدنيا نظر الزاهدين فيها الصادفين عنها). هذه الخطبة تتضمن التزهيد في الدنيا كما تتضمن وصف أبغض الرجال إلى الله وفي آخرها وصف لأخبار آخر الزمان.

في الدنيا ومن كان نصيبه من دنياه هذا حق له أن لا يغترّ بها وبزينتها وما فيها . . .

(**رحم الله امرأ تفكر فاعتبر، واعتبر فابصر**). دعا بالرحمة لمن تفكر لأن الإنسان إذا فكّر في حاله وحال الدنيا وما هو فيه وما هو صائر إليه اتعظ وأخذ العبرة وإذا اتعظ انكشف له وجه الحق والصواب فادرك الحقيقة عارية كما هي فعمل لها وأوصى بها وكم في التاريخ من أشخاص تداركتهم رحمة الله فحوّلتهم من أشرار فساق فجار إلى أخيار عدول أتقياء، قد تكون كلمة واحدة تنطلق من قلب صادق فتلتقي بساعة من ساعات الصفاء والطهر والتوجه فتغير مسار هذا الشخص وبرنامج حياته وقصة بشر الحافي مع الإمام الكاظم أصدق شاهد فقد كان بشر منحرفاً مستهتراً فاسقاً وبكلمة واحدة تحوّل ليكون من الأبدال والأوتاد في الأرض . . .

(**فكأن ما هو كائن من الدنيا عن قليل لم يكن وكأن ما هو كائن من الآخرة عما قليل لم يزل**). موجود الدنيا لزواله كأنه لم يكن ومعدوم الآخرة لوجوده ودوامه لا يفنى، كناية عن شدة زوال الدنيا وانقضائها وأن الموجود منها لا يبقى وكنى عن دوام الآخرة ونعيمها بعدم الفناء لها، فنعيم الدنيا يفنى وكأنه لم يكن وأجر الآخرة يبقى وإن لم يأت بعد . . .

(**وكل معدود منقض وكل متوقع آت وكل آت قريب دان**). كل معدود محدود والمحدود ينتهي فينقضي أشار إلى الأعمار وأنها معدودة بالأيام والساعات وهي تتصرم شيئاً فشيئاً وتهدم في كل لحظة حتى ينتهي عمر هذا الإنسان وما تتوقعه من خير أو شر في الآخرة لا بد وأن يأتي وكل آت قريب وإن طالت مدته لأن كل يوم يمضي يقترب هو منك وتدنو أنت منه . . .

(**العالم من عرف قدره وكفى بالمرء جهلاً ألاّ يعرف قدره**). الذي يصح أن يطلق عليه أنه عالم وينحصر العلم فيه هو ذلك الذي يعرف قدره أي موقعه من تكوين هذا الوجود ودوره فيه ومن هذه المعرفة تتفرع عنها سائر المعارف الصغيرة من نسبته إلى غيره من الموجودات وما المراد منه بالنسبة إلى الحياة.

ويكفي الإنسان جهلاً أن لا يعرف قدره لأن من يجهل موقعه وقدره من الله وهذا الكون فهو الجهل الذي يتفرع عنه غيره من الجهل.

(**وإن من أبغض الرجال إلى الله تعالى لعبداً وكلّه الله إلى نفسه جائراً عن قصد السبيل سائراً بغير دليل**). هذا هو الرجل الذي سقط من عين الله فتركه الله وشأنه . . .

في الدنيا ومن كان نصيبه من دنياه هذا حق له أن لا يغترّ بها وبزينتها وما فيها. . .

(**رحم الله امرأ تفكر فاعتبر، واعتبر فابصر**). دعا بالرحمة لمن تفكر لأن الإنسان إذا فكّر في حاله وحال الدنيا وما هو فيه وما هو صائر إليه اتعظ وأخذ العبرة وإذا اتعظ انكشف له وجه الحق والصواب فادرك الحقيقة عارية كما هي فعمل لها وأوصى بها وكم في التاريخ من أشخاص تداركتهم رحمة الله فحوّلتهم من أشرار فساق فجار إلى أخيار عدول أتقياء، قد تكون كلمة واحدة تنطلق من قلب صادق فتلتقي بساعة من ساعات الصفاء والطهر والتوجه فتغير مسار هذا الشخص وبرنامج حياته وقصة بشر الحافي مع الإمام الكاظم أصدق شاهد فقد كان بشر منحرفاً مستهتراً فاسقاً وبكلمة واحدة تحوّل ليكون من الأبدال والأوتاد في الأرض. . .

(**فكأن ما هو كائن من الدنيا عن قليل لم يكن وكأن ما هو كائن من الآخرة عما قليل لم يزل**). موجود الدنيا لزواله كأنه لم يكن ومعدوم الآخرة لوجوده ودوامه لا يفنى، كناية عن شدة زوال الدنيا وانقضائها وأن الموجود منها لا يبقى وكنى عن دوام الآخرة ونعيمها بعدم الفناء لها، فنعيم الدنيا يفنى وكأنه لم يكن وأجر الآخرة يبقى وإن لم يأت بعد. . .

(**وكل معدود منقض وكل متوقع آت وكل آت قريب دان**). كل معدود محدود والمحدود ينتهي فينقضي أشار إلى الأعمار وأنها معدودة بالأيام والساعات وهي تتصرم شيئاً فشيئاً وتهدم في كل لحظة حتى ينتهي عمر هذا الإنسان وما تتوقعه من خير أو شر في الآخرة لا بد وأن يأتي وكل آت قريب وإن طالت مدته لأن كل يوم يمضي يقترب هو منك وتدنو أنت منه. . .

(**العالم من عرف قدره وكفى بالمرء جهلاً ألاّ يعرف قدره**). الذي يصح أن يطلق عليه أنه عالم وينحصر العلم فيه هو ذلك الذي يعرف قدره أي موقعه من تكوين هذا الوجود ودوره فيه ومن هذه المعرفة تتفرع عنها سائر المعارف الصغيرة من نسبته إلى غيره من الموجودات وما المراد منه بالنسبة إلى الحياة.

ويكفي الإنسان جهلاً أن لا يعرف قدره لأن من يجهل موقعه وقدره من الله وهذا الكون فهو الجهل الذي يتفرع عنه غيره من الجهل.

(**وإن من أبغض الرجال إلى الله تعالى لعبداً وكلّه الله إلى نفسه جائراً عن قصد السبيل سائراً بغير دليل**). هذا هو الرجل الذي سقط من عين الله فتركه الله وشأنه. . .

(ليسوا بالمسابيح ولا المذابيع البذر أولئك يفتح الله لهم أبواب رحمته ويكشف عنهم ضراء نقمته). وهذه أيضاً من صفات أولئك الذين كتب لهم النجاة إنهم لا يسيحون بين الناس بالفساد والنمائم ولا ينشرون بينهم الفواحش والموبقات ولا يعملون لإفساد المجتمع وإضلاله وزرع الفتن فيه كما يعمله المفسدون والمضلون الذين يجهزون كل وسائل الإعلام وأجهزتها من أجل أن يضلوا الناس ويفسدوا أخلاقهم ويحولوهم عن عقيدتهم. . .

ثم رتب عليه السلام على هذه الأوصاف نتيجة كريمة، وهي أن الله يفتح لهم أبواب رحمته من حيث تيسير أمورهم وتوفيقهم في الدنيا ومن حيث يدخلهم الجنة عرفها لهم في الآخرة.

وكذلك يكشف عنهم ضراء نقمته فلا يصيبهم مكروه في الدنيا كما لا يصيبهم أذية من عقاب الله في الآخرة. . .

(أيها الناس سيأتي عليكم زمان يكفأ فيه الإسلام كما يكفأ الإناء بما فيه). أخبر عليه السلام بما يحمله الزمان بعده وأن الإسلام ستتعطل أحكامه ويتوقف دوره ولا يعود يعمل به حتى من أهله بل تقلب مفاهيمه وأحكامه وتسخر من أجل أهداف الحكام وتمرير مخططاتهم الجهنمية وقد هزّنا التلاعب بهذا الدين وأحكامه وراح علماء السوء يبررون فعل الظالمين ويباركون مسيرة الخائنين وقد برز ذلك فيما حدث في معاهدة الصلح المصرية الإسرائيلية حيث راح علماء البلاط يصححون السلام المذل ويباركون جهود الخونة ويضفون على خطواتهم شرعية إسلامية والإسلام منها بريء، وكذلك حدث ما يهز المسلم من أعماقه أثناء حرب الخليج التي حشدت فيها أمريكا وحلفاؤها جيوشهم في مواجهة الخائن الصغير صدام التكريتي فقد دارت المهاترات بين العلماء وعلى شاشات التلفزيون وصفحات الجرائد فهذا يقف إلى جانب الإستعمار الأمريكي في حربه لتحرير الكويت المزعوم وذاك يقف إلى جانب العميل الإستعماري صدام وكلهم في خدمة الحكام وليس في مصلحة الإسلام وبيان أحكامه أو الإلتزام بما فيه وما أمر.

(أيها الناس إن الله قد أعاذكم من أن يجور عليكم ولم يعذكم من أن يبتليكم وقد قال جل من قائل: إن في ذلك لآيات وإن كنا لمبتلين). أشار عليه السلام إلى أن الله عصمنا من ظلمه لنا فقال سبحانه: ﴿**وما ربك بظلام للعبيد**﴾ فليس في ساحة الجلالة الإلهية ظلم. . .

(ليسوا بالمسايح ولا المذايع البذر أولئك يفتح الله لهم أبواب رحمته ويكشف عنهم ضراء نقمته). وهذه أيضاً من صفات أولئك الذين كتب لهم النجاة إنهم لا يسيحون بين الناس بالفساد والنمائم ولا ينشرون بينهم الفواحش والموبقات ولا يعملون لإفساد المجتمع وإضلاله وزرع الفتن فيه كما يعمله المفسدون والمضلون الذين يجهزون كل وسائل الإعلام وأجهزتها من أجل أن يضلوا الناس ويفسدوا أخلاقهم ويحولوهم عن عقيدتهم...

ثم رتب عليه السلام على هذه الأوصاف نتيجة كريمة، وهي أن الله يفتح لهم أبواب رحمته من حيث تيسير أمورهم وتوفيقهم في الدنيا ومن حيث يدخلهم الجنة عرفها لهم في الآخرة.

وكذلك يكشف عنهم ضراء نقمته فلا يصيبهم مكروه في الدنيا كما لا يصيبهم أذية من عقاب الله في الآخرة...

(أيها الناس سيأتي عليكم زمان يكفأ فيه الإسلام كما يكفأ الإناء بما فيه). أخبر عليه السلام بما يحمله الزمان بعده وأن الإسلام ستتعطل أحكامه ويتوقف دوره ولا يعود يعمل به حتى من أهله بل تقلب مفاهيمه وأحكامه وتسخر من أجل أهداف الحكام وتمرير مخططاتهم الجهنمية وقد هزّنا التلاعب بهذا الدين وأحكامه وراح علماء السوء يبررون فعل الظالمين ويباركون مسيرة الخائنين وقد برز ذلك فيما حدث في معاهدة الصلح المصرية الإسرائيلية حيث راح علماء البلاط يصححون السلام المذل ويباركون جهود الخونة ويضفون على خطواتهم شرعية إسلامية والإسلام منها بريء، وكذلك حدث ما يهز المسلم من أعماقه أثناء حرب الخليج التي حشدت فيها أمريكا وحلفاؤها جيوشهم في مواجهة الخائن الصغير صدام التكريتي فقد دارت المهاترات بين العلماء وعلى شاشات التلفزيون وصفحات الجرائد فهذا يقف إلى جانب الإستعمار الأمريكي في حربه لتحرير الكويت المزعوم وذاك يقف إلى جانب العميل الإستعماري صدام وكلهم في خدمة الحكام وليس في مصلحة الإسلام وبيان أحكامه أو الإلتزام بما فيه وما أمر.

(أيها الناس إن الله قد أعاذكم من أن يجور عليكم ولم يعذكم من أن يبتليكم وقد قال جل من قائل: إن في ذلك لآيات وإن كنا لمبتلين). أشار عليه السلام إلى أن الله عصمنا من ظلمه لنا فقال سبحانه: ﴿**وما ربك بظلام للعبيد**﴾ فليس في ساحة الجلالة الإلهية ظلم...

١٠٤ ـ ومن خطبة له عليه السلام

أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ بَعَثَ مُحَمَّداً، صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، وَلَيْسَ أَحَدٌ مِنَ العَرَبِ يَقْرَأُ كِتَاباً، وَلاَ يَدَّعِي نُبُوَّةً وَلاَ وَحْياً، فَقَاتَلَ بِمَنْ أَطَاعَهُ مَنْ عَصَاهُ، يَسُوقُهُمْ إِلَىٰ مَنْجَاتِهِمْ(١)، وَيُبَادِرُ(٢) بِهِمُ السَّاعَةَ أَنْ تَنْزِلَ بِهِمْ(٣)، يَحْسِرُ(٤) الحَسِيرُ(٥)، وَيَقِفُ الكَسِيرُ(٦)، فَيُقِيمُ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يُلْحِقَهُ غَايَتَهُ، إِلاَّ هَالِكاً لاَ خَيْرَ فِيهِ، حَتَّىٰ أَرَاهُمْ مَنْجَاتَهُمْ وَبَوَّأَهُمْ(٧) مَحَلَّتَهُمْ(٨)، فَاسْتَدَارَتْ رَحَاهُمْ(٩)، وَاسْتَقَامَتْ قَنَاتُهُمْ(١٠). وَايْمُ اللهِ، لَقَدْ كُنْتُ مِنْ سَاقَتِهَا(١١) حَتَّىٰ تَوَلَّتْ(١٢) بِحَذَافِيرِهَا(١٣)، وَاسْتَوْسَقَتْ(١٤) فِي قِيَادِهَا(١٥)؛ مَا ضَعُفْتُ، وَلاَ جَبُنْتُ، وَلاَ خُنْتُ، وَلاَ وَهَنْتُ، وَايْمُ اللهِ، لأَبْقُرَنَّ(١٦) البَاطِلَ حَتَّىٰ أُخْرِجَ الحَقَّ مِنْ خَاصِرَتِهِ(١٧).

قال السيد الشريف الرضي: وقد تقدم مختار هذه الخطبة، إلا أنني وجدتها في هذه الرواية على خلاف ما سبق من زيادة ونقصان، فأوجبت الحال إثباتها ثانية.

اللغة

١ ـ المنجاة : النجاة، الباعث على النجاة.
٢ ـ يبادر : يسرع.
٣ ـ نزل به : حل به، نزل به الموت إذا حل به.
٤ ـ يحسر : يكشف وحسرت عن وجهها إذا كشفته.
٥ ـ الحسير : الذي أصابه الإعياء في طريقه، الكليل الضعيف.

١٠٤ ـ ومن خطبة له عليه السلام

أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ بَعَثَ مُحَمَّداً، صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، وَلَيْسَ أَحَدٌ مِنَ العَرَبِ يَقْرَأُ كِتَاباً، وَلاَ يَدَّعِي نُبُوَّةً وَلاَ وَحْياً، فَقَاتَلَ بِمَنْ أَطَاعَهُ مَنْ عَصَاهُ، يَسُوقُهُمْ إِلَىٰ مَنْجَاتِهِمْ(١)، وَيُبَادِرُ(٢) بِهِمُ السَّاعَةَ أَنْ تَنْزِلَ بِهِمْ(٣)، يَحْسِرُ(٤) الحَسِيرُ(٥)، وَيَقِفُ الكَسِيرُ(٦)، فَيُقِيمُ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يُلْحِقَهُ غَايَتَهُ، إِلاَّ هَالِكاً لاَ خَيْرَ فِيهِ، حَتَّىٰ أَرَاهُمْ مَنْجَاتَهُمْ وَبَوَّأَهُمْ(٧) مَحَلَّتَهُمْ(٨)، فَاسْتَدَارَتْ رَحَاهُمْ(٩)، وَاسْتَقَامَتْ قَنَاتُهُمْ(١٠). وَايْمُ اللهِ، لَقَدْ كُنْتُ مِنْ سَاقَتِهَا(١١) حَتَّىٰ تَوَلَّتْ(١٢) بِحَذَافِيرِهَا(١٣)، وَاسْتَوْسَقَتْ(١٤) فِي قِيَادِهَا(١٥)؛ مَا ضَعُفْتُ، وَلاَ جَبُنْتُ، وَلاَ خُنْتُ، وَلاَ وَهَنْتُ، وَايْمُ اللهِ، لأَبْقُرَنَّ(١٦) البَاطِلَ حَتَّىٰ أُخْرِجَ الحَقَّ مِنْ خَاصِرَتِهِ(١٧).

قال السيد الشريف الرضي: وقد تقدم مختار هذه الخطبة، إلا أنني وجدتها في هذه الرواية على خلاف ما سبق من زيادة ونقصان، فأوجبت الحال إثباتها ثانية.

اللغة

١ ـ المنجاة : النجاة، الباعث على النجاة.
٢ ـ يبادر : يسرع.
٣ ـ نزل به : حل به، نزل به الموت إذا حل به.
٤ ـ يحسر : يكشف وحسرت عن وجهها إذا كشفته.
٥ ـ الحسير : الذي أصابه الإعياء في طريقه، الكليل الضعيف.

(يحسر الحسير ويقف الكسير فيقيم عليه حتى يلحقه غايته إلا هالكاً لا خير فيه). يصف إشفاق النبي على الناس وكيف كانت مداراته لهم وقيامه عليهم وإحسانه إليهم وهذا الكلام من باب المجاز يقول عليه السلام كان النبي لحرصه عليهم ورأفته بهم يلاحظ من تزلزل اعتقاده أو عرضت له شبهة فكان لا يزال يوضح له ويرشده حتى يزيل ما به من العلل ويلحقه بالمؤمنين الصادقين ولم يكن يقصّر في حق أحد من الناس إلا من لا خير فيه قد ارتكب العناد وكفر برب العباد وأصر على ركوب رأسه معاندة وشقاقاً. . .

فقد شبه الناس معه بإبل في سفر قد أعيا بعضها وكلّ وقد وقف النبي عليها يعالجها ويصلح أمرها حتى يلحقها بالقافلة فلم يهملها ويضيّعها إلا ما كان منها هالكاً لا يمكن علاجه ولا شفاؤه كأبي لهب وأضرابه.

(حتى أراهم منجاتهم وبوأهم محلتهم فاستدارت رحاهم واستقامت قناتهم). وهؤلاء الذين تابعوا النبي والتزموا أمره رأوا ما ينجيهم من حيث آمنوا واعتقدوا بالله ورسوله وقد وصلوا إلى مكانهم الذي أعد لهم من كونهم قادة الأمم ورواد الحضارة وبأيديهم زمام الأمور، فاجتمعوا موحدين قد نجحوا فيما سعوا إليه وكانوا القوة التي تغيّر المعادلات وتحطّم الموازين.

وبعبارة موجزة أراهم النبي الإسلام الذي فيه نجاتهم وأجلسهم في مكانهم اللائق بهم رواد العالم وقادته فقويت شوكتهم وانتصروا في أمورهم. . .

(وايم الله لقد كنت من ساقتها حتى تولت بحذافيرها واستوسقت في قيادها ما ضعفت ولا جبنت ولا خنت ولا وهنت). أقسم عليه السلام أنه كان ممن ساق الجاهلية إلى حتفها وحتى تولت وغابت عن الوجود بأجمعها عقيدة وعادة وقد اجتمعت في ذل الانقياد التي لا تخرج منها قد كُبّلت وجمعت فلا فكاك لها من هذا الوثاق. . .

ثم أشار إلى عزيمته وقوته فقال: إنه ما ضعف عن قتالها ولا جبن في موقف من مواقفها ولا خان المسلمين في موقعة ولا توانى عن قتال لحظة.

ومن قلّب نظره في تاريخ الإسلام وحروبه أدرك صدق هذا القول ووقف على الحقيقة.

(وايم الله لأبقرن الباطل حتى أخرج الحق من خاصرته). أقسم عليه السلام بالله أنه سوف يشق الباطل حتى يخرج الحق من خاصرته التي خبأه فيها كناية عن أنه سيقاتل أهل الباطل حتى يهتدوا إلى ما هو عليه من الحق وبذلك يموت الباطل ويتخلص الحق مما يشوبه من هذا الباطل. . .

(يحسر الحسير ويقف الكسير فيقيم عليه حتى يلحقه غايته إلا هالكاً لا خير فيه). يصف إشفاق النبي على الناس وكيف كانت مداراته لهم وقيامه عليهم وإحسانه إليهم وهذا الكلام من باب المجاز يقول عليه السلام كان النبي لحرصه عليهم ورأفته بهم يلاحظ من تزلزل اعتقاده أو عرضت له شبهة فكان لا يزال يوضح له ويرشده حتى يزيل ما به من العلل ويلحقه بالمؤمنين الصادقين ولم يكن يقصّر في حق أحد من الناس إلا من لا خير فيه قد ارتكب العناد وكفر برب العباد وأصر على ركوب رأسه معاندة وشقاقاً . . .

فقد شبه الناس معه بإبل في سفر قد أعيا بعضها وكلّ وقد وقف النبي عليها يعالجها ويصلح أمرها حتى يلحقها بالقافلة فلم يهملها ويضيّعها إلا ما كان منها هالكاً لا يمكن علاجه ولا شفاؤه كأبي لهب وأضرابه.

(حتى أراهم منجاتهم وبوأهم محلتهم فاستدارت رحاهم واستقامت قناتهم). وهؤلاء الذين تابعوا النبي والتزموا أمره رأوا ما ينجيهم من حيث آمنوا واعتقدوا بالله ورسوله وقد وصلوا إلى مكانهم الذي أعد لهم من كونهم قادة الأمم ورواد الحضارة وبأيديهم زمام الأمور، فاجتمعوا موحدين قد نجحوا فيما سعوا إليه وكانوا القوة التي تغيّر المعادلات وتحطّم الموازين.

وبعبارة موجزة أراهم النبي الإسلام الذي فيه نجاتهم وأجلسهم في مكانهم اللائق بهم رواد العالم وقادته فقويت شوكتهم وانتصروا في أمورهم . . .

(وايم الله لقد كنت من ساقتها حتى تولت بحذافيرها واستوسقت في قيادها ما ضعفت ولا جبنت ولا خنت ولا وهنت). أقسم عليه السلام أنه كان ممن ساق الجاهلية إلى حتفها وحتى تولت وغابت عن الوجود بأجمعها عقيدة وعادة وقد اجتمعت في ذل الانقياد التي لا تخرج منها قد كُبّلت وجمعت فلا فكاك لها من هذا الوثاق . . .

ثم أشار إلى عزيمته وقوته فقال: إنه ما ضعف عن قتالها ولا جبن في موقف من مواقفها ولا خان المسلمين في موقعة ولا توانى عن قتال لحظة.

ومن قلّب نظره في تاريخ الإسلام وحروبه أدرك صدق هذا القول ووقف على الحقيقة.

(وايم الله لأبقرن الباطل حتى أخرج الحق من خاصرته). أقسم عليه السلام بالله أنه سوف يشق الباطل حتى يخرج الحق من خاصرته التي خبأه فيها كناية عن أنه سيقاتل أهل الباطل حتى يهتدوا إلى ما هو عليه من الحق وبذلك يموت الباطل ويتخلص الحق مما يشوبه من هذا الباطل . . .

وعظ الناس

أَيُّهَا النَّاسُ، اسْتَصْبِحُوا مِنْ شُعْلَةِ[٢٨] مِصْبَاحٍ وَاعِظٍ مُتَّعِظٍ، وَامْتَاحُوا[٢٩] مِنْ صَفْوِ[٣٠] عَيْنٍ قَدْ رُوِّقَتْ[٣١] مِنَ الكَدَرِ[٣٢].

عِبَادَ اللهِ، لاَ تَرْكَنُوا[٣٣] إِلَىٰ جَهَالَتِكُمْ، وَلاَ تَنْقَادُوا[٣٤] لأَهْوَائِكُمْ، فَإِنَّ النَّازِلَ بِهٰذَا المَنْزِلَ نَازِلٌ بِشَفَا[٣٥] جُرُفٍ[٣٦] هَارٍ[٣٧]، يَنْقُلُ الرَّدَىٰ[٣٨] عَلَىٰ ظَهْرِهِ مِنْ مَوْضِعٍ إِلَىٰ مَوْضِعٍ، لِرَأْيٍ يُحْدِثُهُ بَعْدَ رَأْيٍ؛ يُرِيدُ أَنْ يُلْصِقَ[٣٩] مَا لاَ يَلْتَصِقُ، وَيُقَرِّبَ مَا لاَ يَتَقَارَبُ! فَاللهَ اللهَ أَنْ تَشْكُوا إِلَىٰ مَنْ لاَ يُشْكِي[٤٠] شَجْوَكُمْ[٤١]، وَلاَ يَنْقُضُ[٤٢] بِرَأْيِهِ مَا قَدْ أَبْرَمَ[٤٣] لَكُمْ. إِنَّهُ لَيْسَ عَلَى الإِمَامِ إِلاَّ مَا حُمِّلَ مِنْ أَمْرِ رَبِّهِ: الإِبْلاَغُ فِي المَوْعِظَةِ، وَالاجْتِهَادُ فِي النَّصِيحَةِ، وَالإِحْيَاءُ لِلسُّنَّةِ، وَإِقَامَةُ الحُدُودِ[٤٤] عَلَىٰ مُسْتَحِقِّيهَا، وَإِصْدَارِ[٤٥] السُّهْمَانِ[٤٦] عَلَىٰ أَهْلِهَا. فَبَادِرُوا[٤٧] العِلْمَ مِنْ قَبْلِ تَصْوِيحِ[٤٨] نَبْتِهِ، وَمِنْ قَبْلِ أَنْ تُشْغَلُوا بِأَنْفُسِكُمْ عَنْ مُسْتَشَارِ[٤٩] العِلْمِ مِنْ عِنْدِ أَهْلِهِ، وَانْهَوْا عَنِ المُنْكَرِ وَتَنَاهَوْا عَنْهُ، فَإِنَّمَا أُمِرْتُمْ بِالنَّهْيِ بَعْدَ التَّنَاهِي!.

اللغة

١ ـ البرية : جمعها برايا الخلق.
٢ ـ أنجبها : أكرمها.
٣ ـ الكهل : بفتح الكاف من جاوز الثلاثين وقيل من بلغ الأربعين وقيل غير ذلك.
٤ ـ الشيمة : الخُلق.
٥ ـ المستمطر : طالب المطر والمراد هنا طالب العون.
٦ ـ الديمة : المطر الدائم بهدوء.
٧ ـ أحلولت : صارت حلوة واحلولى الشيء صار حلواً.
٨ ـ الأخلاف : جمع خلف بالكسر وهو حلمة ضرع الناقة أو نفس الضرع لكل ذات ظلف وخف.

وعظ الناس

أَيُّهَا النَّاسُ، اسْتَصْبِحُوا مِنْ شُعْلَةِ[٢٨] مِصْبَاحٍ وَاعِظٍ مُتَّعِظٍ، وَامْتَاحُوا[٢٩] مِنْ صَفْوِ[٣٠] عَيْنٍ قَدْ رُوِّقَتْ[٣١] مِنَ الكَدَرِ[٣٢].

عِبَادَ اللهِ، لاَ تَرْكَنُوا[٣٣] إِلَىٰ جَهَالَتِكُمْ، وَلاَ تَنْقَادُوا[٣٤] لأَهْوَائِكُمْ، فَإِنَّ النَّازِلَ بِهٰذَا المَنْزِلَ نَازِلٌ بِشَفَا[٣٥] جُرُفٍ[٣٦] هَارٍ[٣٧]، يَنْقُلُ الرَّدَىٰ[٣٨] عَلَىٰ ظَهْرِهِ مِنْ مَوْضِعٍ إِلَىٰ مَوْضِعٍ، لِرَأْيٍ يُحْدِثُهُ بَعْدَ رَأْيٍ؛ يُرِيدُ أَنْ يُلْصِقَ[٣٩] مَا لاَ يَلْتَصِقُ، وَيُقَرِّبَ مَا لاَ يَتَقَارَبُ! فَاللهَ اللهَ أَنْ تَشْكُوا إِلَىٰ مَنْ لاَ يُشْكِي[٤٠] شَجْوَكُمْ[٤١]، وَلاَ يَنْقُضُ[٤٢] بِرَأْيِهِ مَا قَدْ أَبْرَمَ[٤٣] لَكُمْ. إِنَّهُ لَيْسَ عَلَى الإِمَامِ إِلاَّ مَا حُمِّلَ مِنْ أَمْرِ رَبِّهِ: الإِبْلاَغُ فِي المَوْعِظَةِ، وَالاجْتِهَادُ فِي النَّصِيحَةِ، وَالإِحْيَاءُ لِلسُّنَّةِ، وَإِقَامَةُ الحُدُودِ[٤٤] عَلَىٰ مُسْتَحِقِّيهَا، وَإِصْدَارِ[٤٥] السُّهْمَانِ[٤٦] عَلَىٰ أَهْلِهَا. فَبَادِرُوا[٤٧] العِلْمَ مِنْ قَبْلِ تَصْوِيحِ[٤٨] نَبْتِهِ، وَمِنْ قَبْلِ أَنْ تُشْغَلُوا بِأَنْفُسِكُمْ عَنْ مُسْتَشَارِ[٤٩] العِلْمِ مِنْ عِنْدِ أَهْلِهِ، وَانْهَوْا عَنِ المُنْكَرِ وَتَنَاهَوْا عَنْهُ، فَإِنَّمَا أُمِرْتُمْ بِالنَّهْيِ بَعْدَ التَّنَاهِي!.

اللغة

١ ـ البرية : جمعها برايا الخلق.
٢ ـ أنجبها : أكرمها.
٣ ـ الكهل : بفتح الكاف من جاوز الثلاثين وقيل من بلغ الأربعين وقيل غير ذلك.
٤ ـ الشيمة : الخُلق.
٥ ـ المستمطر : طالب المطر والمراد هنا طالب العون.
٦ ـ الديمة : المطر الدائم بهدوء.
٧ ـ أحلولت : صارت حلوة واحلولى الشيء صار حلواً.
٨ ـ الأخلاف : جمع خلف بالكسر وهو حلمة ضرع الناقة أو نفس الضرع لكل ذات ظلف وخف.

٤٠ ـ يُشكي : من أشكاه إذا أزال شكواه.
٤١ ـ الشجو : الهم والحزن.
٤٢ ـ ينقض : يحلّ.
٤٣ ـ أبرم : الأمر أحكمه.
٤٤ ـ الحدود : جمع حدّ وهو الحاجز بين شيئين وشرعاً عقوبة وضعها الشارع لبعض المحرمات.
٤٥ ـ أصدر : من صدر عن المكان إذا رجع عنه وإلى المكان صار إليه وصدر السلعة ورّدها إلى الخارج.
٤٦ ـ السهمان : بضم السين جمع سهم بمعنى الحظ والنصيب.
٤٧ ـ بادروا : أسرعوا.
٤٨ ـ التصويح : للنبت هو اليباس.
٤٩ ـ مستثار : اسم مفعول من الاستثارة طلب الثور وهو السطوع والظهور.

الشرح

(حتى بعث الله محمداً صلى الله عليه وآله شهيداً وبشيراً ونذيراً). في هذه الخطبة الشريفة ثلاثة أمور:.

الأول: ذكر محامد رسول الله وصفاته الكريمة.

الثاني: ذم بني أمية وذكر بعض أفعالهم.

الثالث: حال بني أمية مع أهل البيت عليهم السلام.

كأنه عليه السلام قد ذكر أموراً سابقة من سوء حال الناس فوصل بعدها إلى ذكر رسول الله فقال: إن حالهم بقي كذلك حتى بعث الله محمداً شهيداً وبشيراً ونذيراً وهذا مستقى من كتاب الله الذي وصف رسوله محمداً بهذه الأوصاف.

فقال تعالى: ﴿يا أيها النبي[1] إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً﴾.

فهو شاهد على أمته بأنه قد بلغها دستور سعادتها الذي أرسله به الله وهو مبشر لها بما أعده الله لها من الثواب والأجر والنعيم وهو منذر لها أي مخوفها بما أعدّه الله للعصاة

(١) سورة الأحزاب آية/ ٤٥.

٤٠ ـ يُشكي : من أشكاه إذا أزال شكواه.
٤١ ـ الشجو : الهم والحزن.
٤٢ ـ ينقض : يحلّ.
٤٣ ـ أبرم : الأمر أحكمه.
٤٤ ـ الحدود : جمع حدّ وهو الحاجز بين شيئين وشرعاً عقوبة وضعها الشارع لبعض المحرمات.
٤٥ ـ أصدر : من صدر عن المكان إذا رجع عنه وإلى المكان صار إليه وصدر السلعة وردّها إلى الخارج.
٤٦ ـ السهمان : بضم السين جمع سهم بمعنى الحظ والنصيب.
٤٧ ـ بادروا : أسرعوا.
٤٨ ـ التصويح : للنبت هو اليباس.
٤٩ ـ مستثار : اسم مفعول من الاستثارة طلب الثور وهو السطوع والظهور.

الشرح

(حتى بعث الله محمداً صلى الله عليه وآله شهيداً وبشيراً ونذيراً). في هذه الخطبة الشريفة ثلاثة أمور: .

الأول: ذكر محامد رسول الله وصفاته الكريمة.

الثاني: ذم بني أمية وذكر بعض أفعالهم.

الثالث: حال بني أمية مع أهل البيت عليهم السلام.

كأنه عليه السلام قد ذكر أموراً سابقة من سوء حال الناس فوصل بعدها إلى ذكر رسول الله فقال: إن حالهم بقي كذلك حتى بعث الله محمداً شهيداً وبشيراً ونذيراً وهذا مستقى من كتاب الله الذي وصف رسوله محمداً بهذه الأوصاف.

فقال تعالى: ﴿يا أيها النبي[1] إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً﴾.

فهو شاهد على أمته بأنه قد بلغها دستور سعادتها الذي أرسله به الله وهو مبشر لها بما أعده الله لها من الثواب والأجر والنعيم وهو منذر لها أي مخوفها بما أعدّه الله للعصاة

(١) سورة الأحزاب آية/ ٤٥.

(قد صار حرامها عند أقوام بمنزلة السدر المخضود وحلالها بعيداً غير موجود). وهذا بيان لحال نفسية بعض الناس وسلوكهم وأن الدنيا عندهم أصبحت سهلة لا صعوبة فيها باعتبار أنهم أسقطوا من حسابهم قانون الحرام والممنوع فأضحت كل الطرق لهم سالكة وآمنة ولم يعد لهم من طرق الحلال باباً يطرقونه أو يدخلون منه لأن الأبواب المشروعة للحلال قد انسدت ولا مجال لكسب العيش إلا من الحرام. . .

(وصادفتموها والله ظلاً ممدوداً إلى أجل معدود). قد أتتكم الدنيا بخيراتها وعطاياها فاحذروا هذا العطاء فإنما هو إلى وقت محدود ينقضي عنده وينتهي إليه فلا تبطركم النعمة فتنسوا الله، وهذا تحذير لهم أن لا يغتروا بالدنيا ونعيمها لأنها إلى انتهاء. . .

(فالأرض لكم شاغرة وأيديكم فيها مبسوطة وأيدي القادة عنكم مكفوفة وسيوفكم عليهم مسلطة وسيوفهم عنكم مقبوضة). الأرض كلها لكم وليس من ينازعكم عليها وأيديكم عليها تتصرفون فيها كيف تشاؤون وأيدي مستحقي الرئاسة مكفوفة عنكم لعدم قدرتهم عليكم لعدم الناصر والمعين وسيوفكم عليهم مسلطة تقتلون من شئتم بينما سيوفهم عنكم ممنوعة لا تطالكم ولا تنالكم.

وقال ابن أبي الحديد في شرحه: وكأنه كان يرمز إلى ما سيقع من قتل الحسين عليه السلام وأهله وكأنه يشاهد ذلك عياناً ويخطب عليه ويتكلم على الخاطر الذي سنح له والأمر الذي كان أخبر به.

(إلا وإن لكل دم ثائراً ولكل حق طالباً وأن الثائر في دمائنا كالحاكم في حق نفسه وهو الله الذي لا يعجزه من طلب ولا يفوته من هرب). كل دم طاهر زكي سفك بغير حق كان له طالب يأخذ بثأر صاحبه وكل حق لإنسان أخذ منه بغير حق كان وراءه طالب يطالب به ومن طلب حقه أخذه.

وقدم هذه المقدمة ليتوصل منها إلى إثبات حقهم وأن دماءهم سوف يثأر لها والذي يتولى ذلك هو الحاكم وهو الخصم وسوف يحكم لنا وهو الله الذي لا يعجزه مطلوب ولا يفلت منه هارب فالحاكم الآخذ بحقنا هو الخصيم لكم وهو الله وهذا تحذير منه لبني أمية من عذاب الله وعقابه وما ينالهم من جراء فعلتهم الشنيعة. . .

(فأقسم بالله يا بني أمية عما قليل لتعرفنها في أيدي غيركم وفي دار عدوكم). بعد أن هددهم بانتقام الله منهم أقسم بالله أن دولة بني أمية ستزول عن قريب وستتحول عنهم إلى أعدائهم من بني العباس وستصبح ملكاً في أيديهم وقد كان هذا الإخبار من جملة

(قد صار حرامها عند أقوام بمنزلة السدر المخضود وحلالها بعيداً غير موجود). وهذا بيان لحال نفسية بعض الناس وسلوكهم وأن الدنيا عندهم أصبحت سهلة لا صعوبة فيها باعتبار أنهم أسقطوا من حسابهم قانون الحرام والممنوع فأضحت كل الطرق لهم سالكة وآمنة ولم يعد لهم من طرق الحلال باباً يطرقونه أو يدخلون منه لأن الأبواب المشروعة للحلال قد انسدت ولا مجال لكسب العيش إلا من الحرام. . .

(وصادفتموها والله ظلاً ممدوداً إلى أجل معدود). قد أتتكم الدنيا بخيراتها وعطاياها فاحذروا هذا العطاء فإنما هو إلى وقت محدود ينقضي عنده وينتهي إليه فلا تبطركم النعمة فتنسوا الله، وهذا تحذير لهم أن لا يغتروا بالدنيا ونعيمها لأنها إلى انتهاء. . .

(فالأرض لكم شاغرة وأيديكم فيها مبسوطة وأيدي القادة عنكم مكفوفة وسيوفكم عليهم مسلطة وسيوفهم عنكم مقبوضة). الأرض كلها لكم وليس من ينازعكم عليها وأيديكم عليها تتصرفون فيها كيف تشاؤون وأيدي مستحقي الرئاسة مكفوفة عنكم لعدم قدرتهم عليكم لعدم الناصر والمعين وسيوفكم عليهم مسلطة تقتلون من شئتم بينما سيوفهم عنكم ممنوعة لا تطالكم ولا تنالكم.

وقال ابن أبي الحديد في شرحه: وكأنه كان يرمز إلى ما سيقع من قتل الحسين عليه السلام وأهله وكأنه يشاهد ذلك عياناً ويخطب عليه ويتكلم على الخاطر الذي سنح له والأمر الذي كان أخبر به.

(إلا وإن لكل دم ثائراً ولكل حق طالباً وأن الثائر في دمائنا كالحاكم في حق نفسه وهو الله الذي لا يعجزه من طلب ولا يفوته من هرب). كل دم طاهر زكي سفك بغير حق كان له طالب يأخذ بثأر صاحبه وكل حق لإنسان أخذ منه بغير حق كان وراءه طالب يطالب به ومن طلب حقه أخذه.

وقدم هذه المقدمة ليتوصل منها إلى إثبات حقهم وأن دماءهم سوف يثأر لها والذي يتولى ذلك هو الحاكم وهو الخصم وسوف يحكم لنا وهو الله الذي لا يعجزه مطلوب ولا يفلت منه هارب فالحاكم الآخذ بحقنا هو الخصيم لكم وهو الله وهذا تحذير منه لبني أمية من عذاب الله وعقابه وما ينالهم من جراء فعلتهم الشنيعة. . .

(فأقسم بالله يا بني أمية عما قليل لتعرفنها في أيدي غيركم وفي دار عدوكم). بعد أن هددهم بانتقام الله منهم أقسم بالله أن دولة بني أمية ستزول عن قريب وستتحول عنهم إلى أعدائهم من بني العباس وستصبح ملكاً في أيديهم وقد كان هذا الإخبار من جملة

الحجة والبرهان، إنه لجهالته يعتمد على الشبهات ويتصور أنها حقائق...

(فالله الله أن تشكوا إلى من لا يشكي شجوكم ولا ينقض برأيه ما قد أبرم لكم). حذرهم الله أن لا يشكوا لمن لا يرفع عنهم حزنهم ولا يبدّد همهم لعدم علمه بمجاري الأمور كما حذرهم من ذلك الشخص أن ينقض بنظره القصير ورأيه الفطير ما استحكم أمره فيهم من أوامر الشرع ونواهيه.

(إنه ليس على الإمام إلا ما حمل من أمر ربه: الإبلاغ في الموعظة، والاجتهاد في النصيحة، والإحياء للسنة، وإقامة الحدود على مستحقيها، وإصدار السهمان على أهلها). حصر ما وجب على الإمام وولي الأمر بهذه الأمور الخمسة التي ترجع إلى معاش الإنسان ومعاده وهي:

الأول: الإبلاغ في الموعظة: التي هي عبارة عن الاجتهاد في تقريب الناس من الله وقد قام النبي والإمام من بعده بأبلغ المواعظ ولم يتركوا شيئاً يقرب الناس من الله إلا وذكروه وبينوه وحملوا الناس عليه ولم يبق شيء يبعد عن الله إلا وبينوه وذكروه وحملوا الناس على تركه...

الثاني: الإجتهاد في النصيحة: التي تعني إرشاد الناس إلى أعدل الطرق وأقومها وأن لا يخفى عنهم ما يصلحهم وينفعهم ويسدد خطاهم نحو الأفضل.

الثالث: الإحياء للسنة: وتعني إقامة ما جاء به النبي بحيث لا يخالفها ولا يهملها ولا يسوّف في تنفيذها.

الرابع: إقامة الحدود على مستحقيها: فمن زنا جلده أو رجمه ومن سرق وتمت شروط السرقة أقام عليه الحد بقطع يده ومن قتل نفساً معصومة ـ لا يجوز سفك دمها ـ قتل بها وهكذا دواليك فلو لم يكن هناك حاكم يقيم الحدود لدبّت الفوضىٰ وانتشر الفساد ولم يعد يأمن الناس على دمائهم وأموالهم...

الخامس: وإصدار السهمان: أي توزيع بيت مال المسلمين على أهله وقد كان الإمام يوزع الأموال ويكنس مكانها ويغسله ويصلي فيه ركعات شكراً لله...

(فبادروا العلم من قبل تصويح نبته ومن قبل أن تشغلوا بأنفسكم عن مستشار العلم من عند أهله). بعد أن تقدم منه نهيهم عن الركون إلى الجهل حثهم على طلب العلم وطلب منهم السرعة في تحصيله وذلك لأمرين:

الأول: قبل استشهاده وخروجه من بين أظهرهم وقد كنى عن ذلك بالنبت الذي

الحجة والبرهان، إنه لجهالته يعتمد على الشبهات ويتصور أنها حقائق. . .

(فالله الله أن تشكوا إلى من لا يشكي شجوكم ولا ينقض برأيه ما قد أبرم لكم). حذرهم الله أن لا يشكوا لمن لا يرفع عنهم حزنهم ولا يبدّد همهم لعدم علمه بمجاري الأمور كما حذرهم من ذلك الشخص أن ينقض بنظره القصير ورأيه الفطير ما استحكم أمره فيهم من أوامر الشرع ونواهيه.

(إنه ليس على الإمام إلا ما حمل من أمر ربه: الإبلاغ في الموعظة، والاجتهاد في النصيحة، والإحياء للسنة، وإقامة الحدود على مستحقيها، وإصدار السهمان على أهلها). حصر ما وجب على الإمام وولي الأمر بهذه الأمور الخمسة التي ترجع إلى معاش الإنسان ومعاده وهي:

الأول: الإبلاغ في الموعظة: التي هي عبارة عن الاجتهاد في تقريب الناس من الله وقد قام النبي والإمام من بعده بأبلغ المواعظ ولم يتركوا شيئاً يقرب الناس من الله إلا وذكروه وبينوه وحملوا الناس عليه ولم يبق شيء يبعد عن الله إلا وبينوه وذكروه وحملوا الناس على تركه. . .

الثاني: الإجتهاد في النصيحة: التي تعني إرشاد الناس إلى أعدل الطرق وأقومها وأن لا يخفى عنهم ما يصلحهم وينفعهم ويسدد خطاهم نحو الأفضل.

الثالث: الإحياء للسنة: وتعني إقامة ما جاء به النبي بحيث لا يخالفها ولا يهملها ولا يسوّف في تنفيذها.

الرابع: إقامة الحدود على مستحقيها: فمن زنا جلده أو رجمه ومن سرق وتمت شروط السرقة أقام عليه الحد بقطع يده ومن قتل نفساً معصومة ـ لا يجوز سفك دمها ـ قتل بها وهكذا دواليك فلو لم يكن هناك حاكم يقيم الحدود لدبّت الفوضىٰ وانتشر الفساد ولم يعد يأمن الناس على دمائهم وأموالهم. . .

الخامس: وإصدار السهمان: أي توزيع بيت مال المسلمين على أهله وقد كان الإمام يوزع الأموال ويكنس مكانها ويغسله ويصلي فيه ركعات شكراً لله. . .

(فبادروا العلم من قبل تصويح نبته ومن قبل أن تشغلوا بأنفسكم عن مستثار العلم من عند أهله). بعد أن تقدم منه نهيهم عن الركون إلى الجهل حثهم على طلب العلم وطلب منهم السرعة في تحصيله وذلك لأمرين:

الأول: قبل استشهاده وخروجه من بين أظهرهم وقد كنى عن ذلك بالنبت الذي

١٠٦ ـ ومن خطبة له عليه السلام

وفيها يبين فضل الاسلام ويذكر الرسول الكريم ثم يلوم أصحابه

دين الاسلام

الحَمْدُ للهِ الَّذِي شَرَعَ[١] الإِسْلاَمَ فَسَهَّلَ شَرَائِعَهُ لِمَنْ وَرَدَهُ[٢]، وَأَعَزَّ[٣] أَرْكَانَهُ[٤] عَلَى مَنْ غَالَبَهُ، فَجَعَلَهُ أَمْناً[٥] لِمَنْ عَلِقَهُ[٦]، وَسِلْماً لِمَنْ دَخَلَهُ، وَبُرْهَاناً[٧] لِمَنْ تَكَلَّمَ بِهِ، وَشَاهِداً لِمَنْ خَاصَمَ[٨] عَنْهُ، ونُوراً لِمَنْ اسْتَضَاءَ بِهِ، وَفَهْماً لِمَنْ عَقَلَ، وَلُبّاً[٩] لِمَنْ تَدَبَّرَ[١٠] وَآيَةً لِمَنْ تَوَسَّمَ[١١]، وَتَبْصِرَةً[١٢] لِمَنْ عَزَمَ[١٣]، وَعِبْرَةً لِمَنْ اتَّعَظَ، وَنَجَاةً لِمَنْ صَدَّقَ، وَثِقَةً لِمَنْ تَوَكَّلَ، وَرَاحَةً لِمَنْ فَوَّضَ، وَجُنَّةً[١٤] لِمَنْ صَبَرَ. فَهُوَ أَبْلَجُ[١٥] الْمَنَاهِجِ[١٦] وَأَوْضَحُ الوَلاَئِجِ[١٧]، مُشْرَفُ[١٨] الْمَنَارِ[١٩]، مُشْرِقُ الجَوَادِّ[٢٠]، مُضِيءُ الْمَصَابِيحِ، كَرِيمُ المِضْمَارِ[٢١]، رَفِيعُ الْغَايَةِ[٢٢]، جَامِعُ الحَلْبَةِ[٢٣]، مُتَنَافِسُ[٢٤] السُّبْقَةِ[٢٥]، شَرِيفُ الفُرْسَانِ. التَّصْدِيقُ مِنْهَاجُهُ، وَالصَّالِحَاتُ مَنَارُهُ، والْمَوْتُ غايَتُهُ، وَالدُّنْيَا مِضْمَارُهُ، والْقِيَامَةُ حَلْبَتُهُ، والْجَنَّةُ سُبْقَتُهُ.

ومنها في ذكر النبي صلى الله عليه وآله وسلم

حَتَّى أَوْرَى[٢٦] قَبَساً لِقَابِسٍ[٢٧]، وَأَنَارَ عَلَماً[٢٨] لِحَابِسٍ[٢٩]، فَهُوَ أَمِينُكَ المَأْمُونُ، وَشَهِيدُكَ يَوْمَ الدِّينِ، وَبَعِيثُكَ[٣٠] نِعْمَةً، وَرَسُولُكَ بِالحقِّ رَحْمَةً. اللَّهُمَّ اقْسِمْ لَهُ مَقْسَماً[٣١] مِنْ عَدْلِكَ، واجْزِهِ مُضَعَّفَاتِ الْخَيْرِ مِنْ فَضْلِكَ. اللَّهُمَّ أَعْلِ عَلَى بِنَاءِ الْبَانِينَ بِنَاءَهُ! وَأَكْرِمْ لَدَيْكَ نُزُلَهُ[٣٢]، وَشَرِّفْ

١٠٦ ـ ومن خطبة له عليه السلام

وفيها يبين فضل الاسلام ويذكر الرسول الكريم ثم يلوم أصحابه

دين الاسلام

الحَمْدُ للهِ الَّذِي شَرَعَ[١] الإِسْلاَمَ فَسَهَّلَ شَرَائِعَهُ لِمَنْ وَرَدَهُ[٢]، وَأَعَزَّ[٣] أَرْكَانَهُ[٤] عَلَى مَنْ غَالَبَهُ، فَجَعَلَهُ أَمْناً[٥] لِمَنْ عَلِقَهُ[٦]، وَسِلْماً لِمَنْ دَخَلَهُ، وَبُرْهَاناً[٧] لِمَنْ تَكَلَّمَ بِهِ، وَشَاهِداً لِمَنْ خَاصَمَ[٨] عَنْهُ، ونُوراً لِمَنْ اسْتَضَاءَ بِهِ، وَفَهْماً لِمَنْ عَقَلَ، وَلُبّاً[٩] لِمَنْ تَدَبَّرَ[١٠] وَآيَةً لِمَنْ تَوَسَّمَ[١١]، وَتَبْصِرَةً[١٢] لِمَنْ عَزَمَ[١٣]، وَعِبْرَةً لِمَنْ اتَّعَظَ، وَنَجَاةً لِمَنْ صَدَّقَ، وَثِقَةً لِمَنْ تَوَكَّل، وَرَاحَةً لِمَنْ فَوَّضَ، وَجُنَّةً[١٤] لِمَنْ صَبَرَ. فَهُوَ أَبْلَجُ[١٥] الْمَنَاهِجِ[١٦] وَأَوْضَحُ الوَلاَئِجِ[١٧]، مُشْرَفُ[١٨] الْمَنَارِ[١٩]، مُشْرِقُ الجَوَادِّ[٢٠]، مُضِيءُ الْمَصَابِيحِ، كَرِيمُ المِضْمَارِ[٢١]، رَفِيعُ الْغَايَةِ[٢٢]، جَامِعُ الحَلْبَةِ[٢٣]، مُتَنَافِسُ[٢٤] السُّبْقَةِ[٢٥]، شَرِيفُ الفُرْسَانِ. التَّصْدِيقُ مِنْهَاجُهُ، وَالصَّالِحَاتُ مَنَارُهُ، والْمَوْتُ غايَتُهُ، وَالدُّنْيَا مِضْمَارُهُ، والْقِيَامَةُ حَلْبَتُهُ، والْجَنَّةُ سُبْقَتُهُ.

ومنها في ذكر النبي صلى الله عليه وآله وسلم

حَتَّى أَوْرَى[٢٦] قَبَساً لِقَابِسٍ[٢٧]، وَأَنَارَ عَلَماً[٢٨] لِحَابِسٍ[٢٩]، فَهُوَ أَمِينُكَ المَأْمُونُ، وَشَهِيدُكَ يَوْمَ الدِّينِ، وَبَعِيثُكَ[٣٠] نِعْمَةً، وَرَسُولُكَ بِالحقِّ رَحْمَةً. اللَّهُمَّ اقْسِمْ لَهُ مَقْسَماً[٣١] مِنْ عَدْلِكَ، واجْزِهِ مُضَعَّفَاتِ الْخَيْرِ مِنْ فَضْلِكَ. اللَّهُمَّ أَعْلِ عَلَى بِنَاءِ الْبَانِينَ بِنَاءَهُ! وَأَكْرِمْ لَدَيْكَ نُزُلَهُ[٣٢]، وَشَرِّفْ

٥ ـ أمناً : طمأنينة.
٦ ـ علقه : بكسر اللام تعلق به.
٧ ـ البرهان : الحجة والدليل.
٨ ـ خاصم : مخاصمة نازعه وجادله.
٩ ـ اللب : العقل الخالص من الشوائب أو ما ذكا من العقل.
١٠ ـ تدّبر : تفكر، ونظر في عواقب الأمور.
١١ ـ توسم : تفرس.
١٢ ـ تبصرة : يقال تبصّر الشيء استقصى النظر إليه وفي الشيء تأمل.
١٣ ـ عزم : الأمر عليه عقد ضميره على فعله.
١٤ ـ الجنة : الترس، الوقاية.
١٥ ـ الابلج : الواضح المشرق.
١٦ ـ المناهج : جمع منهج وهو الطريق الواضح.
١٧ ـ الولائج : جمع الوليجة الدخيلة والبطانة.
١٨ ـ المشرف : من أشرف إذا أطل عليه من مكان مرتفع.
١٩ ـ المنار : ما يوضع في الطريق للاهتداء إليه.
٢٠ ـ الجواد : بتشديد الدال جمع جادة وهي الطريق.
٢١ ـ المضمار : محل تضمير الخيل أو ترويضها أو زمانه أو نفسه.
٢٢ ـ الغاية : الراية المنصوبة.
٢٣ ـ الحلبة : خيل تجمع من مواضع متفرقة للسباق أو النصرة.
٢٤ ـ التنافس : التسابق.
٢٥ ـ السبقة : محركة ما يتراهن عليه المتسابقان.
٢٦ ـ أورى : أشعل وأوقد.
٢٧ ـ القبس : الشعلة من النار.
٢٨ ـ العلم : محركة ما يوضع في الطريق ليهتدى به.
٢٩ ـ الحابس : الواقف بالمكان تحيراً لم يدر الطريق.
٣٠ ـ بعيثك : مبعوثك.
٣١ ـ المقسم : النصيب والحظ.
٣٢ ـ النزل : بضمتين ما يهيأ للضيف من طعام.
٣٣ ـ الوسيلة : ما يتقرب به إلى الغير، المنزلة.
٣٤ ـ السناء : الشرف والرفعة.
٣٥ ـ الزمرة : الجماعة من الناس.

٥ ـ أمناً : طمأنينة.
٦ ـ علقه : بكسر اللام تعلق به.
٧ ـ البرهان : الحجة والدليل.
٨ ـ خاصم : مخاصمة نازعه وجادله.
٩ ـ اللب : العقل الخالص من الشوائب أو ما ذكا من العقل.
١٠ ـ تدّبر : تفكر، ونظر في عواقب الأمور.
١١ ـ توسم : تفرس.
١٢ ـ تبصرة : يقال تبصّر الشيء استقصى النظر إليه وفي الشيء تأمل.
١٣ ـ عزم : الأمر عليه عقد ضميره على فعله.
١٤ ـ الجنة : الترس، الوقاية.
١٥ ـ الابلج : الواضح المشرق.
١٦ ـ المناهج : جمع منهج وهو الطريق الواضح.
١٧ ـ الولائج : جمع الوليجة الدخيلة والبطانة.
١٨ ـ المشرف : من أشرف إذا أطل عليه من مكان مرتفع.
١٩ ـ المنار : ما يوضع في الطريق للاهتداء إليه.
٢٠ ـ الجواد : بتشديد الدال جمع جادة وهي الطريق.
٢١ ـ المضمار : محل تضمير الخيل أو ترويضها أو زمانه أو نفسه.
٢٢ ـ الغاية : الراية المنصوبة.
٢٣ ـ الحلبة : خيل تجمع من مواضع متفرقة للسباق أو النصرة.
٢٤ ـ التنافس : التسابق.
٢٥ ـ السبقة : محركة ما يتراهن عليه المتسابقان.
٢٦ ـ أورى : أشعل وأوقد.
٢٧ ـ القبس : الشعلة من النار.
٢٨ ـ العلم : محركة ما يوضع في الطريق ليهتدى به.
٢٩ ـ الحابس : الواقف بالمكان تحيراً لم يدر الطريق.
٣٠ ـ بعيثك : مبعوثك.
٣١ ـ المقسم : النصيب والحظ.
٣٢ ـ النزل : بضمتين ما يهيأ للضيف من طعام.
٣٣ ـ الوسيلة : ما يتقرب به إلى الغير، المنزلة.
٣٤ ـ السناء : الشرف والرفعة.
٣٥ ـ الزمرة : الجماعة من الناس.

(وبرهاناً لمن تكلم به) فهو الحجة القاطعة على صحة كل قضية يريد أن يتكلم بها الإنسان. . .

(وشاهداً لمن خاصم عنه) من يدافع عن الإسلام فشهادة الإسلام قائمة منتصرة وحجته جاهزة حاضرة. . .

(ونوراً لمن استضاء به) من أراد الحقيقة فالإسلام يضيء له الدرب، يكشف له الظلمات ويرفع المبهمات ويضعه أمام الهدى والتقى. . .

(وفهماً لمن عقل) من وعى أحكام الإسلام وتشريعاته استطاع أن يصبح جيد الادراك بل يصبح في جودة الفكر والفهم في أعلى الدرجات. . .

(ولباً لمن تدبر) من تدبر الإسلام وفكّر فيه وفي تشريعاته تحول إلى صاحب عقل عظيم بل هو الذي يصنع العقول السليمة الصحيحة. . .

(وآية لمن توسم) الإسلام طريق به يستطيع الإنسان أن يدرك فراسته على حقيقتها. . .

(وتبصرة لمن عزم) من أراد فعل الخير فالإسلام هو الكاشف لهذا الخير والدال عليه. . .

(وعبرة لمن اتعظ) من أراد أن يتعظ فإنه عندما ينظر إلى ما جاء به الإسلام من العظات عندها يعتبر ويتعظ. . .

(ونجاة لمن صدّق) من آمن به وصدّق أحكامه نجا من النار ومن عذاب الملك الجبار. . .

(وثقه لمن توكل) فمن توكل على الله وإلتجأ إليه أصبح لديه ثقة بكل ما جاء به هذا الدين. . .

(وراحة لمن فوض) فمن فوض أمره لله وأيقن أنه هو الذي يدبر شؤونه فهذا قد إرتاح من الهموم والأحزان ومن كل طارق يطرقه. . .

(وجنة لمن صبر) فمن صبر على أحكام الإسلام وتعاليمه وصبر عما نهى عنه فإن ذلك وقاية له من النار وحاجزاً بينها وبينه. . .

(فهو أبلج المناهج) فهو أوضح الطرق وأسلمها إلى الحق وهو الله. . .

(وأوضح الولائج) فمداخله وأسراره ظاهرة بينة واضحة. . .

(وبرهاناً لمن تكلم به) فهو الحجة القاطعة على صحة كل قضية يريد أن يتكلم بها الإنسان. . .

(وشاهداً لمن خاصم عنه) من يدافع عن الإسلام فشهادة الإسلام قائمة منتصرة وحجته جاهزة حاضرة. . .

(ونوراً لمن استضاء به) من أراد الحقيقة فالإسلام يضيء له الدرب، يكشف له الظلمات ويرفع المبهمات ويضعه أمام الهدى والتقى. . .

(وفهماً لمن عقل) من وعى أحكام الإسلام وتشريعاته استطاع أن يصبح جيد الادراك بل يصبح في جودة الفكر والفهم في أعلى الدرجات. . .

(ولباً لمن تدبر) من تدبر الإسلام وفكّر فيه وفي تشريعاته تحول إلى صاحب عقل عظيم بل هو الذي يصنع العقول السليمة الصحيحة. . .

(وآية لمن توسم) الإسلام طريق به يستطيع الإنسان أن يدرك فراسته على حقيقتها. . .

(وتبصرة لمن عزم) من أراد فعل الخير فالإسلام هو الكاشف لهذا الخير والدال عليه. . .

(وعبرة لمن اتعظ) من أراد أن يتعظ فإنه عندما ينظر إلى ما جاء به الإسلام من العظات عندها يعتبر ويتعظ. . .

(ونجاة لمن صدّق) من آمن به وصدّق أحكامه نجا من النار ومن عذاب الملك الجبار. . .

(وثقه لمن توكل) فمن توكل على الله وإلتجأ إليه أصبح لديه ثقة بكل ما جاء به هذا الدين. . .

(وراحة لمن فوض) فمن فوض أمره لله وأيقن أنه هو الذي يدبر شؤونه فهذا قد إرتاح من الهموم والأحزان ومن كل طارق يطرقه. . .

(وجنة لمن صبر) فمن صبر على أحكام الإسلام وتعاليمه وصبر عما نهى عنه فإن ذلك وقاية له من النار وحاجزاً بينها وبينه. . .

(فهو أبلج المناهج) فهو أوضح الطرق وأسلمها إلى الحق وهو الله. . .

(وأوضح الولائج) فمداخله وأسراره ظاهرة بينة واضحة. . .

كناية عن أنه أظهر الإسلام وأوضح معالمه فكل من أراد الهداية والخير عليه أن يأخذ منه ويقتدي به . . .

ونصب من أنوار الهداية ما يرفع حيرة المتحيرين ويزيل شكهم فالكتاب بين أيدينا وسنة النبي في متناول الجميع وسيرة المعصومين محفوظة وهذه كلها أعلام تهدي الخلق وترفع حيرتهم . . .

(**فهو امينك المأمون**) قد إئتمنته فكان المأمون الثقة على رسالتك وكلامك وما اردت إيصاله إلى الناس . . .

(**وشهيدك يوم الدين**) فهو الشاهد على خلقك بأنه قد بلغ الرسالة وأوصلها إليهم فيشهد للمطيع ويشهد على العاصي . . .

(**وبعيثك نعمة**) فأنت بعثته إلى خلقك نعمة لهم حيث يهديهم سبيل الحق ويأخذ بإيديهم إلى العدل . . .

(**ورسولك بالحق رحمة**) فأنت سبحانك أرسلته بالحق من الشرائع والأحكام رحمة للعالمين كما قلت له : ﴿**وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين**﴾ . . .

(**اللهم أقسم له مقسماً من عدلك**) . دعا للنبي أن يعطيه الله نصيباً وافراً من عدله بأن يجعله في محل القرب منه وفي الدرجات السامية من الكمال والوصول إلى رضاه . . .

(**وأجزه مضعفات الخير من فضلك**) . كذلك دعا للنبي أن يضاعف له فضله واحسانه أضعافاً مضاعفة فوق ما يستحق .

(**اللهم أعل على بناء البانين بناءه**) دعاء أن يرفع الله الإسلام ويجعله الظاهر على جميع الأديان لأن هذا ما بناه النبي وشيده وقد يراد به الدعاء لشخص النبي أن يرفع شأنه فوق كل أصحاب الشأن من الأنبياء فما دونهم . . .

(**وأكرم لديك نزله**) اللهم أكرمه أجلّ كرامة وأفضلها وأحسن إليه أجزل إحسان وأعلاه عند نزوله بك وحلوله عندك . . .

(**وشرف عندك منزله**) اجعله عندك في أشرف المنازل وأكرمها لديك فإنه مستحق لكل إجلال وإكرام .

كناية عن أنه أظهر الإسلام وأوضح معالمه فكل من أراد الهداية والخير عليه أن يأخذ منه ويقتدي به. . .

ونصب من أنوار الهداية ما يرفع حيرة المتحيرين ويزيل شكهم فالكتاب بين أيدينا وسنة النبي في متناول الجميع وسيرة المعصومين محفوظة وهذه كلها أعلام تهدي الخلق وترفع حيرتهم. . .

(**فهو امينك المأمون**) قد إئتمنته فكان المأمون الثقة على رسالتك وكلامك وما اردت إيصاله إلى الناس. . .

(**وشهيدك يوم الدين**) فهو الشاهد على خلقك بأنه قد بلغ الرسالة وأوصلها إليهم فيشهد للمطيع ويشهد على العاصي. . .

(**وبعيثك نعمة**) فأنت بعثته إلى خلقك نعمة لهم حيث يهديهم سبيل الحق ويأخذ بإيديهم إلى العدل. . .

(**ورسولك بالحق رحمة**) فأنت سبحانك أرسلته بالحق من الشرائع والأحكام رحمة للعالمين كما قلت له: ﴿**وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين**﴾. . .

(**اللهم أقسم له مقسماً من عدلك**). دعا للنبي أن يعطيه الله نصيباً وافراً من عدله بأن يجعله في محل القرب منه وفي الدرجات السامية من الكمال والوصول إلى رضاه. . .

(**وأجزه مضعفات الخير من فضلك**). كذلك دعا للنبي أن يضاعف له فضله واحسانه أضعافاً مضاعفة فوق ما يستحق.

(**اللهم أعل على بناء البانين بناءه**) دعاء أن يرفع الله الإسلام ويجعله الظاهر على جميع الأديان لأن هذا ما بناه النبي وشيده وقد يراد به الدعاء لشخص النبي أن يرفع شأنه فوق كل أصحاب الشأن من الأنبياء فما دونهم. . .

(**وأكرم لديك نزله**) اللهم أكرمه أجلّ كرامة وأفضلها وأحسن إليه أجزل إحسان وأعلاه عند نزوله بك وحلوله عندك. . .

(**وشرف عندك منزله**) اجعله عندك في أشرف المنازل وأكرمها لديك فإنه مستحق لكل إجلال وإكرام.

ذكر نعم الله عليهم وبّخهم على تقصيرهم وتهاونهم في أمر الدين وبيّن لهم إنهم يرون عهود الله لا يوفى بها ومع ذلك لا يثورون ولا يتحركون بينما إذا أخذ آباؤهم عهداً على أحد ونقضه كانوا يثورون ويأنفون ويقومون لردّ الكرامة وإعادتها مع أن نقض عهود الله أحق أن يقام من أجلها وأولى من غيرها وهذا بيان لما أخذه الله من القيام في وجه معاوية الظالم الذي نقض العهود ومزق المواثيق وخرج على الإمام باغياً عليه مقاتلاً له بدون حق . . .

(**وكانت أمور الله عليكم ترد وعنكم تصدر وإليكم ترجع**). وهذه نعمة أخرى ضيعتموها وهي أمور الله من أحكامه وتشريعاته كانت تصدر من الرسول إليكم وكان الناس يأخذونها منكم وإليكم يرجعون عندما تتعقد عليهم بعض الأمور فتحلونها لهم.

وفي شرح المعتزلي: كانت الأحكام الشرعية إليكم ترد مني ومن تعليمي إياكم وتثقيفي لكم ثم تصدر عنكم إلى من تعلمونه إياها من اتباعكم وتلامذتكم ثم ترجع إليكم بأن يتعلمها بنوكم وأخوتكم من هؤلاء الاتباع والتلامذة.

(**فمكنتم الظلمة من منزلتكم والقيتم إليهم أزمتكم وأسلمتم أمور الله في أيديهم**). بعد أن بيّن لهم كيف كانوا في المراتب العليا من العلم والمعرفة والسطوة ذمهم من حيث تخلوا عن أماكنهم لأعدائهم وأصبحت الأمور بيد هؤلاء الظلمة العادلين عن الحق الجائرين عن قصد السبيل قد سلموهم أمور الله حينما مكنوا لهم في البلاد وأفسحوا لهم في ظلم العباد، لقد تهاونوا حتى أحتل معاوية رقعة واسعة من أرض الإسلام وأخذ وأصحابه يحتلون كرسي الزعامة والإمامة ويفتون بإسم الإسلام وينسبون إليه كل ما يوافق هواهم وترغب فيه شهواتهم ومن جملتها ما يذكره الإمام بقوله . . .

(**يعملون بالشبهات ويسيرون في الشهوات**). فهؤلاء الذين أسلمتم لهم الأمور ليسوا أصحاب دين لأنهم يعملون بالشبهات يستندون في تحليل الأمور وتحريمها إلى أدلة ليست صحيحة وإلى حجج سخيفة لم يوافق عليها الله ولم يأذن بها أو يجعلها حجة ودليلاً وأما مسيرتهم وطريقة حياتهم فإن شهواتهم هي القائدة لهم والموجهة كيف تكون رغبة الإنسان وشهوته تكون مسيرته وحركة حياته دون نظر إلى دين أو شرع مبين . . .

(**وأيم الله لو فرقوكم تحت كل كوكب لجمعكم الله لشر يوم لهم**). أقسم عليه السلام بالله أن هؤلاء الظلمة ـ وهم الأمويون ـ لو فرقوا أهل العراق في كل مكان وشتتوهم في بقاع الأرض ونواحيها لجمع الله شملهم ووّحد لقاءهم ليوم عظيم وشرّه على بني أمية جليل . .

ذكر نعم الله عليهم وبّخهم على تقصيرهم وتهاونهم في أمر الدين وبيّن لهم إنهم يرون عهود الله لا يوفى بها ومع ذلك لا يثورون ولا يتحركون بينما إذا أخذ آباؤهم عهداً على أحد ونقضه كانوا يثورون ويأنفون ويقومون لردّ الكرامة وإعادتها مع أن نقض عهود الله أحق أن يقام من أجلها وأولى من غيرها وهذا بيان لما أخذه الله من القيام في وجه معاوية الظالم الذي نقض العهود ومزق المواثيق وخرج على الإمام باغياً عليه مقاتلاً له بدون حق...

(**وكانت أمور الله عليكم ترد وعنكم تصدر وإليكم ترجع**). وهذه نعمة أخرى ضيعتموها وهي أمور الله من أحكامه وتشريعاته كانت تصدر من الرسول إليكم وكان الناس يأخذونها منكم وإليكم يرجعون عندما تتعقد عليهم بعض الأمور فتحلونها لهم.

وفي شرح المعتزلي: كانت الأحكام الشرعية إليكم ترد مني ومن تعليمي إياكم وتثقيفي لكم ثم تصدر عنكم إلى من تعلمونه إياها من اتباعكم وتلامذتكم ثم ترجع إليكم بأن يتعلمها بنوكم وأخوتكم من هؤلاء الاتباع والتلامذة.

(**فمكنتم الظلمة من منزلتكم والقيتم إليهم أزمتكم وأسلمتم أمور الله في أيديهم**). بعد أن بيّن لهم كيف كانوا في المراتب العليا من العلم والمعرفة والسطوة ذمهم من حيث تخلوا عن أماكنهم لأعدائهم وأصبحت الأمور بيد هؤلاء الظلمة العادلين عن الحق الجائرين عن قصد السبيل قد سلموهم أمور الله حينما مكنوا لهم في البلاد وأفسحوا لهم في ظلم العباد، لقد تهاونوا حتى أحتل معاوية رقعة واسعة من أرض الإسلام وأخذ وأصحابه يحتلون كرسي الزعامة والإمامة ويفتون بإسم الإسلام وينسبون إليه كل ما يوافق هواهم وترغب فيه شهواتهم ومن جملتها ما يذكره الإمام بقوله...

(**يعملون بالشبهات ويسيرون في الشهوات**). فهؤلاء الذين أسلمتم لهم الأمور ليسوا أصحاب دين لأنهم يعملون بالشبهات يستندون في تحليل الأمور وتحريمها إلى أدلة ليست صحيحة وإلى حجج سخيفة لم يوافق عليها الله ولم يأذن بها أو يجعلها حجة ودليلاً وأما مسيرتهم وطريقة حياتهم فإن شهواتهم هي القائدة لهم والموجهة كيف تكون رغبة الإنسان وشهوته تكون مسيرته وحركة حياته دون نظر إلى دين أو شرع مبين...

(**وأيم الله لو فرقوكم تحت كل كوكب لجمعكم الله لشر يوم لهم**). أقسم عليه السلام بالله أن هؤلاء الظلمة ـ وهم الأمويون ـ لو فرقوا أهل العراق في كل مكان وشتتوهم في بقاع الأرض ونواحيها لجمع الله شملهم ووّحد لقاءهم ليوم عظيم وشرّه على بني أمية جليل..

١٠٧ ـ ومن خطبة له عليه السلام

في بعض أيام صفين

وَقَدْ رَأَيْتُ جَوْلَتَكُمْ(١)، وَانْحِيَازَكُمْ(٢) عَنْ صُفُوفِكُمْ، تَحُوزُكُمُ(٣) الجُفَاةُ(٤) الطَّغَامُ(٥)، وَأَعْرَابُ(٦) أَهْلِ الشَّامِ، وَأَنْتُمْ لَهَامِيمُ(٧) العَرَبِ، وَيَآفِيخُ(٨) الشَّرَفِ، وَالأَنْفِ المُقَدَّمُ، وَالسَّنَامُ(٩) الأَعْظَمُ. وَلَقَدْ شَفَى(١٠) وَحَاوِحَ(١١) صَدْرِي أَنْ رَأَيْتُكُمْ بِأَخَرَةٍ(١٢) تَحُوزُونَهُمْ كَمَا حَازُوكُمْ، وَتُزِيلُونَهُمْ(١٣) عَنْ مَوَاقِفِهِمْ كَمَا أَزَالُوكُمْ، حَسًّا(١٤) بِالنِّصَالِ(١٥)، وَشَجْراً(١٦) بِالرِّمَاحِ(١٧)؛ تَرْكَبُ أُولاَهُمْ أُخْرَاهُمْ كَالإِبِلِ الهِيمِ(١٨) المَطْرُودَةِ؛ تُرْمَىٰ عَنْ حِيَاضِهَا(١٩)؛ وَتُذَادُ(٢٠) عَنْ مَوَارِدِهَا(٢١)! .

اللغة

١ ـ الجولة : من جال الفرس في الميدان إذا قطع جوانبه، وجال القوم جولة إذا انكشفوا ثم كروا.

٢ ـ انحيازكم : ميلكم إلى الشيء ومنه أو متحيزاً إلى فئة أو مائلاً إليها.

٣ ـ تحوزكم : من حزت الشيء إذا جمعته وضممته وحزته أيضاً غلبته.

٤ ـ الجفاة : جمع جاف وهو الغليظ من الناس.

٥ ـ الطغام : الأوغاد من الناس جمع وغد الأحمق الضعيف الرذيل.

٦ ـ الأعراب : سكان البادية البعيدون عن التمدن والحضارة وعن الدين.

٧ ـ اللهاميم : الجواد من الناس والخيل.

٨ ـ اليآفيخ : جمع يأفوخ وهو معظم الشيء وأيضاً يراد به أعلى الرأس.

١٠٧ ـ ومن خطبة له عليه السلام

في بعض أيام صفين

وَقَدْ رَأَيْتُ جَوْلَتَكُمْ(١)، وَانْحِيَازَكُمْ(٢) عَنْ صُفُوفِكُمْ، تَحُوزُكُمُ(٣) الجُفَاةُ(٤) الطَّغَامُ(٥)، وَأَعْرَابُ(٦) أَهْلِ الشَّامِ، وَأَنْتُمْ لَهَامِيمُ(٧) العَرَبِ، وَيَآفِيخُ(٨) الشَّرَفِ، وَالأَنْفِ المُقَدَّمُ، وَالسَّنَامُ(٩) الأَعْظَمُ. وَلَقَدْ شَفَى(١٠) وَحَاوِحَ(١١) صَدْرِي أَنْ رَأَيْتُكُمْ بِأَخَرَةٍ(١٢) تَحُوزُونَهُمْ كَمَا حَازُوكُمْ، وَتُزِيلُونَهُمْ(١٣) عَنْ مَوَاقِفِهِمْ كَمَا أَزَالُوكُمْ، حَسًّا(١٤) بِالنِّصَالِ(١٥)، وَشَجْراً(١٦) بِالرِّمَاحِ(١٧)؛ تَرْكَبُ أُولاَهُمْ أُخْرَاهُمْ كَالإِبِلِ الهِيمِ(١٨) المَطْرُودَةِ؛ تُرْمَىٰ عَنْ حِيَاضِهَا(١٩)؛ وَتُذَادُ(٢٠) عَنْ مَوَارِدِهَا(٢١)!.

اللغة

١ ـ الجولة : من جال الفرس في الميدان إذا قطع جوانبه، وجال القوم جولة إذا انكشفوا ثم كروا.

٢ ـ انحيازكم : ميلكم إلى الشيء ومنه أو متحيزاً إلى فئة أو مائلاً إليها.

٣ ـ تحوزكم : من حزت الشيء إذا جمعته وضممته وحزته أيضاً غلبته.

٤ ـ الجفاة : جمع جاف وهو الغليظ من الناس.

٥ ـ الطغام : الأوغاد من الناس جمع وغد الأحمق الضعيف الرذيل.

٦ ـ الأعراب : سكان البادية البعيدون عن التمدن والحضارة وعن الدين.

٧ ـ اللهاميم : الجواد من الناس والخيل.

٨ ـ اليآفيخ : جمع يأفوخ وهو معظم الشيء وأيضاً يراد به أعلى الرأس.

وقد شبههم باليآفيخ التي هي أعلى الرأس وبالأنف الذي هو موضع العزة والشرف والسنام لأنه أعلى ما في البعير.

(ولقد شفى وحاوح صدري أن رأيتكم بأخرة تحوزونهم كما حازوكم وتزيلونهم عن مواقفهم كما أزالوكم). كان يغلي من الأسى ويحز في قلبه أن تهزم ميمنته ولكنه شُفي من ذلك وبرىء عندما عادت هذه الميمنة إلى موقعها وأخذت تثأر لنفسها ولهزيمتها فرآها ترد الصاع صاعين واللطمة بلطمتين فرح بعودتها إلى موقعها وتناولها لعدوها وإزالتهم عن مواقعهم كما أزالوها أولاً.

(حساً بالنصال وشجراً بالرماح تركب أولاهم أخراهم كالإبل الهيم المطرودة ترمى عن حياضها وتذاد عن مواردها). أعجبه من هذه الكتيبة عودتها إلى موقعها وكيفية تناولها لعدوها حيث كانت ضرباتها أبرد من الثلج على قلب الإمام وأطيب من العسل فوصفها بما رأى حيث قال تشجيعاً لهم وثناء عليهم: لقد استأصلتموهم بضرب السيوف وطعن الرماح وأضحت أولاهم المواجهة لكم تركب المتأخرة عنها وهي هاربة، شبههم بالإبل العطشى التي وردت على الماء ثم طردت عنه ورميت بالسهام ومنعت عن تناول وردها فإنها تتدافع يركب المتقدم منها المتأخر وكل يريد أن ينجو من ضربة سيف أو طعنة رمح...

وقد شبههم باليآفيخ التي هي أعلى الرأس وبالأنف الذي هو موضع العزة والشرف والسنام لأنه أعلى ما في البعير.

(ولقد شفى وحاوح صدري أن رأيتكم بأخرة تحوزونهم كما حازوكم وتزيلونهم عن مواقفهم كما أزالوكم). كان يغلي من الأسى ويحز في قلبه أن تهزم ميمنته ولكنه شُفي من ذلك وبرىء عندما عادت هذه الميمنة إلى موقعها وأخذت تثأر لنفسها ولهزيمتها فرآها ترد الصاع صاعين واللطمة بلطمتين فرح بعودتها إلى موقعها وتناولها لعدوها وإزالتهم عن مواقعهم كما أزالوها أولاً.

(حساً بالنصال وشجراً بالرماح تركب أولاهم أخراهم كالإبل الهيم المطرودة ترمى عن حياضها وتذاد عن مواردها). أعجبه من هذه الكتيبة عودتها إلى موقعها وكيفية تناولها لعدوها حيث كانت ضرباتها أبرد من الثلج على قلب الإمام وأطيب من العسل فوصفها بما رأى حيث قال تشجيعاً لهم وثناء عليهم: لقد استأصلتموهم بضرب السيوف وطعن الرماح وأضحت أولاهم المواجهة لكم تركب المتأخرة عنها وهي هاربة، شبههم بالإبل العطشى التي وردت على الماء ثم طردت عنه ورميت بالسهام ومنعت عن تناول وردها فإنها تتدافع يركب المتقدم منها المتأخر وكل يريد أن ينجو من ضربة سيف أو طعنة رمح...

قَدِ انْجَابَتِ[٣٢] السَّرَائِرُ[٣٣] لأَهْلِ البَصَائِرِ[٣٤]، وَوَضَحَتْ مَحَجَّةُ[٣٥] الحَقِّ لِخَابِطِهَا[٣٦]، وَأَسْفَرَتِ[٣٧] السَّاعَةُ عَنْ وَجْهِهَا، وَظَهَرَتِ العَلاَمَةُ لِمتَوَسِّمِهَا[٣٨]. مَا لِي أَرَاكُمْ أَشْبَاحاً بِلاَ أَرْوَاحٍ، وَأَرْوَاحاً بِلاَ أَشْبَاحٍ[٣٩]، وَنُسَّاكاً[٤٠] بِلاَ صَلاَحٍ، وَتُجَّاراً بِلاَ أَرْبَاحٍ، وَأَيْقَاظاً[٤١] نُوَّماً، وَشُهُوداً[٤٢] غُيَّباً، وَنَاظِرَةً عَمْيَاءَ، وَسَامِعَةً صَمَّاءَ، وَنَاطِقَةً بَكْمَاءَ! رَايَةُ ضَلاَلٍ قَدْ قَامَتْ عَلَىٰ قُطْبِهَا[٤٣]، وَتَفَرَّقَتْ بِشُعَبِهَا[٤٤]، تَكِيلُكُمْ[٤٥] بِصَاعِهَا[٤٦]، وَتَخْبِطُكُمْ[٤٧] بِبَاعِهَا[٤٨]. قَائِدُهَا خَارِجٌ مِنَ المِلَّةِ[٤٩]، قَائِمٌ عَلَىٰ الضِّلَّةِ[٥٠]؛ فَلاَ يَبْقَىٰ يَوْمَئِذٍ مِنْكُمْ إِلاَّ ثُفَالَةٌ[٥١] كَثُفَالَةِ القِدْرِ[٥٢]، أَوْ نُفَاضَةٌ[٥٣] كَنُفَاضَةِ العِكْمِ[٥٤]، تَعْرُكُكُمْ عَرْكَ[٥٥] الأَدِيمِ[٥٦]، وَتَدُوسُكُمْ دَوْسَ[٥٧] الحَصِيدِ[٥٨]، وَتَسْتَخْلِصُ[٥٩] المُؤْمِنَ مِنْ بَيْنِكُمُ اسْتِخْلاَصَ الطَّيْرِ الحَبَّةَ البَطِينَةَ[٦٠] مِنْ بَيْنِ هَزِيلِ[٦١] الحَبِّ.

أَيْنَ تَذْهَبُ بِكُمُ المَذَاهِبُ[٦٢]، وَتَتِيهُ[٦٣] بِكُمُ الغَيَاهِبُ[٦٤] وَتَخْدَعُكُمُ[٦٥] الكَوَاذِبُ؟ وَمِنْ أَيْنَ تُؤْتَوْنَ، وَأَنَّى تُؤْفَكُونَ[٦٦]؟ فَلِكُلِّ أَجَلٍ[٦٧] كِتَابٌ، وَلِكُلِّ غَيْبَةٍ إِيَابٌ[٦٨]، فَاسْتَمِعُوا مِنْ رَبَّانِيِّكُمْ[٦٩]، وَأَحْضِرُوهُ قُلُوبَكُمْ، وَاسْتَيْقِظُوا إِنْ هَتَفَ بِكُمْ[٧٠]. وَلْيَصْدُقْ رَائِدٌ[٧١] أَهْلَهُ، وَلْيَجْمَعْ شَمْلَهُ[٧٢]، وَلْيُحْضِرْ ذِهْنَهُ، فَلَقَدْ فَلَقَ[٧٣] لَكُمُ الأَمْرَ فَلْقَ الخَرَزَةِ[٧٤]، وَقَرَفَهُ[٧٥] قَرْفَ الصَّمْغَةِ[٧٦]. فَعِنْدَ ذٰلِكَ أَخَذَ البَاطِلُ مَآخِذَهُ، وَرَكِبَ الجَهْلُ مَرَاكِبَهُ وَعَظُمَتِ الطَّاغِيَةُ[٧٧]، وَقَلَّتِ الدَّاعِيَةُ، وَصَالَ[٧٨] الدَّهْرُ صِيَالَ السَّبُعِ[٧٩] العَقُورِ[٨٠] وَهَدَرَ[٨١] فَنِيقُ[٨٢] البَاطِلِ بَعْدَ كُظُومٍ[٨٣]، وَتَوَاخَىٰ[٨٤] النَّاسُ عَلَىٰ الفُجُورِ[٨٥]، وَتَهَاجَرُوا[٨٦] عَلَىٰ الدِّينِ، وَتَحَابُّوا[٨٧] عَلَىٰ الكَذِبِ، وَتَبَاغَضُوا عَلَىٰ الصِّدْقِ. فَإِذَا كَانَ ذٰلِكَ كَانَ الوَلَدُ غَيْظاً[٨٨]، وَالمَطَرُ

قَدِ انْجَابَتِ[٣٢] السَّرَائِرُ[٣٣] لأَهْلِ البَصَائِرِ[٣٤]، وَوَضَحَتْ مَحَجَّةُ[٣٥] الحَقِّ لِخَابِطِهَا[٣٦]، وَأَسْفَرَتِ[٣٧] السَّاعَةُ عَنْ وَجْهِهَا، وَظَهَرَتِ العَلاَمَةُ لِمتَوَسِّمِهَا[٣٨]. مَا لِي أَرَاكُمْ أَشْبَاحاً بِلاَ أَرْوَاحٍ، وَأَرْوَاحاً بِلاَ أَشْبَاحٍ[٣٩]، وَنُسَّاكاً[٤٠] بِلاَ صَلاَحٍ، وَتُجَّاراً بِلاَ أَرْبَاحٍ، وَأَيْقَاظاً[٤١] نُوَّماً، وَشُهُوداً[٤٢] غُيَّباً، وَنَاظِرَةً عَمْيَاءَ، وَسَامِعَةً صَمَّاءَ، وَنَاطِقَةً بَكْمَاءَ! رَايَةُ ضَلاَلٍ قَدْ قَامَتْ عَلَىٰ قُطْبِهَا[٤٣]، وَتَفَرَّقَتْ بِشُعَبِهَا[٤٤]، تَكِيلُكُمْ[٤٥] بِصَاعِهَا[٤٦]، وَتَخْبِطُكُمْ[٤٧] بِبَاعِهَا[٤٨]. قَائِدُهَا خَارِجٌ مِنَ المِلَّةِ[٤٩]، قَائِمٌ عَلَىٰ الضِّلَّةِ[٥٠]؛ فَلاَ يَبْقَىٰ يَوْمَئِذٍ مِنْكُمْ إِلاَّ ثُفَالَةٌ[٥١] كَثُفَالَةِ القِدْرِ[٥٢]، أَوْ نُفَاضَةٌ[٥٣] كَنُفَاضَةِ العِكْمِ[٥٤]، تَعْرُكُكُمْ عَرْكَ[٥٥] الأَدِيمِ[٥٦]، وَتَدُوسُكُمْ دَوْسَ[٥٧] الحَصِيدِ[٥٨]، وَتَسْتَخْلِصُ[٥٩] المُؤْمِنَ مِنْ بَيْنِكُمُ اسْتِخْلاَصَ الطَّيْرِ الحَبَّةَ البَطِينَةَ[٦٠] مِنْ بَيْنِ هَزِيلِ[٦١] الحَبِّ.

أَيْنَ تَذْهَبُ بِكُمُ المَذَاهِبُ[٦٢]، وَتَتِيهُ[٦٣] بِكُمُ الغَيَاهِبُ[٦٤] وَتَخْدَعُكُمُ[٦٥] الكَوَاذِبُ؟ وَمِنْ أَيْنَ تُؤْتَوْنَ، وَأَنَّى تُؤْفَكُونَ[٦٦]؟ فَلِكُلِّ أَجَلٍ[٦٧] كِتَابٌ، وَلِكُلِّ غَيْبَةٍ أَيَابٌ[٦٨]، فَاسْتَمِعُوا مِنْ رَبَّانِيِّكُمْ[٦٩]، وَأَحْضِرُوهُ قُلُوبَكُمْ، وَاسْتَيْقِظُوا إِنْ هَتَفَ بِكُمْ[٧٠]. وَلْيَصْدُقْ رَائِدٌ[٧١] أَهْلَهُ، وَلْيَجْمَعْ شَمْلَهُ[٧٢]، وَلْيُحْضِرْ ذِهْنَهُ، فَلَقَدْ فَلَقَ[٧٣] لَكُمُ الأَمْرَ فَلْقَ الخَرَزَةِ[٧٤]، وَقَرَفَهُ[٧٥] قَرْفَ الصَّمْغَةِ[٧٦]. فَعِنْدَ ذٰلِكَ أَخَذَ البَاطِلُ مَآخِذَهُ، وَرَكِبَ الجَهْلُ مَرَاكِبَهُ وَعَظُمَتِ الطَّاغِيَةُ[٧٧]، وَقَلَّتِ الدَّاعِيَةُ، وَصَالَ[٧٨] الدَّهْرُ صِيَالَ السَّبُعِ[٧٩] العَقُورِ[٨٠] وَهَدَرَ[٨١] فَنِيقُ[٨٢] البَاطِلِ بَعْدَ كُظُومٍ[٨٣]، وَتَوَاخَىٰ[٨٤] النَّاسُ عَلَىٰ الفُجُورِ[٨٥]، وَتَهَاجَرُوا[٨٦] عَلَىٰ الدِّينِ، وَتَحَابُّوا[٨٧] عَلَىٰ الكَذِبِ، وَتَبَاغَضُوا عَلَىٰ الصِّدْقِ. فَإِذَا كَانَ ذٰلِكَ كَانَ الوَلَدُ غَيْظاً[٨٨]، وَالمَطَرُ

٢٠ ـ المراهم : الأدوية للجروح.
٢١ ـ أحمى : الحديد أسخنه شديداً.
٢٢ ـ المواسم : جمع ميسم بكسر الميم وهو المكواة.
٢٣ ـ العمى : عدم البصر فيما من شأنه أن يبصر.
٢٤ ـ الصمم : مرض يمنع السمع.
٢٥ ـ البكم : الأبكم هو الذي ولد لا يقدر على الكلام.
٢٦ ـ الحيرة : عدم الاهتداء للشيء.
٢٧ ـ قدح : بالزنداستخرج النار منه.
٢٨ ـ الزناد : هو الآلة التي يستخرج بواسطتها النار.
٢٩ ـ الثاقبة : المضيئة إذا كانت للكواكب والمتقدة إذا كانت للنار.
٣٠ ـ الأنعام : جمع النعم الإبل وتطلق على البقر والغنم.
٣١ ـ السائمة : الراعية.
٣٢ ـ انجابت : انكشفت.
٣٣ ـ السرائر : جمع سريرة السر الذي يكتم، ما يسره الإنسان من أمره.
٣٤ ـ البصائر : جمع بصيرة العقل الفطنة وهي في الباطن كالبصر بالنسبة إلى الظاهر.
٣٥ ـ المحجة : وسط الطريق.
٣٦ ـ الخابط : السائر على غير هدى.
٣٧ ـ أسفرت : كشفت.
٣٨ ـ المتوسم : المتفرس.
٣٩ ـ الشبح : الشخص.
٤٠ ـ النساك : جمع ناسك العابد المتزهد.
٤١ ـ الإيقاظ : ضد النوم وأيقضه من نومه إذا نبهه منه واليقظ المتنبه للأمور.
٤٢ ـ الشهود : الحضور.
٤٣ ـ القطب : حديدة تدور عليها الرحى، ملاك الأمر ومداره الرئيس الذي تدور عليه الأمور.
٤٤ ـ شعب : جمع شُعبة وهو الفرع وأما الشّعْب فهي القبيلة العظيمة.
٤٥ ـ تكيلكم : تأخذكم للهلاك جملة كما يأخذ الكيال ما يكيله من الحب.
٤٦ ـ الصاع : وعاء يكال به.
٤٧ ـ تخبطكم : من الخبط وهو ضرب ورق الشجر حتى يسقط والبعير ضرب بيده.
٤٨ ـ الباع : قدر مد اليدين.
٤٩ ـ الملة : الطريقة والشريعة في الدين وملة الإسلام دينه.
٥٠ ـ الضلة : ضد الهدى.

٢٠ ـ المراهم : الأدوية للجروح.
٢١ ـ أحمى : الحديد أسخنه شديداً.
٢٢ ـ المواسم : جمع ميسم بكسر الميم وهو المكواة.
٢٣ ـ العمى : عدم البصر فيما من شأنه أن يبصر.
٢٤ ـ الصمم : مرض يمنع السمع.
٢٥ ـ البكم : الأبكم هو الذي ولد لا يقدر على الكلام.
٢٦ ـ الحيرة : عدم الاهتداء للشيء.
٢٧ ـ قدح : بالزنداستخرج النار منه.
٢٨ ـ الزناد : هو الآلة التي يستخرج بواسطتها النار.
٢٩ ـ الثاقبة : المضيئة إذا كانت للكواكب والمتقدة إذا كانت للنار.
٣٠ ـ الأنعام : جمع النعم الإبل وتطلق على البقر والغنم.
٣١ ـ السائمة : الراعية.
٣٢ ـ انجابت : انكشفت.
٣٣ ـ السرائر : جمع سريرة السر الذي يكتم، ما يسره الإنسان من أمره.
٣٤ ـ البصائر : جمع بصيرة العقل الفطنة وهي في الباطن كالبصر بالنسبة إلى الظاهر.
٣٥ ـ المحجة : وسط الطريق.
٣٦ ـ الخابط : السائر على غير هدى.
٣٧ ـ أسفرت : كشفت.
٣٨ ـ المتوسم : المتفرس.
٣٩ ـ الشبح : الشخص.
٤٠ ـ النساك : جمع ناسك العابد المتزهد.
٤١ ـ الإيقاظ : ضد النوم وأيقضه من نومه إذا نبهه منه واليقظ المتنبه للأمور.
٤٢ ـ الشهود : الحضور.
٤٣ ـ القطب : حديدة تدور عليها الرحى، ملاك الأمر ومداره الرئيس الذي تدور عليه الأمور.
٤٤ ـ شعب : جمع شُعبة وهو الفرع وأما الشَّعْب فهي القبيلة العظيمة.
٤٥ ـ تكيلكم : تأخذكم للهلاك جملة كما يأخذ الكيال ما يكيله من الحب.
٤٦ ـ الصاع : وعاء يكال به.
٤٧ ـ تخبطكم : من الخبط وهو ضرب ورق الشجر حتى يسقط والبعير ضرب بيده.
٤٨ ـ الباع : قدر مد اليدين.
٤٩ ـ الملة : الطريقة والشريعة في الدين وملة الإسلام دينه.
٥٠ ـ الضلة : ضد الهدى.

٨٣ ـ الكظوم : الإمساك والسكوت.
٨٤ ـ تواخى : الناس صاروا اخوة.
٨٥ ـ الفجور : أصله الميل عن الصدق والقصد يستعمل في الزاني ومرتكب المعاصي.
٨٦ ـ تهاجروا : تقاطعوا.
٨٧ ـ تحابوا : حبّ بعضهم بعضاً.
٨٨ ـ الغيظ : الغضب، أو أشده وقيل سورته وأوله والغياظ الغم والمحنة.
٨٩ ـ القيظ : شدة الحر.
٩٠ ـ تفيض : تسيل وتجري.
٩١ ـ اللئام : جمع لئيم خلاف الكريم، المهان، الدنيء الأصل.
٩٢ ـ تغيض : من غاض الماء إذا غار في الأرض وجفت ينابيعه.
٩٣ ـ غار : الماء في الأرض ذهب.
٩٤ ـ فاض : كثر حتى سال.
٩٥ ـ المودة : المحبة.
٩٦ ـ تشاجر : الناس تنازعوا.
٩٧ ـ الفسوق : الخروج عن طريق الحق والصواب، الفجور.
٩٨ ـ العفاف : الإمتناع عما لا يحل، والعفة ترك الشهوات الدنيئة، الطهارة.
٩٩ ـ العجب : انفعال نفساني يعتري الإنسان عند استعظامه أو استطرافه أو إنكاره ما يرد عليه.
١٠٠ ـ الفرو : جمعه فراء شيء كالجبة يبطّن من جلود بعض الحيوانات.

الشرح

(**الحمد لله المتجلي لخلقه بخلقه**). حمد الله الظاهر والواضح لخلقه بما خلق فإن الإنسان بل كل شيء يدرك وجود الله ويتحققه بهذا الخلق فهو السبب وهو العلة ولولا العلة لما وجد المعلول فمن وجود المعلول نقرأ وجود العلة وتقدمها عليه...

(**والظاهر لقلوبهم بحجته**). المنكشف لقلوب الخلق بما في الكون من براهين وأدلة على وجوده فالذرة الصغيرة تحكي وجوده وتنطق بتوحيده إنه لم تره العيون ولكن رأته القلوب بحقائق الإيمان...

(**خلق الخلق من غير رويّة إذ كانت الرويّات لا تليق إلا بذوي الضمائر وليس بذي**

٨٣ ـ الكظوم : الإمساك والسكوت.
٨٤ ـ تواخى : الناس صاروا اخوة.
٨٥ ـ الفجور : أصله الميل عن الصدق والقصد يستعمل في الزاني ومرتكب المعاصي.
٨٦ ـ تهاجروا : تقاطعوا.
٨٧ ـ تحابوا : حبّ بعضهم بعضاً.
٨٨ ـ الغيظ : الغضب، أو أشده وقيل سورته وأوله والغياظ الغم والمحنة.
٨٩ ـ القيظ : شدة الحر.
٩٠ ـ تفيض : تسيل وتجري.
٩١ ـ اللئام : جمع لئيم خلاف الكريم، المهان، الدنيء الأصل.
٩٢ ـ تغيض : من غاض الماء إذا غار في الأرض وجفت ينابيعه.
٩٣ ـ غار : الماء في الأرض ذهب.
٩٤ ـ فاض : كثر حتى سال.
٩٥ ـ المودة : المحبة.
٩٦ ـ تشاجر : الناس تنازعوا.
٩٧ ـ الفسوق : الخروج عن طريق الحق والصواب، الفجور.
٩٨ ـ العفاف : الإمتناع عما لا يحل، والعفة ترك الشهوات الدنيئة، الطهارة.
٩٩ ـ العجب : انفعال نفساني يعتري الإنسان عند استعظامه أو استطرافه أو إنكاره ما يرد عليه.
١٠٠ ـ الفرو : جمعه فراء شيء كالجبة يبطّن من جلود بعض الحيوانات.

الشرح

(**الحمد لله المتجلي لخلقه بخلقه**). حمد الله الظاهر والواضح لخلقه بما خلق فإن الإنسان بل كل شيء يدرك وجود الله ويتحققه بهذا الخلق فهو السبب وهو العلة ولولا العلة لما وجد المعلول فمن وجود المعلول نقرأ وجود العلة وتقدمها عليه...

(**والظاهر لقلوبهم بحجته**). المنكشف لقلوب الخلق بما في الكون من براهين وأدلة على وجوده فالذرة الصغيرة تحكي وجوده وتنطق بتوحيده إنه لم تره العيون ولكن رأته القلوب بحقائق الإيمان...

(**خلق الخلق من غير رويّة إذ كانت الرويّات لا تليق إلا بذوي الضمائر وليس بذي**

طبيب يحمل مهنته معه بما عنده من العلوم وبما اتقن من الأدوية التي هي المواعظ والحكم وآيات الكتاب وسنة النبي المختار حمل أدويته واستعد بكل أجهزته التي بها يكون العلاج من مكواة وغيرها، إنه حملها كلها وأخذ يضع لكل داء حاجته من الدواء فمن مرض قلبه داواه بالذكر والموعظة والرجوع إلى الله وفتحه بما عنده من آثار النبوة وعبق الإمامة وعطر الإخلاص، ومن كانت آذانه صماء لا تسمع موعظة ولا تعي حكماً فتحها فجعلها تسمع وتعي وتعتبر بكل ما تسمع كما أن من كان أبكماً لا يتكلم بحق حوّل لسانه إلى أن ينطق بالحق ويقول الصدق وحلّ عقدته بذكر الله والعودة إليه...

(**متتبع بدوائه موضع الغفلة ومواطن الحيرة**). إنه يحمل الدواء ويبحث عن الداء فمن كان غافلاً عن آخرته وعما ينفعه أيقظه من غفلته ووعاه لما ينفعه ودلّه على موارد النجاة.

ومن كان في حيرة من أمره وفي نفسه شك وتردد من أمر الله أو شيء من أحكامه رفع حيرته وأنزل عليه برد اليقين وسقاه شراب التصديق فارتفعت الحيرة وزال الشك والتردد وحل محلها اليقين بالله وبما جاء به رسوله...

(**لم يستضيئوا بأضواء الحكمة ولم يقدحوا بزناد العلوم الثاقبة فهم في ذلك كالأنعام السائمة والصخور القاسية**). هذا توبيخ للذين تخلفوا عن الاخذ منه إنهم لم يجنوا عن أنوار الحكمة التي تتفجر منه ولم يستفيدوا مما أناره لهم من الطرق والدروب ولم يجهدوا أنفسهم في استخراج العلوم الحقة المضيئة المفيدة التي تنفع البشرية وتساهم في رقيها وتقدمها...

ثم وصفهم أنهم كالأنعام المعلوفة التي اكتفت بشبعها دون أن تفكر بشيء من مصالحها وما ينفعها كما شبههم بالصخور القاسية التي لا تتأثر بشيء ولا يفتتها شيء...

(**قد انجابت السرائر لأهل البصائر**). انكشفت الأسرار لأهل الأفكار والفطنة وقالوا: إن الأسرار هي ما أضمره المعاندون للحق في إطفاء نور الله وهدم أركان الشريعة وقالوا: إن الأسرار هي ما انكشف له عليه السلام من استيلاء بني أمية على الحكم وظلمهم.

(**ووضحت محجة الحق لخابطها**). لقد ظهرت أعلام الشريعة ووضحت أحكام الدين فلا عذر للجاهلين السائرين على غير هدى لأن سيرهم عن شقاق وعناد بدون حجة وبرهان.

طبيب يحمل مهنته معه بما عنده من العلوم وبما اتقن من الأدوية التي هي المواعظ والحكم وآيات الكتاب وسنة النبي المختار حمل أدويته واستعد بكل أجهزته التي بها يكون العلاج من مكواة وغيرها، إنه حملها كلها وأخذ يضع لكل داء حاجته من الدواء فمن مرض قلبه داواه بالذكر والموعظة والرجوع إلى الله وفتحه بما عنده من آثار النبوة وعبق الإمامة وعطر الإخلاص، ومن كانت آذانه صماء لا تسمع موعظة ولا تعي حكماً فتحها فجعلها تسمع وتعي وتعتبر بكل ما تسمع كما أن من كان أبكماً لا يتكلم بحق حوّل لسانه إلى أن ينطق بالحق ويقول الصدق وحلّ عقدته بذكر الله والعودة إليه. . .

(**متتبع بدوائه موضع الغفلة ومواطن الحيرة**). إنه يحمل الدواء ويبحث عن الداء فمن كان غافلاً عن آخرته وعما ينفعه أيقظه من غفلته ووعاه لما ينفعه ودلّه على موارد النجاة.

ومن كان في حيرة من أمره وفي نفسه شك وتردد من أمر الله أو شيء من أحكامه رفع حيرته وأنزل عليه برد اليقين وسقاه شراب التصديق فارتفعت الحيرة وزال الشك والتردد وحل محلها اليقين بالله وبما جاء به رسوله. . .

(**لم يستضيئوا بأضواء الحكمة ولم يقدحوا بزناد العلوم الثاقبة فهم في ذلك كالأنعام السائمة والصخور القاسية**). هذا توبيخ للذين تخلفوا عن الاخذ منه إنهم لم يجنوا عن أنوار الحكمة التي تتفجر منه ولم يستفيدوا مما أناره لهم من الطرق والدروب ولم يجهدوا أنفسهم في استخراج العلوم الحقة المضيئة المفيدة التي تنفع البشرية وتساهم في رقيها وتقدمها. . .

ثم وصفهم أنهم كالأنعام المعلوفة التي اكتفت بشبعها دون أن تفكر بشيء من مصالحها وما ينفعها كما شبههم بالصخور القاسية التي لا تتأثر بشيء ولا يفتتها شيء. . .

(**قد انجابت السرائر لأهل البصائر**). انكشفت الأسرار لأهل الأفكار والفطنة وقالوا: إن الأسرار هي ما أضمره المعاندون للحق في إطفاء نور الله وهدم أركان الشريعة وقالوا: إن الأسرار هي ما انكشف له عليه السلام من استيلاء بني أمية على الحكم وظلمهم.

(**ووضحت محجة الحق لخابطها**). لقد ظهرت أعلام الشريعة ووضحت أحكام الدين فلا عذر للجاهلين السائرين على غير هدى لأن سيرهم عن شقاق وعناد بدون حجة وبرهان.

(وناطقة بكماء راية ضلال قد قامت على قطبها وتفرقت بشعبها). هذا كلام منقطع عما سبقه يذكر فيه بعض ما يأتي به الزمان وأول ذلك أن تخرج راية ضلال، إنه شعار يراد من ورائه إضلال الناس والانحراف بهم قد اجتمعت على رئيسها ومحرك دورتها وقائد مسيرتها وبعد ذلك توزعت في كل النواحي والجهات والقبائل والناس. . .

(تكيلكم بصاعها وتخبطكم بباعها). إشارة إلى ما ينالهم من ظلمها وجورها وأنها لن تتركهم أحراراً يفعلون ما يشاؤون بل تأخذهم بظلمها وتضربهم بأعظم ما عندها من قوة وقدرة.

(قائدها خارج من الملة قائم على الضلة). وهذا وصف لقائد هذه الفتنة فهو ليس على دين الإسلام في واقع الأمر وإن كان في الظاهر أنه منه وهو أيضاً ثابت مستمر على الضلال والانحراف لن ينزع عنه إلى العدل. . .

(فلا يبقى يومئذ منكم إلا ثفالة كثفالة القدر أو نفاضة كنفاضة العكم). عندما يحكم هذا الظالم ويمارس القهر والقتل فلن يبقى منكم يومها إلا ما لا خير فيه ولا ينتفع به من أراذلكم وهؤلاء لن يثوروا ولن يثأروا أو يبقى منكم بقايا قليلة وأثر يرمى دون فائدة فيه كما ترمى النفاضة من العدل. . .

(تعرككم عرك الأديم وتدوسكم دوس الحصيد وتستخلص المؤمن من بينكم استخلاص الطير الحبة البطينة من بين هزيل الحب). وهذا وصف لشدتها وما يطالهم منها إنها صورة رهيبة فكما يعرك الجلد عند الدبغ كذلك بشدتها وقسوتها تكون عليكم حتى تغيّر ألوانكم وتطالكم جميعاً. . .

كما أنها ستمارس عليكم المذلة والهوان وتدوسكم كما يداس الزرع لاستخراج الحب منه وستبحث عن المؤمن الملتزم الذي يشكل خطراً عليها ويهددها في مصالحها فيؤخذ من بين ما تبقى منكم لينفى من الأرض أو يقتل أو يسجن أو ينكل به ويكون عبرة لغيره وقد شبه استقصائهم وبحثهم عن المؤمن ببحث الطائر للحبة السمينة وأخذها من بين الضعاف من الحبوب، كناية عن اهتمامهم بأخذ المؤمنين ليخلصوا منهم ويطمئنوا بفقدهم.

(أين تذهب بكم المذاهب وتتيه بكم الغياهب وتخدعكم الكواذب). استفهام يراد به تقريعهم وتوبيخهم لعلهم إلى الحق يرجعون يقول لهم: أين تأخذكم المذاهب وهي الطرق المنحرفة عن الحق وكيف تأخذكم الظلمات وتتيه بكم فلا تهتدون إلى الهدى ولا

(وناطقة بكماء راية ضلال قد قامت على قطبها وتفرقت بشعبها). هذا كلام منقطع عما سبقه يذكر فيه بعض ما يأتي به الزمان وأول ذلك أن تخرج راية ضلال، إنه شعار يراد من ورائه إضلال الناس والانحراف بهم قد اجتمعت على رئيسها ومحرك دورتها وقائد مسيرتها وبعد ذلك توزعت في كل النواحي والجهات والقبائل والناس. . .

(تكيلكم بصاعها وتخبطكم بباعها). إشارة إلى ما ينالهم من ظلمها وجورها وأنها لن تتركهم أحراراً يفعلون ما يشاؤون بل تأخذهم بظلمها وتضربهم بأعظم ما عندها من قوة وقدرة.

(قائدها خارج من الملة قائم على الضلة). وهذا وصف لقائد هذه الفتنة فهو ليس على دين الإسلام في واقع الأمر وإن كان في الظاهر أنه منه وهو أيضاً ثابت مستمر على الضلال والانحراف لن ينزع عنه إلى العدل. . .

(فلا يبقى يومئذ منكم إلا ثفالة كثفالة القدر أو نفاضة كنفاضة العكم). عندما يحكم هذا الظالم ويمارس القهر والقتل فلن يبقى منكم يومها إلا ما لا خير فيه ولا ينتفع به من أراذلكم وهؤلاء لن يثوروا ولن يثأروا أو يبقى منكم بقايا قليلة وأثر يرمى دون فائدة فيه كما ترمى النفاضة من العدل. . .

(تعرككم عرك الأديم وتدوسكم دوس الحصيد وتستخلص المؤمن من بينكم استخلاص الطير الحبة البطينة من بين هزيل الحب). وهذا وصف لشدتها وما يطالهم منها إنها صورة رهيبة فكما يعرك الجلد عند الدبغ كذلك بشدتها وقسوتها تكون عليكم حتى تغيّر ألوانكم وتطالكم جميعاً. . .

كما أنها ستمارس عليكم المذلة والهوان وتدوسكم كما يداس الزرع لاستخراج الحب منه وستبحث عن المؤمن الملتزم الذي يشكل خطراً عليها ويهددها في مصالحها فيؤخذ من بين ما تبقى منكم لينفى من الأرض أو يقتل أو يسجن أو ينكل به ويكون عبرة لغيره وقد شبه استقصائهم وبحثهم عن المؤمن ببحث الطائر للحبة السمينة وأخذها من بين الضعاف من الحبوب، كناية عن اهتمامهم بأخذ المؤمنين ليخلصوا منهم ويطمئنوا بفقدهم.

(أين تذهب بكم المذاهب وتتيه بكم الغياهب وتخدعكم الكواذب). استفهام يراد به تقريعهم وتوبيخهم لعلهم إلى الحق يرجعون يقول لهم: أين تأخذكم المذاهب وهي الطرق المنحرفة عن الحق وكيف تأخذكم الظلمات وتتيه بكم فلا تهتدون إلى الهدى ولا

(**فعند ذلك أخذ الباطل مآخذه وركب الجهل مراكبه**). هذا من جملة أخباره بما يجرى بعده وأن الفتنة إذا جرت فعند ذلك يتمادى الباطل ويسرح ويمرح ويأخذ أوج عزه فينتشر بكل زاوية ومكان.

وأما الجهل فإنه يركب عقول الناس ويديرها كيف شاء ويفقد العلم دوره والمعرفة مكانتها وكيف يكون هذا المجتمع الذي يتحكم فيه الباطل على أيدي الجهال المتمكنين من القوة والقدرة...

(**وعظمت الطاغية وقلت الداعية**). استفحل أمر الفتنة التي عمّت وطغت على البلاد.

وفي المقابل قلت الفرقة الداعية إلى الله الراعية لحقوقه التي توجه الناس إليه وتردهم إلى رحابه.

(**وصال الدهر صيال السبع العقور**). وثب الدهر على الصالحين والضعفاء فجردهم من حقوقهم وسلبهم معيشتهم وأفقدهم لذة الحياة وطيبها بل قد يفقدهم حياتهم ووجودهم وهو كناية عن استبداد الظالمين وممارستهم الظالمة التي تقتل وتشرد وتسجن وقد شبّه ذلك بالحيوان المفترس الضاري...

(**وهدر فنيق الباطل بعد كظوم**). فبعد سكون الباطل وخموده وانعدام حركته ظهر من جديد وعلا صوته واستفحل أمره فإن الأجواء التي يعيش فيها الباطل ويصبح له يد يبطش بها هي تلك التي يتخاذل فيها الدعاة إلى الله ويكفون عن حمل رسالتهم وأداء أمانتهم...

(**وتواخى الناس على الفجور**). أصبح الفجور هو محور الأخوة فالفجار التقوا واجتمعوا على هذه الرذيلة وأننا نجد كيف يجتمع الفساق على حفلات الرقص والغناء والانحلال أكثر مما يجتمع الأخوة فيما بينهم وكم من شخص لا يجمعه مع آخر إلا هذه المناسبة الفاجرة الباطلة...

(**وتهاجروا على الدين**). افترقوا على الدين فهذا المتدين يقطع علاقته بغيره من الفساق خوف العدوى كما أن الفاسق يقطع علاقته بالمتدين لدينه وعدم مماشاته له في انحلاله...

(**وتحابوا على الكذب وتباغضوا على الصدق**). أحب بعضهم بعضاً لأن كل واحد منهم يكذب على الآخر في حديثه وفي مواعيده وفي حياته.

(**فعند ذلك أخذ الباطل مآخذه وركب الجهل مراكبه**). هذا من جملة أخباره بما يجرى بعده وأن الفتنة إذا جرت فعند ذلك يتمادى الباطل ويسرح ويمرح ويأخذ أوج عزه فينتشر بكل زاوية ومكان.

وأما الجهل فإنه يركب عقول الناس ويديرها كيف شاء ويفقد العلم دوره والمعرفة مكانتها وكيف يكون هذا المجتمع الذي يتحكم فيه الباطل على أيدي الجهال المتمكنين من القوة والقدرة. . .

(**وعظمت الطاغية وقلت الداعية**). استفحل أمر الفتنة التي عمّت وطغت على البلاد.

وفي المقابل قلت الفرقة الداعية إلى الله الراعية لحقوقه التي توجه الناس إليه وتردهم إلى رحابه.

(**وصال الدهر صيال السبع العقور**). وثب الدهر على الصالحين والضعفاء فجردهم من حقوقهم وسلبهم معيشتهم وأفقدهم لذة الحياة وطيبها بل قد يفقدهم حياتهم ووجودهم وهو كناية عن استبداد الظالمين وممارستهم الظالمة التي تقتل وتشرد وتسجن وقد شبّه ذلك بالحيوان المفترس الضاري. . .

(**وهدر فنيق الباطل بعد كظوم**). فبعد سكون الباطل وخموده وانعدام حركته ظهر من جديد وعلا صوته واستفحل أمره فإن الأجواء التي يعيش فيها الباطل ويصبح له يد يبطش بها هي تلك التي يتخاذل فيها الدعاة إلى الله ويكفون عن حمل رسالتهم وأداء أمانتهم. . .

(**وتواخى الناس على الفجور**). أصبح الفجور هو محور الأخوة فالفجار التقوا واجتمعوا على هذه الرذيلة وأننا نجد كيف يجتمع الفساق على حفلات الرقص والغناء والانحلال أكثر مما يجتمع الأخوة فيما بينهم وكم من شخص لا يجمعه مع آخر إلا هذه المناسبة الفاجرة الباطلة. . .

(**وتهاجروا على الدين**). افترقوا على الدين فهذا المتدين يقطع علاقته بغيره من الفساق خوف العدوى كما أن الفاسق يقطع علاقته بالمتدين لدينه وعدم مماشاته له في انحلاله. . .

(**وتحابوا على الكذب وتباغضوا على الصدق**). أحب بعضهم بعضاً لأن كل واحد منهم يكذب على الآخر في حديثه وفي مواعيده وفي حياته.

(وفاض الكذب). أصبح الكذب منتشراً بين الناس يتداولونه بيسر وسهولة وبدون حرج أو عسر. . .

(واستعملت المودة باللسان). كما يقال: يعطيك من طرف اللسان حلاوة. . . لو قرأت لسانه لطربت وانشرحت يثني عليك ويمدحك ويطربك ولكن كل ذلك باللسان وأما قلبه فلم يعرف شيئاً من ذلك.

(وتشاجر الناس بالقلوب). في القلوب عداوة وقتال بل حقد دفين لا يكشفه إلا رب العالمين. . .

(وصار الفسوق نسباً). يصبح الفاسق صديقاً للفاسق وأخاً له من حيث يجمعهما الوصف وتوحد نظرتهما ما في العمق من فساد.

(والعفاف عجباً). يُتعجب من العفاف لقلته.

(ولبس الإسلام لبس الفرو مقلوباً). طرحوا شعارات الإسلام واستغلوا أحكامه من أجل المصالح الخاصة ولم يطرحوها من أجل الإسلام وتحكيمه في الأمور والقضايا وكان من حق من طرح الشعار أن يحفظ المضمون ويراعيه ويعمل به. . .

أو إن الإسلام يراد به أن يدخل إلى القلب فيحول الإنسان من داخله ليصبح مسلماً ملتزماً وهؤلاء الناس أخذوا ظاهر الإسلام ولم يتدينوا به في قلوبهم ولم يلتزموا به في نفوسهم.

(وفاض الكذب). أصبح الكذب منتشراً بين الناس يتداولونه بيسر وسهولة وبدون حرج أو عسر...

(واستعملت المودة باللسان). كما يقال: يعطيك من طرف اللسان حلاوة... لو قرأت لسانه لطربت وانشرحت يثني عليك ويمدحك ويطربك ولكن كل ذلك باللسان وأما قلبه فلم يعرف شيئاً من ذلك.

(وتشاجر الناس بالقلوب). في القلوب عداوة وقتال بل حقد دفين لا يكشفه إلا رب العالمين...

(وصار الفسوق نسباً). يصبح الفاسق صديقاً للفاسق وأخاً له من حيث يجمعهما الوصف وتوحد نظرتهما ما في العمق من فساد.

(والعفاف عجباً). يُتعجب من العفاف لقلته.

(ولبس الإسلام لبس الفرو مقلوباً). طرحوا شعارات الإسلام واستغلوا أحكامه من أجل المصالح الخاصة ولم يطرحوها من أجل الإسلام وتحكيمه في الأمور والقضايا وكان من حق من طرح الشعار أن يحفظ المضمون ويراعيه ويعمل به...

أو إن الإسلام يراد به أن يدخل إلى القلب فيحول الإنسان من داخله ليصبح مسلماً ملتزماً وهؤلاء الناس أخذوا ظاهر الإسلام ولم يتدينوا به في قلوبهم ولم يلتزموا به في نفوسهم.

الملائكة الكرام

ومنها: مِنْ مَلاَئِكَةٍ أَسْكَنْتَهُمْ سَمَاوَاتِكَ، وَرَفَعْتَهُمْ عَنْ أَرْضِكَ؛ هُمْ أَعْلَمُ خَلْقِكَ بِكَ، وَأَخْوَفُهُمْ لَكَ، وَأَقْرَبُهُمْ مِنْكَ، لَمْ يَسْكُنُوا الأَصْلاَبَ[١٨]، وَلَمْ يُضَمَّنُوا الأَرْحَامَ[١٩]، وَلَمْ يُخْلَقُوا «مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ[٢٠]»، وَلَمْ يَتَشَعَّبْهُمْ[٢١] «رَيْبُ المَنُونِ[٢٢]»؛ وَإِنَّهُمْ عَلَىٰ مَكَانِهِمْ مِنْكَ، وَمَنْزِلَتِهِمْ عِنْدَكَ، وَاسْتِجْمَاعِ أَهْوَائِهِمْ فِيكَ، وَكَثْرَةِ طَاعَتِهِمْ لَكَ، وَقِلَّةِ غَفْلَتِهِمْ عَنْ أَمْرِكَ، لَوْ عَايَنُوا[٢٣] كُنْهَ[٢٤] مَا خَفِيَ عَلَيْهِمْ مِنْكَ لَحَقَّرُوا أَعْمَالَهُمْ، وَلَزَرَوْا[٢٥] عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ، وَلَعَرَفُوا أَنَّهُمْ لَمْ يَعْبُدُوكَ حَقَّ عِبَادَتِكَ، وَلَمْ يُطِيعُوكَ حَقَّ طَاعَتِكَ.

عصيان الخلق

سُبْحَانَكَ خَالِقاً وَمَعْبُوداً! بِحُسْنِ بَلاَئِكَ[٢٦] عِنْدَ خَلْقِكَ خَلَقْتَ داراً، وَجَعَلْتَ فِيهَا مَأْدُبَةً[٢٧]: مَشْرَباً وَمَطْعَماً، وَأَزْوَاجاً وَخَدَماً، وَقُصُوراً، وَأَنْهَاراً، وَزُرُوعاً، وَثِمَاراً؛ ثُمَّ أَرْسَلْتَ دَاعِياً يَدْعُو إِلَيْهَا، فَلاَ الدَّاعِيَ أَجَابُوا، وَلاَ فِيمَا رَغَّبْتَ رَغِبُوا، وَلاَ إِلَىٰ مَا شَوَّقْتَ إِلَيْهِ اشْتَاقُوا، أَقْبَلُوا عَلَىٰ جِيفَةٍ[٢٨] قَدْ افْتَضَحُوا[٢٩] بِأَكْلِهَا، وَاصْطَلَحُوا عَلَىٰ حُبِّهَا، وَمَنْ عَشِقَ شَيْئاً أَعْشَىٰ[٣٠] بَصَرَهُ، وَأَمْرَضَ قَلْبَهُ، فَهُوَ يَنْظُرُ بِعَيْنٍ غَيْرِ صَحِيحَةٍ، وَيَسْمَعُ بِأُذُنٍ غَيْرِ سَمِيعَةٍ، قَدْ خَرَقَتِ[٣١] الشَّهَوَاتُ عَقْلَهُ، وَأَمَاتَتِ الدُّنْيَا قَلْبَهُ، وَوَلِهَتْ[٣٢] عَلَيْهَا نَفْسُهُ، فَهُوَ عَبْدٌ لَهَا، وَلِمَنْ فِي يَدَيْهِ شَيْءٌ مِنْهَا، حَيْثُمَا زَالَتْ زَالَ إِلَيْهَا، وَحَيْثُمَا أَقْبَلَتْ أَقْبَلَ عَلَيْهَا؛ لاَ يَنْزَجِرُ[٣٣] مِنَ اللهِ بِزَاجِرٍ، وَلاَ يَتَّعِظُ مِنْهُ بِوَاعِظٍ، وَهُوَ يَرَى المَأْخُوذِينَ عَلَى الغِرَّةِ[٣٤]، حَيْثُ لاَ إِقَالَةَ[٣٥] وَلاَ رَجْعَةَ، كَيْفَ نَزَلَ بِهِمْ مَا كَانُوا يَجْهَلُونَ، وَجَاءَهُمْ مِنْ فِرَاقِ الدُّنْيَا مَا كَانُوا يَأْمَنُونَ، وَقَدِمُوا مِنَ الآخِرَةِ عَلَى مَا كَانُوا يُوعَدُونَ. فَغَيْرُ مَوْصُوفٍ مَا نَزَلَ بِهِمْ: اجْتَمَعَتْ عَلَيْهِمْ

الملائكة الكرام

ومنها: مِنْ مَلاَئِكَةٍ أَسْكَنْتَهُمْ سَمَاوَاتِكَ، وَرَفَعْتَهُمْ عَنْ أَرْضِكَ؛ هُمْ أَعْلَمُ خَلْقِكَ بِكَ، وَأَخْوَفُهُمْ لَكَ، وَأَقْرَبُهُمْ مِنْكَ، لَمْ يَسْكُنُوا الأَصْلاَبَ[١٨]، وَلَمْ يُضَمَّنُوا الأَرْحَامَ[١٩]، وَلَمْ يُخْلَقُوا «مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ[٢٠]»، وَلَمْ يَتَشَعَّبْهُمْ[٢١] «رَيْبُ المَنُونِ[٢٢]»؛ وَإِنَّهُمْ عَلَىٰ مَكَانِهِمْ مِنْكَ، وَمَنْزِلَتِهِمْ عِنْدَكَ، وَاسْتِجْمَاعِ أَهْوَائِهِمْ فِيكَ، وَكَثْرَةِ طَاعَتِهِمْ لَكَ، وَقِلَّةِ غَفْلَتِهِمْ عَنْ أَمْرِكَ، لَوْ عَايَنُوا[٢٣] كُنْهَ[٢٤] مَا خَفِيَ عَلَيْهِمْ مِنْكَ لَحَقَّرُوا أَعْمَالَهُمْ، وَلَزَرَوْا[٢٥] عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ، وَلَعَرَفُوا أَنَّهُمْ لَمْ يَعْبُدُوكَ حَقَّ عِبَادَتِكَ، وَلَمْ يُطِيعُوكَ حَقَّ طَاعَتِكَ.

عصيان الخلق

سُبْحَانَكَ خَالِقاً وَمَعْبُوداً! بِحُسْنِ بَلاَئِكَ[٢٦] عِنْدَ خَلْقِكَ خَلَقْتَ داراً، وَجَعَلْتَ فِيهَا مَأْدُبَةً[٢٧]: مَشْرَباً وَمَطْعَماً، وَأَزْوَاجاً وَخَدَماً، وَقُصُوراً، وَأَنْهَاراً، وَزُرُوعاً، وَثِمَاراً؛ ثُمَّ أَرْسَلْتَ دَاعِياً يَدْعُو إِلَيْهَا، فَلاَ الدَّاعِيَ أَجَابُوا، وَلاَ فِيمَا رَغَّبْتَ رَغِبُوا، وَلاَ إِلَىٰ مَا شَوَّقْتَ إِلَيْهِ اشْتَاقُوا، أَقْبَلُوا عَلَىٰ جِيفَةٍ[٢٨] قَدْ افْتَضَحُوا[٢٩] بِأَكْلِهَا، وَاصْطَلَحُوا عَلَىٰ حُبِّهَا، وَمَنْ عَشِقَ شَيْئاً أَعْشَى[٣٠] بَصَرَهُ، وَأَمْرَضَ قَلْبَهُ، فَهُوَ يَنْظُرُ بِعَيْنٍ غَيْرِ صَحِيحَةٍ، وَيَسْمَعُ بِأُذُنٍ غَيْرِ سَمِيعَةٍ، قَدْ خَرَقَتِ[٣١] الشَّهَوَاتُ عَقْلَهُ، وَأَمَاتَتِ الدُّنْيَا قَلْبَهُ، وَوَلِهَتْ[٣٢] عَلَيْهَا نَفْسُهُ، فَهُوَ عَبْدٌ لَهَا، وَلِمَنْ فِي يَدَيْهِ شَيْءٌ مِنْهَا، حَيْثُمَا زَالَتْ زَالَ إِلَيْهَا، وَحَيْثُمَا أَقْبَلَتْ أَقْبَلَ عَلَيْهَا؛ لاَ يَنْزَجِرُ[٣٣] مِنَ اللهِ بِزَاجِرٍ، وَلاَ يَتَّعِظُ مِنْهُ بِوَاعِظٍ، وَهُوَ يَرَى المَأْخُوذِينَ عَلَى الغِرَّةِ[٣٤]، حَيْثُ لاَ إِقَالَةَ[٣٥] وَلاَ رَجْعَةَ، كَيْفَ نَزَلَ بِهِمْ مَا كَانُوا يَجْهَلُونَ، وَجَاءَهُمْ مِنْ فِرَاقِ الدُّنْيَا مَا كَانُوا يَأْمَنُونَ، وَقَدِمُوا مِنَ الآخِرَةِ عَلَى مَا كَانُوا يُوعَدُونَ. فَغَيْرُ مَوْصُوفٍ مَا نَزَلَ بِهِمْ: اجْتَمَعَتْ عَلَيْهِمْ

بَعْضُهَا بَعْضاً مِنْ هَيْبَةِ جَلاَلَتِهِ وَمَخُوفَ سَطْوَتِهِ، وَأَخْرَجَ مَنْ فِيهَا، فَجَدَّدَهُمْ بَعْدَ إِخْلاَقِهِمْ، وَجَمَعَهُمْ بَعْدَ تَفَرُّقِهِمْ، ثُمَّ مَيَّزَهُمْ[٦٣] لِمَا يُرِيدُهُ مِنْ مَسْأَلَتِهِمْ عَنْ خَفَايَا الأَعْمَالِ وَخَبَايَا[٦٤] الأَفْعَالِ، وَجَعَلَهُمْ فَرِيقَيْنِ: أَنْعَمَ عَلَى هؤُلاَءِ وَانْتَقَمَ مِنْ هؤُلاَءِ. فَأَمَّا أَهْلُ الطَّاعَةِ فَأَثَابَهُمْ[٦٥] بِجِوَارِهِ، وَخَلَّدَهُمْ فِي دَارِهِ، حَيْثُ لاَ يَظْعَنُ[٦٦] النُّزَّالُ، وَلاَ تَتَغَيَّرُ بِهِمُ الحَالُ، وَلاَ تَنُوبُهُمُ[٦٨] الأَفْزَاعُ[٦٩]، وَلاَ تَنَالُهُمُ الأَسْقَامُ[٧٠]، وَلاَ تَعْرِضُ لَهُمُ الأَخْطَارُ[٧١]، وَلاَ تُشْخِصُهُمُ[٧٢] الأَسْفَارُ. وَأَمَّا أَهْلُ المَعْصِيَةِ فَأَنْزَلَهُمْ شَرَّ دَارٍ، وَغَلَّ[٧٣] الأَيْدِيَ إِلَى الأَعْنَاقِ، وَقَرَنَ النَّوَاصِيَ[٧٤] بِالأَقْدَامِ، وَأَلْبَسَهُمْ سَرَابِيلَ[٧٥] القَطِرَانِ[٧٦]، وَمُقَطَّعَاتِ[٧٧] النِّيرَانِ، فِي عَذَابٍ قَدِ اشْتَدَّ حَرُّهُ، وَبَابٍ قَدْ أُطْبِقَ عَلَى أَهْلِهِ، فِي نَارٍ لَهَا كَلَبٌ[٧٨] وَلَجَبٌ[٧٩]، وَلَهَبٌ[٨٠] سَاطِعٌ[٨١]، وَقَصِيفٌ[٨٢] هَائِلٌ[٨٣]، لاَ يَظْعَنُ مُقِيمُهَا وَلاَ يُفَادَى[٨٤] أَسِيرُهَا، وَلاَ تُفْصَمُ[٨٥] كُبُولُهَا[٨٦]. لاَ مُدَّةَ لِلدَّارِ فَتَفْنَى، وَلاَ أَجَلَ لِلْقَوْمِ فَيُقْضَى[٨٧].

زهد النبي

ومنها في ذكر النبي صلى الله عليه وآله: قَدْ حَقَّرَ الدُّنْيَا وَصَغَّرَهَا، وَأَهْوَنَ بِهَا وَهَوَّنَهَا، وَعَلِمَ أَنَّ اللهَ زَوَاهَا[٨٨] عَنْهُ اخْتِيَاراً، وَبَسَطَهَا لِغَيْرِهِ احْتِقَاراً، فَأَعْرَضَ عَنِ الدُّنْيَا بِقَلْبِهِ، وَأَمَاتَ ذِكْرَهَا عَنْ نَفْسِهِ، وَأَحَبَّ أَنْ تَغِيبَ زِينَتُهَا[٨٩] عَنْ عَيْنِهِ، لِكَيْلاَ يَتَّخِذَ مِنْهَا رِيَاشاً[٩٠]، أَوْ يَرْجُو فِيهَا مَقَاماً. بَلَّغَ عَنْ رَبِّهِ مُعْذِراً[٩١]، وَنَصَحَ لأُمَّتِهِ مُنْذِراً، وَدَعَا إِلَى الجَنَّةِ مُبَشِّراً، وَخَوَّفَ مِنَ النَّارِ مُحَذِّراً.

أهل البيت

نَحْنُ شَجَرَةُ النُّبُوَّةِ، وَمَحَطُّ[٩٢] الرِّسَالَةِ، وَمُخْتَلَفُ المَلاَئِكَةِ[٩٣]

بَعْضُهَا بَعْضاً مِنْ هَيْبَةِ جَلاَلَتِهِ وَمَخُوفَ سَطْوَتِهِ، وَأَخْرَجَ مَنْ فِيهَا، فَجَدَّدَهُمْ بَعْدَ إِخْلاَقِهِمْ، وَجَمَعَهُمْ بَعْدَ تَفَرُّقِهِمْ، ثُمَّ مَيَّزَهُمْ(٦٣) لِمَا يُرِيدُهُ مِنْ مَسْأَلَتِهِمْ عَنْ خَفَايَا الأَعْمَالِ وَخَبَايَا(٦٤) الأَفْعَالِ، وَجَعَلَهُمْ فَرِيقَيْنِ: أَنْعَمَ عَلَى هؤُلاَءِ وَانْتَقَمَ مِنْ هؤُلاَءِ. فَأَمَّا أَهْلُ الطَّاعَةِ فَأَثَابَهُمْ(٦٥) بِجِوَارِهِ، وَخَلَّدَهُمْ فِي دَارِهِ، حَيْثُ لاَ يَظْعَنُ(٦٦) النُّزَّالُ، وَلاَ تَتَغَيَّرُ بِهِمُ الحَالُ، وَلاَ تَنُوبُهُمُ(٦٨) الأَفْزَاعُ(٦٩)، وَلاَ تَنَالُهُمُ الأَسْقَامُ(٧٠)، وَلاَ تَعْرِضُ لَهُمُ الأَخْطَارُ(٧١)، وَلاَ تُشْخِصُهُمُ(٧٢) الأَسْفَارُ. وَأَمَّا أَهْلُ المَعْصِيَةِ فَأَنْزَلَهُمْ شَرَّ دَارٍ، وَغَلَّ(٧٣) الأَيْدِيَ إِلَى الأَعْنَاقِ، وَقَرَنَ النَّوَاصِيَ(٧٤) بِالأَقْدَامِ، وَأَلْبَسَهُمْ سَرَابِيلَ(٧٥) القَطِرَانِ(٧٦)، وَمُقَطَّعَاتِ(٧٧) النِّيرَانِ، فِي عَذَابٍ قَدِ اشْتَدَّ حَرُّهُ، وَبَابٍ قَدْ أُطْبِقَ عَلَى أَهْلِهِ، فِي نَارٍ لَهَا كَلَبٌ(٧٨) وَلَجَبٌ(٧٩)، وَلَهَبٌ(٨٠) سَاطِعٌ(٨١)، وَقَصِيفٌ(٨٢) هَائِلٌ(٨٣)، لاَ يَظْعَنُ مُقِيمُهَا وَلاَ يُفَادَى(٨٤) أَسِيرُهَا، وَلاَ تُفْصَمُ(٨٥) كُبُولُهَا(٨٦). لاَ مُدَّةَ لِلدَّارِ فَتَفْنَى، وَلاَ أَجَلَ لِلْقَوْمِ فَيُقْضَى(٨٧).

زهد النبي

ومنها في ذكر النبي صلى الله عليه وآله: قَدْ حَقَّرَ الدُّنْيَا وَصَغَّرَهَا، وَأَهْوَنَ بِهَا وَهَوَّنَهَا، وَعَلِمَ أَنَّ اللهَ زَوَاهَا(٨٨) عَنْهُ اخْتِيَاراً، وَبَسَطَهَا لِغَيْرِهِ احْتِقَاراً، فَأَعْرَضَ عَنِ الدُّنْيَا بِقَلْبِهِ، وَأَمَاتَ ذِكْرَهَا عَنْ نَفْسِهِ، وَأَحَبَّ أَنْ تَغِيبَ زِينَتُهَا(٨٩) عَنْ عَيْنِهِ، لِكَيْلاَ يَتَّخِذَ مِنْهَا رِيَاشاً(٩٠)، أَوْ يَرْجُو فِيهَا مَقَاماً. بَلَّغَ عَنْ رَبِّهِ مُعْذِراً(٩١)، وَنَصَحَ لأُمَّتِهِ مُنْذِراً، وَدَعَا إِلَى الجَنَّةِ مُبَشِّراً، وَخَوَّفَ مِنَ النَّارِ مُحَذِّراً.

أهل البيت

نَحْنُ شَجَرَةُ النُّبُوَّةِ، وَمَحَطُّ(٩٢) الرِّسَالَةِ، وَمُخْتَلَفُ المَلاَئِكَةِ(٩٣)

٢٦ ـ البلاء : الامتحان والاختبار وقد يكون نعمة إذا فاز وقد يكون نقمة إذا فشل.
٢٧ ـ المأدبة : بضم الدال وفتحها ما يصنع من الطعام للمدعوين في عرس ونحوه.
٢٨ ـ الجيفة : جثة الميت المنتنة.
٢٩ ـ افتضحوا : كشفوا مساويهم.
٣٠ ـ أعشى : من العشى وهو مرض يصيب العين يمنع من الرؤية ليلاً وأعشى أي أعمى.
٣١ ـ خرقت : مزقت وخرق السهم الثوب إذا نفذ فيه.
٣٢ ـ ولهت : تحيرت من شدة الوجد.
٣٣ ـ ينزجر : يرتدع ويكف.
٣٤ ـ الغرة : بكسر الغين الغفلة.
٣٥ ـ الإقالة : الموافقة على نقض البيع، وتقايلا إذا فسخا البيع.
٣٦ ـ سكرة الموت : شدته وغشيته.
٣٧ ـ الحسرة : التلهف.
٣٨ ـ الفوت : ما مضى، ما ذهب وقت فعله.
٣٩ ـ فترت : سكنت.
٤٠ ـ الأطراف : النواحي وأطراف الإنسان رجليه ويديه ورأسه.
٤١ ـ تغيرت : تحولّت وتبدّلت.
٤٢ ـ الولوج : الدخول.
٤٣ ـ حيل : من حال حولاً وحؤولاً وحيلولة بينهما حجز واعترض.
٤٤ ـ اللب : العقل الخالص من الشوائب أو ما ذكا من العقل.
٤٥ ـ أغمض : عينيه أطبقهما فلم يعد يرى والمراد أنه لم يفرق بين حلال وحرام.
٤٦ ـ مصرحاتها : الظاهرة البينة.
٤٧ ـ المشتبهات : الأمور المشكلات والمشتبه المشكل والملتبس.
٤٨ ـ التبعات : جمع التبعة الإثم.
٤٩ ـ المهنأ : مصدر هنيء وهنؤ بالكسر والضم ومن الطعام ما سهل ولذ وطاب.
٥٠ ـ العبء : جمع أعباء الحمل والثقل.
٥١ ـ الرهون : الرهن وهو ما يوضع تأميناً للدين وعلقت رهونه استحكمت وعجز عن فكها.
٥٢ ـ أصحر : ظهر وبرز وأصله من أصحر القوم إذا ظهروا من مكامنهم إلى الصحراء.
٥٣ ـ الغبطة : تمني نعمةٍ على أن لا تحول عن صاحبها.
٥٤ ـ حازها : ضمها وجمعها إليه.

٢٦ ـ البلاء : الامتحان والاختبار وقد يكون نعمة إذا فاز وقد يكون نقمة إذا فشل.
٢٧ ـ المأدبة : بضم الدال وفتحها ما يصنع من الطعام للمدعوين في عرس ونحوه.
٢٨ ـ الجيفة : جثة الميت المنتنة.
٢٩ ـ افتضحوا : كشفوا مساويهم.
٣٠ ـ أعشى : من العشى وهو مرض يصيب العين يمنع من الرؤية ليلاً وأعشى أي أعمى.
٣١ ـ خرقت : مزقت وخرق السهم الثوب إذا نفذ فيه.
٣٢ ـ ولهت : تحيرت من شدة الوجد.
٣٣ ـ ينزجر : يرتدع ويكف.
٣٤ ـ الغرة : بكسر الغين الغفلة.
٣٥ ـ الإقالة : الموافقة على نقض البيع، وتقايلا إذا فسخا البيع.
٣٦ ـ سكرة الموت : شدته وغشيته.
٣٧ ـ الحسرة : التلهف.
٣٨ ـ الفوت : ما مضى، ما ذهب وقت فعله.
٣٩ ـ فترت : سكنت.
٤٠ ـ الأطراف : النواحي وأطراف الإنسان رجليه ويديه ورأسه.
٤١ ـ تغيرت : تحولّت وتبدّلت.
٤٢ ـ الولوج : الدخول.
٤٣ ـ حيل : من حال حولاً وحؤولاً وحيلولة بينهما حجز واعترض.
٤٤ ـ اللب : العقل الخالص من الشوائب أو ما ذكا من العقل.
٤٥ ـ أغمض : عينيه أطبقهما فلم يعد يرى والمراد أنه لم يفرق بين حلال وحرام.
٤٦ ـ مصرحاتها : الظاهرة البينة.
٤٧ ـ المشتبهات : الأمور المشكلات والمشتبه المشكل والملتبس.
٤٨ ـ التبعات : جمع التبعة الإثم.
٤٩ ـ المهنأ : مصدر هنيء وهنؤ بالكسر والضم ومن الطعام ما سهل ولذ وطاب.
٥٠ ـ العبء : جمع أعباء الحمل والثقل.
٥١ ـ الرهون : الرهن وهو ما يوضع تأميناً للدين وعلقت رهونه استحكمت وعجز عن فكها.
٥٢ ـ أصحر : ظهر وبرز وأصله من أصحر القوم إذا ظهروا من مكامنهم إلى الصحراء.
٥٣ ـ الغبطة : تمني نعمةٍ على أن لا تحول عن صاحبها.
٥٤ ـ حازها : ضمها وجمعها إليه.

٨٧ ـ يقضى : يُنتهى منه.
٨٨ ـ زواها : نحّاها، وقبضها.
٨٩ ـ الزينة : ما يتزين به وزينة الدنيا مقتنياتها وما فيها من مال وبنين.
٩٠ ـ الرياش : الثياب الفاخرة.
٩١ ـ المعذر : من بيّن للناس الحجة التي تلزمهم تبعاتها إن خالفوا.
٩٢ ـ المحط : المنزل.
٩٣ ـ مختلف الملائكة : بفتح اللام محل اختلافهم أي ورودهم واحداً بعد الآخر.

الشرح

(**كل شيء خاشع له وكل شيء قائم به**). كل مخلوقات الله خاشعة لله خاضعة له وخضوع كل شيء بحسبه لأنه العظيم القوي وما دونه الضعيف الحقير وأما قيام كل شيء به لأن كل ما عداه ممكن الوجود ويحتاج في أصل وجوده وكمال وجوده وإكمال وجوده إلى الله سبحانه وتعالى إما مباشرة أو بالواسطة ولو تخلّى عنه لحظة لانهار وانعدم.

(**غنى كل فقير وعز كل ذليل**). كل ما دون الله فهو فقير محتاج وبالله خرج من زاوية العدم إلى الوجود وبالله كان كل موجود وبالله كان غنى كل موجود.

كما أن الذليل الحقير المهين إذا آمن بالله واستقام كما أمر كان عزيزاً قوياً وكم من الضعفاء تحولوا إلى أعزة عندما نبذوا الأصنام والأهواء وتوجهوا لله واعتمدوا عليه فبلال الحبشي وصهيب الرومي وسلمان الفارسي أصبحوا بالله أعزة.

(**وقوة كل ضعيف ومفزع كل ملهوف**). بالله يصبح الضعيف قوياً، لأن هذا الضعيف إذا اتصل بالله اتصل بمصدر الوجود وبأصل كل موجود ومن آمن بالله فهو موصول العرى بأعظم قوة في العالم بل كل العالم في قبضته وتحت قدرته إن شاء فعل وإن شاء منع ومن هذا التصور يكبر الإنسان المتصل بالله ويقوى بل يتحدى العالم كله منفرداً عندما يدخل هذا الإيمان إلى قلبه كما تحداه إبراهيم الخليل فكان أمة برأسه يتحدى الطغاة والجبابرة لأنه يشعر باستمداد القوة من الله، القوة المطلقة في عالم الوجود الموجهة لكل ما فيه...

وكذلك فإلى الله يلجأ كل مكروب خائف مستغيث، فعندما تتقطع الأسباب وتنسد الأبواب ولم يعد في الوجود من يلجأ إليه عندها ومن أعمق أعماق هذا الإنسان

٨٧ ـ يقضى : يُنتهى منه.
٨٨ ـ زواها : نحّاها، وقبضها.
٨٩ ـ الزينة : ما يتزين به وزينة الدنيا مقتنياتها وما فيها من مال وبنين.
٩٠ ـ الرياش : الثياب الفاخرة.
٩١ ـ المعذر : من بيّن للناس الحجة التي تلزمهم تبعاتها إن خالفوا.
٩٢ ـ المحط : المنزل.
٩٣ ـ مختلف الملائكة : بفتح اللام محل اختلافهم أي ورودهم واحداً بعد الآخر.

الشرح

(**كل شيء خاشع له وكل شيء قائم به**). كل مخلوقات الله خاشعة لله خاضعة له وخضوع كل شيء بحسبه لأنه العظيم القوي وما دونه الضعيف الحقير وأما قيام كل شيء به لأن كل ما عداه ممكن الوجود ويحتاج في أصل وجوده وكمال وجوده وإكمال وجوده إلى الله سبحانه وتعالى إما مباشرة أو بالواسطة ولو تخلّى عنه لحظة لانهار وانعدم.

(**غنى كل فقير وعز كل ذليل**). كل ما دون الله فهو فقير محتاج وبالله خرج من زاوية العدم إلى الوجود وبالله كان كل موجود وبالله كان غنى كل موجود.

كما أن الذليل الحقير المهين إذا آمن بالله واستقام كما أمر كان عزيزاً قوياً وكم من الضعفاء تحولوا إلى أعزة عندما نبذوا الأصنام والأهواء وتوجهوا لله واعتمدوا عليه فبلال الحبشي وصهيب الرومي وسلمان الفارسي أصبحوا بالله أعزة.

(**وقوة كل ضعيف ومفزع كل ملهوف**). بالله يصبح الضعيف قوياً، لأن هذا الضعيف إذا اتصل بالله اتصل بمصدر الوجود وبأصل كل موجود ومن آمن بالله فهو موصول العرى بأعظم قوة في العالم بل كل العالم في قبضته وتحت قدرته إن شاء فعل وإن شاء منع ومن هذا التصور يكبر الإنسان المتصل بالله ويقوى بل يتحدى العالم كله منفرداً عندما يدخل هذا الإيمان إلى قلبه كما تحداه إبراهيم الخليل فكان أمة برأسه يتحدى الطغاة والجبابرة لأنه يشعر باستمداد القوة من الله، القوة المطلقة في عالم الوجود الموجهة لكل ما فيه...

وكذلك فإلى الله يلجأ كل مكروب خائف مستغيث، فعندما تتقطع الأسباب وتنسد الأبواب ولم يعد في الوجود من يلجأ إليه عندها ومن أعمق أعماق هذا الإنسان

مضمون ما نطق به الجن وصدقه القرآن في قولهم: ﴿**وإنا ظننا أن لن نعجز الله في الأرض ولن نعجزه هرباً**﴾[١].

(**ولا ينقص سلطانك من عصاك ولا يزيد في ملكك من أطاعك**). المعصية لله لا تهدّ سلطانه ولا تؤثر في ملكه كما أن من أطاعه لا يزيد في ملكه ولا يقويه ويدعمه كما هو حال ملوك الدنيا الذين يتزلزل سلطانهم بعصيان الناس لهم وتمردهم عليهم ويقوى ويشتد كلما أطاعهم الناس والتفوا حولهم...

(**ولا يرد أمرك من سخط قضاءك ولا يستغني عنك من تولى عن أمرك**). إذا أراد الله أمراً نفذ وإن لم يرضه العباد ﴿**إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون**﴾ لأن الله لا يفعل إلا لحكمة وله السلطة الكاملة على خلقه وسخطهم وعدم رضاهم فلضعفهم وجهلهم بمقام الربوبية...

كما أن من تولى عن طاعة الله وأمره لم يستغن عن عونه وحاجته إليه باعتبار إمكانه وحاجته والممكن المحتاج بحاجة دائماً إلى الغني الكريم بالذات.

(**كل سر عندك علانية وكل غيب عندك شهادة**). الأمور كلها منكشفة لله على مستوى واحد فليس هناك سر وآخر جهر وليس هناك غائب وآخر حاضر وذلك لأن علمه أحاط بكل شيء وهي كلها منكشفة لديه ﴿**إنه يعلم السر وأخفى**﴾ يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور.

(**أنت الأبد فلا أمد لك وأنت المنتهى فلا محيص عنك**). أنت الدائم فلا غاية لك يقف عندها وجودك لأنه واجب الوجود الذي لا ينتهي كما أن الرجوع إليه فلا مهرب من لقائه ولا خلاص من عذابه قال تعالى: ﴿**إن إلى ربك المنتهى**﴾.

(**وأنت الموعد فلا منجى منك إلا إليك**). إليك يعود الخلق وهم على ميعاد معك يوم الحساب ولا ينجي من عذابك وعقابك إلا الرجوع إليك والتوبة من الذنوب وإصلاح ما فسد وطلب العفو والغفران منك قال تعالى: ﴿**إن إلينا إيابهم ثم إن علينا حسابهم**﴾.

(**بيدك ناصية كل دابة وإليك مصير كل نسمة**). مخلوقاتك كلها تحت سلطانك وبيدك زمامها تفعل بها ما تشاء وكنى بالناصية عن قدرته عليها قال تعالى: ﴿**ما من دابة إلا هو آخذ بناصيتها**﴾ قال الطبرسي في مجمع البيان: أي ما من حيوان يدب على

---

(١) سورة الجن آية/ ١٢.

مضمون ما نطق به الجن وصدقه القرآن في قولهم: ﴿**وإنا ظننا أن لن نعجز الله في الأرض ولن نعجزه هرباً**﴾[١].

(**ولا ينقص سلطانك من عصاك ولا يزيد في ملكك من أطاعك**). المعصية لله لا تهدّ سلطانه ولا تؤثر في ملكه كما أن من أطاعه لا يزيد في ملكه ولا يقويه ويدعمه كما هو حال ملوك الدنيا الذين يتزلزل سلطانهم بعصيان الناس لهم وتمردهم عليهم ويقوى ويشتد كلما أطاعهم الناس والتفوا حولهم...

(**ولا يرد أمرك من سخط قضاءك ولا يستغني عنك من تولى عن أمرك**). إذا أراد الله أمراً نفذ وإن لم يرضه العباد ﴿**إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون**﴾ لأن الله لا يفعل إلا لحكمة وله السلطة الكاملة على خلقه وسخطهم وعدم رضاهم فلضعفهم وجهلهم بمقام الربوبية...

كما أن من تولى عن طاعة الله وأمره لم يستغن عن عونه وحاجته إليه باعتبار إمكانه وحاجته والممكن المحتاج بحاجة دائماً إلى الغني الكريم بالذات.

(**كل سر عندك علانية وكل غيب عندك شهادة**). الأمور كلها منكشفة لله على مستوى واحد فليس هناك سر وآخر جهر وليس هناك غائب وآخر حاضر وذلك لأن علمه أحاط بكل شيء وهي كلها منكشفة لديه ﴿**إنه يعلم السر وأخفى**﴾ يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور.

(**أنت الأبد فلا أمد لك وأنت المنتهى فلا محيص عنك**). أنت الدائم فلا غاية لك يقف عندها وجودك لأنه واجب الوجود الذي لا ينتهي كما أن الرجوع إليه فلا مهرب من لقائه ولا خلاص من عذابه قال تعالى: ﴿**إن إلى ربك المنتهى**﴾.

(**وأنت الموعد فلا منجى منك إلا إليك**). إليك يعود الخلق وهم على ميعاد معك يوم الحساب ولا ينجي من عذابك وعقابك إلا الرجوع إليك والتوبة من الذنوب وإصلاح ما فسد وطلب العفو والغفران منك قال تعالى: ﴿**إن إلينا إيابهم ثم إن علينا حسابهم**﴾.

(**بيدك ناصية كل دابة وإليك مصير كل نسمة**). مخلوقاتك كلها تحت سلطانك وبيدك زمامها تفعل بها ما تشاء وكنى بالناصية عن قدرته عليها قال تعالى: ﴿**ما من دابة إلا هو آخذ بناصيتها**﴾ قال الطبرسي في مجمع البيان: أي ما من حيوان يدب على

---

(١) سورة الجن آية/ ١٢.

(**هم أعلم خلقك بك وأخوفهم لك وأقربهم منك**). هذه أوصاف كريمة للملائكة تجعلهم في المحل الأعلى وهي:

الأولى: إن الملائكة أعلم خلق الله بالله فقد وصلوا إلى مرحلة متقدمة في علمهم بالله ولم يصلوا إلى نهاية المعرفة.

الثانية: إن الملائكة أخوف خلق الله لله وهذا نتيجة المعرفة الصادقة فمن عرف قدرة الله خاف منه ولذا قال تعالى: ﴿**إنما يخشى الله من عباده العلماء**﴾. الثالثة: إن الملائكة أقرب خلق الله لله وهذا القرب ليس مكانياً وإنما تشريفياً ومرتبة على غيرهم لأن هذا أيضاً نتيجة علمهم بالله وخوفهم منه...

(**لم يسكنوا الأصلاب ولم يضمنوا الأرحام ولم يخلقوا من ماء مهين ولم يتشعبهم ريب المنون**). وهذه أوصاف بشرية ينفيها الإمام عن الملائكة.

فهم لم يستقروا في أصلاب الآباء ولم تحتويهم أرحام الأمهات ولم يخلقوا من ماء حقير ـ وهو مني الرجل ـ ولم يفرّق شملهم الموت كما يحدث لبني آدم.

(**وإنهم على مكانهم منك ومنزلتهم عندك واستجماع أهوائهم فيك وكثرة طاعتهم لك وقلة غفلتهم عن أمرك لو عاينوا كنه ما خفي عليهم منك لحقروا أعمالهم ولزروا على أنفسهم ولعرفوا أنهم لم يعبدوك حق عبادتك ولم يطيعوك حق طاعتك**). يبيّن عليه السلام بعض خصائص الملائكة وأنهم على مكانتهم السامية القريبة من الله ومنزلتهم الرفيعة عنده والتقاء كل أهوائهم وتوجهاتهم في الله وكثرة طاعتهم له وقلة الغفلة عن أمر الله مع كل ذلك لو أدركوا حقائق ما خفي عنهم وما حجب عن أبصارهم ومعرفتهم لأدركوا حقارة أعمالهم وعابوا أنفسهم بهذه الطاعات القليلة وعرفوا عندها أنهم لم يعبدوه كما يستحق وإنما عبدوه على قدر معرفتهم ولم يطيعوه كما هو أهل وهذا منه تعليم لنا وتهذيب وحث على طاعة الله وأن لا يأخذنا العجب من بعض أعمال مطلوبة منا نؤديها...

(**سبحانك خالقاً ومعبوداً بحسن بلائك عند خلقك**). أنزهك يا رب عما لا يليق بك حالة كونك خالقاً للخلق ومعبوداً لهم دون شريك معك أو ند بسبب ما جعلت من البلاء والامتحان لخلقك فإنك أردت إيقافهم على الصالح والطالح والشقي والسعيد فاختبرتهم بما أردت من وجوه البلاء والامتحانات...

(**خلقت داراً وجعلت فيها مأدبة: مشرباً ومطعماً وأزواجاً وخدماً وقصوراً وأنهاراً**

(**هم أعلم خلقك بك وأخوفهم لك وأقربهم منك**). هذه أوصاف كريمة للملائكة تجعلهم في المحل الأعلى وهي:

الأولى: إن الملائكة أعلم خلق الله بالله فقد وصلوا إلى مرحلة متقدمة في علمهم بالله ولم يصلوا إلى نهاية المعرفة.

الثانية: إن الملائكة أخوف خلق الله لله وهذا نتيجة المعرفة الصادقة فمن عرف قدرة الله خاف منه ولذا قال تعالى: ﴿**إنما يخشى الله من عباده العلماء**﴾. الثالثة: إن الملائكة أقرب خلق الله لله وهذا القرب ليس مكانياً وإنما تشريفياً ومرتبة على غيرهم لأن هذا أيضاً نتيجة علمهم بالله وخوفهم منه...

(**لم يسكنوا الأصلاب ولم يضمنوا الأرحام ولم يخلقوا من ماء مهين ولم يتشعبهم ريب المنون**). وهذه أوصاف بشرية ينفيها الإمام عن الملائكة.

فهم لم يستقروا في أصلاب الآباء ولم تحتويهم أرحام الأمهات ولم يخلقوا من ماء حقير ـ وهو مني الرجل ـ ولم يفرّق شملهم الموت كما يحدث لبني آدم.

(**وإنهم على مكانهم منك ومنزلتهم عندك واستجماع أهوائهم فيك وكثرة طاعتهم لك وقلة غفلتهم عن أمرك لو عاينوا كنه ما خفي عليهم منك لحقروا أعمالهم ولزروا على أنفسهم ولعرفوا أنهم لم يعبدوك حق عبادتك ولم يطيعوك حق طاعتك**). يبيّن عليه السلام بعض خصائص الملائكة وأنهم على مكانتهم السامية القريبة من الله ومنزلتهم الرفيعة عنده والتقاء كل أهوائهم وتوجهاتهم في الله وكثرة طاعتهم له وقلة الغفلة عن أمر الله مع كل ذلك لو أدركوا حقائق ما خفي عنهم وما حجب عن أبصارهم ومعرفتهم لأدركوا حقارة أعمالهم وعابوا أنفسهم بهذه الطاعات القليلة وعرفوا عندها أنهم لم يعبدوه كما يستحق وإنما عبدوه على قدر معرفتهم ولم يطيعوه كما هو أهل وهذا منه تعليم لنا وتهذيب وحث على طاعة الله وأن لا يأخذنا العجب من بعض أعمال مطلوبة منا نؤديها...

(**سبحانك خالقاً ومعبوداً بحسن بلائك عند خلقك**). أنزهك يا رب عما لا يليق بك حالة كونك خالقاً للخلق ومعبوداً لهم دون شريك معك أو ند بسبب ما جعلت من البلاء والامتحان لخلقك فإنك أردت إيقافهم على الصالح والطالح والشقي والسعيد فاختبرتهم بما أردت من وجوه البلاء والامتحانات...

(**خلقت داراً وجعلت فيها مأدبة: مشرباً ومطعماً وأزواجاً وخدماً وقصوراً وأنهاراً**

ومن أحب الله لم يعد يرى أحداً معه واستولى حبه حتى وصل إلى شغاف القلب فلم يعد يبصر أحداً معه في الوجود. . .

وهذه الكبرى الكلية والقاعدة العامة تنطبق على من أحب الدنيا إنه لم يعد يرى شيئاً سواها فتغيب عن نظره الآخرة وما فيها وتختفي القيم والمثل وكل كرامة وشرف ويمرض قلبه من حيث لا يعود يفكر فيها وفي عواقبها وما ينتج عن العبودية لها. . .

(فهو ينظر بعين غير صحيحة ويسمع بأذن غير سميعة). تتعطل حواس المحب بل تنقل الأشياء على خلاف واقعها لصالح المحب فمن أحب شيئاً يرى فيه قمة الكمال وإن كان في الحضيض ويتحول القبح إلى جمال والاعتداء إلى اعتدال ويتحول ما يسمعه من حديث عنه إلى مناقب له وإن كان فيه مذمة وهذا مصداق ما يقوله الشاعر:

وعين الرضا عن كل عيب كليلة كما أن عين السخط تبدي المساويا

(قد خرقت الشهوات عقله وأماتت الدنيا قلبه وولهت عليها نفسه فهو عبد لها ولمن في يديه شيء منها حيثما زالت زال إليها وحيثما أقبلت أقبل عليها). فهذا العقل الذي هو حصن حصين والذي من عادته أن يمنع صاحبه من التردي والوقوع في المهالك والرذائل قد إنخرق وتمزق فقد خرقته الشهوات ومزقته ونفذت فيه من جهة إلى أخرى وبذلك فقد حصانته ومناعته وفقد بالتالي قيمته وما قيمة عقل تغلبه شهوة فرج أو شهوة بطن؟! وما قيمة عقل تغلبه شهوة ملك أو مال؟!.

وأما هذا القلب فقد أماتته الدنيا لم يعد يحمل القلب الذي يرق على الضعفاء والفقراء والمساكين وأهل الحاجة لقد مات الحس الداخلي في هذا القلب فلم يعد ينتفع به. . .

واستولى حب الدنيا على نفسه وتاه في حبه لها حتى عشقها فأضحى عبداً لها ولمن في يديه شيء منها فتراه يذل نفسه من أجل الحصول عليها، ويبيع كرامته وعزته كما يبيع وطنه وداره من أجل هذه الدنيا ويميل مع من تكون فهو مع هذا النظام الذي يوفر له الدنيا وإن كان من أفسد الأنظمة وأبعدها عن الله وقد يكون مع ذاك وهكذا دواليك ليس له ضوابط إلا الدنيا ومنافعها ومن أجلها تهون كل كرامة ومن أجل الوصول إليها تذوب كل فضيلة ومنقبة وكل قيم السماء ودعوات الأنبياء. . .

وقد مرّ علينا في حياتنا نماذج رهيبة ممن يميلون مع الدنيا ومع من تكون فهذا العالم الفذ الكبير يشتم فلاناً ثم يصير من أتباعه بل يكيل له المدح والثناء فتروح تفتش عن أسباب هذا الإنقلاب تدرك أنه كان يشتمه لأنه لم ينل من عطائه ولم يحصل على ما

ومن أحب الله لم يعد يرى أحداً معه واستولى حبه حتى وصل إلى شغاف القلب فلم يعد يبصر أحداً معه في الوجود. . .

وهذه الكبرى الكلية والقاعدة العامة تنطبق على من أحب الدنيا إنه لم يعد يرى شيئاً سواها فتغيب عن نظره الآخرة وما فيها وتختفي القيم والمثل وكل كرامة وشرف ويمرض قلبه من حيث لا يعود يفكر فيها وفي عواقبها وما ينتج عن العبودية لها. . .

(**فهو ينظر بعين غير صحيحة ويسمع بأذن غير سميعة**). تتعطل حواس المحب بل تنقل الأشياء على خلاف واقعها لصالح المحب فمن أحب شيئاً يرى فيه قمة الكمال وإن كان في الحضيض ويتحول القبح إلى جمال والاعتداء إلى اعتدال ويتحول ما يسمعه من حديث عنه إلى مناقب له وإن كان فيه مذمة وهذا مصداق ما يقوله الشاعر:

وعين الرضا عن كل عيب كليلة كما أن عين السخط تبدي المساويا

(**قد خرقت الشهوات عقله وأماتت الدنيا قلبه وولهت عليها نفسه فهو عبد لها ولمن في يديه شيء منها حيثما زالت زال إليها وحيثما أقبلت أقبل عليها**). فهذا العقل الذي هو حصن حصين والذي من عادته أن يمنع صاحبه من التردي والوقوع في المهالك والرذائل قد إنخرق وتمزق فقد خرقته الشهوات ومزقته ونفذت فيه من جهة إلى أخرى وبذلك فقد حصانته ومناعته وفقد بالتالي قيمته وما قيمة عقل تغلبه شهوة فرج أو شهوة بطن؟! وما قيمة عقل تغلبه شهوة ملك أو مال؟!.

وأما هذا القلب فقد أماتته الدنيا لم يعد يحمل القلب الذي يرق على الضعفاء والفقراء والمساكين وأهل الحاجة لقد مات الحس الداخلي في هذا القلب فلم يعد ينتفع به. . .

واستولى حب الدنيا على نفسه وتاه في حبه لها حتى عشقها فأضحى عبداً لها ولمن في يديه شيء منها فتراه يذل نفسه من أجل الحصول عليها، ويبيع كرامته وعزته كما يبيع وطنه وداره من أجل هذه الدنيا ويميل مع من تكون فهو مع هذا النظام الذي يوفر له الدنيا وإن كان من أفسد الأنظمة وأبعدها عن الله وقد يكون مع ذاك وهكذا دواليك ليس له ضوابط إلا الدنيا ومنافعها ومن أجلها تهون كل كرامة ومن أجل الوصول إليها تذوب كل فضيلة ومنقبة وكل قيم السماء ودعوات الأنبياء. . .

وقد مرّ علينا في حياتنا نماذج رهيبة ممن يميلون مع الدنيا ومع من تكون فهذا العالم الفذ الكبير يشتم فلاناً ثم يصير من أتباعه بل يكيل له المدح والثناء فتروح تفتش عن أسباب هذا الإنقلاب تدرك أنه كان يشتمه لأنه لم ينل من عطائه ولم يحصل على ما

أحدهم وبين منطقه). فهذه الأعضاء من اليد والرجل والعين والأذن كانت قوية تملك الحركة ولكن عندما نزل بها الموت سكنت وتراخت ولم تعد تقوى على الحركة أو التحرك وأما ألوانهم التي كانت تزهر وكانت تحكي عن النعيم ونضرته هذه قد سحبت وتغيّرت عما كانت عليه إنها تنطق بعظيم ما حل بها ونزل بساحتها وهكذا تحرك الموت في جميع أجزاء البدن وابتدأ يغزو كل ناحية من هذا الجسم ويتغلغل في كل زاوية حتى بلغ الأمر أن امتنع المحتضر عن الكلام وتوقف عن الحديث ولم يعد يقدر على النطق مع كونه مالكاً لآلة النطق وأدواته. . .

(وإنه لبين أهله ينظر ببصره ويسمع بأذنه على صحة من عقله وبقاء من لبه). فالجسد بكامل أعضائه قائم تام، إنه مسجى بين أهله ينظر ببصره يقلبه في الحضور بين أبنائه وأزواجه وحفدته ويسمع بأذنه كل ما يتكلمون به ويتحدثون عنه في كمال العقل والفهم والوعي ولكنه مع ذلك لا ينطق ولا يتكلم وإنما يرى ويسمع فحسب. . .

(يفكر فيم أفنى عمره وفيم أذهب دهره). هذه الساعات الأخيرة من الدنيا يرجع الإنسان فيها إلى نفسه ويعيد حساباته من جديد، إنها ساعات الاستحقاق يجب أن يدفع فاتورتها هذا المسجى على فراش الموت، إنه يفكر في أغلى ما عنده، يفكر في رصيده كيف ضيعه وأهدره. . . الآن وهو يلفظ أنفاسه يفكر في عمره الذي انقضى ومضى كيف أفناه في اللهو ومتع الدنيا وملذاتها فتأكل الحسرة قلبه ويتمنى أن يكون قد قدّم ليومه هذا ولما بعده. . .

وهذا الوقت الذي مضى من عمره أيام شبابه وكهولته وشيبته، كيف تصرّم ذلك الوقت وكيف لم يستفد منه لحياته الباقية. . إنها ساعات صعبة يستحضر الإنسان فيها عمره الماضي ليتمنى من خلال هذا الاستحضار لو أنه عمل لآخرته. . .

(ويتذكر أموالاً جمعها أغمض في مطالبها وأخذها من مصرحاتها ومشتبهاتها قد لزمته تبعات جمعها وأشرف على فراقها). وهذه أيضاً من جملة ما يستحضره المحتضر، إنه يلتفت إلى أمواله التي جمعها ولمّها دون أن يسأل عن مصدرها ككثيرين منا يهمهم المال يجمعونه من أي سبيل كان، من حلال أو حرام أو من موارد الشبهات لم يتحروا مصادره الشرعية بل اغمضوا أعينهم عنها. . هؤلاء سيأتي عليهم وقت يأسفون لكل قرش لم تتضح مصادره الشرعية، وستأكل الحسرة قلوبهم عندما تتقطع بهم الأسباب ولم يقدروا على إعادتها لأهلها، لقد لحقتهم آثارها من العذاب والعقاب وفارقوها لغيرهم يتمتعون بها. . .

أحدهم وبين منطقه). فهذه الأعضاء من اليد والرجل والعين والأذن كانت قوية تملك الحركة ولكن عندما نزل بها الموت سكنت وتراخت ولم تعد تقوى على الحركة أو التحرك وأما ألوانهم التي كانت تزهر وكانت تحكي عن النعيم ونضرته هذه قد سحبت وتغيّرت عما كانت عليه إنها تنطق بعظيم ما حل بها ونزل بساحتها وهكذا تحرك الموت في جميع أجزاء البدن وابتدأ يغزو كل ناحية من هذا الجسم ويتغلغل في كل زاوية حتى بلغ الأمر أن امتنع المحتضر عن الكلام وتوقف عن الحديث ولم يعد يقدر على النطق مع كونه مالكاً لآلة النطق وأدواته. . .

(وإنه لبين أهله ينظر ببصره ويسمع بأذنه على صحة من عقله وبقاء من لبه). فالجسد بكامل أعضائه قائم تام، إنه مسجى بين أهله ينظر ببصره يقلبه في الحضور بين أبنائه وأزواجه وحفدته ويسمع بأذنه كل ما يتكلمون به ويتحدثون عنه في كمال العقل والفهم والوعي ولكنه مع ذلك لا ينطق ولا يتكلم وإنما يرى ويسمع فحسب. . .

(يفكر فيم أفنى عمره وفيم أذهب دهره). هذه الساعات الأخيرة من الدنيا يرجع الإنسان فيها إلى نفسه ويعيد حساباته من جديد، إنها ساعات الاستحقاق يجب أن يدفع فاتورتها هذا المسجى على فراش الموت، إنه يفكر في أغلى ما عنده، يفكر في رصيده كيف ضيعه وأهدره. . . الآن وهو يلفظ أنفاسه يفكر في عمره الذي انقضى ومضى كيف أفناه في اللهو ومتع الدنيا وملذاتها فتأكل الحسرة قلبه ويتمنى أن يكون قد قدّم ليومه هذا ولما بعده. . .

وهذا الوقت الذي مضى من عمره أيام شبابه وكهولته وشيبته، كيف تصرّم ذلك الوقت وكيف لم يستفد منه لحياته الباقية. . إنها ساعات صعبة يستحضر الإنسان فيها عمره الماضي ليتمنى من خلال هذا الاستحضار لو أنه عمل لآخرته. . .

(ويتذكر أموالاً جمعها أغمض في مطالبها وأخذها من مصرحاتها ومشتبهاتها قد لزمته تبعات جمعها وأشرف على فراقها). وهذه أيضاً من جملة ما يستحضره المحتضر، إنه يلتفت إلى أمواله التي جمعها ولمّها دون أن يسأل عن مصدرها ككثيرين منا يهمهم المال يجمعونه من أي سبيل كان، من حلال أو حرام أو من موارد الشبهات لم يتحروا مصادره الشرعية بل اغمضوا أعينهم عنها. . هؤلاء سيأتي عليهم وقت يأسفون لكل قرش لم تتضح مصادره الشرعية، وستأكل الحسرة قلوبهم عندما تتقطع بهم الأسباب ولم يقدروا على إعادتها لأهلها، لقد لحقتهم آثارها من العذاب والعقاب وفارقوها لغيرهم يتمتعون بها. . .

بلسانه ولا يسمع بسمعه يردد طرفه بالنظر في وجوههم يرى حركات ألسنتهم ولا يسمع رجع كلامهم). والموت يبتدأ بحركة بطيئة يسري كالمخدّر في جسد الإنسان ثم يشتد ويعنف حتى يبلغ درجة يمنعه عن الكلام وعن السمع فهو مطروح بين أهله لا ينطق بلسانه ولا يسمع منهم شيئاً، لقد تعطل لسانه كما تعطل سمعه، ولم يعد يملك إلا بصره ينقله بين الحضور يرى حركات شفاههم ولكن لا يسمع حديثهم ولا يفهم ما يقولون.

(ثم ازداد الموت التياطاً به فقُبض بصره كما قبض سمعه وخرجت الروح من جسده فصار جيفة بين أهله). وهذه صورة تحكي آخر لحظات هذا الإنسان في الدنيا.. تحكي قصة الموت الذي أجهز على هذا المخلوق، إنه بقي يتغلغل في هذا الجسد ويسلب من كل عضو دوره وحركته وفاعليته حتى أتى على البصر فقبضه ومنعه من أداء دوره كما قبض سمعه من قبل ومنعه من أداء دوره وعندها خرجت الروح من الجسد... هذه الروح التي كانت تحرك هذا الجسد بطوله وعرضه قد خرجت منه فأصبح جيفة بين أهله ينفرون منها ويشمئزون من وجودها وإذا تأخرت عن المواراة قليلاً تخرج رائحتها فتزعج القريب والبعيد... إنها صورة تستدعى من هذا الإنسان أن لا يعطي هذا البدن كل همه ولا يبحث عن راحته ولذته إلا من خلال ما أمر الله أو أباح ولا يخرج عن ذلك تحت أي ظرف أو اضطرار...

(قد أوحشوا من جانبه وتباعدوا من قربه لا يسعد باكياً ولا يجيب داعياً). فهذا الحبيب الذي كان يتمنى الحبيب رؤيته ويطلب القرب منه... هذا الأخ القريب الذي كان ينشر الأنس قبل لحظات هذا الولد الذي لا يقدر على فراقه والداه.. هذا الخليل الذي كان يذوب رقة لخليله.. هؤلاء جميعاً تتبدل أحوالهم بعد الموت تبدل الأنس بالوحشة فلا يقدر أحد من الأحبة على البقاء مع حبيبه الذي مات.. إنه يخاف ويخشى منه وهو ميت... يبطل التفكير وتتعطل قوى العقل فيخاف من ميت حبيب فيتباعد عنه ويهرب منه...

وهذا الميت الذي كان يلبي من دعاه قبل قليل لم يعد يستجيب لأحد حتى لأعز الناس ومن كان أشدهم طوعاً له كما أنه لا يرفع دمعة مسكين عليه أو يجبر قلب يتيم له...

(ثم حملوه إلى مخط في الأرض فأسلموه فيه إلى عمله وانقطعوا عن زورته). وهذه هي نهاية هذا المخلوق مع أهله وهذا غاية ما يقدمونه إليه، إنهم يحملون جنازته إلى مقره الأخير... إلى حفرة صغيرة حقيرة تداس بالأقدام وينظر إليها العابرون بدون مبالاة...

بلسانه ولا يسمع بسمعه يردد طرفه بالنظر في وجوههم يرى حركات ألسنتهم ولا يسمع رجع كلامهم). والموت يبتدأ بحركة بطيئة يسري كالمخدّر في جسد الإنسان ثم يشتد ويعنف حتى يبلغ درجة يمنعه عن الكلام وعن السمع فهو مطروح بين أهله لا ينطق بلسانه ولا يسمع منهم شيئاً، لقد تعطل لسانه كما تعطل سمعه، ولم يعد يملك إلا بصره ينقله بين الحضور يرى حركات شفاههم ولكن لا يسمع حديثهم ولا يفهم ما يقولون.

(ثم ازداد الموت التياطاً به فقُبض بصره كما قبض سمعه وخرجت الروح من جسده فصار جيفة بين أهله). وهذه صورة تحكي آخر لحظات هذا الإنسان في الدنيا.. تحكي قصة الموت الذي أجهز على هذا المخلوق، إنه بقي يتغلغل في هذا الجسد ويسلب من كل عضو دوره وحركته وفاعليته حتى أتى على البصر فقبضه ومنعه من أداء دوره كما قبض سمعه من قبل ومنعه من أداء دوره وعندها خرجت الروح من الجسد... هذه الروح التي كانت تحرك هذا الجسد بطوله وعرضه قد خرجت منه فأصبح جيفة بين أهله ينفرون منها ويشمئزون من وجودها وإذا تأخرت عن المواراة قليلاً تخرج رائحتها فتزعج القريب والبعيد... إنها صورة تستدعى من هذا الإنسان أن لا يعطي هذا البدن كل همه ولا يبحث عن راحته ولذته إلا من خلال ما أمر الله أو أباح ولا يخرج عن ذلك تحت أي ظرف أو اضطرار...

(قد أوحشوا من جانبه وتباعدوا من قربه لا يسعد باكياً ولا يجيب داعياً). فهذا الحبيب الذي كان يتمنى الحبيب رؤيته ويطلب القرب منه... هذا الأخ القريب الذي كان ينشر الأنس قبل لحظات هذا الولد الذي لا يقدر على فراقه والداه.. هذا الخليل الذي كان يذوب رقة لخليلته.. هؤلاء جميعاً تتبدل أحوالهم بعد الموت تبدل الأنس بالوحشة فلا يقدر أحد من الأحبة على البقاء مع حبيبه الذي مات.. إنه يخاف ويخشى منه وهو ميت... يبطل التفكير وتتعطل قوى العقل فيخاف من ميت حبيب فيتباعد عنه ويهرب منه...

وهذا الميت الذي كان يلبي من دعاه قبل قليل لم يعد يستجيب لأحد حتى لأعز الناس ومن كان أشدهم طوعاً له كما أنه لا يرفع دمعة مسكين عليه أو يجبر قلب يتيم له...

(ثم حملوه إلى مخط في الأرض فأسلموه فيه إلى عمله وانقطعوا عن زورته). وهذه هي نهاية هذا المخلوق مع أهله وهذا غاية ما يقدمونه إليه، إنهم يحملون جنازته إلى مقره الأخير... إلى حفرة صغيرة حقيرة تداس بالأقدام وينظر إليها العابرون بدون مبالاة...

الإنسان من بطن الأرض فيعيده بعد أن بلي واندثر ويجدده ويجمعه بعد أن تفرقت أوصاله وأجزاؤه.

ثم بعد هذا الجمع للأعضاء ولمّ متفرقات هذا الإنسان يجمعهم جميعاً على صعيد واحد ويميز بينهم أي يفصل بينهم ليسألهم عما فعلوه في الخفاء وعما اجترموه من السيئات.

(وجعلهم فريقين أنعم على هؤلاء وانتقم من هؤلاء فأما أهل الطاعة فأثابهم بجواره وخلدهم في داره حيث لا يظعن النزال ولا تتغيّر بهمْ الحال ولا تنوبهم الأفزاع ولا تنالهم الأسقام ولا تعرض لهم الأخطار ولا تشخصهم الأسفار). بهذا الحساب سينفصل المطيع عن العاصي والشقي عن السعيد سيُجعلون فريقين كما قال تعالى: ﴿**إن الأبرار لفي نعيم وإن الفجار لفي جحيم..**﴾.

ولكل فريق حظه ونتيجة عمله.

فالفريق المطيع الملتزم الذي كان يخاف الله في الدنيا ويحسب حساب هذا اليوم ويعد له العدة هذا الفريق من الذين أنعم الله عليهم وأما الفريق الثاني فمن الذي أنتقم الله منهم...

والفريق المطيع في جوار الله مكانه أي في دار كرامته وهي الجنة يخلد فيها ويدوم لا يرحل عنها ولا يعتريهم ما يعتري أبناء الدنيا ولا يصيبهم شيء من الخوف أو الأمراض أن يتعرضون لهلاك أو تخرجهم الأسفار إلى طلب أمر يريدونه فيشق عليهم السفر ويزعجهم...

وهذا كله كان يصيب أبناء الدنيا فيرتفع عن المطيعين لله العاملين بأمره في الآخرة...

(وأما أهل المعصية فأنزلهم شر دار وغل الأيدي إلى الأعناق وقرن النواصي بالأقدام وألبسهم سرابيل القطران ومقطعات النيران في عذاب قد اشتد حره وباب قد أطبق على أهله في نار لها كلب ولجب، ولهب ساطع وقصيف هائل لا يظعن مقيمها ولا يفادى أسيرها ولا تفصم كبولها لا مدة للدار فتفنى ولا أجل للقوم فيقضى). وهذه حالة أهل المعصية الأشقياء الذين انحرفوا عن الله وتمردوا على حكمه لقد كانت عاقبتهم شر عاقبة وقد ذكر لهم من العذاب ما فيه مزدجر ذكر لهم:

الإنسان من بطن الأرض فيعيده بعد أن بلي واندثر ويجدده ويجمعه بعد أن تفرقت أوصاله وأجزاؤه.

ثم بعد هذا الجمع للأعضاء ولمّ متفرقات هذا الإنسان يجمعهم جميعاً على صعيد واحد ويميز بينهم أي يفصل بينهم ليسألهم عما فعلوه في الخفاء وعما اجترموه من السيئات.

(وجعلهم فريقين أنعم على هؤلاء وانتقم من هؤلاء فأما أهل الطاعة فأثابهم بجواره وخلدهم في داره حيث لا يظعن النزال ولا تتغيّر بهمْ الحال ولا تنوبهم الأفزاع ولا تنالهم الأسقام ولا تعرض لهم الأخطار ولا تشخصهم الأسفار). بهذا الحساب سينفصل المطيع عن العاصي والشقي عن السعيد سيُجعلون فريقين كما قال تعالى: ﴿**إن الأبرار لفي نعيم وإن الفجار لفي جحيم**..﴾.

ولكل فريق حظه ونتيجة عمله.

فالفريق المطيع الملتزم الذي كان يخاف الله في الدنيا ويحسب حساب هذا اليوم ويعد له العدة هذا الفريق من الذين أنعم الله عليهم وأما الفريق الثاني فمن الذي أنتقم الله منهم...

والفريق المطيع في جوار الله مكانه أي في دار كرامته وهي الجنة يخلد فيها ويدوم لا يرحل عنها ولا يعتريهم ما يعتري أبناء الدنيا ولا يصيبهم شيء من الخوف أو الأمراض أن يتعرضون لهلاك أو تخرجهم الأسفار إلى طلب أمر يريدونه فيشق عليهم السفر ويزعجهم...

وهذا كله كان يصيب أبناء الدنيا فيرتفع عن المطيعين لله العاملين بأمره في الآخرة...

(وأما أهل المعصية فأنزلهم شر دار وغل الأيدي إلى الأعناق وقرن النواصي بالأقدام وألبسهم سرابيل القطران ومقطعات النيران في عذاب قد اشتد حره وباب قد أطبق على أهله في نار لها كلب ولجب، ولهب ساطع وقصيف هائل لا يظعن مقيمها ولا يفادى أسيرها ولا تفصم كبولها لا مدة للدار فتفنى ولا أجل للقوم فيقضى). وهذه حالة أهل المعصية الأشقياء الذين انحرفوا عن الله وتمردوا على حكمه لقد كانت عاقبتهم شر عاقبة وقد ذكر لهم من العذاب ما فيه مزدجر ذكر لهم:

لأن هذا المخلوق كان بمقدوره أن يفدي نفسه وهو في دار الدنيا بما يقدمه من عمل صالح ولكن بعد أن انقطع التكليف بالموت فلا انفكاك له من الأسر ولا خروج له من العذاب.

٩ ـ ولا تفصم كبولها.

والقيود التي وضعت في عنق هذا الإنسان ويديه ورجليه لا تحل ولا تفك بل هي باقية مستمرة.

١٠ ـ لا مدة للدار فتفنى ولا أجل للقوم فيقضى.

وهذه مصيبة المصائب أنه ليس لهذه الدار وهي النار مدة فتفنى وتنتهي كما أنه ليس هناك وقت محدود يقضيه هذا الإنسان وينتهي منه بل بقاء دائم.

ومنها في ذكر النبي صلى الله عليه وآله.

(**قد حقر الدنيا وصغرها وأهون بها وهونها**). يصف النبي في زهده وإعراضه عن الدنيا وزينتها وقد وصفه بأنه حقّر الدنيا أي نظر إليها نظرة الاحتقار ـ والتشديد للتكثير ـ ومن حقّر أمراً أعرض عنه ولم يعطه من نفسه التفاتة أو انتباهاً، إنه يسقط من عينه ويغفل عنه بالكلية... كما أنه صغّرها ومن صغر أمراً لم يسأل عنه إذا فقده بل الكرام يترفعون عن صغار الأمور ومحقراتها ومن كان يعرف قيمة الجنة وكان نظره إليها إحتقر ما عداها مهما كان جليلاً وكبيراً...

كما أنه صلوات الله عليه قد استهان بالدنيا عند نفسه وهوّنها على غيره وذلك بأنه لم يعطها من نفسه شيئاً بل كان زارياً ومحتقراً لها فقد خرج منها دون أن يضع لبنة على لبنة وتحت يديه كل أموال الجزيرة.. وقد هوّنها على الناس حتى زهدهم فيها فتركوا التعلق بها بل طلقوها وباعوها بالآخرة...

(**وعلم أن الله زواها عنه اختياراً وبسطها لغيره احتقاراً**). ما اختاره النبي كان موافقاً لإرادة الله وقد اختار الإعراض عن الدنيا وزينتها فقبضها الله عنه حباً له وتقديراً لمنزلته وعلواً لمقامه بينما بسطها لغيره احتقاراً له وتصغيراً لقدره لأنه صغير ينشد الصغار وما يكون فيه الصغار والدنيا لحقارتها وخستها وأنها دار لا تدوم بسطها لبعض الناس بينما أكرم نبيه بقبضها عنه.

وفي هذا الكلام العلوي عبرة لأهل الدين أن لا يكبروا أصحاب الدنيا الذين جاءتهم

لأن هذا المخلوق كان بمقدوره أن يفدي نفسه وهو في دار الدنيا بما يقدمه من عمل صالح ولكن بعد أن انقطع التكليف بالموت فلا انفكاك له من الأسر ولا خروج له من العذاب.

٩ ـ ولا تفصم كبولها.

والقيود التي وضعت في عنق هذا الإنسان ويديه ورجليه لا تحل ولا تفك بل هي باقية مستمرة.

١٠ ـ لا مدة للدار فتفنى ولا أجل للقوم فيقضى.

وهذه مصيبة المصائب أنه ليس لهذه الدار وهي النار مدة فتفنى وتنتهي كما أنه ليس هناك وقت محدود يقضيه هذا الإنسان وينتهي منه بل بقاء دائم.

ومنها في ذكر النبي صلى الله عليه وآله.

(**قد حقر الدنيا وصغرها وأهون بها وهونها**). يصف النبي في زهده وإعراضه عن الدنيا وزينتها وقد وصفه بأنه حقّر الدنيا أي نظر إليها نظرة الاحتقار ـ والتشديد للتكثير ـ ومن حقّر أمراً أعرض عنه ولم يعطه من نفسه التفاتة أو انتباهاً، إنه يسقط من عينه ويغفل عنه بالكلية... كما أنه صغّرها ومن صغر أمراً لم يسأل عنه إذا فقده بل الكرام يترفعون عن صغار الأمور ومحقراتها ومن كان يعرف قيمة الجنة وكان نظره إليها إحتقر ما عداها مهما كان جليلاً وكبيراً...

كما أنه صلوات الله عليه قد استهان بالدنيا عند نفسه وهوّنها على غيره وذلك بأنه لم يعطها من نفسه شيئاً بل كان زارياً ومحتقراً لها فقد خرج منها دون أن يضع لبنة على لبنة وتحت يديه كل أموال الجزيرة.. وقد هوّنها على الناس حتى زهدهم فيها فتركوا التعلق بها بل طلقوها وباعوها بالآخرة...

(**وعلم أن الله زواها عنه اختياراً وبسطها لغيره احتقاراً**). ما اختاره النبي كان موافقاً لإرادة الله وقد اختار الإعراض عن الدنيا وزينتها فقبضها الله عنه حباً له وتقديراً لمنزلته وعلواً لمقامه بينما بسطها لغيره احتقاراً له وتصغيراً لقدره لأنه صغير ينشد الصغار وما يكون فيه الصغار والدنيا لحقارتها وخستها وأنها دار لا تدوم بسطها لبعض الناس بينما أكرم نبيه بقبضها عنه.

وفي هذا الكلام العلوي عبرة لأهل الدين أن لا يكبروا أصحاب الدنيا الذين جاءتهم

وعند هذا تقصر المناقب وتذوب الفضائل. .

وفي بيوتهم نزلت رسالة الإسلام حيث أنزل الله وحيه على نبيه فكان الإمام عنده ربيباً فنعم بهذه البركة الكريمة. .

وإلى بيوتهم تختلف الملائكة فهذا ينزل بالوحي وذلك ينزل للخدمة وذاك ينزل يطلب التوسل برسول الله وهكذا تختلف الملائكة هابطة صاعدة.

وهم معادن العلم وهذا مشهود لأهل البيت وكل من له أدنى اطلاع عرف أنهم قوم زقوا العلم زقاً، شهد بذلك القريب والبعيد الموالي والمعادي ومن قلّب نظره في ذلك قرأ الحقيقة وعرف أنهم قوم اختصهم الله بالعلم على اختلاف أنواعه وتعدده.

كما أنهم ينابيع الحكم فهم يصدرون الأحكام وعندهم فصل الخصومات أو أن يكون المقصود أنهم مصدر العلوم وأهل الفهم وإدراك حقائق الأشياء ووضعها في موضعها لأن الحكمة تقتضي وضع الشيء في موضعه. . .

ثم أراد أن يجذب الناس إلى نفسه لأنه باب الهدى وعن طريقه يكون دخول الجنة فأشار إلى ذلك بقوله: ناصرنا ومحبنا ينتظر الرحمة لأنه ينصر الحق ويحب أهل الحق ومن كان كذلك فإنه يتنظر الرحمة عندما يموت وينتقل إلى الله وهي الجنة.

كما أن عدو أهل البيت الذي حاربهم بيده أو بلسانه أو بقلبه أو بأي أسلوب كان ينتظر العقاب والعذاب بمجرد أن يموت وكذلك مبغض أهل البيت ينال العذاب والعقاب. . .

وعند هذا تقصر المناقب وتذوب الفضائل. .

وفي بيوتهم نزلت رسالة الإسلام حيث أنزل الله وحيه على نبيه فكان الإمام عنده ربيباً فنعم بهذه البركة الكريمة. .

وإلى بيوتهم تختلف الملائكة فهذا ينزل بالوحي وذلك ينزل للخدمة وذاك ينزل يطلب التوسل برسول الله وهكذا تختلف الملائكة هابطة صاعدة.

وهم معادن العلم وهذا مشهود لأهل البيت وكل من له أدنى اطلاع عرف أنهم قوم زقوا العلم زقاً، شهد بذلك القريب والبعيد الموالي والمعادي ومن قلّب نظره في ذلك قرأ الحقيقة وعرف أنهم قوم اختصهم الله بالعلم على اختلاف أنواعه وتعدده.

كما أنهم ينابيع الحكم فهم يصدرون الأحكام وعندهم فصل الخصومات أو أن يكون المقصود أنهم مصدر العلوم وأهل الفهم وإدراك حقائق الأشياء ووضعها في موضعها لأن الحكمة تقتضي وضع الشيء في موضعه. . .

ثم أراد أن يجذب الناس إلى نفسه لأنه باب الهدى وعن طريقه يكون دخول الجنة فأشار إلى ذلك بقوله: ناصرنا ومحبنا ينتظر الرحمة لأنه ينصر الحق ويحب أهل الحق ومن كان كذلك فإنه يتنظر الرحمة عندما يموت وينتقل إلى الله وهي الجنة.

كما أن عدو أهل البيت الذي حاربهم بيده أو بلسانه أو بقلبه أو بأي أسلوب كان ينتظر العقاب والعذاب بمجرد أن يموت وكذلك مبغض أهل البيت ينال العذاب والعقاب. . .

العَالِمَ الْعَامِلَ بِغَيْرِ عِلْمِهِ كَالْجَاهِلِ الْجَائِرِ[٢٤] الَّذي لاَ يَسْتَفِيقُ[٢٥] مِنْ جَهْلِهِ، بَلِ الْحُجَّةُ عَلَيْهِ أَعْظَمُ، والْحَسْرَةُ[٢٦] لَهُ أَلْزَمُ، وَهُوَ عِنْدَ اللهِ أَلْوَمُ[٢٧].

اللغة

١ ـ توسل : إلى الله عمل عملاً تقرب به إليه تعالى.
٢ ـ الذروة : لكل شيء اعلاه.
٣ ـ كلمة الأخلاص : هي كلمة لا إله إلا الله.
٤ ـ الفطرة : الخلقة.
٥ ـ الملة : الدين، الطريقة والشريعة.
٦ ـ الفريضة : ما أوجبه الله وفرضه على عباده.
٧ ـ الجنة : بالضم كل ما وقى.
٨ ـ العقاب : الجزاء بالشر.
٩ ـ اعتمر : إذا زار البيت الحرام والعمرة أفعال مخصوصة يؤدي من قصد مكة.
١٠ ـ يرحضان : يغسلان من رحض الثوب إذا غسله.
١١ ـ المثراة : من ثرى المال إذا كثر ونمى وهذا مثراة أي تكثرة.
١٢ ـ المنسأة : التأخير.
١٣ ـ الأجل : جمعة آجال وقت الموت.
١٤ ـ تكفّر : تستر وتغطي والمقصود هنا إنها تسقط المعصية.
١٥ ـ الخطيئة : المعصية.
١٦ ـ الصنائع : مفردها صنيعة الإحسان.
١٧ ـ تقي : تدفع وتحمي.
١٨ ـ مصارع : جمع مصرع وهو موضع الصرع أي الطرح لأن صرعه أي طرحه على الأرض.
١٩ ـ الهوان : الذل.
٢٠ ـ انفيضوا : اندفعوا.
٢١ ـ الهدي : السيرة والطريقة.
٢٢ ـ أهدى : أرشد.
٢٣ ـ السنن : الطرق.
٢٤ ـ الحائر : المتحير.

العَالِمَ الْعَامِلَ بِغَيْرِ عِلْمِهِ كَالْجَاهِلِ الْجَائِرِ[٢٤] الَّذي لاَ يَسْتَفِيقُ[٢٥] مِنْ جَهْلِهِ، بَلِ الْحُجَّةُ عَلَيْهِ أَعْظَمُ، والْحَسْرَةُ[٢٦] لَهُ أَلْزَمُ، وَهُوَ عِنْدَ اللهِ أَلْوَمُ[٢٧].

اللغة

١ ـ توسل : إلى الله عمل عملاً تقرب به إليه تعالى.
٢ ـ الذروة : لكل شيء اعلاه.
٣ ـ كلمة الأخلاص : هي كلمة لا إله إلا الله.
٤ ـ الفطرة : الخلقة.
٥ ـ الملة : الدين، الطريقة والشريعة.
٦ ـ الفريضة : ما أوجبه الله وفرضه على عباده.
٧ ـ الجنة : بالضم كل ما وقى.
٨ ـ العقاب : الجزاء بالشر.
٩ ـ اعتمر : إذا زار البيت الحرام والعمرة أفعال مخصوصة يؤدي من قصد مكة.
١٠ ـ يرحضان : يغسلان من رحض الثوب إذا غسله.
١١ ـ المثراة : من ثرى المال إذا كثر ونمى وهذا مثراة أي تكثرة.
١٢ ـ المنسأة : التأخير.
١٣ ـ الأجل : جمعة آجال وقت الموت.
١٤ ـ تكفّر : تستر وتغطي والمقصود هنا إنها تسقط المعصية.
١٥ ـ الخطيئة : المعصية.
١٦ ـ الصنائع : مفردها صنيعة الإحسان.
١٧ ـ تقي : تدفع وتحمي.
١٨ ـ مصارع : جمع مصرع وهو موضع الصرع أي الطرح لأن صرعه أي طرحه على الأرض.
١٩ ـ الهوان : الذل.
٢٠ ـ افيضوا : اندفعوا.
٢١ ـ الهدي : السيرة والطريقة.
٢٢ ـ أهدى : أرشد.
٢٣ ـ السنن : الطرق.
٢٤ ـ الحائر : المتحير.

خلق الإنسان وجعلها في أعماقه بحيث لو خلي ونفسه لأهتدى إلى الله ولم ينحرف عن الإيمان به وعن توحيده ولكن المجتمع المحيط به والعادات والتقاليد المحدقة به هي التي تضله عن هذه الحقيقة وتحرفه عنها وبهذا جاءت الأخبار.

ـ في كتاب المحاسن بإسناده عن زراره قال: سألت أبا جعفر عليه السلام عن قول الله عز وجل ﴿**فطرة الله التي فطر الناس عليها**﴾ قال: فطرهم على معرفة أنه ربهم ولولا ذلك لم يعلموا إذا سئلوا من ربهم ومن رازقهم...

ـ وفي الكافي بإسناده عن زراره عن أبي جعفر عليه السلام في حديث قال: قال رسول الله ﷺ: «كل مولود يولد على الفطرة يعني على المعرفة بأن الله خالقه..».

(**وإقام الصلاة فإنها الملة**). وإقامَ الصلاة عبارة عن المداومة عليها وعدم التهاون بها وقد جعلها الدين والشريعة مع أنها جزئية من ذلك لأهميتها ودورها وأثرها في تصفية النفس وتنقيتها ولما فيها من صلة بين العبد وربه وبين العبد ومجتمعه.

وقد وردت الأحاديث بأن تاركها عن انكار لها يخرج عن ملة الإسلام.

ـ ففي الحديث عن أبي عبد الله عليه السلام[١] قال: جاء رجل إلى النبي(ص) فقال: يا رسول الله أوصني، فقال: «لا تدع الصلاة متعمداً، فإن من تركها متعمداً فقد برئت منه ملة الإسلام».

ـ وعن أبي عبد الله عليه السلام[٢] عن أبيه عن جابر قال: قال رسول الله(ص): «ما بين الكفر والإيمان إلا ترك الصلاة»...

ـ وقال رسول الله(ص): «إن عمود الدين[٣] الصلاة وهي أول ما ينظر فيه من عمل ابن آدم فإن صحّت نظر في عمله وإن لم تصح لم ينظر في بقية عمله»...

(**وايتاء الزكاة فإنها فريضة واجبة**). ووجوب الزكاة من ضروريات الدين ومنكرها كافر وقد دل الكتاب الكريم والسنة الشريفة على وجوبها...

قال تعالى: ﴿**أقيموا الصلاة وآتوا الزكاة...**﴾. وقال سبحانه: ﴿**وما امروا إلا ليعبدوا[٤] الله مخلصين له الدين ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة وذلك دين القيمة**﴾. وقوله

(١ ـ ٢) الوسائل كتاب الصلاة باب ١١ من أبواب أعداد الفرائض.

(٣) الوسائل كتاب الصلاة باب ٨ من أبواب أعداد الفرائض.

(٤) سورة البينة آية/ ٥.

خلق الإنسان وجعلها في أعماقه بحيث لو خلي ونفسه لأهتدى إلى الله ولم ينحرف عن الإيمان به وعن توحيده ولكن المجتمع المحيط به والعادات والتقاليد المحدقة به هي التي تضله عن هذه الحقيقة وتحرفه عنها وبهذا جاءت الأخبار.

ـ في كتاب المحاسن بإسناده عن زراره قال: سألت أبا جعفر عليه السلام عن قول الله عز وجل ﴿**فطرة الله التي فطر الناس عليها**﴾ قال: فطرهم على معرفة أنه ربهم ولولا ذلك لم يعلموا إذا سئلوا من ربهم ومن رازقهم...

ـ وفي الكافي بإسناده عن زراره عن أبي جعفر عليه السلام في حديث قال: قال رسول الله ﷺ: «كل مولود يولد على الفطرة يعني على المعرفة بأن الله خالقه..».

(**وإقام الصلاة فإنها الملة**). وإقامَ الصلاة عبارة عن المداومة عليها وعدم التهاون بها وقد جعلها الدين والشريعة مع أنها جزئية من ذلك لأهميتها ودورها وأثرها في تصفية النفس وتنقيتها ولما فيها من صلة بين العبد وربه وبين العبد ومجتمعه.

وقد وردت الأحاديث بأن تاركها عن انكار لها يخرج عن ملة الإسلام.

ـ ففي الحديث عن أبي عبد الله عليه السلام[1] قال: جاء رجل إلى النبي(ص) فقال: يا رسول الله أوصني، فقال: «لا تدع الصلاة متعمداً، فإن من تركها متعمداً فقد برئت منه ملة الإسلام».

ـ وعن أبي عبد الله عليه السلام[2] عن أبيه عن جابر قال: قال رسول الله(ص): «ما بين الكفر والإيمان إلا ترك الصلاة»...

ـ وقال رسول الله(ص): «إن عمود الدين[3] الصلاة وهي أول ما ينظر فيه من عمل ابن آدم فإن صحّت نظر في عمله وإن لم تصح لم ينظر في بقية عمله»...

(**وايتاء الزكاة فإنها فريضة واجبة**). ووجوب الزكاة من ضروريات الدين ومنكرها كافر وقد دل الكتاب الكريم والسنة الشريفة على وجوبها...

قال تعالى: ﴿**أقيموا الصلاة وآتوا الزكاة...**﴾. وقال سبحانه: ﴿**وما امروا إلا ليعبدوا[4] الله مخلصين له الدين ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة وذلك دين القيمة**﴾. وقوله

(١ ـ ٢) الوسائل كتاب الصلاة باب ١١ من أبواب أعداد الفرائض.

(٣) الوسائل كتاب الصلاة باب ٨ من أبواب أعداد الفرائض.

(٤) سورة البينة آية/ ٥.

وأقسم بالذي خلق الخلق وبسط الرزق أنه ما ضاع مال في بر ولا بحر إلا بترك الزكاة وما صيد صيد في بر ولا بحر إلا بترك التسبيح في ذلك اليوم وإن أحب الناس إلى الله تعالى اسخاهم كفاً واسخى الناس من أدى زكاة ماله ولم يبخل على المؤمنين بما افترض الله لهم في ماله.

ما تجب فيه الزكاة. تجب الزكاة في تسعة أشياء حددّها النبي(ص) في الحديث الشريف عن الصادق عليه السلام قال: «لما نزلت آية الزكاة ﴿**خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها**﴾ في شهر رمضان فأمر رسول الله مناديه فنادى في الناس: إن الله تبارك وتعالى قد فرض عليكم الزكاة كما فرض عليكم الصلاة، ففرض الله عليكم من الذهب والفضة والإبل والبقر والغنم والحنطة والشعير والتمر والزبيب... وفي حديث الإمام الرضا أيضاً يحدد الزكاة في تسعة أشياء قال عليه السلام: الزكاة على تسعة أشياء على الحنطة والشعير والتمر والزبيب والإبل والبقر والغنم والذهب والفضة...

نصب الزكاة. ومن المعروف أنه ليس كل من ملك شيئاً من هذه الأموال يجب عليه الزكاة بل إذا بلغت قدراً معيناً حدده الشارع ونحن سنذكر ذلك بشيء من الاختصار ونكتفي بالعناوين العامة...

حدّد الشارع النصاب كما يلي:.

في الإبل اثنا عشر نصاباً.

١ ـ ٥ ـ خمسة منها كل واحد خمس من الإبل وفي كل واحد من النصب شاة بمعنى أنه لا يجب فيما دون خمس.

٦ ـ ست وعشرون ففيها بنت مخاض.

٧ ـ ست وثلاثون وفيها بنت لبون.

٨ ـ ست وأربعون وفيها حقة.

٩ ـ إحدى وستون فجذعة.

١٠ ـ ست وسبعون ففيها بنتا لبون.

١١ ـ إحدى وتسعون وفيها حقتان.

١٢ ـ مائة وإحدى وعشرون ففي كل خمسين حقة وكل أربعين بنت لبون.

وأقسم بالذي خلق الخلق وبسط الرزق أنه ما ضاع مال في بر ولا بحر إلا بترك الزكاة وما صيد صيد في بر ولا بحر إلا بترك التسبيح في ذلك اليوم وإن أحب الناس إلى الله تعالى اسخاهم كفاً واسخى الناس من أدى زكاة ماله ولم يبخل على المؤمنين بما افترض الله لهم في ماله.

ما تجب فيه الزكاة. تجب الزكاة في تسعة أشياء حددّها النبي(ص) في الحديث الشريف عن الصادق عليه السلام قال: «لما نزلت آية الزكاة ﴿**خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها**﴾ في شهر رمضان فأمر رسول الله مناديه فنادى في الناس: إن الله تبارك وتعالى قد فرض عليكم الزكاة كما فرض عليكم الصلاة، ففرض الله عليكم من الذهب والفضة والإبل والبقر والغنم والحنطة والشعير والتمر والزبيب... وفي حديث الإمام الرضا أيضاً يحدد الزكاة في تسعة أشياء قال عليه السلام: الزكاة على تسعة أشياء على الحنطة والشعير والتمر والزبيب والإبل والبقر والغنم والذهب والفضة...

نصب الزكاة. ومن المعروف أنه ليس كل من ملك شيئاً من هذه الأموال يجب عليه الزكاة بل إذا بلغت قدراً معيناً حدده الشارع ونحن سنذكر ذلك بشيء من الاختصار ونكتفي بالعناوين العامة...

حدّد الشارع النصاب كما يلي:.

في الإبل اثنا عشر نصاباً.

١ ـ ٥ ـ خمسة منها كل واحد خمس من الإبل وفي كل واحد من النصب شاة بمعنى أنه لا يجب فيما دون خمس.

٦ ـ ست وعشرون ففيها بنت مخاض.

٧ ـ ست وثلاثون وفيها بنت لبون.

٨ ـ ست وأربعون وفيها حقة.

٩ ـ إحدى وستون فجذعة.

١٠ ـ ست وسبعون ففيها بنتا لبون.

١١ ـ إحدى وتسعون وفيها حقتان.

١٢ ـ مائة وإحدى وعشرون ففي كل خمسين حقة وكل أربعين بنت لبون.

ويشترط في النقدين.

١ ـ يشترط في النقدين بلوغ كل منهما النصاب.

٢ ـ أن يكون مسكوكاً صالحاً للمعاملة به.

٣ ـ أن تبقى عند المالك حولاً كاملاً.

نصب الغلات. يشترط في وجوب الزكاة فيها أمران.

١ ـ بلوغ النصاب وتقدر في زماننا بثمانمائة وسبعة وأربعين كيلو تقريباً.

٢ ـ الملك في وقت تعلق الوجوب سواء كان بالزرع أم بالشراء.

مقدار الزكاة. المقدار الواجب اخراجه في زكاة الغلات العشر إذا سقى سيحاً أو بماء السماء.

ونصف العشر إذا سقى بالدلاء والماكينات والنواعير.

فوائد الزكاة وآثارها. للزكاة آثار جمة وفوائد متعددة لو فكر الإنسان في بعضها لكانت كافية في دفعه إلى ادائها والقيام بها وأهم هذه الآثار هي: .

١ ـ أن في اخراج الزكاة طاعة لله وامتثالاً لأمره وبها يخرج الإنسان عن دائرة التمرد والعصيان إلى خط الطاعة والإيمان.

٢ ـ في الزكاة سد حاجة الفقراء والأيتام والأرامل والمساكين. . .

٣ ـ إن في الزكاة تحصين المال عن التلف وفي ذلك يقول الصادق عليه السلام: «وأقسم بالذي خلق الخلق وبسط الرزق إنه ما ضاع مال في بر ولا بحر إلا بترك الزكاة» وقال موسى بن جعفر عليهما السلام: حصنوا أموالكم بالزكاة.

٤ ـ إنها تذكر الأغنياء بحال الفقراء فيتذكرون نعمة الله عليهم ويقومون بإداء هذا الشكر حيث أن الله الذي ضيق على الفقراء قادر على أن يضيق على الأغنياء ويبتليهم بالفقر.

٥ ـ إن إداء الزكاة تعوّد النفس على الكرم والسخاء ـ وتنفي الشح والبخل ـ وهي صفة يحبها الله ويريدها الإسلام.

قال النبي(ص): «من أدى ما افترض الله عليه فهو أسخى الناس».

ويشترط في النقدين.

١ ـ يشترط في النقدين بلوغ كل منهما النصاب.

٢ ـ أن يكون مسكوكاً صالحاً للمعاملة به.

٣ ـ أن تبقى عند المالك حولاً كاملاً.

نصب الغلات. يشترط في وجوب الزكاة فيها أمران.

١ ـ بلوغ النصاب وتقدر في زماننا بثمانمائة وسبعة وأربعين كيلو تقريباً.

٢ ـ الملك في وقت تعلق الوجوب سواء كان بالزرع أم بالشراء.

مقدار الزكاة. المقدار الواجب اخراجه في زكاة الغلات العشر إذا سقى سيحاً أو بماء السماء.

ونصف العشر إذا سقى بالدلاء والماكينات والنواعير.

فوائد الزكاة وآثارها. للزكاة آثار جمة وفوائد متعددة لو فكر الإنسان في بعضها لكانت كافية في دفعه إلى ادائها والقيام بها وأهم هذه الآثار هي: .

١ ـ أن في اخراج الزكاة طاعة لله وامتثالاً لأمره وبها يخرج الإنسان عن دائرة التمرد والعصيان إلى خط الطاعة والإيمان.

٢ ـ في الزكاة سد حاجة الفقراء والأيتام والأرامل والمساكين. . .

٣ ـ إن في الزكاة تحصين المال عن التلف وفي ذلك يقول الصادق عليه السلام: «وأقسم بالذي خلق الخلق وبسط الرزق إنه ما ضاع مال في بر ولا بحر إلا بترك الزكاة» وقال موسى بن جعفر عليهما السلام: حصنوا أموالكم بالزكاة.

٤ ـ إنها تذكر الأغنياء بحال الفقراء فيتذكرون نعمة الله عليهم ويقومون بإداء هذا الشكر حيث أن الله الذي ضيق على الفقراء قادر على أن يضيق على الأغنياء ويبتليهم بالفقر.

٥ ـ إن إداء الزكاة تعوّد النفس على الكرم والسخاء ـ وتنفي الشح والبخل ـ وهي صفة يحبها الله ويريدها الإسلام.

قال النبي(ص): «من أدى ما افترض الله عليه فهو أسخى الناس».

فوجوب صيام شهر رمضان من ضروريات الدين ويعلم بوجوبه كل فرد مسلم حتى الأطفال الصغار . . .

وما ورد في كلام الإمام يتوافق مع ما ورد عن النبي (ص) في حق شهر رمضان وإن صيامه وقاية من العذاب والعقاب.

قال رسول الله (ص): «الصوم[١] جنة من النار».

وفي حديث آخر: «والصيام جنة العبد المؤمن يوم القيامة كما يقي أحدكم سلاحه في الدنيا.

(وحج البيت واعتماره فإنهما ينفيان الفقر ويرحضان الذنب). والحج والعمرة واجبان على المستطيع ووجوبهما مما تعرفه الأمة وتعمل به.

قال تعالى: **﴿وأتموا الحج والعمرة لله﴾**. وفي تفسير ذلك يقول الإمام الصادق عليه السلام: هما مفروضان.

وعن أبي عبد الله عليه السلام قال: العمرة واجبة على الخلق بمنزلة الحج على من استطاع لأن الله عز وجل يقول: **﴿وأتموا الحج والعمرة لله﴾** وإنما انزلت العمرة بالمدينة يقول الراوي قلت له: فمن تمتع بالعمرة إلى الحج ايجزي ذلك عنه؟.

قال: نعم.

وأما كونهما ينفيان الفقر ويرحضان الذنب أي يزيلانه ويمحوان أثره فهذا مما جاءت به الأخبار ووردت به الروايات.

قال الإمام علي بن الحسين عليهما السلام: حجوا واعتمروا تصح أبدانكم وتتسع ارزاقكم وتكفون مؤنات عيالكم.

وقال: الحاج مغفور له وموجوب له الجنة ومستأنف له العمل ومحفوظ في أهله وماله.

(وصلة الرحم فإنها مثراة في المال ومنسأة في الأجل). اوصى الله بصلة الرحم وحث عليها فقال تعالى: **﴿يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من[٢] نفس واحدة**

---

(١) وسائل الشيعة كتاب الصوم باب ١ من أبواب الصوم المندوب.

(٢) سورة النساء آية/ ١.

فوجوب صيام شهر رمضان من ضروريات الدين ويعلم بوجوبه كل فرد مسلم حتى الأطفال الصغار. . .

وما ورد في كلام الإمام يتوافق مع ما ورد عن النبي (ص) في حق شهر رمضان وإن صيامه وقاية من العذاب والعقاب.

قال رسول الله (ص): «الصوم[١] جنة من النار».

وفي حديث آخر: «والصيام جنة العبد المؤمن يوم القيامة كما يقي أحدكم سلاحه في الدنيا.

(وحج البيت واعتماره فإنهما ينفيان الفقر ويرحضان الذنب). والحج والعمرة واجبان على المستطيع ووجوبهما مما تعرفه الأمة وتعمل به.

قال تعالى: **﴿وأتموا الحج والعمرة لله﴾**. وفي تفسير ذلك يقول الإمام الصادق عليه السلام: هما مفروضان.

وعن أبي عبد الله عليه السلام قال: العمرة واجبة على الخلق بمنزلة الحج على من استطاع لأن الله عز وجل يقول: **﴿وأتموا الحج والعمرة لله﴾** وإنما انزلت العمرة بالمدينة يقول الراوي قلت له: فمن تمتع بالعمرة إلى الحج ايجزي ذلك عنه؟.

قال: نعم.

وأما كونهما ينفيان الفقر ويرحضان الذنب أي يزيلانه ويمحوان أثره فهذا مما جاءت به الأخبار ووردت به الروايات.

قال الإمام علي بن الحسين عليهما السلام: حجوا واعتمروا تصح أبدانكم وتتسع ارزاقكم وتكفون مؤنات عيالكم.

وقال: الحاج مغفور له وموجوب له الجنة ومستأنف له العمل ومحفوظ في أهله وماله.

(وصلة الرحم فإنها مثراة في المال ومنسأة في الأجل). اوصى الله بصلة الرحم وحث عليها فقال تعالى: **﴿يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من[٢] نفس واحدة**

---

(١) وسائل الشيعة كتاب الصوم باب ١ من أبواب الصوم المندوب.

(٢) سورة النساء آية/ ١.

الخطيئة كما يطفي الماء النار.

ـ وقال الباقر عليه السلام: سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل[١] إلا ظله(إلى أن قال) ورجل تصدق بصدقة فاخفاها حتى لم تعلم يمينه ما تنفق شماله.

(وصدقة العلانية فإنها تدفع ميتة السوء). والصدقة بنفسها مستحبة لأنها تخرج من قلب يعيش مع الفقراء وأصحاب الحاجة ويحس هذا القلب بوشائج الرحم بين الإنسان وأخيه الإنسان.. صدقة قليلة تعبر عن عمق الشعور مع هذا الفقير وتواسيه قدر استطاعتها، إنها نفس طيبة تقدر ظروف الآخرين وتتعاون معهم بل تعاونهم قدر استطاعتها وقد ورد في الروايات الحث على الصدقة.

قال رسول الله(ص): «الصدقة تدفع ميتة السوء».

قال رسول الله(ص): إن الله لا إله إلا هو ليدفع بالصدقة الداء والدبيلة والحرق والغرق والهدم والجنون وعدّ سبعين باباً من السوء».

وعن أبي جعفر عليه السلام قال: إن الصدقة لتدفع سبعين بلية من بلايا الدنيا مع ميتة السوء إن صاحبها لا يموت ميتة السوء أبداً مع ما يدخر لصاحبها في الآخرة.

(وصنائع المعروف فإنها تقي مصارع الهوان). وصنائع المعروف هي الأمور الطيبة التي يعملها الإنسان مع غيره كإعانته ومساعدته وتعليمه وإرشاده وهدايته إلى ما فيه منافعه ودفع السوء عنه وما فيه مضرة عليه وغيرها...

وكونها تدفع ميتة الهوان لأن النفوس بطبيعتها مجبولة على حب من أحسن إليها فتكون هذه اليد التي له عند الناس هي التي تدافع عنه وترد كل من يريد به سوءاً أو أن المصنوع لهم هذا المعروف يمطرونه بالدعاء فيدفع الله عنه بدعائهم السوء وميتة الهوان...

وقد ورد في الروايات أن صنائع المعروف تقي مصارع الهوان.

ـ ففي الرواية عن أبي جعفر عليه السلام يقول: إن[٢] صنائع المعروف تدفع مصارع السوء.

(افيضوا في ذكر الله فإنه أحسن الذكر). ذكر المحبوب محبوب وهل هناك أحب

---

(١) وسائل الشيعة كتاب الزكاة باب ١٤ من أبواب الصدقة.

(٢) الوسائل كتاب الأمر بالمعروف باب ١ من أبواب المعروف.

الخطيئة كما يطفي الماء النار.

ـ وقال الباقر عليه السلام: سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل[١] إلا ظله(إلى أن قال) ورجل تصدق بصدقة فاخفاها حتى لم تعلم يمينه ما تنفق شماله.

(**وصدقة العلانية فإنها تدفع ميتة السوء**). والصدقة بنفسها مستحبة لأنها تخرج من قلب يعيش مع الفقراء وأصحاب الحاجة ويحس هذا القلب بوشائج الرحم بين الإنسان وأخيه الإنسان.. صدقة قليلة تعبر عن عمق الشعور مع هذا الفقير وتواسيه قدر استطاعتها، إنها نفس طيبة تقدر ظروف الآخرين وتتعاون معهم بل تعاونهم قدر استطاعتها وقد ورد في الروايات الحث على الصدقة.

قال رسول الله(ص): «الصدقة تدفع ميتة السوء».

قال رسول الله(ص): إن الله لا إله إلا هو ليدفع بالصدقة الداء والدبيلة والحرق والغرق والهدم والجنون وعدّ سبعين باباً من السوء».

وعن أبي جعفر عليه السلام قال: إن الصدقة لتدفع سبعين بلية من بلايا الدنيا مع ميتة السوء إن صاحبها لا يموت ميتة السوء أبداً مع ما يدخر لصاحبها في الآخرة.

(**وصنائع المعروف فإنها تقي مصارع الهوان**). وصنائع المعروف هي الأمور الطيبة التي يعملها الإنسان مع غيره كإعانته ومساعدته وتعليمه وإرشاده وهدايته إلى ما فيه منافعه ودفع السوء عنه وما فيه مضرة عليه وغيرها...

وكونها تدفع ميتة الهوان لأن النفوس بطبيعتها مجبولة على حب من أحسن إليها فتكون هذه اليد التي له عند الناس هي التي تدافع عنه وترد كل من يريد به سوءاً أو أن المصنوع لهم هذا المعروف يمطرونه بالدعاء فيدفع الله عنه بدعائهم السوء وميتة الهوان...

وقد ورد في الروايات أن صنائع المعروف تقي مصارع الهوان.

ـ ففي الرواية عن أبي جعفر عليه السلام يقول: إن[٢] صنائع المعروف تدفع مصارع السوء.

(**افيضوا في ذكر الله فإنه أحسن الذكر**). ذكر المحبوب محبوب وهل هناك أحب

---

(١) وسائل الشيعة كتاب الزكاة باب ١٤ من أبواب الصدقة.

(٢) الوسائل كتاب الأمر بالمعروف باب ١ من أبواب المعروف.

من تحتها الأنهار أكلها دائم وظلها تلك عقبى الذين اتقو وعقبى الكافرين النار﴾. قال تعالى: ﴿وجنة عرضها السموات والأرض اعدت للمتقين﴾ [آل عمران ١٢٣]. وقال تعالى: ﴿وازلفت الجنة للمتقين غير بعيد﴾ [ق ٣١]. وقال تعالى: ﴿إن المتقين في جنات ونعيم فاكهين بما آتاهم ربهم﴾ [الطور ١٧]. وإذا كانت هذه الوعود مما يرغب فيها العقلاء وكانت صادرة عن الله الذي لا يخلف الميعاد فعلى المؤمن أن يرغب فيها ويطلبها ويبذل قصارى جهده في تحصيلها...

(وأقتدوا بهدي نبيكم فإنه أفضل الهدى). لأن رسول الله(ص) اكمل الخلق وأشرفهم فإن سلوكه أشرف السلوك في المنطق والحركة والنظرة والتصرف وقد كان أباً رحيماً يبحث عما ينفع الناس ويهديهم وكان في الدرجة العليا في السلوك بين الناس حتى نظراته كان يقسّمها بين جلسائه وزواره...

(واستنوا بسنته فإنها أهدى السنن). أمر للمسلمين أن يعملوا بسنة رسول الله لأن فيها الهدى بل لأنها أهدى من كل سنة أخرى.. وسنة النبي تتجسد في ثلاثة أمور.

الأول: قوله الصادر عنه كأمره بالصلاة والصيام وصلة الرحم وإعانة الفقير.

الثاني: في فعله فلو تصدق لعلمنا حسن ذلك وكان التصدق من الأمور المرغوبة ولو امتنع عن أمر لعلمنا عدم حسنه...

الثالث: تقريرة وهو عبارة عن سكوته عن فعل يقوم به بعض المسلمين فإنه بسكوته نستكشف جواز ذلك...

والنبي باعتباره معصوم مسدّد من قبل السماء لا يعصي ولا يخطيء فإن سيرته أهدى من كل سيرة وسنته أهدى من كل سنّة من حيث توصل صاحبها إلى الحق والعدل وتأخذ بيده إلى مرضاة الله وطاعته.. وقد أمرنا الله باتباعه وطاعته فقال تعالى: ﴿ما أتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا..﴾.

(وتعلموا القرآن فإنه أحسن الحديث). وسمى القرآن حديثاً اتباعاً لقوله تعالى: ﴿نزّل أحسن الحديث كتاباً متشابهاً﴾ وهذا ترغيب في القراءة ومحو للأمية فإن من أحسن تعـلُم القرآن قدر على قراءة ما سواه وكان هذا التعلم بداية لفهمه والعمل به...

(وتفقهوا فيه فإنه ربيع القلوب) تفهموا القرآن بعد قراءته فإنه ينعش القلوب ويحرك الجوارح ويضع الإنسان في خط الله.. فكما أن الربيع هو أجمل فصول السنة وفيه تتفتح الأزهار وتخرج من أكمامها ويكتسي الكون بحلة خضراء جميلة كذلك القرآن

من تحتها الأنهار أكلها دائم وظلها تلك عقبى الذين اتقو وعقبى الكافرين النار﴾. قال تعالى: ﴿وجنة عرضها السموات والأرض اعدت للمتقين﴾ [آل عمران ١٢٣]. وقال تعالى: ﴿وازلفت الجنة للمتقين غير بعيد﴾ [ق ٣١]. وقال تعالى: ﴿إن المتقين في جنات ونعيم فاكهين بما آتاهم ربهم﴾ [الطور ١٧]. وإذا كانت هذه الوعود مما يرغب فيها العقلاء وكانت صادرة عن الله الذي لا يخلف الميعاد فعلى المؤمن أن يرغب فيها ويطلبها ويبذل قصارى جهده في تحصيلها...

(**وأقتدوا بهدي نبيكم فإنه أفضل الهدى**). لأن رسول الله(ص) اكمل الخلق وأشرفهم فإن سلوكه أشرف السلوك في المنطق والحركة والنظرة والتصرف وقد كان أباً رحيماً يبحث عما ينفع الناس ويهديهم وكان في الدرجة العليا في السلوك بين الناس حتى نظراته كان يقسّمها بين جلسائه وزواره...

(**واستنوا بسنته فإنها أهدى السنن**). أمر للمسلمين أن يعملوا بسنة رسول الله لأن فيها الهدى بل لأنها أهدى من كل سنة أخرى.. وسنة النبي تتجسد في ثلاثة أمور.

الأول: قوله الصادر عنه كأمره بالصلاة والصيام وصلة الرحم وإعانة الفقير.

الثاني: في فعله فلو تصدق لعلمنا حسن ذلك وكان التصدق من الأمور المرغوبة ولو امتنع عن أمر لعلمنا عدم حسنه...

الثالث: تقريرة وهو عبارة عن سكوته عن فعل يقوم به بعض المسلمين فإنه بسكوته نستكشف جواز ذلك...

والنبي باعتباره معصوم مسدّد من قبل السماء لا يعصي ولا يخطيء فإن سيرته أهدى من كل سيرة وسنته أهدى من كل سنّة من حيث توصل صاحبها إلى الحق والعدل وتأخذ بيده إلى مرضاة الله وطاعته.. وقد أمرنا الله باتباعه وطاعته فقال تعالى: ﴿**ما أتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا**..﴾.

(**وتعلموا القرآن فإنه أحسن الحديث**). وسمى القرآن حديثاً اتباعاً لقوله تعالى: ﴿**نزّل أحسن الحديث كتاباً متشابهاً**﴾ وهذا ترغيب في القراءة ومحو للأمية فإن من أحسن تعـلُم القرآن قدر على قراءة ما سواه وكان هذا التعلُم بداية لفهمه والعمل به...

(**وتفقهوا فيه فإنه ربيع القلوب**) تفهموا القرآن بعد قراءته فإنه ينعش القلوب ويحرك الجوارح ويضع الإنسان في خط الله.. فكما أن الربيع هو أجمل فصول السنة وفيه تتفتح الأزهار وتخرج من أكمامها ويكتسي الكون بحلة خضراء جميلة كذلك القرآن

١ ـ عن سليم بن قيس الهلالي قال: سمعت أمير المؤمنين عليه السلام يحدث عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم إنه قال في كلام له: «العلماء رجلان: رجل عالم آخذ بعلمه فهذا ناج وعالم تارك لعلمه فهذا هالك، وإن أهل النار ليتأذون من ريح العالم التارك لعلمه وإن أشد أهل النار ندامة وحسرة رجل دعا عبداً إلى الله فاستجاب له وقبل منه فأطاع الله فأدخله الله الجنة وأدخل الداعي النار بتركه علمه واتباعه الهوى وطول الأمل، أما اتباع الهوى فيصد عن الحق وطول الأمل ينسي الآخرة».

٢ ـ وعن أبي عبد الله(ع) قال مخاطباً أحد أصحابه واسمه حفص: يا حفص يغفر الله للجاهل سبعون ذنباً قبل أن يغفر للعالم ذنب واحد.

١ ـ عن سليم بن قيس الهلالي قال: سمعت أمير المؤمنين عليه السلام يحدث عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم إنه قال في كلام له: «العلماء رجلان: رجل عالم آخذ بعلمه فهذا ناج وعالم تارك لعلمه فهذا هالك، وإن أهل النار ليتأذون من ريح العالم التارك لعلمه وإن أشد أهل النار ندامة وحسرة رجل دعا عبداً إلى الله فاستجاب له وقبل منه فأطاع الله فأدخله الله الجنة وأدخل الداعي النار بتركه علمه واتباعه الهوى وطول الأمل، أما اتباع الهوى فيصد عن الحق وطول الأمل ينسي الآخرة».

٢ ـ وعن أبي عبد الله(ع) قال مخاطباً أحد أصحابه واسمه حفص: يا حفص يغفر الله للجاهل سبعون ذنباً قبل أن يغفر للعالم ذنب واحد.

وَذِي أُبَّهَةٍ[٣١] قَدْ جَعَلَتْهُ حَقِيراً، وَذِي نَخْوَةٍ[٣٢] قَدْ رَدَّتْهُ ذَلِيلاً! سُلْطَانُهَا دُوَلٌ[٣٣]، وَعَيْشُهَا رَنِقٌ[٣٤]، وَعَذْبُهَا أُجَاجٌ[٣٥]، وَحُلْوُهَا صَبِرٌ[٣٦]، وَغِذَاؤُهَا سِمَامٌ[٣٧]، وَأَسْبَابُهَا رِمَامٌ[٣٨]! حَيُّهَا بِعَرَضِ مَوْتٍ، وَصَحِيحُهَا بِعَرَضِ سُقْمٍ[٣٩]! مُلْكُهَا مَسْلُوبٌ، وَعَزِيزُهَا مَغْلُوبٌ، وَمَوْفُورُهَا[٤٠] مَنْكُوبٌ[٤١]، وَجَارُهَا مَحْرُوبٌ[٤٢]! أَلَسْتُمْ فِي مَسَاكِنِ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ أَطْوَلَ أَعْمَاراً، وَأَبْقَى آثَاراً، وَأَبْعَدَ آمَالاً، وَأَعَدَّ عَدِيداً[٤٣]، وَأَكْثَفَ جُنُوداً! تَعَبَّدُوا لِلدُّنْيَا أَيَّ تَعَبُّدٍ، وَآثَرُوهَا أَيَّ إِيثَارٍ، ثُمَّ ظَعَنُوا[٤٤] عَنْهَا بِغَيْرِ زَادٍ مُبَلِّغٍ وَلاَ ظَهْرٍ قَاطِعٍ[٤٥]. فَهَلْ بَلَغَكُمْ أَنَّ الدُّنْيَا سَخَتْ لَهُمْ نَفْساً بِفِدْيَةٍ[٤٦]، أَو أَعَانَتْهُمْ بِمَعُونَةٍ، أَوْ أَحْسَنَتْ لَهُمْ صُحْبَةً! بَلْ أَرْهَقَتْهُمْ[٤٧] بِالقَوَادِحِ[٤٨]، وَأَوْهَقَتْهُمْ[٤٩] بِالقَوَارِعِ[٥٠]، وَضَعْضَعَتْهُمْ[٥١] بِالنَّوَائِبِ، وَعَفَّرَتْهُمْ[٥٢] لِلْمَنَاخِرِ[٥٣]، وَوَطِئَتْهُمْ بِالمَنَاسِمِ[٥٤]، وَأَعَانَتْ عَلَيْهِمْ «رَيْبَ المَنُونِ[٥٥]». فَقَدْ رَأَيْتُمْ تَنَكُّرَهَا لِمَنْ دَانَ لَهَا[٥٦]، وَآثَرَهَا وَأَخْلَدَ إِلَيْهَا[٥٧]، حِينَ ظَعَنُوا عَنْهَا لِفِرَاقِ الأَبَدِ. وَهَلْ زَوَّدَتْهُمْ إِلاَّ السَّغَبَ[٥٨]، أَوْ أَحَلَّتْهُمْ إِلاَّ الضَّنَكَ[٥٩]، أَوْ نَوَّرَتْ لَهُمْ إِلاَّ الظُّلْمَةَ، أَوْ أَعْقَبَتْهُمْ إِلاَّ النَّدَامَةَ! أَفَهذِهِ تُؤْثِرُونَ، أَمْ إِلَيْهَا تَطْمَئِنُّونَ، أَمْ عَلَيْهَا تَحْرِصُونَ؟ فَبِئْسَتِ الدَّارُ لِمَنْ لَمْ يَتَّهِمْهَا، وَلَمْ يَكُنْ فِيهَا عَلَى وَجَلٍ[٦٠] مِنْهَا! فَاعْلَمُوا ـ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ـ بِأَنَّكُمْ تَارِكُوهَا وَظَاعِنُونَ عَنْهَا، وَاتَّعِظُوا فِيهَا بِالَّذِينَ قَالُوا: «مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً»: حُمِلُوا إِلَى قُبُورِهِمْ فَلاَ يُدْعَوْنَ رُكْبَاناً، وَأُنْزِلُوا الأَجْدَاثَ[٦١] فَلاَ يُدْعَوْنَ ضِيفَاناً، وَجُعِلَ لَهُمْ مِنَ الصَّفِيحِ[٦٢] أَجْنَانٌ[٦٣]، وَمِنَ التُّرَابِ أَكْفَانٌ، وَمِنَ الرُّفَاتِ[٦٤] جِيرَانٌ، فَهُمْ جِيرَةٌ لاَ يُجِيبُونَ دَاعِياً، وَلاَ يَمْنَعُونَ ضَيْماً، وَلاَ يُبَالُونَ مَنْدَبَةً[٦٥]. إِنْ جِيدُوا[٦٦] لَمْ يَفْرَحُوا، وَإِنْ قُحِطُوا[٦٧] لَمْ يَقْنَطُوا[٦٨]. جَمِيعٌ وَهُمْ آحَادٌ،

وَذِي أُبَّهَةٍ[٣١] قَدْ جَعَلَتْهُ حَقِيراً، وَذِي نَخْوَةٍ[٣٢] قَدْ رَدَّتْهُ ذَلِيلاً! سُلْطَانُهَا دُوَلٌ[٣٣]، وَعَيْشُهَا رَنِقٌ[٣٤]، وَعَذْبُهَا أُجَاجٌ[٣٥]، وَحُلْوُهَا صَبِرٌ[٣٦]، وَغِذَاؤُهَا سِمَامٌ[٣٧]، وَأَسْبَابُهَا رِمَامٌ[٣٨]! حَيُّهَا بِعَرَضِ مَوْتٍ، وَصَحِيحُهَا بِعَرَضِ سُقْمٍ[٣٩]! مُلْكُهَا مَسْلُوبٌ، وَعَزِيزُهَا مَغْلُوبٌ، وَمَوْفُورُهَا[٤٠] مَنْكُوبٌ[٤١]، وَجَارُهَا مَحْرُوبٌ[٤٢]! أَلَسْتُمْ فِي مَسَاكِنِ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ أَطْوَلَ أَعْمَاراً، وَأَبْقَى آثَاراً، وَأَبْعَدَ آمَالاً، وَأَعَدَّ عَدِيداً[٤٣]، وَأَكْثَفَ جُنُوداً! تَعَبَّدُوا لِلدُّنْيَا أَيَّ تَعَبُّدٍ، وَآثَرُوهَا أَيَّ إِيثَارٍ، ثُمَّ ظَعَنُوا[٤٤] عَنْهَا بِغَيْرِ زَادٍ مُبَلِّغٍ وَلاَ ظَهْرٍ قَاطِعٍ[٤٥]. فَهَلْ بَلَغَكُمْ أَنَّ الدُّنْيَا سَخَتْ لَهُمْ نَفْساً بِفِدْيَةٍ[٤٦]، أَو أَعَانَتْهُمْ بِمَعُونَةٍ، أَوْ أَحْسَنَتْ لَهُمْ صُحْبَةً! بَلْ أَرْهَقَتْهُمْ[٤٧] بِالقَوَادِحِ[٤٨]، وَأَوْهَقَتْهُمْ[٤٩] بِالقَوَارِعِ[٥٠]، وَضَعْضَعَتْهُمْ[٥١] بِالنَّوَائِبِ، وَعَفَّرَتْهُمْ[٥٢] لِلْمَنَاخِرِ[٥٣]، وَوَطِئَتْهُمْ بِالمَنَاسِمِ[٥٤]، وَأَعَانَتْ عَلَيْهِمْ «رَيْبَ المَنُونِ[٥٥]». فَقَدْ رَأَيْتُمْ تَنَكُّرَهَا لِمَنْ دَانَ لَهَا[٥٦]، وَآثَرَهَا وَأَخْلَدَ إِلَيْهَا[٥٧]، حِينَ ظَعَنُوا عَنْهَا لِفِرَاقِ الأَبَدِ. وَهَلْ زَوَّدَتْهُمْ إِلاَّ السَّغَبَ[٥٨]، أَوْ أَحَلَّتْهُمْ إِلاَّ الضَّنَكَ[٥٩]، أَوْ نَوَّرَتْ لَهُمْ إِلاَّ الظُّلْمَةَ، أَوْ أَعْقَبَتْهُمْ إِلاَّ النَّدَامَةَ! أَفَهذِهِ تُؤْثِرُونَ، أَمْ إِلَيْهَا تَطْمَئِنُّونَ، أَمْ عَلَيْهَا تَحْرِصُونَ؟ فَبِئْسَتِ الدَّارُ لِمَنْ لَمْ يَتَّهِمْهَا، وَلَمْ يَكُنْ فِيهَا عَلَى وَجَلٍ[٦٠] مِنْهَا! فَاعْلَمُوا ـ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ـ بِأَنَّكُمْ تَارِكُوهَا وَظَاعِنُونَ عَنْهَا، وَاتَّعِظُوا فِيهَا بِالَّذِينَ قَالُوا: «مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً»: حُمِلُوا إِلَى قُبُورِهِمْ فَلاَ يُدْعَوْنَ رُكْبَاناً، وَأُنْزِلُوا الأَجْدَاثَ[٦١] فَلاَ يُدْعَوْنَ ضِيفَاناً، وَجُعِلَ لَهُمْ مِنَ الصَّفِيحِ[٦٢] أَجْنَانٌ[٦٣]، وَمِنَ التُّرَابِ أَكْفَانٌ، وَمِنَ الرُّفَاتِ[٦٤] جِيرَانٌ، فَهُمْ جِيرَةٌ لاَ يُجِيبُونَ دَاعِياً، وَلاَ يَمْنَعُونَ ضَيْماً، وَلاَ يُبَالُونَ مَنْدَبَةً[٦٥]. إِنْ جِيدُوا[٦٦] لَمْ يَفْرَحُوا، وَإِنْ قُحِطُوا[٦٧] لَمْ يَقْنَطُوا[٦٨]. جَمِيعٌ وَهُمْ آحَادٌ،

٢٠ ـ متنكرة : متغيرة من حال تسره إلى حال يكرهها .
٢١ ـ أعذوذب : صار عذبا .
٢٢ ـ إحلولى : صار حلواً .
٢٣ ـ أوبى : صار كثير الوباء والوباء مرض معد .
٢٤ ـ الغضارة : طيب العيش، السعة .
٢٥ ـ الرغب : بالتحريك المرغوب ورغبت في الأمر إذا أردته .
٢٦ ـ أرهقته : أغشته إياه .
٢٧ ـ النوائب : جمع نائبة النازلة والمصيبة .
٢٨ ـ القوادم : للطير هي مقدم ريش جوانحه وهي أربعة عشر ريشة .
٢٩ ـ الأزواد : جمع زاد ما يتخذ من الطعام للسفر .
٣٠ ـ يوبقه : يهلكه .
٣١ ـ الأُبهة : العظمة والكِبْر .
٣٢ ـ النخوة : بفتح النون الإفتخار .
٣٣ ـ دُوَل : بضم الدال وفتح الواو المشددة المتحول .
٣٤ ـ رنق : بفتح فكسر كدر .
٣٥ ـ الأجاج : المالح .
٣٦ ـ صبر : بكسر الباء عصارة شجر مر أو نفس الشجر .
٣٧ ـ سمام : جمع سم مثلث السين .
٣٨ ـ رمام : بكسر الراء جمع رمة بالضم وهي القطعة البالية من الحبل .
٣٩ ـ السقم : المرض .
٤٠ ـ موفورها : صاحب الوفر وهي الثروة .
٤١ ـ المنكوب : المصاب .
٤٢ ـ المحروب : المسلوب للمال .
٤٣ ـ العديد : كثير العدد .
٤٤ ـ ظعنوا : رحلوا .
٤٥ ـ الظهر القاطع : ما يركب من الدواب لقطع الطريق .
٤٦ ـ الفدية : الفداء مقدار من المال يدفع من أجل تحرير الأسرى .
٤٧ ـ أرهقتهم : غشيتهم وغطتهم .
٤٨ ـ القوادح : جمع قادح آفة تظهر في الشجر وصدوع تظهر في الأسنان .
٤٩ ـ أوهقتهم : من الوهق بفتح الهاء حبل تشد به قائمة الدابة .
٥٠ ـ القوارع : المحن والدواهي .
٥١ ـ ضعضعتهم : ذللتهم .

٢٠ ـ متنكرة : متغيرة من حال تسره إلى حال يكرهها.
٢١ ـ أعذوذب : صار عذبا.
٢٢ ـ إحلولى : صار حلواً.
٢٣ ـ أوبى : صار كثير الوباء والوباء مرض معد.
٢٤ ـ الغضارة : طيب العيش، السعة.
٢٥ ـ الرغب : بالتحريك المرغوب ورغبت في الأمر إذا أردته.
٢٦ ـ أرهقته : أغشته إياه.
٢٧ ـ النوائب : جمع نائبة النازلة والمصيبة.
٢٨ ـ القوادم : للطير هي مقدم ريش جوانحه وهي أربعة عشر ريشة.
٢٩ ـ الأزواد : جمع زاد ما يتخذ من الطعام للسفر.
٣٠ ـ يوبقه : يهلكه.
٣١ ـ الأُبهة : العظمة والكِبْر.
٣٢ ـ النخوة : بفتح النون الإفتخار.
٣٣ ـ دُوَل : بضم الدال وفتح الواو المشددة المتحول.
٣٤ ـ رنق : بفتح فكسر كدر.
٣٥ ـ الأجاج : المالح.
٣٦ ـ صبر : بكسر الباء عصارة شجر مر أو نفس الشجر.
٣٧ ـ سمام : جمع سم مثلث السين.
٣٨ ـ رمام : بكسر الراء جمع رمة بالضم وهي القطعة البالية من الحبل.
٣٩ ـ السقم : المرض.
٤٠ ـ موفورها : صاحب الوفر وهي الثروة.
٤١ ـ المنكوب : المصاب.
٤٢ ـ المحروب : المسلوب للمال.
٤٣ ـ العديد : كثير العدد.
٤٤ ـ ظعنوا : رحلوا.
٤٥ ـ الظهر القاطع : ما يركب من الدواب لقطع الطريق.
٤٦ ـ الفدية : الفداء مقدار من المال يدفع من أجل تحرير الأسرى.
٤٧ ـ أرهقتهم : غشيتهم وغطتهم.
٤٨ ـ القوادح : جمع قادح آفة تظهر في الشجر وصدوع تظهر في الأسنان.
٤٩ ـ أوهقتهم : من الوهق بفتح الهاء حبل تشد به قائمة الدابة.
٥٠ ـ القوارع : المحن والدواهي.
٥١ ـ ضعضعتهم : ذللتهم.

الثانية: «حفت بالشهوات» فالشهوات محيطة بهذه الدنيا شهوة المال والجاه والسلطان والأولاد وغيرها والقوي هو الذي يكسر هذا الستار المضروب ويطيع الله فيما أمر...

(**وتحببت بالعاجلة**). جعلت الناس يحبونها بما فيها من ملذات عاجلة ترغب فيها النفس من مأكل ومشرب وجنس فهي كالمرأة المتحببة بمالها وجمالها...

(**وراقت بالقليل**). أعجبت الناس بهذا القدر القليل الذي فيها.. فما قيمة المال فيها مقابل الآخرة وما قيمة الطعام مقابل طعام الآخرة وما قيمة القصور مقابل الجنان في الآخرة وما قيمة الخدم والحشم مقابل الولدان والخدم في الآخرة؟!.

(**وتحلت بالآمال**). تزينت لأهلها بما يؤملون منها وهي آمال باطلة غير مستقرة يؤمل الإنسان بحسب صحته أنه يعيش وكأنه مخلد فيها فيعمل بمقتضى هذا الأمل وإذا بالموت يأتيه فيرديه...

(**وتزينت بالغرور**). أظهرت زينتها بما فيها من مال وجاه ونعيم ولكنها زينة باطلة لعدم دوامها وبقائها بل هي كالظل يختفي بسرعة.

(**لا تدوم حبرتها**). لا تدوم مسراتها ولا تستقر ملذاتها وأي سرور يستقر ومن لطائف ما قرأت أن يزيد بن عبد الملك عندما أفضت إليه الخلافة قالت له زوجته: يا أمير المؤمنين هل بقي في نفسك من الدنيا شيء قال: نعم قالت: وما هو قال: حبابة ـ وهي مغنية كان يحبها قبل الخلافة ـ فاشترتها له وهو لا يعلم وزينتها وأجلستها[1] من وراء ستر لها ثم قالت: يا أمير المؤمنين هل بقي في نفسك من الدنيا شيء قال: أوما أعلمتك أنها حبابة فرفعت الستر وقالت: ها أنت وحبابة وتركته وإياها فحظيت عنده وغلبت في عقله.. وإنه قال يوماً: إن بعض الناس يقولون: إنه لن يصفو لأحد من الملوك يوم كامل من الدهر وإني أريد أن أكذبهم في ذلك ثم أقبل على لذاته واختلى مع حبابة وأمر أن يحجب عن سمعه وبصره كل ما يكره فبينما هو على تلك الحالة في صفو عيشه وزيادة فرحه وسروره إذ تناولت حبابة حبة رمان وهي تضحك فغصت بها فماتت فاختل عقل يزيد وتكدر عيشه وذهب سروره ووجد عليها وجداً شديداً...

(**ولا تؤمن فجعتها**). فمصائبها ورزاياها على أهبة الإستعداد بينما الإنسان في عرس وإذا به ينتقل إلى مأتم وبينما هو في سرور وإذا به ينتقل إلى حزن.

---

(١) حياة الحيوان الكبرى للدميري ج ١ ص ٧١.

الثانية: «حفت بالشهوات» فالشهوات محيطة بهذه الدنيا شهوة المال والجاه والسلطان والأولاد وغيرها والقوي هو الذي يكسر هذا الستار المضروب ويطيع الله فيما أمر...

(وتحببت بالعاجلة). جعلت الناس يحبونها بما فيها من ملذات عاجلة ترغب فيها النفس من مأكل ومشرب وجنس فهي كالمرأة المتحببة بمالها وجمالها...

(وراقت بالقليل). أعجبت الناس بهذا القدر القليل الذي فيها.. فما قيمة المال فيها مقابل الآخرة وما قيمة الطعام مقابل طعام الآخرة وما قيمة القصور مقابل الجنان في الآخرة وما قيمة الخدم والحشم مقابل الولدان والخدم في الآخرة؟!.

(وتحلت بالآمال). تزينت لأهلها بما يؤملون منها وهي آمال باطلة غير مستقرة يؤمل الإنسان بحسب صحته أنه يعيش وكأنه مخلد فيها فيعمل بمقتضى هذا الأمل وإذا بالموت يأتيه فيرديه...

(وتزينت بالغرور). أظهرت زينتها بما فيها من مال وجاه ونعيم ولكنها زينة باطلة لعدم دوامها وبقائها بل هي كالظل يختفي بسرعة.

(لا تدوم حبرتها). لا تدوم مسراتها ولا تستقر ملذاتها وأي سرور يستقر ومن لطائف ما قرأت أن يزيد بن عبد الملك عندما أفضت إليه الخلافة قالت له زوجته: يا أمير المؤمنين هل بقي في نفسك من الدنيا شيء قال: نعم قالت: وما هو قال: حبابة ـ وهي مغنية كان يحبها قبل الخلافة ـ فاشترتها له وهو لا يعلم وزينتها وأجلستها[1] من وراء ستر لها ثم قالت: يا أمير المؤمنين هل بقي في نفسك من الدنيا شيء قال: أوما أعلمتك أنها حبابة فرفعت الستر وقالت: ها أنت وحبابة وتركته وإياها فحظيت عنده وغلبت في عقله.. وإنه قال يوماً: إن بعض الناس يقولون: إنه لن يصفو لأحد من الملوك يوم كامل من الدهر وإني أريد أن أكذبهم في ذلك ثم أقبل على لذاته واختلى مع حبابة وأمر أن يحجب عن سمعه وبصره كل ما يكره فبينما هو على تلك الحالة في صفو عيشه وزيادة فرحه وسروره إذ تناولت حبابة حبة رمان وهي تضحك فغصت بها فماتت فاختل عقل يزيد وتكدر عيشه وذهب سروره ووجد عليها وجداً شديداً...

(ولا تؤمن فجعتها). فمصائبها ورزاياها على أهبة الإستعداد بينما الإنسان في عرس وإذا به ينتقل إلى مأتم وبينما هو في سرور وإذا به ينتقل إلى حزن.

---

(١) حياة الحيوان الكبرى للدميري ج ١ ص ٧١.

الرغيد والسعة والجاه إلا وأعقبت ذلك ضيقاً وغماً ومطاردة وعبّر عن الخير الذي يصيبه من الدنيا بالمطر الخفيف القليل ومقابل ذلك سقوط الشدة والبلاء عليه بالغيوم ذي الأمطار الكثيرة. . .

(وحرّي إذا أصبحت له منتصرة أن تمسي له متنكرة). وجدير بها وهو ان طبعها أنها إذا انتصرت لإنسان وأعزته ورفعت مقامه صباحاً أن تهزمه في آخر النهار وتتغير عليه وكم من نجاح باهر وفرته له الحياة صباحاً لم يأت المساء إلا وأعقبته هزيمة مرة وغصّة مؤلمة. . .

(وإن جانب منها إعذوذب وإحلولى أمّر منها جانب فأوبى). إذا صفت من جانب الصحة وتمتع بها فإنها من جانب المادة والمال يذوق حرارة الحاجة والفقر. . ، وإن صفت من جانب الأولاد فكانوا صالحين تعكرت من جهة الجيران والخلان فكانوا متهتكين غير ملتزمين. . .

(لا ينال امرؤ من غضارتها رغباً إلا أرهقته من نوائبها تعباً). لم ينل الإنسان من نعيمها ما يرغب فيه ويريده إلا حملته وأغشته من نوائبها ومصائبها التعب والمشقة. . .

(ولا يمسي منها في جناح أمن إلا أصبح على قوادم خوف). بينما هو مساء في أمن ودعة إذ به يصبح في معرض الخوف والفزع إشارة لكثرة تقلبها وسرعته وتعبيره بجناح أمن لما في الجناح من العز والأمن بينما القوادم وهي ريش مقدم الجناح لأنها دقيقة والراكب عليها في معرض الخطر أتى به.

(غرارة غرور ما فيها فانية فان من عليها). إنها تغر الإنسان كثيراً يراها كل أمنيته وغاية نظره لأنها تزينت له ولبست أجمل حللها فغرته وكذلك كل ما فيها من جمال ومال وشباب وأولاد وزينة كلها تغر هذا الإنسان وتدفعه إلى حبها والسير ورائها ظناً منه أنها تبقى له ويدوم لها ولكنها فانية ويفنى من عليها ولا يبقى أحد سوى وجه الله العزيز القهار. . .

(لا خير في شيء من أزوادها إلا التقوى). نفي لكل زاد يتصور الإنسان أنه يتزود منه في الدنيا إلا زاد التقوى. . فالمال لا يبقى والجاه يزول والأولاد يموتون والسلطان ينقضي نعم لا يبقى ولا يفيد الإنسان وينفعه إلا التقوى المتجسدة بالقيام بالواجبات الشرعية وترك المحرمات الإلهية. . .

(من أقلّ منها استكثر مما يؤمنه ومن استكثر منها استكثر مما يوبقه وزال عما قليل عنه). هذه معادلة مغايرة لما عند الناس، إنها معادلة تنسف ما تسالم عليه الناس

الرغيد والسعة والجاه إلا وأعقبت ذلك ضيقاً وغماً ومطاردة وعبّر عن الخير الذي يصيبه من الدنيا بالمطر الخفيف القليل ومقابل ذلك سقوط الشدة والبلاء عليه بالغيوم ذي الأمطار الكثيرة. . .

(**وحرّي إذا أصبحت له منتصرة أن تمسي له متنكرة**). وجدير بها وهو ان طبعها أنها إذا انتصرت لإنسان وأعزته ورفعت مقامه صباحاً أن تهزمه في آخر النهار وتتغير عليه وكم من نجاح باهر وفرته له الحياة صباحاً لم يأت المساء إلا وأعقبته هزيمة مرة وغصّة مؤلمة. . .

(**وإن جانب منها إعذوذب وإحلولى أمّر منها جانب فأوبى**). إذا صفت من جانب الصحة وتمتع بها فإنها من جانب المادة والمال يذوق حرارة الحاجة والفقر. . ، وإن صفت من جانب الأولاد فكانوا صالحين تعكرت من جهة الجيران والخلان فكانوا متهتكين غير ملتزمين. . .

(**لا ينال امرؤ من غضارتها رغباً إلا أرهقته من نوائبها تعباً**). لم ينل الإنسان من نعيمها ما يرغب فيه ويريده إلا حملته وأغشته من نوائبها ومصائبها التعب والمشقة. . .

(**ولا يمسي منها في جناح أمن إلا أصبح على قوادم خوف**). بينما هو مساء في أمن ودعة إذ به يصبح في معرض الخوف والفزع إشارة لكثرة تقلبها وسرعته وتعبيره بجناح أمن لما في الجناح من العز والأمن بينما القوادم وهي ريش مقدم الجناح لأنها دقيقة والراكب عليها في معرض الخطر أتى به.

(**غرارة غرور ما فيها فانية فان من عليها**). إنها تغر الإنسان كثيراً يراها كل أمنيته وغاية نظره لأنها تزينت له ولبست أجمل حللها فغرته وكذلك كل ما فيها من جمال ومال وشباب وأولاد وزينة كلها تغر هذا الإنسان وتدفعه إلى حبها والسير ورائها ظناً منه أنها تبقى له ويدوم لها ولكنها فانية ويفنى من عليها ولا يبقى أحد سوى وجه الله العزيز القهار. . .

(**لا خير في شيء من أزوادها إلا التقوى**). نفي لكل زاد يتصور الإنسان أنه يتزود منه في الدنيا إلا زاد التقوى. . فالمال لا يبقى والجاه يزول والأولاد يموتون والسلطان ينقضي نعم لا يبقى ولا يفيد الإنسان وينفعه إلا التقوى المتجسدة بالقيام بالواجبات الشرعية وترك المحرمات الإلهية. . .

(**من أقلّ منها استكثر مما يؤمنه ومن استكثر منها استكثر مما يوبقه وزال عما قليل عنه**). هذه معادلة مغايرة لما عند الناس، إنها معادلة تنسف ما تسالم عليه الناس

قال تعالى: ﴿**لن تغني عنهم أموالهم ولا أولادهم من الله شيئاً**﴾ هذا إذا لم يكونوا صالحين أتقياء...

(**حيها بعرض موت وصحيحها بعرض سقم**). هذا الحي الذي يتحرك ويملأ الدنيا بنظرياته ويشغل العالم بما يعمل ويفكر إنه سيموت، بل يحمل موته في طيات حياته وكل يوم يمر عليه يقترب فيه من آخرته...

وهذا السليم الصحيح في معرض المرض والشيخوخة مرض العقل والجسد.. هذا المعافى تقعده جرثومة صغيرة لا ترى بالعين المجردة... إنه يحمل سقمه في عافيته...

(**ملكها مسلوب**). كل ما تملكه ستتخلى عنه إما تنتزعه منك الأيام بنكباتها ومصائبها وإما ستتخلى عنه للوراث وعلى كل حال لن يدوم لك ولن تدوم مالكاً له.

(**وعزيزها مغلوب**). هذا العزيز الذي كان يحمي ساحته ويدفع عن كرامته فهو أمام الموت مغلوب مقهور.

(**وموفورها منكوب**). صاحب المال الكثير مصاب بماله إما ينكبه الدهر بأن يصاب بالفلس والعوز بعد الغنى كما نشاهد في بعض الناس وإما يُنكب بنفسه فيتخلى عما يملك لغيره...

(**وجارها محروب**). أي جار الدنيا مسلوب منه ما يملك لأنها لا تحفظ الجوار ولا ترعى حق الدار...

(**ألستم في مساكن من كان قبلكم أطول أعماراً وأبقى آثاراً وأبعد آمالاً وأعد عديداً وأكثف جنوداً**). استفهام استنكاري لهؤلاء الذين يعيشون معه أن يكون مثلهم كمثل من تقدمهم ولم يعتبروا بهم ولم يأخذوا الدروس مما مرّ عليهم.

ذكّرهم ببعض خصائص من مضى ومع ذلك لم تنفعهم تلك الذكرى فلقد كان من قبلهم أطول أعماراً والقرآن يحكي عمر نوح ومدة إقامته في قومه بقوله: ﴿**فلبث فيهم ألف سنة إلا خمسين عاماً**﴾[1]. وقد كانوا أبقى آثاراً وتلك الشواهد أمامنا كأهرامات مصر وقلعة بعلبك وغيرهما...

وكانوا أبعد أمالاً لأن طول العمر يستدعي طول الأمل كما هو الغالب.

---

(١) سورة العنكبوت آية/ ١٤.

قال تعالى: ﴿**لن تغني عنهم أموالهم ولا أولادهم من الله شيئاً**﴾ هذا إذا لم يكونوا صالحين أتقياء...

(**حيها بعرض موت وصحيحها بعرض سقم**). هذا الحي الذي يتحرك ويملأ الدنيا بنظرياته ويشغل العالم بما يعمل ويفكر إنه سيموت، بل يحمل موته في طيات حياته وكل يوم يمر عليه يقترب فيه من آخرته...

وهذا السليم الصحيح في معرض المرض والشيخوخة مرض العقل والجسد.. هذا المعافى تقعده جرثومة صغيرة لا ترى بالعين المجردة... إنه يحمل سقمه في عافيته...

(**ملكها مسلوب**). كل ما تملكه ستتخلى عنه إما تنتزعه منك الأيام بنكباتها ومصائبها وإما ستتخلى عنه للوراث وعلى كل حال لن يدوم لك ولن تدوم مالكاً له.

(**وعزيزها مغلوب**). هذا العزيز الذي كان يحمي ساحته ويدفع عن كرامته فهو أمام الموت مغلوب مقهور.

(**وموفورها منكوب**). صاحب المال الكثير مصاب بماله إما ينكبه الدهر بأن يصاب بالفلس والعوز بعد الغنى كما نشاهد في بعض الناس وإما يُنكب بنفسه فيتخلى عما يملك لغيره...

(**وجارها محروب**). أي جار الدنيا مسلوب منه ما يملك لأنها لا تحفظ الجوار ولا ترعى حق الدار...

(**ألستم في مساكن من كان قبلكم أطول أعماراً وأبقى آثاراً وأبعد آمالاً وأعد عديداً وأكثف جنوداً**). استفهام استنكاري لهؤلاء الذين يعيشون معه أن يكون مثلهم كمثل من تقدمهم ولم يعتبروا بهم ولم يأخذوا الدروس مما مرّ عليهم.

ذكّرهم ببعض خصائص من مضى ومع ذلك لم تنفعهم تلك الذكرى فلقد كان من قبلهم أطول أعماراً والقرآن يحكي عمر نوح ومدة إقامته في قومه بقوله: ﴿**فلبث فيهم ألف سنة إلا خمسين عاماً**﴾[1]. وقد كانوا أبقى آثاراً وتلك الشواهد أمامنا كأهرامات مصر وقلعة بعلبك وغيرهما...

وكانوا أبعد آمالاً لأن طول العمر يستدعي طول الأمل كما هو الغالب.

---

(١) سورة العنكبوت آية/ ١٤.

ومرغتهم بالتراب حتى أنوفهم أي أذلتهم إلى منتهى الذل . . .

(ووطئتهم بالمناسم وأعانت عليهم ريب المنون). داستهم بأخفافها وأعانت عليهم حوادث الدهر ومصائبه.

(فقد رأيتم تنكرها لمن دان لها وآثرها وأخلد إليها حين ظعنوا عنها لفراق الأبد). فمن ذل لها وأطاعها واستسلم لحكمها وقدمها على الآخرة تنكرت له وأدبرت عنه وتغيرت عليه وكأنها لا تعرفه ولم تتعرف عليه فقد تغيرت عليهم حينما رحلوا عنها إلى الآخرة وفارقوها إلى اللالقاء . . .

(وهل زودتهم إلا السغب أو أحلتهم إلا الضنك). إنها لم تزودهم إلا بالجوع فهي لم تنفعهم بشيء وإنما حرمتهم التقوى التي هي خير الزاد حيث غفلوا عنها بوعود الدنيا الكاذبة ولم تنزلهم إلا في ضيق القبور والحال أنهم بحاجة إلى كل فسحة ترتاح لها النفوس . . .

(أو نورت لهم إلا الظلمة أو أعقبتهم إلا الندامة). جعلت لهم الظلمة تحل محل النور ولم يحصلوا في النهاية إلا على الحسرة والندم على ما اعتمدوا عليه منها . . .

(أفهذه تؤثرون أم إليها تطمئنون أم عليها تحرصون). بعد أن بيّن معايب الدنيا وأفعالها وما جنته على من أحبها وآثرها أنكر عليهم بصيغة الإستفهام لتكون أقوى وأقرب للقبول . . أفهل هذه الدنيا هي التي تقدمونها على الآخرة وهي التي تسكنون إليها وتتمسكون بها ولا تقبلون عنها بدلاً وعنها متحولا.

(فبئست الدار لمن لم يتهمها ولم يكن فيها على وجل منها). إنها دار شؤم وتعاسة لمن اطمأن إليها ووثق بها وهي كذلك لمن لم يخف منها ويحسب لها ألف حساب وحساب لأنها ستورديه وتقتله وتوصله إلى النار . . .

أما من أتهمها بمعاداته وإضلاله والانحراف به وخاف منها ومن غوائلها فهذه نعم الدار لأنه يتخذها طريقاً إلى الآخرة ويعمل فيها لسعادته الدائمة . . .

(فاعلموا ـ وأنتم تعلمون ـ بأنكم تاركوها وظاعنون عنها). اعلموا وأنتم على معرفة وعلم بما أقول، أقول لكم: إنكم تاركوها لغيركم وراحلون عنها إلى الدار الآخرة وإذا علم الإنسان بذلك لا يأسف على ما يتركه(بل يأخذ بالاستعداد لما يقدم عليه . . .

(واتعظوا فيها بالذين قالوا: ﴿من أشد منا قوة﴾ حملوا إلى قبورهم فلا يدعون ركباناً وانزلوا الأجداث فلا يدعون ضيفاناً). لفت أنظارهم إلى من تقدم قبلهم ليعتبروا

ومرغتهم بالتراب حتى أنوفهم أي أذلتهم إلى منتهى الذل. . .

(ووطئتهم بالمناسم وأعانت عليهم ريب المنون). داستهم بأخفافها وأعانت عليهم حوادث الدهر ومصائبه.

(فقد رأيتم تنكرها لمن دان لها وآثرها وأخلد إليها حين ظعنوا عنها لفراق الأبد). فمن ذل لها وأطاعها واستسلم لحكمها وقدمها على الآخرة تنكرت له وأدبرت عنه وتغيرت عليه وكأنها لا تعرفه ولم تتعرف عليه فقد تغيرت عليهم حينما رحلوا عنها إلى الآخرة وفارقوها إلى اللالقاء. . .

(وهل زودتهم إلا السغب أو أحلتهم إلا الضنك). إنها لم تزودهم إلا بالجوع فهي لم تنفعهم بشيء وإنما حرمتهم التقوى التي هي خير الزاد حيث غفلوا عنها بوعود الدنيا الكاذبة ولم تنزلهم إلا في ضيق القبور والحال أنهم بحاجة إلى كل فسحة ترتاح لها النفوس. . .

(أو نورت لهم إلا الظلمة أو أعقبتهم إلا الندامة). جعلت لهم الظلمة تحل محل النور ولم يحصلوا في النهاية إلا على الحسرة والندم على ما اعتمدوا عليه منها. . .

(أفهذه تؤثرون أم إليها تطمئنون أم عليها تحرصون). بعد أن بيّن معايب الدنيا وأفعالها وما جنته على من أحبها وآثرها أنكر عليهم بصيغة الإستفهام لتكون أقوى وأقرب للقبول. . أفهل هذه الدنيا هي التي تقدمونها على الآخرة وهي التي تسكنون إليها وتتمسكون بها ولا تقبلون عنها بدلاً وعنها متحولا.

(فبئست الدار لمن لم يتهمها ولم يكن فيها على وجل منها). إنها دار شؤم وتعاسة لمن اطمأن إليها ووثق بها وهي كذلك لمن لم يخف منها ويحسب لها ألف حساب وحساب لأنها ستورديه وتقتله وتوصله إلى النار. . .

أما من أتهمها بمعاداته وإضلاله والانحراف به وخاف منها ومن غوائلها فهذه نعم الدار لأنه يتخذها طريقاً إلى الآخرة ويعمل فيها لسعادته الدائمة. . .

(فاعلموا ـ وأنتم تعلمون ـ بأنكم تاركوها وظاعنون عنها). اعلموا وأنتم على معرفة وعلم بما أقول، أقول لكم: إنكم تاركوها لغيركم وراحلون عنها إلى الدار الآخرة وإذا علم الإنسان بذلك لا يأسف على ما يتركه(بل يأخذ بالاستعداد لما يقدم عليه. . .

(واتعظوا فيها بالذين قالوا: ﴿من أشد منا قوة﴾ حملوا إلى قبورهم فلا يدعون ركباناً وانزلوا الأجداث فلا يدعون ضيفاناً). لفت أنظارهم إلى من تقدم قبلهم ليعتبروا

هـ ـ إن أمطروا وأخصبت الأرض لم يفرحوا وإن أجدبت الأرض ومنعت السماء خيرها لم يدب اليأس إلى قلوبهم كما هو شأن الأحياء الذين يتغيرون بتغير الأحوال والظروف. . .

و ـ إنهم في حال اجتماعهم على صعيد واحد في مقبرة واحدة لكنهم منفردون كل واحد مستقل عن الآخر منفرد عنه.

ز ـ مع كونهم جيران متقاربون في السكن والمكان ولكنهم متباعدون عن بعضهم لأن الإتصال بينهم منقطع والعلاقات غير موصولة.

ح ـ إنهم على قرب ديارهم من بعضها ليست بينهم زيارات كما هي عادة الأحياء.

ط ـ إنهم بالرغم من قرب بعضهم لبعض لا يقترب أحد من أحد فهذه الأشبار التي تفصلهم عن بعضهم لا تحد ولا تعد ولا يقدر أحد على قطع مسافاتها. . .

ي ـ وصفهم بالحلماء الذين ماتت أحقادهم تنزيلاً لهم هذه المنزلة وإن كانوا أمواتاً لفقد الموضوع من أصله وكذلك نزلهم منزلة الجهلاء من حيث إن أحقادهم قد ماتت بموتهم.

ك ـ باعتبار أنهم فقدوا الحياة فلا يخاف منهم ضرر يصل إليك كما أنك لا ترجو منهم دفعاً عنك لأمر تكرهه أو دفاعاً عنك في موقف. . .

(استبدلوا بظهر الأرض بطناً وبالسعة ضيقاً). كانوا يعيشون على ظهر الأرض يتحركون فيها كانت لهم بساطاً مريحاً فتحولوا عنها إلى باطنها إلى قبر في أحشاء الأرض تدوسه الأقدام وتسفي عليه الرياح التراب. . .

ووجه الأرض بكل سعتها كانت لهذا الميت يتحرك فيها أين يشاء وفي أي زمان يشاء فاستبدل ذلك كله بضيق القبر ومساحته الصغيرة.

(وبالأهل غربة وبالنور ظلمة). استبدلوا عن الأهل والعشيرة غربة القبر فانفردوا فيه وتخلت عنهم معارفهم ومن لهم بهم صلة. . .

كما أنهم استبدلوا ما كانوا يتمتعون به من نور النهار أو نور السراج ظلمة القبر ووحشته.

(فجاؤوها كما فارقوها، حفاة عراة قد ظعنوا عنها بأعمالهم إلى الحياة الدائمة والدار الباقية كما قال سبحانه وتعالى: ﴿كما بدأنا أول خلق نعيده وعداً علينا إنا كنا

هـ ـ إن أمطروا وأخصبت الأرض لم يفرحوا وإن أجدبت الأرض ومنعت السماء خيرها لم يدب اليأس إلى قلوبهم كما هو شأن الأحياء الذين يتغيرون بتغير الأحوال والظروف. . .

و ـ إنهم في حال اجتماعهم على صعيد واحد في مقبرة واحدة لكنهم منفردون كل واحد مستقل عن الآخر منفرد عنه.

ز ـ مع كونهم جيران متقاربون في السكن والمكان ولكنهم متباعدون عن بعضهم لأن الإتصال بينهم منقطع والعلاقات غير موصولة.

ح ـ إنهم على قرب ديارهم من بعضها ليست بينهم زيارات كما هي عادة الأحياء.

ط ـ إنهم بالرغم من قرب بعضهم لبعض لا يقترب أحد من أحد فهذه الأشبار التي تفصلهم عن بعضهم لا تحد ولا تعد ولا يقدر أحد على قطع مسافاتها. . .

ي ـ وصفهم بالحلماء الذين ماتت أحقادهم تنزيلاً لهم هذه المنزلة وإن كانوا أمواتاً لفقد الموضوع من أصله وكذلك نزلهم منزلة الجهلاء من حيث إن أحقادهم قد ماتت بموتهم.

ك ـ باعتبار أنهم فقدوا الحياة فلا يخاف منهم ضرر يصل إليك كما أنك لا ترجو منهم دفعاً عنك لأمر تكرهه أو دفاعاً عنك في موقف. . .

(استبدلوا بظهر الأرض بطناً وبالسعة ضيقاً). كانوا يعيشون على ظهر الأرض يتحركون فيها كانت لهم بساطاً مريحاً فتحولوا عنها إلى باطنها إلى قبر في أحشاء الأرض تدوسه الأقدام وتسفي عليه الرياح التراب. . .

ووجه الأرض بكل سعتها كانت لهذا الميت يتحرك فيها أين يشاء وفي أي زمان يشاء فاستبدل ذلك كله بضيق القبر ومساحته الصغيرة.

(وبالأهل غربة وبالنور ظلمة). استبدلوا عن الأهل والعشيرة غربة القبر فانفردوا فيه وتخلت عنهم معارفهم ومن لهم بهم صلة. . .

كما أنهم استبدلوا ما كانوا يتمتعون به من نور النهار أو نور السراج ظلمة القبر ووحشته.

(فجاؤوها كما فارقوها، حفاة عراة قد ظعنوا عنها بأعمالهم إلى الحياة الدائمة والدار الباقية كما قال سبحانه وتعالى: ﴿كما بدأنا أول خلق نعيده وعداً علينا إنا كنا

١١٢ ـ ومن خطبة له عليه السلام

ذكر فيها ملك الموت وتوفية النفس وعجز الخلق عن وصف الله

هَلْ تُحِسُّ بِهِ إِذَا دَخَلَ مَنْزِلاً؟ أَمْ هَلْ تُرَاهُ إِذَا تَوَفَّى[١] أَحَداً؟ بَلْ كَيْفَ يَتَوَفَّى الجَنِينَ[٢] فِي بَطْنِ أُمِّهِ! أَيَلِجُ[٣] عَلَيْهِ مِنْ بَعْضِ جَوَارِحِهَا[٤] أَمْ الرُّوحُ أَجَابَتْهُ بِإِذْنِ رَبِّهَا؟ أَمْ هُوَ سَاكِنٌ مَعَهُ فِي أَحْشَائِهَا[٥]؟ كَيْفَ يَصِفُ إِلهَهُ مَنْ يَعْجَزُ عَنْ صِفَةِ مَخْلُوقٍ مِثْلِهِ!.

اللغة

١ ـ التوفي : الإماتة وقبض الأرواح.
٢ ـ الجنين : الولد في بطن أمه.
٣ ـ ولج : دخل.
٤ ـ الجوارح : الأعضاء.
٥ ـ الأحشاء : ما في البطن من الأمعاء وغيرها.

الشرح

(هل تحس به إذا دخل منزلاً؟ أم هل تراه إذا توفى أحداً، بل كيف يتوفى الجنين في بطن أمه أيلج عليه من بعض جوارحها أم الروح أجابته بإذن ربها، أم هو ساكن معه في أحشائها، كيف يصف إلهه من يعجز عن صفة مخلوق مثله). قالوا: إن هذا الكلام منه عليه السلام ملتقط من جملة كلام له كان قد خطب به في معرض توحيد الله وتنزيهه عن

١١٢ ـ ومن خطبة له عليه السلام

ذكر فيها ملك الموت وتوفية النفس وعجز الخلق عن وصف الله

هَلْ تُحِسُّ بِهِ إِذَا دَخَلَ مَنْزِلاً؟ أَمْ هَلْ تُرَاهُ إِذَا تَوَفَّى[١] أَحَداً؟ بَلْ كَيْفَ يَتَوَفَّى الجَنِينَ[٢] فِي بَطْنِ أُمِّهِ! أَيَلِجُ[٣] عَلَيْهِ مِنْ بَعْضِ جَوَارِحِهَا[٤] أَمْ الرُّوحُ أَجَابَتْهُ بِإِذْنِ رَبِّهَا؟ أَمْ هُوَ سَاكِنٌ مَعَهُ فِي أَحْشَائِهَا[٥]؟ كَيْفَ يَصِفُ إِلَهَهُ مَنْ يَعْجَزُ عَنْ صِفَةِ مَخْلُوقٍ مِثْلِهِ!.

اللغة

١ ـ التوفي : الإماتة وقبض الأرواح.
٢ ـ الجنين : الولد في بطن أمه.
٣ ـ ولج : دخل.
٤ ـ الجوارح : الأعضاء.
٥ ـ الأحشاء : ما في البطن من الأمعاء وغيرها.

الشرح

(هل تحس به إذا دخل منزلاً؟ أم هل تراه إذا توفى أحداً، بل كيف يتوفى الجنين في بطن أمه أيلج عليه من بعض جوارحها أم الروح أجابته بإذن ربها، أم هو ساكن معه في أحشائها، كيف يصف إلهه من يعجز عن صفة مخلوق مثله). قالوا: إن هذا الكلام منه عليه السلام ملتقط من جملة كلام له كان قد خطب به في معرض توحيد الله وتنزيهه عن

١١٣ ـ ومن خطبة له عليه السلام

في ذم الدنيا

وَأُحَذِّرُكُمُ الدُّنْيَا فَإِنَّهَا مَنْزِلُ قُلْعَةٍ[١]، وَلَيْسَتْ بِدَارِ نُجْعَةٍ[٢]. قَدْ تَزَيَّنَتْ بِغُرُورِهَا، وَغَرَّتْ بِزِينَتِهَا. دَارٌ هَانَتْ[٣] عَلَى رَبِّهَا، فَخَلَطَ حَلاَلَهَا بِحَرَامِهَا، وَخَيْرَهَا بِشَرِّهَا، وَحَيَاتَهَا بِمَوْتِهَا، وَحُلْوَهَا بِمُرِّهَا. لَمْ يُصْفِهَا اللهُ تَعَالَى لأَوْلِيَائِهِ، وَلَمْ يَضِنَّ[٤] بِهَا عَلَى أَعْدَائِهِ. خَيْرُهَا زَهِيدٌ[٥] وَشَرُّهَا عَتِيدٌ[٦]. وَجَمْعُهَا يَنْفَدُ[٧]، وَمُلْكُهَا يُسْلَبُ، وَعَامِرُهَا يَخْرَبُ. فَمَا خَيْرُ دَارٍ تُنْقَضُ نَقْضَ[٨] البِنَاءِ، وَعُمُرٍ يَفْنَى فِيهَا فَنَاءَ الزَّادِ، وَمُدَّةٍ تَنْقَطِعُ انْقِطَاعَ السَّيْرِ! اجْعَلُوا مَا افْتَرَضَ اللهُ عَلَيْكُمْ مِنْ طَلَبِكُمْ، وَاسْأَلُوهُ مِنْ أَدَاءِ حَقِّهِ مَا سَأَلَكُمْ.

وَأَسْمِعُوا دَعْوَةَ المَوْتِ آذَانَكُمْ قَبْلَ أَنْ يُدْعَى بِكُمْ. إِنَّ الزَّاهِدِينَ فِي الدُّنْيَا تَبْكِي قُلُوبُهُمْ وَإِنْ ضَحِكُوا، وَيَشْتَدُّ حُزْنُهُمْ وَإِنْ فَرِحُوا، وَيَكْثُرُ مَقْتُهُمْ[٩] أَنْفُسَهُمْ وَإِنِ اغْتَبَطُوا[١٠] بِمَا رُزِقُوا. قَدْ غَابَ عَنْ قُلُوبِكُمْ ذِكْرُ الآجَالِ[١١]، وَحَضَرَتْكُمْ كَوَاذِبُ الآمَالِ، فَصَارَتِ الدُّنْيَا أَمْلَكَ بِكُمْ مِنَ الآخِرَةِ، وَالعَاجِلَةُ أَذْهَبَ بِكُمْ مِنَ الآجِلَةِ، وَإِنَّمَا أَنْتُمْ إِخْوَانٌ عَلَى دِينِ اللهِ، مَا فَرَّقَ بَيْنَكُمْ إِلاَّ خُبْثُ السَّرَائِرِ، وَسُوءُ الضَّمَائِرِ. فَلاَ تَوَازَرُونَ[١٢] وَلاَ تَنَاصَحُونَ، وَلاَ تَبَاذَلُونَ[١٣] وَلاَ تَوَادُّونَ[١٤]. مَا بَالُكُمْ تَفْرَحُونَ بِاليَسِيرِ مِنَ الدُّنْيَا تُدْرِكُونَهُ، وَلاَ يَحْزُنُكُمُ الكَثِيرُ مِنَ الآخِرَةِ تُحْرَمُونَهُ! وَيُقْلِقُكُمُ[١٥] اليَسِيرُ مِنَ الدُّنْيَا يَفُوتُكُمْ، حَتَّى يَتَبَيَّنَ ذلِكَ فِي وُجُوهِكُمْ، وَقِلَّةِ صَبْرِكُمْ عَمَّا زُوِيَ[١٦] مِنْهَا

١١٣ ـ ومن خطبة له عليه السلام

في ذم الدنيا

وَأُحَذِّرُكُمُ الدُّنْيَا فَإِنَّهَا مَنْزِلُ قُلْعَةٍ[١]، وَلَيْسَتْ بِدَارِ نُجْعَةٍ[٢]. قَدْ تَزَيَّنَتْ بِغُرُورِهَا، وَغَرَّتْ بِزِينَتِهَا. دَارٌ هَانَتْ[٣] عَلَى رَبِّهَا، فَخَلَطَ حَلاَلَهَا بِحَرَامِهَا، وَخَيْرَهَا بِشَرِّهَا، وَحَيَاتَهَا بِمَوْتِهَا، وَحُلْوَهَا بِمُرِّهَا. لَمْ يُصْفِهَا اللهُ تَعَالَى لأَوْلِيَائِهِ، وَلَمْ يَضِنَّ[٤] بِهَا عَلَى أَعْدَائِهِ. خَيْرُهَا زَهِيدٌ[٥] وَشَرُّهَا عَتِيدٌ[٦]. وَجَمْعُهَا يَنْفَدُ[٧]، وَمُلْكُهَا يُسْلَبُ، وَعَامِرُهَا يَخْرَبُ. فَمَا خَيْرُ دَارٍ تُنْقَضُ نَقْضَ[٨] البِنَاءِ، وَعُمُرٍ يَفْنَى فِيهَا فَنَاءَ الزَّادِ، وَمُدَّةٍ تَنْقَطِعُ انْقِطَاعَ السَّيْرِ! اجْعَلُوا مَا افْتَرَضَ اللهُ عَلَيْكُمْ مِنْ طَلَبِكُمْ، وَاسْأَلُوهُ مِنْ أَدَاءِ حَقِّهِ مَا سَأَلَكُمْ.

وَأَسْمِعُوا دَعْوَةَ المَوْتِ آذانَكُمْ قَبْلَ أَنْ يُدْعَى بِكُمْ. إِنَّ الزَّاهِدِينَ فِي الدُّنْيَا تَبْكِي قُلُوبُهُمْ وَإِنْ ضَحِكُوا، وَيَشْتَدُّ حُزْنُهُمْ وَإِنْ فَرِحُوا، وَيَكْثُرُ مَقْتُهُمْ[٩] أَنْفُسَهُمْ وَإِنِ اغْتَبَطُوا[١٠] بِمَا رُزِقُوا. قَدْ غَابَ عَنْ قُلُوبِكُمْ ذِكْرُ الآجَالِ[١١]، وَحَضَرَتْكُمْ كَوَاذِبُ الآمَالِ، فَصَارَتِ الدُّنْيَا أَمْلَكَ بِكُمْ مِنَ الآخِرَةِ، وَالعَاجِلَةُ أَذْهَبَ بِكُمْ مِنَ الآجِلَةِ، وَإِنَّمَا أَنْتُمْ إِخْوَانٌ عَلَى دِينِ اللهِ، مَا فَرَّقَ بَيْنَكُمْ إِلاَّ خُبْثُ السَّرَائِرِ، وَسُوءُ الضَّمَائِرِ. فَلاَ تَوَازَرُونَ[١٢] وَلاَ تَنَاصَحُونَ، وَلاَ تَبَاذَلُونَ[١٣] وَلاَ تَوَادُّونَ[١٤]. مَا بَالُكُمْ تَفْرَحُونَ بِاليَسِيرِ مِنَ الدُّنْيَا تُدْرِكُونَهُ، وَلاَ يَحْزُنُكُمُ الكَثِيرُ مِنَ الآخِرَةِ تُحْرَمُونَهُ! وَيُقْلِقُكُمُ[١٥] اليَسِيرُ مِنَ الدُّنْيَا يَفُوتُكُمْ، حَتَّى يَتَبَيَّنَ ذلِكَ فِي وُجُوهِكُمْ، وَقِلَّةِ صَبْرِكُمْ عَمَّا زُوِيَ[١٦] مِنْهَا

حبالها ورفضها ورفض ما يتعلق بها وقد بذل قصارى جهده في سبيل أن يدفع الناس عنها والتوجه بهم نحو الآخرة وهذه الخطبة الشريفة إحدى تلك العينات من كلامه فقد حذّر الناس منها وبيّن أنها دار لا يستقر فيها المقيم بل دائماً على جناح سفر وهذه قائمة الأجداد والأحباب لم يبق منهم فيها أحد قد خرجوا منها وسنخرج نحن أيضاً كما خرجوا فهي ليست دار إقامة واستقرار ولا دار كلأ ومرعى ومأكل ومشرب ولذة وسرور. . .

(**قد تزينت بغرورها وغرت بزينتها**). جعلت الغرور زينة لها ثم بهذه الزينة غرت الناس وخدعتهم عن أهدافهم الأساسية وبعبارة بعض الشرا ح حاكت شباك الصيد واصطادت كثيرين. . .

(**دار هانت على ربها فخلط حلالها بحرامها وخيرها بشرها وحياتها بموتها وحلوها بمرها**). دار الدنيا بالنسبة إلى الآخرة دار هانت على ربها ومن هوانها أنك تجد الحلال مخلوط بالحرام فإلى جانب الماء مدامة وإلى جانب الطيب خبيث وإلى جانب الخير شر فمقابل إكرام اليتيم هناك من يهينه وإلى جانب العناية بالفقير هناك من يقهره، وإلى جانب الحياة موت والحلو مرّ فلا صفاء فيها كما هو الحال في الآخرة فهناك أمن وأمان وهنا تعب وأحزان وهناك نعيم دائم وهنا عذاب متواصل والفرق كبير والشقة واسعة. . .

(**لم يصفها الله تعالى لأوليائه ولم يضن بها على أعدائه**). أولياء الله الذين أخلصوا له واعتمدوا عليه وتوجهوا نحوه وكانوا أحق الناس أن يُعتنى بهم لم يجعلها صافية لهم وكيف صفت وتلك مسيرتهم شاهدة على أنهم من أشد الناس تعباً وجهاداً فيها فقد كانت حركتهم مملوءة بالعذاب فهذا تاريخ الأنبياء كله مسيرة عذاب وإيذاء فإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد وجميع الأنبياء جاهدوا بأنفسهم وقدموا ما يملكون من أجل الله ودينه وقد اكتفوا منها بما يسد الرمق ويحفظ عليهم الحياة وقد قال النبي صلى الله عليه وآله: «ما أوذي نبي كما أوذيت» فقد جاع وربط حجر المجاعة على بطنه. . .

وفي المقابل كانت الدنيا قد أقبلت على الطغاة والمنحرفين ومن ادعى الربوبية واستعبد الناس واستذلهم والشاهد على ذلك فرعون وقارون ونمرود وغيرهم وهذا من هوانها على الله وأنه سبحانه لم يجعلها لأوليائه لزوالها وفنائها وعدم بقائها بينما جعلها للكافرين يتمتعون بها أياماً قليلة يساقون بعدها إلى عذاب الجحيم. . .

(**خيرها زهيد وشرها عتيد**). خيرها قليل ودليل قلته قلة المؤمنين العاملين بهذا الخير بينما شرها حاضر في متناول الناس ولذا ترى الأشرار أكثر. . .

حبالها ورفضها ورفض ما يتعلق بها وقد بذل قصارى جهده في سبيل أن يدفع الناس عنها والتوجه بهم نحو الآخرة وهذه الخطبة الشريفة إحدى تلك العينات من كلامه فقد حذّر الناس منها وبيّن أنها دار لا يستقر فيها المقيم بل دائماً على جناح سفر وهذه قائمة الأجداد والأحباب لم يبق منهم فيها أحد قد خرجوا منها وسنخرج نحن أيضاً كما خرجوا فهي ليست دار إقامة واستقرار ولا دار كلأ ومرعى ومأكل ومشرب ولذة وسرور. . .

(قد تزينت بغرورها وغرت بزينتها). جعلت الغرور زينة لها ثم بهذه الزينة غرت الناس وخدعتهم عن أهدافهم الأساسية وبعبارة بعض الشراح حاكت شباك الصيد واصطادت كثيرين. . .

(دار هانت على ربها فخلط حلالها بحرامها وخيرها بشرها وحياتها بموتها وحلوها بمرها). دار الدنيا بالنسبة إلى الآخرة دار هانت على ربها ومن هوانها أنك تجد الحلال مخلوط بالحرام فإلى جانب الماء مدامة وإلى جانب الطيب خبيث وإلى جانب الخير شر فمقابل إكرام اليتيم هناك من يهينه وإلى جانب العناية بالفقير هناك من يقهره، وإلى جانب الحياة موت والحلو مرّ فلا صفاء فيها كما هو الحال في الآخرة فهناك أمن وأمان وهنا تعب وأحزان وهناك نعيم دائم وهنا عذاب متواصل والفرق كبير والشقة واسعة. . .

(لم يصفها الله تعالى لأوليائه ولم يضن بها على أعدائه). أولياء الله الذين أخلصوا له واعتمدوا عليه وتوجهوا نحوه وكانوا أحق الناس أن يُعتنى بهم لم يجعلها صافية لهم وكيف صفت وتلك مسيرتهم شاهدة على أنهم من أشد الناس تعباً وجهاداً فيها فقد كانت حركتهم مملوءة بالعذاب فهذا تاريخ الأنبياء كله مسيرة عذاب وإيذاء فإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد وجميع الأنبياء جاهدوا بأنفسهم وقدموا ما يملكون من أجل الله ودينه وقد اكتفوا منها بما يسد الرمق ويحفظ عليهم الحياة وقد قال النبي صلى الله عليه وآله: «ما أوذي نبي كما أوذيت» فقد جاع وربط حجر المجاعة على بطنه. . .

وفي المقابل كانت الدنيا قد أقبلت على الطغاة والمنحرفين ومن ادعى الربوبية واستعبد الناس واستذلهم والشاهد على ذلك فرعون وقارون ونمرود وغيرهم وهذا من هوانها على الله وأنه سبحانه لم يجعلها لأوليائه لزوالها وفنائها وعدم بقائها بينما جعلها للكافرين يتمتعون بها أياماً قليلة يساقون بعدها إلى عذاب الجحيم. . .

(خيرها زهيد وشرها عتيد). خيرها قليل ودليل قلته قلة المؤمنين العاملين بهذا الخير بينما شرها حاضر في متناول الناس ولذا ترى الأشرار أكثر. . .

إنهم الزاهدون في الدنيا الراغبون في الآخرة وقد وصفهم بأن قلوبهم تبكي خوفاً من الله وشوقاً إليه وإن ضحكوا أمام الناس وفي وجوههم والعمدة على القلب ماذا يحمل وما ينوي وأما معاملة الناس ومجاراتهم فأمر آخر.

وكذلك يشتد حزنهم على ما يفوتهم من الطاعات أو على بعض التقصير وإن فرحوا ظاهراً ببعض الأعمال الطيبة التي يمارسونها ويقومون بها...

وكذلك يبغضون أنفسهم لأنها الأمارة بالسوء المضلة لهم عن مستقيم الطريق فلا يتركون لها الأمر ولا يسمحون لها أن توردهم النار وإن اغتبطهم الناس على ما أنعم الله به عليهم...

(قد غاب عن قلوبكم ذكر الآجال وحضرتكم كواذب الآمال فصارت الدنيا أملك بكم من الآخرة والعاجلة أذهب بكم من الآجلة). وهذا عيب حاضر عند الكثيرين حيث يغيب عن قلوبهم ذكر الموت فتسقط كل الإستعدادات له وكل ما يسهله عند نزوله ويخفف من وطأته عند حلوله.

بل على العكس من ذلك حضرت في القلوب الآمال الكاذبة المتمثلة بالشباب والصحة والمال وظنوا أن هذه ستدوم لهم وتبقى فسعوا من أجلها فقطعوا الأرحام واعتدوا على العباد وأفسدوا بمالهم ما قدروا عليه.

ومن هنا صارت الدنيا أولى بكم وصارت توجهكم كيف شاءت وصرتم لها تابعين خادمين على عكس الآخرة التي أضحت عندكم شيئاً ثانوياً لا تنظرون إليها إلا في مرحلة متأخرة وبقليل من الإهتمام...

لقد أخذتكم الدنيا أكثر مما أخذتكم الآخرة أي استولت عليكم الدنيا أكثر من استيلاء الآخرة عليكم.

(وإنما أنتم إخوان على دين الله ما فرق بينكم إلا خبث السرائر وسوء الضمائر). وهذا بيان لوحدة المسلمين وأنهم أخوة في دين الله قال تعالى: **﴿إنما المؤمنون إخوة﴾** وبمقتضى هذه الوحدة أن تتوحد الجهود وتتلاقى الأفكار وتتحد الأهداف وتتكاتف الأيدي ويجتمع المسلمون على مصالحهم وما ينفعهم ولكن ما يحصل من التفرقة بينهم إنما هو نتيجة فساد القلوب والضمائر...

فإن هذه الضمائر مريضة بمرض الحسد والبغي والاستعلاء مرض التعصب وحب «الأنا» التي سحقت في سبيل تحقيقها وذاتها كل نفيس وعزيز وقد ذكر الإمام نتيجة هذا

إنهم الزاهدون في الدنيا الراغبون في الآخرة وقد وصفهم بأن قلوبهم تبكي خوفاً من الله وشوقاً إليه وإن ضحكوا أمام الناس وفي وجوههم والعمدة على القلب ماذا يحمل وما ينوي وأما معاملة الناس ومجاراتهم فأمر آخر.

وكذلك يشتد حزنهم على ما يفوتهم من الطاعات أو على بعض التقصير وإن فرحوا ظاهراً ببعض الأعمال الطيبة التي يمارسونها ويقومون بها...

وكذلك يبغضون أنفسهم لأنها الأمارة بالسوء المضلة لهم عن مستقيم الطريق فلا يتركون لها الأمر ولا يسمحون لها أن توردهم النار وإن اغتبطهم الناس على ما أنعم الله به عليهم...

(قد غاب عن قلوبكم ذكر الآجال وحضرتكم كواذب الآمال فصارت الدنيا أملك بكم من الآخرة والعاجلة أذهب بكم من الآجلة). وهذا عيب حاضر عند الكثيرين حيث يغيب عن قلوبهم ذكر الموت فتسقط كل الإستعدادات له وكل ما يسهله عند نزوله ويخفف من وطأته عند حلوله.

بل على العكس من ذلك حضرت في القلوب الآمال الكاذبة المتمثلة بالشباب والصحة والمال وظنوا أن هذه ستدوم لهم وتبقى فسعوا من أجلها فقطعوا الأرحام واعتدوا على العباد وأفسدوا بمالهم ما قدروا عليه.

ومن هنا صارت الدنيا أولى بكم وصارت توجهكم كيف شاءت وصرتم لها تابعين خادمين على عكس الآخرة التي أضحت عندكم شيئاً ثانوياً لا تنظرون إليها إلا في مرحلة متأخرة وبقليل من الإهتمام...

لقد أخذتكم الدنيا أكثر مما أخذتكم الآخرة أي استولت عليكم الدنيا أكثر من استيلاء الآخرة عليكم.

(وإنما أنتم إخوان على دين الله ما فرق بينكم إلا خبث السرائر وسوء الضمائر). وهذا بيان لوحدة المسلمين وأنهم أخوة في دين الله قال تعالى: ﴿**إنما المؤمنون إخوة**﴾ وبمقتضى هذه الوحدة أن تتوحد الجهود وتتلاقى الأفكار وتتحد الأهداف وتتكاتف الأيدي ويجتمع المسلمون على مصالحهم وما ينفعهم ولكن ما يحصل من التفرقة بينهم إنما هو نتيجة فساد القلوب والضمائر...

فإن هذه الضمائر مريضة بمرض الحسد والبغي والاستعلاء مرض التعصب وحب «الأنا» التي سحقت في سبيل تحقيقها وذاتها كل نفيس وعزيز وقد ذكر الإمام نتيجة هذا

علمت أن له حاجة تبادره إلى قضائها ولا تلجئه إلى أن يسألها ولكن تبادره مبادرة فإذا فعلت ذلك وصلت ولايتك بولايته وولايته بولايتك. . .

(ما بالكم تفرحون باليسير من الدنيا تدركونه ولا يحزنكم الكثير من الآخرة تحرمونه). حالة كثيرين منا يطير من الفرح إذا أدرك قليلاً من الدنيا مجرد أن يدرك منصباً أو يجمع ثروة أو يعلو نجمه السياسي أو الإجتماعي تراه لا يكاد يصدق نفسه وفي مقابل ذلك لو خسر الكثير من الآخرة. . خسر المنزلة الرفيعة. . مرافقة الأخيار والأبرار والأنبياء. . أو خسر بعض الأعمال الطيبة من صلاة وصيام ومساعدة للفقراء تراه لا يهتم لشيء من ذلك ولا يتأثر لحرمانه منه. . .

(ويقلقكم اليسير من الدنيا يفوتكم حتى يتبين ذلك في وجوهكم وقلة صبركم عما زوي منها عنكم كأنها دار مقامكم وكأن متاعها باق عليكم). وهذه صورة تتحرك أمامنا وقد نكون بعض أفرادها. . صورة هذا الإنسان الذي يتملكه الإزعاج ويتبين في وجهه التأثر والشكوى. . صورة إنسان فاته شيء من حطام هذه الدنيا. . لم يدرك أمنيته. . لم يحقق غايته. . . خسرت بعض صفقاته. . . لم يوفق في مسعاه. . . تراه لهذا اليسير يضج بالشكوى ويرتفع صوته بالتأثر وكأن ما فاته سيبقى له ويدوم ولم يعرف أنه حتى لو أدركه وحرص عليه لن يدوم ولن يبقى. . .

(وما يمنع أحدكم أن يستقبل أخاه بما يخاف من عيبه إلا مخافة أن يستقبله بمثله). وهذا عيب يمارسه الكثيرون لا يرضاه الإسلام لنا: وهو أننا لا نواجه أخانا بعيوبه. . بل نتركها فيه دون أن ننبهه إليها وندّله عليها وما ذلك إلا خوفاً منه أن يواجهنا بعيوبنا ويدلنا عليها، وهذا خلاف ما يريد الإسلام فقد جاء «رحم الله من أهدى إليّ عيوبي» لأن العيوب أقذار وأمراض قد لا يراها صاحبها فعلى الأخ الذي رآها أن يدل أخاه عليها وهكذا كل أخ يشكل مرآة لأخيه يريه عيوبه من أجل أن يتطهر من آفاتها ويتنزه عنها وعن أوساخها وقد كان الصالحون يتعاهدون فيما بينهم أن يشير كل منهم على الآخر بما عنده من العيوب ويدل كل واحد منهم على عيوب الآخر فيتقبل الصالح رأي الآخر بكل رضى ويقدم له الشكر ويجزيه خيراً. . .

(قد تصافيتم على رفض الآجل وحب العاجل وصار دين أحدكم لعقة على لسانه صنيع من قد فرغ من عمله وأحرز رضى سيده). وهذا عيب آخر إنهم اتفقوا على رفض الآخرة وما فيها كما اتفقوا على حب الدنيا وما فيها كما قال تعالى: ﴿**إن هؤلاء يحبون العاجلة ويذرون وراءهم يوماً ثقيلاً**﴾ وتحوّل الدين إلى كلمة يتداولونها على رؤوس

علمت أن له حاجة تبادره إلى قضائها ولا تلجئه إلى أن يسألها ولكن تبادره مبادرة فإذا فعلت ذلك وصلت ولايتك بولايته وولايته بولايتك. . .

(ما بالكم تفرحون باليسير من الدنيا تدركونه ولا يحزنكم الكثير من الآخرة تحرمونه). حالة كثيرين منا يطير من الفرح إذا أدرك قليلاً من الدنيا مجرد أن يدرك منصباً أو يجمع ثروة أو يعلو نجمه السياسي أو الإجتماعي تراه لا يكاد يصدق نفسه وفي مقابل ذلك لو خسر الكثير من الآخرة. . خسر المنزلة الرفيعة. . مرافقة الأخيار والأبرار والأنبياء. . أو خسر بعض الأعمال الطيبة من صلاة وصيام ومساعدة للفقراء تراه لا يهتم لشيء من ذلك ولا يتأثر لحرمانه منه. . .

(ويقلقكم اليسير من الدنيا يفوتكم حتى يتبين ذلك في وجوهكم وقلة صبركم عما زوي منها عنكم كأنها دار مقامكم وكأن متاعها باق عليكم). وهذه صورة تتحرك أمامنا وقد نكون بعض أفرادها. . صورة هذا الإنسان الذي يتملكه الإزعاج ويتبين في وجهه التأثر والشكوى. . صورة إنسان فاته شيء من حطام هذه الدنيا. . لم يدرك أمنيته. . لم يحقق غايته. . . خسرت بعض صفقاته. . . لم يوفق في مسعاه. . . تراه لهذا اليسير يضج بالشكوى ويرتفع صوته بالتأثر وكأن ما فاته سيبقى له ويدوم ولم يعرف أنه حتى لو أدركه وحرص عليه لن يدوم ولن يبقى. . .

(وما يمنع أحدكم أن يستقبل أخاه بما يخاف من عيبه إلا مخافة أن يستقبله بمثله). وهذا عيب يمارسه الكثيرون لا يرضاه الإسلام لنا: وهو أننا لا نواجه أخانا بعيوبه. . بل نتركها فيه دون أن ننبهه إليها وندّله عليها وما ذلك إلا خوفاً منه أن يواجهنا بعيوبنا ويدلنا عليها، وهذا خلاف ما يريد الإسلام فقد جاء «رحم الله من أهدى إليّ عيوبي» لأن العيوب أقذار وأمراض قد لا يراها صاحبها فعلى الأخ الذي رآها أن يدل أخاه عليها وهكذا كل أخ يشكل مرآة لأخيه يريه عيوبه من أجل أن يتطهر من آفاتها ويتنزه عنها وعن أوساخها وقد كان الصالحون يتعاهدون فيما بينهم أن يشير كل منهم على الآخر بما عنده من العيوب ويدل كل واحد منهم على عيوب الآخر فيتقبل الصالح رأي الآخر بكل رضى ويقدم له الشكر ويجزيه خيراً. . .

(قد تصافيتم على رفض الآجل وحب العاجل وصار دين أحدكم لعقة على لسانه صنيع من قد فرغ من عمله وأحرز رضى سيده). وهذا عيب آخر إنهم اتفقوا على رفض الآخرة وما فيها كما اتفقوا على حب الدنيا وما فيها كما قال تعالى: ﴿**إن هؤلاء يحبون العاجلة ويذرون وراءهم يوماً ثقيلاً**﴾ وتحوّل الدين إلى كلمة يتداولونها على رؤوس

١١٤ ـ ومن خطبة له عليه السلام

وفيها مواعظ للناس

الحَمْدُ للهِ الوَاصِلِ الحَمْدَ بِالنِّعَمِ وَالنِّعَمَ بِالشُّكْرِ. نَحْمَدُهُ عَلَى آلَائِهِ[١]، كَمَا نَحْمَدُهُ عَلَى بَلَائِهِ[٢]. وَنَسْتَعِينُهُ عَلَى هذِهِ النُّفُوسِ البِطَاءِ[٣] عَمَّا أُمِرَتْ بِهِ، السِّرَاعِ[٤] إِلَى مَا نُهِيَتْ عَنْهُ. وَنَسْتَغْفِرُهُ مِمَّا أَحَاطَ بِهِ عِلْمُهُ، وَأَحْصَاهُ كِتَابُهُ: عِلْمٌ غَيْرُ قَاصِرٍ، وَكِتَابٌ غَيْرُ مُغَادِرٍ[٥]. وَنُؤْمِنُ بِهِ إِيمَانَ مَنْ عَايَنَ[٦] الغُيُوبَ، وَوَقَفَ عَلَى المَوْعُودِ، إِيمَاناً نَفَى إِخْلَاصُهُ الشِّرْكَ، وَيَقِينُهُ الشَّكَّ. وَنَشْهَدُ أَنْ لَا إِلهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّداً صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، شَهَادَتَيْنِ تُصْعِدَانِ القَوْلَ، وَتَرْفَعَانِ العَمَلَ. لَا يَخِفُّ مِيزَانٌ تُوضَعَانِ فِيهِ، وَلَا يَثْقُلُ مِيزَانٌ تُرْفَعَانِ عَنْهُ.

أُوصِيكُمْ، عِبَادَ اللهِ، بِتَقْوَى اللهِ الَّتِي هِيَ الزَّادُ وَبِهَا المَعَاذُ[٧]: زَادٌ مُبْلِغٌ[٨]، وَمَعَاذٌ مُنْجِحٌ. دَعَا إِلَيْهَا أَسْمَعُ دَاعٍ، وَوَعَاهَا[٩] خَيْرُ وَاعٍ. فَأَسْمَعَ دَاعِيهَا، وَفَازَ وَاعِيهَا.

عِبَادَ اللهِ، إِنَّ تَقْوَى اللهِ حَمَتْ[١٠] أَوْلِيَاءَ اللهِ مَحَارِمَهُ، وَأَلْزَمَتْ قُلُوبَهُمْ مَخَافَتَهُ، حَتَّى أَسْهَرَتْ لَيَالِيَهُمْ، وَأَظْمَأَتْ[١١] هَوَاجِرَهُمْ[١٢]؛ فَأَخَذُوا الرَّاحَةَ بِالنَّصَبِ[١٣]، وَالرِّيَّ[١٤] بِالظَّمَإِ؛ وَاسْتَقْرَبُوا الأَجَلَ فَبَادِرُوا العَمَلَ، وَكَذَّبُوا الأَمَلَ فَلَاحَظُوا الأَجَلَ. ثُمَّ إِنَّ الدُّنْيَا دَارُ فَنَاءٍ وَعَنَاءٍ[١٥]، وَغِيَرٍ[١٦] وَعِبَرٍ[١٧]؛ فَمِنَ الفَنَاءِ أَنَّ الدَّهْرَ مُوتِرٌ قَوْسَهُ[١٨]، لَا تُخْطِئُ سِهَامُهُ، وَلَا تُؤْسَى[١٩]

١١٤ ـ ومن خطبة له عليه السلام

وفيها مواعظ للناس

الحَمْدُ للهِ الوَاصِلِ الحَمْدَ بِالنِّعَمِ وَالنِّعَمَ بِالشُّكْرِ. نَحْمَدُهُ عَلَى آلَائِهِ[١]، كَمَا نَحْمَدُهُ عَلَى بَلَائِهِ[٢]. وَنَسْتَعِينُهُ عَلَى هذِهِ النُّفُوسِ البِطَاءِ[٣] عَمَّا أُمِرَتْ بِهِ، السِّرَاعِ[٤] إِلَى مَا نُهِيَتْ عَنْهُ. وَنَسْتَغْفِرُهُ مِمَّا أَحَاطَ بِهِ عِلْمُهُ، وَأَحْصَاهُ كِتَابُهُ: عِلْمٌ غَيْرُ قَاصِرٍ، وَكِتَابٌ غَيْرُ مُغَادِرٍ[٥]. وَنُؤْمِنُ بِهِ إِيمَانَ مَنْ عَايَنَ[٦] الغُيُوبَ، وَوَقَفَ عَلَى المَوْعُودِ، إِيمَاناً نَفَى إِخْلَاصُهُ الشِّرْكَ، وَيَقِينُهُ الشَّكَّ. وَنَشْهَدُ أَنْ لَا إِلهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّداً صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، شَهَادَتَيْنِ تُصْعِدَانِ القَوْلَ، وَتَرْفَعَانِ العَمَلَ. لَا يَخِفُّ مِيزَانٌ تُوضَعَانِ فِيهِ، وَلَا يَثْقُلُ مِيزَانٌ تُرْفَعَانِ عَنْهُ.

أُوصِيكُمْ، عِبَادَ اللهِ، بِتَقْوَى اللهِ الَّتِي هِيَ الزَّادُ وَبِهَا المَعَاذُ[٧]: زَادٌ مُبْلِغٌ[٨]، وَمَعَاذٌ مُنْجِحٌ. دَعَا إِلَيْهَا أَسْمَعُ دَاعٍ، وَوَعَاهَا[٩] خَيْرُ وَاعٍ. فَأَسْمَعَ دَاعِيهَا، وَفَازَ وَاعِيهَا.

عِبَادَ اللهِ، إِنَّ تَقْوَى اللهِ حَمَتْ[١٠] أَوْلِيَاءَ اللهِ مَحَارِمَهُ، وَأَلْزَمَتْ قُلُوبَهُمْ مَخَافَتَهُ، حَتَّى أَسْهَرَتْ لَيَالِيَهُمْ، وَأَظْمَأَتْ[١١] هَوَاجِرَهُمْ[١٢]؛ فَأَخَذُوا الرَّاحَةَ بِالنَّصَبِ[١٣]، وَالرِّيَّ[١٤] بِالظَّمَإِ؛ وَاسْتَقْرَبُوا الأَجَلَ فَبَادِرُوا العَمَلَ، وَكَذَّبُوا الأَمَلَ فَلَاحَظُوا الأَجَلَ. ثُمَّ إِنَّ الدُّنْيَا دَارُ فَنَاءٍ وَعَنَاءٍ[١٥]، وَغِيَرٍ[١٦] وَعِبَرٍ[١٧]؛ فَمِنَ الفَنَاءِ أَنَّ الدَّهْرَ مُوتِرٌ قَوْسَهُ[١٨]، لَا تُخْطِئُ سِهَامُهُ، وَلَا تُؤْسَى[١٩]

رَجْعَتُهُ. الرَّجَاءُ مَعَ الجَائِي، وَاليَأْسُ مَعَ المَاضِي. «فَاتَّقُوا اللهَ حَقَّ تُقَاتِهِ، وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ».

اللغة

١ ـ آلائه : نعمه.
٢ ـ بلائه : أصل البلاء الاختبار ويطلق على المصيبة وعلى ما يوجب الغم.
٣ ـ البطاء : بطيئة ضد السراع.
٤ ـ السراع : جمع سريعة.
٥ ـ المغادر : من غادره إذا تركه ورحل عنه.
٦ ـ عاين : الأمر رآه بعينه ويقيناً.
٧ ـ المعاذ : الملاذ.
٨ ـ زاد مبلغ : زاد كافي.
٩ ـ وعاها : حفظها وفهمها.
١٠ ـ حمت : منعت.
١١ ـ أظمأت : من الظمأ العطش أو شدته.
١٢ ـ الهواجر : جمع هاجرة شدة حر النهار.
١٣ ـ النصب : التعب.
١٤ ـ الري : بالكسر الاسم من روى إذا شرب حتى شبع.
١٥ ـ العناء : التعب.
١٦ ـ الغير : التقلبات وغير الدهر أحداثه وتقلباته.
١٧ ـ العبر : العظات.
١٨ ـ أوتر القوس : جعل لها وتراً أو شد الوتر منها.
١٩ ـ تؤسي : تداوي.
٢٠ ـ السقم : المرض.
٢١ ـ العطب : الهلاك وعطب الفرس إذا انكسر.
٢٢ ـ لا ينقع : لا يروي.
٢٣ ـ الغير : بكسر الغاء وفتح الراء التقلبات.
٢٤ ـ المغبوط : من الغبطة وهي المسرة وحسن الحال تمني ما عند الغير من النعمة دون زوالها عنه.

رَجْعَتُهُ. الرَّجَاءُ مَعَ الجَائِي، وَاليَأْسُ مَعَ المَاضِي. «فَاتَّقُوا اللهَ حَقَّ تُقَاتِهِ، وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ».

اللغة

١ ـ آلائه : نعمه.
٢ ـ بلائه : أصل البلاء الاختبار ويطلق على المصيبة وعلى ما يوجب الغم.
٣ ـ البطاء : بطيئة ضد السراع.
٤ ـ السراع : جمع سريعة.
٥ ـ المغادر : من غادره إذا تركه ورحل عنه.
٦ ـ عاين : الأمر رآه بعينه ويقيناً.
٧ ـ المعاذ : الملاذ.
٨ ـ زاد مبلغ : زاد كافي.
٩ ـ وعاها : حفظها وفهمها.
١٠ ـ حمت : منعت.
١١ ـ أظمأت : من الظمأ العطش أو شدته.
١٢ ـ الهواجر : جمع هاجرة شدة حر النهار.
١٣ ـ النصب : التعب.
١٤ ـ الري : بالكسر الاسم من روى إذا شرب حتى شبع.
١٥ ـ العناء : التعب.
١٦ ـ الغير : التقلبات وغير الدهر أحداثه وتقلباته.
١٧ ـ العبر : العظات.
١٨ ـ أوتر القوس : جعل لها وتراً أو شد الوتر منها.
١٩ ـ تؤسي : تداوي.
٢٠ ـ السقم : المرض.
٢١ ـ العطب : الهلاك وعطب الفرس إذا انكسر.
٢٢ ـ لا ينقع : لا يروي.
٢٣ ـ الغير : بكسر الغاء وفتح الراء التقلبات.
٢٤ ـ المغبوط : من الغبطة وهي المسرة وحسن الحال تمني ما عند الغير من النعمة دون زوالها عنه.

بعد الحمد على النعم نستغفر الله على الذنوب التي أحاط بها علم الله وأحصاها كتابه فإن علمه لا يفوته أمر بل هو يعلم السر وأخفى وأما كتابه فلا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها. . .

وهذا الاستغفار على ما أحاط به علمه عبارة عن الاستغفار من جميع الذنوب لأنه سبحانه يعلم كل شيء. . .

(ونؤمن به إيمان من عاين الغيوب ووقف على الموعود إيماناً نفى اخلاصه الشرك ويقينه الشك). وهذه مرتبة عليا من الإيمان مرتبة الحس بحيث يتحول الغيب إلى أمر مشاهد وحقيقة واقعة ويكون الموعود من الجنة أو من النار وما فيهما قد أدركهما وأحس بهما ومثل هذا الإيمان ينفي الشرك بالله لأن من عاين الغيوب ووقف على المحجوب أدرك أن لا إله إلا هو وبطبيعة الحال يكون يقينه هذا نافياً لكل شك فيه أو خلل يعيشه في نفسه.

(ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً صلى الله عليه وآله وسلم عبده ورسوله شهادتين تصعدان القول وترفعان العمل لا يخف ميزان توضعان فيه ولا يثقل ميزان ترفعان عنه). الشهادتان: لا إله إلا الله محمد رسول الله أصغر شعار لأعظم مضمون بهما تتحقق العبودية لله وبهما يرفض كل طاغوت يعبد من دون الله وهما ميزان القبول والرفض لكل عمل. . بدونهما تسقط الأعمال ولا تقبل بل ترد إلى أصحابها وتضرب بها وجوههم وبهما يقبل كل عمل وتكونان مدخلاً لكل أمر. . .

شهادتان تُصعدان القول كما قال تعالى: **﴿إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه﴾**. بهما تثقل الموازين وتكثر الحسنات لأن بهما تقبل الأعمال وعن طريقهما يكون رضا الرحمن وبدونهما يخف الميزان وترفض الأعمال وخفة الميزان عبارة عن عدم قبول الأعمال وأنه لا حسنات توزن على عكس قبولها فإنها توزَن وتثقل الميزان. . .

(أوصيكم عباد الله بتقوى الله التي هي الزاد وبها المعاذ زاد مبلغ ومعاذ منجح دعا إليها أسمع داع ووعاها خير واعٍ فأسمع داعيها وفاز واعيها). وصل عليه السلام إلى مراده وهذا هو بيت القصيد: الأمر بتقوى الله التي تعني اجتناب المحرمات والقيام بالواجبات وتقوى الله هي الزاد إلى الآخرة قال تعالى: **﴿وتزودوا فإن خير الزاد التقوى. . .﴾** وبهذه التقوى يكون الاعتصام بالله والنجاة من النار.

إنها ـ تقوى ـ نعم الزاد الموصل لصاحبها إلى الجنة والبالغ بها إلى الدرجات العلى وأنها ملجأ منجح لصاحبها وواصل بها إلى غاياته العظمى. . دعا إليها أسمع داعٍ

بعد الحمد على النعم نستغفر الله على الذنوب التي أحاط بها علم الله وأحصاها كتابه فإن علمه لا يفوته أمر بل هو يعلم السر وأخفى وأما كتابه فلا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها. . .

وهذا الاستغفار على ما أحاط به علمه عبارة عن الاستغفار من جميع الذنوب لأنه سبحانه يعلم كل شيء. . .

(ونؤمن به إيمان من عاين الغيوب ووقف على الموعود إيماناً نفى اخلاصه الشرك ويقينه الشك). وهذه مرتبة عليا من الإيمان مرتبة الحس بحيث يتحول الغيب إلى أمر مشاهد وحقيقة واقعة ويكون الموعود من الجنة أو من النار وما فيهما قد أدركهما وأحس بهما ومثل هذا الإيمان ينفي الشرك بالله لأن من عاين الغيوب ووقف على المحجوب أدرك أن لا إله إلا هو وبطبيعة الحال يكون يقينه هذا نافياً لكل شك فيه أو خلل يعيشه في نفسه.

(ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً صلى الله عليه وآله وسلم عبده ورسوله شهادتين تصعدان القول وترفعان العمل لا يخف ميزان توضعان فيه ولا يثقل ميزان ترفعان عنه). الشهادتان: لا إله إلا الله محمد رسول الله أصغر شعار لأعظم مضمون بهما تتحقق العبودية لله وبهما يرفض كل طاغوت يعبد من دون الله وهما ميزان القبول والرفض لكل عمل. . بدونهما تسقط الأعمال ولا تقبل بل ترد إلى أصحابها وتضرب بها وجوههم وبهما يقبل كل عمل وتكونان مدخلاً لكل أمر. . .

شهادتان تُصعدان القول كما قال تعالى: **﴿إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه﴾**. بهما تثقل الموازين وتكثر الحسنات لأن بهما تقبل الأعمال وعن طريقهما يكون رضا الرحمن وبدونهما يخف الميزان وترفض الأعمال وخفة الميزان عبارة عن عدم قبول الأعمال وأنه لا حسنات توزن على عكس قبولها فإنها توزَن وتثقل الميزان. . .

(أوصيكم عباد الله بتقوى الله التي هي الزاد وبها المعاذ زاد مبلغ ومعاذ منجح دعا إليها أسمع داع ووعاها خير واعٍ فأسمع داعيها وفاز واعيها). وصل عليه السلام إلى مراده وهذا هو بيت القصيد: الأمر بتقوى الله التي تعني اجتناب المحرمات والقيام بالواجبات وتقوى الله هي الزاد إلى الآخرة قال تعالى: **﴿وتزودوا فإن خير الزاد التقوى. . .﴾** وبهذه التقوى يكون الاعتصام بالله والنجاة من النار.

إنها ـ تقوى ـ نعم الزاد الموصل لصاحبها إلى الجنة والبالغ بها إلى الدرجات العلى وأنها ملجأ منجح لصاحبها وواصل بها إلى غاياته العظمى. . دعا إليها أسمع داعٍ

يرمي ويصيب كل من رماه فيقتله وإذا جرحه لا دواء له بل يعلّ ويستمر به المرض حتى يموت. . .

ومن جملة أفعاله أن هذا الكائن الحي الذي يتحرك وكله حركة يرميه بالموت فإذا هو جثة هامدة فالصحيح السليم المعافى الذي يعتد بقوته ويفخر بعزيمته يرميه بالمرض بجرثومة صغيرة لا ترى بالعين المجردة فإذا به عليل مريض يتقلب على الفراش يستغيث ويستنجد. . .

وهذا الناجي الذي قطع شوط الحياة يدركه بالهلاك فيرديه. . .

إنه دهر آكل للبشر يبتلع كل مَنْ وُلد وشارب دماء البشر لا يروى أبداً. . .

(ومن العناء أن المرء يجمع ما لا يأكل ويبني ما لا يسكن ثم يخرج إلى الله تعالى لا مالاً حمل ولا بناء نقل). هذه سيئة أخرى من سيئات الدنيا يعيشها الإنسان ولا يتنبه إلى مخاطرها. . إنه يعيش العناء وهو التعب فيها فتراه يكد ليجمع ما لا يأكل ففي حين تكفيه حفنة من حنطة إذ به يكدس من القوت والأموال ما يكفيه لسنة إن لم يكن لسنوات ويبني ما لا يدوم له السكن فيه والإقامة أو ما يزيد على حاجته ثم يخرج من الدنيا إلى الله بدون شيء منها فالأموال التي جمعها ليأكل بها ويدخرها لوقت الحاجة تركها محلها وتخلى عنها والبناء الذي شيده. . هذا القصر الذي أتعب نفسه في عمارته تركه لم يقدر على نقله إلى الآخرة فهل استفاد إلا التعب في الدنيا والشقاء فيها والنصب. . .

(ومن غيرها أنك ترى المرحوم مغبوطاً والمغبوط مرحوماً ليس ذلك إلا نعيماً زل وبؤساً نزل). فمن تقلبات الدنيا ونكباتها وتغير أحوالها أنك تجد المرحوم فيها وهو الإنسان الذي كان يترحم عليه الناس لفقره ومسكنته هذا بعينه يغتني ويثري فيصبح مغبوطاً تفرح له الناس وتتمنى حاله وما هو فيه.

وقد ينعكس الأمر فمن كان غنياً ثرياً يغبطه الناس على حاله ويتمنون أن يكونوا كما هو هذا هو قد يصبح فقيراً مسكيناً يترحم عليه الناس فهذا قد نزل البؤس في ساحته والنعيم ولىّ مسرعاً عنه.

(ومن عبرها أن المرء يشرف على أمله فيقتطعه حضور أجله فلا أمل يدرك ولا مؤمل يترك). وهذا عيب رابع للدنيا يذكره الإمام أن الإنسان يرسم لآماله طرقاً لبلوغها والوصول إليها ويبقى يعمل حتى يكاد يدرك ما أمله وفي تلك اللحظات التي يشرف بها لبلوغ أمله إذ بالموت يأتيه فتزول الآمال وتسقط ويتهدم ذلك البناء الذي كان يرسمه بل

يرمي ويصيب كل من رماه فيقتله وإذا جرحه لا دواء له بل يعلّ ويستمر به المرض حتى يموت. . .

ومن جملة أفعاله أن هذا الكائن الحي الذي يتحرك وكله حركة يرميه بالموت فإذا هو جثة هامدة فالصحيح السليم المعافى الذي يعتد بقوته ويفخر بعزيمته يرميه بالمرض بجرثومة صغيرة لا ترى بالعين المجردة فإذا به عليل مريض يتقلب على الفراش يستغيث ويستنجد. . .

وهذا الناجي الذي قطع شوط الحياة يدركه بالهلاك فيرديه. . .

إنه دهر آكل للبشر يبتلع كل مَنْ وُلد وشارب دماء البشر لا يروى أبداً. . .

(ومن العناء أن المرء يجمع ما لا يأكل ويبني ما لا يسكن ثم يخرج إلى الله تعالى لا مالاً حمل ولا بناء نقل). هذه سيئة أخرى من سيئات الدنيا يعيشها الإنسان ولا يتنبه إلى مخاطرها. . إنه يعيش العناء وهو التعب فيها فتراه يكد ليجمع ما لا يأكل ففي حين تكفيه حفنة من حنطة إذ به يكدس من القوت والأموال ما يكفيه لسنة إن لم يكن لسنوات ويبني ما لا يدوم له السكن فيه والإقامة أو ما يزيد على حاجته ثم يخرج من الدنيا إلى الله بدون شيء منها فالأموال التي جمعها ليأكل بها ويدخرها لوقت الحاجة تركها محلها وتخلى عنها والبناء الذي شيده. . هذا القصر الذي أتعب نفسه في عمارته تركه لم يقدر على نقله إلى الآخرة فهل استفاد إلا التعب في الدنيا والشقاء فيها والنصب. . .

(ومن غيرها أنك ترى المرحوم مغبوطاً والمغبوط مرحوماً ليس ذلك إلا نعيماً زل وبؤساً نزل). فمن تقلبات الدنيا ونكباتها وتغير أحوالها أنك تجد المرحوم فيها وهو الإنسان الذي كان يترحم عليه الناس لفقره ومسكنته هذا بعينه يغتني ويثري فيصبح مغبوطاً تفرح له الناس وتتمنى حاله وما هو فيه.

وقد ينعكس الأمر فمن كان غنياً ثرياً يغبطه الناس على حاله ويتمنون أن يكونوا كما هو هذا هو قد يصبح فقيراً مسكيناً يترحم عليه الناس فهذا قد نزل البؤس في ساحته والنعيم ولىّ مسرعاً عنه.

(ومن عبرها أن المرء يشرف على أمله فيقتطعه حضور أجله فلا أمل يدرك ولا مؤمل يترك). وهذا عيب رابع للدنيا يذكره الإمام أن الإنسان يرسم لآماله طرقاً لبلوغها والوصول إليها ويبقى يعمل حتى يكاد يدرك ما أمله وفي تلك اللحظات التي يشرف بها لبلوغ أمله إذ بالموت يأتيه فتزول الآمال وتسقط ويتهدم ذلك البناء الذي كان يرسمه بل

وربما وصفت لك امرأة بالجمال والدلال وإذا بها لا تتمتع بما وصفت وإنما تتمتع بجزء منه...

وأما أمور الآخرة فالامر عكس ذلك وخلافه فكل أمر وُصف لك منها أو فيها يكون أقل من العيان لأن الحس البشري يتصور أوصاف الجنة والآخرة بمستوى أوصاف الدنيا وأشيائها التي تمر عليه في حياته فيحملها على أوصاف الآخرة وهذا أمر دون الحقيقة فيكون الوصف دون العيان...

ثم أمرهم بالإكتفاء من العيان والرؤية في دار الدنيا بالسماع من الأنبياء والأئمة ومن الآخرة التي هي غيب محجوب بالخبر المنقولُ عنهم ـ فإنهم صادقون ـ والخبر عنها دون الحقيقة بدون شك لأن العبارة لا تقدر أن تحمل الحقيقة ونحن لا نقدر على تصور أمر خارج عما نحس به ونعيشه...

(واعلموا أن ما نقص من الدنيا وزاد في الآخرة خير مما نقص من الآخرة وزاد في الدنيا فكم من منقوص رابح ومزيد خاسر). وهذه معادلة إلهية وقاعدة إسلامية ينظر فيها إلى الآخرة وأن كل ما نقص من الدنيا وكانت به تزاد الآخرة فهو خير مما ينقص من الآخرة ويزاد في الدنيا وعلة ذلك أن ما يزاد في الآخرة يبقى ويدوم بعكس زيادة الدنيا فإنه مؤقت ومحدود والعقل يحكم بأهمية ما يبقى وتقديمه على غيره ومن ذلك أن تربح أجر الصدقة أو الزكاة أو الخمس في الآخرة وإن كانت أموالك تنقص أرقامها قليلاً وعلى عكس ذلك ما لو ربحت بمعاملة ربوية وزادت أموالك في الدنيا وخسرت من رصيدك في الآخرة فإن العاقل يقدم ما يبقى على ما يفنى ويقدم الآخرة ويسعى لزيادة ربحها على الدنيا وما فيها من الربح...

ثم قال: كم من منقوص في الدنيا رابح في الآخرة وكم من رابح في الدنيا ومزيد له خاسر في الآخرة وهذا ترغيب في الآخرة وفي العمل لها وتقديمها على الدنيا وما فيها...

(إن الذي أمرتم به أوسع من الذي نهيتم عنه وما أحل لكم أكثر مما حرم عليكم فذروا ما قل لما كثر وما ضاق لما اتسع). هذا البيان حث على الآخرة وأنه طالما دائرة المحللات أوسع من دائرة المحرمات فعلى العاقل أن يختار ما فيه نجاته طالما له فيه سعة ولقد جاز لنا تناول الواجب والمباح والمستحب والمكروه وهذه لها دوائر واسعة وافرة بينما الحرام ليس له إلا دائرة واحدة محصورة في أفراد كالزنا وشرب الخمر وما أشبههما والإنسان يدع ما قل من المحرمات لما كثر واتسع من غيرها من المحللات.

وربما وصفت لك امرأة بالجمال والدلال وإذا بها لا تتمتع بما وصفت وإنما تتمتع بجزء منه . . .

وأما أمور الآخرة فالامر عكس ذلك وخلافه فكل أمر وُصف لك منها أو فيها يكون أقل من العيان لأن الحس البشري يتصور أوصاف الجنة والآخرة بمستوى أوصاف الدنيا وأشيائها التي تمر عليه في حياته فيحملها على أوصاف الآخرة وهذا أمر دون الحقيقة فيكون الوصف دون العيان . . .

ثم أمرهم بالإكتفاء من العيان والرؤية في دار الدنيا بالسماع من الأنبياء والأئمة ومن الآخرة التي هي غيب محجوب بالخبر المنقولْ عنهم ـ فإنهم صادقون ـ والخبر عنها دون الحقيقة بدون شك لأن العبارة لا تقدر أن تحمل الحقيقة ونحن لا نقدر على تصور أمر خارج عما نحس به ونعيشه . . .

(واعلموا أن ما نقص من الدنيا وزاد في الآخرة خير مما نقص من الآخرة وزاد في الدنيا فكم من منقوص رابح ومزيد خاسر). وهذه معادلة إلهية وقاعدة إسلامية ينظر فيها إلى الآخرة وأن كل ما نقص من الدنيا وكانت به تزاد الآخرة فهو خير مما ينقص من الآخرة ويزاد في الدنيا وعلة ذلك أن ما يزاد في الآخرة يبقى ويدوم بعكس زيادة الدنيا فإنه مؤقت ومحدود والعقل يحكم بأهمية ما يبقى وتقديمه على غيره ومن ذلك أن تربح أجر الصدقة أو الزكاة أو الخمس في الآخرة وإن كانت أموالك تنقص أرقامها قليلاً وعلى عكس ذلك ما لو ربحت بمعاملة ربوية وزادت أموالك في الدنيا وخسرت من رصيدك في الآخرة فإن العاقل يقدم ما يبقى على ما يفنى ويقدم الآخرة ويسعى لزيادة ربحها على الدنيا وما فيها من الربح . . .

ثم قال: كم من منقوص في الدنيا رابح في الآخرة وكم من رابح في الدنيا ومزيد له خاسر في الآخرة وهذا ترغيب في الآخرة وفي العمل لها وتقديمها على الدنيا وما فيها . . .

(إن الذي أمرتم به أوسع من الذي نهيتم عنه وما أحل لكم أكثر مما حرم عليكم فذروا ما قل لما كثر وما ضاق لما اتسع). هذا البيان حث على الآخرة وأنه طالما دائرة المحللات أوسع من دائرة المحرمات فعلى العاقل أن يختار ما فيه نجاته طالما له فيه سعة ولقد جاز لنا تناول الواجب والمباح والمستحب والمكروه وهذه لها دوائر واسعة وافرة بينما الحرام ليس له إلا دائرة واحدة محصورة في أفراد كالزنا وشرب الخمر وما أشبههما والإنسان يدع ما قل من المحرمات لما كثر واتسع من غيرها من المحللات.

١١٥ ـ ومن خطبة له عليه السلام

في الاستسقاء[١]

اللَّهُمَّ قَدِ انْصَاحَتْ[٢] جِبَالُنَا، وَاغْبَرَّتْ[٣] أَرْضُنَا، وَهَامَتْ[٤] دَوَابُّنَا، وَتَحَيَّرَتْ فِي مَرَابِضِهَا[٥]، وَعَجَّتْ[٦] عَجِيجَ الثَّكَالَى[٧] عَلَى أَوْلَادِهَا، وَمَلَّتِ التَّرَدُّدَ فِي مَرَاتِعِهَا[٨]، وَالحَنِينَ إِلَى مَوَارِدِهَا[٩]! اللَّهُمَّ فَارْحَمْ أَنِينَ[١٠] الآنَّةِ[١١]، وَحَنِينَ الحَانَّةِ[١٢]! اللَّهُمَّ فَارْحَمْ حَيْرَتَهَا فِي مَذَاهِبِهَا[١٣]، وَأَنِينَهَا فِي مَوَالِجِهَا[١٤]! اللَّهُمَّ خَرَجْنَا إِلَيْكَ حِينَ اعْتَكَرَتْ[١٥] عَلَيْنَا حَدَابِيرُ[١٦] السِّنِينَ، وَأَخْلَفَتْنَا مَخَايِلُ[١٧] الجُودِ[١٨]، فَكُنْتَ الرَّجَاءَ لِلْمُبْتَئِسِ[١٩]، وَالبَلَاغَ[٢٠] لِلْمُلْتَمِسِ[٢١]. نَدْعُوكَ حِينَ قَنَطَ[٢٢] الأَنَامُ، وَمُنِعَ الغَمَامُ، وَهَلَكَ السَّوَامُ[٢٣]، أَلَّا تُؤَاخِذَنَا[٢٤] بِأَعْمَالِنَا، وَلَا تَأْخُذَنَا[٢٥] بِذُنُوبِنَا. وَانْشُرْ عَلَيْنَا رَحْمَتَكَ بِالسَّحَابِ المُنْبَعِقِ[٢٦]، وَالرَّبِيعِ المُغْدِقِ[٢٧]، وَالنَّبَاتِ المُونِقِ[٢٨]، سَحًّا[٢٩] وَابِلًا[٣٠]، تُحْيِي بِهِ مَا قَدْ مَاتَ، وَتَرُدُّ بِهِ مَا قَدْ فَاتَ. اللَّهُمَّ سُقْيَا مِنْكَ مُحْيِيَةً مُرْوِيَةً، تَامَّةً عَامَّةً، طَيِّبَةً مُبَارَكَةً، هَنِيئَةً مَرِيعَةً[٣١]، زَاكِياً نَبْتُهَا، ثَامِراً[٣٢] فَرْعُهَا، نَاضِراً[٣٣] وَرَقُهَا تُنْعِشُ بِهَا الضَّعِيفَ مِنْ عِبَادِكَ، وَتُحْيِي بِهَا المَيِّتَ مِنْ بِلَادِكَ! اللَّهُمَّ سُقْيا مِنْكَ تُعْشِبُ بِهَا نِجَادُنَا[٣٤]، وَتَجْرِي بِهَا وِهَادُنَا[٣٥]، وَيُخْصِبُ بِهَا جَنَابُنَا[٣٦]، وَتُقْبِلُ بِهَا ثِمَارُنَا، وَتَعِيشُ بِهَا مَوَاشِينَا، وَتَنْدَى بِهَا[٣٧] أَقَاصِينَا[٣٨]، وَتَسْتَعِينُ بِهَا ضَوَاحِينَا[٣٩]؛ مِنْ بَرَكَاتِكَ الوَاسِعَةِ، وَعَطَايَاكَ الجَزِيلَةِ، عَلَى بَرِيَّتِكَ المرْمِلَةِ[٤٠]، وَوَحْشِكَ

١١٥ ـ ومن خطبة له عليه السلام

في الاستسقاء[١]

اللَّهُمَّ قَدِ انْصَاحَتْ[٢] جِبَالُنَا، وَاغْبَرَّتْ[٣] أَرْضُنَا، وَهَامَتْ[٤] دَوَابُّنَا، وَتَحَيَّرَتْ فِي مَرَابِضِهَا[٥]، وَعَجَّتْ[٦] عَجِيجَ الثَّكَالَى[٧] عَلَى أَوْلاَدِهَا، وَمَلَّتِ التَّرَدُّدَ فِي مَرَاتِعِهَا[٨]، وَالحَنِينَ إِلَى مَوَارِدِهَا[٩]! اللَّهُمَّ فَارْحَمْ أَنِينَ[١٠] الآنَّةِ[١١]، وَحَنِينَ الحَانَّةِ[١٢]! اللَّهُمَّ فَارْحَمْ حَيْرَتَهَا فِي مَذَاهِبِهَا[١٣]، وَأَنِينَهَا فِي مَوَالِجِهَا[١٤]! اللَّهُمَّ خَرَجْنَا إِلَيْكَ حِينَ اعْتَكَرَتْ[١٥] عَلَيْنَا حَدَابِيرُ[١٦] السِّنِينَ، وَأَخْلَفَتْنَا مَخَايِلُ[١٧] الجُودِ[١٨]، فَكُنْتَ الرَّجَاءَ لِلْمُبْتَئِسِ[١٩]، وَالبَلاَغَ[٢٠] لِلْمُلْتَمِسِ[٢١]. نَدْعُوكَ حِينَ قَنَطَ[٢٢] الأَنَامُ، وَمُنِعَ الغَمَامُ، وَهَلَكَ السَّوَامُ[٢٣]، أَلاَّ تُؤَاخِذَنَا[٢٤] بِأَعْمَالِنَا، وَلاَ تَأْخُذَنَا[٢٥] بِذُنُوبِنَا. وَانْشُرْ عَلَيْنَا رَحْمَتَكَ بِالسَّحَابِ المُنْبَعِقِ[٢٦]، وَالرَّبِيعِ المُغْدِقِ[٢٧]، وَالنَّبَاتِ المُونِقِ[٢٨]، سَحًّا[٢٩] وَابِلاً[٣٠]، تُحْيِي بِهِ مَا قَدْ مَاتَ، وَتَرُدُّ بِهِ مَا قَدْ فَاتَ. اللَّهُمَّ سُقْيَا مِنْكَ مُحْيِيَةً مُرْوِيَةً، تَامَّةً عَامَّةً، طَيِّبَةً مُبَارَكَةً، هَنِيئَةً مَرِيعَةً[٣١]، زَاكِياً نَبْتُهَا، ثَامِراً[٣٢] فَرْعُهَا، نَاضِراً[٣٣] وَرَقُهَا تُنْعِشُ بِهَا الضَّعِيفَ مِنْ عِبَادِكَ، وَتُحْيِي بِهَا المَيِّتَ مِنْ بِلاَدِكَ! اللَّهُمَّ سُقْيا مِنْكَ تُعْشِبُ بِهَا نِجَادُنَا[٣٤]، وَتَجْرِي بِهَا وِهَادُنَا[٣٥]، وَيُخْصِبُ بِهَا جَنَابُنَا[٣٦]، وَتُقْبِلُ بِهَا ثِمَارُنَا، وَتَعِيشُ بِهَا مَوَاشِينَا، وَتَنْدَى بِهَا[٣٧] أَقَاصِينَا[٣٨]، وَتَسْتَعِينُ بِهَا ضَوَاحِينَا[٣٩]؛ مِنْ بَرَكَاتِكَ الوَاسِعَةِ، وَعَطَايَاكَ الجَزِيلَةِ، عَلَى بَرِيَّتِكَ المُرْمِلَةِ[٤٠]، وَوَحْشِكَ

٧ ـ الثكالى : جمع ثكلى من فقدت ولدها.
٨ ـ المراتع : أماكن الخصب والسعة.
٩ ـ الموارد : أماكن الشرب.
١٠ ـ الأنين : التأوه.
١١ ـ الآنة : الشاة.
١٢ ـ الحانة : الناقة.
١٣ ـ المذاهب : المسالك.
١٤ ـ الموالج : المداخل من ولج إذا دخل.
١٥ ـ اعتكرت : اختلطت وازدحمت.
١٦ ـ الحدابير : جمع حدبار الناقة التي أنضاها السير شبه السنة التي فشى فيها الجدب.
١٧ ـ المخابل : جمع مخيلة للسحابة التي ترجى المطر.
١٨ ـ الجود : المطر.
١٩ ـ المبتئس : الذي مسته البأساء وهي الضراء.
٢٠ ـ البلاغ : الكفاية.
٢١ ـ الملتمس : الطالب.
٢٢ ـ قنط : يئس.
٢٣ ـ السّوام : جمع سائمة وهي البهيمة الراعية من الإبل والغنم.
٢٤ ـ لا تؤاخذنا : لا تعاقبنا.
٢٥ ـ لا تأخذنا بذنوبنا : لا تستأصلنا وتقضي علينا بسبب ذنوبنا.
٢٦ ـ المنبعق : المنفرج بالمطر.
٢٧ ـ المغدق : من أغدق يقال: أغدق المطر إذا كثر ماؤه.
٢٨ ـ المونق : الحسن المعجب.
٢٩ ـ السح : الصب والسيلان من فوق.
٣٠ ـ الوابل : الشديد من المطر الضخم القطر.
٣١ ـ مريعة : خصيبة.
٣٢ ـ ثامراً : مثمراً.
٣٣ ـ الناضر : الناعم الحسن الجميل.
٣٤ ـ النجاد : المرتفع من الأرض.
٣٥ ـ الوهاد : المنخفض من الأرض.
٣٦ ـ الجناب : الناحية.
٣٧ ـ تندى : تنتفع.

٧ ـ الثكالى : جمع ثكلى من فقدت ولدها.
٨ ـ المراتع : أماكن الخصب والسعة.
٩ ـ الموارد : أماكن الشرب.
١٠ ـ الأنين : التأوه.
١١ ـ الآنة : الشاة.
١٢ ـ الحانة : الناقة.
١٣ ـ المذاهب : المسالك.
١٤ ـ الموالج : المداخل من ولج إذا دخل.
١٥ ـ اعتكرت : اختلطت وازدحمت.
١٦ ـ الحدابير : جمع حدبار الناقة التي أنضاها السير شبه السنة التي فشى فيها الجدب.
١٧ ـ المخايل : جمع مخيلة للسحابة التي ترجى المطر.
١٨ ـ الجود : المطر.
١٩ ـ المبتئس : الذي مسته البأساء وهي الضراء.
٢٠ ـ البلاغ : الكفاية.
٢١ ـ الملتمس : الطالب.
٢٢ ـ قنط : يئس.
٢٣ ـ السّوام : جمع سائمة وهي البهيمة الراعية من الإبل والغنم.
٢٤ ـ لا تؤاخذنا : لا تعاقبنا.
٢٥ ـ لا تأخذنا بذنوبنا : لا تستأصلنا وتقضي علينا بسبب ذنوبنا.
٢٦ ـ المنبعق : المنفرج بالمطر.
٢٧ ـ المغدق : من أغدق يقال: أغدق المطر إذا كثر ماؤه.
٢٨ ـ المونق : الحسن المعجب.
٢٩ ـ السح : الصب والسيلان من فوق.
٣٠ ـ الوابل : الشديد من المطر الضخم القطر.
٣١ ـ مريعة : خصيبة.
٣٢ ـ ثامراً : مثمراً.
٣٣ ـ الناضر : الناعم الحسن الجميل.
٣٤ ـ النجاد : المرتفع من الأرض.
٣٥ ـ الوهاد : المنخفض من الأرض.
٣٦ ـ الجناب : الناحية.
٣٧ ـ تندى : تنتفع.

عطائه وخيره وفيض وجوده. . . وعندما يرى الله صدق العبد وصحة توجهه إليه. . . عندما يرى ذله ومسكنته يرسل أبواب رحمته من كرمه. . . يرسل السماء عليه مدراراً ويأمر الأرض أن تخرج له كنوزها فتدب الحياة في الأموات وينتعش ميت البلاد، إنها رحمة الله وقدرته تتجسد في صلاة الاستسقاء. . .

صلاة الاستسقاء: . صلاة الاستسقاء صلاة يطلب بها أن يرسل الله المطر على قوم أجدبوا وضاقت بهم سبل الحياة. . . عندما تشح السماء بعطائها فتمنع قطرها يتوجه هذا الإنسان بهذه الصلاة إلى الله فتنفتح أبواب الرحمة الإلهية فينزل الغيث وتروى العباد والبلاد والحيوانات والبهائم وتعود لهم الحياة. . .

وكيفيتها كما يذكرها الفقهاء موجزاً:

١ ـ أن يتوب الناس عن المعاصي والآثام ويردوا المظالم إلى أهلها.

٢ ـ صوم ثلاثة أيام يكون ثالثها يوم الإثنين.

٣ ـ يخرجون في اليوم الثالث إلى الصحراء وإن كانوا بمكة فإلى المسجد الحرام حفاة ونعالهم في أيديهم بسكينة ووقار متخشعين مستغفرين.

٤ ـ يخرجون الشيوخ والصبيان والبهائم وأهل الزهد والصلاح.

٥ ـ يفرقون بين الأمهات والأولاد.

٦ ـ ويقولون بدل الآذان: الصلاة ثلاثاً.

٧ ـ يصلي الإمام بالناس ركعتين يقرأ في الأولى بعد الحمد سورة جهراً ثم يكبّر أربع تكبيرات يقنت عقيب كل تكبيرة ويدعو في القنوت بالاستغفار وطلب الغيث وإنزال الرحمة ثم يكبّر السادسة ويركع ويسجد بعدها سجدتين ثم يقوم إلى الركعة الثانية فيفعل مثلما فعل في الأولى إلا أن التكبيرات فيها أربع.

فإذا فرغ من الصلاة يصعد المنبر ويحوّل رداءه فيجعل الذي على يمينه على يساره والذي على يساره على يمينه ثم يخطب بخطبتين.

ثم يستقبل القبلة فيكبّر مائة مرة رافعاً بها صوته.

ثم يلتفت إلى يمينه فيسبّح الله مائة مرة رافعاً بها صوته.

ثم يلتفت إلى يساره فيهلل الله مائة مرة رافعاً بها صوته.

عطائه وخيره وفيض وجوده. . . وعندما يرى الله صدق العبد وصحة توجهه إليه. . . عندما يرى ذله ومسكنته يرسل أبواب رحمته من كرمه. . . يرسل السماء عليه مدراراً ويأمر الأرض أن تخرج له كنوزها فتدب الحياة في الأموات وينتعش ميت البلاد، إنها رحمة الله وقدرته تتجسد في صلاة الاستسقاء. . .

صلاة الاستسقاء: . صلاة الاستسقاء صلاة يطلب بها أن يرسل الله المطر على قوم أجدبوا وضاقت بهم سبل الحياة. . . عندما تشح السماء بعطائها فتمنع قطرها يتوجه هذا الإنسان بهذه الصلاة إلى الله فتنفتح أبواب الرحمة الإلهية فينزل الغيث وتروى العباد والبلاد والحيوانات والبهائم وتعود لهم الحياة. . .

وكيفيتها كما يذكرها الفقهاء موجزاً:

١ ـ أن يتوب الناس عن المعاصي والآثام ويردوا المظالم إلى أهلها.

٢ ـ صوم ثلاثة أيام يكون ثالثها يوم الإثنين.

٣ ـ يخرجون في اليوم الثالث إلى الصحراء وإن كانوا بمكة فإلى المسجد الحرام حفاة ونعالهم في أيديهم بسكينة ووقار متخشعين مستغفرين.

٤ ـ يخرجون الشيوخ والصبيان والبهائم وأهل الزهد والصلاح.

٥ ـ يفرقون بين الأمهات والأولاد.

٦ ـ ويقولون بدل الآذان: الصلاة ثلاثاً.

٧ ـ يصلي الإمام بالناس ركعتين يقرأ في الأولى بعد الحمد سورة جهراً ثم يكبّر أربع تكبيرات يقنت عقيب كل تكبيرة ويدعو في القنوت بالاستغفار وطلب الغيث وإنزال الرحمة ثم يكبّر السادسة ويركع ويسجد بعدها سجدتين ثم يقوم إلى الركعة الثانية فيفعل مثلما فعل في الأولى إلا أن التكبيرات فيها أربع.

فإذا فرغ من الصلاة يصعد المنبر ويحوّل رداءه فيجعل الذي على يمينه على يساره والذي على يساره على يمينه ثم يخطب بخطبتين.

ثم يستقبل القبلة فيكبّر مائة مرة رافعاً بها صوته.

ثم يلتفت إلى يمينه فيسبّح الله مائة مرة رافعاً بها صوته.

ثم يلتفت إلى يساره فيهلل الله مائة مرة رافعاً بها صوته.

(اللهم فارحم أنين الآنة وحنين الحانة، اللهم فارحم حيرتها في مذاهبها وأنينها في موالجها). بعد شرح حال الدواب ومعاناتها وما يمر عليها جاء دور الاستغاثة بالله. . . بهذا النداء وبما فيه من الرقة والعطف اللهم فارحم أنين الآنة من الشياه وحنين الحانة من النوق اللهم ارحم حيرتها في مسالك سيرها حيث فقدت توازنها ولم تعد تعرف كيف تتحرك في طرقها وارحم تأوهها في أماكن دخولها.

وقدم عليه السلام ذكر الدواب لأنها أقرب إلى الرحمة وفي الحديث: لولا أطفال رضع وشيوخ ركع وبهائم رتع لصب عليكم العذاب صباً. . .

(اللهم خرجنا إليك حين اعتكرت علينا حدابير السنين واخلفتنا مخايل الجود فكنت الرجاء للمبتئس والبلاغ للملتمس). اللهم خرجنا إليك وما أجمل هذا الخروج وأجمل منه أن يخرج إليه في أيام العافية والرخاء. . .

اللهم خرجنا إليك حين تكررت علينا السنون المجدبة القاسية الماحلة الهزيلة التي أكلت الشحم واللحم وقد أخلفت ظنوننا السحب التي كانت تمطرنا وتنزل علينا قطرها. . .

فأنت يا رب الرجاء الذي يتطلع إليه من أصابه البؤس ومسته الضراء والشقاء.

وبك يا رب يبلغ الطالب حاجته ويصل إلى بغيته. . .

(ندعوك حين قنط الأنام ومنع الغمام وهلك السوام ألا تؤاخذنا بأعمالنا ولا تأخذنا بذنوبنا). نتوجه إليك يا رب بالدعاء في وقت صعب جداً إنه وقت يئس فيه الناس من رحمتك ومنع الغمام المطر وهلكت المواشي التي تعيش ببرك وعطائك، ندعوك يا رب ألا تعاقبنا على سوء أعمالنا وقبائح ما عندنا ولا تقضي علينا بما ارتكبنا وعملنا من الآثام.

وهذا يدل على أن الأعمال القبيحة تمنع قطر السماء وترفع البركة والرحمة وتنزل العقاب والعذاب.

(وانشر علينا رحمتك بالسحاب المنبعق والربيع المعذق والنبات المونق سحاً وابلاً تحيي به ما قد مات وترد به ما قد فات). بعد أن دعا الله أن لا يعاقبنا بذنوبنا أو يأخذنا بها دعاه أن يبسط رحمته المتمثلة بالغيوم التي ينفجر منها الماء ويخرج لنا الربيع المثمر بالخير والنبات المعجب للعين المؤنس للنفس. . .

(اللهم فارحم أنين الآنة وحنين الحانة، اللهم فارحم حيرتها في مذاهبها وأنينها في موالجها). بعد شرح حال الدواب ومعاناتها وما يمر عليها جاء دور الاستغاثة بالله. . . بهذا النداء وبما فيه من الرقة والعطف اللهم فارحم أنين الآنة من الشياه وحنين الحانة من النوق اللهم ارحم حيرتها في مسالك سيرها حيث فقدت توازنها ولم تعد تعرف كيف تتحرك في طرقها وارحم تأوهها في أماكن دخولها.

وقدم عليه السلام ذكر الدواب لأنها أقرب إلى الرحمة وفي الحديث: لولا أطفال رضع وشيوخ ركع وبهائم رتع لصب عليكم العذاب صباً. . .

(اللهم خرجنا إليك حين اعتكرت علينا حدابير السنين واخلفتنا مخايل الجود فكنت الرجاء للمبتئس والبلاغ للملتمس). اللهم خرجنا إليك وما أجمل هذا الخروج وأجمل منه أن يخرج إليه في أيام العافية والرخاء. . .

اللهم خرجنا إليك حين تكررت علينا السنون المجدبة القاسية الماحلة الهزيلة التي أكلت الشحم واللحم وقد أخلفت ظنوننا السحب التي كانت تمطرنا وتنزل علينا قطرها. . .

فأنت يا رب الرجاء الذي يتطلع إليه من أصابه البؤس ومسته الضراء والشقاء.

وبك يا رب يبلغ الطالب حاجته ويصل إلى بغيته. . .

(ندعوك حين قنط الأنام ومنع الغمام وهلك السوام ألا تؤاخذنا بأعمالنا ولا تأخذنا بذنوبنا). نتوجه إليك يا رب بالدعاء في وقت صعب جداً إنه وقت يئس فيه الناس من رحمتك ومنع الغمام المطر وهلكت المواشي التي تعيش ببرك وعطائك، ندعوك يا رب ألا تعاقبنا على سوء أعمالنا وقبائح ما عندنا ولا تقضي علينا بما ارتكبنا وعملنا من الآثام.

وهذا يدل على أن الأعمال القبيحة تمنع قطر السماء وترفع البركة والرحمة وتنزل العقاب والعذاب.

(وانشر علينا رحمتك بالسحاب المنبعق والربيع المعذق والنبات المونق سحاً وابلاً تحيي به ما قد مات وترد به ما قد فات). بعد أن دعا الله أن لا يعاقبنا بذنوبنا أو يأخذنا بها دعاه أن يبسط رحمته المتمثلة بالغيوم التي ينفجر منها الماء ويخرج لنا الربيع المثمر بالخير والنبات المعجب للعين المؤنس للنفس. . .

بعد ما قنطوا وتنشر رحمتك وأنت الولي الحميد). حتى تعطي الأرض خيراتها لأهل الجدب ويحيا من أصابهم القحط ببركتها.

ثم قرأ الآية ودعا بها رجاءً للإجابة وأن الله هو الذي ينزل المطر بعد ما يئس الناس منه وينشر رحمته على العباد وهو ولي عباده والمتولي لشؤونهم ومعرفة مصالحهم وهو المستحق لكل حمد...

بعد ما قنطوا وتنشر رحمتك وأنت الولي الحميد). حتى تعطي الأرض خيراتها لأهل الجدب ويحيا من أصابهم القحط ببركتها.

ثم قرأ الآية ودعا بها رجاءً للإجابة وأن الله هو الذي ينزل المطر بعد ما يئس الناس منه وينشر رحمته على العباد وهو ولي عباده والمتولي لشؤونهم ومعرفة مصالحهم وهو المستحق لكل حمد. . .

اللغة

١ ـ الواني : المتثاقل الكال الفاتر.
٢ ـ واهن : ضعيف.
٣ ـ المعذر : بالتشديد من يعتذر ولا يثبت له عذر.
٤ ـ الصعدات : جمع الصعد وهو جمع الصعيد وجه الأرض أو الطريق.
٥ ـ الالتدام : ضرب النساء صدورهن أو وجوههن للنياحة.
٦ ـ الخالف : من تخلفه في غيابك على مالك وأهلك.
٧ ـ همت : شغلت وأهمني الأمر أحزنني.
٨ ـ تاه عن فلان رأيه : أي عزب وضل.
٩ ـ ميامين : جمع ميمون المبارك ورأي ميمون أي مبارك.
١٠ ـ مراجيح : من رجح إذا مال بغيره إذا وزن بغيره كان أوزن.
١١ ـ مقاويل : جمع مقوال من يحسن القول.
١٢ ـ متاريك : جمع متراك المبالغ في الترك.
١٣ ـ البغي : الظلم والتعدي.
١٤ ـ القدم : بضم القاف والدال سابقين.
١٥ ـ أوجفوا : أسرعوا.
١٦ ـ المحجة : الطريق المستقيمة الواضحة.
١٧ ـ الكرامة الباردة : الهنية.
١٨ ـ الذيال : التائه المتبختر، من جر ثوبه على الأرض تيهاً.
١٩ ـ الميال : الظالم.
٢٠ ـ الخضرة : بفتح الخاء وكسر الضاد الزرع والبقلة الخضراء.
٢١ ـ الوذحة : الخنفساء.

الشرح

(أرسله داعياً إلى الحق وشاهداً على الخلق فبلّغ رسالات ربه غير وان ولا مقصر وجاهد في الله أعداءه غير واهن ولا معذر إمام من اتقى وبصر من اهتدى). ابتدأ عليه السلام بذكر رسول الله صلى الله عليه وآله وذكر بعض أوصافه الكريمة فقال: إن الله أرسله رسولاً داعياً إلى الحق وهو الإسلام وما في تعاليمه من خير وأخلاق...

اللغة

١ ـ الواني : المتثاقل الكال الفاتر.
٢ ـ واهن : ضعيف.
٣ ـ المعذر : بالتشديد من يعتذر ولا يثبت له عذر.
٤ ـ الصعدات : جمع الصعد وهو جمع الصعيد وجه الأرض أو الطريق.
٥ ـ الالتدام : ضرب النساء صدورهن أو وجوههن للنياحة.
٦ ـ الخالف : من تخلفه في غيابك على مالك وأهلك.
٧ ـ همت : شغلت وأهمني الأمر أحزنني.
٨ ـ تاه عن فلان رأيه : أي عزب وضل.
٩ ـ ميامين : جمع ميمون المبارك ورأي ميمون أي مبارك.
١٠ ـ مراجيح : من رجح إذا مال بغيره إذا وزن بغيره كان أوزن.
١١ ـ مقاويل : جمع مقوال من يحسن القول.
١٢ ـ متاريك : جمع متراك المبالغ في الترك.
١٣ ـ البغي : الظلم والتعدي.
١٤ ـ القدم : بضم القاف والدال سابقين.
١٥ ـ أوجفوا : أسرعوا.
١٦ ـ المحجة : الطريق المستقيمة الواضحة.
١٧ ـ الكرامة الباردة : الهنية.
١٨ ـ الذيال : التائه المتبختر، من جر ثوبه على الأرض تيهاً.
١٩ ـ الميال : الظالم.
٢٠ ـ الخضرة : بفتح الخاء وكسر الضاد الزرع والبقلة الخضراء.
٢١ ـ الوذحة : الخنفساء.

الشرح

(أرسله داعياً إلى الحق وشاهداً على الخلق فبلّغ رسالات ربه غير وان ولا مقصر وجاهد في الله أعداءه غير واهن ولا معذر إمام من اتقى وبصر من اهتدى). ابتدأ عليه السلام بذكر رسول الله صلى الله عليه وآله وذكر بعض أوصافه الكريمة فقال: إن الله أرسله رسولاً داعياً إلى الحق وهو الإسلام وما في تعاليمه من خير وأخلاق...

(ولكنكم نسيتم ما ذكرتم وأمنتم ما حذرتم فتاه عنكم رأيكم وتشتت عليكم أمركم). فهناك تذكير لكم وتحذير بما ينتظركم إن توحدتم والتزمتم بما أراد الله وتحذير لكم من معصيته وعدم التزامكم بما أمر وعدم طاعته في العمل والإقدام على دحر الطواغيت والظالمين.

ولكن أعقبكم عدم التذكر والنسيان أن ضل عنكم رأيكم الصائب ولم تهتدوا إلى الأمر الصحيح السليم المنقذ لكم من السقوط في مهاوي المهالك...

(ولوددت أن الله فرق بيني وبينكم وألحقني بمن هو أحق بي منكم قوم والله ميامين الرأي مراجيح الحلم مقاويل بالحق متاريك للبغي مضوا قدماً على الطريقة وأوجفوا على المحجة فظفروا بالعقبى الدائمة والكرامة الباردة). تمنى عليه السلام وأطلق ما تمناه في وجوههم.. إنها نفثة خرجت من قلب المعاناة التي يعيشها ومن واقع التمرد الذي يمارسه أهل العراق عليه... إنه تمنى لو أن الله فرق بينه وبينهم وكم تكون الأذية حتى يتمنى فراقهم والبعد عنهم...

إنه تمنى فراقهم وتمنى أن يلحقه الله بقوم أحق به منهم لم يذكرهم بأسمائهم وإنما ذكرهم بأوصافهم وإن انطبقت هذه الأوصاف على ثلة طاهرة تقدمت عليه واستشهدت بين يديه وصفاتهم هي:

أ ـ قوم ميامين الرأي: أصحاب رأي مبارك صائب مستقيم.

ب ـ قوم مراجيح الحلم: فأحلامهم وعقولهم راجحة إذا ارتأت أمراً كان الحق معها...

ج ـ قوم مقاويل بالحق: منطقهم الحق لا يتكلمون بالباطل.

د ـ قوم متاريك للبغي: إنهم لا يدنون من الظلم أبداً ولا يتجاوزون المرسوم بحال...

هـ ـ قوم مضوا قدماً على الطريقة: قوم ساروا على الطريقة الصحيحة قديماً أو قوم تقدموا علينا ساروا على الطريقة الصحيحة والسليمة...

و ـ قوم أوجفوا على المحجة: أي أسرعوا في مسيرهم على الطريقة الواضحة حباً بها ورغبة بما فيها.

وكانت العاقبة لهذه الثلة الطاهرة التي تمنى وجوده معها إنهم أدركوا الآخرة السعيدة وهي الجنة وما فيها من نعيم خالدين فيها...

(ولكنكم نسيتم ما ذكرتم وأمنتم ما حذرتم فتاه عنكم رأيكم وتشتت عليكم أمركم). فهناك تذكير لكم وتحذير تذكير بما ينتظركم إن توحدتم والتزمتم بما أراد الله وتحذير لكم من معصيته وعدم التزامكم بما أمر وعدم طاعته في العمل والإقدام على دحر الطواغيت والظالمين.

ولكن أعقبكم عدم التذكر والنسيان أن ضل عنكم رأيكم الصائب ولم تهتدوا إلى الأمر الصحيح السليم المنقذ لكم من السقوط في مهاوي المهالك...

(ولوددت أن الله فرق بيني وبينكم وألحقني بمن هو أحق بي منكم قوم والله ميامين الرأي مراجيح الحلم مقاويل بالحق متاريك للبغي مضوا قدماً على الطريقة وأوجفوا على المحجة نظفروا بالعقبى الدائمة والكرامة الباردة). تمنى عليه السلام وأطلق ما تمناه في وجوههم.. إنها نفثة خرجت من قلب المعاناة التي يعيشها ومن واقع التمرد الذي يمارسه أهل العراق عليه... إنه تمنى لو أن الله فرق بينه وبينهم وكم تكون الأذية حتى يتمنى فراقهم والبعد عنهم...

إنه تمنى فراقهم وتمنى أن يلحقه الله بقوم أحق به منهم لم يذكرهم بأسمائهم وإنما ذكرهم بأوصافهم وإن انطبقت هذه الأوصاف على ثلة طاهرة تقدمت عليه واستشهدت بين يديه وصفاتهم هي:

أ ـ قوم ميامين الرأي: أصحاب رأي مبارك صائب مستقيم.

ب ـ قوم مراجيح الحلم: فأحلامهم وعقولهم راجحة إذا ارتأت أمراً كان الحق معها...

ج ـ قوم مقاويل بالحق: منطقهم الحق لا يتكلمون بالباطل.

د ـ قوم متاريك للبغي: إنهم لا يدنون من الظلم أبداً ولا يتجاوزون المرسوم بحال...

هـ ـ قوم مضوا قدماً على الطريقة: قوم ساروا على الطريقة الصحيحة قديماً أو قوم تقدموا علينا ساروا على الطريقة الصحيحة والسليمة...

و ـ قوم أوجفوا على المحجة: أي أسرعوا في مسيرهم على الطريقة الواضحة حباً بها ورغبة بما فيها.

وكانت العاقبة لهذه الثلة الطاهرة التي تمنى وجوده معها إنهم أدركوا الآخرة السعيدة وهي الجنة وما فيها من نعيم خالدين فيها...

١١٧ ـ ومن كلام له عليه السلام

يوبخ البخلاء بالمال والنفس

فَلاَ أَمْوَالَ بَذَلْتُمُوها[١] لِلَّذِي رزَقَها، وَلاَ أَنْفُسَ خَاطَرْتُمْ[٢] بِهَا لِلَّذِي خَلَقَهَا. تَكْرُمُونَ[٣] بِاللهِ عَلَى عِبَادِهِ، وَلاَ تُكْرِمُون اللهَ فِي عِبَادِهِ! فَاعْتَبِرُوا بِنُزُولِكُمْ مَنَازِلَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، وانْقِطَاعِكُمْ عَنْ أَوْصَلِ إِخْوَانِكُمْ!.

اللغة

١ ـ بذل الشيء : اعطاه وجاد به.
٢ ـ خاطرتم : ارتكبتم ما فيه خطر وهلاك.
٣ ـ تكرمون : من كرم الشي إذا عز ونفس.

الشرح

(فلا أموال بذلتموها للذي رزقها ولا أنفس خاطرتم بها للذي خلقها). ذمهم بهذين الوصفين القبيحين.

فالأموال التي هي من الله والتي هي ملك له والتي من فضله كانت بأيديكم كان حقها أن تصرف فيما أمر وأراد من اعانة عباد الله وسد عوزهم ورفع حاجتهم... من أجل مصالح الأمة وما ينفعها ويفيدها.. هذه الأموال قد بخلتم بها عن الله وفي سبيله ولم تبذلوها لمستحقيها... وهذه الأنفس التي خلقها الله والتي بقاؤها واستمرارها بيد الله من حقكم أن تجاهدوا فيها من أجله فلماذا تبخلون بها عمن هو أحق بها منكم فلا الأموال بذلتم ولا بالأنفس جاهدتم.

١١٧ ـ ومن كلام له عليه السلام

يوبخ البخلاء بالمال والنفس

فَلاَ أَمْوَالَ بَذَلْتُمُوها[١] لِلَّذِي رزَقَها، وَلاَ أَنْفُسَ خَاطَرْتُمْ[٢] بِهَا لِلَّذِي خَلَقَهَا. تَكْرُمُونَ[٣] بِاللهِ عَلَى عِبَادِهِ، وَلاَ تُكْرِمُون اللهَ فِي عِبَادِهِ! فَاعْتَبِرُوا بِنُزُولِكُمْ مَنَازِلَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، وانْقِطَاعِكُمْ عَنْ أَوْصَلِ إِخْوَانِكُمْ!.

اللغة

١ ـ بذل الشيء : اعطاه وجاد به.
٢ ـ خاطرتم : ارتكبتم ما فيه خطر وهلاك.
٣ ـ تكرمون : من كرم الشي إذا عز ونفس.

الشرح

(فلا أموال بذلتموها للذي رزقها ولا أنفس خاطرتم بها للذي خلقها). ذمهم بهذين الوصفين القبيحين.

فالأموال التي هي من الله والتي هي ملك له والتي من فضله كانت بأيديكم كان حقها أن تصرف فيما أمر وأراد من اعانة عباد الله وسد عوزهم ورفع حاجتهم... من أجل مصالح الأمة وما ينفعها ويفيدها.. هذه الأموال قد بخلتم بها عن الله وفي سبيله ولم تبذلوها لمستحقيها... وهذه الأنفس التي خلقها الله والتي بقاؤها واستمرارها بيد الله من حقكم أن تجاهدوا فيها من أجله فلماذا تبخلون بها عمن هو أحق بها منكم فلا الأموال بذلتم ولا بالأنفس جاهدتم.

١١٨ ـ ومن كلام له عليه السلام

في الصالحين من أصحابه

أَنْتُمُ الأَنْصَارُ عَلَى الْحَقِّ، وَالإِخْوَانُ فِي الدِّينِ، وَالْجُنَنُ[١] يَوْمَ الْبَأْسِ[٢]، والْبِطَانَةُ[٣] دُونَ النَّاسِ. بِكُمْ أَضْرِبُ الْمُدْبِرَ[٤]، وَأَرْجُو طَاعَةَ الْمُقْبِلِ. فَأَعِينُونِي بِمُنَاصَحَةٍ[٥] خَلِيَّةٍ مَنِ الْغِشِّ، سَلِيمَةٍ مِنَ الرَّيْبِ[٦]، فَوَاللهِ إِنِّي لأَوْلَى النَّاسَ بَالنَّاسِ!.

اللغة

١ ـ الجنن : بضم جمع جنة أيضاً بالضم وهي الوقاية وما يستتر به.
٢ ـ البأس : الشدة.
٣ ـ البطانة : للرجل خاصته وأصحاب سره.
٤ ـ المدبر : من أعطى دبره، الهارب.
٥ ـ المناصحة : أن ينصح كل واحد الآخر والنصح هو إخلاص المودة، الموعظة.
٦ ـ الريب : الشك.

الشرح

(أنتم الأنصار على الحق والإخوان في الدين والجنن يوم البأس والبطانة دون الناس). وجه الإمام هذا الكلام إلى أصحابه بعد انتصاره في معركة الجمل حيث ابدوا شجاعة فائقة ففي يوم واحد تم له ما أراد وكسب المعركة وهزم الله الناكثين.. مدحهم ليشد من عزيمتهم ويقويهم على إكمال المسير فقال لهم: أنتم الأنصار على الدين

١١٨ ـ ومن كلام له عليه السلام

في الصالحين من أصحابه

أَنْتُمُ الأَنْصَارُ عَلَى الْحَقِّ، وَالإِخْوَانُ فِي الدِّينِ، وَالْجُنَنُ[١] يَوْمَ الْبَأْسِ[٢]، والْبِطَانَةُ[٣] دُونَ النَّاسِ. بِكُمْ أَضْرِبُ الْمُدْبِرَ[٤]، وَأَرْجُو طَاعَةَ الْمُقْبِلِ. فَأَعِينُونِي بِمُنَاصَحَةٍ[٥] خَلِيَّةٍ مَنِ الْغِشِّ، سَلِيمَةٍ مِنَ الرَّيْبِ[٦]، فَوَاللهِ إِنِّي لأَوْلَى النَّاسَ بَالنَّاسِ!.

اللغة

١ ـ الجنن : بضم جمع جنة أيضاً بالضم وهي الوقاية وما يستتر به.
٢ ـ البأس : الشدة.
٣ ـ البطانة : للرجل خاصته وأصحاب سره.
٤ ـ المدبر : من أعطى دبره، الهارب.
٥ ـ المناصحة : أن ينصح كل واحد الآخر والنصح هو إخلاص المودة، الموعظة.
٦ ـ الريب : الشك.

الشرح

(أنتم الأنصار على الحق والإخوان في الدين والجنن يوم البأس والبطانة دون الناس). وجه الإمام هذا الكلام إلى أصحابه بعد انتصاره في معركة الجمل حيث ابدوا شجاعة فائقة ففي يوم واحد تم له ما أراد وكسب المعركة وهزم الله الناكثين.. مدحهم ليشد من عزيمتهم ويقويهم على إكمال المسير فقال لهم: أنتم الأنصار على الدين

١١٩ ـ ومن كلام له عليه السلام

وقد جمع الناس وحضهم على الجهاد فسكتوا ملياً

فقال عليه السلام: مَا بَالُكُمْ أمُخْرِسُونَ[١] أنْتُمْ؟ فقال قوم منهم: يا أمير المؤمنين، إن سرت سرنا معك.

فقال عليه السلام: مَا بَالُكُمْ[٢]! لاَ سُدِّدْتُمْ[٣] لِرُشْدٍ[٤]! وَلاَ هُدِيتُمْ لِقَصْدٍ[٥]! أفِي مِثْلِ هذَا يَنْبَغِي لِي أنْ أخْرُجَ؟ وَإنَّمَا يَخْرُجُ فِي مِثْلِ هذَا رَجُلٌ مِمَّنْ أرْضَاهُ مِنْ شُجْعَانِكُمْ وَذَوِي بَأسِكُمْ[٦]، وَلاَ يَنْبَغِي لِي أنْ أدَعَ الْجُنْدَ وَالمِصْرَ وَبَيْتَ الْمَالَ وَجِبَايَةَ[٧] الأرْضِ، والْقَضَاءَ بَيْنَ الْمُسْلِمين، والنَّظَرَ فِي حُقُوقِ الْمُطَالِبِينَ، ثُمَّ أخْرُجَ فِي كَتِيبَةٍ[٨] أتْبَعُ أُخْرَى، أتَقَلْقَلُ[٩] تَقَلْقُلَ الْقِدْحِ[١٠] فِي الْجَفِيرِ[١١] الْفَارِغِ، وَإنَّمَا أنَا قُطْبُ الرَّحَا[١٢]، تَدُورُ عَلَيَّ وَأنَا بِمَكَانِي، فَإذَا فَارَقْتُهُ اسْتَحَارَ[١٣] مَدَارُهَا[١٤]، واضْطَرَبَ ثِفَالُهَا[١٥]. هذَا لَعَمْرُ الله الرَّأْيُ السُّوءُ. وَاللهِ لَوْلاَ رَجَائِي الشَّهَادَةَ عِنْدَ لِقَائِي الْعَدُوَّ ـ وَلَو قَدْ حُمَّ[١٦] لِي لِقَاؤُهُ ـ لَقَرَّبْتُ رِكَابِي[١٧] ثُمَّ شَخَصْتُ[١٨] عَنْكُمْ فَلاَ أطْلُبُكُمْ مَا اخْتَلَفَ جَنُوبٌ وَشَمَالٌ، طَعَّانِينَ[١٩] عَيَّابِينَ[٢٠]، حَيَّادِينَ[٢١] رَوَّاغِينَ[٢٢]، إنَّهُ لاَ غَنَاءَ[٢٣] فِي كَثْرَةِ عَدَدِكُمْ مَعَ قِلَّةِ اجْتِمَاعِ قُلُوبِكُمْ. لَقَدْ حَمَلْتُكُمْ عَلَى الطَّرِيقَ الْوَاضِحِ الَّتِي لاَ يِهْلِكُ عَلَيْهَا إلاَّ هَالِكٌ، مَنِ اسْتَقَامَ فَإلَى الْجَنَّةِ، وَمَنْ زَلَّ فَإلَى النَّارِ!.

١١٩ ـ ومن كلام له عليه السلام

وقد جمع الناس وحضهم على الجهاد فسكتوا ملياً

فقال عليه السلام: مَا بَالُكُمْ أمُخْرِسُونَ[١] أنْتُمْ؟ فقال قوم منهم: يا أمير المؤمنين، إن سرت سرنا معك.

فقال عليه السلام: مَا بَالُكُمْ[٢]! لاَ سُدِّدْتُمْ[٣] لِرُشْدٍ[٤]! وَلاَ هُدِيتُمْ لِقَصْدٍ[٥]! أفِي مِثْلِ هذَا يَنْبَغِي لِي أنْ أخْرُجَ؟ وَإنَّمَا يَخْرُجُ فِي مِثْلِ هذَا رَجُلٌ مِمَّنْ أرْضَاهُ مِنْ شُجْعَانِكُمْ وَذَوِي بَأسِكُمْ[٦]، وَلاَ يَنْبَغِي لِي أنْ أدَعَ الْجُنْدَ وَالمِصْرَ وَبَيْتَ الْمَالَ وَجِبَايَةَ[٧] الأرْضِ، والْقَضَاءَ بَيْنَ الْمُسْلِمين، والنَّظَرَ فِي حُقُوق الْمُطَالِبِينَ، ثُمَّ أخْرُجَ فِي كَتِيبَةٍ[٨] أتْبَعُ أُخْرَى، أتَقَلْقَلُ[٩] تَقَلْقُلَ الْقِدْحِ[١٠] فِي الْجَفِيرِ[١١] الْفَارِغِ، وَإنَّمَا أنَا قُطْبُ الرَّحَا[١٢]، تَدُورُ عَلَيَّ وَأنَا بِمَكَانِي، فَإذَا فَارَقْتُهُ اسْتَحَارَ[١٣] مَدَارُهَا[١٤]، واضْطَرَبَ ثِفَالُهَا[١٥]. هذَا لَعَمْرُ الله الرَّأْيُ السُّوءُ. وَاللهِ لَوْلاَ رَجَائِي الشَّهَادَةَ عِنْدَ لِقَائِي الْعَدُوَّ ـ وَلَو قَدْ حُمَّ[١٦] لِي لِقَاؤُهُ ـ لَقَرَّبْتُ رِكَابِي[١٧] ثُمَّ شَخَصْتُ[١٨] عَنْكُمْ فَلاَ أطْلُبُكُمْ مَا اخْتَلَفَ جَنُوبٌ وَشَمَالٌ، طَعَّانِينَ[١٩] عَيَّابِينَ[٢٠]، حَيَّادِينَ[٢١] رَوَّاغِينَ[٢٢]، إنَّهُ لاَ غَنَاءَ[٢٣] فِي كَثْرَةِ عَدَدِكُمْ مَعَ قِلَّةِ اجْتِمَاعِ قُلُوبِكُمْ. لَقَدْ حَمَلْتُكُمْ عَلَى الطَّرِيقَ الْوَاضِحِ الَّتي لاَ يِهْلِكُ عَلَيْهَا إلاَّ هَالِكٌ، مَنِ اسْتَقَامَ فَإلَى الْجَنَّةِ، وَمَنْ زَلَّ فَإلَى النَّارِ!.

على الجهاد فقال لهم ذلك في يوم ما فسكتوا جميعاً طويلاً فقال لهم: هل أصابكم الخرس وتعطلت السنتكم عن الجواب.

فقالوا عندها إن سرت سرنا معك فقد ربطوا مسيرهم بمسيره فعندها وبخهم لهذا الرأي الفقير الذي لم يعهده قائد من جنده ولن يعهده التاريخ إلا من بني إسرائيل الذين قالوا لموسى إذهب أنت وربك فقاتلا.

ثم بين فساد رأيهم وضلال قولهم قائلاً.

(ما بالكم لا سددتم لرشد ولا هديتم لقصد أفي مثل هذا ينبغي لي أن أخرج). استفهم مستنكراً عليهم طلبهم وصدره بالدعاء عليهم ـ وليس لبيان حالهم كما قال بعضهم ـ دعا عليهم بأن لا يوفقوا لصواب ولا يهتدوا للخير لأن طلبهم هذا لم يقع في موقعه وليس فيه من الصواب أدنى درجاته.

أفي مثل هذا ينبغي أن أخرج أي لا يجوز لي أن أخرج لأن معاوية يرسل كتائبه لغزو اطرافكم فيجب أن تقابلوهم وتردوهم وهل كان من شأن الإمام أن يخرج خلف كل حملة يرسلها معاوية ويجلس قادة الجند والناس لا يخرجون إلا معه...

ثم بين فساد رأيهم بقوله.

(وإنما يخرج في مثل هذا رجل ممن ارضاه من شجعانكم وذوي بأسكم). يجب أن يخرج لملاقاة ما يرسله معاوية من جند لغزوكم رجل يقع موضع الرضا عندي بأن يكون أميناً ثقة صاحب خبرة شجاعاً ذا قوة وشدة يدفع جند معاوية ويطاردهم وينكل بهم لأن هذه الحملات الصغيرة لا تستدعي من خليفة المسلمين أن يواجهها بنفسه طالما يستطيع بعض قادته مع جنود الإسلام مواجهتها وردها وتأديب أهلها...

(ولا ينبغي لي أن أدع الجند والمصر وبيت المال وجباية الأرض والقضاء بين المسلمين والنظر في حقوق المطالبين). هذه هي الأمور التي تستوجب عدم خروجه لكتائب معاوية التي وجهها لغزو بعض أطراف حكمه.

١ ـ إن هناك الجنود الذين يحتاجون إلى رعاية ويجب أن يكون نظر الإمام باستمرار إليهم في التدريب والعناية والبحث عن مصالحهم وما يقوي شوكتهم ويشد عزيمتهم وهذا لا يتأتى إذا كان الإمام بعيداً عنهم...

٢ ـ كيف يترك عاصمة الحكم ومن يدبر أمور الحكم ويضبط الناس ويمنع الفوضى...

على الجهاد فقال لهم ذلك في يوم ما فسكتوا جميعاً طويلاً فقال لهم: هل أصابكم الخرس وتعطلت الستتكم عن الجواب.

فقالوا عندها إن سرت سرنا معك فقد ربطوا مسيرهم بمسيره فعندها وبخهم لهذا الرأي الفقير الذي لم يعهده قائد من جنده ولن يعهده التاريخ إلا من بني إسرائيل الذين قالوا لموسى إذهب أنت وربك فقاتلا.

ثم بين فساد رأيهم وضلال قولهم قائلاً.

(ما بالكم لا سددتم لرشد ولا هديتم لقصد أفي مثل هذا ينبغي لي أن أخرج). استفهم مستنكراً عليهم طلبهم وصدره بالدعاء عليهم ـ وليس لبيان حالهم كما قال بعضهم ـ دعا عليهم بأن لا يوفقوا لصواب ولا يهتدوا للخير لأن طلبهم هذا لم يقع في موقعه وليس فيه من الصواب أدنى درجاته.

أفي مثل هذا ينبغي أن أخرج أي لا يجوز لي أن أخرج لأن معاوية يرسل كتائبه لغزو اطرافكم فيجب أن تقابلوهم وتردوهم وهل كان من شأن الإمام أن يخرج خلف كل حملة يرسلها معاوية ويجلس قادة الجند والناس لا يخرجون إلا معه...

ثم بين فساد رأيهم بقوله.

(وإنما يخرج في مثل هذا رجل ممن ارضاه من شجعانكم وذوي بأسكم). يجب أن يخرج لملاقاة ما يرسله معاوية من جند لغزوكم رجل يقع موضع الرضا عندي بأن يكون أميناً ثقة صاحب خبرة شجاعاً ذا قوة وشدة يدفع جند معاوية ويطاردهم وينكل بهم لأن هذه الحملات الصغيرة لا تستدعي من خليفة المسلمين أن يواجهها بنفسه طالما يستطيع بعض قادته مع جنود الإسلام مواجهتها وردها وتأديب أهلها...

(ولا ينبغي لي أن أدع الجند والمصر وبيت المال وجباية الأرض والقضاء بين المسلمين والنظر في حقوق المطالبين). هذه هي الأمور التي تستوجب عدم خروجه لكتائب معاوية التي وجهها لغزو بعض أطراف حكمه.

١ ـ إن هناك الجنود الذين يحتاجون إلى رعاية ويجب أن يكون نظر الإمام باستمرار إليهم في التدريب والعناية والبحث عن مصالحهم وما يقوي شوكتهم ويشد عزيمتهم وهذا لا يتأتى إذا كان الإمام بعيداً عنهم...

٢ ـ كيف يترك عاصمة الحكم ومن يدبر أمور الحكم ويضبط الناس ويمنع الفوضى...

والمرج ولم يعد هناك من تماسك في البناء ثم أشار إلى فساد رأيهم وإنه رأي سوء قبيح ليس عليه غبار من الصحة. . .

(والله لولا رجائي الشهادة عند لقائي العدو ـ ولو قد حُمّ لي لقاؤه ـ لقربتُ ركابي ثم شخصت عنكم فلا اطلبكم ما اختلف جنوب وشمال). وهذه نفثة مصدور وآهة محزون تخرج الكلمات مبللة بالدموع ممزوجة بالالم من العمق الحزين تنطلق ويقسم علي وهو صادق إنه لولا رجاء الشهادة عند لقاء العدو لو قدر له لقاؤه لركب راحلته وخرج عنهم ولم يعد إليهم ما تحرك الهواء وما عاش الأحياء. . إنها معاناة شديدة تمنى فراقهم وعدم العود إليهم ما هب النسيم.

(طعانين عيابين حيادين رواغين) وصفهم بهذه الاوصاف التي تنزه عنها المؤمنون المجاهدون الذين يتحركون في خط الله واضعين رضاه أقصى امنيتهم وغاية هدفهم. . إنهم يطعنون في المؤمنين يجرحونهم بالسنتهم عيابين يذكرون عيوب الناس ويتفكهون بها، حيادين عن الحق مجانبين له رواغين أصحاب حيل ومكر وهي اوصاف قبيحة لا يعيشها مجتمع إلاّ ضل أو طائفة إلا فسدت. . .

(إنه لا غناء في كثرة عددكم مع قلة اجتماع قلوبكم).

لم نغلب من قلة: ليس العبرة بالكثرة وضخامة الرقم إنما العبرة باجتماع القلوب وتوحدها قال تعالى: **﴿كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة[1] بإذن الله﴾** فالاساس للأنتصار هو اللقاء الفكري والقلبي واجتماع الكلمة ووحدة الشمل وإنني أنظر اليوم إلى هذه الأمة الممزقة الموزعة التي لم تجتمع على كلمة واحدة ولم تلتقي على أهم هدف مقدس فهذه القدس الشريفة وهذه فلسطين السليبة تباع اليوم في مؤتمر مدريد وتسلم مفاتيح الأرض المقدسة إلى حكام اسرائيل تحت رعاية الظالم الدولي التي تقوده امريكا أم الجرائم ورأس الأفعى. . .

أكتب هذه الكلمات في يوم الأربعاء الواقع في الثلاثين من شهر تشرين الثاني سنة ١٩٩١ المصادف ٢٢ ربيع ثاني من سنة ١٤١٢ هجري حيث يعقد ما يسمى بمؤتمر السلام في الشرق الأوسط في هذه الليلة الآثمة التي التقى فيها العالم على ظلم الشعب المسلم واغتصاب الأرض المقدسة. . إنها مؤامرة وليست مؤتمراً. . إنه استسلام وليس سلاماً إننا لا نشكو من قلة بل هناك كثرة فائضة. . نشكو من الفرقة والتمزق والانحلال. . نشكو فقد القائد الذي يجمع الأمة ويوحد صفوفها ويدخل المعركة بإسم الإسلام. . . إن اليهود بضع ملاين اجتمعت كلمتهم على رأي واحد والتقوا على إقامة

---

(١) سورة البقرة آية/ ٢٤٩.

والمرج ولم يعد هناك من تماسك في البناء ثم أشار إلى فساد رأيهم وإنه رأي سوء قبيح ليس عليه غبار من الصحة. . .

(والله لولا رجائي الشهادة عند لقائي العدو ـ ولو قد حُمّ لي لقاؤه ـ لقربتُ ركابي ثم شخصت عنكم فلا اطلبكم ما اختلف جنوب وشمال). وهذه نفثة مصدور وآهة محزون تخرج الكلمات مبللة بالدموع ممزوجة بالالم من العمق الحزين تنطلق ويقسم علي وهو صادق إنه لولا رجاء الشهادة عند لقاء العدو لو قدر له لقاؤه لركب راحلته وخرج عنهم ولم يعد إليهم ما تحرك الهواء وما عاش الأحياء. . إنها معاناة شديدة تمنى فراقهم وعدم العود إليهم ما هب النسيم.

(طعانين عيابين حيادين رواغين) وصفهم بهذه الاوصاف التي تنزه عنها المؤمنون المجاهدون الذين يتحركون في خط الله واضعين رضاه أقصى امنيتهم وغاية هدفهم. . إنهم يطعنون في المؤمنين يجرحونهم بالسنتهم عيابين يذكرون عيوب الناس ويتفكهون بها، حيادين عن الحق مجانبين له رواغين أصحاب حيل ومكر وهي اوصاف قبيحة لا يعيشها مجتمع إلاّ ضل أو طائفة إلا فسدت. . .

(إنه لا غناء في كثرة عددكم مع قلة اجتماع قلوبكم).

لم نغلب من قلة: ليس العبرة بالكثرة وضخامة الرقم إنما العبرة باجتماع القلوب وتوحدها قال تعالى: ﴿**كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة**[1] **بإذن الله**﴾ فالاساس للأنتصار هو اللقاء الفكري والقلبي واجتماع الكلمة ووحدة الشمل وإنني أنظر اليوم إلى هذه الأمة الممزقة الموزعة التي لم تجتمع على كلمة واحدة ولم تلتقي على أهم هدف مقدس فهذه القدس الشريفة وهذه فلسطين السليبة تباع اليوم في مؤتمر مدريد وتسلم مفاتيح الأرض المقدسة إلى حكام اسرائيل تحت رعاية الظالم الدولي التي تقوده امريكا أم الجرائم ورأس الأفعى. . .

أكتب هذه الكلمات في يوم الأربعاء الواقع في الثلاثين من شهر تشرين الثاني سنة ١٩٩١ المصادف ٢٢ ربيع ثاني من سنة ١٤١٢ هجري حيث يعقد ما يسمى بمؤتمر السلام في الشرق الأوسط في هذه الليلة الآثمة التي التقى فيها العالم على ظلم الشعب المسلم واغتصاب الأرض المقدسة. . إنها مؤامرة وليست مؤتمراً. . إنه استسلام وليس سلاماً إننا لا نشكو من قلة بل هناك كثرة فائضة. . نشكو من الفرقة والتمزق والانحلال. . نشكو فقد القائد الذي يجمع الأمة ويوحد صفوفها ويدخل المعركة بإسم الإسلام. . . إن اليهود بضع ملاين اجتمعت كلمتهم على رأي واحد والتقوا على إقامة

---

(١) سورة البقرة آية/ ٢٤٩.

١٢٠ ـ ومن كلام له عليه السلام

يذكر فضله ويعظ الناس

تَاللهِ لَقَدْ عُلِّمْتُ تَبْلِيغَ الرِّسَالاَتِ، وَإِتْمَامَ العِدَاتِ[١]، وَتَمَامَ الكَلِمَاتِ. وَعِنْدَنَا ـ أَهْلَ البَيْتِ ـ أَبْوَابُ الحُكْمِ وَضِيَاءُ الأَمْرِ. أَلاَ وَإِنَّ شَرَائِعَ الدِّينِ وَاحِدَةٌ، وَسُبُلَهُ[٢] قَاصِدَةٌ[٣]. مَنْ أَخَذَ بِهَا لَحِقَ وَغَنِمَ[٤]، وَمَنْ وَقَفَ عَنْهَا ضَلَّ وَنَدِمَ. اعْمَلُوا لِيَوْمٍ تُذْخَرُ لَهُ الذَّخَائِرُ[٥]، «وَتُبْلَى فِيهِ السَّرَائِرُ[٦]». وَمَنْ لاَ يَنْفَعُهُ حَاضِرُ لُبِّهِ[٧] فَعَازِبُهُ[٨] عَنْهُ أَعْجَزُ، وَغَائِبُهُ أَعْوَزُ[٩]. وَاتَّقُوا نَاراً حَرُّهَا شَدِيدٌ، وَقَعْرُهَا[١٠] بَعِيدٌ، وَحِلْيَتُهَا[١١] حَدِيدٌ، وَشَرَابُهَا صَدِيدٌ[١٢]. أَلاَ وَإِنَّ اللِّسَانَ الصَّالِحَ يَجْعَلُهُ اللهُ تَعَالَى لِلْمَرْءِ فِي النَّاسِ، خَيْرٌ لَهُ مِنَ المَالِ يُورِثُهُ مَنْ لاَ يَحْمَدُهُ.

اللغة

١ ـ العدات : جمع عدة الوعد.
٢ ـ السبل : الطرق.
٣ ـ قاصدة : مستقيمة.
٤ ـ غنم : استفاد وانتفع.
٥ ـ الذخائر : جمع ذخيرة ما يخبأ لوقت الحاجة.
٦ ـ تبلى فيه السرائر : تختبر.
٧ ـ اللب : العقل.
٨ ـ عازبه : غائبه وعزب الشيء إذا غاب.
٩ ـ عوز الشيء : كفرح أي لم يوجد وأعوزه الدهر إذا أفقره.

١٢٠ ـ ومن كلام له عليه السلام

يذكر فضله ويعظ الناس

تَاللهِ لَقَدْ عُلِّمْتُ تَبْلِيغَ الرِّسَالاَتِ، وَإِتْمَامَ العِدَاتِ[١]، وَتَمَامَ الكَلِمَاتِ. وَعِنْدَنَا ـ أَهْلَ البَيْتِ ـ أَبْوَابُ الحُكْمِ وَضِيَاءُ الأَمْرِ. أَلاَ وَإِنَّ شَرَائِعَ الدِّينِ وَاحِدَةٌ، وَسُبُلَهُ[٢] قَاصِدَةٌ[٣]. مَنْ أَخَذَ بِهَا لَحِقَ وَغَنِمَ[٤]، وَمَنْ وَقَفَ عَنْهَا ضَلَّ وَنَدِمَ. اعْمَلُوا لِيَوْمٍ تُذْخَرُ لَهُ الذَّخَائِرُ[٥]، «وَتُبْلَى فِيهِ السَّرَائِرُ[٦]». وَمَنْ لاَ يَنْفَعُهُ حَاضِرُ لُبِّهِ[٧] فَعَازِبُهُ[٨] عَنْهُ أَعْجَزُ، وَغَائِبُهُ أَعْوَزُ[٩]. وَاتَّقُوا نَاراً حَرُّهَا شَدِيدٌ، وَقَعْرُهَا[١٠] بَعِيدٌ، وَحِلْيَتُهَا[١١] حَدِيدٌ، وَشَرَابُهَا صَدِيدٌ[١٢]. أَلاَ وَإِنَّ اللِّسَانَ الصَّالِحَ يَجْعَلُهُ اللهُ تَعَالَى لِلْمَرْءِ فِي النَّاسِ، خَيْرٌ لَهُ مِنَ المَالِ يُورِثُهُ مَنْ لاَ يَحْمَدُهُ.

اللغة

١ ـ العدات : جمع عدة الوعد.
٢ ـ السبل : الطرق.
٣ ـ قاصدة : مستقيمة.
٤ ـ غنم : استفاد وانتفع.
٥ ـ الذخائر : جمع ذخيرة ما يخبأ لوقت الحاجة.
٦ ـ تبلى فيه السرائر : تختبر.
٧ ـ اللب : العقل.
٨ ـ عازبه : غائبه وعزب الشيء إذا غاب.
٩ ـ عوز الشيء : كفرح أي لم يوجد وأعوزه الدهر إذا أفقره.

كانت بكسر الحاء فعندهم الحكم والمواعظ وإرشاد الناس وكلا الوجهين جاريين في حق أهل البيت وهم أهل ذلك وأحق الناس به.

وأما مراده بضياء الأمر يعني أنهم بعلومهم يكشفون للناس الطريق ويهدونهم إلى الحق والعدل.

وقيل: إن مراده «بضياء الأمر» يعني العقليات والعقائد.

وقيل: إن مراده «بالأمر» إما الولاية كما كنى به عنها كثيراً في أخبار أهل البيت عليهم السلام وفي قوله تعالى: ﴿**وأولي الأمر منكم**﴾ والضياء حينئذٍ بمعناه الحقيقي أي عندنا نور الإمامة والولاية.

(**ألا وأن شرائع الدين واحدة وسبله قاصدة من أخذ بها لحق وغنم ومن وقف عنها ضل وندم**). أشارإلى أن قواعد الدين وقوانينه واحدة وطرقه مستقيمة وهي عند أهل البيت وكل ما ورد عنهم يصدّق بعضه البعض ينطقون عن لسان واحد ويتكلمون بلهجة واحدة من أخذ بهذه الشرائع الواردة عنهم لحق بالإسلام وبأهل الإيمان والسابقة وربح الدنيا والآخرة ومن وقف عنها ولم يأخذ بها ضل عن الطريق وانحرف عن العدل والحق ويوم القيامة يندم ولات ساعة مندم لأن الأمور انقضت وسقطت الأعمال وجاء دور الحساب...

(**اعملوا ليوم تذخر له الذخائر وتبلى فيه السرائر**). أمرهم بالعمل ليوم القيامة والحساب فإنه يوم رهيب يحتاج الإنسان فيه إلى عمل صالح يدخره لأهواله ومصاعبه وخير ما يدخر الإنسان الإيمان بالله وبرسوله وبأهل بيت رسول الله ثم العمل الصالح المتجسد بامتثال أوامر الله واجتناب نواهيه إنه يوم يكشف فيه عن الضمائر وما كان يسره الإنسان ويخفيه...

(**ومن لا ينفعه حاضر لبه فعازبه عنه أعجز وغائبه أعوز**). من لم ينتفع بعقله وهو يمتلكه فإنه يسقط الإنتفاع والفائدة في حال غيابه وعدم حضوره لشدائد الموت وأهواله...

وقيل: إن من لم يكن له من نفسه رادع وزاجر فمن البعيد أن ينزجر ويرتدع بعقل غيره وموعظته، وقيل غير ذلك...

(**واتقوا ناراً حرها شديد وقعرها بعيد وحليتها حديد وشرابها صديد**). بعد أن حثهم على العمل الصالح حذرهم من النار وذكر بعض أوصافها الرهيبة التي تقشعر لها

كانت بكسر الحاء فعندهم الحكم والمواعظ وإرشاد الناس وكلا الوجهين جاريين في حق أهل البيت وهم أهل ذلك وأحق الناس به.

وأما مراده بضياء الأمر يعني أنهم بعلومهم يكشفون للناس الطريق ويهدونهم إلى الحق والعدل.

وقيل: إن مراده «بضياء الأمر» يعني العقليات والعقائد.

وقيل: إن مراده «بالأمر» إما الولاية كما كنى به عنها كثيراً في أخبار أهل البيت عليهم السلام وفي قوله تعالى: ﴿**وأولي الأمر منكم**﴾ والضياء حينئذٍ بمعناه الحقيقي أي عندنا نور الإمامة والولاية.

(**ألا وأن شرائع الدين واحدة وسبله قاصدة من أخذ بها لحق وغنم ومن وقف عنها ضل وندم**). أشارإلى أن قواعد الدين وقوانينه واحدة وطرقه مستقيمة وهي عند أهل البيت وكل ما ورد عنهم يصدّق بعضه البعض ينطقون عن لسان واحد ويتكلمون بلهجة واحدة من أخذ بهذه الشرائع الواردة عنهم لحق بالإسلام وبأهل الإيمان والسابقة وربح الدنيا والآخرة ومن وقف عنها ولم يأخذ بها ضل عن الطريق وانحرف عن العدل والحق ويوم القيامة يندم ولات ساعة مندم لأن الأمور انقضت وسقطت الأعمال وجاء دور الحساب...

(**اعملوا ليوم تذخر له الذخائر وتبلى فيه السرائر**). أمرهم بالعمل ليوم القيامة والحساب فإنه يوم رهيب يحتاج الإنسان فيه إلى عمل صالح يدخره لأهواله ومصاعبه وخير ما يدخر الإنسان الإيمان بالله وبرسوله وبأهل بيت رسول الله ثم العمل الصالح المتجسد بامتثال أوامر الله واجتناب نواهيه إنه يوم يكشف فيه عن الضمائر وما كان يسره الإنسان ويخفيه...

(**ومن لا ينفعه حاضر لبه فعازبه عنه أعجز وغائبه أعوز**). من لم ينتفع بعقله وهو يمتلكه فإنه يسقط الإنتفاع والفائدة في حال غيابه وعدم حضوره لشدائد الموت وأهواله...

وقيل: إن من لم يكن له من نفسه رادع وزاجر فمن البعيد أن ينزجر ويرتدع بعقل غيره وموعظته، وقيل غير ذلك...

(**واتقوا ناراً حرها شديد وقعرها بعيد وحليتها حديد وشرابها صديد**). بعد أن حثهم على العمل الصالح حذرهم من النار وذكر بعض أوصافها الرهيبة التي تقشعر لها

١٢١ ـ ومن خطبة له عليه السلام

بعد ليلة الهرير

وقد قام إليه رجل من أصحابه فقال: نهيتنا عن الحكومة ثم أمرتنا بها، فلم ندر أي الأمرين أرشد؟ فصفق عليه السلام إحدى يديه على الأخرى ثم قال:

هَذَا جَزَاءُ مَنْ تَرَكَ العُقْدَةَ[١]! أَمَا وَاللهِ لَوْ أَنِّي حِينَ أَمَرْتُكُمْ بِهِ حَمَلْتُكُمْ عَلَى المَكْرُوهِ الَّذِي يَجْعَلُ اللهُ فِيهِ خَيْراً، فَإِنِ اسْتَقَمْتُمْ هَدَيْتُكُمْ وَإِنِ اعْوَجَجْتُمْ[٢] قَوَّمْتُكُمْ[٣]، وَإِنْ أَبَيْتُمْ[٤] تَدَارَكْتُكُمْ، لَكَانَتِ الوُثْقَى، وَلَكِنْ بِمَنْ وَإِلَى مَنْ؟ أُرِيدُ أَنْ أُدَاوِيَ بِكُمْ وَأَنْتُمْ دَائِي[٥]، كَنَاقِشِ الشَّوْكَةِ بِالشَّوْكَةِ، وَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّ ضَلْعَهَا[٦] مَعَهَا! اللَّهُمَّ قَدْ مَلَّتْ أَطِبَّاءُ هذَا الدَّاءِ الدَّوِيِّ[٧]، وَكَلَّتِ[٨] النَّزْعَةُ[٩] بِأَشْطَانِ[١٠] الرَّكِيِّ[١١]! أَيْنَ القَوْمُ الَّذِينَ دُعُوا إِلَى الإِسْلَامِ فَقَبِلُوهُ، وَقَرَؤُوا القُرْآنَ فَأَحْكَمُوهُ، وَهِيجُوا[١٢] إِلَى الجِهَادِ فَوَلِهُوا[١٣] وَلَهَ اللِّقَاحِ[١٤] إِلَى أَوْلَادِهَا، وَسَلَبُوا السُّيُوفَ أَغْمَادَهَا[١٥]، وَأَخَذُوا بِأَطْرَافِ الأَرْضِ زَحْفاً زَحْفاً[١٦]، وَصَفًّا صَفًّا. بَعْضٌ هَلَكَ، وَبَعْضٌ نَجَا. لَا يُبَشَّرُونَ بِالأَحْيَاءِ، وَلَا يُعَزَّوْنَ عَنِ المَوْتَى. مُرْهٌ[١٧] العُيُونِ مِنَ البُكَاءِ، خُمْصُ البُطُونِ[١٨] مِنَ الصِّيَامِ، ذُبُلُ[١٩] الشِّفَاهِ مِنَ الدُّعَاءِ، صُفْرُ الأَلْوَانِ مِنَ السَّهَرِ. عَلَى وُجُوهِهِمْ غَبَرَةُ الخَاشِعِينَ. أُولئِكَ إِخْوَانِي الذَّاهِبُونَ. فَحَقَّ لَنَا أَنْ نَظْمَأَ إِلَيْهِمْ، وَنَعَضَّ الأَيْدِيَ عَلَى فِرَاقِهِمْ. إِنَّ الشَّيْطَانَ يُسَنِّي[٢٠] لَكُمْ طُرُقَهُ، وَيُرِيدُ أَنْ يَحُلَّ دِينَكُمْ عُقْدَةً عُقْدَةً، وَيُعْطِيَكُمْ بِالجَمَاعَةِ الفُرْقَةَ، وَبِالفُرْقَةِ الفِتْنَةَ. فَاصْدِفُوا[٢١] عَنْ

١٢١ ـ ومن خطبة له عليه السلام

بعد ليلة الهرير

وقد قام إليه رجل من أصحابه فقال: نهيتنا عن الحكومة ثم أمرتنا بها، فلم ندر أي الأمرين أرشد؟ فصفق عليه السلام إحدى يديه على الأخرى ثم قال:

هَذَا جَزَاءُ مَنْ تَرَكَ العُقْدَةَ[١]! أَمَا وَاللهِ لَوْ أَنِّي حِينَ أَمَرْتُكُمْ بِهِ حَمَلْتُكُمْ عَلَى المَكْرُوهِ الَّذِي يَجْعَلُ اللهُ فِيهِ خَيْراً، فَإِنِ اسْتَقَمْتُمْ هَدَيْتُكُمْ وَإِنِ اعْوَجَجْتُمْ[٢] قَوَّمْتُكُمْ[٣]، وَإِنْ أَبَيْتُمْ[٤] تَدَارَكْتُكُمْ، لَكَانَتِ الوُثْقَى، وَلَكِنْ بِمَنْ وَإِلَى مَنْ؟ أُرِيدُ أَنْ أُدَاوِيَ بِكُمْ وَأَنْتُمْ دَائِي[٥]، كَنَاقِشِ الشَّوْكَةِ بِالشَّوْكَةِ، وَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّ ضَلْعَهَا[٦] مَعَهَا! اللَّهُمَّ قَدْ مَلَّتْ أَطِبَّاءُ هذَا الدَّاءِ الدَّوِيِّ[٧]، وَكَلَّتِ[٨] النَّزْعَةُ[٩] بِأَشْطَانِ[١٠] الرَّكِيِّ[١١]! أَيْنَ القَوْمُ الَّذِينَ دُعُوا إِلَى الإِسْلاَمِ فَقَبِلُوهُ، وَقَرَؤُوا القُرْآنَ فَأَحْكَمُوهُ، وَهِيجُوا[١٢] إِلَى الجِهَادِ فَوَلِهُوا[١٣] وَلَهَ اللِّقَاحِ[١٤] إِلَى أَوْلاَدِهَا، وَسَلَبُوا السُّيُوفَ أَغْمَادَهَا[١٥]، وَأَخَذُوا بِأَطْرَافِ الأَرْضِ زَحْفاً زَحْفاً[١٦]، وَصَفًّا صَفًّا. بَعْضٌ هَلَكَ، وَبَعْضٌ نَجَا. لاَ يُبَشَّرُونَ بِالأَحْيَاءِ، وَلاَ يُعَزَّوْنَ عَنِ المَوْتَى. مُرْهٌ[١٧] العُيُونِ مِنَ البُكَاءِ، خُمْصُ البُطُونِ[١٨] مِنَ الصِّيَامِ، ذُبُلُ[١٩] الشِّفَاهِ مِنَ الدُّعَاءِ، صُفْرُ الأَلْوَانِ مِنَ السَّهَرِ. عَلَى وُجُوهِهِمْ غَبَرَةُ الخَاشِعِينَ. أُولئِكَ إِخْوَانِي الذَّاهِبُونَ. فَحَقَّ لَنَا أَنْ نَظْمَأَ إِلَيْهِمْ، وَنَعَضَّ الأَيْدِيَ عَلَى فِرَاقِهِمْ. إِنَّ الشَّيْطَانَ يُسَنِّي[٢٠] لَكُمْ طُرُقَهُ، وَيُرِيدُ أَنْ يَحُلَّ دِينَكُمْ عُقْدَةً عُقْدَةً، وَيُعْطِيَكُمْ بِالجَمَاعَةِ الفُرْقَةَ، وَبِالفُرْقَةِ الفِتْنَةَ. فَاصْدِفُوا[٢١] عَنْ

الشرح

(هذا جزاء من ترك العقدة أما والله لو أني حين أمرتكم به حملتكم على المكروه الذي يجعل الله فيه خيراً فإن استقمتم هديتكم وإن اعوججتم قومتكم وإن أبيتم تداركتكم لكانت الوثقى). هذا الكلام منه عليه السلام كان على أثر التحكيم وذلك أن معاوية عندما أيقن بالهزيمة في صفين بعد ليلة الهرير استشار عمرو بن العاص فأشار عليه برفع المصاحف وطلبوا منهم التحكيم إلى القرآن وعلم الإمام أنها خدعة وأصر على أصحابه أن يتابعوا القتال حتى النصر ولكنهم اختلفوا فيما بينهم وخرج الخوارج وأعلنوا التوقف عن الحرب ودعوا الإمام إلى قبول التحكيم مهددين قائلين: يا علي أجب القوم إلى كتاب الله وإلا قتلناك كما قتلنا ابن عفان فاضطر الإمام إلى القبول كرهاً لا رغبة وكتبت الصحيفة وقرأها الأشعث بن قيس فقامت عندها الخوارج أصحابه بالأمس الذين أجبروه على التحكيم رفضوا التحكيم ونادوا لا حكم إلا لله ليس الحكم لك يا علي ولا لمعاوية ثم كفّروا الإمام وطلبوا منه أن يتوب عن التحكيم كما تابوا قائلين: قد كنا زللنا وأخطأنا حين رضينا بالحكمين وقد بان لنا خطأنا فرجعنا إلى الله وتبنا فارجع أنت وتب إلى الله كما تبنا.

فقال عليه السلام: ويحكم أبعد الرضا والميثاق والعهد نرجع أليس الله قد قال: أوفوا بالعقود وأبى أن يرجع شاهداً على نفسه بالكفر وأبت الخوارج إلا تكفيره.

وفي هذه الأجواء قام إليه رجل من أصحابه فقال: نهيتنا عن الحكومة ثم أمرتنا بها، فلم ندر أي الأمرين أرشد؟.

فصفق عليه السلام إحدى يديه على الأخرى ثم قال: هذا جزاء من ترك العقدة أي جزاء من ترك الحزم والأخذ بالقوة والإصرار على ما كنت أراه من إكمال الحرب وعدم قبول التحكيم ولكن كما قلنا اضطر إلى ذلك تحت قهر الخوارج وحكمهم.

ثم بين موقفه يومها وكيف يجب أن يتعامل معهم، فأقسم أنه لو حملهم وألزمهم بما كان يرتئي من الحرب التي يكرهونها ولم يرضوا بها وفيها الخير الكثير لكانوا بين أمرين إما أن يستجيبوا له ويقبلوا منه ويحاربوا عدوه معه فيكونوا قد اهتدوا، وإما أن يميلوا ويترددوا فكان يقعد لهم على الطريق المستقيم بما يملك من نصيحة وإرشاد وإن أبوا ورفضوا وأصروا على البقاء على مواقفهم اضطر أن يستعين عليهم بشيعته ومن يرى رأيه ثم يقول: لو كنت فعلت ذلك لكان هو الرأي الصائب والعمل الصحيح...

الشرح

(هذا جزاء من ترك العقدة أما والله لو أني حين أمرتكم به حملتكم على المكروه الذي يجعل الله فيه خيراً فإن استقمتم هديتكم وإن اعوججتم قومتكم وإن أبيتم تداركتكم لكانت الوثقى). هذا الكلام منه عليه السلام كان على أثر التحكيم وذلك أن معاوية عندما أيقن بالهزيمة في صفين بعد ليلة الهرير استشار عمرو بن العاص فأشار عليه برفع المصاحف وطلبوا منهم التحكيم إلى القرآن وعلم الإمام أنها خدعة وأصر على أصحابه أن يتابعوا القتال حتى النصر ولكنهم اختلفوا فيما بينهم وخرج الخوارج وأعلنوا التوقف عن الحرب ودعوا الإمام إلى قبول التحكيم مهددين قائلين: يا علي أجب القوم إلى كتاب الله وإلا قتلناك كما قتلنا ابن عفان فاضطر الإمام إلى القبول كرهاً لا رغبة وكتبت الصحيفة وقرأها الأشعث بن قيس فقامت عندها الخوارج أصحابه بالأمس الذين أجبروه على التحكيم رفضوا التحكيم ونادوا لا حكم إلا لله ليس الحكم لك يا على ولا لمعاوية ثم كفّروا الإمام وطلبوا منه أن يتوب عن التحكيم كما تابوا قائلين: قد كنا زللنا وأخطأنا حين رضينا بالحكمين وقد بان لنا خطأنا فرجعنا إلى الله وتبنا فارجع أنت وتب إلى الله كما تبنا.

فقال عليه السلام: ويحكم أبعد الرضا والميثاق والعهد نرجع أليس الله قد قال: أوفوا بالعقود وأبى أن يرجع شاهداً على نفسه بالكفر وأبت الخوارج إلا تكفيره.

وفي هذه الأجواء قام إليه رجل من أصحابه فقال: نهيتنا عن الحكومة ثم أمرتنا بها، فلم ندر أي الأمرين أرشد؟.

فصفق عليه السلام إحدى يديه على الأخرى ثم قال: هذا جزاء من ترك العقدة أي جزاء من ترك الحزم والأخذ بالقوة والإصرار على ما كنت أراه من إكمال الحرب وعدم قبول التحكيم ولكن كما قلنا اضطر إلى ذلك تحت قهر الخوارج وحكمهم.

ثم بين موقفه يومها وكيف يجب أن يتعامل معهم، فأقسم أنه لو حملهم وألزمهم بما كان يرتئي من الحرب التي يكرهونها ولم يرضوا بها وفيها الخير الكثير لكانوا بين أمرين إما أن يستجيبوا له ويقبلوا منه ويحاربوا عدوه معه فيكونوا قد اهتدوا، وإما أن يميلوا ويترددوا فكان يقعد لهم على الطريق المستقيم بما يملك من نصيحة وإرشاد وإن أبوا ورفضوا وأصروا على البقاء على مواقفهم اضطر أن يستعين عليهم بشيعته ومن يرى رأيه ثم يقول: لو كنت فعلت ذلك لكان هو الرأي الصائب والعمل الصحيح...

(أين القوم الذين دعوا إلى الإسلام فقبلوه وقرؤوا القرآن فأحكموه وهيجوا إلى الجهاد فولهوا وله اللقاح إلى أولادها وسلبوا السيوف أغمادها وأخذوا بأطراف الأرض زحفاً زحفاً وصفاً صفاً، بعض هلك وبعض نجا لا يبشرون بالأحياء ولا يعزون عن الموتى). ثم تأسف على اخوان له قد فقدهم من الصحابة كسلمان وعمار وأبي ذر وحمزة وجعفر وغيرهم وفي هذا التحسر والتأسف ازدراء لهم بأنهم ليست لهم أوصافهم.

وقد ذكر الإمام أوصاف اخوانه الذين تقدموا بأوصاف المسلم المستسلم لله وهي أوصاف رفيعة كريمة وهي: .

أ ـ إنهم دعوا إلى الإسلام فقبلوه: وهذا دليل طيب نفوسهم وإذعانهم للحق.

ب ـ وقرؤوا القرآن فأحكموه: وهذا أيضاً من علامات إيمانهم فإنهم أتقنوا قراءة القرآن وعملوا به وبما ورد في نصوصه.

ج ـ هيجوا إلى الجهاد فولهوا وله اللقاح إلى أولادها: أي عندما يثارون إلى الجهاد وقتال الأعداء يكون لهم عشق وحب لما أثيروا إليه كحب النياق الحلوب لأولادها فهم أبناء الحرب وشجعانها لا يتوقفون ولا يفرون.

إنهم أخرجوا السيوف من أجفانها ولن ترجع إلا مروية من دماء الأعداء وأخذوا على العدو أطراف الأرض فضيقوا عليه الحركة حيث إنهم زاحفين زحفاً منظماً في صفوف تتبع صفوفاً، وبقوا على ذلك حتى هلك بعضهم ونجا بعض كما قال تعالى: ﴿**منهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا**..﴾ وهذا منه عليه السلام توبيخ لهم وأنهم ليسوا كذلك...

د ـ ومن صفاتهم أنهم لا يفرحون بمن سلم ولا يعزون بمن مات لأن من سلم ينتظر الشهادة ومن مات فاز بإحدى الحسنين وهي غاية المجاهد وأمنيته...

وقيل: إنهم لتجردهم للجهاد والعبادة لا يهنىء بعضهم بعضاً إذا ولد له ولد ولا يعزيه إذا مات له عزيز.

(مره العيون من البكاء، خمص البطون من الصيام ذبل الشفاه من الدعاء صفر الألوان من السهر على وجوههم غبرة الخاشعين أولئك اخواني الذاهبون فحق لنا أن نظمأ إليهم ونعض الأيدي على فراقهم). وهذه أوصافهم التي تحكي صدق إيمانهم وإخلاصهم وشدة تعلقهم بالله.. إذا نظرت إليهم أخبرك مظهرهم عن مخبرهم وكان

(أين القوم الذين دعوا إلى الإسلام فقبلوه وقرؤوا القرآن فأحكموه وهيجوا إلى الجهاد فولهوا وله اللقاح إلى أولادها وسلبوا السيوف أغمادها وأخذوا بأطراف الأرض زحفاً زحفاً وصفاً صفاً، بعض هلك وبعض نجا لا يبشرون بالأحياء ولا يعزون عن الموتى). ثم تأسف على اخوان له قد فقدهم من الصحابة كسلمان وعمار وأبي ذر وحمزة وجعفر وغيرهم وفي هذا التحسر والتأسف ازدراء لهم بأنهم ليست لهم أوصافهم.

وقد ذكر الإمام أوصاف اخوانه الذين تقدموا بأوصاف المسلم المستسلم لله وهي أوصاف رفيعة كريمة وهي: .

أ ـ إنهم دعوا إلى الإسلام فقبلوه: وهذا دليل طيب نفوسهم وإذعانهم للحق.

ب ـ وقرؤوا القرآن فأحكموه: وهذا أيضاً من علامات إيمانهم فإنهم أتقنوا قراءة القرآن وعملوا به وبما ورد في نصوصه.

ج ـ هيجوا إلى الجهاد فولهوا وله اللقاح إلى أولادها: أي عندما يثارون إلى الجهاد وقتال الأعداء يكون لهم عشق وحب لما أثيروا إليه كحب النياق الحلوب لأولادها فهم أبناء الحرب وشجعانها لا يتوقفون ولا يفرون.

إنهم أخرجوا السيوف من أجفانها ولن ترجع إلا مروية من دماء الأعداء وأخذوا على العدو أطراف الأرض فضيقوا عليه الحركة حيث إنهم زاحفين زحفاً منظماً في صفوف تتبع صفوفاً، وبقوا على ذلك حتى هلك بعضهم ونجا بعض كما قال تعالى: ﴿**منهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا**. .﴾ وهذا منه عليه السلام توبيخ لهم وأنهم ليسوا كذلك. . .

د ـ ومن صفاتهم أنهم لا يفرحون بمن سلم ولا يعزون بمن مات لأن من سلم ينتظر الشهادة ومن مات فاز بإحدى الحسنين وهي غاية المجاهد وأمنيته. . .

وقيل: إنهم لتجردهم للجهاد والعبادة لا يهنىء بعضهم بعضاً إذا ولد له ولد ولا يعزيه إذا مات له عزيز.

(مره العيون من البكاء، خمص البطون من الصيام ذبل الشفاه من الدعاء صفر الألوان من السهر على وجوههم غبرة الخاشعين أولئك اخواني الذاهبون فحق لنا أن نظمأ إليهم ونعض الأيدي على فراقهم). وهذه أوصافهم التي تحكي صدق إيمانهم وإخلاصهم وشدة تعلقهم بالله. . إذا نظرت إليهم أخبرك مظهرهم عن مخبرهم وكان

واعقلوها على أنفسكم). أراد أن يرجع بهم إلى مصدر حديثهم ومن وراءه. . . إنه الشيطان الذي يسهل طرقه إلى الناس بالإغراء والتزين للمعصية حتى يرتكبها الإنسان، إنه يحاول عن رغبة في حل دين المرء فيعمد إلى كل واجب عليه يهوّنه في نظره ويخفف أثره حتى إذا ارتكبه فتح له الأبواب الأخرى التي يصل منها إلى ما بقي من الواجبات ومن تلك الأمور التي يريدها الشيطان ويحاول جهده في الوصول إليها وتحقيقها هي تمزيق الناس وتفريقهم. . . إنه يقلق ويضج إن رأى اثنين مجتمعين على رأي واحد فلذا يريد أن يبدلهم بالجماعة فرقة وإذا تفرق الناس دبت الفتنة وعمت الفوضى وساد الهرج والمرج والفساد. . .

وبعد هذا أمرهم أن يعرضوا عن وساوسه وتخيلاته وما يمكن أن يزينه للمرء فإنه لا يهدي إلى خير ولا يسدد إلى رشاد. . .

ثم في النهاية دعاهم إلى قبول النصيحة ممن أهداها إليهم فإن الناصح أمين. . . يشير بالمصلحة فعلى العاقل أن يأخذها ويستفيد منها. . .

واعقلوها على أنفسكم). أراد أن يرجع بهم إلى مصدر حديثهم ومن وراءه. . . إنه الشيطان الذي يسهل طرقه إلى الناس بالإغراء والتزين للمعصية حتى يرتكبها الإنسان، إنه يحاول عن رغبة في حل دين المرء فيعمد إلى كل واجب عليه يهوّنه في نظره ويخفف أثره حتى إذا ارتكبه فتح له الأبواب الأخرى التي يصل منها إلى ما بقي من الواجبات ومن تلك الأمور التي يريدها الشيطان ويحاول جهده في الوصول إليها وتحقيقها هي تمزيق الناس وتفريقهم. . . إنه يقلق ويضج إن رأى اثنين مجتمعين على رأي واحد فلذا يريد أن يبدلهم بالجماعة فرقة وإذا تفرق الناس دبت الفتنة وعمت الفوضى وساد الهرج والمرج والفساد. . .

وبعد هذا أمرهم أن يعرضوا عن وساوسه وتخيلاته وما يمكن أن يزينه للمرء فإنه لا يهدي إلى خير ولا يسدد إلى رشاد. . .

ثم في النهاية دعاهم إلى قبول النصيحة ممن أهداها إليهم فإن الناصح أمين. . . يشير بالمصلحة فعلى العاقل أن يأخذها ويستفيد منها. . .

الآبَاءِ وَالأَبْنَاءِ وَالإِخْوَانِ وَالقَرَابَاتِ، فَمَا نَزْدَادُ عَلَى كُلِّ مُصِيبَةٍ وَشِدَّةٍ إِلاَّ إِيمَاناً، وَمُضِيًّا عَلَى الحَقِّ، وَتَسْلِيماً لِلأَمْرِ، وَصَبْراً عَلَى مَضَضِ[١٢] الجِرَاحِ. وَلَكِنَّا إِنَّمَا أَصْبَحْنَا نُقَاتِلُ إِخْوَانَنَا فِي الإِسْلاَمِ عَلَى مَا دَخَلَ فِيهِ مِنَ الزَّيْغِ[١٣] وَالاعْوِجَاجِ، وَالشُّبْهَةِ وَالتَّأْوِيلِ. فَإِذَا طَمِعْنَا فِي خَصْلَةٍ[١٤] يَلُمُّ اللهُ بِهَا شَعَثَنَا[١٥]، وَنَتَدَانَى[١٦] بِهَا إِلَى البَقِيَّةِ فِيمَا بَيْنَنَا، رَغِبْنَا فِيهَا، وَأَمْسَكْنَا عَمَّا سِوَاهَا.

اللغة

١ ـ امتازوا : انفردوا وافترقوا.
٢ ـ أمسك : عن الكلام سكت وعن الأمر كف عنه وامتنع.
٣ ـ انصتوا : اسكتوا واستمعوا.
٤ ـ نشد : الضالة طلبها وبحث عنها وناشده الله والرحم سأله بالله والرحم.
٥ ـ الغيلة : الخداع.
٦ ـ استقالونا : طلبوا الإقالة وهي الصفح أو رفع ما كانوا عليه وفسخه.
٧ ـ التنفيس : التفريج.
٨ ـ النواجذ : مفرده ناجذ أقصى الأضراس.
٩ ـ نعق : صوّت.
١٠ ـ الفعلة : بالفتح المرة من الفعل.
١١ ـ أبيت : رفضت.
١٢ ـ المضض : الألم.
١٣ ـ الزيغ : الإنحراف والاعوجاج.
١٤ ـ الخصلة : إصابة الغرض، الخلة، وهنا يراد بها الوسيلة.
١٥ ـ لم الشعث : جمع الشمل.
١٦ ـ نتدانى : نتقارب.

الآبَاءِ وَالأَبْنَاءِ وَالإِخْوَانِ وَالقَرَابَاتِ، فَمَا نَزْدَادُ عَلَى كُلِّ مُصِيبَةٍ وَشِدَّةٍ إِلاَّ إِيمَاناً، وَمُضِيًّا عَلَى الحَقِّ، وَتَسْلِيماً لِلأَمْرِ، وَصَبْراً عَلَى مَضَضِ[١٢] الجِرَاحِ. وَلَكِنَّا إِنَّمَا أَصْبَحْنَا نُقَاتِلُ إِخْوَانَنَا فِي الإِسْلاَمِ عَلَى مَا دَخَلَ فِيهِ مِنَ الزَّيْغِ[١٣] وَالاعْوِجَاجِ، وَالشُّبْهَةِ وَالتَّأْوِيلِ. فَإِذَا طَمِعْنَا فِي خَصْلَةٍ[١٤] يَلُمُّ اللهُ بِهَا شَعَثَنَا[١٥]، وَنَتَدَانَى[١٦] بِهَا إِلَى البَقِيَّةِ فِيمَا بَيْنَنَا، رَغِبْنَا فِيهَا، وَأَمْسَكْنَا عَمَّا سِوَاهَا.

اللغة

١ ـ امتازوا : انفردوا وافترقوا.
٢ ـ أمسك : عن الكلام سكت وعن الأمر كف عنه وامتنع.
٣ ـ انصتوا : اسكتوا واستمعوا.
٤ ـ نشد : الضالة طلبها وبحث عنها وناشده الله والرحم سأله بالله والرحم.
٥ ـ الغيلة : الخداع.
٦ ـ استقالونا : طلبوا الإقالة وهي الصفح أو رفع ما كانوا عليه وفسخه.
٧ ـ التنفيس : التفريج.
٨ ـ النواجذ : مفرده ناجذ أقصى الأضراس.
٩ ـ نعق : صوّت.
١٠ ـ الفعلة : بالفتح المرة من الفعل.
١١ ـ أبيت : رفضت.
١٢ ـ المضض : الألم.
١٣ ـ الزيغ : الإنحراف والاعوجاج.
١٤ ـ الخصلة : إصابة الغرض، الخلة، وهنا يراد بها الوسيلة.
١٥ ـ لم الشعث : جمع الشمل.
١٦ ـ نتدانى : نتقارب.

قال لهم: إن هذا الأمر الذي ظاهره إيمان من حيث القبول بحكم القرآن ولكن في عمقه يحمل الظلم والإعتداء لأنهم أرادوا أن يخدعوكم ويحتالوا عليكم وقلت لكم: هذا أمر أوله رحمة منكم وعطف أو رحمة من حيث توقف القتال ولكن في آخره ندامة لأنه سيتبين لكم كذبهم ومكرهم وأن التوقف عن الحرب ليست لصالحكم ولا لصالح الإسلام. . .

ثم نبههم إلى أنه قال لهم: استمروا على ما أنتم عليه من الحرب واستمروا على القتال وأصروا على متابعته مهما كانت الظروف ولا تلتفتوا إلى من صرخ بوقف القتال ونادى بالسكون والتوقف وقلت لكم: إن هذا الذي رفع صوته بوقف القتال إن أجيب إلى ما طلب فقد أضل غيره كما وقع لكم الآن وإن ترك ولم يستجب له ذل وهان وخضع. . .

(وقد كانت هذه الفعلة وقد رأيتكم أعطيتموها والله لئن أبيتها ما وجبت عليّ فريضتها ولا حملني الله ذنبها ووالله إن جئتها إني للمحق الذي يتبع وإن الكتاب لمعي ما فارقته مذ صحبته). لقد كانت هذه الحكومة ورأيت إتفاقكم عليها بل ـ إن الخوارج ألزموا الإمام بقبولها ـ.

ثم أقسم بالله أنه إذا رفضها ولم يقبلها لما وجبت عليه ولما وجب العمل بها ولا تتبعه آثارها لو أكمل المعركة حتى نهايتها ومهما كانت نتائجها وإن قبل بها ورضيها فإنه صاحب الحق الذي يجب اتباعه والسير خلفه ثم برهن على ذلك بأن الكتاب معه حيث يقول: **﴿أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم﴾** والإمام يحب أي يبحث عن المصلحة الإسلامية العليا فقد يرتيء للمصلحة الإسلامة أن يقبل بالحكومة وقد يرفض ذلك ويكمل القتال حتى النهاية، وفي ختام الفصل بيّن تلازم الكتاب معه وملازمته للكتاب وأنه لم يفارق العمل به منذ نزوله على رسول الله حيث كان الإمام إلى جنبه يعاضده ويسانده ويقوي دعوته. . .

وحاصل هذا الفصل أن الحق على الخوارج الذين قبلوا بالحكومة وفرضوها على غيرهم وأما الإمام فهو بالخيار بين قبولها ورفضها تبعاً للمصلحة الإسلامية فله كل العذر وليس لهم أي عذر عندما قبلوا بها ثم أرادوا الآن أن يرفضوها. . .

(فلقد كنا مع رسول الله صلى الله عليه وآله وأن القتل ليدور على الآباء والأبناء والإخوان والقرابات فما نزداد على كل مصيبة وشدة إلا إيماناً ومضياً على الحق وتسليماً للأمر وصبراً على مضض الجراح). هذا بيان لما كان عليه المسلمون من قوة العقيدة التي تخطوا على أساسها أواصر القرابة وصلة الدم وملكت عليهم شعورهم وعواطفهم التي

قال لهم: إن هذا الأمر الذي ظاهره إيمان من حيث القبول بحكم القرآن ولكن في عمقه يحمل الظلم والإعتداء لأنهم أرادوا أن يخدعوكم ويحتالوا عليكم وقلت لكم: هذا أمر أوله رحمة منكم وعطف أو رحمة من حيث توقف القتال ولكن في آخره ندامة لأنه سيتبين لكم كذبهم ومكرهم وأن التوقف عن الحرب ليست لصالحكم ولا لصالح الإسلام...

ثم نبههم إلى أنه قال لهم: استمروا على ما أنتم عليه من الحرب واستمروا على القتال وأصروا على متابعته مهما كانت الظروف ولا تلتفتوا إلى من صرخ بوقف القتال ونادى بالسكون والتوقف وقلت لكم: إن هذا الذي رفع صوته بوقف القتال إن أجيب إلى ما طلب فقد أضل غيره كما وقع لكم الآن وإن ترك ولم يستجب له ذل وهان وخضع...

(وقد كانت هذه الفعلة وقد رأيتكم أعطيتموها والله لئن أبيتها ما وجبت عليّ فريضتها ولا حملني الله ذنبها ووالله إن جئتها إني للمحق الذي يتبع وإن الكتاب لمعي ما فارقته مذ صحبته). لقد كانت هذه الحكومة ورأيت إتفاقكم عليها بل ـ إن الخوارج ألزموا الإمام بقبولها ـ.

ثم أقسم بالله أنه إذا رفضها ولم يقبلها لما وجبت عليه ولما وجب العمل بها ولا تتبعه آثارها لو أكمل المعركة حتى نهايتها ومهما كانت نتائجها وإن قبل بها ورضيها فإنه صاحب الحق الذي يجب اتباعه والسير خلفه ثم برهن على ذلك بأن الكتاب معه حيث يقول: **﴿أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم﴾** والإمام يحب أي يبحث عن المصلحة الإسلامية العليا فقد يرتيء للمصلحة الإسلامة أن يقبل بالحكومة وقد يرفض ذلك ويكمل القتال حتى النهاية، وفي ختام الفصل بيّن تلازم الكتاب معه وملازمته للكتاب وأنه لم يفارق العمل به منذ نزوله على رسول الله حيث كان الإمام إلى جنبه يعاضده ويسانده ويقوي دعوته...

وحاصل هذا الفصل أن الحق على الخوارج الذين قبلوا بالحكومة وفرضوها على غيرهم وأما الإمام فهو بالخيار بين قبولها ورفضها تبعاً للمصلحة الإسلامية فله كل العذر وليس لهم أي عذر عندما قبلوا بها ثم أرادوا الآن أن يرفضوها...

(فلقد كنا مع رسول الله صلى الله عليه وآله وأن القتل ليدور على الآباء والأبناء والإخوان والقرابات فما نزداد على كل مصيبة وشدة إلا إيماناً ومضياً على الحق وتسليماً للأمر وصبراً على مضض الجراح). هذا بيان لما كان عليه المسلمون من قوة العقيدة التي تخطوا على أساسها أواصر القرابة وصلة الدم وملكت عليهم شعورهم وعواطفهم التي

١٢٣ ـ ومن كلام له عليه السلام

قاله لأصحابه في ساحة الحرب بصفين

وَأَيُّ امْرِىءٍ مِنْكُمْ أَحَسَّ[١] مِنْ نَفْسِهِ رَبَاطَةَ جَأْشٍ[٢] عِنْدَ اللِّقَاءِ، وَرَأَى مِنْ أَحَدٍ مِنْ إِخْوَانِهِ فَشَلاً[٣] فَلْيَذُبَّ[٤] عَنْ أَخِيهِ بِفَضْلِ نَجْدَتِهِ[٥] الَّتِي فُضِّلَ بِهَا عَلَيْهِ كَمَا يَذُبُّ عَنْ نَفْسِهِ، فَلَوْ شَاءَ اللهُ لَجَعَلَهُ مِثْلَهُ. إِنَّ المَوْتَ طَالِبٌ حَثِيثٌ[٦] لاَ يَفُوتُهُ المُقِيمُ، وَلاَ يُعْجِزُهُ الهَارِبُ. إِنَّ أَكْرَمَ المَوْتِ القَتْلُ! وَالَّذِي نَفْسُ ابْنِ أَبِي طَالِبٍ بِيَدِهِ، لأَلْفُ ضَرْبَةٍ بِالسَّيْفِ أَهْوَنُ عَلَيَّ مِنْ مِيتَةٍ[٨] عَلَى الفِرَاشِ فِي غَيْرِ طَاعَةِ اللهِ!.

ومنه: وَكَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَيْكُمْ تَكِشُّونَ كَشِيشَ[٩] الضِّبَابِ[١٠]: لاَ تَأْخُذُونَ حَقًّا، وَلاَ تَمْنَعُونَ ضَيْماً[١١]. قَدْ خُلِّيْتُمْ وَالطَّرِيقَ، فَالنَّجَاةُ لِلْمُقْتَحِمِ[١٢]، وَالهَلَكَةُ لِلْمُتَلَوِّمِ[١٣].

اللغة

١ ـ أحس : علم ووجد.
٢ ـ رباطة الجأش : قوة القلب وشدته.
٣ ـ الفشل : الجبن والضعف.
٤ ـ فليذب : فليدفع.
٥ ـ النجدة : الشجاعة.
٦ ـ الحثيث : السريع.

١٢٣ ـ ومن كلام له عليه السلام

قاله لأصحابه في ساحة الحرب بصفين

وَأَيُّ امْرِىءٍ مِنكُمْ أَحَسَّ[١] مِنْ نَفْسِهِ رَبَاطَةَ جَأْشٍ[٢] عَنْدَ اللِّقَاءِ، وَرَأَى مِنْ أَحَدٍ مِنْ إِخْوَانِهِ فَشَلاً[٣] فَلْيَذُبَّ[٤] عَنْ أَخِيهِ بِفَضْلِ نَجْدَتِهِ[٥] الَّتِي فُضِّلَ بِهَا عَلَيْهِ كَمَا يَذُبُّ عَنْ نَفْسِهِ، فَلَوْ شَاءَ اللهُ لَجَعَلَهُ مِثْلَهُ. إِنَّ المَوْتَ طَالِبٌ حَثِيثٌ[٦] لاَ يَفُوتُهُ المُقِيمُ، وَلاَ يُعْجِزُهُ الهَارِبُ. إِنَّ أَكْرَمَ المَوْتِ القَتْلُ! وَالَّذِي نَفْسُ ابْنِ أَبِي طَالِبٍ بِيَدِهِ، لأَلْفُ ضَرْبَةٍ بِالسَّيْفِ أَهْوَنُ عَلَيَّ مِنْ مِيتَةٍ[٨] عَلَى الفِرَاشِ فِي غَيْرِ طَاعَةِ اللهِ!.

ومنه: وَكَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَيْكُمْ تَكِشُّونَ كَشِيشَ[٩] الضِّبَابِ[١٠]: لاَ تَأْخُذُونَ حَقًّا، وَلاَ تَمْنَعُونَ ضَيْماً[١١]. قَدْ خُلِّيْتُمْ وَالطَّرِيقَ، فَالنَّجَاةُ لِلْمُقْتَحِمِ[١٢]، وَالهَلَكَةُ لِلْمُتَلَوِّمِ[١٣].

اللغة

١ ـ أحس : علم ووجد.
٢ ـ رباطة الجأش : قوة القلب وشدته.
٣ ـ الفشل : الجبن والضعف.
٤ ـ فليذب : فليدفع.
٥ ـ النجدة : الشجاعة.
٦ ـ الحثيث : السريع.

ثم أعطى كبرى كلية وذكر أظهر مصاديقها فقال: إن أكرم الموت القتل، فإذا كان لا بد من الموت وهو دائر بين الموت الطبيعي الذي يأتي إلى الإنسان ولا يكون لهذا الإنسان فيه حرية الاختيار وبين القتل في ساحات الجهاد ومن أجل هدف إنساني شريف فإن القتل الذي يختاره الإنسان ويسعى إليه أكرم عند الله وأفضل من الموت الطبيعي لأن ذلك يتجسد فيه القرب من الله وطلب مرضاته والجهاد في سبيله. . .

ثم ذكر صغرى تلك الكبرى ترغيباً لهم وحثاً على الجهاد والنزال فأقسم بالله وهو الصادق بدون قسم أنه يختار ألف ضربة في سبيل الله يقتل بها أهون عليه من ميتة على الفراش في غير طاعة الله. . .

ألف مرة يموت كل مرة بضربة سيف أهون عليه من الموت على الفراش في غيرطاعة الله لأن في تلك أجر وثواب وفي هذه وزر وعقاب.

وأما كونها أهون فهذه حالة علوية لا يرتقي إليها إلا بعض أفراد الأمة الذين يخلصون لله ويتجردون من كل ما سواه. . .

ويعجبني ابن أبي الحديد في قوله: «وليست النفوس كلها من جوهر واحد ولا الطباع والأمزجة كل من نوع واحد، وهذه خاصية توجد لمن يصطفيه الله تعالى من عباده في الأوقات المتطاولة والدهور المتباعدة وما اتصل بنا نحن من بعد الطوفان فإن التواريخ من قبل الطوفان مجهولة عندنا أن أحداً أعطى من الشجاعة والإقدام ما أعطيه هذا الرجل من جميع فرق العالم على اختلافها من الترك والفرس والعرب والروم وغيرهم والمعلوم من حاله أنه كان يؤثر الحرب على السلم والموت على الحياة والموت الذي كان يطلبه ويؤثره هو القتل بالسيف لا الموت على الفراش. . .».

(وكأني أنظر إليكم تكشون كشيش الضباب لا تأخذون حقاً ولا تمنعون ضيماً، قد خليتم والطريق فالنجاة للمقتحم والهلكة للمتلوم). وبّخ أصحابه وقرّعهم بهذا الكلام العنيف وربما كان هذا من أخباره بما يجري عليهم فيقول: كأني أنظر إليكم تزدحمون وأنتم هاربون وأصواتكم غمغمة بينكم من الهلع الذي اعتراكم فهي أشبه شيء بأصوات الضباب المجتمعة أو أن المراد بيان حالهم من الإزدحام حال الهزيمة ثم أكد جبنهم وفشلهم وما هم فيه من الإنهيار أنهم لا يأخذون حقاً لهم من أيدي الغاصبين والظالمين ولا يرفعون ظلما حاق بالمؤمنين والمستضعفين وهم منهم وهذا منتهى الهزيمة النفسية والإنهيار والتقاعس وما الحياة وما قيمتها إن خلت من أحد هذين الأمرين أخذ حق أو دفع باطل. . .

ثم أعطى كبرى كلية وذكر أظهر مصاديقها فقال: إن أكرم الموت القتل، فإذا كان لا بد من الموت وهو دائر بين الموت الطبيعي الذي يأتي إلى الإنسان ولا يكون لهذا الإنسان فيه حرية الاختيار وبين القتل في ساحات الجهاد ومن أجل هدف إنساني شريف فإن القتل الذي يختاره الإنسان ويسعى إليه أكرم عند الله وأفضل من الموت الطبيعي لأن ذلك يتجسد فيه القرب من الله وطلب مرضاته والجهاد في سبيله. . .

ثم ذكر صغرى تلك الكبرى ترغيباً لهم وحثاً على الجهاد والنزال فأقسم بالله وهو الصادق بدون قسم أنه يختار ألف ضربة في سبيل الله يقتل بها أهون عليه من ميتة على الفراش في غير طاعة الله. . .

ألف مرة يموت كل مرة بضربة سيف أهون عليه من الموت على الفراش في غيرطاعة الله لأن في تلك أجر وثواب وفي هذه وزر وعقاب.

وأما كونها أهون فهذه حالة علوية لا يرتقي إليها إلا بعض أفراد الأمة الذين يخلصون لله ويتجردون من كل ما سواه. . .

ويعجبني ابن أبي الحديد في قوله: «وليست النفوس كلها من جوهر واحد ولا الطباع والأمزجة كل من نوع واحد، وهذه خاصية توجد لمن يصطفيه الله تعالى من عباده في الأوقات المتطاولة والدهور المتباعدة وما اتصل بنا نحن من بعد الطوفان فإن التواريخ من قبل الطوفان مجهولة عندنا أن أحداً أعطى من الشجاعة والإقدام ما أعطيه هذا الرجل من جميع فرق العالم على اختلافها من الترك والفرس والعرب والروم وغيرهم والمعلوم من حاله أنه كان يؤثر الحرب على السلم والموت على الحياة والموت الذي كان يطلبه ويؤثره هو القتل بالسيف لا الموت على الفراش. . .».

(وكأني أنظر إليكم تكشون كشيش الضباب لا تأخذون حقاً ولا تمنعون ضيماً، قد خليتم والطريق فالنجاة للمقتحم والهلكة للمتلوم). وبّخ أصحابه وقرّعهم بهذا الكلام العنيف وربما كان هذا من أخباره بما يجري عليهم فيقول: كأني أنظر إليكم تزدحمون وأنتم هاربون وأصواتكم غمغمة بينكم من الهلع الذي اعتراكم فهي أشبه شيء بأصوات الضباب المجتمعة أو أن المراد بيان حالهم من الإزدحام حال الهزيمة ثم أكد جبنهم وفشلهم وما هم فيه من الإنهيار أنهم لا يأخذون حقاً لهم من أيدي الغاصبين والظالمين ولا يرفعون ظلما حاق بالمؤمنين والمستضعفين وهم منهم وهذا منتهى الهزيمة النفسية والإنهيار والتقاعس وما الحياة وما قيمتها إن خلت من أحد هذين الأمرين أخذ حق أو دفع باطل. . .

١٢٤ ـ ومن كلام له عليه السلام

في حث أصحابه على القتال

فَقَدِّمُوا الدَّارِعَ[١]، وَأَخِّرُوا الحَاسِرَ[٢]، وَعَضُّوا[٣] عَلَى الأَضْرَاسِ[٤]، فَإِنَّهُ أَنْبَى[٥] لِلسُّيُوفِ عَنِ الهَامِ[٦]؛ وَالْتَوُوا[٧] فِي أَطْرَافِ الرِّمَاحِ، فَإِنَّهُ أَمْوَرُ[٨] لِلأَسِنَّةِ[٩]؛ وَغُضُّوا الأَبْصَارَ[١٠] فَإِنَّهُ أَرْبَطُ لِلْجَأْشِ[١١]، وَأَسْكَنُ لِلْقُلُوبِ؛ وَأَمِيتُوا الأَصْوَاتَ، فَإِنَّهُ أَطْرَدُ[١٢] لِلْفَشَلِ. وَرَايَتَكُمْ[١٣] فَلاَ تُمِيلُوهَا وَلاَ تُخِلُّوهَا، وَلاَ تَجْعَلُوهَا إِلاَّ بِأَيْدِي شُجْعَانِكُمْ، وَالمَانِعِينَ الذِّمَارَ[١٤] مِنْكُمْ، فَإِنَّ الصَّابِرِينَ عَلَى نُزُولِ الحَقَائِقِ[١٥] هُمُ الَّذِينَ يَحُفُّونَ[١٦] بِرَايَاتِهِمْ، وَيَكْتَنِفُونَهَا[١٧]: حِفَافَيْهَا[١٨]، وَوَرَاءَهَا، وَأَمَامَهَا؛ لاَ يَتَأَخَّرُونَ عَنْهَا فَيُسْلِمُوهَا، وَلاَ يَتَقَدَّمُونَ عَلَيْهَا فَيُفْرِدُوهَا. أَجْزَأَ[١٩] امْرُؤٌ قِرْنَهُ[٢٠]، وَآسَى[٢١] أَخَاهُ بِنَفْسِهِ، وَلَمْ يَكِلْ[٢٢] قِرْنَهُ إِلَى أَخِيهِ فَيَجْتَمِعَ عَلَيْهِ قِرْنُهُ وَقِرْنُ أَخِيهِ. وَايْمَ اللهِ لَئِنْ فَرَرْتُمْ مِنْ سَيْفِ العَاجِلَةِ، لاَ تَسْلَمُوا مِنْ سَيْفِ الآخِرَةِ، وَأَنْتُمْ لَهَامِيمُ[٢٣] العَرَبِ، وَالسَّنَامُ[٢٤] الأَعْظَمُ. إِنَّ فِي الفِرَارِ مَوْجِدَةَ[٢٥] اللهِ، وَالذُّلَّ اللاَّزِمَ، وَالعَارَ البَاقِيَ. وَإِنَّ الفَارَّ لَغَيْرُ مَزِيدٍ فِي عُمُرِهِ، وَلاَ مَحْجُوزٍ بَيْنَهُ وَبَيْنَ يَوْمِهِ. مَنِ الرَّائِحِ إِلَى اللهِ كَالظَّمْآنِ[٢٦] يَرِدُ المَاءَ؟ الجَنَّةُ تَحْتَ أَطْرَافِ العَوَالِي[٢٧]! اليَوْمَ تُبْلَى[٢٨] الأَخْبَارُ! وَاللهِ لأَنَا أَشْوَقُ إِلَى لِقَائِهِمْ مِنْهُمْ إِلَى دِيَارِهِمْ. اللَّهُمَّ فَإِنْ رَدُّوا الحَقَّ فَافْضُضْ[٢٩] جَمَاعَتَهُمْ، وَشَتِّتْ كَلِمَتَهُمْ، وَأَبْسِلْهُمْ[٣٠] بِخَطَايَاهُمْ. إِنَّهُمْ لَنْ يَزُولُوا عَنْ مَوَاقِفِهِمْ دُونَ طَعْنٍ[٣١]

١٢٤ ـ ومن كلام له عليه السلام

في حث أصحابه على القتال

فَقَدِّمُوا الدَّارِعَ[١]، وَأَخِّرُوا الحَاسِرَ[٢]، وَعَضُّوا[٣] عَلَى الأَضْرَاسِ[٤]، فَإِنَّهُ أَنْبَى[٥] لِلسُّيُوفِ عَنِ الهَامِ[٦]؛ وَالْتَوُوا[٧] فِي أَطْرَافِ الرِّمَاحِ، فَإِنَّهُ أَمْوَرُ[٨] لِلأَسِنَّةِ[٩]؛ وَغُضُّوا الأَبْصَارَ[١٠] فَإِنَّهُ أَرْبَطُ لِلْجَأْشِ[١١]، وَأَسْكَنُ لِلْقُلُوبِ؛ وَأَمِيتُوا الأَصْوَاتَ، فَإِنَّهُ أَطْرَدُ[١٢] لِلْفَشَلِ. وَرَايَتَكُمْ[١٣] فَلاَ تُمِيلُوهَا وَلاَ تُخِلُّوهَا، وَلاَ تَجْعَلُوهَا إِلاَّ بِأَيْدِي شُجْعَانِكُمْ، وَالمَانِعِينَ الذِّمَارَ[١٤] مِنْكُمْ، فَإِنَّ الصَّابِرِينَ عَلَى نُزُولِ الحَقَائِقِ[١٥] هُمُ الَّذِينَ يَحُفُّونَ[١٦] بِرَايَاتِهِمْ، وَيَكْتَنِفُونَهَا[١٧]: حِفَافَيْهَا[١٨]، وَوَرَاءَهَا، وَأَمَامَهَا؛ لاَ يَتَأَخَّرُونَ عَنْهَا فَيُسْلِمُوهَا، وَلاَ يَتَقَدَّمُونَ عَلَيْهَا فَيُفْرِدُوهَا. أَجْزَأَ[١٩] امْرُؤٌ قِرْنَهُ[٢٠]، وَآسَى[٢١] أَخَاهُ بِنَفْسِهِ، وَلَمْ يَكِلْ[٢٢] قِرْنَهُ إِلَى أَخِيهِ فَيَجْتَمِعَ عَلَيْهِ قِرْنُهُ وَقِرْنُ أَخِيهِ. وَايْمَ اللهِ لَئِنْ فَرَرْتُمْ مِنْ سَيْفِ العَاجِلَةِ، لاَ تَسْلَمُوا مِنْ سَيْفِ الآخِرَةِ، وَأَنْتُمْ لَهَامِيمُ[٢٣] العَرَبِ، وَالسَّنَامُ[٢٤] الأَعْظَمُ. إِنَّ فِي الفِرَارِ مَوْجِدَةَ[٢٥] اللهِ، وَالذُّلَّ اللاَّزِمَ، وَالعَارَ البَاقِيَ. وَإِنَّ الفَارَّ لَغَيْرُ مَزِيدٍ فِي عُمُرِهِ، وَلاَ مَحْجُوزٍ بَيْنَهُ وَبَيْنَ يَوْمِهِ. مَنِ الرَّائِحِ إِلَى اللهِ كَالظَّمْآنِ[٢٦] يَرِدُ المَاءَ؟ الجَنَّةُ تَحْتَ أَطْرَافِ العَوَالِي[٢٧]! اليَوْمَ تُبْلَى[٢٨] الأَخْبَارُ! وَاللهِ لأَنَا أَشْوَقُ إِلَى لِقَائِهِمْ مِنْهُمْ إِلَى دِيَارِهِمْ. اللَّهُمَّ فَإِنْ رَدُّوا الحَقَّ فَافْضُضْ[٢٩] جَمَاعَتَهُمْ، وَشَتِّتْ كَلِمَتَهُمْ، وَأَبْسِلْهُمْ[٣٠] بِخَطَايَاهُمْ. إِنَّهُمْ لَنْ يَزُولُوا عَنْ مَوَاقِفِهِمْ دُونَ طَعْنٍ[٣١]

١٨ ـ حفافيها : جانبيها.
١٩ ـ أجزأ : كفى.
٢٠ ـ القرن : بالكسر الكفو والنظير.
٢١ ـ آسى : أخاه أي جعله أسوة نفسه فيه.
٢٢ ـ لم يكل : لم يترك.
٢٣ ـ اللهاميم : جمع لهموم السيد الجواد من الناس والخيل.
٢٤ ـ السنام : حدبة في ظهر البعير.
٢٥ ـ موجدة الله : غضبه وسخطه.
٢٦ ـ الظمأ : العطش.
٢٧ ـ العوالي : الرماح.
٢٨ ـ تبلى : تمتحن وتختبر.
٢٩ ـ فضّ : الله جمعهم فرقّهم.
٣٠ ـ أبسلته : أسلمته إلى الهلكة.
٣١ ـ الطعن : الضرب وطعنه بالرمح ضربه حتى نفذ.
٣٢ ـ دراك : متتابع متوال.
٣٣ ـ النسيم : النفس.
٣٤ ـ يفلق : يشق.
٣٥ ـ يطيح : العظام يسقطها وطاح الشيء سقط أو هلك.
٣٦ ـ يندر : السواعد يسقطها.
٣٧ ـ المناسر : جمع منسر بكسر السين وفتح الميم قطعة من الجيش تكون أمام الجيش الأعظم.
٣٨ ـ يرجموا : يغزوا.
٣٩ ـ الكتائب : جمع كتيبة وهي طائفة من الجيش.
٤٠ ـ إقتفى : أثر فلان تبعه.
٤١ ـ الحلائب : جمع حلبة الجماعة تجتمع من كل صوب للنصرة.
٤٢ ـ الخميس : الجيش سمي بذلك لأنه خمس فرق.
٤٣ ـ تدعق : تدق.
٤٤ ـ نواحر أرضهم : متقابلاتها.
٤٥ ـ أعنان الشيء : أطرافه ونواحيه.
٤٦ ـ المسارب : المراعي.
٤٧ ـ المسارح : وهي المراعي واحدتها مسرحة.

١٨ ـ حفافيها : جانبيها.
١٩ ـ أجزأ : كفى.
٢٠ ـ القرن : بالكسر الكفو والنظير.
٢١ ـ آسى : أخاه أي جعله أسوة نفسه فيه.
٢٢ ـ لم يكل : لم يترك.
٢٣ ـ اللهاميم : جمع لهموم السيد الجواد من الناس والخيل.
٢٤ ـ السنام : حدبة في ظهر البعير.
٢٥ ـ موجدة الله : غضبه وسخطه.
٢٦ ـ الظمأ : العطش.
٢٧ ـ العوالي : الرماح.
٢٨ ـ تبلى : تمتحن وتختبر.
٢٩ ـ فضّ : الله جمعهم فرقّهم.
٣٠ ـ أبسلته : أسلمته إلى الهلكة.
٣١ ـ الطعن : الضرب وطعنه بالرمح ضربه حتى نفذ.
٣٢ ـ دراك : متتابع متوال.
٣٣ ـ النسيم : النفس.
٣٤ ـ يفلق : يشق.
٣٥ ـ يطيح : العظام يسقطها وطاح الشيء سقط أو هلك.
٣٦ ـ يندر : السواعد يسقطها.
٣٧ ـ المناسر : جمع منسر بكسر السين وفتح الميم قطعة من الجيش تكون أمام الجيش الأعظم.
٣٨ ـ يرجموا : يغزوا.
٣٩ ـ الكتائب : جمع كتيبة وهي طائفة من الجيش.
٤٠ ـ إقتفى : أثر فلان تبعه.
٤١ ـ الحلائب : جمع حلبة الجماعة تجتمع من كل صوب للنصرة.
٤٢ ـ الخميس : الجيش سمي بذلك لأنه خمس فرق.
٤٣ ـ تدعق : تدق.
٤٤ ـ نواحر أرضهم : متقابلاتها.
٤٥ ـ أعنان الشيء : أطرافه ونواحيه.
٤٦ ـ المسارب : المراعي.
٤٧ ـ المسارح : وهي المراعي واحدتها مسرحة.

في زماننا هذا فكما أنه لو انقطع الإتصال بين القيادة وبين الكتائب والجيوش تضطرب الأحوال وتسود الفوضى ولا يعود المنقطع يملك الثقة بنفسه ولا يعرف كيف يتصرف أو ماذا يعمل هكذا يمكن أن تكون الراية في القديم. . . كانت دليل القوة والبقاء واستمرارية المعركة ومن هنا يركز الإمام عليها فيقول لهم: لا تتركوها تميل لأن ميلانها يجعل العدو يظن فيكم الاضطراب والفوضى فيقوى عليكم ويندفع نحوكم هذا من جهة وأيضاً تغيب عن نظر عساكركم فتهون قوتهم ولا يدرون وجهتهم وأيضاً لا تفردوها فإن العدو إذا استفردها إقتحم عليها. . .

وأمر أن تكون بأيدي الشجعان الذين لا يخافون الموت ولا يرهبون الأعداء وبأيدي المانعين للذمار الذين يحفظون الحرمات ولا يسلمونها إلا بالموت فهؤلاء هم الصابرون الذين يتحملون الشدائد القوية التي تنزل في الحروب، هؤلاء الصابرون هم الذين يلتفون برياتهم والرايات لها حقوق ومن حقوقها أن يجتمع حولها أهل النجدة والشجاعة ويحيطون بها من جميع جوانبها من اليمين واليسار والأمام والخلف لا يتأخرون عنها فيسلمونها للأعداء ولا يتقدمون عليها فيتركونها منفردة تطمع بها الأعداء بل هم معها وحولها ومن جميع جوانبها.

(أجزأ امرؤ قرنه وآسى أخاه بنفسه ولم يكل قرنه إلى أخيه فيجتمع عليه قرنه وقرن أخيه). أجزأ فعل ماضي يراد به الأمر فليكف كل إنسان نظيره وليكن مقابله يقهره.

وآسى فعل ماضي أيضاً يراد به الأمر بالمواساة للأخ بالنفس وذلك أن لا يترك خصمه إلى أخيه فيجتمع عليه خصمان فيكون قد ساعد على قتل أخيه وهذا أمر محرم ولذا لا يجوز الفرار لما في ذلك من تقوية للكفر وهزيمة للمسلمين. . .

(وأيم الله لئن فررتم من سيف العاجلة لا تسلموا من سيف الآخرة وأنتم لهاميم العرب والسنام الأعظم إن في الفرار موجدة الله والذل اللازم والعار الباقي وإن الفار لغير مزيد في عمره ولا محجوز بينه وبين يومه). أقسم عليه السلام أن من يفر من سيوف الدنيا في الحرب والجهاد وينكل عن مقارعة الأبطال حباً بالحياة وطلباً للسلامة فإن سيوف الآخرة ستطاله ولن يسلم منها لأن في فراره معصية كبيرة تدخله النار وهذا ما صرح به النبي والأئمة في أحاديثهم.

ثم وصفهم بأوصاف تجعلهم يرفضون الفرار ويأنفونه لأنفسهم فوصفهم أنهم سادات العرب وأهل الشرف والمجد والمنزلة الرفيعة.

ثم عاد إلى ذكر عيوب الفرار وقبائحه.

في زماننا هذا فكما أنه لو انقطع الإتصال بين القيادة وبين الكتائب والجيوش تضطرب الأحوال وتسود الفوضى ولا يعود المنقطع يملك الثقة بنفسه ولا يعرف كيف يتصرف أو ماذا يعمل هكذا يمكن أن تكون الراية في القديم. . . كانت دليل القوة والبقاء واستمرارية المعركة ومن هنا يركز الإمام عليها فيقول لهم: لا تتركوها تميل لأن ميلانها يجعل العدو يظن فيكم الاضطراب والفوضى فيقوى عليكم ويندفع نحوكم هذا من جهة وأيضاً تغيب عن نظر عساكركم فتهون قوتهم ولا يدرون وجهتهم وأيضاً لا تفردوها فإن العدو إذا استفردها إقتحم عليها. . .

وأمر أن تكون بأيدي الشجعان الذين لا يخافون الموت ولا يرهبون الأعداء وبأيدي المانعين للذمار الذين يحفظون الحرمات ولا يسلمونها إلا بالموت فهؤلاء هم الصابرون الذين يتحملون الشدائد القوية التي تنزل في الحروب، هؤلاء الصابرون هم الذين يلتفون برياتهم والرايات لها حقوق ومن حقوقها أن يجتمع حولها أهل النجدة والشجاعة ويحيطون بها من جميع جوانبها من اليمين واليسار والأمام والخلف لا يتأخرون عنها فيسلمونها للأعداء ولا يتقدمون عليها فيتركونها منفردة تطمع بها الأعداء بل هم معها وحولها ومن جميع جوانبها.

(أجزأ امرؤ قرنه وآسى أخاه بنفسه ولم يكل قرنه إلى أخيه فيجتمع عليه قرنه وقرن أخيه). أجزأ فعل ماضي يراد به الأمر فليكف كل إنسان نظيره وليكن مقابله يقهره.

وآسى فعل ماضي أيضاً يراد به الأمر بالمواساة للأخ بالنفس وذلك أن لا يترك خصمه إلى أخيه فيجتمع عليه خصمان فيكون قد ساعد على قتل أخيه وهذا أمر محرم ولذا لا يجوز الفرار لما في ذلك من تقوية للكفر وهزيمة للمسلمين. . .

(وأيم الله لئن فررتم من سيف العاجلة لا تسلموا من سيف الآخرة وأنتم لهاميم العرب والسنام الأعظم إن في الفرار موجدة الله والذل اللازم والعار الباقي وإن الفار لغير مزيد في عمره ولا محجوز بينه وبين يومه). أقسم عليه السلام أن من يفر من سيوف الدنيا في الحرب والجهاد وينكل عن مقارعة الأبطال حباً بالحياة وطلباً للسلامة فإن سيوف الآخرة ستطاله ولن يسلم منها لأن في فراره معصية كبيرة تدخله النار وهذا ما صرح به النبي والأئمة في أحاديثهم.

ثم وصفهم بأوصاف تجعلهم يرفضون الفرار ويأنفونه لأنفسهم فوصفهم أنهم سادات العرب وأهل الشرف والمجد والمنزلة الرفيعة.

ثم عاد إلى ذكر عيوب الفرار وقبائحه.

على جهادهم من حيث إنه يقاتل في سبيل الله وعلى المجاهد أن يرغب في عبادة الله ومنها جهاد الأعداء. . .

(اللهم فإن ردوا الحق فافضض جماعتهم وشتت كلمتهم وأبسلهم بخطاياهم). وهذا دعاء على أهل الشام إن ردوا الحق ورفضوه ولم يقبلوا بحكم الله أن يفرق جماعتهم ويرمي الاختلاف بينهم حتى لا يتفقوا على رأي واحد وهذا من أهم العوامل التي تؤدي إلى الهزيمة وكذلك دعا عليهم أن يأخذهم الله بذنوبهم ويهلكهم ويقضي عليهم. . .

(إنهم لن يزولوا عن مواقفهم دون طعن دراك يخرج منهم النسيم وضرب يفلق الهام ويطيح العظام ويندر السواعد والأقدام). أظهر موقف أهل الشام أنهم سيبقون على إصرارهم على الباطل ويراد بهذا الكلام حث أصحابه على الإستعداد للقتال وأن هؤلاء القوم لن يتحولوا عما هم عليه إلا بطعن متتابع لسعته يخرج منه الريح وضرب يشق الرؤوس ويرمي بالعظام والسواعد والأقدام، إنهم يحتاجون إلى شراسة في القتال يرون من خلالها الأشلاء ممزقة والأوصال مقطعة فعندها يتحولون عن عنادهم وإصرارهم على الباطل.

(وحتى يرموا بالمناسر تتبعها المناسر ويرجموا بالكتائب تقفوها الحلائب وحتى يجر ببلادهم الخميس يتلوه الخميس). لا يزال يتحدث عن أهل الشام وأنهم لن يزولوا عن مواقفهم الضالة إلا بأن تجتمع عليهم كل القوى المسلحة وبجميع قطاعاتها وعلى اختلاف وظائفها ومهامها فالمناسر التي هي طلائع الجيوش لا بد وأن تتوالى عليهم وتقصدهم ليشعروا بضخامة الجيش ثم يغزوا بالكتائب التي هي قطع من الجيش تأتي بعدها ما يجتمع من كل مكان ويقصدهم في بلادهم أيضاً الجيش المعبر عنه بالخميس تتلوه الجيوش وسمى الجيش بالخميس لأنه مؤلف من خمس فرق: المقدمة والقلب والميمنة والميسرة والساقة.

(وحتى تدعق الخيول في نواحر أرضهم وبأعنان مساربهم ومسارحهم). ويبقى القتال حق تتزاحم الخيول في أواسط أرضهم وفي قلب بلادهم وتصل إلى أطراف مراعيهم فتضيق عليهم الخناق وعندها فقط تتغير مواقفهم ويرضخون لحكم الله وما أراد منهم. . .

على جهادهم من حيث إنه يقاتل في سبيل الله وعلى المجاهد أن يرغب في عبادة الله ومنها جهاد الأعداء. . .

(**اللهم فإن ردوا الحق فافضض جماعتهم وشتت كلمتهم وأبسلهم بخطاياهم**). وهذا دعاء على أهل الشام إن ردوا الحق ورفضوه ولم يقبلوا بحكم الله أن يفرق جماعتهم ويرمي الاختلاف بينهم حتى لا يتفقوا على رأي واحد وهذا من أهم العوامل التي تؤدي إلى الهزيمة وكذلك دعا عليهم أن يأخذهم الله بذنوبهم ويهلكهم ويقضي عليهم. . .

(**إنهم لن يزولوا عن مواقفهم دون طعن دراك يخرج منهم النسيم وضرب يفلق الهام ويطيح العظام ويندر السواعد والأقدام**). أظهر موقف أهل الشام أنهم سيبقون على إصرارهم على الباطل ويراد بهذا الكلام حث أصحابه على الإستعداد للقتال وأن هؤلاء القوم لن يتحولوا عما هم عليه إلا بطعن متتابع لسعته يخرج منه الريح وضرب يشق الرؤوس ويرمي بالعظام والسواعد والأقدام، إنهم يحتاجون إلى شراسة في القتال يرون من خلالها الأشلاء ممزقة والأوصال مقطعة فعندها يتحولون عن عنادهم وإصرارهم على الباطل.

(**وحتى يرموا بالمناسر تتبعها المناسر ويرجموا بالكتائب تقفوها الحلائب وحتى يجر ببلادهم الخميس يتلوه الخميس**). لا يزال يتحدث عن أهل الشام وأنهم لن يزولوا عن مواقفهم الضالة إلا بأن تجتمع عليهم كل القوى المسلحة وبجميع قطاعاتها وعلى اختلاف وظائفها ومهامها فالمناسر التي هي طلائع الجيوش لا بد وأن تتوالى عليهم وتقصدهم ليشعروا بضخامة الجيش ثم يغزوا بالكتائب التي هي قطع من الجيش تأتي بعدها ما يجتمع من كل مكان ويقصدهم في بلادهم أيضاً الجيش المعبر عنه بالخميس تتلوه الجيوش وسمى الجيش بالخميس لأنه مؤلف من خمس فرق: المقدمة والقلب والميمنة والميسرة والساقة.

(**وحتى تدعق الخيول في نواحر أرضهم وبأعنان مساربهم ومسارحهم**). ويبقى القتال حق تتزاحم الخيول في أواسط أرضهم وفي قلب بلادهم وتصل إلى أطراف مراعيهم فتضيق عليهم الخناق وعندها فقط تتغير مواقفهم ويرضخون لحكم الله وما أراد منهم. . .

مِنكُمْ بَرْحاً[٢٠]، يَوْماً أُنَادِيكُمْ وَيَوْماً أُنَاجِيكُمْ، فَلاَ أَحْرَارُ صِدْقٍ عِنْدَ النِّدَاءِ، وَلاَ إِخْوَانُ ثِقَةٍ عِنْدَ النَّجَاءِ[٢١]!.

اللغة

١ ـ دفتا المصحف : جانباه اللذان يكتنفانه.
٢ ـ الترجمان : بفتح التاء وضم الجيم هو مفسر اللغة بلسان أخر.
٣ ـ تولى عنه : أعرض عنه وتركه.
٤ ـ الأجل : الوقت المضروب المعين.
٥ ـ تبين الأمر : ظهر ووضح.
٦ ـ الهدنة : وقف الحرب إلى حين..
٧ ـ الأكظام : جمع كظم محركة مخرج النفس.
٨ ـ الغي : الضلال.
٩ ـ كرثه : الغم إشتد عليه.
١٠ ـ يتاه : من تاه إذا تحيّر.
١١ ـ حيارى : مفرده حيران من ضل الطريق ولم يهتد، جهل وجه الصواب.
١٢ ـ موزعين : من أوزعه أي أغراه ورب أوزعني أي ألهمني.
١٣ ـ لا يعدلون به : لا يستبدلونه بالعدل.
١٤ ـ جفاة : جمع جاف النابي عن الشيء والمرتفع عنه.
١٥ ـ نُكب : جمع ناكب الحائد عن الطريق التارك له.
١٦ ـ الوثيقة : الثقة وما أنتم بوثيقة أي لستم عروة وثيقة.
١٧ ـ الزوافر : العشيرة والأنصار.
١٨ ـ الحشاش : جمع حاش من حش النار إذا أوقدها.
١٩ ـ أفٍّ : له وعليه أي قذراً له وأفٌّ اسم فعل بمعنى أتضجر.
٢٠ ـ البرح : الشدة والأذى.
٢١ ـ النجاء : المناجاة.

الشرح

(إنا لم نحكم الرجال وإنما حكمنا القرآن هذا القرآن إنما هو خط مستور بين الدفتين لا ينطق بلسان ولا بد له من ترجمان وإنما ينطق عنه الرجال) هذا الكلام من الإمام

مِنْكُمْ بَرْحاً[٢٠]، يَوْماً أُنَادِيكُمْ وَيَوْماً أُنَاجِيكُمْ، فَلاَ أَحْرَارُ صِدْقٍ عِنْدَ النِّدَاءِ، وَلاَ إِخْوَانُ ثِقَةٍ عِنْدَ النَّجَاءِ[٢١]!.

اللغة

١ ـ دفتا المصحف : جانباه اللذان يكتنفانه.
٢ ـ الترجمان : بفتح التاء وضم الجيم هو مفسر اللغة بلسان أخر.
٣ ـ تولى عنه : أعرض عنه وتركه.
٤ ـ الأجل : الوقت المضروب المعين.
٥ ـ تبين الأمر : ظهر ووضح.
٦ ـ الهدنة : وقف الحرب إلى حين..
٧ ـ الأكظام : جمع كظم محركة مخرج النفس.
٨ ـ الغي : الضلال.
٩ ـ كرثه : الغم إشتد عليه.
١٠ ـ يتاه : من تاه إذا تحيّر.
١١ ـ حيارى : مفرده حيران من ضل الطريق ولم يهتد، جهل وجه الصواب.
١٢ ـ موزعين : من أوزعه أي أغراه ورب أوزعني أي ألهمني.
١٣ ـ لا يعدلون به : لا يستبدلونه بالعدل.
١٤ ـ جفاة : جمع جاف النابي عن الشيء والمرتفع عنه.
١٥ ـ نُكب : جمع ناكب الحائد عن الطريق التارك له.
١٦ ـ الوثيقة : الثقة وما أنتم بوثيقة أي لستم عروة وثيقة.
١٧ ـ الزوافر : العشيرة والأنصار.
١٨ ـ الحشاش : جمع حاش من حش النار إذا أوقدها.
١٩ ـ أفٌّ : له وعليه أي قذراً له وأفٌّ اسم فعل بمعنى أتضجر.
٢٠ ـ البرح : الشدة والأذى.
٢١ ـ النجاء : المناجاة.

الشرح

(إنا لم نحكم الرجال وإنما حكمنا القرآن هذا القرآن إنما هو خط مستور بين الدفتين لا ينطق بلسان ولا بد له من ترجمان وإنما ينطق عنه الرجال) هذا الكلام من الإمام

الجاهل ويتثبت العالم ولعل الله أن يصلح في هذه الهدنة أمر هذه الأمة ولا تؤخذ بأكظامها فتعجل عن تبيّن الحق وتنقاد لأول الغي) وهذا أيضاً جواب للخوارج الذين قالوا لم عيّنت أجلاً للتحكيم فكان في الوثيقة «وأجل الموادعة سنة كاملة فإن أحب الحكمان أن يعجّلا الحكم عجلاّه. .» فكان تعيين الوقت من أجل أن يتبين الجاهل أي يعرف الحقيقة خلال هذه الفترة التي تتوقف فيها الحرب فيعود إلى عقله ويثوب إلى رشده ويفكر بهدؤ فلعله يصل إلى الحق وكذلك من أجل أن يتثبت العالم أي يطمئن إلى الحق الذي هو عليه فيكمل الشوط على يقين مما يجاهد من أجله. . .

وكذلك كان الأجل المعين رجاء أن تصلح هذه الأمة في مدة هذه الهدنة التي يتوقف فيها القتال فيترك لها المجال في النظر في أمرها وما يصلحها ولا يؤخذ عليها الطريق إلى الهدى والرجوع إلى الحق إذ لو لم نقبل بالهدنة وتعيين الأجل نكون قد ضيقنا عليها ومنعنا بعض الناس من العودة إلى الحق وتركناه مع راية الضلال والإنحراف. . .

وبعبارة أخرى: إن الإمام يعيش مع الحق والعدل ولذا لا يترك فرصة لأحد يستطيع العودة إليهما إلا ويوفرها له. . همه أن ينقذ هذا الإنسان مما هو فيه من ضلال فلذا يؤقت للهدنة لعل أصحاب النفوس الطيبة ترجع عن ضلالها.

(إن أفضل الناس عند الله من كان العمل بالحق أحب إليه ـ وإن نقصه وكرثه ـ من الباطل وإن جرّ إليه فائدة وزاده) أراد أن يجذبهم إلى الحق فبيّن لهم أن أفضل الناس عند الله من كان الحق عنده آثر وأحب إليه من الباطل وإن كان الحق يجر عليه شدة في البدن أو نقصاناً في المال لأنه من القيم المعنوية التي تسقط أمامها المنافع والفوائد التي يمكن أن يوفرها الباطل وما الدنيا وقيمتها إن خلت من الحق وأهله. . .

(فأين يتاه بكم ومن أين أتيتم) إستفهم متعجباً منهم وهو العالم بهم قائلاً كيف تذهبون هذه المذاهب الباطلة التي تخرجكم عن الحق وتدخلكم في الباطل.

ومن أين أتيتم من أي جهة أتاكم الشيطان حتى استطاع أن يدخل عليكم ويحرفكم عن الاستقامة ومن المعلوم أنه جاءهم من الغباء واللاوعي ومحدودية الفكر والنظر. . .

(استعدوا إلى قوم حيارى عن الحق لا يبصرونه وموزعين بالجور لا يعدلون به جفاة عن الكتاب نكب عن الطريق) أمرهم بالاستعداد لحرب معاوية وجماعته ورغبهم في ذلك بذكر صفات أعدائهم التي توجب قتالهم فوصفهم:

أ ـ إنهم قوم حيارى عن الحق تائهون عنه لا يهتدون إليه.

الجاهل ويتثبت العالم ولعل الله أن يصلح في هذه الهدنة أمر هذه الأمة ولا تؤخذ بأكظامها فتعجل عن تبيّن الحق وتنقاد لأول الغي) وهذا أيضاً جواب للخوارج الذين قالوا لم عيّنت أجلاً للتحكيم فكان في الوثيقة «وأجل الموادعة سنة كاملة فإن أحب الحكمان أن يعجّلا الحكم عجلاّه. .» فكان تعيين الوقت من أجل أن يتبين الجاهل أي يعرف الحقيقة خلال هذه الفترة التي تتوقف فيها الحرب فيعود إلى عقله ويثوب إلى رشده ويفكر بهدوء فلعله يصل إلى الحق وكذلك من أجل أن يتثبت العالم أي يطمئن إلى الحق الذي هو عليه فيكمل الشوط على يقين مما يجاهد من أجله. . .

وكذلك كان الأجل المعين رجاء أن تصلح هذه الأمة في مدة هذه الهدنة التي يتوقف فيها القتال فيترك لها المجال في النظر في أمرها وما يصلحها ولا يؤخذ عليها الطريق إلى الهدى والرجوع إلى الحق إذ لو لم نقبل بالهدنة وتعيين الأجل نكون قد ضيقنا عليها ومنعنا بعض الناس من العودة إلى الحق وتركناه مع راية الضلال والإنحراف. . .

وبعبارة أخرى: إن الإمام يعيش مع الحق والعدل ولذا لا يترك فرصة لأحد يستطيع العودة إليهما إلا ويوفرها له. . همه أن ينقذ هذا الإنسان مما هو فيه من ضلال فلذا يؤقت للهدنة لعل أصحاب النفوس الطيبة ترجع عن ضلالها.

(إن أفضل الناس عند الله من كان العمل بالحق أحب إليه ـ وإن نقصه وكرثه ـ من الباطل وإن جرّ إليه فائدة وزاده) أراد أن يجذبهم إلى الحق فبيّن لهم أن أفضل الناس عند الله من كان الحق عنده آثر وأحب إليه من الباطل وإن كان الحق يجر عليه شدة في البدن أو نقصاناً في المال لأنه من القيم المعنوية التي تسقط أمامها المنافع والفوائد التي يمكن أن يوفرها الباطل وما الدنيا وقيمتها إن خلت من الحق وأهله. . .

(فأين يتاه بكم ومن أين أتيتم) إستفهم متعجباً منهم وهو العالم بهم قائلاً كيف تذهبون هذه المذاهب الباطلة التي تخرجكم عن الحق وتدخلكم في الباطل.

ومن أين أتيتم من أي جهة أتاكم الشيطان حتى استطاع أن يدخل عليكم ويحرفكم عن الاستقامة ومن المعلوم أنه جاءهم من الغباء واللاوعي ومحدودية الفكر والنظر. . .

(استعدوا إلى قوم حيارى عن الحق لا يبصرونه وموزعين بالجور لا يعدلون به جفاة عن الكتاب نكب عن الطريق) أمرهم بالاستعداد لحرب معاوية وجماعته ورغبهم في ذلك بذكر صفات أعدائهم التي توجب قتالهم فوصفهم:

أ ـ إنهم قوم حيارى عن الحق تائهون عنه لا يهتدون إليه.

١٢٦ ـ ومن كلام له عليه السلام

لما عوتب على التسوية في العطاء

أَتَأْمُرُونِي أَنْ أَطْلُبَ النَّصْر بِالجَوْرِ فِيمَنْ وُلِّيتُ عَلَيْه! وَاللهِ لاَ أَطُورُ[١] بِهِ مَا سَمَرَ[٢] سَمِيرٌ، وَمَا أَمَّ[٣] نَجْمٌ فِي السَّمَاءِ نَجْماً! لَوْ كَانَ المَالُ لِي لَسَوَّيْتُ بَيْنَهُمْ، فَكَيْفَ وَإِنَّمَا المَالُ مَالُ اللهِ! أَلاَ وَإِنَّ إِعْطَاءَ المَالِ فِي غَيْرِ حَقِّهِ تَبْذِيرٌ وَإِسْرَافٌ، وَهُوَ يَرْفَعُ صَاحِبَهُ فِي الدُّنْيَا وَيَضَعُهُ فِي الآخِرَةِ، وَيُكْرِمُهُ فِي النَّاسِ وَيُهِينُهُ عِنْدَ اللهِ. وَلَمْ يَضَعِ امْرُؤٌ مَالَهُ فِي غَيْرِ حَقِّهِ وَلاَ عِندَ غَيْرِ أَهْلِهِ إِلاَّ حَرَمَهُ اللهُ شُكْرَهُمْ، وَكَانَ لِغَيْرِهِ وُدُّهُمْ[٤]. فَإِنْ زَلَّتْ[٥] بِهِ النَّعْلُ[٦] يَوْماً فَاحْتَاجَ إِلَى مَعُونَتِهِمْ فَشَرُّ خَلِيلٍ وَأَلأَمُ خَدِينٍ[٧]!.

اللغة

١ ـ لا أطور به : من طار يطور إذا حام حول الشيء أي لا أمر به ولا أقاربه.
٢ ـ السمر : الليل وحديثه وقولهم لا أفعله ما سمر سمير أي مدى الدهر.
٣ ـ أمّ : قصد.
٤ ـ الود : الحب.
٥ ـ زلت : إنزلقت وسقطت.
٦ ـ النعل : الحذاء، وما وقيت به القدم من الأرض.
٧ ـ الخدين : الصديق.

الشرح

(أتأمروني أن أطلب النصر بالجور فيمن وليت عليه والله لا أطور به ما سمر سمير وما أم نجم في السماء نجماً) كانت سيرة الإمام أنه يسوّي في العطاء بين جميع المسلمين

١٢٦ ـ ومن كلام له عليه السلام

لما عوتب على التسوية في العطاء

أَتَأْمُرُونِي أَنْ أَطْلُبَ النَّصْر بِالجَوْرِ فِيمَنْ وُلِّيتُ عَلَيْه! وَاللهِ لاَ أَطُورُ[١] بِهِ مَا سَمَرَ[٢] سَمِيرٌ، وَمَا أَمَّ[٣] نَجْمٌ فِي السَّمَاءِ نَجْماً! لَوْ كَانَ المَالُ لِي لَسَوَّيْتُ بَيْنَهُمْ، فَكَيْفَ وَإِنَّمَا المَالُ مَالُ اللهِ! أَلاَ وَإِنَّ إِعْطَاءَ المَالِ فِي غَيْرِ حَقِّهِ تَبْذِيرٌ وَإِسْرَافٌ، وَهُوَ يَرْفَعُ صَاحِبَهُ فِي الدُّنْيَا وَيَضَعُهُ فِي الآخِرَةِ، وَيُكْرِمُهُ فِي النَّاسِ وَيُهِينُهُ عِنْدَ اللهِ. وَلَمْ يَضَعِ امْرُؤٌ مَالَهُ فِي غَيْرِ حَقِّهِ وَلاَ عِندَ غَيْرِ أَهْلِهِ إِلاَّ حَرَمَهُ اللهُ شُكْرَهُمْ، وَكَانَ لِغَيْرِهِ وُدُّهُمْ[٤]. فَإِنْ زَلَّتْ[٥] بِهِ النَّعْلُ[٦] يَوْماً فَاحْتَاجَ إِلَى مَعُونَتِهِمْ فَشَرُّ خَلِيلٍ وَأَلأَمُ خَدِينٍ[٧]!.

اللغة

١ ـ لا أطور به : من طار يطور إذا حام حول الشيء أي لا أمر به ولا أقاربه.
٢ ـ السمر : الليل وحديثه وقولهم لا أفعله ما سمر سمير أي مدى الدهر.
٣ ـ أمّ : قصد.
٤ ـ الود : الحب.
٥ ـ زلت : إنزلقت وسقطت.
٦ ـ النعل : الحذاء، وما وقيت به القدم من الأرض.
٧ ـ الخدين : الصديق.

الشرح

(أتأمروني أن أطلب النصر بالجور فيمن وليت عليه والله لا أطور به ما سمر سمير وما أم نجم في السماء نجماً) كانت سيرة الإمام أنه يسوّي في العطاء بين جميع المسلمين

مما لهم وكلا الأمرين قبيح مذموم قال تعالى: ﴿**إن المبذرين كانوا إخوان الشياطين**﴾ وقال تعالى: ﴿**إنه لا يحب المسرفين**..﴾.

٢ ـ إن إعطاء المال في غير حقه يرفع صاحبه في الدنيا من حيث تثني عليه الناس وتطيع أمره وتلتف حوله ولكن هذا المال بعينه يضعه ويذلّه وينزله دركات الجحيم وفي ذلك ذل كبير... وكذلك هذا المال يكرمه عند الناس من حيث يحترمونه ويجلونه ويرتفع مقامه في نظرهم ولكنه عند الله مهان ذليل لأنه وضعه في غير مستحقيه...

(**ولم يضع امرؤ ماله في غير حقه ولا عند غير أهله إلا حرمه الله شكرهم وكان لغيره ودهم فإن زلت به النعل يوماً فاحتاج إلى معونتهم فشر خليل وألأم خدين**) نبه عليه السلام على خطأ وضع المال في غير محله وأنَّ أثر ذلك يظهر في الدنيا فإن من يضع المال في غير أهله حرمه الله شكرهم فلا يعترفون له بجميل لأنهم يدركون قبح تصرفه في أعماقهم ويعدلون في حبهم إلى غيره من حيث يرونه المؤهل لمقامه وفضلاً عن ذلك إذا عثر في الدنيا فاحتاج إلى معونتهم تخلوا عنه وتنكروا له وكانوا من أبعد الناس وأشدهم عليه... إنَّ تحببه لهم بالمال يقابله التخلي عنه لو عثر أو وقع لأن صداقتهم له لم تكن لله وإنما لأجل المال وقد فارقه ففارقوه...

مما لهم وكلا الأمرين قبيح مذموم قال تعالى: ﴿**إن المبذرين كانوا إخوان الشياطين**﴾ وقال تعالى: ﴿**إنه لا يحب المسرفين**..﴾.

٢ ـ إن إعطاء المال في غير حقه يرفع صاحبه في الدنيا من حيث تثني عليه الناس وتطيع أمره وتلتف حوله ولكن هذا المال بعينه يضعه ويذلّه وينزله دركات الجحيم وفي ذلك ذل كبير... وكذلك هذا المال يكرمه عند الناس من حيث يحترمونه ويجلونه ويرتفع مقامه في نظرهم ولكنه عند الله مهان ذليل لأنه وضعه في غير مستحقيه...

(**ولم يضع امرؤ ماله في غير حقه ولا عند غير أهله إلا حرمه الله شكرهم وكان لغيره ودهم فإن زلت به النعل يوماً فاحتاج إلى معونتهم فشر خليل وألأم خدين**) نبه عليه السلام على خطأ وضع المال في غير محله وأنَّ أثر ذلك يظهر في الدنيا فإن من يضع المال في غير أهله حرمه الله شكرهم فلا يعترفون له بجميل لأنهم يدركون قبح تصرفه في أعماقهم ويعدلون في حبهم إلى غيره من حيث يرونه المؤهل لمقامه وفضلاً عن ذلك إذا عثر في الدنيا فاحتاج إلى معونتهم تخلوا عنه وتنكروا له وكانوا من أبعد الناس وأشدهم عليه... إنَّ تحببه لهم بالمال يقابله التخلي عنه لو عثر أو وقع لأن صداقتهم له لم تكن لله وإنما لأجل المال وقد فارقه ففارقوه...

الحَكَمَانِ لِيُحْيِيَا مَا أَحْيَا القُرْآنُ، وَيُمِيتَا مَا أَمَاتَ القُرْآنُ، وَإِحْيَاؤُهُ الاجْتِمَاعُ عَلَيْهِ، وَإِمَاتَتُهُ الافْتِرَاقُ عَنْهُ. فَإِنْ جَرَّنَا القُرْآنُ إِلَيْهِمُ اتَّبَعْنَاهُمْ، وَإِنْ جَرَّهُمْ إِلَيْنَا اتَّبَعُونَا. فَلَمْ آتِ ـ لاَ أَبَا لَكُمْ ـ بُجْراً[١٦]، وَلاَ خَتَلْتُكُمْ[١٧] عَنْ أَمْرِكُمْ، وَلاَ لَبَّسْتُهُ[١٨] عَلَيْكُمْ، إِنَّمَا اجْتَمَعَ رَأْيُ مَلَئِكُمْ[١٩] عَلَى اخْتِيَارِ رَجُلَيْنِ، أَخَذْنَا عَلَيْهِمَا أَلاَّ يَتَعَدَّيَا القُرْآنَ، فَتَاهَا عَنْهُ، وَتَرَكَا الحَقَّ وَهُمَا يُبْصِرَانِهِ، وَكَانَ الجَوْرُ هَوَاهُمَا فَمَضَيَا عَلَيْهِ. وَقَدْ سَبَقَ اسْتِثْنَاؤُنَا عَلَيْهِمَا ـ فِي الحُكُومَةِ بِالعَدْلِ، وَالصَّمْدِ[٢٠] لِلْحَقِّ ـ سُوءَ رَأْيِهِمَا، وَجَوْرَ حُكْمِهِمَا.

اللغة

١ ـ أبيتم : رفضتم وامتنعتم.
٢ ـ العواتق : جمع العاتق ما بين المنكب والعنق.
٣ ـ البرء : الصحة.
٤ ـ السقم : المرض.
٥ ـ الرجم : حد شرعي للزاني المحصن بموجبه يرجم حتى يموت.
٦ ـ المحصن : المتزوج.
٧ ـ الجلد : هو الضرب وهو حد شرعي لارتكاب بعض المحرمات.
٨ ـ الفيء : الغنيمة.
٩ ـ السهم : النصيب.
١٠ ـ ضرب به تيهه : حيّره وجعله تائهاً.
١١ ـ أفرط : تعدى الحد المفروض.
١٢ ـ فرّط : قصّر عما هو مطلوب ضد أفرط.
١٣ ـ النمط : الطريقة والمذهب والنوع من الشيء، الجماعة من الناس أمرهم واحد.
١٤ ـ السواد الأعظم : الجماعة.
١٥ ـ الشعار : علامة القوم في الحرب.
١٦ ـ البجر : بالضم الأمر العظيم، الشر.
١٧ ـ ختلتكم : خدعتكم.

الحَكَمَانِ لِيُحْيِيَا مَا أَحْيَا القُرْآنُ، وَيُمِيتَا مَا أَمَاتَ القُرْآنُ، وَإِحْيَاؤُهُ الاجْتِمَاعُ عَلَيْهِ، وَإِمَاتَتُهُ الافْتِرَاقُ عَنْهُ. فَإِنْ جَرَّنَا القُرْآنُ إِلَيْهِمُ اتَّبَعْنَاهُمْ، وَإِنْ جَرَّهُمْ إِلَيْنَا اتَّبَعُونَا. فَلَمْ آتِ ـ لاَ أَبَا لَكُمْ ـ بُجْراً[١٦]، وَلاَ خَتَلْتُكُمْ[١٧] عَنْ أَمْرِكُمْ، وَلاَ لَبَّسْتُهُ[١٨] عَلَيْكُمْ، إِنَّمَا اجْتَمَعَ رَأْيُ مَلَئِكُمْ[١٩] عَلَى اخْتِيَارِ رَجُلَيْنِ، أَخَذْنَا عَلَيْهِمَا أَلاَّ يَتَعَدَّيَا القُرْآنَ، فَتَاهَا عَنْهُ، وَتَرَكَا الحَقَّ وَهُمَا يُبْصِرَانِهِ، وَكَانَ الجَوْرُ هَوَاهُمَا فَمَضَيَا عَلَيْهِ. وَقَدْ سَبَقَ اسْتِثْنَاؤُنَا عَلَيْهِمَا ـ فِي الحُكُومَةِ بِالعَدْلِ، وَالصَّمْدِ[٢٠] لِلْحَقِّ ـ سُوءَ رَأْيِهِمَا، وَجَوْرَ حُكْمِهِمَا.

اللغة

١ ـ أبيتم : رفضتم وامتنعتم.
٢ ـ العواتق : جمع العاتق ما بين المنكب والعنق.
٣ ـ البرء : الصحة.
٤ ـ السقم : المرض.
٥ ـ الرجم : حد شرعي للزاني المحصن بموجبه يرجم حتى يموت.
٦ ـ المحصن : المتزوج.
٧ ـ الجلد : هو الضرب وهو حد شرعي لارتكاب بعض المحرمات.
٨ ـ الفيء : الغنيمة.
٩ ـ السهم : النصيب.
١٠ ـ ضرب به تيهه : حيّره وجعله تائهاً.
١١ ـ أفرط : تعدى الحد المفروض.
١٢ ـ فرّط : قصّر عما هو مطلوب ضد أفرط.
١٣ ـ النمط : الطريقة والمذهب والنوع من الشيء، الجماعة من الناس أمرهم واحد.
١٤ ـ السواد الأعظم : الجماعة.
١٥ ـ الشعار : علامة القوم في الحرب.
١٦ ـ البجر : بالضم الأمر العظيم، الشر.
١٧ ـ ختلتكم : خدعتكم.

مؤمناً عامداً يقاد منه ورسول الله قتله ومع ذلك ورث أهله ماله بل وصلى عليه ودفنه في مقابر المسلمين لأنه بارتكابه المعصية الكبيرة لا يخرج من الإسلام.

(وقطع السارق وجلد الزاني غير المحصن ثم قسَّم عليهما من الفيء ونكحا المسلمات فأخذهم رسول الله صلى الله عليه وآله بذنوبهم وأقام حق الله فيهم ولم يمنعهم سهمهم من الإسلام ولم يخرج اسماءهم من بين أهله) وهذان دليلان أيضاً على أن مرتكب الكبيرة لا يكفر فهذا السارق التي ثبتت السرقة في حقه على الوجه الشرعي وكذلك الزاني غير المحصن ـ من لم يكن له زوجة قادر على وطئها ـ فقد قطع يد الأول وجلد الثاني ومع هذه العقوبة أعطاهما سهمهما من الغنيمة ومن بيت مال المسلمين وكل ما يستحقان من حقوق وهذا دليل على أنهما لا يزالان في خانة المسلمين ولم يخرجا عن الإسلام.

وأيضاً أن النبي صلى الله عليه وآله أجاز لهما نكاح المسلمات فلو كانا في زمرة الكفار وكانت معصيتهما تخرجهما عن الإسلام لم يبح النبي لهما نكاح المسلمات لأن الكافر لا يجوز له في شرع الإسلام أن ينكح مسلمة فهذا الأمر من النبي دليل آخر على أنهما لا يزالان في الإسلام، فالعقوبة وإقامة حق الله شيء وتكفيرهما شيء آخر لا يرتبط بالكبيرة...

(ثم أنتم شرار الناس) وصفهم بأنهم شرار الناس لعقائدهم الفاسدة التي لا ترتبط بالإسلام ثم لأعمالهم الشنيعة التي لا يرتكبها الكفار.

(ومن رمى به الشيطان مراميه وضرب به تيهه) فأنتم شرار الناس ومن أضله الشيطان ضلالاً بعيداً وحيّره في فكره وسلوكه فهو لا يدري كيف يسير ولا أين يتوجه.

(وسيهلك فيّ صنفان: محب مفط يذهب به الحب إلى غير الحق ومبغض مفرط يذهب به البغض إلى غير الحق وخير الناس فيّ حالاً النمط الأوسط فالزموه، والزموا السواد الأعظم فإن يد الله مع الجماعة وإياكم والفرقة) وهذا من جملة أخباره بالغيب التي تلقاها عن النبي وهو أنه سيهلك في علي اثنان المحب الغالي الذي يرفع الإمام إلى مستوى الآلهة كما هو الحال عند الغلاة فإنهم لما رأوا منه ما لا يقدر عليه البشر لم تستطع عقولهم إدراجه في خانة البشر فرفعوه إلى منزلة الله جل وعلا.. وهذا حب مفرط يقود صاحبه إلى النار وبئس القرار وهناك في المقابل من أفرط في بغضه حتى كفّره كما هو حال الخوارج لعنهم الله.

ثم أشار إلى أن خير الناس هو الحد الأوسط الذي يخرج عن طرفي الإفراط

مؤمناً عامداً يقاد منه ورسول الله قتله ومع ذلك ورث أهله ماله بل وصلى عليه ودفنه في مقابر المسلمين لأنه بارتكابه المعصية الكبيرة لا يخرج من الإسلام.

(وقطع السارق وجلد الزاني غير المحصن ثم قسّم عليهما من الفيء ونكحا المسلمات فأخذهم رسول الله صلى الله عليه وآله بذنوبهم وأقام حق الله فيهم ولم يمنعهم سهمهم من الإسلام ولم يخرج اسماءهم من بين أهله) وهذان دليلان أيضاً على أن مرتكب الكبيرة لا يكفر فهذا السارق التي ثبتت السرقة في حقه على الوجه الشرعي وكذلك الزاني غير المحصن - من لم يكن له زوجة قادر على وطئها - فقد قطع يد الأول وجلد الثاني ومع هذه العقوبة أعطاهما سهمهما من الغنيمة ومن بيت مال المسلمين وكل ما يستحقان من حقوق وهذا دليل على أنهما لا يزالان في خانة المسلمين ولم يخرجا عن الإسلام.

وأيضاً أن النبي صلى الله عليه وآله أجاز لهما نكاح المسلمات فلو كانا في زمرة الكفار وكانت معصيتهما تخرجهما عن الإسلام لم يبح النبي لهما نكاح المسلمات لأن الكافر لا يجوز له في شرع الإسلام أن ينكح مسلمة فهذا الأمر من النبي دليل آخر على أنهما لا يزالان في الإسلام، فالعقوبة وإقامة حق الله شيء وتكفيرهما شيء آخر لا يرتبط بالكبيرة...

(ثم أنتم شرار الناس) وصفهم بأنهم شرار الناس لعقائدهم الفاسدة التي لا ترتبط بالإسلام ثم لأعمالهم الشنيعة التي لا يرتكبها الكفار.

(ومن رمى به الشيطان مراميه وضرب به تيهه) فأنتم شرار الناس ومن أضله الشيطان ضلالاً بعيداً وحيّره في فكره وسلوكه فهو لا يدري كيف يسير ولا أين يتوجه.

(وسيهلك فيّ صنفان: محب مفط يذهب به الحب إلى غير الحق ومبغض مفرط يذهب به البغض إلى غير الحق وخير الناس فيّ حالاً النمط الأوسط فالزموه، والزموا السواد الأعظم فإن يد الله مع الجماعة وإياكم والفرقة) وهذا من جملة أخباره بالغيب التي تلقاها عن النبي وهو أنه سيهلك في علي اثنان المحب الغالي الذي يرفع الإمام إلى مستوى الآلهة كما هو الحال عند الغلاة فإنهم لما رأوا منه ما لا يقدر عليه البشر لم تستطع عقولهم إدراجه في خانة البشر فرفعوه إلى منزلة الله جل وعلا.. وهذا حب مفرط يقود صاحبه إلى النار وبئس القرار وهناك في المقابل من أفرط في بغضه حتى كفّره كما هو حال الخوارج لعنهم الله.

ثم أشار إلى أن خير الناس هو الحد الأوسط الذي يخرج عن طرفي الإفراط

رأي ملئكم على اختيار رجلين أخذنا عليهما ألا يتعديا القرآن فتاها عنه وتركا الحق وهما يبصرانه وكان الجور هواهما فمضيا عليه وقد سبق استثناؤنا عليهما ـ في الحكومة بالعدل والصمد للحق ـ سوء رأيهما وجور حكمهما) اعتذر لنفسه بأنه لم يأت شراً ولا خدعهم عن رأيهم ولا زينه لهم بحيث يرغبون فيه يعني لم يروّج للتحكيم ولم يرغب فيه بل كان رأيه عليه السلام متابعة القتال حتى نهاية المعركة. . .

ثم بين لهم أن وجهاءهم وزعماءهم وأصحاب الكلمة منهم هم الذين اختاروا للتحكيم عمراً وأبا موسى وكان الإمام يرفض الأشعري ويقول: إنه ليس لي بثقة ولكنهم فرضوه فاضطر الإمام إلى أن يشترط على الحكمين أن يحكما بالعدل والحق وإلا فلا حكم لهما فكان هذا الاستثناء معذراً له ولكل من معه أن يرفضوا حكمهما الظالم الجائر. . . إنهما تعديا القرآن وخالفا الحق عمداً وعن علم واتبعا هواهما وما ترغب به نفسيهما فكان الاستثناء في محله حيث سبق سوء رأيهما وظلم ما حكما به وذهبا إليه. . .

وبعبارة أخرى: أُخذ على الحكمين أن يحكما بالحق والعدل فلم يحكما به بل حكما بالهوى والجور فسقط حكمهما لسقوط ما اشترط عليهما. . .

رأي ملئكم على اختيار رجلين أخذنا عليهما ألا يتعديا القرآن فتاها عنه وتركا الحق وهما يبصرانه وكان الجور هواهما فمضيا عليه وقد سبق استثناؤنا عليهما ـ في الحكومة بالعدل والصمد للحق ـ سوء رأيهما وجور حكمهما) اعتذر لنفسه بأنه لم يأت شراً ولا خدعهم عن رأيهم ولا زينه لهم بحيث يرغبون فيه يعني لم يروّج للتحكيم ولم يرغب فيه بل كان رأيه عليه السلام متابعة القتال حتى نهاية المعركة. . .

ثم بين لهم أن وجهاءهم وزعماءهم وأصحاب الكلمة منهم هم الذين اختاروا للتحكيم عمراً وأبا موسى وكان الإمام يرفض الأشعري ويقول: إنه ليس لي بثقة ولكنهم فرضوه فاضطر الإمام إلى أن يشترط على الحكمين أن يحكما بالعدل والحق وإلا فلا حكم لهما فكان هذا الاستثناء معذراً له ولكل من معه أن يرفضوا حكمهما الظالم الجائر. . . إنهما تعديا القرآن وخالفا الحق عمداً وعن علم واتبعا هواهما وما ترغب به نفسيهما فكان الاستثناء في محله حيث سبق سوء رأيهما وظلم ما حكما به وذهبا إليه. . .

وبعبارة أخرى: أُخذ على الحكمين أن يحكما بالحق والعدل فلم يحكما به بل حكما بالهوى والجور فسقط حكمهما لسقوط ما اشترط عليهما. . .

عِلْمُ الغَيْبِ عِلْمُ السَّاعَةِ، وَمَا عَدَّدَهُ اللهُ سُبْحَانَهُ بِقَوْلِهِ: ﴿إِنَّ اللهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ، وَيُنَزِّلُ الغَيْثَ[٢٠]، وَيَعْلَمُ مَا فِي الأَرْحَامِ[٢١]، وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَداً، وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ. . .﴾ الآية، فَيَعْلَمُ اللهُ سُبْحَانَهُ مَا فِي الأَرْحَامِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى، وَقَبِيحٍ أَوْ جَمِيلٍ، وَسَخِيٍّ[٢٢] أَوْ بَخِيلٍ، وَشَقِيٍّ أَوْ سَعِيدٍ، وَمَنْ يَكُونُ فِي النَّارِ حَطَباً[٢٣]، أَوْ فِي الجِنَانِ لِلنَّبِيِّينَ مُرَافِقاً. فَهذَا عِلْمُ الغَيْبِ الَّذِي لاَ يَعْلَمُهُ أَحَدٌ إِلاَّ اللهُ، وَمَا سِوَى ذلِكَ فَعِلْمٌ عَلَّمَهُ اللهُ نَبِيَّهُ فَعَلَّمَنِيهِ، وَدَعَا لِي بِأَنْ يَعِيَهُ صَدْرِي، وَتَضْطَمَّ[٢٤] عَلَيْهِ جَوَانِحِي[٢٥].

اللغة

١ ـ اللجب : محركة الجلبة والصياح.
٢ ـ اللجم : جمع لجام حديد توضع في فم الفرس لضبطها.
٣ ـ قعقعة اللجم : ما يسمع من أصوات اللجم بين أسنان الخيل.
٤ ـ حمحم : الفرس ردد صوته في طلب علف أو إذا رأى من يأنس به.
٥ ـ يثيرون : الأرض يحركون فيرتفع غبارها.
٦ ـ النعام : جمع نعامة حيوان معروف بعنقه الطويل وريشه الناعم.
٧ ـ السكك : جمع سكة الطريق المستوي.
٨ ـ أجنحة الدور : رواشنها.
٩ ـ الخراطيم : الميازيب تطلى بالقار.
١٠ ـ الندب : البكاء على الميت وتعداد مناقبه.
١١ ـ كب : فلاناً على وجهه تركه ولم يلتفت إليه وكب الإناء قلبه على رأسه.
١٢ ـ المجان : بفتح الميم وتشديد النون جمع المجن بكسر الميم الترس.
١٣ ـ مطرقة : وضع بعضها فوق بعض حتى صارت طبقتين أو أكثر.
١٤ ـ السرق : محركة الحرير أو الحرير الأبيض خاصة.
١٥ ـ الديباج : جمعها ديابج وديابيج الثوب الذي سداه ولحمته حرير.
١٦ ـ يعتقبون : يحتبسون ويرتبطون من اعتقب السلعة إذا حبسها ليقبض ثمنها.

عِلْمُ الغَيْبِ عِلْمُ السَّاعَةِ، وَمَا عَدَّدَهُ اللهُ سُبْحَانَهُ بِقَوْلِهِ: ﴿إِنَّ اللهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ، وَيُنَزِّلُ الغَيْثَ[٢٠]، وَيَعْلَمُ مَا فِي الأَرْحَامِ[٢١]، وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَداً، وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ. . .﴾ الآية، فَيَعْلَمُ اللهُ سُبْحَانَهُ مَا فِي الأَرْحَامِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى، وَقَبِيحٍ أَوْ جَمِيلٍ، وَسَخِيٍّ[٢٢] أَوْ بَخِيلٍ، وَشَقِيٍّ أَوْ سَعِيدٍ، وَمَنْ يَكُونُ فِي النَّارِ حَطَباً[٢٣]، أَوْ فِي الجِنَانِ لِلنَّبِيِّينَ مُرَافِقاً. فَهذَا عِلْمُ الغَيْبِ الَّذِي لاَ يَعْلَمُهُ أَحَدٌ إِلاَّ اللهُ، وَمَا سِوَى ذلِكَ فَعِلْمٌ عَلَّمَهُ اللهُ نَبِيَّهُ فَعَلَّمَنِيهِ، وَدَعَا لِي بِأَنْ يَعِيَهُ صَدْرِي، وَتَضْطَمَّ[٢٤] عَلَيْهِ جَوَانِحِي[٢٥].

اللغة

١ ـ اللجب : محركة الجلبة والصياح.
٢ ـ اللجم : جمع لجام حديد توضع في فم الفرس لضبطها.
٣ ـ قعقعة اللجم : ما يسمع من أصوات اللجم بين أسنان الخيل.
٤ ـ حمحم : الفرس ردد صوته في طلب علف أو إذا رأى من يأنس به.
٥ ـ يثيرون : الأرض يحركون فيرتفع غبارها.
٦ ـ النعام : جمع نعامة حيوان معروف بعنقه الطويل وريشه الناعم.
٧ ـ السكك : جمع سكة الطريق المستوي.
٨ ـ أجنحة الدور : رواشنها.
٩ ـ الخراطيم : الميازيب تطلى بالقار.
١٠ ـ الندب : البكاء على الميت وتعداد مناقبه.
١١ ـ كب : فلاناً على وجهه تركه ولم يلتفت إليه وكب الإناء قلبه على رأسه.
١٢ ـ المجان : بفتح الميم وتشديد النون جمع المجن بكسر الميم الترس.
١٣ ـ مطرقة : وضع بعضها فوق بعض حتى صارت طبقتين أو أكثر.
١٤ ـ السرق : محركة الحرير أو الحرير الأبيض خاصة.
١٥ ـ الديباج : جمعها ديابج وديابيج الثوب الذي سداه ولحمته حرير.
١٦ ـ يعتقبون : يحتبسون ويرتبطون من اعتقب السلعة إذا حبسها ليقبض ثمنها.

يذكر عليه السلام تلك الدور المزخرفة التي لها رواشن (برندات) كأجنحة النسور لظهورها وقوتها ولها ميازيب مطلاة بالقير ظاهرة إلى الخارج كخراطيم الفيلة.

ثم بيّن بعض صفات أتباع صاحب الزنج وأنهم قوم لا يندب قتيلهم إما لأنهم غرباء ليس لهم أهل يندبونهم وإما لأنهم لا يبالون بالموت وكذلك لا يفقد غائبهم أي لا يسأل عنه لكثرتهم أو لعدم قريب لهم يسأل عنهم ويهتم بهم...

وبيّن عليه السلام قيمة الدنيا عنده فإنه قد تركها وأهملها وأنه يقدرها بحقها وناظر إليها بمقدار ما تستحق ومن المعروف أن علياً طلقها واستهان بها وهجرها ولم يلتفت إليها.

(كأني أراهم قوماً «كأن وجوههم المجان المطرقة يلبسون السرق والديباج ويعتقبون الخيل العتاق ويكون هناك استحرار قتل حتى يمشي المجروح على المقتول ويكون المفلت أقل من المأسور) قالوا: إن هذا إخبار منه بخروج التتار وذكر بعض أوصافهم وما ينال البلاد والعباد منهم. إنهم قوم وجوههم كالتروس الخشنة لاستدارتها وعظمها وخشونتها وغلظتها يلبسون الحرير والثياب الفاخرة ويحبسون الخيل لأنفسهم لا يسمحون بها لغيرهم وأما ما يجري على أيديهم فهناك شلالات الدم بحيث يمشي المجروح على الميت دون أن يلتفت إليه أو يخشى منه أو يمد يده إليه ليدفنه ويكون الهارب أقل من المأسور فهم لا يسمحون لأعدائهم بالهروب لأنهم لا يتركون لهم فرصة لذلك بل يأسرونهم ثم يعرضونهم للقتل.

(يا أخا كلب ليس هو بعلم غيب وإنما هو تعلم من ذي علم وإنما علم الغيب علم الساعة وما عدده الله سبحانه بقوله: ﴿إن الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما في الأرحام وما تدري نفس ماذا تكسب غداً وما تدري نفس بأي أرض تموت...﴾ الآية فيعلم الله سبحانه ما في الأرحام من ذكر أو أنثى وقبيح أو جميل، وسخي أو بخيل، وشقي أو سعيد ومن يكون في النار حطباً أو في الجنان للنبيين مرافقاً. فهذا علم الغيب الذي لا يعلمه أحد إلا الله وما سوى ذلك فعلم علمه الله نبيه فعلمنيه ودعا لي بأن يعيه صدري وتضطم عليه جوانحي).

كلام في علم الغيب.

عندما أخبر الإمام بهذه الأخبار وبيّن هذه الحوادث لم يستطع هذا الرجل الكلبي إلا أن يفهم هذه الأخبار على أنها علم الغيب الذي هو من مختصات الله فلذا تعجب من الإمام وقال له: لقد أعطيت يا أمير المؤمنين علم الغيب فما كان من الإمام إلا أن ابتسم

يذكر عليه السلام تلك الدور المزخرفة التي لها رواشن (برندات) كأجنحة النسور لظهورها وقوتها ولها ميازيب مطلاة بالقير ظاهرة إلى الخارج كخراطيم الفيلة.

ثم بيّن بعض صفات أتباع صاحب الزنج وأنهم قوم لا يندب قتيلهم إما لأنهم غرباء ليس لهم أهل يندبونهم وإما لأنهم لا يبالون بالموت وكذلك لا يفقد غائبهم أي لا يسأل عنه لكثرتهم أو لعدم قريب لهم يسأل عنهم ويهتم بهم...

وبيّن عليه السلام قيمة الدنيا عنده فإنه قد تركها وأهملها وأنه يقدرها بحقها وناظر إليها بمقدار ما تستحق ومن المعروف أن علياً طلقها واستهان بها وهجرها ولم يلتفت إليها.

(كأني أراهم قوماً «كأن وجوههم المجان المطرقة يلبسون السرق والديباج ويعتقبون الخيل العتاق ويكون هناك استحرار قتل حتى يمشي المجروح على المقتول ويكون المفلت أقل من المأسور) قالوا: إن هذا إخبار منه بخروج التتار وذكر بعض أوصافهم وما ينال البلاد والعباد منهم. إنهم قوم وجوههم كالتروس الخشنة لاستدارتها وعظمها وخشونتها وغلظتها يلبسون الحرير والثياب الفاخرة ويحبسون الخيل لأنفسهم لا يسمحون بها لغيرهم وأما ما يجري على أيديهم فهناك شلالات الدم بحيث يمشي المجروح على الميت دون أن يلتفت إليه أو يخشى منه أو يمد يده إليه ليدفنه ويكون الهارب أقل من المأسور فهم لا يسمحون لأعدائهم بالهروب لأنهم لا يتركون لهم فرصة لذلك بل يأسرونهم ثم يعرضونهم للقتل.

(يا أخا كلب ليس هو بعلم غيب وإنما هو تعلم من ذي علم وإنما علم الغيب علم الساعة وما عدده الله سبحانه بقوله: ﴿إن الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما في الأرحام وما تدري نفس ماذا تكسب غداً وما تدري نفس بأي أرض تموت...﴾ الآية فيعلم الله سبحانه ما في الأرحام من ذكر أو أنثى وقبيح أو جميل، وسخي أو بخيل، وشقي أو سعيد ومن يكون في النار حطباً أو في الجنان للنبيين مرافقاً. فهذا علم الغيب الذي لا يعلمه أحد إلا الله وما سوى ذلك فعلم علمه الله نبيه فعلمنيه ودعا لي بأن يعيه صدري وتضطم عليه جوانحي).

كلام في علم الغيب.

عندما أخبر الإمام بهذه الأخبار وبيّن هذه الحوادث لم يستطع هذا الرجل الكلبي إلا أن يفهم هذه الأخبار على أنها علم الغيب الذي هو من مختصات الله فلذا تعجب من الإمام وقال له: لقد أعطيت يا أمير المؤمنين علم الغيب فما كان من الإمام إلا أن ابتسم

قال الحاكم: هو الذي فتح مرو الروذ وكان الحسن وابن سيرين في جيشه وهو الذي افتتح سمرقند وغيرها من البلاد.

توفي الأحنف بالكوفة وصلى عليه مصعب بن الزبير ومشى في جنازته قيل أنه توفي سنة سبع وستين وقيل غير ذلك عن سبعين سنة.

قال الحاكم: هو الذي فتح مرو الروذ وكان الحسن وابن سيرين في جيشه وهو الذي افتتح سمرقند وغيرها من البلاد.

توفي الأحنف بالكوفة وصلى عليه مصعب بن الزبير ومشى في جنازته قيل أنه توفي سنة سبع وستين وقيل غير ذلك عن سبعين سنة.

اللغة

١ ـ أثوياء : جمع ثوي الضيف.
٢ ـ مؤجلون : مؤخرون.
٣ ـ مدينون : مقرضون من الدين وهو القرض.
٤ ـ مقتضون : جمع مقتضى أي مطالب.
٥ ـ الدائب : المجد الدائم على العمل.
٦ ـ العدة : جمعها عدد الاستعداد، ما أعد لحوادث الدهر من مال وسلاح.
٧ ـ عمت : شملت.
٨ ـ المكيدة : الحيلة.
٩ ـ أمكنت : سهلت.
١٠ ـ الفريسة : ما يصطاده الأسد ونحوه.
١١ ـ يكابد : من الكبد وهي المشقة والشدة والصعوبة.
١٢ ـ الوفر : المال الكثير.
١٣ ـ الوقر : الثقل في الأذن، الصمم.
١٤ ـ المتنزهون : المبتعدون عن المكروه، المترفعون عن الدنايا.
١٥ ـ ظعنوا : رحلوا.
١٦ ـ المنغصة : من نغص عيشه أي كدّره.
١٧ ـ الحثالة : الرديء من كل شيء.
١٨ ـ الذم : خلاف المدح ذكر الأمور المعيبة.
١٩ ـ ذهاباً : عن ذكرهم أي ترفعاً وفلان يذهب بنفسه عن كذا أي يرفعها.
٢٠ ـ دار القدس : الجنة.

الشرح

(عباد الله إنكم ـ وما تأملون من هذه الدنيا ـ أثوياء مؤجلون ومدينون مقتضون أجل منقوص وعمل محفوظ فرب دائب مضيّع ورب كادح خاسر) قال الشريف: إن هذه الخطبة خطبها الإمام في ذكر المكاييل والموازين...

ابتدأ عليه السلام بذم الدنيا وذكر بعض معايبها حتى يخفف الناس من الإقبال عليها والتهالك على ما فيها وافتتح كلامه بتذكيرهم أنهم عباد الله وما أجمل هذه العبودية إذا

اللغة

١ ـ أثوياء : جمع ثوي الضيف.
٢ ـ مؤجلون : مؤخرون.
٣ ـ مدينون : مقرضون من الدين وهو القرض.
٤ ـ مقتضون : جمع مقتضى أي مطالب.
٥ ـ الدائب : المجد الدائم على العمل.
٦ ـ العدة : جمعها عدد الاستعداد، ما أعد لحوادث الدهر من مال وسلاح.
٧ ـ عمت : شملت.
٨ ـ المكيدة : الحيلة.
٩ ـ أمكنت : سهلت.
١٠ ـ الفريسة : ما يصطاده الأسد ونحوه.
١١ ـ يكابد : من الكبد وهي المشقة والشدة والصعوبة.
١٢ ـ الوفر : المال الكثير.
١٣ ـ الوقر : الثقل في الأذن، الصمم.
١٤ ـ المتنزهون : المبتعدون عن المكروه، المترفعون عن الدنايا.
١٥ ـ ظعنوا : رحلوا.
١٦ ـ المنغصة : من نغص عيشه أي كدّره.
١٧ ـ الحثالة : الرديء من كل شيء.
١٨ ـ الذم : خلاف المدح ذكر الأمور المعيبة.
١٩ ـ ذهاباً : عن ذكرهم أي ترفعاً وفلان يذهب بنفسه عن كذا أي يرفعها.
٢٠ ـ دار القدس : الجنة.

الشرح

(عباد الله إنكم ـ وما تأملون من هذه الدنيا ـ أثوياء مؤجلون ومدينون مقتضون أجل منقوص وعمل محفوظ فرب دائب مضيّع ورب كادح خاسر) قال الشريف: إن هذه الخطبة خطبها الإمام في ذكر المكاييل والموازين...

ابتدأ عليه السلام بذم الدنيا وذكر بعض معايبها حتى يخفف الناس من الإقبال عليها والتهالك على ما فيها وافتتح كلامه بتذكيرهم أنهم عباد الله وما أجمل هذه العبودية إذا

نظر الناس أشد إجراماً من مجرم عند الله لأن الشيطان استطاع أن يدخل إليه من باب الرياء والعجب وغيرها. . .

وأما هذا الإنسان الضال فقد وقع فريسة سهلة سهّل نفسه للشيطان ليأخذها وأعانه عليها لأنه عاش في أجواء موبؤة ومحيط فاسد فسرى الوباء والفساد إلى نفسه، عاش بين الفاسدين فسهّل دخول الشيطان إليه. . .

(اضرب بطرفك حيث شئت من الناس فهل تبصر إلا فقيراً يكابد فقراً أو غنياً بدل نعمة الله كفراً أو بخيلاً اتخذ البخل بحق الله وفراً أو متمرداً كأن بأذنيه عن سمع المواعظ وقرا).

علامات فساد الزمان.

وهذه عيّنات من فساد الزمان يضعها الإمام بين يدي الإنسان فإنه يعيشها على أرض الواقع ويتحرك فيها أربابها أمام أنظارنا. . .

اضرب بطرفك وما أجمل هذا التعبير وأفصحه حيث شئت من الناس أي واحد تضع يدك عليه تجده واحداً من أربعة.

فإنك لا تجد إلا فقيراً يعيش التعب والنصب والمشقات. . . فقير متعب يبحث عن لقمة يسد بها رمقه ويكفي بها عائلته. . فقير قد أضرّ به الإملاق فهو لا يحصل على قوته إلا بالعذاب والهوان. . .

فقير وما أكثر الفقراء في بلاد الله، إنهم الكثرة الغالبة التي حُرمت حقها في الكسب والعطاء. . . حرمها الظالمون من خيرات الأرض وعطائها. . .

إنه الفقير الذي ينام على صراخ أطفاله من الجوع ويستيقظ على النغمة نفسها أبضاً.

وفي مقابل هذا الفقير لا تجد إلا غنياً بدل نعمة الله كفراً. . . فهذا الغني هو الذي سرق حق الفقير أو منعه منه إنك تجده قد بدل نعمة الله كفراً. . . غيّر هذه النعمة واستبدلها بالكفر. . . كان من حقه أن يشكر الله عليها فيضعها في محلها فإذا به يعصيه فيها ويتمرد عليه بها. . . يحوّل نعمة الله إلى سلاح يحارب به الله. . . في الفساد. . . في الرشوة ـ في قطع الأرحام ـ في الفتنة، في ظلم العباد. . .

أو أنك لا تجد إلا بخيلاً اتخذ البخل بحق الله وفرا.

نظر الناس أشد إجراماً من مجرم عند الله لأن الشيطان استطاع أن يدخل إليه من باب الرياء والعجب وغيرها . . .

وأما هذا الإنسان الضال فقد وقع فريسة سهلة سهّل نفسه للشيطان ليأخذها وأعانه عليها لأنه عاش في أجواء موبؤة ومحيط فاسد فسرى الوباء والفساد إلى نفسه، عاش بين الفاسدين فسهّل دخول الشيطان إليه . . .

(اضرب بطرفك حيث شئت من الناس فهل تبصر إلا فقيراً يكابد فقراً أو غنياً بدل نعمة الله كفراً أو بخيلاً اتخذ البخل بحق الله وفراً أو متمرداً كأن بأذنيه عن سمع المواعظ وقرا).

علامات فساد الزمان.

وهذه عيّنات من فساد الزمان يضعها الإمام بين يدي الإنسان فإنه يعيشها على أرض الواقع ويتحرك فيها أربابها أمام أنظارنا . . .

اضرب بطرفك وما أجمل هذا التعبير وأفصحه حيث شئت من الناس أي واحد تضع يدك عليه تجده واحداً من أربعة .

فإنك لا تجد إلا فقيراً يعيش التعب والنصب والمشقات . . . فقير متعب يبحث عن لقمة يسد بها رمقه ويكفي بها عائلته . . فقير قد أضرّ به الإملاق فهو لا يحصل على قوته إلا بالعذاب والهوان . . .

فقير وما أكثر الفقراء في بلاد الله، إنهم الكثرة الغالبة التي حُرمت حقها في الكسب والعطاء . . . حرمها الظالمون من خيرات الأرض وعطائها . . .

إنه الفقير الذي ينام على صراخ أطفاله من الجوع ويستيقظ على النغمة نفسها أبضاً.

وفي مقابل هذا الفقير لا تجد إلا غنياً بدل نعمة الله كفراً . . . فهذا الغني هو الذي سرق حق الفقير أو منعه منه إنك تجده قد بدل نعمة الله كفراً . . . غيّر هذه النعمة واستبدلها بالكفر . . . كان من حقه أن يشكر الله عليها فيضعها في محلها فإذا به يعصيه فيها ويتمرد عليه بها . . . يحوّل نعمة الله إلى سلاح يحارب به الله . . . في الفساد . . . في الرشوة ـ في قطع الأرحام ـ في الفتنة، في ظلم العباد . . .

أو أنك لا تجد إلا بخيلاً اتخذ البخل بحق الله وفرا.

ذكرهم «فإنا لله وإنا إليه راجعون» ظهر الفساد فلا منكر مغيّر ولا زاجر مزدجر) لم يبق في زمانكم إلا بقايا من أوغاد الناس وأراذلهم بحيث يترفع المتكلم عن ذكرهم فلا تنطق الشفتان في الحديث عنهم ترفعاً عن ذكرهم واحتقاراً لهم واستصغاراً لشأنهم إنها مصيبة عظمى وداهية كبرى «إنا لله وإنا إليه راجعون» ظهرت المنكرات وشاعت فلا منكر للمنكر مغيّر له إما لعدم القيام به أصلاً أو لعدم كفاية من يقوم به أو لعدم تأثيره في القلوب القاسية الجامدة وليس في الناس من زاجر عن القبيح ومنزجر هو عنه. . .

(**أفبهذا تريدون أن تجاوروا الله في دار قدسه وتكونوا أعز أوليائه عنده هيهات! لا يخدع الله عن جنته ولا تنال مرضاته إلا بطاعته لعن الله الآمرين بالمعروف التاركين له والناهين عن المنكر العاملين به**) استفهم عليه السلام مستنكراً عليهم أمراً يريدونه وهم ليسوا من أهله. . . إنهم يريدون الجنة ومجاورة أولياء الله وأنبياءه ويكونون من أعز أوليائه عنده هكذا يريدون ولكنه يستبعد ذلك عنهم بهيهات ما تطلبون ما أبعده عنكم لأن الله لا يخدع عن جنته فالجنة تريد الصدق مع الله والوفاء له والامتثال لأمره. . . الجنة تريد الالتزام. . . تريد منكم أن تبيعوا الله نفوسكم وأموالكم فإذا ظننتم أن الله لا يعلم سركم ولا يعلم خداعكم فهذا أمر أخطأتم فيه وجانبتم الصواب فإن الجنة لا تنال إلا بما يرضي الله ولا رضا لله إلا بطاعته في أوامره ونواهيه. . .

ثم لعن الآمرين بالمعروف التاركين له لأنهم يعيشون العصيان في أنفسهم ولا يطيعون الله فيها. . . كما أنه لعن الناهين عن المنكر العاملين به لأنهم عصاة.

وكأن هذا إشارة منه إلى وجود هذين الصنفين في المخاطبين. . .

ذكرهم «فإنا لله وإنا إليه راجعون» ظهر الفساد فلا منكر مغيّر ولا زاجر مزدجر) لم يبق في زمانكم إلا بقايا من أوغاد الناس وأراذلهم بحيث يترفع المتكلم عن ذكرهم فلا تنطق الشفتان في الحديث عنهم ترفعاً عن ذكرهم واحتقاراً لهم واستصغاراً لشأنهم إنها مصيبة عظمى وداهية كبرى «إنا لله وإنا إليه راجعون» ظهرت المنكرات وشاعت فلا منكر للمنكر مغيّر له إما لعدم القيام به أصلاً أو لعدم كفاية من يقوم به أو لعدم تأثيره في القلوب القاسية الجامدة وليس في الناس من زاجر عن القبيح ومنزجر هو عنه . . .

(أفبهذا تريدون أن تجاوروا الله في دار قدسه وتكونوا أعز أوليائه عنده هيهات! لا يخدع الله عن جنته ولا تنال مرضاته إلا بطاعته لعن الله الآمرين بالمعروف التاركين له والناهين عن المنكر العاملين به) استفهم عليه السلام مستنكراً عليهم أمراً يريدونه وهم ليسوا من أهله . . . إنهم يريدون الجنة ومجاورة أولياء الله وأنبياءه ويكونون من أعز أوليائه عنده هكذا يريدون ولكنه يستبعد ذلك عنهم بهيهات ما تطلبون ما أبعده عنكم لأن الله لا يخدع عن جنته فالجنة تريد الصدق مع الله والوفاء له والامتثال لأمره . . . الجنة تريد الالتزام . . . تريد منكم أن تبيعوا الله نفوسكم وأموالكم فإذا ظننتم أن الله لا يعلم سركم ولا يعلم خداعكم فهذا أمر أخطأتم فيه وجانبتم الصواب فإن الجنة لا تنال إلا بما يرضي الله ولا رضا لله إلا بطاعته في أوامره ونواهيه . . .

ثم لعن الآمرين بالمعروف التاركين له لأنهم يعيشون العصيان في أنفسهم ولا يطيعون الله فيها . . . كما أنه لعن الناهين عن المنكر العاملين به لأنهم عصاة .

وكأن هذا إشارة منه إلى وجود هذين الصنفين في المخاطبين . . .

المباركة كانت في وداع صحابي عظيم قالها الإمام تسلية له وبياناً للحقيقة والتاريخ. . . أبو ذر الغفاري صاحب رسول الله أمر عثمان بنفيه إلى الربذة بعد أن كان قد نفاه إلى الشام أولاً وعاد منها إلى المدينة. . . فخرج أبو ذر ولم يجرؤ أحد من الناس أن يخرج لتوديعه وتشييعه حيث حرّم عثمان تشييعه وتوديعه إلا ما كان من الإمام علي والحسن والحسين وعقيل وعمار فلما أراد أن يودعه الإمام بلسم جراحه بهذه الكلمات المعبرة عن الحقيقة.

يا أبا ذر إنك غضبت لله حيث كان أبو ذر لسان الفقراء بل لسان الإسلام الذي يرتفع بكلمة الحق منددا بمظالم عثمان وأعماله التي تتنافى وعدالة الإسلام فقد كان عثمان يوزع بيت مال المسلمين كما يحب ويرغب، يصل هذا يحابي ذلك يصانع الثالث وهكذا دون ضوابط تحكمه أو قوانين تلجم تصرفاته فكان أبو ذر إزاء هذا العمل الباطل يصرخ في وجه عثمان ويقود الثورة ضده معلناً ظلمه وسوء تصرفه. . .

فكان غضبه ليس لنفسه بل لله وإذا كان الغضب لله فيجب أن يكون الرجاء من الله وبهذا التفكير كان يتحرك أبو ذر وعليه سار وإلى أهدافه كان يقصد. . .

ثم بين السبب في نفيه إن القوم ـ عثمان ـ ومن حوله من الأمويين والمنتفعين والانتهازيين خافوك على دنياهم لأن تحركك يحرك معه الجماهير المظلومة وهذه لا ترحم كما جرى فيما بعد بحق عثمان. . خافوك على كراسيهم وعروشهم خافوك على الامتيازات التي انفردوا بها دون بقية الناس فصرختك أمام الناس تكشف عوراتهم وتجردهم من ثيابهم فهم قد خافوك على دنياهم وأما أنت فقد خفتهم على دينك. . . صرختك كانت في سبيل الدين. . . خوفاً من التشويه والتدنيس وخوفاً من التحريف. . . أنت خفتهم على عقيدتك أن يمسخوها ويقتلوا العدل فيها. . . خفتهم أن يمزقوا الحق ويقتلوا روح الإسلام. . .

فاترك في أيديهم ما خافوك عليه من دنياهم. . . إنك لن تقدر أن تسلبهم دنياهم وتردهم إلى موقعهم فاتركهم إذن وشأنهم واهرب أنت بما خفتهم عليه من دينك، فإذا استطعت أن تهرب بدينك وتحفظه وتحتفظ به سالماً فقد بلغت أمنيتك. . . اهرب بدينك. . .

ثم طمأن القلب الجريح باستغنائه عما منعوه منه من الدنيا واستأثروا به لأنفسهم وحاجتهم إلى ما منعهم من دينه فهم إلى دينه أحوج منه إلى دنياهم وستعلم من الرابح غداً يوم القيامة إنه صاحب الدين وستعلم من الأكثر حسداً وهو صاحب الدين يكثر حساده. . .

المباركة كانت في وداع صحابي عظيم قالها الإمام تسلية له وبياناً للحقيقة والتاريخ. . . أبو ذر الغفاري صاحب رسول الله أمر عثمان بنفيه إلى الربذة بعد أن كان قد نفاه إلى الشام أولاً وعاد منها إلى المدينة. . . فخرج أبو ذر ولم يجرؤ أحد من الناس أن يخرج لتوديعه وتشييعه حيث حرّم عثمان تشييعه وتوديعه إلا ما كان من الإمام علي والحسن والحسين وعقيل وعمار فلما أراد أن يودعه الإمام بلسم جراحه بهذه الكلمات المعبرة عن الحقيقة.

يا أبا ذر إنك غضبت لله حيث كان أبو ذر لسان الفقراء بل لسان الإسلام الذي يرتفع بكلمة الحق منددأ بمظالم عثمان وأعماله التي تتنافى وعدالة الإسلام فقد كان عثمان يوزع بيت مال المسلمين كما يحب ويرغب، يصل هذا يحابي ذلك يصانع الثالث وهكذا دون ضوابط تحكمه أو قوانين تلجم تصرفاته فكان أبو ذر إزاء هذا العمل الباطل يصرخ في وجه عثمان ويقود الثورة ضده معلناً ظلمه وسوء تصرفه. . .

فكان غضبه ليس لنفسه بل لله وإذا كان الغضب لله فيجب أن يكون الرجاء من الله وبهذا التفكير كان يتحرك أبو ذر وعليه سار وإلى أهدافه كان يقصد. . .

ثم بين السبب في نفيه إن القوم ـ عثمان ـ ومن حوله من الأمويين والمنتفعين والانتهازيين خافوك على دنياهم لأن تحركك يحرك معه الجماهير المظلومة وهذه لا ترحم كما جرى فيما بعد بحق عثمان. . خافوك على كراسيهم وعروشهم خافوك على الامتيازات التي انفردوا بها دون بقية الناس فصرختك أمام الناس تكشف عوراتهم وتجردهم من ثيابهم فهم قد خافوك على دنياهم وأما أنت فقد خفتهم على دينك. . . صرختك كانت في سبيل الدين. . . خوفاً من التشويه والتدنيس وخوفاً من التحريف. . . أنت خفتهم على عقيدتك أن يمسخوها ويقتلوا العدل فيها. . . خفتهم أن يمزقوا الحق ويقتلوا روح الإسلام. . .

فاترك في أيديهم ما خافوك عليه من دنياهم. . . إنك لن تقدر أن تسلبهم دنياهم وتردهم إلى موقعهم فاتركهم إذن وشأنهم واهرب أنت بما خفتهم عليه من دينك، فإذا استطعت أن تهرب بدينك وتحفظه وتحتفظ به سالماً فقد بلغت أمنيتك. . . اهرب بدينك. . .

ثم طمأن القلب الجريح باستغنائه عما منعوه منه من الدنيا واستأثروا به لأنفسهم وحاجتهم إلى ما منعهم من دينه فهم إلى دينه أحوج منه إلى دنياهم وستعلم من الرابح غداً يوم القيامة إنه صاحب الدين وستعلم من الأكثر حسداً وهو صاحب الدين يكثر حساده. . .

المنكر فأخذ يقرأ على الناس قوله تعالى: ﴿**والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم**﴾ ورفع ذلك إلى عثمان فنهاه فلم ينته وفي يوم قام عثمان فقال: أيجوز للإمام أن يأخذ شيئاً من المال قرضاً فإذا أيسر قضى فقال كعب الأحبار: لا بأس بذلك فقال أبو ذر: يا ابن اليهوديين أتعلمنا ديننا وتكرر حديث أبي ذر الذي يحمل على عثمان ويفضحه بأعماله القبيحة فعندها سيره إلى معاوية في الشام.

أبو ذر في الشام.

دخل أبو ذر الشام فرأى معاوية أشد انحرافاً من عثمان وأقوى خطراً... رأى كسرى العرب في إسرافه وانحرافه... رأى أموراً غريبة لم يعهدها من قبل فلم يكف ولم يسكت بل كان ينكر على معاوية مخالفاته وظلمه وإسرافه.

ولما بنى معاوية الخضراء بدمشق قال له أبو ذر: يا معاوية إن كانت هذه من مال الله فهي الخيانة وإن كانت من مالك فهي الإسراف.

وكان يقول وهو بالشام: لقد حدثت أعمال ما أعرفها والله ما هي في كتاب الله ولا سنة نبيه صلى الله عليه وآله إني لأرى حقاً يطفأ وباطلاً يحيا وصادقاً مكذباً وأثرة بغير تقى وصالحاً مستأثراً عليه.

تكرر من أبي ذر مهاجمة معاوية على انحرافه فاستدعاه معاوية قهراً عنه وعنفه بما لا يليق بمسلم فكيف يليق بصحابي جليل من أصحاب رسول الله أمثال الغفاري العظيم ولكنه الظلم الأموي المتجسد في الحاكم وولاته وقد قابل أبو ذر معاوية بما يليق به حيث روى له ما سمعه بحقه من النبي قائلاً له: ما أنا بعدو لله ولا لرسوله بل أنت وأبوك عدوان لله ولرسوله أظهرتما الإسلام وأبطنتما الكفر ولقد لعنك رسول الله ودعا عليك مرات أن لا تشبع.

فلما سمع معاوية منه ذلك حبسه وكتب إلى عثمان بأمره فكتب إليه عثمان أن يحمله إليه، فحمله معاوية من الشام إلى المدينة على شارف ليس عليه إلا قتب حتى قدم به المدينة وقد سقط لحم فخذيه من الجهد.

فلما وصل إلى المدينة ودخل على عثمان تهدده بالقتل ودارت حوارات طويلة لم يثن أبو ذر هامته فيها بل كان يروي أمام عثمان قول النبي: إذا بلغ بنو أبي العاص ثلاثين رجلاً جعلوا مال الله دولاً وعباده خولاً ودينه دخلا» ولما يئس عثمان من أبي ذر وأنه لن يستطيع أن يسكت الصوت الثائر قرّر نفيه من المدينة إلى مكان ليس فيه جليس أو أنيس.

المنكر فأخذ يقرأ على الناس قوله تعالى: ﴿**والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم**﴾ ورفع ذلك إلى عثمان فنهاه فلم ينته وفي يوم قام عثمان فقال: أيجوز للإمام أن يأخذ شيئاً من المال قرضاً فإذا أيسر قضى فقال كعب الأحبار: لا بأس بذلك فقال أبو ذر: يا ابن اليهوديين أتعلمنا ديننا وتكرر حديث أبي ذر الذي يحمل على عثمان ويفضحه بأعماله القبيحة فعندها سيره إلى معاوية في الشام.

أبو ذر في الشام.

دخل أبو ذر الشام فرأى معاوية أشد انحرافاً من عثمان وأقوى خطراً... رأى كسرى العرب في إسرافه وانحرافه... رأى أموراً غريبة لم يعهدها من قبل فلم يكف ولم يسكت بل كان ينكر على معاوية مخالفاته وظلمه وإسرافه.

ولما بنى معاوية الخضراء بدمشق قال له أبو ذر: يا معاوية إن كانت هذه من مال الله فهي الخيانة وإن كانت من مالك فهي الإسراف.

وكان يقول وهو بالشام: لقد حدثت أعمال ما أعرفها والله ما هي في كتاب الله ولا سنة نبيه صلى الله عليه وآله إني لأرى حقاً يطفأ وباطلاً يحيا وصادقاً مكذباً وأثرة بغير تقى وصالحاً مستأثراً عليه.

تكرر من أبي ذر مهاجمة معاوية على انحرافه فاستدعاه معاوية قهراً عنه وعنفه بما لا يليق بمسلم فكيف يليق بصحابي جليل من أصحاب رسول الله أمثال الغفاري العظيم ولكنه الظلم الأموي المتجسد في الحاكم وولاته وقد قابل أبو ذر معاوية بما يليق به حيث روى له ما سمعه بحقه من النبي قائلاً له: ما أنا بعدو لله ولا لرسوله بل أنت وأبوك عدوان لله ولرسوله أظهرتما الإسلام وأبطنتما الكفر ولقد لعنك رسول الله ودعا عليك مرات أن لا تشبع.

فلما سمع معاوية منه ذلك حبسه وكتب إلى عثمان بأمره فكتب إليه عثمان أن يحمله إليه، فحمله معاوية من الشام إلى المدينة على شارف ليس عليه إلا قتب حتى قدم به المدينة وقد سقط لحم فخذيه من الجهد.

فلما وصل إلى المدينة ودخل على عثمان تهدده بالقتل ودارت حوارات طويلة لم يثن أبو ذر هامته فيها بل كان يروي أمام عثمان قول النبي: إذا بلغ بنو أبي العاص ثلاثين رجلاً جعلوا مال الله دولاً وعباده خولاً ودينه دخلا» ولما يئس عثمان من أبي ذر وأنه لن يستطيع أن يسكت الصوت الثائر قرّر نفيه من المدينة إلى مكان ليس فيه جليس أو أنيس.

١٣١ ـ ومن كلام له عليه السلام

وفيه يبين سبب طلبه الحكم ويصف الإمام الحق

أَيَّتُهَا النُّفُوسُ المُخْتَلِفَةُ، وَالقُلُوبُ المُتَشَتِّتَةُ[١]، الشَّاهِدَةُ[٢] أَبْدَانُهُمْ[٣]، وَالغَائِبَةُ عَنْهُمْ عُقُولُهُمْ، أَظْأَرُكُمْ[٤] عَلَى الحَقِّ وَأَنْتُمْ تَنْفِرُونَ[٥] عَنْهُ نُفُورَ المِعْزَى[٦] مِنْ وَعْوَعَةِ[٧] الأَسَدِ! هَيْهَاتَ أَنْ أَطْلَعَ بِكُمْ سَرَارَ[٨] العَدْلِ، أَوْ أُقِيمَ[٩] اعْوِجَاجَ[١٠] الحَقِّ. اللَّهُمَّ إِنَّكَ تَعْلَمُ أَنَّهُ لَمْ يَكُنِ الَّذِي كَانَ مِنَّا مُنَافَسَةً[١١] فِي سُلْطَانٍ، وَلَا الْتِمَاسَ[١٢] شَيْءٍ مِنْ فُضُولِ[١٣] الحُطَامِ[١٤]، وَلَكِنْ لِنَرِدَ المَعَالِمَ مِنْ دِينِكَ، وَنُظْهِرَ الإِصْلَاحَ فِي بِلَادِكَ، فَيَأْمَنَ المَظْلُومُونَ مِنْ عِبَادِكَ، وَتُقَامَ المُعَطَّلَةُ مِنْ حُدُودِكَ. اللَّهُمَّ إِنِّي أَوَّلُ مَنْ أَنَابَ[١٥]، وَسَمِعَ وَأَجَابَ، لَمْ يَسْبِقْنِي إِلَّا رَسُولُ اللهِ ـ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ـ بِالصَّلَاةِ.

وَقَدْ عَلِمْتُمْ أَنَّهُ لَا يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ الوَالِي عَلَى الفُرُوجِ وَالدِّمَاءِ وَالمَغَانِمِ[١٦] وَالأَحْكَامِ وَإِمَامَةِ المُسْلِمِينَ البَخِيلُ، فَتَكُونَ فِي أَمْوَالِهِمْ نَهْمَتُهُ[١٧]، وَلَا الجَاهِلُ فَيُضِلَّهُمْ بِجَهْلِهِ، وَلَا الجَافِي[١٨] فَيَقْطَعَهُمْ بِجَفَائِهِ، وَلَا الحَائِفُ[١٩] لِلدُّوَلِ[٢٠] فَيَتَّخِذَ قَوْماً دُونَ قَوْمٍ، وَلَا المُرْتَشِي[٢١] فِي الحُكْمِ فَيَذْهَبَ بِالحُقُوقِ، وَيَقِفَ بِهَا دُونَ المَقَاطِعِ[٢٢]، وَلَا المُعَطِّلُ لِلسُّنَّةِ فَيُهْلِكَ الأُمَّةَ.

١٣١ ـ ومن كلام له عليه السلام

وفيه يبين سبب طلبه الحكم ويصف الإمام الحق

أَيَّتُهَا النُّفُوسُ المُخْتَلِفَةُ، وَالقُلُوبُ المُتَشَتِّتَةُ[١]، الشَّاهِدَةُ[٢] أَبْدَانُهُمْ[٣]، وَالغَائِبَةُ عَنْهُمْ عُقُولُهُمْ، أَظْأَرُكُمْ[٤] عَلَى الحَقِّ وَأَنْتُمْ تَنْفِرُونَ[٥] عَنْهُ نُفُورَ المِعْزَى[٦] مِنْ وَعْوَعَةِ[٧] الأَسَدِ! هَيْهَاتَ أَنْ أَطْلَعَ بِكُمْ سَرَارَ[٨] العَدْلِ، أَوْ أُقِيمَ[٩] اعْوِجَاجَ[١٠] الحَقِّ. اللَّهُمَّ إِنَّكَ تَعْلَمُ أَنَّهُ لَمْ يَكُنِ الَّذِي كَانَ مِنَّا مُنَافَسَةً[١١] فِي سُلْطَانٍ، وَلاَ الْتِمَاسَ[١٢] شَيْءٍ مِنْ فُضُولِ[١٣] الحُطَامِ[١٤]، وَلَكِنْ لِنَرِدَ المَعَالِمَ مِنْ دِينِكَ، وَنُظْهِرَ الإِصْلاَحَ فِي بِلاَدِكَ، فَيَأْمَنَ المَظْلُومُونَ مِنْ عِبَادِكَ، وَتُقَامَ المُعَطَّلَةُ مِنْ حُدُودِكَ. اللَّهُمَّ إِنِّي أَوَّلُ مَنْ أَنَابَ[١٥]، وَسَمِعَ وَأَجَابَ، لَمْ يَسْبِقْنِي إِلاَّ رَسُولُ اللهِ ـ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ـ بِالصَّلاَةِ.

وَقَدْ عَلِمْتُمْ أَنَّهُ لاَ يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ الوَالِي عَلَى الفُرُوجِ وَالدِّمَاءِ وَالمَغَانِمِ[١٦] وَالأَحْكَامِ وَإِمَامَةِ المُسْلِمِينَ البَخِيلُ، فَتَكُونَ فِي أَمْوَالِهِمْ نَهْمَتُهُ[١٧]، وَلاَ الجَاهِلُ فَيُضِلَّهُمْ بِجَهْلِهِ، وَلاَ الجَافِي[١٨] فَيَقْطَعَهُمْ بِجَفَائِهِ، وَلاَ الحَائِفُ[١٩] لِلدُّوَلِ[٢٠] فَيَتَّخِذَ قَوْماً دُونَ قَوْمٍ، وَلاَ المُرْتَشِي[٢١] فِي الحُكْمِ فَيَذْهَبَ بِالحُقُوقِ، وَيَقِفَ بِهَا دُونَ المَقَاطِعِ[٢٢]، وَلاَ المُعَطِّلُ لِلسُّنَّةِ فَيُهْلِكَ الأُمَّةَ.

المغتصبين للخلافة ممن تقدمه بذكر بعض صفاتهم. . .

وصف أصحابه بما رآه فيهم وما هم عليه. . . صورة مفزعة ناطقة بقبحها وقبح من يحملها. . . إنهم يحملون أنفساً مختلفة الأهواء فلا يجمعها هدف ولا تلتقي عند رضا الله. . . وكذلك هي موزعة الآراء فكل فرد له رأي يغاير آراء الآخرين. . . إنهم أصحاب أبدان حاضرة تراها أمامك مجتمعة مكتملة ولكن عقولهم غائبة ليست بحاضرة فلا تفكر فيما يجب ولا تنظر فيما ينبغي. . .

(أظأركم على الحق وأنتم تنفرون عنه نفور المعزى من وعوعة الأسد) أجعل لكم كل ما يحملكم على أن تعطفوا على الحق وأسلك بكم كل السبل التي تحملكم للسير نحوه والدفاع عنه ولكنكم تذهبون عنه وتنفرون منه نفور المعزى من صوت الأسد، فكما أن المعزى إذا سمعت صوت الأسد تولي هاربة ولا تلتفت إلى أحد كذلك أنتم تبتعدون عن الحق وتهربون منه رغم دعائي لكم بالعودة إليه والرجوع إلى رحابه. . .

(هيهات أن أطلع بكم سرار العدل أو أقيم اعوجاج الحق) استبعد أن يخرج بهم خفي العدل أو يمنع الاعوجاج للحق بوجودهم. . . فهم أقل من أن يقيم بهم الحق أو يجهر بالحق.

وبعبارة أخرى أن العدل قد اختفى في زمن من تقدمه والحق قد اعوج وهؤلاء أهون من أن يظهر الإمام بهم العدل أو يعدّل الإنحراف فيرفعه ويضع موضعه الحق. . .

(اللهم إنك تعلم أنه لم يكن الذي كان منا منافسة في سلطان ولا التماس شيء من فضول الحطام ولكن لنرد المعالم من دينك ونظهر الإصلاح في بلادك فيأمن المظلومون من عبادك وتقام المعطلة من حدودك اللهم إني أول من أناب وسمع وأجاب، لم يسبقني إلا رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ بالصلاة).

الموقف العلوي ونظرته إلى الحكم.

برأ ساحته عن كل ما يشين وما يتدافع غيره عليه فأشهد الله على أنه وحده يعلم أنه لم يكن ما كان منه في زمن مَنْ تقدمه من الخلفاء من مخالفته لهم وما هو عليه الآن من الحروب لم يكن ذلك مغالبة منه لهم على الحكم واعتلاء كرسي الخلافة حباً بها ورغبة في التسلط كما هو دأب طلابها والراغبين فيها حيث يضحون بكل عزيز من أجل بلوغ كرسي الحكم والوصول إليه فيبيعون كرامتهم وعزتهم من أجل الحكم.

كما أنه عليه السلام لم يكن ما كان منه طلباً للحصول على أموال الدنيا وعروضها

المغتصبين للخلافة ممن تقدمه بذكر بعض صفاتهم . . .

وصف أصحابه بما رآه فيهم وما هم عليه . . . صورة مفزعة ناطقة بقبحها وقبح من يحملها . . . إنهم يحملون أنفساً مختلفة الأهواء فلا يجمعها هدف ولا تلتقي عند رضا الله . . . وكذلك هي موزعة الآراء فكل فرد له رأي يغاير آراء الآخرين . . . إنهم أصحاب أبدان حاضرة تراها أمامك مجتمعة مكتملة ولكن عقولهم غائبة ليست بحاضرة فلا تفكر فيما يجب ولا تنظر فيما ينبغي . . .

(أظأركم على الحق وأنتم تنفرون عنه نفور المعزى من وعوعة الأسد) أجعل لكم كل ما يحملكم على أن تعطفوا على الحق وأسلك بكم كل السبل التي تحملكم للسير نحوه والدفاع عنه ولكنكم تذهبون عنه وتنفرون منه نفور المعزى من صوت الأسد، فكما أن المعزى إذا سمعت صوت الأسد تولي هاربة ولا تلتفت إلى أحد كذلك أنتم تبتعدون عن الحق وتهربون منه رغم دعائي لكم بالعودة إليه والرجوع إلى رحابه . . .

(هيهات أن أطلع بكم سرار العدل أو أقيم اعوجاج الحق) استبعد أن يخرج بهم خفي العدل أو يمنع الاعوجاج للحق بوجودهم . . . فهم أقل من أن يقيم بهم الحق أو يجهر بالحق.

وبعبارة أخرى أن العدل قد اختفى في زمن من تقدمه والحق قد اعوج وهؤلاء أهون من أن يظهر الإمام بهم العدل أو يعدّل الإنحراف فيرفعه ويضع موضعه الحق . . .

(اللهم إنك تعلم أنه لم يكن الذي كان منا منافسة في سلطان ولا التماس شيء من فضول الحطام ولكن لنرد المعالم من دينك ونظهر الإصلاح في بلادك فيأمن المظلومون من عبادك وتقام المعطلة من حدودك اللهم إني أول من أناب وسمع وأجاب، لم يسبقني إلا رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ بالصلاة) .

الموقف العلوي ونظرته إلى الحكم.

برأ ساحته عن كل ما يشين وما يتدافع غيره عليه فأشهد الله على أنه وحده يعلم أنه لم يكن ما كان منه في زمن مَنْ تقدمه من الخلفاء من مخالفته لهم وما هو عليه الآن من الحروب لم يكن ذلك مغالبة منه لهم على الحكم واعتلاء كرسي الخلافة حباً بها ورغبة في التسلط كما هو دأب طلابها والراغبين فيها حيث يضحون بكل عزيز من أجل بلوغ كرسي الحكم والوصول إليه فيبيعون كرامتهم وعزتهم من أجل الحكم.

كما أنه عليه السلام لم يكن ما كان منه طلباً للحصول على أموال الدنيا وعروضها

٢ ـ أن لا يكون جاهلاً فإن من كان جاهلاً بأحكام الدين فهو ضال ومن كان ضالاً ضلل غيره وحملهم على الضلال وهذا خلاف مقصود الشارع ومن المعلوم أن الوالي قدوة فإذا كان جاهلاً فكيف يرضى الشارع بقدوة جاهل ويمكن أن يشير بهذا إلى أبي بكر فقد كان أجهل من صبي حتى سئل عن قوله: وفاكهة وأبّا فلم يعرف ذلك.

٣ ـ أن لا يكون جافياً والجافي هو الفظ الغليظ سيىء الخلق فإذا كان الوالي كذلك امتنع الناس عن لقائه وكفوا عن الدخول عليه وبذلك لا يصله منهم صوت ولا شكوى ولا أمر يُنتفع به وبذلك ضرر وفساد فإنه صاحب الأمر الذي يجب أن يفتح صدره لكل الناس ويستقبلهم ويسمع منهم فإنه الأب للجميع والرحمة العامة لكل الرعية ويمكن أن يكون هذا إشارة إلى ما كان عليه عمر من الفظاظة والغلظة...

٤ ـ أن لا يكون حائفاً للدول أي لا يكون الوالي جائراً فيما يتداول من أموال المسلمين فيجب أن يقسم المال بالسوية فلا يؤثر طائفة على أخرى فتكون الأولى بطانة له والأخرى عدوة له كما وقع ذلك لعثمان حيث آثر بني أمية عشيرته على كل الناس وليس ذلك بالمال والأعطيات فحسب بل تعدى ذلك إلى الولايات والتاريخ يشهد بمدى ظلمه وظلمهم فإنه قد اتخذهم بطانة دون الناس فأوردوه مورده من الهلاك...

٥ ـ أن لا يكون الوالي مرتشياً في الحكم أي في فصل الخصومات وموارد النزاع فإنه إذا قبض مالاً مقابل الجور في الحكم والعدول فيه عن الحق فإن ذلك يخرج الحق من أيدي أصحابه ويسلبه منهم بل يُميت الحق ويبطله فلا تصل الحقوق إلى أصحابها بهذه الرشوة.

٦ ـ أن لا يكون معطلاً للسنة فيهلك الأمة لأن الوالي إذا عطل سنة رسول الله وما جاء عنه فقد ضاعت قواعد الشريعة وقوانينها لأن السنة هي الشارحة للكتاب والمتولية لبيانه وتفصيل مجمله بها تبينت خصوصيات الفرائض وتفصيلاتها وخذ لذلك مثلاً الصلاة فإن عدد ركعاتها وكيفيتها وما فيها من قراءة وذكر وركوع وسجود وتشهد وتسليم وغير ذلك كل هذا قد تكفلت به السنة فإذا تعطلت فكيف يهتدي الناس إلى الدين وكيف نعرف متى يرجم الزاني وخصوصيات ذلك...

إن من عطّل السنة أعاد الجاهلية وفي ذلك هلاك الأمة في الدنيا والآخرة...

٢ ـ أن لا يكون جاهلاً فإن من كان جاهلاً بأحكام الدين فهو ضال ومن كان ضالاً ضلل غيره وحملهم على الضلال وهذا خلاف مقصود الشارع ومن المعلوم أن الوالي قدوة فإذا كان جاهلاً فكيف يرضى الشارع بقدوة جاهل ويمكن أن يشير بهذا إلى أبي بكر فقد كان أجهل من صبي حتى سئل عن قوله: وفاكهة وأبّا فلم يعرف ذلك.

٣ ـ أن لا يكون جافياً والجافي هو الفظ الغليظ سيىء الخلق فإذا كان الوالي كذلك امتنع الناس عن لقائه وكفوا عن الدخول عليه وبذلك لا يصله منهم صوت ولا شكوى ولا أمر يُنتفع به وبذلك ضرر وفساد فإنه صاحب الأمر الذي يجب أن يفتح صدره لكل الناس ويستقبلهم ويسمع منهم فإنه الأب للجميع والرحمة العامة لكل الرعية ويمكن أن يكون هذا إشارة إلى ما كان عليه عمر من الفظاظة والغلظة...

٤ ـ أن لا يكون حائفاً للدول أي لا يكون الوالي جائراً فيما يتداول من أموال المسلمين فيجب أن يقسم المال بالسوية فلا يؤثر طائفة على أخرى فتكون الأولى بطانة له والأخرى عدوة له كما وقع ذلك لعثمان حيث آثر بني أمية عشيرته على كل الناس وليس ذلك بالمال والأعطيات فحسب بل تعدى ذلك إلى الولايات والتاريخ يشهد بمدى ظلمه وظلمهم فإنه قد اتخذهم بطانة دون الناس فأوردوه مورده من الهلاك...

٥ ـ أن لا يكون الوالي مرتشياً في الحكم أي في فصل الخصومات وموارد النزاع فإنه إذا قبض مالاً مقابل الجور في الحكم والعدول فيه عن الحق فإن ذلك يخرج الحق من أيدي أصحابه ويسلبه منهم بل يُميت الحق ويبطله فلا تصل الحقوق إلى أصحابها بهذه الرشوة.

٦ ـ أن لا يكون معطلاً للسنة فيهلك الأمة لأن الوالي إذا عطل سنة رسول الله وما جاء عنه فقد ضاعت قواعد الشريعة وقوانينها لأن السنة هي الشارحة للكتاب والمتولية لبيانه وتفصيل مجمله بها تبينت خصوصيات الفرائض وتفصيلاتها وخذ لذلك مثلاً الصلاة فإن عدد ركعاتها وكيفيتها وما فيها من قراءة وذكر وركوع وسجود وتشهد وتسليم وغير ذلك كل هذا قد تكفلت به السنة فإذا تعطلت فكيف يهتدي الناس إلى الدين وكيف نعرف متى يرجم الزاني وخصوصيات ذلك...

إن من عطّل السنة أعاد الجاهلية وفي ذلك هلاك الأمة في الدنيا والآخرة...

لِلْجَنَّةِ عَمَلَهَا: فَإِنَّ الدُّنْيَا لَمْ تُخْلَقْ لَكُمْ دَارَ مُقَامٍ، بَلْ خُلِقَتْ لَكُمْ مَجَازاً لِتَزَوَّدُوا مِنْهَا الأَعْمَالَ إِلَى دَارِ ٱلْقَرَارِ. فَكُونُوا مِنْهَا عَلَى أَوْفَازٍ(٢٤)، وَقَرِّبُوا الظُّهُورَ(٢٥) لِلزِّيَالِ(٢٦).

اللغة

١ ـ أبلى : من الابلاء وهو الإحسان والإنعام.
٢ ـ الابتلاء : الأمتحان والاختبار.
٣ ـ الباطن : العالم.
٤ ـ السريرة : جمعها سرائر السر الذي يكتم، مايسره الانسان من أمره.
٥ ـ تُكّن : تستر وتخفي.
٦ ـ النجيب : المنتجب من النجابة.
٧ ـ البعيث : المبعوث، المرسل.
٨ ـ الجد : بكسر الجيم خلاف الهزل، الاجتهاد.
٩ ـ الداعي : جمعه دعاة من يدعو الناس إلى شيء يرغبه.
١٠ ـ الحادي : الذي يسوق الإبل ويغني لها.
١١ ـ غرّه : خدعه.
١٢ ـ سواد الناس : عامتهم وجماهيرهم.
١٣ ـ الاقلال : الفقر.
١٤ ـ ازعجه : اقلقه، قلعه من مكانه، طرده.
١٥ ـ المنايا : جمع منية وهو الموت.
١٦ ـ المناكب : جمع منكب مجتمع رأس الكتف والعضد.
١٧ ـ الانامل : رؤوس الاصابع.
١٨ ـ المشيد : المبنى بالشيد وهو الجصّ.
١٩ ـ البور : جمع بائر الفاسد الهالك.
٢٠ ـ يستعتبون : من استعتب فلان أي طلب أن يعتب أي يرضى.
٢١ ـ برّز : فاق وتقدم.
٢٢ ـ المهل : شوط الفرس.
٢٣ ـ اهتبلوا : اغتنموا.
٢٤ ـ الافواز : جمع الوفز العجلة.

لِلْجَنَّةِ عَمَلَهَا: فَإِنَّ الدُّنْيَا لَمْ تُخْلَقْ لَكُمْ دَارَ مُقَامٍ، بَلْ خُلِقَتْ لَكُمْ مَجَازاً لِتَزَوَّدُوا مِنْهَا الأَعْمَالَ إِلَى دَارِ ٱلْقَرَارِ. فَكُونُوا مِنْهَا عَلَى أَوْفَازٍ(٢٤)، وَقَرِّبُوا الظُّهُورَ(٢٥) لِلزِّيَالِ(٢٦).

اللغة

١ ـ أبلى : من الابلاء وهو الإحسان والإنعام.
٢ ـ الابتلاء : الأمتحان والاختبار.
٣ ـ الباطن : العالم.
٤ ـ السريرة : جمعها سرائر السر الذي يكتم، مايسره الانسان من أمره.
٥ ـ تُكن : تستر وتخفي.
٦ ـ النجيب : المنتجب من النجابة.
٧ ـ البعيث : المبعوث، المرسل.
٨ ـ الجد : بكسر الجيم خلاف الهزل، الاجتهاد.
٩ ـ الداعي : جمعه دعاة من يدعو الناس إلى شيء يرغبه.
١٠ ـ الحادي : الذي يسوق الإبل ويغني لها.
١١ ـ غرّه : خدعه.
١٢ ـ سواد الناس : عامتهم وجماهيرهم.
١٣ ـ الاقلال : الفقر.
١٤ ـ ازعجه : اقلقه، قلعه من مكانه، طرده.
١٥ ـ المنايا : جمع منية وهو الموت.
١٦ ـ المناكب : جمع منكب مجتمع رأس الكتف والعضد.
١٧ ـ الانامل : رؤوس الاصابع.
١٨ ـ المشيد : المبنى بالشيد وهو الجصّ.
١٩ ـ البور : جمع بائر الفاسد الهالك.
٢٠ ـ يستعتبون : من استعتب فلان أي طلب أن يعتب أي يرضى.
٢١ ـ برّز : فاق وتقدم.
٢٢ ـ المهل : شوط الفرس.
٢٣ ـ اهتبلوا : اغتنموا.
٢٤ ـ الافواز : جمع الوفز العجلة.

فرد وقد اعجل حاديه فإنه لم يترك الناس أو يمهلهم ليدبروا شوؤنهم بل أخذهم بسرعة وساقهم إلى نهايتهم بقوة. . .

(فلا يغرنك سواد الناس من نفسك وقد رأيت من كان قبلك ممن جمع المال وحذر الاقلال وأمن العواقب ـ طول أمل واستبعاد أجل ـ كيف نزل به الموت فازعجه عن وطنه وأخذه من مأمنه محمولاً على أعواد المنايا يتعاطى به الرجال الرجال حملاً على المناكب وامساكاً بالانامل) بعد أن ذكر عليه السلام الموت وإنه الحقيقة الواقعة التي لا بد منها حذّر من الغفلة عنه بما يراه من الناس حوله وهذه حالة نفسية يدخل الإمام إلى عمقها ليحاكيها ويدرسها ويقول لمن توسوس له نفسه بأنه لا يزال على قيد الحياة وإن الناس من حوله كثيرون أن لا يهتم بالموت وما بعده يقول له الإمام لا يغرنك كثرة الناس حولك فأنهم مثلك وسيلاقون ما تلاقيه ويمر عليهم ما يمر عليك وسينالهم ما ينالك ولن يدفعوا عنك شيئاً ولن يؤخروا عنك ما ينزل بك. . .

وقد لفت النظر إلى أننا قد رأينا من كان قبلنا ممن جمع المال كقارون وخاف الفقر أن يدخل بيته فبخل بمال الله على عباد الله وأخذه من غير حله ووضعه في غير محله وأمن العواقب لم يحسب لما بعد الموت حساب ولم يعطه أي اهتمام عاش الأمل في حياة طويلة ناعمة ولم يفكر في الموت بل غيّبه وأبعد شبحه عن ناظريه.

هذا الإنسان انظر إليه كيف نزل به الموت وسقط عليه القضاء الإلهي فلم يقدر على دفعه أو الهروب منه فأخرجه عن وطنه وبلده الذي كان يعيش فيه آمناً مطمئناً لا يعكر صفوه شيء وكيف أخرج؟! إنه لم يخرج معززاً مكرماً كما كان يخرج أيام حياته واثق الخطا مطمئن الجنان. . إنه لم يخرج إلا محمولاً على نعش جثةً هامدةً تتناقلها أيدي الناس ويتدافعونها من يد إلى أخرى ومن كتف إلى اختها. . إنها عبرة لهذا الإنسان أن ينظر إلى نهايته ويعتبر بمصيره. . . مهما عاش وجمع واقتنى واستفاد فإنه مصيره على أحسن تقدير أن تحمله أيدي احبته واكتافهم إلى المقر النهائي حيث القبر المفتوح الذي يُنزلونه فيه وحيداً غريباً. . .

(أما رأيتم الذين يأملون بعيداً ويبنون مشيداً ويجمعون كثيراً كيف اصبحت بيوتهم قبوراً وما جمعوا بوراً وصارت أموالهم للوارثين وازواجهم لقوم آخرين لا في حسنة يزيدون ولا من سيئة يستعتبون) وهذه عبرة لمن اعتبر انظروا إلى من كان يدفعهم الأمل بعيداً. . كانوا ينظرون إلى الحياة فيرونها شوطهم الوحيد وحقل عملهم الفريد فاخذوا يبنون بناء من يخلد في الدنيا حيث يشيدون القصور والدور كما هو المشاهد من تلك

فرد وقد اعجل حاديه فإنه لم يترك الناس أو يمهلهم ليدبروا شوؤنهم بل أخذهم بسرعة وساقهم إلى نهايتهم بقوة. . .

(فلا يغرنك سواد الناس من نفسك وقد رأيت من كان قبلك ممن جمع المال وحذر الاقلال وأمن العواقب ـ طول أمل واستبعاد أجل ـ كيف نزل به الموت فازعجه عن وطنه وأخذه من مأمنه محمولاً على أعواد المنايا يتعاطى به الرجال الرجال حملاً على المناكب واماساكاً بالانامل) بعد أن ذكر عليه السلام الموت وإنه الحقيقة الواقعة التي لا بد منها حذّر من الغفلة عنه بما يراه من الناس حوله وهذه حالة نفسية يدخل الإمام إلى عمقها ليحاكيها ويدرسها ويقول لمن توسوس له نفسه بأنه لا يزال على قيد الحياة وإن الناس من حوله كثيرون أن لا يهتم بالموت وما بعده يقول له الإمام لا يغرنك كثرة الناس حولك فأنهم مثلك وسيلاقون ما تلاقيه ويمر عليهم ما يمر عليك وسينالهم ما ينالك ولن يدفعوا عنك شيئاً ولن يؤخروا عنك ما ينزل بك. . .

وقد لفت النظر إلى أننا قد رأينا من كان قبلنا ممن جمع المال كقارون وخاف الفقر أن يدخل بيته فبخل بمال الله على عباد الله وأخذه من غير حله ووضعه في غير محله وأمن العواقب لم يحسب لما بعد الموت حساب ولم يعطه أي اهتمام عاش الأمل في حياة طويلة ناعمة ولم يفكر في الموت بل غيّبه وأبعد شبحه عن ناظريه.

هذا الإنسان انظر إليه كيف نزل به الموت وسقط عليه القضاء الإلهي فلم يقدر على دفعه أو الهروب منه فأخرجه عن وطنه وبلده الذي كان يعيش فيه آمناً مطمئناً لا يعكر صفوه شيء وكيف أخرج؟! إنه لم يخرج معززاً مكرماً كما كان يخرج أيام حياته واثق الخطا مطمئن الجنان. . إنه لم يخرج إلا محمولاً على نعش جثةً هامدةً تتناقلها أيدي الناس ويتدافعونها من يد إلى أخرى ومن كتف إلى اختها. . إنها عبرة لهذا الإنسان أن ينظر إلى نهايته ويعتبر بمصيره. . . مهما عاش وجمع واقتنى واستفاد فإنه مصيره على أحسن تقدير أن تحمله أيدي احبته واكتافهم إلى المقر النهائي حيث القبر المفتوح الذي يُنزلونه فيه وحيداً غريباً. . .

(أما رأيتم الذين يأملون بعيداً ويبنون مشيداً ويجمعون كثيراً كيف اصبحت بيوتهم قبوراً وما جمعوا بوراً وصارت أموالهم للوارثين وازواجهم لقوم آخرين لا في حسنة يزيدون ولا من سيئة يستعتبون) وهذه عبرة لمن اعتبر انظروا إلى من كان يدفعهم الأمل بعيداً. . كانوا ينظرون إلى الحياة فيرونها شوطهم الوحيد وحقل عملهم الفريد فاخذوا يبنون بناء من يخلد في الدنيا حيث يشيدون القصور والدور كما هو المشاهد من تلك

١٣٣ ـ ومن خطبة له عليه السلام

يعظم الله سبحانه ويذكر القرآن والنبي ويعظ الناس

عظمة الله تعالى

وَانْقَادَتْ لَهُ الدُّنْيَا وَالآخِرَةُ بِأَزِمَّتِهَا[١]، وَقَذَفَتْ إِلَيْهِ السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُونَ مَقَالِيدَهَا[٢]، وَسَجَدَتْ لَهُ بِالغُدُوِّ[٣] وَالآصَالِ[٤] الأَشْجَارُ النَّاضِرَةُ، وَقَدَحَتْ[٥] لَهُ مِنْ قُضْبَانِهَا النِّيرَانَ المُضِيئَةَ، وَآتَتْ أُكُلَهَا[٦] بِكَلِمَاتِهِ الثِّمَارُ اليَانِعَةُ.

القرآن

منها: وَكِتَابُ اللهِ بَيْنَ أَظْهُرِكُمْ نَاطِقٌ لاَ يَعْيَا[٧] لِسَانُهُ، وَبَيْتٌ لاَ تُهْدَمُ أَرْكَانُهُ، وَعِزٌّ لاَ تُهْزَمُ أَعْوَانُهُ.

رسول الله

منها: أَرْسَلَهُ عَلَى حِينِ فَتْرَةٍ[٨] مِنَ الرُّسُلِ، وَتَنَازُعٍ مِنَ الأَلْسُنِ، فَقَفَّى بِهِ الرُّسُلَ، وَخَتَمَ بِهِ الوَحْيَ، فَجَاهَدَ فِي اللهِ المُدْبِرِينَ عَنْهُ، وَالعَادِلِينَ[٩] بِهِ.

الدنيا

منها: وَإِنَّمَا الدُّنْيَا مُنْتَهَى بَصَرِ الأَعْمَى، لاَ يُبْصِرُ مِمَّا وَرَاءَهَا شَيْئاً، وَالبَصِيرُ يَنْفُذُهَا بَصَرُهُ، وَيَعْلَمُ أَنَّ الدَّارَ وَرَاءَهَا. فَالبَصِيرُ مِنْهَا شَاخِصٌ[١٠]، وَالأَعْمَى إِلَيْهَا شَاخِصٌ. وَالبَصِيرُ مِنْهَا مُتَزَوِّدٌ، وَالأَعْمَى لَهَا مُتَزَوِّدٌ.

١٣٣ ـ ومن خطبة له عليه السلام

يعظم الله سبحانه ويذكر القرآن والنبي ويعظ الناس

عظمة الله تعالى

وَانْقَادَتْ لَهُ الدُّنْيَا وَالآخِرَةُ بِأَزِمَّتِهَا[١]، وَقَذَفَتْ إِلَيْهِ السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُونَ مَقَالِيدَهَا[٢]، وَسَجَدَتْ لَهُ بِالغُدُوِّ[٣] وَالآصَالِ[٤] الأَشْجَارُ النَّاضِرَةُ، وَقَدَحَتْ[٥] لَهُ مِنْ قُضْبَانِهَا النِّيرَانَ المُضِيئَةَ، وَآتَتْ أُكُلَهَا[٦] بِكَلِمَاتِهِ الثِّمَارُ اليَانِعَةُ.

القرآن

منها: وَكِتَابُ اللهِ بَيْنَ أَظْهُرِكُمْ نَاطِقٌ لاَ يَعْيَا[٧] لِسَانُهُ، وَبَيْتٌ لاَ تُهْدَمُ أَرْكَانُهُ، وَعِزٌّ لاَ تُهْزَمُ أَعْوَانُهُ.

رسول الله

منها: أَرْسَلَهُ عَلَى حِينِ فَتْرَةٍ[٨] مِنَ الرُّسُلِ، وَتَنَازُعٍ مِنَ الأَلْسُنِ، فَقَفَّى بِهِ الرُّسُلَ، وَخَتَمَ بِهِ الوَحْيَ، فَجَاهَدَ فِي اللهِ المُدْبِرِينَ عَنْهُ، وَالعَادِلِينَ[٩] بِهِ.

الدنيا

منها: وَإِنَّمَا الدُّنْيَا مُنْتَهَى بَصَرِ الأَعْمَى، لاَ يُبْصِرُ مِمَّا وَرَاءَهَا شَيْئاً، وَالبَصِيرُ يَنْفُذُهَا بَصَرُهُ، وَيَعْلَمُ أَنَّ الدَّارَ وَرَاءَهَا. فَالبَصِيرُ مِنْهَا شَاخِصٌ[١٠]، وَالأَعْمَى إِلَيْهَا شَاخِصٌ. وَالبَصِيرُ مِنْهَا مُتَزَوِّدٌ، وَالأَعْمَى لَهَا مُتَزَوِّدٌ.

١٤ ـ الظمآن : العطشان.
١٥ ـ الغل : الحقد.
١٦ ـ الدمن : البعر المجتمع كالمزبلة.
١٧ ـ تصافيتم : من تصافى القوم إذا أخلص الود بعضهم لبعض.
١٨ ـ تعاديتم : عادى بعضكم بعضاً أي خاصمه.
١٩ ـ استهام : أصله من هام على وجهه إذا خرج لا يدري أين يذهب.

الشرح

(وانقادت له الدنيا والآخرة بأزمتها وقذفت إليه السماوات والأرضون مقاليدها) تتضمن هذه الخطبة فقرات متعددة في مجالات وحقول مختلفة ملتقطة من عدة خطب وأول فقرة يذكر فيها الله سبحانه وعظمته وعموم قدرته وأن الدنيا بما فيها وكذلك الآخرة تحت سلطان الله وأمره لا تخرج واحدة منهما عن إرادته بل أتت إليه طوعاً واستجابت لأمره حكماً وكذلك السماوات والأرضون هو مالك أمرها وحافظها وبيده مفاتيح خزائنها قال تعالى: ﴿**له مقاليد السموات والأرض**...﴾.

(وسجدت له بالغدو والآصال الأشجار الناضرة وقدحت له من قضبانها النيران المضيئة وآتت أكلها بكلماته الثمار اليانعة) وسجود الأشجار الناضرة لله في الصباح والمساء إنما هو عبارة عن حاجتها إليه وفقرها وإمكانها وكونها تسير وفق مشيئته وإرادته لا تتخلف عما رسم لها وأريد منها.

ومن عظمة الله سبحانه وقدرته أنه أخرج من أغصان الأشجار الخضراء نيراناً مضيئة كما قال تعالى: ﴿**الذي جعل لكم من الشجر الأخضر ناراً فإذا أنتم منه توقدون**﴾.

ومن عظمة الله أيضاً أن الثمار الناضجة صح أكلها ونضجت وساغت بمشيئة الله وقدرته، فهو الذي أراد لها أن تستساغ وتستطاب فكانت كما أراد.

(وكتاب الله بين أظهركم ناطق لا يعيا لسانه وبيت لا تهدم أركانه وعز لا تهزم أعوانه) هذا توبيخ لأصحابه من حيث تركهم للعمل بكتاب الله وترغيب لهم بذكر بعض خصائص هذا الكتاب فهو بينهم ناطق لا يعجز ولا يكل تحفظه القلوب وتردده الأفواه.

ووصفه بأنه بيت لا تهدم أركانه من حيث إن جميع الشبهات حوله لا تؤثر فيه لأنه من الله فهو قوي ثابت لا يتزعزع أو يتحرك أو يتعرض للشك، إنه يحفظ العاملين به

١٤ ـ الظمآن : العطشان.
١٥ ـ الغل : الحقد.
١٦ ـ الدمن : البعر المجتمع كالمزبلة.
١٧ ـ تصافيتم : من تصافى القوم إذا أخلص الود بعضهم لبعض.
١٨ ـ تعاديتم : عادى بعضكم بعضاً أي خاصمه.
١٩ ـ استهام : أصله من هام على وجهه إذا خرج لا يدري أين يذهب.

الشرح

(وانقادت له الدنيا والآخرة بأزمتها وقذفت إليه السماوات والأرضون مقاليدها) تتضمن هذه الخطبة فقرات متعددة في مجالات وحقول مختلفة ملتقطة من عدة خطب وأول فقرة يذكر فيها الله سبحانه وعظمته وعموم قدرته وأن الدنيا بما فيها وكذلك الآخرة تحت سلطان الله وأمره لا تخرج واحدة منهما عن إرادته بل أتت إليه طوعاً واستجابت لأمره حكماً وكذلك السماوات والأرضون هو مالك أمرها وحافظها وبيده مفاتيح خزائنها قال تعالى: ﴿**له مقاليد السموات والأرض...**﴾.

(وسجدت له بالغدو والآصال الأشجار الناضرة وقدحت له من قضبانها النيران المضيئة وآتت أكلها بكلماته الثمار اليانعة) وسجود الأشجار الناضرة لله في الصباح والمساء إنما هو عبارة عن حاجتها إليه وفقرها وإمكانها وكونها تسير وفق مشيئته وإرادته لا تتخلف عما رسم لها وأريد منها.

ومن عظمة الله سبحانه وقدرته أنه أخرج من أغصان الأشجار الخضراء نيراناً مضيئة كما قال تعالى: ﴿**الذي جعل لكم من الشجر الأخضر ناراً فإذا أنتم منه توقدون**﴾.

ومن عظمة الله أيضاً أن الثمار الناضجة صح أكلها ونضجت وساغت بمشيئة الله وقدرته، فهو الذي أراد لها أن تستساغ وتستطاب فكانت كما أراد.

(وكتاب الله بين أظهركم ناطق لا يعيا لسانه وبيت لا تهدم أركانه وعز لا تهزم أعوانه) هذا توبيخ لأصحابه من حيث تركهم للعمل بكتاب الله وترغيب لهم بذكر بعض خصائص هذا الكتاب فهو بينهم ناطق لا يعجز ولا يكل تحفظه القلوب وتردده الأفواه.

ووصفه بأنه بيت لا تهدم أركانه من حيث إن جميع الشبهات حوله لا تؤثر فيه لأنه من الله فهو قوي ثابت لا يتزعزع أو يتحرك أو يتعرض للشك، إنه يحفظ العاملين به

وهذا عكس الأعمى الذي لا يرى الآخرة أبداً بل يرى الدنيا فحسب فهذا يسعى للدنيا ويقتصر عليها ولا يتعدى نظره عنها بل على الدوام ناظر إليها مشتغل بها.

وكذلك البصير يتزود منها للآخرة بينما الأعمى يتزود لها وفرق كبير بين من يتزود للآخرة بالأعمال الصالحة والخيرات وما ينفع الناس وبين ذاك الذي يتزود للدنيا فإنه يقطع أرحامه ويفسد المجتمع ويسعى في إضلال الناس وهكذا لأن زاد الدنيا للدنيا يخالف زاد الآخرة...

(واعلموا أنه ليس من شيء إلا ويكاد صاحبه يشبع منه ويمله إلا الحياة فإنه لا يجد في الموت راحة وإنما ذلك بمنزلة الحكمة التي هي حياة للقلب الميت وبصر للعين العمياء وسمع للأذن الصماء وري للظمآن وفيها الغنى كله والسلامة) كل شيء يتكرر في حياة الإنسان يُمل حتى الطعام اللذيذ على لذته إذا استمر على تناوله الإنسان ملّه وكرهته نفسه إلا الحياة فإن الإنسان مهما طال عمره يتمنى أن يبقى حياً وتستمر به الحياة، فالشيخ العجوز الذي أحنت السنون ظهره وأتلفت قواه وأتت على شهوته... هذا الهّم الفاني لا يمل الحياة ولا يسأم منها بل يطلب الاستزادة منها والبقاء فيها. وذلك لأنه لا يجد في الموت راحة ولا يجد فيما بعده حياة أحسن من حياته التي هو فيها وهذا مسوق للغالب من الناس الذين لم يقفوا على ما أعده الله للصالحين وإلا فإن أرباب المعرفة كالنبي والأئمة كانوا يرون الراحة كل الراحة فيما بعد الموت...

ثم قال: «وإنما ذلك بمنزلة الحكمة» وقد اختلف فيما أشار إليه بكلمة ذلك فقال بعضهم: أشار إلى كلام كان قد تقدم عن رسول الله وأنه بمنزلة الحكمة وقال بعض: إنه أشار به إلى أن ما لا يجب أن يمل منه مثل الحكمة...

وذهب ثالث إلى أن المراد «بذلك» الدنيا المفهوم من سياق الكلام وذكر في سياق تعليله أن في حب الحياة مصلحة وحكمة وهي البعث على الجد والاجتهاد.

ثم وصف الحكمة التي هي عبارة عن العلم بحكمة الصانع وعلمه وما في الدار الآخرة بخصوصيات وآثار.

إن الحكمة حياة للقلب الميت فالقلب الجاهل إذا نزلت عليه الحكمة فاهتدى من خلالها فإن ذلك حياة له...

كذلك هي بصر للعين العمياء لأن الحكمة للجاهل تحصل له بها البصيرة فيدرك بها الأمور ويقف على حقائق الأشياء وذلك بمثابة البصر للأعمى...

وهذا عكس الأعمى الذي لا يرى الآخرة أبداً بل يرى الدنيا فحسب فهذا يسعى للدنيا ويقتصر عليها ولا يتعدى نظره عنها بل على الدوام ناظر إليها مشتغل بها.

وكذلك البصير يتزود منها للآخرة بينما الأعمى يتزود لها وفرق كبير بين من يتزود للآخرة بالأعمال الصالحة والخيرات وما ينفع الناس وبين ذاك الذي يتزود للدنيا فإنه يقطع أرحامه ويفسد المجتمع ويسعى في إضلال الناس وهكذا لأن زاد الدنيا للدنيا يخالف زاد الآخرة...

(واعلموا أنه ليس من شيء إلا ويكاد صاحبه يشبع منه ويمله إلا الحياة فإنه لا يجد في الموت راحة وإنما ذلك بمنزلة الحكمة التي هي حياة للقلب الميت وبصر للعين العمياء وسمع للأذن الصماء وري للظمآن وفيها الغنى كله والسلامة) كل شيء يتكرر في حياة الإنسان يُمل حتى الطعام اللذيذ على لذته إذا استمر على تناوله الإنسان ملّه وكرهته نفسه إلا الحياة فإن الإنسان مهما طال عمره يتمنى أن يبقى حياً وتستمر به الحياة، فالشيخ العجوز الذي أحنت السنون ظهره وأتلفت قواه وأتت على شهوته... هذا الهَم الفاني لا يمل الحياة ولا يسأم منها بل يطلب الاستزادة منها والبقاء فيها. وذلك لأنه لا يجد في الموت راحة ولا يجد فيما بعده حياة أحسن من حياته التي هو فيها وهذا مسوق للغالب من الناس الذين لم يقفوا على ما أعده الله للصالحين وإلا فإن أرباب المعرفة كالنبي والأئمة كانوا يرون الراحة كل الراحة فيما بعد الموت...

ثم قال: «وإنما ذلك بمنزلة الحكمة» وقد اختلف فيما أشار إليه بكلمة ذلك فقال بعضهم: أشار إلى كلام كان قد تقدم عن رسول الله وأنه بمنزلة الحكمة وقال بعض: إنه أشار به إلى أن ما لا يجب أن يمل منه مثل الحكمة...

وذهب ثالث إلى أن المراد «بذلك» الدنيا المفهوم من سياق الكلام وذكر في سياق تعليله أن في حب الحياة مصلحة وحكمة وهي البعث على الجد والاجتهاد.

ثم وصف الحكمة التي هي عبارة عن العلم بحكمة الصانع وعلمه وما في الدار الآخرة بخصوصيات وآثار.

إن الحكمة حياة للقلب الميت فالقلب الجاهل إذا نزلت عليه الحكمة فاهتدى من خلالها فإن ذلك حياة له...

كذلك هي بصر للعين العمياء لأن الحكمة للجاهل تحصل له بها البصيرة فيدرك بها الأمور ويقف على حقائق الأشياء وذلك بمثابة البصر للأعمى...

المرعى على دمنكم» قال الشارح البحراني: يضرب مثلاً للمتصالحين في الظاهر مع غل القلوب فيما بينهم ووجه مطابقة المثل أن ذلك الصلح سريع الزوال لا أصل له كما يسرع جفاف النبات في الدمن.

ثم وصفهم بقوله: «وتصافيتم على حب الآمال وتعاديتم في كسب الأموال» الصفاء بينهم قائم على ما يأملون لأن كل ما يأمل الإنسان قد لا يظهره على الآخرين ثم إن الأمل مجرد حالة نفسية لا تؤثر على الآخرين ولا تأخذ من طريقهم شيئاً أو تسلبهم أمراً.

بينما تعادوا على كسب الأموال فهذا يعادي ذاك لمعاملة خسر معه فيها أو لأنه لم يربح بها أو لأنه يظن أنه لولاه لنجح في تجارته ولم تبر سلعته وهكذا دواليك.

(لقد استهام بكم الخبيث وتاه بكم الغرور والله المستعان على نفسي وأنفسكم) أي جعلكم الشيطان هائمين متحيرين فأخرجكم من نور الإيمان إلى ظلمات الضلال.

وكذلك قوله: وتاه بكم الغرور أن جعلكم الشيطان الذي هو الغرور جعلكم ضالين تائهين عن الحق والصواب.

ثم طلب من الله أن يعينه على نفسه وعلى أنفسهم...

المرعى على دمنكم» قال الشارح البحراني: يضرب مثلاً للمتصالحين في الظاهر مع غل القلوب فيما بينهم ووجه مطابقة المثل أن ذلك الصلح سريع الزوال لا أصل له كما يسرع جفاف النبات في الدمن.

ثم وصفهم بقوله: «وتصافيتم على حب الآمال وتعاديتم في كسب الأموال» الصفاء بينهم قائم على ما يأملون لأن كل ما يأمل الإنسان قد لا يظهره على الآخرين ثم إن الأمل مجرد حالة نفسية لا تؤثر على الآخرين ولا تأخذ من طريقهم شيئاً أو تسلبهم أمراً.

بينما تعادوا على كسب الأموال فهذا يعادي ذاك لمعاملة خسر معه فيها أو لأنه لم يربح بها أو لأنه يظن أنه لولاه لنجح في تجارته ولم تبر سلعته وهكذا دواليك.

(لقد استهام بكم الخبيث وتاه بكم الغرور والله المستعان على نفسي وأنفسكم) أي جعلكم الشيطان هائمين متحيرين فأخرجكم من نور الإيمان إلى ظلمات الضلال.

وكذلك قوله: وتاه بكم الغرور أن جعلكم الشيطان الذي هو الغرور جعلكم ضالين تائهين عن الحق والصواب.

ثم طلب من الله أن يعينه على نفسه وعلى أنفسهم...

الشرح

(وقد توكل الله لأهل هذا الدين بإعزاز الحوزة وستر العورة والذي نصرهم وهم قليل لا ينتصرون ومنعهم وهم قليل لا يمتنعون حي لا يموت) أراد عمر بن الخطاب أن يمشي بنفسه لغزو الروم فاستشار الإمام علي عليه السلام فأشار عليه بهذه الكمات التي تنضح بالنصح لأن فيها قوة الإسلام وعزته وقد كان عليه السلام ينظر إلى من يتولى الأمر من خلال الإسلام وكان كل شغله أن يبقى الإسلام عزيزاً كريماً محفوظ الجانب ولذا كان ينصح من تقدمه ويهديه إلى مواقع إعزاز الدين ولم يبخل بنصيحة ترفع من شأن الإسلام أو تدفع عنه السوء . . .

وهذه الكلمات منه في هذا المقام إحدى عينات النصح وأظهر أفراد الحيطة للإسلام والدفاع عنه وقد قدم لذلك مقدمة رد المخاطب إلى الله وذكره بالأيام الأولى على عهد النبي صلى الله عليه وآله وأن الله هو الذي تولى لأهل هذا الدين إعزاز دينه بحفظ مواقع المسلمين وديارهم وستر عليهم بعض الثغرات التي يمكن أن يتسلل منها العدو والتي يمكن أن تؤدي إلى خلل أو اضطراب في صفوفهم وأن الله الذي نصرهم وهم قلة لا يقدرون على النصر بحسب موازين أهل الأرض ومنع عنهم أذى المشركين وهم غير قادرين على أن يمتنعوا منهم إنه حي قادر على أن يكتب النصر لنا ويمنع الأعداء عنا الآن . . .

(إنك متى تسر إلى هذا العدو بنفسك فتلقهم فتنكب لا تكن للمسلمين كانفة دون أقصى بلادهم ليس بعدك مرجع يرجعون إليه فابعث إليهم رجلاً محرباً واحفز معه أهل البلاء والنصيحة فإن أظهر الله فذاك ما تحب وإن تكن الأخرى كنت ردءاً للناس ومثابة للمسلمين) إنك يا عمر إن سرت إلى العدو بنفسك ودارت المعركة بيننا وبينهم فأصبت وقتلت لم يبق للمسلمين بعدك عاصم أو ضابط يضبطهم ويهدأ أعصابهم بل إنهم سينهزمون إلى أقصى حدود بلاد الإسلام إذ ليس بعدك خليفة قائم فعلاً ولا منصوب الآن فإن شئت النصيحة فابعث رجلاً صاحب حرب قد تمرس عليها وخاض غمارها صادقاً في نيته مشهود له في وقائعه وادفع معه أقرانه من أهل الحرب والأبطال المنظور إليهم شجاعة وقوة وسداد رأي فإن نصر الله المسلمين وظهروا على عدوهم فكانت إرادة الله وما يحبه المسلمون وإن كانت الهزيمة والإنكسار كنت لهم عوناً ومرجعاً يعودون إليه في تدبير أمورهم ونظم صفوفهم ويبقى هناك من يجتمعون حوله لإعادة الكرة على عدوهم ولا تسقط هيبة المسلمين من أعين الكفار . . .

الشرح

(وقد توكل الله لأهل هذا الدين بإعزاز الحوزة وستر العورة والذي نصرهم وهم قليل لا ينتصرون ومنعهم وهم قليل لا يمتنعون حي لا يموت) أراد عمر بن الخطاب أن يمشي بنفسه لغزو الروم فاستشار الإمام علي عليه السلام فأشار عليه بهذه الكمات التي تنضح بالنصح لأن فيها قوة الإسلام وعزته وقد كان عليه السلام ينظر إلى من يتولى الأمر من خلال الإسلام وكان كل شغله أن يبقى الإسلام عزيزاً كريماً محفوظ الجانب ولذا كان ينصح من تقدمه ويهديه إلى مواقع إعزاز الدين ولم يبخل بنصيحة ترفع من شأن الإسلام أو تدفع عنه السوء . . .

وهذه الكلمات منه في هذا المقام إحدى عينات النصح وأظهر أفراد الحيطة للإسلام والدفاع عنه وقد قدم لذلك مقدمة رد المخاطب إلى الله وذكره بالأيام الأولى على عهد النبي صلى الله عليه وآله وأن الله هو الذي تولى لأهل هذا الدين إعزاز دينه بحفظ مواقع المسلمين وديارهم وستر عليهم بعض الثغرات التي يمكن أن يتسلل منها العدو والتي يمكن أن تؤدي إلى خلل أو اضطراب في صفوفهم وأن الله الذي نصرهم وهم قلة لا يقدرون على النصر بحسب موازين أهل الأرض ومنع عنهم أذى المشركين وهم غير قادرين على أن يمتنعوا منهم إنه حي قادر على أن يكتب النصر لنا ويمنع الأعداء عنا الآن . . .

(إنك متى تسر إلى هذا العدو بنفسك فتلقهم فتنكب لا تكن للمسلمين كانفة دون أقصى بلادهم ليس بعدك مرجع يرجعون إليه فابعث إليهم رجلاً محرباً واحفز معه أهل البلاء والنصيحة فإن أظهر الله فذاك ما تحب وإن تكن الأخرى كنت ردءاً للناس ومثابة للمسلمين) إنك يا عمر إن سرت إلى العدو بنفسك ودارت المعركة بيننا وبينهم فأصبت وقتلت لم يبق للمسلمين بعدك عاصم أو ضابط يضبطهم ويهدأ أعصابهم بل إنهم سينهزمون إلى أقصى حدود بلاد الإسلام إذ ليس بعدك خليفة قائم فعلاً ولا منصوب الآن فإن شئت النصيحة فابعث رجلاً صاحب حرب قد تمرس عليها وخاض غمارها صادقاً في نيته مشهود له في وقائعه وادفع معه أقرانه من أهل الحرب والأبطال المنظور إليهم شجاعة وقوة وسداد رأي فإن نصر الله المسلمين وظهروا على عدوهم فكانت إرادة الله وما يحبه المسلمون وإن كانت الهزيمة والإنكسار كنت لهم عوناً ومرجعاً يعودون إليه في تدبير أمورهم ونظم صفوفهم ويبقى هناك من يجتمعون حوله لإعادة الكرة على عدوهم ولا تسقط هيبة المسلمين من أعين الكفار . . .

لعثمان: أنا أكفيك علياً فذهب إلى الإمام وأخذ يهدده بسلطان عثمان فأجابه الإمام بهذه الكلمات التي بينت حقيقته وصغّرت شأنه فذكر أصله الخبيث وأن أباه ملعون على لسان رسول الله لأنه من المنافقين وكذلك أبتر أي المقطوع عن كل خير أو لأن أولاده لا خير فيهم ومن لم يكن في أولاده من الخير شيء فهو أبتر مقطوع لأنه بحكم من لا أولاد له. . .

ثم وصفه بأنه من شجرة خبيثة ليس لها أصل تثبت عليه ولا فرع تحمل عليه طيب الثمار فأبوه فاسد منافق وهو ومن وراءه خبيث نكد. . .

ثم استفهم مستحقراً له أأنت تقف في وجهي وتردّ عليَ كلامي بئس الرجل أنت ثم أقسم عليه السلام أن الله لا يعز من نصره هذا الرجل ولا ينهض من كبوة أو تقال عثرة من أراد إنهاضه والأخذ بيده لأن هذا الرجل ليس لله في عمله نصيب ولا ينصر أولياء الله حتى ينصر الله من ينصره هذه.

ثم انتهره وطرده وأمره بالخروج ودعا عليه بأن يبعد الله غربته وداره. . .

وفي الختام قال له: اعمل قدرتك وطاقتك وما في وسعك ولا رحمك الله ولا رعاك إن أبقيت عليّ حياتي ورحمتني.

لعثمان: أنا أكفيك علياً فذهب إلى الإمام وأخذ يهدده بسلطان عثمان فأجابه الإمام بهذه الكلمات التي بينت حقيقته وصغّرت شأنه فذكر أصله الخبيث وأن أباه ملعون على لسان رسول الله لأنه من المنافقين وكذلك أبتر أي المقطوع عن كل خير أو لأن أولاده لا خير فيهم ومن لم يكن في أولاده من الخير شيء فهو أبتر مقطوع لأنه بحكم من لا أولاد له . . .

ثم وصفه بأنه من شجرة خبيثة ليس لها أصل تثبت عليه ولا فرع تحمل عليه طيب الثمار فأبوه فاسد منافق وهو ومن وراءه خبيث نكد . . .

ثم استفهم مستحقراً له أأنت تقف في وجهي وتردّ عليَ كلامي بئس الرجل أنت ثم أقسم عليه السلام أن الله لا يعز من نصره هذا الرجل ولا ينهض من كبوة أو تقال عثرة من أراد إنهاضه والأخذ بيده لأن هذا الرجل ليس لله في عمله نصيب ولا ينصر أولياء الله حتى ينصر الله من ينصره هذه.

ثم انتهره وطرده وأمره بالخروج ودعا عليه بأن يبعد الله غربته وداره . . .

وفي الختام قال له: اعمل قدرتك وطاقتك وما في وسعك ولا رحمك الله ولا رعاك إن أبقيت عليّ حياتي ورحمتني.

يستفيدوا من خلافته وينتفعوا من وجوده فقال لهم: لم تكن بيعتكم لي فلتة أي في ساعة صعبة وبدون تفكير منكم وإدراك لما أتولاه وما أقوم به وما هو دوري فيها وعملي... بل كنتم بكامل قواكم العقلية وإدراكاتكم فلذا يجب أن تتحملوا ما أريد ولا أريد إلا الصالح العام...

وهذا الكلام منه تعريض ببيعة أبي بكر التي تمت في ظروف غير اعتيادية اغتنمها أبو بكر لصالحه في غياب وعي المسلمين وعدم تماسكهم وعدم معرفتهم بما يخطط من بعض الناس للخلافة.

ثم أشار إلى المفارقة الصارخة بين ما يريد وما يريدون... لا جامع مشترك بينه وبينهم بل فرّقت الأهداف بينهم فهو يريدهم لله في نياتهم وفي عملهم وفي كل حركات حياتهم وأما هم فيريدونه لأنفسهم، يريدونه لمصالحهم ومآربهم الشخصية... يريدونه من أجل منافعهم وما يعود عليهم بالفائدة وشتان ما بين الإرادتين.

(أيها الناس أعينوني على أنفسكم وايم الله لأنصفن المظلوم من ظالمه ولأقودن الظالم بخزامته حتى أورده منهل الحق وإن كان كارهاً) خاطبهم وطلب معونتهم على أنفسهم بأن يلتزموا الحدود فيقيموا العدل والحق ويطبقوا الشريعة بحمل أنفسهم عليها...

ثم أقسم بالله يميناً صادقة أنه سيأخذ الحق من الظالم للمظلوم قهراً عنه ومهما كان الظالم متعالياً وصاحب قوة فإنه سيذلّله بالحق الذي فرضه الله عليه ويقوده إليه حتى يورده إلى الحق والعدل وإن كان كارهاً للحق ورافضاً له...

وهل تجد قائداً في التاريخ متعصباً للحق كعلي؟ وهل مرّت أمامك كلمات بعمق هذه الكلمات؟ وهل وقع نظرك على أحرف تحمل ثورة على الظالمين مثل هذه الكلمات..؟.

إنه علي نسيج وحده أحب العدل وضحى من أجله فعاش عند شهادته في قلوب أصحاب الحق والعدل...

يستفيدوا من خلافته وينتفعوا من وجوده فقال لهم: لم تكن بيعتكم لي فلتة أي في ساعة صعبة وبدون تفكير منكم وإدراك لما أتولاه وما أقوم به وما هو دوري فيها وعملي... بل كنتم بكامل قواكم العقلية وإدراكاتكم فلذا يجب أن تتحملوا ما أريد ولا أريد إلا الصالح العام...

وهذا الكلام منه تعريض ببيعة أبي بكر التي تمت في ظروف غير اعتيادية اغتنمها أبو بكر لصالحه في غياب وعي المسلمين وعدم تماسكهم وعدم معرفتهم بما يخطط من بعض الناس للخلافة.

ثم أشار إلى المفارقة الصارخة بين ما يريد وما يريدون... لا جامع مشترك بينه وبينهم بل فرّقت الأهداف بينهم فهو يريدهم لله في نياتهم وفي عملهم وفي كل حركات حياتهم وأما هم فيريدونه لأنفسهم، يريدونه لمصالحهم ومآربهم الشخصية... يريدونه من أجل منافعهم وما يعود عليهم بالفائدة وشتان ما بين الإرادتين.

(**أيها الناس أعينوني على أنفسكم وايم الله لأنصفن المظلوم من ظالمه ولأقودن الظالم بخزامته حتى أورده منهل الحق وإن كان كارهاً**) خاطبهم وطلب معونتهم على أنفسهم بأن يلتزموا الحدود فيقيموا العدل والحق ويطبقوا الشريعة بحمل أنفسهم عليها...

ثم أقسم بالله يميناً صادقة أنه سيأخذ الحق من الظالم للمظلوم قهراً عنه ومهما كان الظالم متعالياً وصاحب قوة فإنه سيذلّله بالحق الذي فرضه الله عليه ويقوده إليه حتى يورده إلى الحق والعدل وإن كان كارهاً للحق ورافضاً له...

وهل تجد قائداً في التاريخ متعصباً للحق كعلي؟ وهل مرّت أمامك كلمات بعمق هذه الكلمات؟ وهل وقع نظرك على أحرف تحمل ثورة على الظالمين مثل هذه الكلمات..؟.

إنه علي نسيج وحده أحب العدل وضحى من أجله فعاش عند شهادته في قلوب أصحاب الحق والعدل...

اللغة

١ ـ النصف : محركة الإنصاف والعدل.
٢ ـ الطلبة : بكسر اللام المطلوب.
٣ ـ التلبيس : التخليط والتدليس.
٤ ـ الفئة : الجماعة.
٥ ـ الباغية : المعتدية.
٦ ـ الحمأ : الطين الأسود المنتن والحما بألف مقصور مطلق القريب والنسيب.
٧ ـ الحمة : العقرب وكل شيء يلسع أو يلدغ.
٨ ـ أغدفت : المرأة قناعها إذا أرسلته على وجهها.
٩ ـ زاح : بعُد وذهب.
١٠ ـ النصاب : المرجع والأصل.
١١ ـ الشغب : تهيج الشر.
١٢ ـ لأفرطن : لأملأن والفرط بالتحريك السبق.
١٣ ـ الماتح : المستقي من فوق.
١٤ ـ لا يصدرون : عنه لا يرجعون.
١٥ ـ الري : الإرتواء من الماء.
١٦ ـ العب : شرب الماء من غير مص.
١٧ ـ الحسي : بفتح الحاء وتكسر سهل من الأرض يستنقع فيه الماء.
١٨ ـ العوذ : بضم العين جمع عائذة الحديثات النتاج من النوق أو من كل أنثى.
١٩ ـ المطافيل : جمع المطفل وهي ذات الطفل من الأنس والوحش.
٢٠ ـ نكث : العهد أو البيع إذا نقضه ونبذه.
٢١ ـ التأليب : الإفساد والتحريض.
٢٢ ـ أحكم : الشيء أتقنه.
٢٣ ـ أبرم : الأمر أحكمه والحبل جعله طاقين ثم فتله.
٢٤ ـ أستثبتهما : طلبت منهما أن يثوبا أي يرجعا.
٢٥ ـ استأنيت : من الأناة وهي الانتظار.
٢٦ ـ الوقاع : النزال إلى الحرب.
٢٧ ـ غمط : النعمة جحدها وحقّرها.

اللغة

١ ـ النصف : محركة الإنصاف والعدل.
٢ ـ الطلبة : بكسر اللام المطلوب.
٣ ـ التلبيس : التخليط والتدليس.
٤ ـ الفئة : الجماعة.
٥ ـ الباغية : المعتدية.
٦ ـ الحمأ : الطين الأسود المنتن والحما بألف مقصور مطلق القريب والنسيب.
٧ ـ الحمة : العقرب وكل شيء يلسع أو يلدغ.
٨ ـ أغدفت : المرأة قناعها إذا أرسلته على وجهها.
٩ ـ زاح : بعُد وذهب.
١٠ ـ النصاب : المرجع والأصل.
١١ ـ الشغب : تهيج الشر.
١٢ ـ لأفرطن : لأملأن والفرط بالتحريك السبق.
١٣ ـ الماتح : المستقي من فوق.
١٤ ـ لا يصدرون : عنه لا يرجعون.
١٥ ـ الري : الإرتواء من الماء.
١٦ ـ العب : شرب الماء من غير مص.
١٧ ـ الحسي : بفتح الحاء وتكسر سهل من الأرض يستنقع فيه الماء.
١٨ ـ العوذ : بضم العين جمع عائذة الحديثات النتاج من النوق أو من كل أنثى.
١٩ ـ المطافيل : جمع المطفل وهي ذات الطفل من الأنس والوحش.
٢٠ ـ نكث : العهد أو البيع إذا نقضه ونبذه.
٢١ ـ التأليب : الإفساد والتحريض.
٢٢ ـ أحكم : الشيء أتقنه.
٢٣ ـ أبرم : الأمر أحكمه والحبل جعله طاقين ثم فتله.
٢٤ ـ أستثبتهما : طلبت منهما أن يثوبا أي يرجعا.
٢٥ ـ استأنيت : من الأناة وهي الانتظار.
٢٦ ـ الوقاع : النزال إلى الحرب.
٢٧ ـ غمط : النعمة جحدها وحقّرها.

فإن لهم نصيبهم منه فلا يجوز والحالة هذه أن يطلبوا بدمه وهم شركاء فيه . . .

وأما إذا ولووه دوني فهم المطلوبون دون غيرهم فإذا أرادوا أن يكونوا حكاماً عدولاً فعليهم أن يبدأوا بأنفسهم فيحاسبوها ويقتصوا منها ثم يعدلوا بعدها إلى من اتهموه ورموه بدم عثمان . . .

(إن معي لبصيرتي ما لبست ولا لبسَ علي، وإنها للفئة الباغية فيها الحمأ والحمة والشبهة المغدقة وأن الأمر لواضح وقد زاح الباطل عن نصابه وانقطع لسانه عن شغبه) إني على رؤية كاملة من الأمر معي عقلي الذي يهديني إلى الحق ما دلستُ على أحد من الناس ولا موهتُ عليهم الأمور كما أنه لا أحد يستطيع أن يموه الأمور عليّ أو يشوشها ثم أشار إلى أنها الفئة الباغية المعهودة التي يترقبها منذ زمن طويل . . . إنها هي الفئة التي أخبر بها النبي . . . إنها الفئة الناكثة للبيعة التي ستقاتل علياً وفيها الحمأ والحمة والشبهة المغدفة قال الشيخ محمد عبده: المراد بالحما هنا مطلق القريب والنسيب وهو كناية عن الزبير فإنه من قرابة النبي صلى الله عليه وآله وابن عمته قالوا: وكان النبي أخبر علياً أنه ستبغي عليه فئة فيها بعض أحمائه وإحدى زوجاته والحمة بضم ففتح كناية عنها وأصلها الحية أو الإبرة اللاسعة من الهوام والله أعلم . . . انتهى . . .

وأراد بالشبهة المغدفة يعني أن شبهة الطلب بدم عثمان شبهة ساترة للحق حيث لم يعلم الناس الحقيقة فساروا مع الناكثين في غفلة عن الحقيقة . . .

ثم أشار إلى وضوح الأمر بأن هذه الجماعة التي خرجت هي الفئة الناكثة التي سبق الخبر عنها وقد انقلع الباطل من مغرسه فلا أساس لما ادعوا من الباطل كما أن حجتهم خرست وتعطلت عن إثارة الشر وتحريكه لوضوح فساد ما هم عليه وباطل ما يمشون فيه . . .

(وايم الله لأفرطن لهم حوضاً أنا ماتحه لا يصدرون عنه بري ولا يعبون بعده في حسي) أقسم بالله تهديداً لهم وتخويفاً أنه سيملأ لهم حوضاً هو نازح مائه لا يرجعون عنه بارتواء كما يرجع من يرد الماء كما أنهم لا يشربون بعده ماء بارداً أبداً وهذا كناية عن أنه سيوقدها حرباً ضروساً يعقبها قتلهم وهلاكهم ليس هي كسائر الحياض المعهودة التي إذا وردها الظمآن صدر عنها بري بل هم سيصدرون عنها مجزرين لا يشربون الماء البارد بعدها أبداً لأنهم يموتون ولا يبقون . . .

(فأقبلتم إليّ إقبال العوذ المطافيل على أولادها تقولون: البيعة البيعة، قبضت كفي فبسطتموها ونازعتكم يدي فجاذبتموها) هذه صورة تحكي تعلق الناس بالإمام ورجوعهم

فإن لهم نصيبهم منه فلا يجوز والحالة هذه أن يطلبوا بدمه وهم شركاء فيه . . .

وأما إذا ولووه دوني فهم المطلوبون دون غيرهم فإذا أرادوا أن يكونوا حكاماً عدولاً فعليهم أن يبدأوا بأنفسهم فيحاسبوها ويقتصوا منها ثم يعدلوا بعدها إلى من اتهموه ورموه بدم عثمان . . .

(إن معي لبصيرتي ما لبست ولا لبسَ علي، وإنها للفئة الباغية فيها الحمأ والحمة والشبهة المغدقة وأن الأمر لواضح وقد زاح الباطل عن نصابه وانقطع لسانه عن شغبه) إني على رؤية كاملة من الأمر معي عقلي الذي يهديني إلى الحق ما دلستُ على أحد من الناس ولا موهتُ عليهم الأمور كما أنه لا أحد يستطيع أن يموه الأمور عليّ أو يشوشها ثم أشار إلى أنها الفئة الباغية المعهودة التي يترقبها منذ زمن طويل . . . إنها هي الفئة التي أخبر بها النبي . . . إنها الفئة الناكثة للبيعة التي ستقاتل علياً وفيها الحمأ والحمة والشبهة المغدفة قال الشيخ محمد عبده: المراد بالحما هنا مطلق القريب والنسيب وهو كناية عن الزبير فإنه من قرابة النبي صلى الله عليه وآله وابن عمته قالوا: وكان النبي أخبر علياً أنه ستبغي عليه فئة فيها بعض أحمائه وإحدى زوجاته والحمة بضم ففتح كناية عنها وأصلها الحية أو الإبرة اللاسعة من الهوام والله أعلم . . . انتهى . . .

وأراد بالشبهة المغدفة يعني أن شبهة الطلب بدم عثمان شبهة ساترة للحق حيث لم يعلم الناس الحقيقة فساروا مع الناكثين في غفلة عن الحقيقة . . .

ثم أشار إلى وضوح الأمر بأن هذه الجماعة التي خرجت هي الفئة الناكثة التي سبق الخبر عنها وقد انقلع الباطل من مغرسه فلا أساس لما ادعوا من الباطل كما أن حجتهم خرست وتعطلت عن إثارة الشر وتحريكه لوضوح فساد ما هم عليه وباطل ما يمشون فيه . . .

(وايم الله لأفرطن لهم حوضاً أنا ماتحه لا يصدرون عنه بري ولا يعبون بعده في حسي) أقسم بالله تهديداً لهم وتخويفاً أنه سيملأ لهم حوضاً هو نازح مائه لا يرجعون عنه بارتواء كما يرجع من يرد الماء كما أنهم لا يشربون بعده ماء بارداً أبداً وهذا كناية عن أنه سيوقدها حرباً ضروساً يعقبها قتلهم وهلاكهم ليس هي كسائر الحياض المعهودة التي إذا وردها الظمآن صدر عنها بري بل هم سيصدرون عنها مجزرين لا يشربون الماء البارد بعدها أبداً لأنهم يموتون ولا يبقون . . .

(فأقبلتم إليّ إقبال العوذ المطافيل على أولادها تقولون: البيعة البيعة، قبضت كفي فبسطتموها ونازعتكم يدي فجاذبتموها) هذه صورة تحكي تعلق الناس بالإمام ورجوعهم

١٣٨ ـ ومن كلام له عليه السلام

يومىء فيها إلى ذكر الملاحم

يَعْطِفُ[١] الهَوَى[٢] عَلَى الهُدَى، إِذَا عَطَفُوا الهُدَى عَلَى الهَوَى، وَيَعْطِفُ الرَّأْيَ عَلَى القُرْآنِ إِذَا عَطَفُوا القُرْآنَ عَلَى الرَّأْيَ.

ومنها: حَتَّى تَقُومَ الحَرْبُ بِكُمْ عَلَى سَاقٍ[٣]، بَادِياً[٤] نَوَاجِذُهَا[٥]، مَمْلُوءَةً أَخْلاَفُهَا[٦]، حُلْواً رَضَاعُهَا، عَلْقَماً[٧] عَاقِبَتُهَا. أَلاَ وَفِي غَدٍ ـ وَسَيَأْتِي غَدٌ بِمَا لاَ تَعْرِفُونَ ـ يَأْخُذُ الوَالِي مِنْ غَيْرِهَا عُمَّالَهَا عَلَى مَسَاوِىءِ أَعْمَالِهَا، وَتُخْرِجُ لَهُ الأَرْضُ أَفَالِيذَ[٨] كَبِدِهَا، وَتُلْقِي إِلَيْهِ سِلْماً مَقَالِيدَهَا[٩]، فَيُرِيكُمْ كَيْفَ عَدْلُ السِّيرَةِ، وَيُحْيِي مَيِّتَ الكِتَابِ وَالسُّنَّةِ.

منها: كَأَنِّي بِهِ قَدْ نَعَقَ[١٠] بِالشَّامِ، وَفَحَصَ[١١] بِرَايَاتِهِ فِي ضَوَاحِي كُوفَانَ[١٢]، فَعَطَفَ[١٣] عَلَيْهَا عَطْفَ الضَّرُوسِ[١٤]، وَفَرَشَ الأَرْضَ بِالرُّؤُوسِ. قَدْ فَغَرَتْ فَاغِرَتُهُ[١٥]، وَثَقُلَتْ فِي الأَرْضِ وَطْأَتُهُ[١٦]، بَعِيدَ الجَوْلَةِ، عَظِيمَ الصَّوْلَةِ[١٧]. وَاللهِ لَيُشَرِّدَنَّكُمْ[١٨] فِي أَطْرَافِ الأَرْضِ حَتَّى لاَ يَبْقَى مِنْكُمْ إِلاَّ قَلِيلٌ، كَالكُحْلِ[١٩] فِي العَيْنِ، فَلاَ تَزَالُونَ كَذلِكَ، حَتَّى تَؤُوبَ[٢٠] إِلَى العَرَبِ عَوَازِبُ[٢١] أَحْلاَمِهَا! فَالْزَمُوا السُّنَنَ[٢٢] القَائِمَةَ، وَالآثَارَ البَيِّنَةَ، وَالعَهْدَ القَرِيبَ الَّذِي عَلَيْهِ بَاقِي النُّبُوَّةِ. وَاعْلَمُوا أَنَّ الشَّيْطَانَ إِنَّمَا يُسَنِّي[٢٣] لَكُمْ طُرُقَهُ لِتَتَّبِعُوا عَقِبَهُ[٢٤].

١٣٨ ـ ومن كلام له عليه السلام

يومىء فيها إلى ذكر الملاحم

يَعْطِفُ[١] الهَوَى[٢] عَلَى الهُدَى، إِذَا عَطَفُوا الهُدَى عَلَى الهَوَى، وَيَعْطِفُ الرَّأْيَ عَلَى القُرْآنِ إِذَا عَطَفُوا القُرْآنَ عَلَى الرَّأْيَ.

ومنها: حَتَّى تَقُومَ الحَرْبُ بِكُمْ عَلَى سَاقٍ[٣]، بَادِياً[٤] نَوَاجِذُهَا[٥]، مَمْلُوءَةً أَخْلاَفُهَا[٦]، حُلْواً رَضَاعُهَا، عَلْقَماً[٧] عَاقِبَتُهَا. أَلاَ وَفِي غَدٍ ـ وَسَيَأْتِي غَدٌ بِمَا لاَ تَعْرِفُونَ ـ يَأْخُذُ الوَالِي مِنْ غَيْرِهَا عُمَّالَهَا عَلَى مَسَاوِىءِ أَعْمَالِهَا، وَتُخْرِجُ لَهُ الأَرْضُ أَفَالِيذَ[٨] كَبِدِهَا، وَتُلْقِي إِلَيْهِ سِلْماً مَقَالِيدَهَا[٩]، فَيُرِيكُمْ كَيْفَ عَدْلُ السِّيرَةِ، وَيُحْيِي مَيِّتَ الكِتَابِ وَالسُّنَّةِ.

منها: كَأَنِّي بِهِ قَدْ نَعَقَ[١٠] بِالشَّامِ، وَفَحَصَ[١١] بِرَايَاتِهِ فِي ضَوَاحِي كُوفَانَ[١٢]، فَعَطَفَ[١٣] عَلَيْهَا عَطْفَ الضَّرُوسِ[١٤]، وَفَرَشَ الأَرْضَ بِالرُّؤُوسِ. قَدْ فَغَرَتْ فَاغِرَتُهُ[١٥]، وَثَقُلَتْ فِي الأَرْضِ وَطْأَتُهُ[١٦]، بَعِيدَ الجَوْلَةِ، عَظِيمَ الصَّوْلَةِ[١٧]. وَاللهِ لَيُشَرِّدَنَّكُمْ[١٨] فِي أَطْرَافِ الأَرْضِ حَتَّى لاَ يَبْقَى مِنْكُمْ إِلاَّ قَلِيلٌ، كَالكُحْلِ[١٩] فِي العَيْنِ، فَلاَ تَزَالُونَ كَذلِكَ، حَتَّى تَؤُوبَ[٢٠] إِلَى العَرَبِ عَوَازِبُ[٢١] أَحْلاَمِهَا! فَالْزَمُوا السُّنَنَ[٢٢] القَائِمَةَ، وَالآثَارَ البَيِّنَةَ، وَالعَهْدَ القَرِيبَ الَّذِي عَلَيْهِ بَاقِي النُّبُوَّةِ. وَاعْلَمُوا أَنَّ الشَّيْطَانَ إِنَّمَا يُسَنِّي[٢٣] لَكُمْ طُرُقَهُ لِتَتَّبِعُوا عَقِبَهُ[٢٤].

على الأمة وما يمر عليها من غرائب الحوادث وابتدأ بذكر الإمام المهدي المنتظر الذي بشر به النبي صلى الله عليه وآله وجاءت عنه الأخبار بظهوره في آخر الزمان وقد ثبت أنه الإمام محمد بن الحسن العسكري الذي هو الإمام الثاني عشر من أئمة أهل البيت ومن خصوصياته أنه يجعل الهوى وما ترغب فيه النفس تابعاً للهدى والحق الذي يريده الله وإن كان غيره من أئمة الضلال على عكس ذلك حيث يعطفون الهدى على الهوى أي يجعلون الهدى تابعاً لأهوائهم وشهواتهم وبعبارة أخرى أئمة الضلال يطوعون الحق وينحرفون به حتى يوافق هواهم بينما هو يطوع هواه نحو الحق ويجعل الحق متبوعاً وهو تابع . . .

وكذلك يحمل رأيه ليوافق القرآن في وقت يحمل غيره القرآن على رأيه . . .

(حتى تقوم الحرب بكم على ساق بادياً نواجذها مملوءة أخلافها حلواً رضاعها علقماً عاقبتها) وهذا إخبار عن حرب تقع بعد زمانه إنها حرب شديدة قاسية ولقساوتها كشرت عن أنيابها كما يكشّر الأسد إذا غضب وأكد شدتها بأنها جاهزة بعتادها ورجالها . . . وإنها في أولها تكون مرغوبة لأنها تشفي القلوب ولما فيها من المغانم ولكن في آخرها تكون قتلاً وهلاكاً وإتلافاً للمال وخراباً للدار . . .

(ألا وفي غد ـ وسيأتي غد بما لا تعرفون ـ يأخذ الوالي من غيرها عمالها على مساوىء أعمالها وتخرج له الأرض أفاليذ كبدها وتلقي إليه سلماً مقاليدها فيريكم كيف عدل السيرة ويحيي ميت الكتاب والسنة) هذا إخبار عما يحمل الغد وأكده بذكر الغد أيضاً لبركته وعظمة ما يجري فيه . . . إنها إخبار بذكر بعض صفات الإمام المهدي وأعماله وما يقوم به . . . إنه سيخالف ما عليه ملوك الدنيا وما يقومون به . . . إنه من غير أولئك الملوك الذين تعهدهم البشرية ومن صفاته أنه يحاسب الأمراء والولاة وأصحاب المسؤولية عن كل عمل سيء يقومون به فليس في دولته جور ومن جار وظلم حوسب وعوقب . . .

وفي زمانه لعدله تخرج له الأرض ما فيها من خيرات فتشقق وتخرج كنوزها وما فيها . . . وكذلك يُعطى مفاتيح الأرض فكل الحكام والملوك يذعنون له ويستقبلونه لما يرون من عدله وقوته وسيفه .

وفي أيام حكمه يريكم كيف تكون الطريق العادلة في الحكم في الرعية وفي كل مجالات الحياة وأشواطها وعندها يحي تعاليم القرآن والسنة التي أجهز عليها الظالمون فعطلوها ومنعوها من أن تحكم الحياة . . . إن الإمام المهدي يحكم بالقرآن والسنة وهذا هو إحياء لهما وأما الظالمون فإنهم عطلوا الحكم بهما فأماتوهما . . .

على الأمة وما يمر عليها من غرائب الحوادث وابتدأ بذكر الإمام المهدي المنتظر الذي بشر به النبي صلى الله عليه وآله وجاءت عنه الأخبار بظهوره في آخر الزمان وقد ثبت أنه الإمام محمد بن الحسن العسكري الذي هو الإمام الثاني عشر من أئمة أهل البيت ومن خصوصياته أنه يجعل الهوى وما ترغب فيه النفس تابعاً للهدى والحق الذي يريده الله وإن كان غيره من أئمة الضلال على عكس ذلك حيث يعطفون الهدى على الهوى أي يجعلون الهدى تابعاً لأهوائهم وشهواتهم وبعبارة أخرى أئمة الضلال يطوعون الحق وينحرفون به حتى يوافق هواهم بينما هو يطوع هواه نحو الحق ويجعل الحق متبوعاً وهو تابع . . .

وكذلك يحمل رأيه ليوافق القرآن في وقت يحمل غيره القرآن على رأيه . . .

(حتى تقوم الحرب بكم على ساق بادياً نواجذها مملؤة أخلافها حلواً رضاعها علقماً عاقبتها) وهذا إخبار عن حرب تقع بعد زمانه إنها حرب شديدة قاسية ولقساوتها كشرت عن أنيابها كما يكشّر الأسد إذا غضب وأكد شدتها بأنها جاهزة بعتادها ورجالها . . . وإنها في أولها تكون مرغوبة لأنها تشفي القلوب ولما فيها من المغانم ولكن في آخرها تكون قتلاً وهلاكاً وإتلافاً للمال وخراباً للدار . . .

(ألا وفي غد ـ وسيأتي غد بما لا تعرفون ـ يأخذ الوالي من غيرها عمالها على مساوىء أعمالها وتخرج له الأرض أفاليذ كبدها وتلقي إليه سلماً مقاليدها فيريكم كيف عدل السيرة ويحيي ميت الكتاب والسنة) هذا إخبار عما يحمل الغد وأكده بذكر الغد أيضاً لبركته وعظمة ما يجري فيه . . . إنها إخبار بذكر بعض صفات الإمام المهدي وأعماله وما يقوم به . . . إنه سيخالف ما عليه ملوك الدنيا وما يقومون به . . . إنه من غير أولئك الملوك الذين تعهدهم البشرية ومن صفاته أنه يحاسب الأمراء والولاة وأصحاب المسؤولية عن كل عمل سيء يقومون به فليس في دولته جور ومن جار وظلم حوسب وعوقب . . .

وفي زمانه لعدله تخرج له الأرض ما فيها من خيرات فتشقق وتخرج كنوزها وما فيها . . . وكذلك يُعطى مفاتيح الأرض فكل الحكام والملوك يذعنون له ويستقبلونه لما يرون من عدله وقوته وسيفه .

وفي أيام حكمه يريكم كيف تكون الطريق العادلة في الحكم في الرعية وفي كل مجالات الحياة وأشواطها وعندها يحي تعاليم القرآن والسنة التي أجهز عليها الظالمون فعطلوها ومنعوها من أن تحكم الحياة . . . إن الإمام المهدي يحكم بالقرآن والسنة وهذا هو إحياء لهما وأما الظالمون فإنهم عطلوا الحكم بهما فأماتوهما . . .

١٣٩ ـ ومن كلام له عليه السلام

في وقت الشورى

لَنْ يُسْرِعَ أَحَدٌ قَبْلِي إِلَى دَعْوَةِ حَقٍّ، وَصِلَةِ رَحِمٍ[١]، وَعَائِدَةِ[٢] كَرَمٍ. فَاسْمَعُوا قَوْلِي، وَعُوا[٣] مَنْطِقِي؛ عَسَى أَنْ تَرَوْا هذَا الأَمْرَ مِنْ بَعْدِ هذَا اليَوْمِ تُنْتَضَى[٤] فِيهِ السُّيُوفُ، وَتُخَانُ فِيهِ العُهُودُ، حَتَّى يَكُونَ بَعْضُكُمْ أَئِمَّةً لأَهْلِ الضَّلاَلَةِ، وَشِيعَةً لأَهْلِ الجَهَالَةِ.

اللغة

١ ـ الرحم : في الأصل مكان نشأة الجنين في بطن الأم والمقصود هنا القرابة.
٢ ـ العائدة : الصلة والمعروف والمنفعة.
٣ ـ وعوا : أمر مفرده عِ من وعى الحديث إذا حفظه وتدبره.
٤ ـ تُنتضى : تُسل.

الشرح

(لن يسرع أحد قبلي إلى دعوة حق وصلة رحم وعائدة كرم فاسمعوا قولي وعوا منطقي عسى أن تروا هذا الأمر من بعد هذا اليوم تنتضى فيه السيوف وتخان فيه العهود حتى يكون بعضكم أئمة لأهل الضلالة وشيعة لأهل الجهالة) هذا الكلام منه عليه السلام كان لأهل الشورى بعد أن طُعن عمر ومات ذكّرهم ببعض فضائله لعلهم إلى الحق يلتفتون وإليه ينظرون.

ذكّرهم أنه أول من يستجيب لدعوة الحق وأول سابق لها وهذا يثبت أنه على الحق من جهة وأن غيره إذا فارقه كان على الباطل.

١٣٩ ـ ومن كلام له عليه السلام

في وقت الشورى

لَنْ يُسْرِعَ أَحَدٌ قَبْلِي إِلَى دَعْوَةِ حَقٍّ، وَصِلَةِ رَحِمٍ[١]، وَعَائِدَةِ[٢] كَرَمٍ. فَاسْمَعُوا قَوْلِي، وَعُوا[٣] مَنْطِقِي؛ عَسَى أَنْ تَرَوْا هذَا الأَمْرَ مِنْ بَعْدِ هذَا اليَوْمِ تُنْتَضَى[٤] فِيهِ السُّيُوفُ، وَتُخَانُ فِيهِ العُهُودُ، حَتَّى يَكُونَ بَعْضُكُمْ أَئِمَّةً لأَهْلِ الضَّلاَلَةِ، وَشِيعَةً لأَهْلِ الجَهَالَةِ.

اللغة

١ ـ الرحم : في الأصل مكان نشأة الجنين في بطن الأم والمقصود هنا القرابة.
٢ ـ العائدة : الصلة والمعروف والمنفعة.
٣ ـ وعوا : أمر مفرده عِ من وعى الحديث إذا حفظه وتدبره.
٤ ـ تُنتضى : تُسل.

الشرح

(لن يسرع أحد قبلي إلى دعوة حق وصلة رحم وعائدة كرم فاسمعوا قولي وعوا منطقي عسى أن تروا هذا الأمر من بعد هذا اليوم تنتضى فيه السيوف وتخان فيه العهود حتى يكون بعضكم أئمة لأهل الضلالة وشيعة لأهل الجهالة) هذا الكلام منه عليه السلام كان لأهل الشورى بعد أن طعن عمر ومات ذكّرهم ببعض فضائله لعلهم إلى الحق يلتفتون وإليه ينظرون.

ذكّرهم أنه أول من يستجيب لدعوة الحق وأول سابق لها وهذا يثبت أنه على الحق من جهة وأن غيره إذا فارقه كان على الباطل.

١٤٠ ـ ومن كلام له عليه السلام

في النهي عن غيبة الناس

وَإِنَّمَا يَنْبَغِي لأَهْلِ العِصْمَةِ[١] وَالمَصْنُوعِ[٢] إِلَيْهِمْ فِي السَّلاَمَةِ أَنْ يَرْحَمُوا أَهْلَ الذُّنُوبِ وَالمَعْصِيَةِ، وَيَكُونَ الشُّكْرُ هُوَ الغَالِبَ عَلَيْهِمْ، وَالحَاجِزَ لَهُمْ عَنْهُمْ، فَكَيْفَ بِالعَائِبِ الَّذِي عَابَ أَخَاهُ وَعَيَّرَهُ[٣] بِبَلْوَاهُ[٤]! أَمَا ذَكَرَ مَوْضِعَ سَتْرِ اللهِ عَلَيْهِ مِنْ ذُنُوبِهِ مِمَّا هُوَ أَعْظَمُ مِنَ الذَّنْبِ الَّذِي عَابَهُ بِهِ! وَكَيْفَ يَذُمُّهُ بِذَنْبٍ قَدْ رَكِبَ مِثْلَهُ! فَإِنْ لَمْ يَكُنْ رَكِبَ ذلِكَ الذَّنْبَ بِعَيْنِهِ فَقَدْ عَصَى اللهَ فِيمَا سِوَاهُ، مِمَّا هُوَ أَعْظَمُ مِنْهُ. وَايْمُ اللهِ لَئِنْ لَمْ يَكُنْ عَصَاهُ فِي الكَبِيرِ، وَعَصَاهُ فِي الصَّغِيرِ، لَجَرَاءَتُهُ عَلَى عَيْبِ النَّاسِ أَكْبَرُ!.

يَا عَبْدَ اللهِ، لاَ تَعْجَلْ فِي عَيْبِ أَحَدٍ بِذَنْبِهِ، فَلَعَلَّهُ مَغْفُورٌ لَهُ، وَلاَ تَأْمَنْ عَلَى نَفْسِكَ صَغِيرَ مَعْصِيَةٍ، فَلَعَلَّكَ مُعَذَّبٌ عَلَيْهِ. فَلْيَكْفُفْ[٥] مَنْ عَلِمَ مِنْكُمْ عَيْبَ غَيْرِهِ لِمَا يَعْلَمُ مِنْ عَيْبِ نَفْسِهِ، وَلْيَكُنِ الشُّكْرُ شَاغِلاً لَهُ عَلَى مُعَافَاتِهِ[٦] مِمَّا ابْتُلِيَ بِهِ غَيْرُهُ.

اللغة

١ ـ العصمة : المنع، ملكة اجتناب المعاصي أو الخطأ.
٢ ـ المصنوع إليهم : من الصنيعة وهي الإحسان.
٣ ـ عيّره : بكذا ذكر عيوبه استهانة به.
٤ ـ البلوى : المصيبة.

١٤٠ ـ ومن كلام له عليه السلام

في النهي عن غيبة الناس

وَإِنَّمَا يَنْبَغِي لأَهْلِ العِصْمَةِ[١] وَالمَصْنُوعِ[٢] إِلَيْهِمْ فِي السَّلاَمَةِ أَنْ يَرْحَمُوا أَهْلَ الذُّنُوبِ وَالمَعْصِيَةِ، وَيَكُونَ الشُّكْرُ هُوَ الغَالِبَ عَلَيْهِمْ، وَالحَاجِزَ لَهُمْ عَنْهُمْ، فَكَيْفَ بِالعَائِبِ الَّذِي عَابَ أَخَاهُ وَعَيَّرَهُ[٣] بِبَلْوَاهُ[٤]! أَمَا ذَكَرَ مَوْضِعَ سَتْرِ اللهِ عَلَيْهِ مِنْ ذُنُوبِهِ مِمَّا هُوَ أَعْظَمُ مِنَ الذَّنْبِ الَّذِي عَابَهُ بِهِ! وَكَيْفَ يَذُمُّهُ بِذَنْبٍ قَدْ رَكِبَ مِثْلَهُ! فَإِنْ لَمْ يَكُنْ رَكِبَ ذلِكَ الذَّنْبَ بِعَيْنِهِ فَقَدْ عَصَى اللهَ فِيمَا سِوَاهُ، مِمَّا هُوَ أَعْظَمُ مِنْهُ. وَايْمُ اللهِ لَئِنْ لَمْ يَكُنْ عَصَاهُ فِي الكَبِيرِ، وَعَصَاهُ فِي الصَّغِيرِ، لَجَرَاءَتُهُ عَلَى عَيْبِ النَّاسِ أَكْبَرُ!.

يَا عَبْدَ اللهِ، لاَ تَعْجَلْ فِي عَيْبِ أَحَدٍ بِذَنْبِهِ، فَلَعَلَّهُ مَغْفُورٌ لَهُ، وَلاَ تَأْمَنْ عَلَى نَفْسِكَ صَغِيرَ مَعْصِيَةٍ، فَلَعَلَّكَ مُعَذَّبٌ عَلَيْهِ. فَلْيَكْفُفْ[٥] مَنْ عَلِمَ مِنْكُمْ عَيْبَ غَيْرِهِ لِمَا يَعْلَمُ مِنْ عَيْبِ نَفْسِهِ، وَلْيَكُنِ الشُّكْرُ شَاغِلاً لَهُ عَلَى مُعَافَاتِهِ[٦] مِمَّا ابْتُلِيَ بِهِ غَيْرُهُ.

اللغة

١ ـ العصمة : المنع، ملكة اجتناب المعاصي أو الخطأ.
٢ ـ المصنوع إليهم : من الصنيعة وهي الإحسان.
٣ ـ عيّره : بكذا ذكر عيوبه استهانة به.
٤ ـ البلوى : المصيبة.

غيره مما هو أعظم منه وهذا أولى بذم نفسه والكف عن غيره لأن جرمه أكبر وأعظم.

٣ ـ الصنف الثالث أنه ارتكب ذنباً أصغر مما ارتكبه غيره ولكن تجرأ عليه بالغيبة وهذا وإن كان ذنبه أصغر ولكن غيبته هذه فيها جرأة عظيمة على المعصية وهذه الجرأة على عيب الناس أكبر من كل كبيرة من حيث إقدامه على أمر يعلم ضرره الإجتماعي ويعلم أنه معصية يجب الاجتناب عنها...

(يا عبد الله لا تعجل في عيب أحد بذنبه فلعله مغفور له ولا تأمن على نفسك صغير معصية فلعلك معذب عليه، فليكفف من علم منكم عيب غيره لما يعلم من عيب نفسه وليكن الشكر شاغلاً له على معافاته مما ابتلي به غيره) نبّه ونهى أن يسرع الرجل في عيب أحد لذنب ارتكبه وبيّن هذا الاحتمال الذي يجري ويمكن أن يجري إذ لعل هذا الذنب من هذا الرجل مغفور له لأمر من الأمور التي لا نعلمها كأن يكون قد تاب وأناب أو تداركه بأمر يغفره ولكن فلينظر هذا الرجل إلى ما ارتكب من معصية ولو كانت صغيرة فلعلها لا تغفر ولا تأمن نفسك من عقابها وهذا أمر محتمل يجري في كل واحد منا فلعل ذنوبنا نعاقب عليها وإن كانت صغيرة وذنوب غيرنا مغفورة وإن كانت كبيرة وهذه طريقة تربوية رائعة ترد هذه النفس الجامحة إلى موقعها وتبلغ بها موطنها وتحسسها بعظيم معصيتها فتكف عن ذنوب الغير وتشتغل بذنوبها...

ثم أمرهم أن يكف كل واحد عن عيوب الناس لما يعلم من عيوب نفسه فيشتغل بعيوبه ويتوب منها ويصلحها ويترك غيره وشأنه دون أن يعيره بها أو يذمه عليها.

وليجعل الشكر شغلاً شاغلاً له على هذه النعمة التي عصمته عن المعصية التي ارتكبها غيره، فعافيته عن المعصية التي ارتكبها غيره تحتاج إلى شكر فليشغل نفسه بهذا الشكر...

غيره مما هو أعظم منه وهذا أولى بذم نفسه والكف عن غيره لأن جرمه أكبر وأعظم.

٣ ـ الصنف الثالث أنه ارتكب ذنباً أصغر مما ارتكبه غيره ولكن تجرأ عليه بالغيبة وهذا وإن كان ذنبه أصغر ولكن غيبته هذه فيها جرأة عظيمة على المعصية وهذه الجرأة على عيب الناس أكبر من كل كبيرة من حيث إقدامه على أمر يعلم ضرره الإجتماعي ويعلم أنه معصية يجب الاجتناب عنها. . .

(يا عبد الله لا تعجل في عيب أحد بذنبه فلعله مغفور له ولا تأمن على نفسك صغير معصية فلعلك معذب عليه، فليكفف من علم منكم عيب غيره لما يعلم من عيب نفسه وليكن الشكر شاغلاً له على معافاته مما ابتلي به غيره) نبّه ونهى أن يسرع الرجل في عيب أحد لذنب ارتكبه وبيّن هذا الاحتمال الذي يجري ويمكن أن يجري إذ لعل هذا الذنب من هذا الرجل مغفور له لأمر من الأمور التي لا نعلمها كأن يكون قد تاب وأناب أو تداركه بأمر يغفره ولكن فلينظر هذا الرجل إلى ما ارتكب من معصية ولو كانت صغيرة فلعلها لا تغفر ولا تأمن نفسك من عقابها وهذا أمر محتمل يجري في كل واحد منا فلعل ذنوبنا نعاقب عليها وإن كانت صغيرة وذنوب غيرنا مغفورة وإن كانت كبيرة وهذه طريقة تربوية رائعة ترد هذه النفس الجامحة إلى موقعها وتبلغ بها موطنها وتحسسها بعظيم معصيتها فتكف عن ذنوب الغير وتشتغل بذنوبها. . .

ثم أمرهم أن يكف كل واحد عن عيوب الناس لما يعلم من عيوب نفسه فيشتغل بعيوبه ويتوب منها ويصلحها ويترك غيره وشأنه دون أن يعيره بها أو يذمه عليها.

وليجعل الشكر شغلاً شاغلاً له على هذه النعمة التي عصمته عن المعصية التي ارتكبها غيره، فعافيته عن المعصية التي ارتكبها غيره تحتاج إلى شكر فليشغل نفسه بهذا الشكر. . .

قوله هذا فجمع أصابعه ووضعها بين أذنه وعينه وقال:

الباطل أن تقول سمعت والحق أن تقول رأيت) هذا الكلام منه عليه السلام نهي عن التسرع والعجلة في قبول ما يحكى عن الأخ صاحب العقيدة الصحيحة في الدين والاستقامة في السلوك فلا ينقض هذا اليقين بما نقلته إليه ألسنة بعض الناس إذ ربما أشاع الإعلام المغرض أمراً على هذا الأخ بقصد تشويه سمعته والحط من مكانته وهذا في زماننا ما أكثره فأنت تعرف شخصاً تعيش معه... تعرفه عن قرب بالتدين والإلتزام كما تعرفه بالاستقامة والسلوك الجيد فيأتي المغرضون وأصحاب الأهواء ومن في قلوبهم مرض يريدون تشويه سمعته فينقلون عنه أخباراً لا أصل لها ولا أساس فيروح السامع لها يفكر فيها وفي مقدار صحتها وقد تؤثر في نفسه وإذا تكررت قد توجب التصديق الذي أساسه الكذب والنفاق من هذا الناقل ولذا ينهى الإمام أن يستمع الرجل إلى أقاويل الرجال إذا عرف من أخيه عقيدة صحيحة والتزاماً شرعياً مستقيماً...

ثم ضرب لذلك مثلاً فقال: قد يرمي الرامي فلا يصيب الغرض وتخطىء السهام ويحيل الكلام فإن المتكلم قد يرمي هذا الأخ بعيب وهو ليس فيه فيكون كلامه غير مطابق للواقع ولا مصيب كالسهم الذي يرمى فلا يصيب الغرض ويكون الكلام باطلاً ولا حقيقة له.

ثم أردف هذا بالتهديد لما ينال من يشوّه سمعة الناس وأن هذا الباطل من الكلام يفسد ويبطل أمام الله والله يسمع ويرى ويحاسب على الأمور فيثيب على الحسنة ويعاقب على السيئة...

ثم بين الميزان الذي يفرق بين الحق والباطل فقال: أما إنه ليس بين الحق والباطل إلا أربع أصابع ولما لم يعرف السامع ما المراد بالأربع أصابع استفهم منه فما كان منه عليه السلام إلا أن جمع أصابعه ووضعها بين أذنه وعينه ثم قال: الباطل أن تقول: سمعت والحق أن تقول رأيت وذلك لأن الرؤية مشاهدة فعلية يقل فيها الخطأ بينما السماع قد يكون عن الكاذب والمغرض ومن في قلبه مرض ومن يحب تشويش الحقيقة أو كما يقال وما آفة الأخبار إلا رواتها وهكذا دواليك...

قوله هذا فجمع أصابعه ووضعها بين أذنه وعينه وقال:

الباطل أن تقول سمعت والحق أن تقول رأيت) هذا الكلام منه عليه السلام نهي عن التسرع والعجلة في قبول ما يحكى عن الأخ صاحب العقيدة الصحيحة في الدين والاستقامة في السلوك فلا ينقض هذا اليقين بما نقلته إليه ألسنة بعض الناس إذ ربما أشاع الإعلام المغرض أمراً على هذا الأخ بقصد تشويه سمعته والحط من مكانته وهذا في زماننا ما أكثره فأنت تعرف شخصاً تعيش معه... تعرفه عن قرب بالتدين والإلتزام كما تعرفه بالاستقامة والسلوك الجيد فيأتي المغرضون وأصحاب الأهواء ومن في قلوبهم مرض يريدون تشويه سمعته فينقلون عنه أخباراً لا أصل لها ولا أساس فيروح السامع لها يفكر فيها وفي مقدار صحتها وقد تؤثر في نفسه وإذا تكررت قد توجب التصديق الذي أساسه الكذب والنفاق من هذا الناقل ولذا ينهى الإمام أن يستمع الرجل إلى أقاويل الرجال إذا عرف من أخيه عقيدة صحيحة والتزاماً شرعياً مستقيماً...

ثم ضرب لذلك مثلاً فقال: قد يرمي الرامي فلا يصيب الغرض وتخطىء السهام ويحيل الكلام فإن المتكلم قد يرمي هذا الأخ بعيب وهو ليس فيه فيكون كلامه غير مطابق للواقع ولا مصيب كالسهم الذي يرمى فلا يصيب الغرض ويكون الكلام باطلاً ولا حقيقة له.

ثم أردف هذا بالتهديد لما ينال من يشوّه سمعة الناس وأن هذا الباطل من الكلام يفسد ويبطل أمام الله والله يسمع ويرى ويحاسب على الأمور فيثيب على الحسنة ويعاقب على السيئة...

ثم بين الميزان الذي يفرق بين الحق والباطل فقال: أما إنه ليس بين الحق والباطل إلا أربع أصابع ولما لم يعرف السامع ما المراد بالأربع أصابع استفهم منه فما كان منه عليه السلام إلا أن جمع أصابعه ووضعها بين أذنه وعينه ثم قال: الباطل أن تقول: سمعت والحق أن تقول رأيت وذلك لأن الرؤية مشاهدة فعلية يقل فيها الخطأ بينما السماع قد يكون عن الكاذب والمغرض ومن في قلبه مرض ومن يحب تشويش الحقيقة أو كما يقال وما آفة الأخبار إلا رواتها وهكذا دواليك...

الشرح

(وليس لواضع المعروف في غير حقه وعند غير أهله من الحظ فيما أتى إلا محمدة اللئام وثناء الاشرار ومقالة الجهال ما دام منعماً عليهم: ما أجود يده وهو عن ذات الله بخيل) هذا الكلام منه وارد في معرض ذم الواضع للمعروف في غير أهله كما أن فيه تعليم لبعض المواضع التي يجب أن يكون فيها . . .

ذكر أولاً أنه ليس لواضع المعروف ـ وهو المال ـ وإن كان بحسب المفهوم أعم ـ في غير أهله ولغير مستحقه ليس له من النصيب والحظ إلا ما يحمده عليه شرار الناس وسفلتهم واراذلهم ليس له عندهم ما دام منعماً عليهم إلا قولهم له ما أجود يده وإن كان في طاعة الله والتقرب إليه بخيل حيث لا يصرف شيئاً على عباد الله وخلقه . . .

ومن الجهل أن يتصرف بعض الناس بدافع المدح له والثناء فيبذل ماله ويعطيه لغير المستحق رجاء أن ينشروا عنه إنه كريم جواد وإنهم لخساستهم ودناءة احسابهم لا يحفظون الجميل ولا يرعون الحقوق فهم معه السنة مدح ونشر وثناء طالما يده تعطيهم وتغدق عليهم فإذا توقفت توقفوا عن ذكره والثناء عليه بل ربما حملوا عليه وذكروه بالقبيح لتوقف احسانه إليهم وهذا من سوء حظه وتعاسة وقته وقلة عقله وتدبيره . . . إنه أراد أن يتاجر مع الاشرار فلم ولن تربح تجارته ولن يدرك امنيته ولو كان يتقرب إلى الله بعمله ويقصد أهل الحاجة في عطائه لكانت تجارته رابحة في الدنيا ولآخرة . . .

وبعد هذا ذكر الإمام مواضع المعروف وإنه يجب على من أنعم الله عليه وأعطاه أن يضع المعروف فيها .

١ ـ يصل قرابته قال تعالى: **﴿واولو الارحام بعضهم أولى ببعض﴾** .

٢ ـ أن يحسن فيه الضيافة فإذا نزل به أحد أكرمه وأحسن إليه بتقديم الضيافة .

٣ ـ يفك به الأسير والعاني وهما شيء واحد مع اختلاف اللفظ .

٤ ـ وليعط منه الفقير المحتاج والغارم وهو المديون الذي يعجز عن وفاء دينه .

٥ ـ أن يحبس نفسه ويجبرها على دفع الحقوق المتوجبة عليه من خمس وزكاة ومن إنسان يقصده في دفع فدية أو دفع دية أو غير ذلك، فإنه إذا قام بذلك بدافع

الشرح

(وليس لواضع المعروف في غير حقه وعند غير أهله من الحظ فيما أتى إلا محمدة اللئام وثناء الاشرار ومقالة الجهال ما دام منعماً عليهم: ما أجود يده وهو عن ذات الله بخيل) هذا الكلام منه وارد في معرض ذم الواضع للمعروف في غير أهله كما أن فيه تعليم لبعض المواضع التي يجب أن يكون فيها...

ذكر أولاً أنه ليس لواضع المعروف ـ وهو المال ـ وإن كان بحسب المفهوم أعم ـ في غير أهله ولغير مستحقه ليس له من النصيب والحظ إلا ما يحمده عليه شرار الناس وسفلتهم واراذلهم ليس له عندهم ما دام منعماً عليهم إلا قولهم له ما أجود يده وإن كان في طاعة الله والتقرب إليه بخيل حيث لا يصرف شيئاً على عباد الله وخلقه...

ومن الجهل أن يتصرف بعض الناس بدافع المدح له والثناء فيبذل ماله ويعطيه لغير المستحق رجاء أن ينشروا عنه إنه كريم جواد وإنهم لخساستهم ودناءة احسابهم لا يحفظون الجميل ولا يرعون الحقوق فهم معه السنة مدح ونشر وثناء طالما يده تعطيهم وتغدق عليهم فإذا توقفت توقفوا عن ذكره والثناء عليه بل ربما حملوا عليه وذكروه بالقبيح لتوقف احسانه إليهم وهذا من سوء حظه وتعاسة رقته وقلة عقله وتدبيره... إنه أراد أن يتاجر مع الاشرار فلم ولن تربح تجارته ولن يدرك امنيته ولو كان يتقرب إلى الله بعمله ويقصد أهل الحاجة في عطائه لكانت تجارته رابحة في الدنيا والآخرة...

وبعد هذا ذكر الإمام مواضع المعروف وإنه يجب على من أنعم الله عليه وأعطاه أن يضع المعروف فيها.

١ ـ يصل قرابته قال تعالى: **﴿واولو الارحام بعضهم أولى ببعض﴾**.

٢ ـ أن يحسن فيه الضيافة فإذا نزل به أحد أكرمه وأحسن إليه بتقديم الضيافة.

٣ ـ يفك به الأسير والعاني وهما شيء واحد مع اختلاف اللفظ.

٤ ـ وليعط منه الفقير المحتاج والغارم وهو المديون الذي يعجز عن وفاء دينه.

٥ ـ أن يحبس نفسه ويجبرها على دفع الحقوق المتوجبة عليه من خمس وزكاة ومن إنسان يقصده في دفع فدية أو دفع دية أو غير ذلك، فإنه إذا قام بذلك بدافع

١٤٣ـ ومن خطبة له عليه السلام

في الاستسقاء

وفيه تنبيه العباد إلى وجوب استغاثة رحمة الله إذا حبس عنهم رحمة المطر

أَلاَ وَإِنَّ الأَرْضَ الَّتِي تُقِلُّكُمْ[١]، وَالسَّمَاءَ الَّتِي تُظِلُّكُمْ[٢]، مُطِيعَتَانِ لِرَبِّكُمْ، وَمَا أَصْبَحَتَا تجُودَانِ[٣] لَكُمْ ببَرَكَتِهِمَا تَوَجُّعاً[٤] لَكُمْ، وَلاَ زُلْفَةً[٥] إِلَيْكُمْ، وَلاَ لِخَيْرٍ تَرجُوَانِهِ منكُمْ، وَلكِنْ أُمِرَتَا بِمَنَافِعِكُمْ فَأَطَاعَتَا، وَأُقِيمَتَا عَلَى حُدُودِ مَصَالِحِكُمْ فَقَامَتَا.

إِنَّ اللهَ يَبْتَلِي[٦] عِبَادَهُ عِنْدَ الأَعْمَالِ السَّيِّئَةِ بِنَقْصِ الثَّمَرَاتِ، وَحَبْسِ ٱلْبَرَكَاتِ، وَإِغْلاَقِ خَزَائِنِ ٱلْخَيْرَاتِ، لِيَتُوبَ تَائِبٌ، وَيُقْلِعَ[٧] مُقْلِعٌ، وَيَتَذَكَّرَ مُتَذَكِّرٌ، وَيَزْدَجِرَ مُزْدَجِرٌ. وَقَدْ جَعَلَ اللهُ سُبْحَانَهُ ٱلإِسْتِغْفَارَ سَبَباً لِدُرُورِ الرِّزْقِ وَرَحْمَةِ الْخَلْقِ، فَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿**ٱسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّاراً. يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَاراً**[٨]. **وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَاراً**﴾. فَرَحِمَ اللهُ أَمْرأً ٱسْتَقْبَلَ تَوْبَتَهُ، وَٱسْتَقَالَ[٩] خَطِيئَتَهُ، وَبَادَرَ[١٠] مَنِيَّتَهُ[١١]!.

اللَّهُمَّ إِنَّا خَرَجْنَا إِلَيْكَ مِنْ تَحْتِ الأَسْتَارِ والأَكْنَانِ[١٢]، وَبَعْدَ عَجِيجِ[١٣] ٱلْبَهَائِمِ وَٱلْوِلْدَانِ، رَاغِبِينَ فِي رَحْمَتِكَ، وَرَاجِينَ فَضْلَ نِعْمَتِكَ، وَخَائِفِينَ مِنْ عَذَابِكَ وَنِقْمَتِكَ[١٤]. اللَّهُمَّ فَٱسْقِنَا غَيْثَكَ[١٥] وَلاَ تَجْعَلْنَا مِنَ ٱلْقَانِطِينَ[١٦] وَلاَ

١٤٣ـ ومن خطبة له عليه السلام

في الاستسقاء

وفيه تنبيه العباد إلى وجوب استغاثة رحمة الله إذا حبس عنهم رحمة المطر

أَلاَ وَإِنَّ الأَرْضَ الَّتِي تُقِلُّكُمْ[١]، وَالسَّمَاءَ الَّتِي تُظِلُّكُمْ[٢]، مُطِيعَتَانِ لِرَبِّكُمْ، وَمَا أَصْبَحَتَا تجُودَانِ[٣] لَكُمْ ببَرَكَتِهِمَا تَوَجُّعاً[٤] لَكُمْ، وَلاَ زُلْفَةً[٥] إِلَيْكُمْ، وَلاَ لِخَيْرٍ تَرجُوَانِهِ منكُمْ، وَلكِنْ أُمِرَتَا بِمَنَافِعِكُمْ فَأَطَاعَتَا، وَأُقِيمَتَا عَلَى حُدُودِ مَصَالِحِكُمْ فَقَامَتَا.

إِنَّ اللهَ يَبْتَلِي[٦] عِبَادَهُ عِنْدَ الأَعْمَالِ السَّيِّئَةِ بِنَقْصِ الثَّمَرَاتِ، وَحَبْسِ ٱلْبَرَكَاتِ، وَإِغْلاَقِ خَزَائِنِ ٱلْخَيْرَاتِ، لِيَتُوبَ تَائِبٌ، وَيُقْلِعَ[٧] مُقْلِعٌ، وَيَتَذَكَّرَ مُتَذَكِّرٌ، وَيَزْدَجِرَ مُزْدَجِرٌ. وَقَدْ جَعَلَ اللهُ سُبْحَانَهُ ٱلإِسْتِغْفَارَ سَبَباً لِدُرُورِ الرِّزْقِ وَرَحْمَةِ الْخَلْقِ، فَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿**ٱسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّاراً. يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَاراً**[٨]. **وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَاراً**﴾. فَرَحِمَ اللهُ أَمْرأً ٱسْتَقْبَلَ تَوْبَتَهُ، وَٱسْتَقَالَ[٩] خَطِيئَتَهُ، وَبَادَرَ[١٠] مَنِيَّتَهُ[١١]!.

اللَّهُمَّ إِنَّا خَرَجْنَا إِلَيْكَ مِنْ تَحْتِ الأَسْتَارِ والأَكْنَانِ[١٢]، وَبَعْدَ عَجِيجِ[١٣] ٱلْبَهَائِمِ وَٱلْوِلْدَانِ، رَاغِبِينَ فِي رَحْمَتِكَ، وَرَاجِينَ فَضْلَ نِعْمَتِكَ، وَخَائِفِينَ مِنْ عَذَابِكَ وَنِقْمَتِكَ[١٤]. اللَّهُمَّ فَٱسْقِنَا غَيْثَكَ[١٥] وَلاَ تَجْعَلْنَا مِنَ ٱلْقَانِطِينَ[١٦] وَلاَ

١٥ ـ الغيث : المطر.
١٦ ـ القانطين : من قنط أي يئس.
١٧ ـ السنين : جمع سنة القحط والجدب.
١٨ ـ المضايق : جمع المضيق وهو ما ضاق من الأمور.
١٩ ـ الوعرة : ضد السهلة والمضايق الوعرة الصعبة.
٢٠ ـ الجأتنا : اجاءتنا.
٢١ ـ المقاحط : جمع مقحطة وهي السنة الممحلة.
٢٢ ـ المجدبة : من الجدب وهو القحط.
٢٣ ـ أعيتنا : اعجزتنا.
٢٤ ـ تلاحمت : اتصلت.
٢٥ ـ الواجم : الذي اشتد حزنه حتى امتنع عن الكلام.
٢٦ ـ السقيا : الغيث.
٢٧ ـ الحيا : المطر.
٢٨ ـ القيعان : جمع قاع وهو الفلاة أو الأرض السهلة المطمئنه.
٢٩ ـ البطنان : جمع بطن المنخفض من الأرض أو الغامض منها.
٣٠ ـ الرخص : ضد الغلاء.

الشرح

(**ألا وإن الأرض التي تقلكم والسماء التي تظلكم مطيعتان لربكم وما اصبحتا تجودان لكم ببركتهما توجعاً لكم ولا زلفة إليكم ولا لخير ترجوانه منكم ولكن أمرتا بمنافعكم فأطاعتا واقيمتا على حدود مصالحكم فقامتا**) هذه الخطبة من خطب **الاستسقاء** وقدّم لها مقدمة تناولت موعظة الناس بالتوبة والإنابة والانقطاع لله وكذلك يذكر الأرض والسماء وإنهما تسيران وفق إرادة الله وحكمته فهو الذي رسم لهما طريقهما لا تتخلفان عنه ولا تخالفان منه فهما تحت إرادة الله ولم يكن ما تعطيان لكم من خيرات وبركات توجعاً وتألماً عليكم ولم يكن ذلك أيضاً لتتقربا منكم ولا لأجل خير مرجو منكم وإنما الأمر التكويني لهما بأن تكونا في صالحكم ومن أجل منافعكم فكانتا كذلك.

وبعبارة أخرى مختصرة أن الأرض والسماء ترتب أمرهما بحسب **الإرادة الإلهية** من أجل منافعكم ومصالحكم وإنهما لم يخرجا عما رسم لهما فهما حسب **التصميم** الإلهي والإرادة الربانية. وإذا كانتا كذلك فيجب التوجه إلى الله من كل فرد في **المجتمع**

١٥ ـ الغيث : المطر.
١٦ ـ القانطين : من قنط أي يئس.
١٧ ـ السنين : جمع سنة القحط والجدب.
١٨ ـ المضايق : جمع المضيق وهو ما ضاق من الأمور.
١٩ ـ الوعرة : ضد السهلة والمضايق الوعرة الصعبة.
٢٠ ـ الجأتنا : اجاءتنا.
٢١ ـ المقاحط : جمع مقحطة وهي السنة الممحلة.
٢٢ ـ المجدبة : من الجدب وهو القحط.
٢٣ ـ أعيتنا : اعجزتنا.
٢٤ ـ تلاحمت : اتصلت.
٢٥ ـ الواجم : الذي اشتد حزنه حتى امتنع عن الكلام.
٢٦ ـ السقيا : الغيث.
٢٧ ـ الحيا : المطر.
٢٨ ـ القيعان : جمع قاع وهو الفلاة أو الأرض السهلة المطمئنه.
٢٩ ـ البطنان : جمع بطن المنخفض من الأرض أو الغامض منها.
٣٠ ـ الرخص : ضد الغلاء.

الشرح

(ألا وإن الأرض التي تقلكم والسماء التي تظلكم مطيعتان لربكم وما اصبحتا تجودان لكم ببركتهما توجعاً لكم ولا زلفة إليكم ولا لخير ترجوانه منكم ولكن أمرتا بمنافعكم فأطاعتا واقيمتا على حدود مصالحكم فقامتا) هذه الخطبة من خطب الاستسقاء وقدّم لها مقدمة تناولت موعظة الناس بالتوبة والإنابة والانقطاع لله وكذلك يذكر الأرض والسماء وإنهما تسيران وفق إرادة الله وحكمته فهو الذي رسم لهما طريقهما لا تتخلفان عنه ولا تخالفان منه فهما تحت إرادة الله ولم يكن ما تعطيان لكم من خيرات وبركات توجعاً وتألماً عليكم ولم يكن ذلك أيضاً لتتقربا منكم ولا لأجل خير مرجو منكم وإنما الأمر التكويني لهما بأن تكونا في صالحكم ومن أجل منافعكم فكانتا كذلك.

وبعبارة أخرى مختصرة أن الأرض والسماء ترتب أمرهما بحسب الإرادة الإلهية من أجل منافعكم ومصالحكم وإنهما لم يخرجا عما رسم لهما فهما حسب التصميم الإلهي والإرادة الربانية. وإذا كانتا كذلك فيجب التوجه إلى الله من كل فرد في المجتمع

راغبين في رحمتك وراجين فضل نعمتك وخائفين من عذابك ونقمتك) ذكر عليه السلام سوء الأحوال وتعاسة ما هم فيه. . إنها شكوى فقر حال بما هم عليه والله يعلمها ولكن زيادة استرحام واستعطاف.

اللهم إنا خرجنا إليك نطلبك ونطلب رحمتك خرجنا إليك من بيوتنا التي تسترنا والتي لا يخرج منها إلا لضرورة وكذلك أنت يا رب ترى أصوات البهائم والأطفال كيف تستصرخ وتطلب من جودك راغبة في عطائك وكرمك وراجية فضل نعمتك. . . إننا في خوف من عذابك وعقابك فإن لم ترحمنا هلكنا. . .

(اللهم فاسقنا غيثك ولا تجعلنا من القانطين ولا تهلكنا بالسنين ولا تؤاخذنا بما فعل السفهاء منّا يا أحم الراحمين) اللهم يا رب أنزل علينا مطرك لنشرب نحن ومواشينا ولا تجعلنا في يأس من رحمتك ولا تهلكنا بالقحط والجدب ولا تعاقبنا بما فعل السفهاء منا الذين تجاوزوا حدودك وتعدوها ولم يرجعوا إلى رحابك أو يتوبوا من معصيتك فإنك أرحم الراحمين.

(اللهم إنا خرجنا إليك نشكو إليك ما لا يخفى عليك حين الجأتنا المضايق الوعرة واجاءتنا المقاحط المجدبة واعيتنا المطالب المتعسرة وتلاحمت علينا الفتن المستصعبة) اللهم إنا خرجنا إليك من ذنوبنا وتوجهنا إليك قاصدين كرمك. . خرجنا إليك لا إلى سواك. . خرجنا إليك نشكو إليك ما لا يخفى عليك من سوء حالنا وقصر ذات يدنا وقلة حيلتنا.

خرجنا إليك حين انسدت الطرق وضاقت المسالك ولم تنفع الوسائل لصعوبتها وعسرها. . .

خرجنا إليك حين دفعتنا الأزمنة القاحلة المجدبة التي أكلت الزرع وايبست الضرع وأتت على كل ذات حياة.

جئنا إليك حين اعجزتنا المطالب الصعبة وتلاحقت علينا الفتن من الجوع والعري والحاجة. . .

نحن يا الهي خرجنا إليك بعد أن انسدت الأبواب في وجوهنا وعجزنا عن تحصيل قوتنا ولم يعد في اليد وسيلة أو حيلة. . .

(اللهم إنا نسألك ألا تردنا خائبين ولا تقلبنا واجمين ولا تخاطبنا بذنوبنا ولا تقايسنا بأعمالنا) اللهم إنا نسألك ونتوجه إليك أن لا تردنا خاسرين، ولا ترجعنا في غم وحزن جراء عدم قبولك لدعائنا. . .

راغبين في رحمتك وراجين فضل نعمتك وخائفين من عذابك ونقمتك) ذكر عليه السلام سوء الأحوال وتعاسة ما هم فيه. . إنها شكوى فقر حال بما هم عليه والله يعلمها ولكن زيادة استرحام واستعطاف.

اللهم إنا خرجنا إليك نطلبك ونطلب رحمتك خرجنا إليك من بيوتنا التي سترتنا والتي لا يخرج منها إلا لضرورة وكذلك أنت يا رب ترى أصوات البهائم والأطفال كيف تستصرخ وتطلب من جودك راغبة في عطائك وكرمك وراجية فضل نعمتك. . . إننا في خوف من عذابك وعقابك فإن لم ترحمنا هلكنا. . .

(اللهم فاسقنا غيثك ولا تجعلنا من القانطين ولا تهلكنا بالسنين ولا تؤاخذنا بما فعل السفهاء منّا يا أحم الراحمين) اللهم يا رب أنزل علينا مطرك لنشرب نحن ومواشينا ولا تجعلنا في يأس من رحمتك ولا تهلكنا بالقحط والجدب ولا تعاقبنا بما فعل السفهاء منا الذين تجاوزوا حدودك وتعدوها ولم يرجعوا إلى رحابك أو يتوبوا من معصيتك فإنك أرحم الراحمين.

(اللهم إنا خرجنا إليك نشكو إليك ما لا يخفى عليك حين الجأتنا المضايق الوعرة واجاءتنا المقاحط المجدبة واعيتنا المطالب المتعسرة وتلاحمت علينا الفتن المستصعبة) اللهم إنا خرجنا إليك من ذنوبنا وتوجهنا إليك قاصدين كرمك. . خرجنا إليك لا إلى سواك. . خرجنا إليك نشكو إليك ما لا يخفى عليك من سوء حالنا وقصر ذات يدنا وقلة حيلتنا.

خرجنا إليك حين انسدت الطرق وضاقت المسالك ولم تنفع الوسائل لصعوبتها وعسرها. . .

خرجنا إليك حين دفعتنا الأزمنة القاحلة المجدبة التي أكلت الزرع وايبست الضرع وأتت على كل ذات حياة.

جئنا إليك حين اعجزتنا المطالب الصعبة وتلاحقت علينا الفتن من الجوع والعري والحاجة. . .

نحن يا الهي خرجنا إليك بعد أن انسدت الأبواب في وجوهنا وعجزنا عن تحصيل قوتنا ولم يعد في اليد وسيلة أو حيلة. . .

(اللهم إنا نسألك ألا تردنا خائبين ولا تقلبنا واجمين ولا تخاطبنا بذنوبنا ولا تقايسنا بأعمالنا) اللهم إنا نسألك ونتوجه إليك أن لا تردنا خاسرين، ولا ترجعنا في غم وحزن جراء عدم قبولك لدعائنا. . .

١٤٤ ـ ومن خطبة له عليه السلام

مبعث الرسل

بَعَثَ اللهُ رُسُلَهُ بِمَا خَصَّهُمْ بِهِ مِنْ وَحْيِهِ، وَجَعَلَهُمْ حُجَّةً[١] لَهُ عَلَى خَلْقِهِ، لِئلاَّ تَجِبَ الحُجَّةُ لَهُمْ بِتَرْكِ الإِعْذَارِ[٢] إِلَيْهِمْ، فَدَعَاهُمْ بِلِسَانِ الصِّدْقِ إِلَى سَبِيلِ الحَقِّ. أَلاَ إِنَّ اللهَ تَعَالَى قَدْ كَشَفَ الخَلْقَ كَشْفَةً؛ لاَ أَنَّهُ جَهِلَ مَا أَخْفَوْهُ مِنْ مَصُونِ[٣] أَسْرَارِهِمْ وَمَكْنُونِ[٤] ضَمَائِرِهِمْ؛ «وَلكِنْ لِيَبْلُوَهُمْ[٥]: أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً»، فَيَكُونَ الثَّوَابُ جَزَاءً، وَالعِقَابُ بَوَاءً[٦].

فضل أهل البيت

أَيْنَ الَّذِينَ زَعَمُوا أَنَّهُمُ الرَّاسِخُونَ فِي العِلْمِ دُونَنَا، كَذِباً وَبَغْياً[٧] عَلَيْنَا، أَنْ رَفَعَنَا اللهُ وَوَضَعَهُمْ[٨]، وَأَعْطَانَا وَحَرَمَهُمْ، وَأَدْخَلَنَا وَأَخْرَجَهُمْ. بِنَا يُسْتَعْطَى[٩] الهُدَى، وَيُسْتَجْلَى[١٠] العَمَى. إِنَّ الأَئِمَّةَ مِنْ قُرَيْشٍ غُرِسُوا فِي هذَا البَطْنِ[١١] مِنْ هَاشِمٍ؛ لاَ تَصْلُحُ عَلَى سِوَاهُمْ، وَلاَ تَصْلُحُ الوُلاَةُ مِنْ غَيْرِهِمْ.

أهل الضلال

منها: آثَرُوا[١٢] عَاجِلاً وَأَخَّرُوا[١٣] آجِلاً، وَتَرَكُوا صَافِياً، وَشَرِبُوا آجِناً[١٤] كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى فَاسِقِهِمْ وَقَدْ صَحِبَ المُنْكَرَ فَأَلِفَهُ، وَبَسِيءَ بِهِ[١٥] وَوَافَقَهُ، حَتَّى شَابَتْ[١٦] عَلَيْهِ مَفَارِقُهُ[١٧]، وَصُبِغَتْ بِهِ خَلاَئِقُهُ[١٨]، ثُمَّ أَقْبَلَ

١٤٤ ـ ومن خطبة له عليه السلام

مبعث الرسل

بَعَثَ اللهُ رُسُلَهُ بِمَا خَصَّهُمْ بِهِ مِنْ وَحْيِهِ، وَجَعَلَهُمْ حُجَّةً[١] لَهُ عَلَى خَلْقِهِ، لِئلاَّ تَجِبَ الحُجَّةُ لَهُمْ بِتَرْكِ الإِعْذَارِ[٢] إِلَيْهِمْ، فَدَعَاهُمْ بِلِسَانِ الصِّدْقِ إِلَى سَبِيلِ الحَقِّ. أَلاَ إِنَّ اللهَ تَعَالَى قَدْ كَشَفَ الخَلْقَ كَشْفَةً؛ لاَ أَنَّهُ جَهِلَ مَا أَخْفَوْهُ مِنْ مَصُونِ[٣] أَسْرَارِهِمْ وَمَكْنُونِ[٤] ضَمَائِرِهِمْ؛ «وَلكِنْ لِيَبْلُوَهُمْ[٥]: أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً»، فَيَكُونَ الثَّوَابُ جَزَاءً، وَالعِقَابُ بَوَاءً[٦].

فضل أهل البيت

أَيْنَ الَّذِينَ زَعَمُوا أَنَّهُمُ الرَّاسِخُونَ فِي العِلْمِ دُونَنَا، كَذِباً وَبَغْياً[٧] عَلَيْنَا، أَنْ رَفَعَنَا اللهُ وَوَضَعَهُمْ[٨]، وَأَعْطَانَا وَحَرَمَهُمْ، وَأَدْخَلَنَا وَأَخْرَجَهُمْ. بِنَا يُسْتَعْطَى[٩] الهُدَى، وَيُسْتَجْلَى[١٠] العَمَى. إِنَّ الأَئِمَّةَ مِنْ قُرَيْشٍ غُرِسُوا فِي هذَا البَطْنِ[١١] مِنْ هَاشِمٍ؛ لاَ تَصْلُحُ عَلَى سِوَاهُمْ، وَلاَ تَصْلُحُ الوُلاَةُ مِنْ غَيْرِهِمْ.

أهل الضلال

منها: آثَرُوا[١٢] عَاجِلاً وَأَخَّرُوا[١٣] آجِلاً، وَتَرَكُوا صَافِياً، وَشَرِبُوا آجِناً[١٤] كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى فَاسِقِهِمْ وَقَدْ صَحِبَ المُنْكَرَ فَأَلِفَهُ، وَبَسِيءَ بِهِ[١٥] وَوَافَقَهُ، حَتَّى شَابَتْ[١٦] عَلَيْهِ مَفَارِقُهُ[١٧]، وَصُبِغَتْ بِهِ خَلاَئِقُهُ[١٨]، ثُمَّ أَقْبَلَ

١٩ ـ مزبداً : أي ذو زبد والزبد هو ما يخرج من الفم كالرغوة.
٢٠ ـ التيار : موج البحر الهائج.
٢١ ـ لا يبالي : لا يهتم ولا يحفل.
٢٢ ـ الهشيم : ما تكسر من اليبس.
٢٣ ـ لا يحفل : لا يبالي.
٢٤ ـ الأبصار اللامحة : الناظرة.
٢٥ ـ المنار : العلم الذي يجعل للاهتداء في الطريق.
٢٦ ـ عوقدت : من عقد الحبل نقيض حله والبيع أحكمه وعقد على الشيء عاهده.
٢٧ ـ ازدحموا : تضايقوا، تدافعوا.
٢٨ ـ الحطام : ما تكسر من الشيء اليبس.
٢٩ ـ تشاحوا : شح بعضهم على بعض في المطلوب، أراد كل منهم أن يستأثر به.
٣٠ ـ نفروا : إلى منى اندفعوا إليها وإلى الشيء أسرعوا إليه.
٣١ ـ ولوا : أدبروا، أعرضوا وابتعدوا.

الشرح

(بعث الله رسله بما خصهم به من وحيه وجعلهم حجة له على خلقه لئلا تجب الحجة لهم بترك الإعذار إليهم فدعاهم بلسان الصدق إلى سبيل الحق) هذه الخطبة الشريفة تتضمن فصلين.

الأول: يتعرض فيه لذكر أهل البيت عليهم السلام وأنهم لا يساوى بهم أحد من الأمة.

الثاني: فيه ذم لبعض الصحابة الذين أرادوا منازعته الفضل وقدّم ذلك كله ببيان بعثة الرسل والحكمة منها...

بعث الله رسله بالوحي الإلهي الذي اختصهم به كرامة لهم وشرفاً وجعلهم حجة له على خلقه فقد وصلت عن طريقهم الحجج والبينات الملزمة التي لا يمكن التخلص منها إلا بالعمل بها والالتزام بمضمونها والسير على نهجها وهذا كله ليقطع على المتعللين بعدم العمل بأنه لم تصلهم التكاليف ولم يتعرفوا عليها فتكون لهم الحجة على الإهمال فقطع الله عذرهم بوصول الحجة إليهم عن طريق الأنبياء.

ثم إن الأنبياء هم ألسنة الصدق الذين يؤدون عن الله مراداته ويبلغونها إلى الناس كاملة غير منقوصة ويدعون إلى سبيل الله الذي هو سبيل الحق.

١٩ ـ مزبداً : أي ذو زبد والزبد هو ما يخرج من الفم كالرغوة.
٢٠ ـ التيار : موج البحر الهائج.
٢١ ـ لا يبالي : لا يهتم ولا يحفل.
٢٢ ـ الهشيم : ما تكسر من اليبس.
٢٣ ـ لا يحفل : لا يبالي.
٢٤ ـ الأبصار اللامحة : الناظرة.
٢٥ ـ المنار : العلم الذي يجعل للاهتداء في الطريق.
٢٦ ـ عوقدت : من عقد الحبل نقيض حله والبيع أحكمه وعقد على الشيء عاهده.
٢٧ ـ ازدحموا : تضايقوا، تدافعوا.
٢٨ ـ الحطام : ما تكسر من الشيء اليبس.
٢٩ ـ تشاحوا : شح بعضهم على بعض في المطلوب، أراد كل منهم أن يستأثر به.
٣٠ ـ نفروا : إلى منى اندفعوا إليها وإلى الشيء أسرعوا إليه.
٣١ ـ ولوا : أدبروا، أعرضوا وابتعدوا.

الشرح

(بعث الله رسله بما خصهم به من وحيه وجعلهم حجة له على خلقه لئلا تجب الحجة لهم بترك الإعذار إليهم فدعاهم بلسان الصدق إلى سبيل الحق) هذه الخطبة الشريفة تتضمن فصلين.

الأول: يتعرض فيه لذكر أهل البيت عليهم السلام وأنهم لا يساوى بهم أحد من الأمة.

الثاني: فيه ذم لبعض الصحابة الذين أرادوا منازعته الفضل وقدّم ذلك كله ببيان بعثة الرسل والحكمة منها...

بعث الله رسله بالوحي الإلهي الذي اختصهم به كرامة لهم وشرفاً وجعلهم حجة له على خلقه فقد وصلت عن طريقهم الحجج والبينات الملزمة التي لا يمكن التخلص منها إلا بالعمل بها والالتزام بمضمونها والسير على نهجها وهذا كله ليقطع على المتعللين بعدم العمل بأنه لم تصلهم التكاليف ولم يتعرفوا عليها فتكون لهم الحجة على الإهمال فقطع الله عذرهم بوصول الحجة إليهم عن طريق الأنبياء.

ثم إن الأنبياء هم ألسنة الصدق الذين يؤدون عن الله مراداته ويبلغونها إلى الناس كاملة غير منقوصة ويدعون إلى سبيل الله الذي هو سبيل الحق.

غيرهم فسدت وانحرفت وضلّت ولم يكن ذلك الغير من أهلها أو القائمين عليها بحقيقتها.

وهذا الكلام منه مستقى من حديث النبي صلى الله عليه وآله الذي أجمعت الأمة على صحته ونقلته كتب الصحاح بالأسانيد الصحيحة عن النبي.

نقل البخاري في صحيحه عن عبد الملك قال: سمعت جابر بن سمرة قال: سمعت النبي صلى الله عليه وآله يقول: يكون بعدي اثنا عشر أميراً فقال صلى الله عليه وآله وسلم كلمة لم أسمعها فسألت أبي ماذا قال؟ قال: إنه قال: كلهم من قريش وكذلك رواه البخاري عن ابن عيينة ورواه مسلم في صحيحه وصاحب الجمع بين الصحيحين وغيرهم من أئمة الحديث عند السنة ولم يناقش فيه أحد مناقشة معتبرة نعم اختلف أهل السنة في تطبيقه فشرّقوا وغرّبوا وتاهوا وضلوا ولم يهتدوا إلى تفسيره أو معرفة الأئمة المقصودين فيه...

أما على طريقة الحق والعدل فهو من أصدق ما يدل على إمامة الأئمة من أهل البيت وهو من أوضح النصوص على إمامتهم وأنهم قادة الخلق، ولا أظن أن فرداً يتجرد عن رواسبه المذهبية وعصبياته إلا ويذهب إلى ما ذهب إليه الشيعة من كون المقصود بالاثني عشر هم أئمة أهل البيت عليهم السلام...

(آثروا عاجلاً وأخروا آجلاً وتركوا صافياً وشربوا آجناً كأني أنظر إلى فاسقهم وقد صحب المنكر فألفه وبسيء به ووافقه حتى شابت عليه مفارقه وصبغت به خلائقه ثم أقبل مزبداً كالتيار لا يبالي ما غرّق أو كوقع النار في الهشيم لا يحفل ما حرّق) هذا الكلام أراد به بعض الصحابة الذين انحرفوا وضلوا ولا موجب لصرفه عنهم بعدما ثبت فسق بعضهم وضلال بعض آخر بل الأوصاف تنطبق على من حارب الإمام كمعاوية وعمرو بن العاص ومروان بن الحكم وكثيرين ممن هم على شاكلتهم ممن سموا بالصحابة.

وعلى كل حال ذكر الإمام بعض قبائح أعمالهم وسيئات صفاتهم:

١ ـ آثروا عاجلاً وأخروا آجلاً قدموا الدنيا واختاروها وسعوا إليها وهي فانية بينما أخروا الآخرة التي لا تفنى ولا تزول.

٢ ـ تركوا صافياً وشربوا آجناً تركوا الآخرة التي لا يشوبها ألم أو مرض إلى الدنيا المملوءة بالهموم والأحزان والآلام أو يراد تركوا الإسلام وما ورد عن النبي من علم صحيح إلى آرائهم وما ذهبوا إليه من أمور باطلة مملوءة بالانحراف وعدم الصحة...

غيرهم فسدت وانحرفت وضلّت ولم يكن ذلك الغير من أهلها أو القائمين عليها بحقيقتها.

وهذا الكلام منه مستقى من حديث النبي صلى الله عليه وآله الذي أجمعت الأمة على صحته ونقلته كتب الصحاح بالأسانيد الصحيحة عن النبي.

نقل البخاري في صحيحه عن عبد الملك قال: سمعت جابر بن سمرة قال: سمعت النبي صلى الله عليه وآله يقول: يكون بعدي اثنا عشر أميراً فقال صلى الله عليه وآله وسلم كلمة لم أسمعها فسألت أبي ماذا قال؟ قال: إنه قال: كلهم من قريش وكذلك رواه البخاري عن ابن عيينة ورواه مسلم في صحيحه وصاحب الجمع بين الصحيحين وغيرهم من أئمة الحديث عند السنة ولم يناقش فيه أحد مناقشة معتبرة نعم اختلف أهل السنة في تطبيقه فشرّقوا وغرّبوا وتاهوا وضلوا ولم يهتدوا إلى تفسيره أو معرفة الأئمة المقصودين فيه...

أما على طريقة الحق والعدل فهو من أصدق ما يدل على إمامة الأئمة من أهل البيت وهو من أوضح النصوص على إمامتهم وأنهم قادة الخلق، ولا أظن أن فرداً يتجرد عن رواسبه المذهبية وعصبياته إلا ويذهب إلى ما ذهب إليه الشيعة من كون المقصود بالاثني عشر هم أئمة أهل البيت عليهم السلام...

(آثروا عاجلاً وأخروا آجلاً وتركوا صافياً وشربوا آجناً كأني أنظر إلى فاسقهم وقد صحب المنكر فألفه وبسيء به ووافقه حتى شابت عليه مفارقه وصبغت به خلائقه ثم أقبل مزبداً كالتيار لا يبالي ما غرّق أو كوقع النار في الهشيم لا يحفل ما حرّق) هذا الكلام أراد به بعض الصحابة الذين انحرفوا وضلوا ولا موجب لصرفه عنهم بعدما ثبت فسق بعضهم وضلال بعض آخر بل الأوصاف تنطبق على من حارب الإمام كمعاوية وعمرو بن العاص ومروان بن الحكم وكثيرين ممن هم على شاكلتهم ممن سموا بالصحابة.

وعلى كل حال ذكر الإمام بعض قبائح أعمالهم وسيئات صفاتهم:

١ ـ آثروا عاجلاً وأخروا آجلاً قدموا الدنيا واختاروها وسعوا إليها وهي فانية بينما أخروا الآخرة التي لا تفنى ولا تزول.

٢ ـ تركوا صافياً وشربوا آجناً تركوا الآخرة التي لا يشوبها ألم أو مرض إلى الدنيا المملوءة بالهموم والأحزان والآلام أو يراد تركوا الإسلام وما ورد عن النبي من علم صحيح إلى آرائهم وما ذهبوا إليه من أمور باطلة مملوءة بالانحراف وعدم الصحة...

على أن يكون له دون غيره فلم يكتفوا بطلب الدنيا بل طلبوا الحرام وأصر كل واحد أن يكون له . . .

٣ ـ رفع لهم علم الجنة والنار فصرفوا عن الجنة وجوههم وأقبلوا إلى النار بأعمالهم: أشار بهذا إلى أن للجنة راية وللنار راية فراية الجنة الدعاة إلى الله والأئمة الهداة وراية النار إبليس وجنده وأئمة الضلال وهؤلاء الصحابة عدلوا بنظرهم عن راية الجنة وتخلوا عن الدعاة إليها من الأئمة وأخذوا بأعمالهم الساقطة وسلوكهم العاصي نحو النار . . .

٤ ـ دعاهم ربهم فنفروا وولوا ودعاهم الشيطان فاستجابوا وأقبلوا: دعاهم ربهم إلى الطاعة المؤدية إلى الجنة فرفضوا وأعرضوا وهربوا من أمره قال تعالى: ﴿**يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم**﴾[1] وقال تعالى: ﴿**والله يدعوا إلى دار السلام**﴾[2] وفي المقابل دعاهم الشيطان إلى المعصية والتمرد فاستجابوا له ولبوا دعوته وأقبلوا يسعون إليه قال تعالى: ﴿**وقال الشيطان لما قُضي الأمر إن الله وعدكم وعد الحق ووعدتكم فاخلفتكم وما كان لي عليكم من سلطان إلا أن دعوتكم فاستجبتم لي فلا تلوموني ولوموا أنفسكم . . .**﴾[3].

---

(١) سورة الأنفال، آية/ ٥٤.

(٢) سورة يونس، آية/ ٢٥.

(٣) سورة إبراهيم، آية/ ٢٤.

على أن يكون له دون غيره فلم يكتفوا بطلب الدنيا بل طلبوا الحرام وأصر كل واحد أن يكون له . . .

٣ ـ رفع لهم علم الجنة والنار فصرفوا عن الجنة وجوههم وأقبلوا إلى النار بأعمالهم: أشار بهذا إلى أن للجنة راية وللنار راية فراية الجنة الدعاة إلى الله والأئمة الهداة وراية النار إبليس وجنده وأئمة الضلال وهؤلاء الصحابة عدلوا بنظرهم عن راية الجنة وتخلوا عن الدعاة إليها من الأئمة وأخذوا بأعمالهم الساقطة وسلوكهم العاصي نحو النار . . .

٤ ـ دعاهم ربهم فنفروا وولوا ودعاهم الشيطان فاستجابوا وأقبلوا: دعاهم ربهم إلى الطاعة المؤدية إلى الجنة فرفضوا وأعرضوا وهربوا من أمره قال تعالى: ﴿**يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم**﴾[1] وقال تعالى: ﴿**والله يدعوا إلى دار السلام**﴾[2] وفي المقابل دعاهم الشيطان إلى المعصية والتمرد فاستجابوا له ولبوا دعوته وأقبلوا يسعون إليه قال تعالى: ﴿**وقال الشيطان لما قُضي الأمر إن الله وعدكم وعد الحق ووعدتكم فاخلفتكم وما كان لي عليكم من سلطان إلا أن دعوتكم فاستجبتم لي فلا تلوموني ولوموا أنفسكم . . .**﴾[3].

---

(١) سورة الأنفال، آية/ ٥٤.

(٢) سورة يونس، آية/ ٢٥.

(٣) سورة إبراهيم، آية/ ٢٤.

٨ ـ الأثر : ما بقي من رسم الشيء.
٩ ـ يخلق : يبلي.
١٠ ـ النابتة : مؤنث النابت ما ينشأ من الأولاد.
١١ ـ محصودة : من حصد الزرع إذا قطعه وكأنه هنا أراد الآباء والأجداد.
١٢ ـ البدعة : ما أحدث على غير مثال سابق / إدخال ما ليس في الدين على أنه منه.
١٣ ـ المهيع : من الطريق الواضح البيّن.
١٤ ـ عوازم الأمور : ما تقادم منها والعوازم جمع عوزم العجوز المسنة.

الشرح

(أيها الناس إنما أنتم في هذه الدنيا غرض تنتضل فيه المنايا مع كل جرعة شرق وفي كل أكلة غصص لا تنالون منها نعمة إلا بفراق أخرى ولا يعمر معمر منكم يوماً من عمره إلا بهدم آخر من أجله، ولا تجدد له زيادة في أكلة إلا بنفاد ما قبلها من رزقه ولا يحيا له أثر إلا مات له أثر، ولا يتجدد جديد إلا بعد أن يخلق له جديد ولا تقوم له نابتة إلا وتسقط منه محصودة. وقد مضت أصول نحن فروعها فما بقاء فرع بعد ذهاب أصله)
المقصود من هذه الخطبة التنفير من الدنيا بذكر معايبها لينصرف الإنسان عنها إلى الآخرة وقد نفّر عنها بذكر بعض قبائحها ومثالبها وهي:

١ ـ جعل الناس هدفاً ترميه الدنيا بسهامها فقد شبهها بالمتناضلين بالسهام وسهامها متعددة فمنكم من يصيبه سهم المرض،والآخر سهم الغرق والثالث سهم الحرق وهكذا...

٢ ـ مع كل جرعة شرق: وهذا عيب من عيوب الدنيا وأن نعيمها لا يدوم وأن مع كل لذة من لذاتها منغصاتها...

٣ ـ وفي كل أكلة غصص: فهذا الأكل الطيب لا يصفى دائماً بل فيه ما يؤذي وينغّص.

٤ ـ لا تنالون منها نعمة إلا بفراق أخرى: فليس بمقدور هذا الإنسان أن يجمع بين ملذاته كلها بل إذا تلذذ في أمر حُرم آخر وهكذا... أو يكون المقصود لا يلتذ بأمر إلا وقد مرت لذة ما سبق في وقته ولا يقدر على الجمع بين ما مضى وما هو فيه...

٨ ـ الأثر : ما بقي من رسم الشيء.
٩ ـ يخلق : يبلي.
١٠ ـ النابتة : مؤنث النابت ما ينشأ من الأولاد.
١١ ـ محصودة : من حصد الزرع إذا قطعه وكأنه هنا أراد الآباء والأجداد.
١٢ ـ البدعة : ما أحدث على غير مثال سابق / إدخال ما ليس في الدين على أنه منه.
١٣ ـ المهيع : من الطريق الواضح البيّن.
١٤ ـ عوازم الأمور : ما تقادم منها والعوازم جمع عوزم العجوز المسنة.

الشرح

(أيها الناس إنما أنتم في هذه الدنيا غرض تنتضل فيه المنايا مع كل جرعة شرق وفي كل أكلة غصص لا تنالون منها نعمة إلا بفراق أخرى ولا يعمر معمر منكم يوماً من عمره إلا بهدم آخر من أجله، ولا تجدد له زيادة في أكلة إلا بنفاد ما قبلها من رزقه ولا يحيا له أثر إلا مات له أثر، ولا يتجدد جديد إلا بعد أن يخلق له جديد ولا تقوم له نابتة إلا وتسقط منه محصودة. وقد مضت أصول نحن فروعها فما بقاء فرع بعد ذهاب أصله) المقصود من هذه الخطبة التنفير من الدنيا بذكر معايبها لينصرف الإنسان عنها إلى الآخرة وقد نفّر عنها بذكر بعض قبائحها ومثالبها وهي:

١ ـ جعل الناس هدفاً ترميه الدنيا بسهامها فقد شبهها بالمتناضلين بالسهام وسهامها متعددة فمنكم من يصيبه سهم المرض،والآخر سهم الغرق والثالث سهم الحرق وهكذا...

٢ ـ مع كل جرعة شرق: وهذا عيب من عيوب الدنيا وأن نعيمها لا يدوم وأن مع كل لذة من لذاتها منغصاتها...

٣ ـ وفي كل أكلة غصص: فهذا الأكل الطيب لا يصفى دائماً بل فيه ما يؤذي وينغّص.

٤ ـ لا تنالون منها نعمة إلا بفراق أخرى: فليس بمقدور هذا الإنسان أن يجمع بين ملذاته كلها بل إذا تلذذ في أمر حُرم آخر وهكذا... أو يكون المقصود لا يلتذ بأمر إلا وقد مرت لذة ما سبق في وقته ولا يقدر على الجمع بين ما مضى وما هو فيه...

١٤٦ ـ ومن كلام له عليه السلام

وقد استشاره عمر بن الخطاب في الشخوص لقتال الفرس بنفسه

إِنَّ هذَا الأَمْرَ لَمْ يَكُنْ نَصْرُهُ وَلاَ خِذْلاَنُهُ(١) بِكَثْرَةٍ وَلاَ بِقِلَّةٍ. وَهُوَ دِينُ اللهِ الَّذِي أَظْهَرَهُ، وَجُنْدُهُ الَّذِي أَعَدَّهُ وَأَمَدَّهُ، حَتَّى بَلَغَ مَا بَلَغَ، وَطَلَعَ حَيْثُ طَلَعَ(٢)، وَنَحْنُ عَلَى مَوْعُودٍ مِنَ اللهِ، وَاللهُ مُنْجِزٌ(٣) وَعْدَهُ، وَنَاصِرٌ جُنْدَهُ. وَمَكَانُ القَيِّمِ(٤) بِالأَمْرِ مَكَانُ النِّظَامِ(٥) مِنَ الخَرَزِ(٦) يَجْمَعُهُ وَيَضُمُّهُ: فَإِنِ انْقَطَعَ النِّظَامُ تَفَرَّقَ الخَرَزُ وَذَهَبَ، ثُمَّ لَمْ يَجْتَمِعْ بِحَذَافِيرِهِ(٧) أَبَداً. وَالعَرَبُ اليَوْمَ، وَإِنْ كَانُوا قَلِيلاً، فَهُمْ كَثِيرُونَ بِالإِسْلاَمِ، عَزِيزُونَ بِالاجْتِمَاعِ! فَكُنْ قُطْباً(٨)، وَاسْتَدِرِ(٩) الرَّحَا(١٠) بِالعَرَبِ، وَأَصْلِهِمْ(١١) دُونَكَ نَارَ الحَرْبِ، فَإِنَّكَ إِنْ شَخَصْتَ(١٢) مِنْ هذِهِ الأَرْضِ انْتَقَضَتْ(١٣) عَلَيْكَ العَرَبُ مِنْ أَطْرَافِهَا وَأَقْطَارِهَا، حَتَّى يَكُونَ مَا تَدَعُ وَرَاءَكَ مِنَ العَوْرَاتِ(١٤) أَهَمَّ إِلَيْكَ مِمَّا بَيْنَ يَدَيْكَ.

إِنَّ الأَعَاجِمَ إِنْ يَنْظُرُوا إِلَيْكَ غَداً يَقُولُوا: هذَا أَصْلُ العَرَبِ، فَإِذَا اقْتَطَعْتُمُوهُ اسْتَرَحْتُمْ، فَيَكُونَ ذلِكَ أَشَدَّ لِكَلَبِهِمْ(١٥) عَلَيْكَ، وَطَمَعِهِمْ فِيكَ. فَأَمَّا مَا ذَكَرْتَ مِنْ مَسِيرِ القَوْمِ إِلَى قِتَالِ المُسْلِمِينَ، فَإِنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ هُوَ أَكْرَهُ لِمَسِيرِهِمْ مِنْكَ، وَهُوَ أَقْدَرُ عَلَى تَغْيِيرِ مَا يَكْرَهُ. وَأَمَّا مَا ذَكَرْتَ مِنْ عَدَدِهِمْ، فَإِنَّا لَمْ نَكُنْ نُقَاتِلُ فِيمَا مَضَى بِالكَثْرَةِ، وَإِنَّمَا كُنَّا نُقَاتِلُ بِالنَّصْرِ وَالمَعُونَةِ!.

١٤٦ ـ ومن كلام له عليه السلام

وقد استشاره عمر بن الخطاب في الشخوص لقتال الفرس بنفسه

إِنَّ هذَا الأَمْرَ لَمْ يَكُنْ نَصْرُهُ وَلاَ خِذْلاَنُهُ[١] بِكَثْرَةٍ وَلاَ بِقِلَّةٍ. وَهُوَ دِينُ اللهِ الَّذِي أَظْهَرَهُ، وَجُنْدُهُ الَّذِي أَعَدَّهُ وَأَمَدَّهُ، حَتَّى بَلَغَ مَا بَلَغَ، وَطَلَعَ حَيْثُ طَلَعَ[٢]، وَنَحْنُ عَلَى مَوْعُودٍ مِنَ اللهِ، وَاللهُ مُنْجِزٌ[٣] وَعْدَهُ، وَنَاصِرٌ جُنْدَهُ. وَمَكَانُ القَيِّمِ[٤] بِالأَمْرِ مَكَانُ النِّظَامِ[٥] مِنَ الخَرَزِ[٦] يَجْمَعُهُ وَيَضُمُّهُ: فَإِنِ انْقَطَعَ النِّظَامُ تَفَرَّقَ الخَرَزُ وَذَهَبَ، ثُمَّ لَمْ يَجْتَمِعْ بِحَذَافِيرِهِ[٧] أَبَداً. وَالعَرَبُ اليَوْمَ، وَإِنْ كَانُوا قَلِيلاً، فَهُمْ كَثِيرُونَ بِالإِسْلاَمِ، عَزِيزُونَ بِالاجْتِمَاعِ! فَكُنْ قُطْباً[٨]، وَاسْتَدِرِ[٩] الرَّحَا[١٠] بِالعَرَبِ، وَأَصْلِهِمْ[١١] دُونَكَ نَارَ الحَرْبِ، فَإِنَّكَ إِنْ شَخَصْتَ[١٢] مِنْ هذِهِ الأَرْضِ انْتَقَضَتْ[١٣] عَلَيْكَ العَرَبُ مِنْ أَطْرَافِهَا وَأَقْطَارِهَا، حَتَّى يَكُونَ مَا تَدَعُ وَرَاءَكَ مِنَ العَوْرَاتِ[١٤] أَهَمَّ إِلَيْكَ مِمَّا بَيْنَ يَدَيْكَ.

إِنَّ الأَعَاجِمَ إِنْ يَنْظُرُوا إِلَيْكَ غَداً يَقُولُوا: هذَا أَصْلُ العَرَبِ، فَإِذَا اقْتَطَعْتُمُوهُ اسْتَرَحْتُمْ، فَيَكُونَ ذلِكَ أَشَدَّ لِكَلَبِهِمْ[١٥] عَلَيْكَ، وَطَمَعِهِمْ فِيكَ. فَأَمَّا مَا ذَكَرْتَ مِنْ مَسِيرِ القَوْمِ إِلَى قِتَالِ المُسْلِمِينَ، فَإِنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ هُوَ أَكْرَهُ لِمَسِيرِهِمْ مِنْكَ، وَهُوَ أَقْدَرُ عَلَى تَغْيِيرِ مَا يَكْرَهُ. وَأَمَّا مَا ذَكَرْتَ مِنْ عَدَدِهِمْ، فَإِنَّا لَمْ نَكُنْ نُقَاتِلُ فِيمَا مَضَى بِالكَثْرَةِ، وَإِنَّمَا كُنَّا نُقَاتِلُ بِالنَّصْرِ وَالمَعُونَةِ!.

العقيدة وهي حقيقة أن الإسلام دين الله الذي أظهره على الأديان والعقائد كلها وهو الذي تكفل بحمايته ونصره وجنده هم جنوده الذين أعدهم لحمل راية الفتح والجهاد في سبيل الله وقد أمدهم بالملائكة وثبت قلوبهم في مواطن الاضطراب والخوف وهكذا الأمر حتى بلغ الإسلام ما بلغ من العظمة والكرامة ووصل إلى ما وصل إليه من امتداد وظهور وانتشار.

وأشار عليه إلى أن المسلمين على موعد من الله بالنصر والاستخلاف إشارة إلى قوله تعالى: ﴿**وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي إرتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمناً**. . .﴾ وعقب هذا بأن الله منجز ما وعد وناصر جنده، إن الله لا يخلف الميعاد. . . وإنا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا. . .

(**ومكان القيم بالأمر مكان النظام من الخرز يجمعه ويضمه فإن انقطع النظام تفرق الخرز وذهب ثم لم يجتمع بحذافيره أبداً والعرب اليوم وإن كانوا قليلاً فهم كثيرون بالإسلام عزيزون بالاجتماع فكن قطباً واستدر الرحا بالعرب واصلهم دونك نار الحرب فإنك إن شخصت من هذه الأرض انتقضت عليك العرب من أطرافها وأقطارها حتى يكون ما تدع وراءك من العورات أهم إليك مما بين يديك**) شبّه عليه السلام القائم بالأمر والمتولى لأمور المسلمين بالخيط الذي يجمع حبات الخرز في العقد أو السبحة فإذا انقطع الخيط تبعثرت الحبات وتوزعت ولم تعد واحدة تجتمع أو تلتقي مع الأخرى فهذه تذهب إلى اليمين والأخرى إلى اليسار وهذه إلى الأمام وتلك إلى الخلف وهكذا لا يلتقي حبتان مع بعضهما ولا تجتمع الحبات قط وكذلك القيم بالأمر إذا ذهب ومات أو غاب تبعثر المسلمون وتشتتوا. . .

ثم هدأ روع عمر بأن العرب اليوم وإن كانوا قلة في العدد ولكن الإسلام كثرهم بعقيدته وفكره وأصحاب قوة بوحدتهم واجتماعهم وتوحدهم على رأي واحد. . .

ذكر أولاً أهمية القائم بالأمر ودوره ثم ذكر الجند الذين هم الجبهة العسكرية التي تواجه العدو وبعد هذا رأى رأيه وقال: اثبت في مكانك الذي أنت فيه ولا تباشر الحرب بنفسك وتدخل فيها بشخصك وذلك لأمرين أحلاهما مرّ ولا يجوزان في شرع الله. . .

إن خرجت بنفسك لحرب الفرس وتركت الحرمين وما حولهما ثارت ثائرة العشائر والقبائل وطمعوا فيك لأن الإسلام لم يثبت في قلوبهم بشكل قوي كعقيدة دينية وإذا انتفضوا وتحركوا وارتدوا وأنت في الخارج كان هذا الأمر أهم إليك من قتال الفرس

العقيدة وهي حقيقة أن الإسلام دين الله الذي أظهره على الأديان والعقائد كلها وهو الذي تكفل بحمايته ونصره وجنده هم جنوده الذين أعدهم لحمل راية الفتح والجهاد في سبيل الله وقد أمدهم بالملائكة وثبت قلوبهم في مواطن الاضطراب والخوف وهكذا الأمر حتى بلغ الإسلام ما بلغ من العظمة والكرامة ووصل إلى ما وصل إليه من امتداد وظهور وانتشار.

وأشار عليه إلى أن المسلمين على موعد من الله بالنصر والاستخلاف إشارة إلى قوله تعالى: ﴿**وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي إرتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمناً...**﴾ وعقب هذا بأن الله منجز ما وعد وناصر جنده، إن الله لا يخلف الميعاد... وإنا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا...

(**ومكان القيم بالأمر مكان النظام من الخرز يجمعه ويضمه فإن انقطع النظام تفرق الخرز وذهب ثم لم يجتمع بحذافيره أبداً والعرب اليوم وإن كانوا قليلاً فهم كثيرون بالإسلام عزيزون بالاجتماع فكن قطباً واستدر الرحا بالعرب واصلهم دونك نار الحرب فإنك إن شخصت من هذه الأرض انتقضت عليك العرب من أطرافها وأقطارها حتى يكون ما تدع وراءك من العورات أهم إليك مما بين يديك**) شبّه عليه السلام القائم بالأمر والمتولى لأمور المسلمين بالخيط الذي يجمع حبات الخرز في العقد أو السبحة فإذا انقطع الخيط تبعثرت الحبات وتوزعت ولم تعد واحدة تجتمع أو تلتقي مع الأخرى فهذه تذهب إلى اليمين والأخرى إلى اليسار وهذه إلى الأمام وتلك إلى الخلف وهكذا لا يلتقي حبتان مع بعضهما ولا تجتمع الحبات قط وكذلك القيم بالأمر إذا ذهب ومات أو غاب تبعثر المسلمون وتشتتوا...

ثم هدأ روع عمر بأن العرب اليوم وإن كانوا قلة في العدد ولكن الإسلام كثرهم بعقيدته وفكره وأصحاب قوة بوحدتهم واجتماعهم وتوحدهم على رأي واحد...

ذكر أولاً أهمية القائم بالأمر ودوره ثم ذكر الجند الذين هم الجبهة العسكرية التي تواجه العدو وبعد هذا رأى رأيه وقال: اثبت في مكانك الذي أنت فيه ولا تباشر الحرب بنفسك وتدخل فيها بشخصك وذلك لأمرين أحلاهما مرّ ولا يجوزان في شرع الله...

إن خرجت بنفسك لحرب الفرس وتركت الحرمين وما حولهما ثارت ثائرة العشائر والقبائل وطمعوا فيك لأن الإسلام لم يثبت في قلوبهم بشكل قوي كعقيدة دينية وإذا انتفضوا وتحركوا وارتدوا وأنت في الخارج كان هذا الأمر أهم إليك من قتال الفرس

١٤٧ ـ ومن خطبة له عليه السلام

الغاية من البعثة

فَبَعَثَ اللهُ مُحَمَّداً، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِه، بِالْحَقِّ لِيُخْرِجَ عِبَادَهُ مِنْ عِبَادَةِ الأَوْثَانِ(١) إِلَى عِبَادَتِه، وَمِنْ طَاعَةِ الشَّيْطَانِ إِلَى طَاعَتِه، بِقُرْآنٍ قَدْ بَيَّنَهُ وَأَحْكَمَهُ(٢)، لِيَعْلَمَ العِبَادُ رَبَّهُمْ إِذْ جَهِلُوهُ، وَلِيُقِرُّوا(٣) بِهِ بَعْدَ إِذْ جَحَدُوهُ(٤)، وَلِيُثْبِتُوهُ بَعْدَ إِذْ أَنْكَرُوهُ. فَتَجَلَّى(٥) لَهُمْ سُبْحَانَهُ فِي كِتَابِهِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَكُونُوا رَأَوْهُ بِمَا أَرَاهُمْ مِنْ قُدْرَتِه، وَخَوَّفَهُمْ مِنْ سَطْوَتِه(٦)، وَكَيْفَ مَحَقَ مَنْ مَحَقَ(٧) بِالمَثُلَاتِ(٨). وَاحْتَصَدَ(٩) مَنِ احْتَصَدَ بِالنَّقِمَاتِ(١٠)!.

الزمان المقبل

وَإِنَّهُ سَيَأْتِي عَلَيْكُمْ مِنْ بَعْدِي زَمَانٌ لَيْسَ فِيهِ شَيْءٌ أَخْفَى مِنَ الحَقِّ، وَلَا أَظْهَرَ مِنَ البَاطِلِ، وَلَا أَكْثَرَ مِنَ الكَذِبِ عَلَى اللهِ وَرَسُولِه، وَلَيْسَ عِنْدَ أَهْلِ ذلِكَ الزَّمَانِ سِلْعَةٌ(١١) أَبْوَرَ(١٢) مِنَ الكِتَابِ إِذَا تُلِيَ حَقَّ تِلَاوَتِه، وَلَا أَنْفَقَ مِنْهُ(١٣) إِذَا حُرِّفَ(١٤) عَنْ مَوَاضِعِه، وَلَا فِي البِلَادِ شَيْءٌ أَنْكَرَ مِنَ المَعْرُوفِ، وَلَا أَعْرَفَ مِنَ المُنْكَرِ! فَقَدْ نَبَذَ(١٥) الكِتَابَ حَمَلَتُهُ، وَتَنَاسَاهُ حَفَظَتُهُ: فَالكِتَابُ يَوْمَئِذٍ وَأَهْلُهُ طَرِيدَانِ(١٦) مَنْفِيَّانِ، وَصَاحِبَانِ مُصْطَحِبَانِ فِي طَرِيقٍ وَاحِدٍ لَا يُؤْوِيهِمَا(١٧) مُؤْوٍ. فَالكِتَابُ وَأَهْلُهُ فِي ذلِكَ الزَّمَانِ فِي النَّاسِ وَلَيْسَا فِيهِمْ، وَمَعَهُمْ وَلَيْسَا مَعَهُمْ! لِأَنَّ الضَّلَالَةَ لَا تُوَافِقُ الهُدَى، وَإِنِ اجْتَمَعَا. فَاجْتَمَعَ القَوْمُ عَلَى الفُرْقَةِ، وَافْتَرَقُوا عَلَى الجَمَاعَةِ، كَأَنَّهُمْ أَئِمَّةُ الكِتَابِ وَلَيْسَ الكِتَابُ

١٤٧ ـ ومن خطبة له عليه السلام

الغاية من البعثة

فَبَعَثَ اللهُ مُحَمَّداً، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، بِالْحَقِّ لِيُخْرِجَ عِبَادَهُ مِنْ عِبَادَةِ الأَوْثَانِ(١) إِلَى عِبَادَتِهِ، وَمِنْ طَاعَةِ الشَّيْطَانِ إِلَى طَاعَتِهِ، بِقُرْآنٍ قَدْ بَيَّنَهُ وَأَحْكَمَهُ(٢)، لِيَعْلَمَ العِبَادُ رَبَّهُمْ إِذْ جَهِلُوهُ، وَلِيُقِرُّوا(٣) بِهِ بَعْدَ إِذْ جَحَدُوهُ(٤)، وَلِيُثْبِتُوهُ بَعْدَ إِذْ أَنْكَرُوهُ. فَتَجَلَّى(٥) لَهُمْ سُبْحَانَهُ فِي كِتَابِهِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَكُونُوا رَأَوْهُ بِمَا أَرَاهُمْ مِنْ قُدْرَتِهِ، وَخَوَّفَهُمْ مِنْ سَطْوَتِهِ(٦)، وَكَيْفَ مَحَقَ مَنْ مَحَقَ(٧) بِالمَثُلاَتِ(٨). وَاحْتَصَدَ(٩) مَنِ احْتَصَدَ بِالنَّقِمَاتِ(١٠)!.

الزمان المقبل

وَإِنَّهُ سَيَأْتِي عَلَيْكُمْ مِنْ بَعْدِي زَمَانٌ لَيْسَ فِيهِ شَيْءٌ أَخْفَى مِنَ الحَقِّ، وَلاَ أَظْهَرَ مِنَ البَاطِلِ، وَلاَ أَكْثَرَ مِنَ الكَذِبِ عَلَى اللهِ وَرَسُولِهِ، وَلَيْسَ عِنْدَ أَهْلِ ذلِكَ الزَّمَانِ سِلْعَةٌ(١١) أَبْوَرَ(١٢) مِنَ الكِتَابِ إِذَا تُلِيَ حَقَّ تِلاَوَتِهِ، وَلاَ أَنْفَقَ مِنْهُ(١٣) إِذَا حُرِّفَ(١٤) عَنْ مَوَاضِعِهِ، وَلاَ فِي البِلاَدِ شَيْءٌ أَنْكَرَ مِنَ المَعْرُوفِ، وَلاَ أَعْرَفَ مِنَ المُنْكَرِ! فَقَدْ نَبَذَ(١٥) الكِتَابَ حَمَلَتُهُ، وَتَنَاسَاهُ حَفَظَتُهُ: فَالكِتَابُ يَوْمَئِذٍ وَأَهْلُهُ طَرِيدَانِ(١٦) مَنْفِيَّانِ، وَصَاحِبَانِ مُصْطَحِبَانِ فِي طَرِيقٍ وَاحِدٍ لاَ يُؤْوِيهِمَا(١٧) مُؤْوٍ. فَالكِتَابُ وَأَهْلُهُ فِي ذلِكَ الزَّمَانِ فِي النَّاسِ وَلَيْسَا فِيهِمْ، وَمَعَهُمْ وَلَيْسَا مَعَهُمْ! لأَنَّ الضَّلاَلَةَ لاَ تُوَافِقُ الهُدَى، وَإِنِ اجْتَمَعَا. فَاجْتَمَعَ القَوْمُ عَلَى الفُرْقَةِ، وَافْتَرَقُوا عَلَى الجَمَاعَةِ، كَأَنَّهُمْ أَئِمَّةُ الكِتَابِ وَلَيْسَ الكِتَابُ

٣ ـ يقروا : يعترفوا ويذعنوا.
٤ ـ جحد : أنكر.
٥ ـ تجلى : انكشف وظهر.
٦ ـ السطوة : عليه الوثوب عليه وقهره.
٧ ـ محق : الشيء محاه وأهلكه.
٨ ـ المثلات : العقوبات.
٩ ـ حصد : الزرع واحتصده قطعه بالمنجل.
١٠ ـ النقمات : جمع النقمة المكافأة بالعقوبة.
١١ ـ السلعة : المتاع.
١٢ ـ أبور : من بار الشيء إذا فسد.
١٣ ـ أنفق منه : أروج منه.
١٤ ـ حرّف : القول غيّره عن مواضعه.
١٥ ـ نبذ : رمى وألقى.
١٦ ـ الطريد : المطرود الهارب.
١٧ ـ لا يؤويهما : لا يضمهما إليه وينزلهما عنده.
١٨ ـ الزبر : الكتابة وزبرت الكتاب كتبته.
١٩ ـ مثلوا : نكلوا والاسم منه المثلة.
٢٠ ـ الفرية : بكسر الفاء الكذب.
٢١ ـ الآجال : أوقات الموت.
٢٢ ـ القارعة : الداهية المهلكة، المصيبة الشديدة.
٢٣ ـ نفر : من الحق باعد عنه وهرب.
٢٤ ـ الأجرب : من الجرب داء يحدث في الجلد بثوراً صغاراً لها حكة شديدة.
٢٥ ـ الباري : المعافى من المرض.
٢٦ ـ السقم : المرض والعلة.
٢٧ ـ الرشد : الهدى، ضد الغي.
٢٨ ـ نقضه : أبطله وأفسده.

الشرح

(فبعث الله محمداً صلى الله عليه وآله بالحق ليخرج عباده من عبادة الأوثان إلى عبادته ومن طاعة الشيطان إلى طاعته بقرآن قد بينه وأحكمه ليعلم العباد ربهم إذ جهلوه

٣ ـ يقروا : يعترفوا ويذعنوا.
٤ ـ جحد : أنكر.
٥ ـ تجلى : انكشف وظهر.
٦ ـ السطوة : عليه الوثوب عليه وقهره.
٧ ـ محق : الشيء محاه وأهلكه.
٨ ـ المثلات : العقوبات.
٩ ـ حصد : الزرع واحتصده قطعه بالمنجل.
١٠ ـ النقمات : جمع النقمة المكافأة بالعقوبة.
١١ ـ السلعة : المتاع.
١٢ ـ أبور : من بار الشيء إذا فسد.
١٣ ـ أنفق منه : أروج منه.
١٤ ـ حرّف : القول غيّره عن مواضعه.
١٥ ـ نبذ : رمى وألقى.
١٦ ـ الطريد : المطرود الهارب.
١٧ ـ لا يؤويهما : لا يضمهما إليه وينزلهما عنده.
١٨ ـ الزبر : الكتابة وزبرت الكتاب كتبته.
١٩ ـ مثلوا : نكلوا والاسم منه المثلة.
٢٠ ـ الفرية : بكسر الفاء الكذب.
٢١ ـ الآجال : أوقات الموت.
٢٢ ـ القارعة : الداهية المهلكة، المصيبة الشديدة.
٢٣ ـ نفر : من الحق باعد عنه وهرب.
٢٤ ـ الأجرب : من الجرب داء يحدث في الجلد بثوراً صغاراً لها حكة شديدة.
٢٥ ـ الباري : المعافى من المرض.
٢٦ ـ السقم : المرض والعلة.
٢٧ ـ الرشد : الهدى، ضد الغي.
٢٨ ـ نقضه : أبطله وأفسده.

الشرح

(فبعث الله محمداً صلى الله عليه وآله بالحق ليخرج عباده من عبادة الأوثان إلى عبادته ومن طاعة الشيطان إلى طاعته بقرآن قد بينه وأحكمه ليعلم العباد ربهم إذ جهلوه

والأمر والنهي والحكم والسياسة وقد احتلوا المناصب مع أزلامهم والمنتفعين معهم أما أصحاب الدين وأهل الإيمان، أما الدين والإسلام فقد اختفى وضاعت أعلامه من القائمة . . .

٢ ـ إنه زمان لا يوجد فيه أكثر من الكذب على الله ورسوله وهذا أيضاً في متناول الجميع فعلى مستوى الدس والافتراء فقد امتلأت الكتب بذلك ويكفي أن يكون أبو هريرة الدوسي هو الراوية لحديث الرسول حيث راح يختلق ما يشاء وما يريده معاوية . . . وأما في زماننا فخذها فتاوى تستند إلى الله ورسوله والله ورسوله بريئان منها . . .

٣ ـ إنه زمان يتنكر فيه لكتاب الله إذا أقيم على حقيقته وأريد تنفيذ أحكامه كما هي أما إذا حرفت آياته وصرفت عن وجهها وطوعت لإرادة الحكام ومشتهياتهم فإنهم يرحبون بها ويقبلون ذلك . . .

٤ ـ إنه زمان ليس في البلاد شيء أنكر من المعروف ولا أعرف من المنكر إنه زمان يمر علينا اليوم فالقرض أصبح منكراً والربا صار معروفاً والسفور أصبح تقدماً ومعروفاً والحجاب تأخراً ومنكراً والتدين أصبح رجعية واللادين أصبح تقدماً وهكذا أضحى المنكر من أعرف الأمور والمعروف من أشدها نكراناً . . .

(فقد نبذ الكتاب حملته وتناساه حفظته فالكتاب يومئذ وأهله طريدان منفيان وصاحبان مصطحبان في طريق واحد لا يؤويهما مؤو. فالكتاب وأهله في ذلك الزمان في الناس وليسا فيهم ومعهم وليسا معهم لأن الضلالة لا توافق الهدى وإن اجتمعا) وهذه من صفات ذلك الزمان أيضاً.

٥ ـ إنه زمان نبذ الكتاب حملته وتناساه حفظته فأهل الدين الذين يعرفون أحكام الكتاب قد هجروه وتركوه وأما الحافظون له فقد جعلوا أنفسهم ناسين له لئلا يحتجوا على الناس به.

٦ ـ فالكتاب وأهله طريدان منفيان وصاحبان مصطحبان في طريق واحد لا يؤويهما مؤو.

فالكتاب وأهله الذين يحملونه بحق ويحفظونه بجدارة منفيان من جهة إهمالهما وعدم الالتفات إليهما بل محاربان، إنهما صاحبان مترافقان في طريق واحد وهو طريق الحق والصدق ورفض الباطل لا يستقبلهما أحد أو يضمهما إليه أحد لعدم وجود المخلصين الطالبين للحق والعدل.

والأمر والنهي والحكم والسياسة وقد احتلوا المناصب مع أزلامهم والمنتفعين معهم أما أصحاب الدين وأهل الإيمان، أما الدين والإسلام فقد اختفى وضاعت أعلامه من القائمة. . .

٢ ـ إنه زمان لا يوجد فيه أكثر من الكذب على الله ورسوله وهذا أيضاً في متناول الجميع فعلى مستوى الدس والافتراء فقد امتلأت الكتب بذلك ويكفي أن يكون أبو هريرة الدوسي هو الراوية لحديث الرسول حيث راح يختلق ما يشاء وما يريده معاوية. . . وأما في زماننا فخذها فتاوى تستند إلى الله ورسوله والله ورسوله بريئان منها. . .

٣ ـ إنه زمان ينتكر فيه لكتاب الله إذا أقيم على حقيقته وأريد تنفيذ أحكامه كما هي أما إذا حرفت آياته وصرفت عن وجهها وطوعت لإرادة الحكام ومشتهياتهم فإنهم يرحبون بها ويقبلون ذلك. . .

٤ ـ إنه زمان ليس في البلاد شيء أنكر من المعروف ولا أعرف من المنكر إنه زمان يمر علينا اليوم فالقرض أصبح منكراً والربا صار معروفاً والسفور أصبح تقدماً ومعروفاً والحجاب تأخراً ومنكراً والتدين أصبح رجعية واللادين أصبح تقدماً وهكذا أضحى المنكر من أعرف الأمور والمعروف من أشدها نكراناً. . .

(فقد نبذ الكتاب حملته وتناساه حفظته فالكتاب يومئذ وأهله طريدان منفيان وصاحبان مصطحبان في طريق واحد لا يؤويهما مؤو. فالكتاب وأهله في ذلك الزمان في الناس وليسا فيهم ومعهم وليسا معهم لأن الضلالة لا توافق الهدى وإن اجتمعا) وهذه من صفات ذلك الزمان أيضاً.

٥ ـ إنه زمان نبذ الكتاب حملته وتناساه حفظته فأهل الدين الذين يعرفون أحكام الكتاب قد هجروه وتركوه وأما الحافظون له فقد جعلوا أنفسهم ناسين له لئلا يحتجوا على الناس به.

٦ ـ فالكتاب وأهله طريدان منفيان وصاحبان مصطحبان في طريق واحد لا يؤويهما مؤو.

فالكتاب وأهله الذين يحملونه بحق ويحفظونه بجدارة منفيان من جهة إهمالهما وعدم الالتفات إليهما بل محاربان، إنهما صاحبان مترافقان في طريق واحد وهو طريق الحق والصدق ورفض الباطل لا يستقبلهما أحد أو يضمهما إليه أحد لعدم وجود المخلصين الطالبين للحق والعدل.

(وإنما هلك من كان قبلكم بطول آمالهم وتغيّب آجالهم حتى نزل بهم الموعود الذي ترد عنه المعذرة وترفع عنه التوبة وتحل معه القارعة والنقمة) هذه الموعظة للمخاطبين يذكر الماضين وكيف كان هلاكهم وما سببه إنهم هلكوا بطول الآمال وتغيب الموت عن أنظارهم والإنسان إذا طال أمله يطغى ويظلم ويريد أن يحققه ولو على حساب وجود الناس فإذا ذكر الموت والحساب والعقاب ارتدع وكف وأما إذا غيّب الموت عن نظره ونظر بعين الأمل الواسع فإنه يهلك لا محالة لأنه إذا بقي على ذلك ينزل به الموت الذي لا يقبل عذراً وترفع التوبة في لحظات الحياة الأخيرة وتحل المأساة الكبرى والعذاب الدائم المقيم. . .

(أيها الناس إنه من استنصح الله وفق ومن اتخذ قوله دليلاً هدي «للتي هي أقوم» فإن جار الله آمن وعدوه خائف وأنه لا ينبغي لمن عرف عظمة الله أن يتعظم فإن رفعة الذين يعلمون ما عظمته أن يتواضعوا له وسلامة الذين يعلمون ما قدرته أن يستسلموا له) هذه موعظة للناس وتوجيه لهم نحو سعادتهم وعزتهم فمن طلب النصح من الله وفقه الله للخير لأن الله بيده مفاتيح الهداية ومن اعتمد على قول الله واتخذه هادياً له ودليلاً فإنه يهدي لأصلح الطرق وأفضلها ومن كان طريقه وفق إرادة الله فهو جار لله قريب منه وجار الله آمن في الدنيا كما هو آمن في الآخرة ففي الدنيا يملك رؤية واضحة حقيقية وهي أن الله بيده الأمور وهو مالك للدنيا وما فيها ولا يجري أمر إلا بقضائه وقدره فهو بعين الله فتطمئن نفسه ويرتاح قلبه وأما في الآخرة فإنها السعادة الأبدية التي تنتظره.

ونبه الحاضرين إلى أمور ولفت نظرهم إليها:

١ ـ إن من عرف عظمة الله وعلوه يجب أن لا يجعل نفسه عظيماً ويرتفع عن أوامره وتكاليفه بل إن الإنسان إذا عرف عظمة الله فتواضع له ارتفع وعلا فكان سبب علوه تواضعه لله وهذا أمر طبيعي لأن التواضع لله هو امتثال أمره والاتصال به ومن اتصل بالله اتصل بأقوى الأسباب وأمتنها فيستمد منه العظمة في قلوب الناس.

٢ ـ سلامة من يعلمون قدرته حيث يعلمون أنه القوي الشديد الذي لا يقف في وجهه شيء أن يستسلموا له أي يسلموا له فيطيعوا أمره ويتركوا نهيه.

(فلا تنفروا من الحق نفار الصحيح من الأجرب والباري من ذي السقم واعلموا أنكم لن تعرفوا الرشد حتى تعرفوا الذي تركه ولن تأخذوا بميثاق الكتاب حتى تعرفوا الذي نقضه ولن تمسكوا به حتى تعرفوا الذي نبذه) بعد أن ردهم إلى الله وأمرهم أن يكونوا معه رغبهم في الحق وقال لهم: لا تبتعدوا عن الحق وتهربوا منه كهروب الصحيح

(وإنما هلك من كان قبلكم بطول آمالهم وتغيّب آجالهم حتى نزل بهم الموعود الذي ترد عنه المعذرة وترفع عنه التوبة وتحل معه القارعة والنقمة) هذه الموعظة للمخاطبين يذكر الماضين وكيف كان هلاكهم وما سببه إنهم هلكوا بطول الآمال وتغيب الموت عن أنظارهم والإنسان إذا طال أمله يطغى ويظلم ويريد أن يحققه ولو على حساب وجود الناس فإذا ذكر الموت والحساب والعقاب ارتدع وكف وأما إذا غيّب الموت عن نظره ونظر بعين الأمل الواسع فإنه يهلك لا محالة لأنه إذا بقي على ذلك ينزل به الموت الذي لا يقبل عذراً وترفع التوبة في لحظات الحياة الأخيرة وتحل المأساة الكبرى والعذاب الدائم المقيم . . .

(أيها الناس إنه من استنصح الله وفق ومن اتخذ قوله دليلاً هدي «للتي هي أقوم» فإن جار الله آمن وعدوه خائف وأنه لا ينبغي لمن عرف عظمة الله أن يتعظم فإن رفعة الذين يعلمون ما عظمته أن يتواضعوا له وسلامة الذين يعلمون ما قدرته أن يستسلموا له) هذه موعظة للناس وتوجيه لهم نحو سعادتهم وعزتهم فمن طلب النصح من الله وفقه الله للخير لأن الله بيده مفاتيح الهداية ومن اعتمد على قول الله واتخذه هادياً له ودليلاً فإنه يهدي لأصلح الطرق وأفضلها ومن كان طريقه وفق إرادة الله فهو جار لله قريب منه وجار الله آمن في الدنيا كما هو آمن في الآخرة ففي الدنيا يملك رؤية واضحة حقيقية وهي أن الله بيده الأمور وهو مالك للدنيا وما فيها ولا يجري أمر إلا بقضائه وقدره فهو بعين الله فتطمئن نفسه ويرتاح قلبه وأما في الآخرة فإنها السعادة الأبدية التي تنتظره .

ونبه الحاضرين إلى أمور ولفت نظرهم إليها :

١ ـ إن من عرف عظمة الله وعلوه يجب أن لا يجعل نفسه عظيماً ويرتفع عن أوامره وتكاليفه بل إن الإنسان إذا عرف عظمة الله فتواضع له ارتفع وعلا فكان سبب علوه تواضعه لله وهذا أمر طبيعي لأن التواضع لله هو امتثال أمره والاتصال به ومن اتصل بالله اتصل بأقوى الأسباب وأمتنها فيستمد منه العظمة في قلوب الناس .

٢ ـ سلامة من يعلمون قدرته حيث يعلمون أنه القوي الشديد الذي لا يقف في وجهه شيء أن يستسلموا له أي يسلموا له فيطيعوا أمره ويتركوا نهيه .

(فلا تنفروا من الحق نفار الصحيح من الأجرب والباري من ذي السقم واعلموا أنكم لن تعرفوا الرشد حتى تعرفوا الذي تركه ولن تأخذوا بميثاق الكتاب حتى تعرفوا الذي نقضه ولن تمسكوا به حتى تعرفوا الذي نبذه) بعد أن ردهم إلى الله وأمرهم أن يكونوا معه رغبهم في الحق وقال لهم : لا تبتعدوا عن الحق وتهربوا منه كهروب الصحيح

٦ ـ ولا يختلفون فيه: وكيف يختلفون فيه وهم يأخذون من عين واحدة وقد زودهم الله بالعصمة التي تمنعهم من الوقوع في الخطأ والاختلاف...

٧ ـ فهو بينهم ـ الدين ـ شاهد صادق وصامت ناطق... فالدين شاهد صادق على عدم الاختلاف فيما بينهم إذ كلام اللاحق منهم يصدق السابق وكلام السابق متسق متفق فيما بينه وكذلك هذا الدين صامت في شهادته ولكنه ناطق ببيانه ولسانه من حيث إنهم معه متفقان لا يفترقان ومتوحدان لا ينفصلان...

وقال بعضهم: إن قوله: شاهد صادق يعني أن الدين شاهد صادق يأخذون بحكمه كما يؤخذ بحكم الشاهد الصادق وهو صامت لأنه لا ينطق بنفسه فلا بد له من مترجم فهو صامت في الصورة بينما في المعنى أنطق الناطقين لأن الأوامر والنواهي والآداب كلها مبنية عليه ومتفرعة عنه...

٦ ـ ولا يختلفون فيه: وكيف يختلفون فيه وهم يأخذون من عين واحدة وقد زودهم الله بالعصمة التي تمنعهم من الوقوع في الخطأ والاختلاف. . .

٧ ـ فهو بينهم ـ الدين ـ شاهد صادق وصامت ناطق. . . فالدين شاهد صادق على عدم الاختلاف فيما بينهم إذ كلام اللاحق منهم يصدق السابق وكلام السابق متسق متفق فيما بينه وكذلك هذا الدين صامت في شهادته ولكنه ناطق ببيانه ولسانه من حيث إنهم معه متفقان لا يفترقان ومتوحدان لا ينفصلان. . .

وقال بعضهم: إن قوله: شاهد صادق يعني أن الدين شاهد صادق يأخذون بحكمه كما يؤخذ بحكم الشاهد الصادق وهو صامت لأنه لا ينطق بنفسه فلا بد له من مترجم فهو صامت في الصورة بينما في المعنى أنطق الناطقين لأن الأوامر والنواهي والآداب كلها مبنية عليه ومتفرعة عنه. . .

الشرح

(كل واحد منهما يرجو الأمر له، ويعطفه عليه دون صاحبه لا يمتان إلى الله بحبل ولا يمدان إليه بسبب كل واحد منهما حامل ضب لصاحبه وعما قليل يكشف قناعه به والله لئن اصابوا الذي يريدون لينتزعن هذا نفس هذا وليأتين هذا على هذا) في هذا الكلام الشريف بيان حال طلحة والزبير وما يحمل كل منهما في نفسه نحوالآخر ولماذا خرجا عليه...

فكل واحد منهما ـ طلحة والزبير ـ يرجو أن يكون أمر الخلافة له ويعمل لذلك ويجذبة إليه دون غيره وقد صرح بهذا كل منهما ونقل الرواة ما كان منهما في هذا السبيل قال ابن أبي الحديد: ذكر ارباب السيرة أن الرجلين اختلفا من قبل وقوع الحرب فإنهما اختلفا في الصلاة ـ من يصلي بالناس ـ فأقامت عائشة محمد بن طلحة[1] وعبد الله بن الزبير يصلي هذا يوماً وهذا يوماً إلى أن تنقضي الحرب.

ثم اختلفا في الإمارة فأمرت عائشة الناس أن يسلموا عليهما معاً بالإمارة.

ثم نفى أن يكون ذلك الخروج عليه منهما أن يكون لله أو يكون له مايبرره بل كله عدوان صارخ على حقه وعلى حق الدين إذ بعد أن انعقدت له الخلافة وبايعاه معاً من جملة من بايعوا كيف يكون نقضهما للبيعة ونكثهما للعهد ولما اعطيا من ميثاق.

وأشار بقوله «كل واحد منهما حامل ضب لصاحبه» إن كل واحد منهما يحمل حقداً على الآخر ويتربص به الفرص للخلاص منه.

وعما قليل تتكشف الأمور فإنه جمر تحت الرماد وحقدهما سوف يظهر وينكشف للناس...

ثم حلّف بالله وهو صادق بار إنهما لو انتصرا في حربهما وصارت الخلافة لهما ليأتي أحدهما على الآخر ويقضي عليه ولا يتركه على قيد الحياة وذلك لأن حربهما للإمام لم تكن لله وإنما كانت من أجل الخلافة وحباً بها فإذا صارت لهما ودارت بينهما وقع النزاع والخلاف وتحولت إلى أقوى الطرفين وأشد الخصمين وهذا أمر طبيعي فيمن أحب الدنيا والرئاسة والزعامة وقطع النظر عن الله والآخرة وقد قيل «الملك عقيم» أي لا يترك أحداً ينازع صاحبه.

---

(١) ابن أبي الحديد ج ٩ ص ١١٠.

الشرح

(كل واحد منهما يرجو الأمر له، ويعطفه عليه دون صاحبه لا يمتان إلى الله بحبل ولا يمدان إليه بسبب كل واحد منهما حامل ضب لصاحبه وعما قليل يكشف قناعه به والله لئن اصابوا الذي يريدون لينتزعن هذا نفس هذا وليأتين هذا على هذا) في هذا الكلام الشريف بيان حال طلحة والزبير وما يحمل كل منهما في نفسه نحوالآخر ولماذا خرجا عليه...

فكل واحد منهما ـ طلحة والزبير ـ يرجو أن يكون أمر الخلافة له ويعمل لذلك ويجذبة إليه دون غيره وقد صرح بهذا كل منهما ونقل الرواة ما كان منهما في هذا السبيل قال ابن أبي الحديد: ذكر ارباب السيرة أن الرجلين اختلفا من قبل وقوع الحرب فإنهما اختلفا في الصلاة ـ من يصلي بالناس ـ فأقامت عائشة محمد بن طلحة[1] وعبد الله بن الزبير يصلي هذا يوماً وهذا يوماً إلى أن تنقضي الحرب.

ثم اختلفا في الإمارة فأمرت عائشة الناس أن يسلموا عليهما معاً بالإمارة.

ثم نفى أن يكون ذلك الخروج عليه منهما أن يكون لله أو يكون له مايبرره بل كله عدوان صارخ على حقه وعلى حق الدين إذ بعد أن انعقدت له الخلافة وبايعاه معاً من جملة من بايعوا كيف يكون نقضهما للبيعة ونكثهما للعهد ولما اعطيا من ميثاق.

وأشار بقوله «كل واحد منهما حامل ضب لصاحبه» إن كل واحد منهما يحمل حقداً على الآخر ويتربص به الفرص للخلاص منه.

وعما قليل تتكشف الأمور فإنه جمر تحت الرماد وحقدهما سوف يظهر وينكشف للناس...

ثم حلّف بالله وهو صادق بار إنهما لو انتصرا في حربهما وصارت الخلافة لهما ليأتي أحدهما على الآخر ويقضي عليه ولا يتركه على قيد الحياة وذلك لأن حربهما للإمام لم تكن لله وإنما كانت من أجل الخلافة وحباً بها فإذا صارت لهما ودارت بينهما وقع النزاع والخلاف وتحولت إلى أقوى الطرفين وأشد الخصمين وهذا أمر طبيعي فيمن أحب الدنيا والرئاسة والزعامة وقطع النظر عن الله والآخرة وقد قيل «الملك عقيم» أي لا يترك أحداً ينازع صاحبه.

---

(١) ابن أبي الحديد ج ٩ ص ١١٠.

١٤٩ ـ ومن كلام له عليه السلام

قبل موته

أَيُّهَا النَّاسُ، كُلُّ ٱمْرِىءٍ لَاقٍ مَا يَفِرُّ مِنْهُ فِي فِرَارِهِ. الأَجَلُ مَسَاقُ النَّفْسِ(١). وَٱلْهَرَبُ مِنْهُ مُوَافَاتُهُ(٢). كَمْ أَطْرَدْتُ(٣) الأَيَّامَ أَبْحَثُهَا عَنْ مَكْنُونِ(٤) هذَا الأَمْرِ، فَأَبَى اللهُ(٥) إِلاَّ إِخْفَاءَهُ. هَيْهَاتَ! عِلْمٌ مَخْزُونٌ! أَمَّا وَصِيَّتِي: فَاللهَ لا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً، وَمُحَمَّداً صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، فَلاَ تُضَيِّعُوا سُنَّتَهُ. أَقِيمُوا هذَيْنِ ٱلْعَمُودَيْنِ. وأَوْقِدُوا(٦) هذَيْنِ ٱلْمِصْبَاحَيْنِ، وَخَلاَكُمْ ذَمٌّ(٧) مَا لَمْ تَشْرُدُوا(٨). حُمِّلَ كُلُّ ٱمْرِىءٍ مِنْكُمْ مَجْهُودَهُ، وَخُفِّفَ عَنِ ٱلْجَهَلَةِ. رَبٌّ رَحِيمٌ، وَدِينٌ قَوِيمٌ(٩)، وَإِمَامٌ عَلِيمٌ. أَنَا بِالأَمْسِ صَاحِبُكُمْ، وَأَنَا ٱلْيَوْمَ عِبْرَةٌ(١٠) لَكُمْ، وَغَداً مُفَارِقُكُمْ! غَفَرَ اللهُ لِي وَلَكُمْ!.

إِنْ تَثْبُتِ ٱلْوَطْأَةُ(١١) فِي هذِهِ ٱلْمَزَلَّةِ(١٢) فَذَاكَ، وَإِنْ تَدْحَضِ(١٣) ٱلْقَدَمُ فَإِنَّا كُنَّا فِي أَفْيَاءِ(١٤) أَغْصَانٍ، وَمَهَابِّ رِيَاحٍ(١٥)، وَتَحْتَ ظِلِّ غَمَامٍ، ٱضْمَحَلَّ فِي الْجَوِّ مُتَلَفِّقُهَا(١٦)، وَعَفَا(١٧) فِي الأَرْضِ مَخَطُّهَا(١٨). وإِنَّمَا كُنْتُ جَاراً جَاوَرَكُمْ بَدَنِي أَيَّاماً، وَسَتُعْقَبُونَ مِنِّي جُثَّةً خَلاَءً(١٩). سَاكِنَةً بَعْدَ حَرَاكٍ، وَصَامِتَةً بَعْدَ نُطْقٍ. لِيَعِظْكُم هُدُوِّي(٢٠)، وَخُفُوتُ(٢١) إِطْرَاقِي(٢٢)، وَسُكُونُ أَطْرَافِي(٢٣) فَإِنَّهُ أَوْعَظُ لِلْمُعْتَبِرِينَ مِنَ الْمَنْطِقِ الْبَلِيغِ وَالقَوْلِ ٱلْمَسْمُوعِ. وَدَاعِي لَكُمْ وَدَاعُ ٱمْرِىءٍ مُرْصِدٍ(٢٤) لِلتَّلاَقِي! غَداً تَرَوْنَ أَيَّامِي، وَيُكْشَفُ لَكُمْ عَنْ سَرَائِرِي، وَتَعْرِفُونَنِي بَعْدَ خُلُوِّ مَكَانِي وَقِيَامِ غَيْرِي مَقَامِي.

١٤٩ ـ ومن كلام له عليه السلام

قبل موته

أَيُّهَا النَّاسُ، كُلُّ ٱمْرِىءٍ لَاقٍ مَا يَفِرُّ مِنْهُ فِي فِرَارِهِ. الأَجَلُ مَسَاقُ النَّفْسِ[١]. وَٱلْهَرَبُ مِنْهُ مُوَافَاتُهُ[٢]. كَمْ أَطْرَدْتُ[٣] الأَيَّامَ أَبْحَثُهَا عَنْ مَكْنُونِ[٤] هذَا الأَمْرِ، فَأَبَى اللهُ[٥] إِلَّا إِخْفَاءَهُ. هَيْهَاتَ! عِلْمٌ مَخْزُونٌ! أَمَّا وَصِيَّتِي: فَاللهَ لا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً، وَمُحَمَّداً صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، فَلَا تُضَيِّعُوا سُنَّتَهُ. أَقِيمُوا هذَيْنِ ٱلْعَمُودَيْنِ. وَأَوْقِدُوا[٦] هذَيْنِ ٱلْمِصْبَاحَيْنِ، وَخَلَاكُمْ ذَمٌّ[٧] مَا لَمْ تَشْرُدُوا[٨]. حُمِّلَ كُلُّ ٱمْرِىءٍ مِنْكُمْ مَجْهُودَهُ، وَخُفِّفَ عَنِ ٱلْجَهَلَةِ. رَبٌّ رَحِيمٌ، وَدِينٌ قَوِيمٌ[٩]، وَإِمَامٌ عَلِيمٌ. أَنَا بِالأَمْسِ صَاحِبُكُمْ، وَأَنَا ٱلْيَوْمَ عِبْرَةٌ[١٠] لَكُمْ، وَغَداً مُفَارِقُكُمْ! غَفَرَ اللهُ لِي وَلَكُمْ!.

إِنْ تَثْبُتِ ٱلْوَطْأَةُ[١١] فِي هذِهِ ٱلْمَزَلَّةِ[١٢] فَذَاكَ، وَإِنْ تَدْحَضِ[١٣] ٱلْقَدَمُ فَإِنَّا كُنَّا فِي أَفْيَاءِ[١٤] أَغْصَانٍ، وَمَهَابِّ رِيَاحٍ[١٥]، وَتَحْتَ ظِلِّ غَمَامٍ، ٱضْمَحَلَّ فِي الْجَوِّ مُتَلَفِّقُهَا[١٦]، وَعَفَا[١٧] فِي الأَرْضِ مَخَطُّهَا[١٨]. وإِنَّمَا كُنْتُ جَاراً جَاوَرَكُمْ بَدَنِي أَيَّاماً، وَسَتُعْقَبُونَ مِنِّي جُثَّةً خَلَاءً[١٩]. سَاكِنَةً بَعْدَ حَرَاكٍ، وَصَامِتَةً بَعْدَ نُطْقٍ. لِيَعِظْكُم هُدُوِّي[٢٠]، وَخُفُوتُ[٢١] إِطْرَاقِي[٢٢]، وَسُكُونُ أَطْرَافِي[٢٣] فَإِنَّهُ أَوْعَظُ لِلْمُعْتَبِرِينَ مِنَ الْمَنْطِقِ الْبَلِيغِ وَالقَوْلِ ٱلْمَسْمُوعِ. وَدَاعِي لَكُمْ وَدَاعُ ٱمْرِىءٍ مُرْصِدٍ[٢٤] لِلتَّلَاقِي! غَداً تَرَوْنَ أَيَّامِي، وَيُكْشَفُ لَكُمْ عَنْ سَرَائِرِي، وَتَعْرِفُونَنِي بَعْدَ خُلُوِّ مَكَانِي وَقِيَامِ غَيْرِي مَقَامِي.

مخزون) هذه وصية الإمام بعد أن ضربه اللعين ابن ملجم وهي تتضمن موعظه غالية للناس ليستعدوا ويتأهبوا للموت ويتعظوا به ويأخذوا العبرة من مقامه الذي هو فيه الآن . . .

كل إنسان يفر من الموت وفي أثناء فراره يجده لأن مدة فراره تذهب بأيامه وفيها ذهاب عمره وأتيان أجله قال تعالى: ﴿**قل إن الموت الذي تفرون منه فإنه ملاقيكم**. .﴾.

والأجل وهو الموت يسوق النفس إلى نهايتها وتنتهي عنده فإذا هرب منه فكأنه يهرب إليه باعتبار احاطته به وسيطرته عليه.

ثم بين إنه كان يطرد الأيام بقوة وشدة فإذا مضى يوم لم يستشهد فيه طرده ليأتي غيره عسى أن يكشف له عن شهادته ويحمل له سعادته فيأبى الله أن يظهر له أو يكشفه بل يبقى وقت الشهادة مجهولاً إنه من العلم المخزون عند الله الذي لم يطلع عليه أحداً من خلقه والإمام كان يعرف إنه يذهب شهيداً وفي بعض الأخبار يعرف قاتله بل يعرف بعض الخصوصيات لقتله ولكن يبقى هناك علم مكنون عند الله لم يظهره لأحد من خلقه به نقدر أن نفسر الشهادة ونرفع عن الإمام تهمة إلقاء النفس في التهلكة وليس في هذا الأمر الإلهي غضاضة على الإمام أو حط من شأنه لأنه ليس فيه تكليف قد أخل به أو اخطأ. . .

(**أما وصيتي: فالله لا تشركوا به شيئاً ومحمداً صلى الله عليه وآله فلا تضيعوا سنته أقيموا هذين العمودين وأوقدوا هذين المصباحين وخلاكم ذم ما لم تشردوا**) أما وصيتي التي أريدها منكم وأريد لكم أن تعملوا بها وتتنبهوا لها:

فالله لا تشركوا به شيئاً وهذا هو مفتاح النجاح فإن من وحد الله ورفض كل ما سواه استدعى منه أن يعمل بكل ما أمر ويترك كل ما نهى وبهذا يصدق التوحيد.

وأما النبي محمد فلا تضيعوا سنته أي اقيموها وأعملوا بها ولا تهملوها أو تسوفوا في تطبيقها ومن وحّد الله وعمل بسنة رسول الله فقد فاز ونجح وقد شبههما الإمام بعمودي الخيمة التي تقوم عليهما وهما عمودي الإسلام الذي ينهض بهما وترتفع أعلامه بهما، عليهما يقوم نظام المسلمين في معاشهم ومعادهم كما إنه عليه السلام شبههما بالمصباحين لأنهما يهديان إلى جنات النعيم ويضيئان الدرب إلى الحق المبين. . فإذا تم هذا لكم فلا ذم عليكم بعده وقد برئتم من كل ما يعيبكم أو يحط من شأنكم إذا استمررتم على ذلك ولم ترتدوا عنه أو تتفرقوا عنه إلى غيره. . .

(**حمل كل امرىء منكم مجهوده وخفف عن الجهلة رب رحيم ودين قويم وإمام عليم**) لما أمرهم بتوحيد الله والعمل بسنة رسول الله وكان هذا تكليف كبير أراد أن يخفف

مخزون) هذه وصية الإمام بعد أن ضربه اللعين ابن ملجم وهي تتضمن موعظه غالية للناس ليستعدوا ويتأهبوا للموت ويتعظوا به ويأخذوا العبرة من مقامه الذي هو فيه الآن. . .

كل إنسان يفر من الموت وفي أثناء فراره يجده لأن مدة فراره تذهب بأيامه وفيها ذهاب عمره وأتيان أجله قال تعالى: ﴿**قل إن الموت الذي تفرون منه فإنه ملاقيكم**. .﴾.

والأجل وهو الموت يسوق النفس إلى نهايتها وتنتهي عنده فإذا هرب منه فكأنه يهرب إليه باعتبار احاطته به وسيطرته عليه.

ثم بين إنه كان يطرد الأيام بقوة وشدة فإذا مضى يوم لم يستشهد فيه طرده ليأتي غيره عسى أن يكشف له عن شهادته ويحمل له سعادته فيأبى الله أن يظهر له أو يكشفه بل يبقى وقت الشهادة مجهولاً إنه من العلم المخزون عند الله الذي لم يطلع عليه أحداً من خلقه والإمام كان يعرف إنه يذهب شهيداً وفي بعض الأخبار يعرف قاتله بل يعرف بعض الخصوصيات لقتله ولكن يبقى هناك علم مكنون عند الله لم يظهره لأحد من خلقه به نقدر أن نفسر الشهادة ونرفع عن الإمام تهمة إلقاء النفس في التهلكة وليس في هذا الأمر الإلهي غضاضة على الإمام أو حط من شأنه لأنه ليس فيه تكليف قد أخل به أو اخطأ. . .

(**أما وصيتي: فالله لا تشركوا به شيئاً ومحمداً صلى الله عليه وآله فلا تضيعوا سنته أقيموا هذين العمودين وأوقدوا هذين المصباحين وخلاكم ذم ما لم تشردوا**) أما وصيتي التي أريدها منكم وأريد لكم أن تعملوا بها وتتنبهوا لها:

فالله لا تشركوا به شيئاً وهذا هو مفتاح النجاح فإن من وحد الله ورفض كل ما سواه استدعى منه أن يعمل بكل ما أمر ويترك كل ما نهى وبهذا يصدق التوحيد.

وأما النبي محمد فلا تضيعوا سنته أي اقيموها وأعملوا بها ولا تهملوها أو تسوفوا في تطبيقها ومن وحّد الله وعمل بسنة رسول الله فقد فاز ونجح وقد شبههما الإمام بعمودي الخيمة التي تقوم عليهما وهما عمودي الإسلام الذي ينهض بهما وترتفع أعلامه بهما، عليهما يقوم نظام المسلمين في معاشهم ومعادهم كما إنه عليه السلام شبههما بالمصباحين لأنهما يهديان إلى جنات النعيم ويضيئان الدرب إلى الحق المبين. . فإذا تم هذا لكم فلا ذم عليكم بعده وقد برئتم من كل ما يعيبكم أو يحط من شأنكم إذا استمررتم على ذلك ولم ترتدوا عنه أو تتفرقوا عنه إلى غيره. . .

(**حمل كل امرىء منكم مجهوده وخفف عن الجهلة رب رحيم ودين قويم وإمام عليم**) لما أمرهم بتوحيد الله والعمل بسنة رسول الله وكان هذا تكليف كبير أراد أن يخفف

من المنطق البليغ والقول المسموع) لقد جاورتكم ببدني أياماً قليلة اشارة إلى أن نفسه الشريفة كانت متعلقة بالملأ الأعلى متصلة بالله وستجدون في عاقبة أمركم مني جسداً خالياً من الروح وجثة هامدة بعد حراك وصامتة بعد نطق فتلك الحركة وذلك المنطق توقفا فلا حركة ولا كلام فهذا الشجاع البطل الذي كان يتحرك في ميادين القتال قد توقفت حركته وتعطلت وهذا الخطيب البليغ الفصيح قد أخرسه الموت فتوقف عن الكلام إنها عبرة يوجههم إليها ويقول لهم ليعظكم سكوني الذي أنا فيه وهذه الوقفة المتداعية مني التي لا أملك فيها رفع عيني عن الأرض ولا أقدر على أن أحرك أطرافي من رأسي ورجلي إلى غيرها. . فإن هذا الذي ترون مني أوعظ لمن أراد أن يعتبر من الواعظ البليغ الفصيح ومن أعظم قول يستحق السمع والانتباه إليه وهذا أمر طبيعي فإن المتكلم البليغ والكلام المسموع ما هو إلا حكاية عن واقع وصورة عن حقيقة فمهما كان تأثير ذلك لن يكون كإحضار الحقيقة نفسها ووجود المحكي بعينه ومهما يعظ الخطباء في الموت لن يصل ذلك إلى مستوى (أن) يرى الإنسان جثة ميت ويبيت معها ليلة واحدة منفرداً. . .

(وداعي لكم وداع امرىء مرصد للتلاقي، غداً ترون أيامي ويكشف لكم عن سرائري وتعرفونني بعد خلو مكاني وقيام غيري مقامي) إنها كلمة الوداع التي يطلقها المفارق للأحبة. . . وداعي لكم وداع امرىء مهيأ للقاء الله منتظر لرحمته. . إنه أمل المحبين والعاشقين وغداً عندما يحكم بنو أمية ترون أيامي الماضية وما كانت تحمله لكم من العز والكرامة وتعرفون أنني لم أقاتل الناكثين والقاسطين والمارقين إلا لأحقاق الحق وإزهاق الباطل والقضاء على المنكرات. . وإنه سيكشف لكم عن سرائري وما كنت أنويه وإنني لم أكن أبغي الملك والسلطان وإنما كان همي أن أقيم الحق والعدل. . وستعرفونني بعد خلو مكاني وقيام غيري مقامي فعندما انتقل إلى الله وتخلو الساحة لمعاوية ولبني أمية ستعرفون حاجتكم لي وستبكون على تلك الأيام التي مرت عليكم في حياتي. . ستعرفون جيداً ما تحمله الأيام المقبلة من ظلم وعدوان ومن مفاسد وقبائح وعندها تعرفون حقي وما كنت أريده لصالحكم وصالح الإسلام. . .

من المنطق البليغ والقول المسموع) لقد جاورتكم ببدني أياماً قليلة اشارة إلى أن نفسه الشريفة كانت متعلقة بالملأ الأعلى متصلة بالله وستجدون في عاقبة أمركم مني جسداً خالياً من الروح وجثة هامدة بعد حراك وصامتة بعد نطق فتلك الحركة وذلك المنطق توقفا فلا حركة ولا كلام فهذا الشجاع البطل الذي كان يتحرك في ميادين القتال قد توقفت حركته وتعطلت وهذا الخطيب البليغ الفصيح قد أخرسه الموت فتوقف عن الكلام إنها عبرة يوجههم إليها ويقول لهم ليعظكم سكوني الذي أنا فيه وهذه الوقفة المتداعية مني التي لا أملك فيها رفع عيني عن الأرض ولا أقدر على أن أحرك أطرافي من رأسي ورجلي إلى غيرها . . فإن هذا الذي ترون مني أوعظ لمن أراد أن يعتبر من الواعظ البليغ الفصيح ومن أعظم قول يستحق السمع والانتباه إليه وهذا أمر طبيعي فإن المتكلم البليغ والكلام المسموع ما هو إلا حكاية عن واقع وصورة عن حقيقة فمهما كان تأثير ذلك لن يكون كإحضار الحقيقة نفسها ووجود المحكي بعينه ومهما يعظ الخطباء في الموت لن يصل ذلك إلى مستوى (أن) يرى الإنسان جثة ميت ويبيت معها ليلة واحدة منفرداً . . .

(**وداعي لكم وداع امرىءٍ مرصد للتلاقي، غداً ترون أيامي ويكشف لكم عن سرائري وتعرفونني بعد خلو مكاني وقيام غيري مقامي**) إنها كلمة الوداع التي يطلقها المفارق للأحبة . . . وداعي لكم وداع امرىء مهيأ للقاء الله منتظر لرحمته . . إنه أمل المحبين والعاشقين وغداً عندما يحكم بنو أمية ترون أيامي الماضية وما كانت تحمله لكم من العز والكرامة وتعرفون أنني لم أقاتل الناكثين والقاسطين والمارقين إلا لأحقاق الحق وإزهاق الباطل والقضاء على المنكرات . . وإنه سيكشف لكم عن سرائري وما كنت أنويه وإنني لم أكن أبغي الملك والسلطان وإنما كان همي أن أقيم الحق والعدل . . وستعرفونني بعد خلو مكاني وقيام غيري مقامي فعندما انتقل إلى الله وتخلو الساحة لمعاوية ولبني أمية ستعرفون حاجتكم لي وستبكون على تلك الأيام التي مرت عليكم في حياتي . . ستعرفون جيداً ما تحمله الأيام المقبلة من ظلم وعدوان ومن مفاسد وقبائح وعندها تعرفون حقي وما كنت أريده لصالحكم وصالح الإسلام . . .

قَبَضَ اللهُ رَسُولَهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، رَجَعَ قَوْمٌ عَلَى الأَعْقَابِ، وَغَالَتْهُمُ[٣٨] السُّبُلُ[٣٩]، وَاتَّكَلُوا[٤٠] عَلَى الوَلَائِجِ[٤١]، وَوَصَلُوا غَيْرَ الرَّحِمِ، وَهَجَرُوا السَّبَبَ الَّذِي أُمِرُوا بِمَوَدَّتِهِ، وَنَقَلُوا البِنَاءَ عَنْ رَصِّ[٤٢] أَسَاسِهِ، فَبَنَوْهُ فِي غَيْرِ مَوْضِعِهِ. مَعَادِنُ كُلِّ خَطِيئَةٍ، وَأَبْوَابُ كُلِّ ضَارِبٍ فِي غَمْرَةٍ[٤٣]. قَدْ مَارُوا[٤٤] فِي الحَيْرَةِ[٤٥]، وَذَهَلُوا[٤٦] فِي السَّكْرَةِ، عَلَى سُنَّةٍ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ: مِنْ مُنْقَطِعٍ إِلَى الدُّنْيَا رَاكِنٍ[٤٧]، أَوْ مُفَارِقٍ لِلدِّينِ مُبَايِنٍ[٤٨].

اللغة

١ ـ ظعن : ظعناً سار.
٢ ـ المسالك : جمع مسلك الطريق.
٣ ـ الغي : الضلال.
٤ ـ الرشد : الاستقامة على طريق الحق، ضد الغي.
٥ ـ مرصد : منتظر.
٦ ـ ودّ : أحب وتمنى.
٧ ـ التباشير : للصبح أوائله.
٨ ـ إبّان : الشيء وقته.
٩ ـ الورود : ضد الصدور، القدوم.
١٠ ـ الدنو : القرب.
١١ ـ الطلعة : الظهور.
١٢ ـ السراج : إناء ونحوه يوضع فيه زيت ونحوه يستضاء به.
١٣ ـ يحذو : يقتفي.
١٤ ـ المثال : الشبه، النظير.
١٥ ـ الربق : بالكسر فالسكون حبل فيه عدة عرى يشدّ بها البُهم وكل عروة ربقة.
١٦ ـ يعتق : يحرر.
١٧ ـ الرق : العبودية.
١٨ ـ يصدع : يفرّق.
١٩ ـ يشعب : يجمع.

قَبَضَ اللهُ رَسُولَهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، رَجَعَ قَوْمٌ عَلَى الأَعْقَابِ، وَغَالَتْهُمُ[٣٨] السُّبُلُ[٣٩]، وَاتَّكَلُوا[٤٠] عَلَى الوَلاَئِجِ[٤١]، وَوَصَلُوا غَيْرَ الرَّحِمِ، وَهَجَرُوا السَّبَبَ الَّذِي أُمِرُوا بِمَوَدَّتِهِ، وَنَقَلُوا البِنَاءَ عَنْ رَصِّ[٤٢] أَسَاسِهِ، فَبَنَوْهُ فِي غَيْرِ مَوْضِعِهِ. مَعَادِنُ كُلِّ خَطِيئَةٍ، وَأَبْوَابُ كُلِّ ضَارِبٍ فِي غَمْرَةٍ[٤٣]. قَدْ مَارُوا[٤٤] فِي الحَيْرَةِ[٤٥]، وَذَهَلُوا[٤٦] فِي السَّكْرَةِ، عَلَى سُنَّةٍ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ: مِنْ مُنْقَطِعٍ إِلَى الدُّنْيَا رَاكِنٍ[٤٧]، أَوْ مُفَارِقٍ لِلدِّينِ مُبَايِنٍ[٤٨].

اللغة

١ ـ ظعن : ظعناً سار.
٢ ـ المسالك : جمع مسلك الطريق.
٣ ـ الغي : الضلال.
٤ ـ الرشد : الاستقامة على طريق الحق، ضد الغي.
٥ ـ مرصد : منتظر.
٦ ـ ودّ : أحب وتمنى.
٧ ـ التباشير : للصبح أوائله.
٨ ـ إبّان : الشيء وقته.
٩ ـ الورود : ضد الصدور، القدوم.
١٠ ـ الدنو : القرب.
١١ ـ الطلعة : الظهور.
١٢ ـ السراج : إناء ونحوه يوضع فيه زيت ونحوه يستضاء به.
١٣ ـ يحذو : يقتفي.
١٤ ـ المثال : الشبه، النظير.
١٥ ـ الربق : بالكسر فالسكون حبل فيه عدة عرى يشدّ بها البُهم وكل عروة ربقة.
١٦ ـ يعتق : يحرر.
١٧ ـ الرق : العبودية.
١٨ ـ يصدع : يفرّق.
١٩ ـ يشعب : يجمع.

الشرح

(وأخذوا يميناً وشمالاً ظعناً في مسالك الغي وتركاً لمذاهب الرشد فلا تستعجلوا ما هو كائن مرصد ولا تستبطئوا ما يجيء به الغد فكم من مستعجل بما أن أدركه ودّ أنه لم يدركه وما أقرب اليوم من تباشير غدٍ) يذكر بعض فرق الضلال الذين زاغوا عن طريق الحق وذهبوا في متاهات الانحراف بين الإفراط والتفريط ولم يسلكوا طريق الهدى وما شرّعه الإسلام وسنّه.

ثم نهاهم عن استعجال ما هو كائن وما لا بدّ أن يوجد مما كانوا يتوقعونه من الفتن التي أخبرهم النبي بأنها ستقع.

كما نهاهم عن الاستبطاء لما يجيء في الغد القريب لوقوعه وتحققه وعلل ذلك النهي بأن الإنسان ربما استعجل أمراً وأحب الحصول عليه وبذل جهده في تحصيله فلما أدركه تمنى أن لم يكن حصل عليه ولا بذل جهده في سبيله كما لو ضحى الإنسان من أجل امرأة وسعى للوصول إليها فلما صارت عنده ظهر منها قبيح الصفات والأفعال فيتمنى عندها أنه لم يسع في سبيل ذلك كما يتمنى عندها لو أنه لم يدركها.

ثم لما نهاهم عن استبطاء ما يجيء به الغد أشار إلى قرب الغد من اليوم وأن طلائعه قد ظهرت وأوائله قد بانت وما أقربه من اليوم، إنه متصل به لا يفصله عنه فاصل...

(يا قوم هذا إبّان ورود كل موعود ودنوّ من طلعة ما لا تعرفون ألا وإن من أدركها منا يسري فيها بسراج منير ويحذو فيها على مثال الصالحين) ينبههم إلى أن هذا الوقت هو وقت الأمور الموعودة التي تأتي قبل يوم القيامة وتكون من علامات حدوثها وهذا وقت قرب ظهور ما لا تعرفون من الأمور لأنها أمور على خلاف ما اعتاده الناس...

ثم ذكر سيرة أهل البيت وكيف يكون مسيرهم وقتها وسلوكهم خلالها، إنهم يسيرون برؤية واضحة من تعاليم الإسلام حيث توجد عندهم المعالم الواضحة التي تهدي إلى الحق وتميز بينه وبين غيره من الباطل وكذلك إنَّ لهم من سيرة الصالحين من أهلهم وما تركوه لهم ما يكفي للنجاة من العثار والوصول إلى شاطىء السلامة والأمن والطمأنينة...

(ليحل فيها ربقاً ويعتق فيها رقاً ويصدع شعباً ويشعب صدعاً في سترة عن الناس لا

الشرح

(وأخذوا يميناً وشمالاً ظعناً في مسالك الغي وتركاً لمذاهب الرشد فلا تستعجلوا ما هو كائن مرصد ولا تستبطئوا ما يجيء به الغد فكم من مستعجل بما أن أدركه ودّ أنه لم يدركه وما أقرب اليوم من تباشير غدٍ) يذكر بعض فرق الضلال الذين زاغوا عن طريق الحق وذهبوا في متاهات الانحراف بين الإفراط والتفريط ولم يسلكوا طريق الهدى وما شرّعه الإسلام وسنّه.

ثم نهاهم عن استعجال ما هو كائن وما لا بدّ أن يوجد مما كانوا يتوقعونه من الفتن التي أخبرهم النبي بأنها ستقع.

كما نهاهم عن الاستبطاء لما يجيء في الغد القريب لوقوعه وتحققه وعلل ذلك النهي بأن الإنسان ربما استعجل أمراً وأحب الحصول عليه وبذل جهده في تحصيله فلما أدركه تمنى أن لم يكن حصل عليه ولا بذل جهده في سبيله كما لو ضحى الإنسان من أجل امرأة وسعى للوصول إليها فلما صارت عنده ظهر منها قبيح الصفات والأفعال فيتمنى عندها أنه لم يسع في سبيل ذلك كما يتمنى عندها لو أنه لم يدركها.

ثم لما نهاهم عن استبطاء ما يجيء به الغد أشار إلى قرب الغد من اليوم وأن طلائعه قد ظهرت وأوائله قد بانت وما أقربه من اليوم، إنه متصل به لا يفصله عنه فاصل...

(يا قوم هذا إبّان ورود كل موعود ودنوٌّ من طلعة ما لا تعرفون ألا وإن من أدركها منا يسري فيها بسراج منير ويحذو فيها على مثال الصالحين) ينبههم إلى أن هذا الوقت هو وقت الأمور الموعودة التي تأتي قبل يوم القيامة وتكون من علامات حدوثها وهذا وقت قرب ظهور ما لا تعرفون من الأمور لأنها أمور على خلاف ما اعتاده الناس...

ثم ذكر سيرة أهل البيت وكيف يكون مسيرهم وقتها وسلوكهم خلالها، إنهم يسيرون برؤية واضحة من تعاليم الإسلام حيث توجد عندهم المعالم الواضحة التي تهدي إلى الحق وتميز بينه وبين غيره من الباطل وكذلك إنَّ لهم من سيرة الصالحين من أهلهم وما تركوه لهم ما يكفي للنجاة من العثار والوصول إلى شاطىء السلامة والأمن والطمأنينة...

(ليحل فيها ربقاً ويعتق فيها رقاً ويصدع شعباً ويشعب صدعاً في سترة عن الناس لا

واستراح قوم إلى الفتن وأشالوا عن لقاح حربهم لم يمنوا على الله بالصبر ولم يستعظموا بذل أنفسهم في الحق حتى إذا وافق وارد القضاء انقطاع مدة البلاء حملوا بصائرهم على أسيافهم ودانوا لربهم بأمر واعظهم) قالوا: إن هذا الكلام يتصل بكلام قبله لم يذكره الرضي يذكر فيه وصف فئة ضالة امتدت أيامها طويلاً وعمرت في الملك كثيراً من أجل أن تبلغ الدرجة العليا في المهانة والذل ويستوجبوا تغيير نعم الله عليهم بأضدادها بسوء فعلهم وأعمالهم وبقوا كذلك حتى إذا قرب موعد انتهاء حكمهم وزوال ملكهم وقد استراح بعض الناس واستسلموا للفتن التي تعم البلاد وكفوا أيديهم عن قتال هؤلاء القوم الضالين ورفعوا سيوفهم عنهم إما لعجزهم أو لأمر آخر وأنهم وإن كانوا كذلك ولكنهم يملكون نفوساً طيبة إذ لم يمنوا على الله بجهادهم لأعدائهم ولم يروا لأنفسهم عظيم أمر إذا قدموا أنفسهم وبذلوها في سبيل الحق والعدل وإنما عدوا ذلك واجباً مقدساً يقومون به وبقوا هكذا وعلى هذه الطريقة... القلوب مملوءة بالحب لله... والاستقامة على الطريق، والبذل في سبيله... إنهم وطنوا أنفسهم على ذلك حتى إذا قدر الله لهذا الحكم الظالم أن يزول وللبلاء أن يرتفع بأن تزول دولة الأشرار وممارساتهم الظالمة في العباد قام هؤلاء المؤمنون عندها وقد حملوا بصائرهم على أسيافهم قال ابن أبي الحديد في تفسير هذه العبارة: يعني أنهم أظهروا بصائرهم وعقائدهم وقلوبهم للناس وكشفوها وجردوها من أجفانها مع تجريد السيوف من أجفانها فكأنها شيء محمول على السيوف يبصره من يبصر السيوف ولا ريب أن السيوف المجردة من أجلى الأجسام للأبصار فكذلك ما يكون محمولاً عليها...

وعندي تفسير آخر محتمل وهو أنهم جعلوا السيوف تتحرك وفق بصائرهم من الإيمان والعقيدة فكانوا يقاتلون ويعرفون لماذا يقاتلون ويشهرون السيوف... وإنهم لالتزامهم أذعنوا لله وأطاعوه بما أمرهم به وأرشدهم إليه واعظهم وهو الرسول الأكرم أو الإمام...

(حتى إذا قبض الله رسوله صلى الله عليه وآله رجع قوم على الأعقاب وغالتهم السبل واتكلوا على الولائج ووصلوا غير الرحم وهجروا السبب الذي أمروا بمودته ونقلوا البناء عن رص أساسه فبنوه في غير موضعه، معادن كل خطيئة وأبواب كل ضارب في غمرة قد ماروا في الحيرة وذهلوا في السكرة على سنة من آل فرعون من منقطع إلى الدنيا راكن أو مفارق للدين مباين).

ذكر الصحابة.

ذكر حال الصحابة بعد وفاة رسول الله وأن قوماً منهم غيروا وبدلوا وارتدوا وقد

واستراح قوم إلى الفتن وأشالوا عن لقاح حربهم لم يمنوا على الله بالصبر ولم يستعظموا بذل أنفسهم في الحق حتى إذا وافق وارد القضاء انقطاع مدة البلاء حملوا بصائرهم على أسيافهم ودانوا لربهم بأمر واعظهم) قالوا: إن هذا الكلام يتصل بكلام قبله لم يذكره الرضي يذكر فيه وصف فئة ضالة امتدت أيامها طويلاً وعمرت في الملك كثيراً من أجل أن تبلغ الدرجة العليا في المهانة والذل ويستوجبوا تغيير نعم الله عليهم بأضدادها بسوء فعلهم وأعمالهم وبقوا كذلك حتى إذا قرب موعد انتهاء حكمهم وزوال ملكهم وقد استراح بعض الناس واستسلموا للفتن التي تعم البلاد وكفوا أيديهم عن قتال هؤلاء القوم الضالين ورفعوا سيوفهم عنهم إما لعجزهم أو لأمر آخر وأنهم وإن كانوا كذلك ولكنهم يملكون نفوساً طيبة إذ لم يمنوا على الله بجهادهم لأعدائهم ولم يروا لأنفسهم عظيم أمر إذا قدموا أنفسهم وبذلوها في سبيل الحق والعدل وإنما عدوا ذلك واجباً مقدساً يقومون به وبقوا هكذا وعلى هذه الطريقة... القلوب مملوءة بالحب لله... والاستقامة على الطريق، والبذل في سبيله... إنهم وطنوا أنفسهم على ذلك حتى إذا قدر الله لهذا الحكم الظالم أن يزول وللبلاء أن يرتفع بأن تزول دولة الأشرار وممارساتهم الظالمة في العباد قام هؤلاء المؤمنون عندها وقد حملوا بصائرهم على أسيافهم قال ابن أبي الحديد في تفسير هذه العبارة: يعني أنهم أظهروا بصائرهم وعقائدهم وقلوبهم للناس وكشفوها وجردوها من أجفانها مع تجريد السيوف من أجفانها فكأنها شيء محمول على السيوف يبصره من يبصر السيوف ولا ريب أن السيوف المجردة من أجلى الأجسام للأبصار فكذلك ما يكون محمولاً عليها...

وعندي تفسير آخر محتمل وهو أنهم جعلوا السيوف تتحرك وفق بصائرهم من الإيمان والعقيدة فكانوا يقاتلون ويعرفون لماذا يقاتلون ويشهرون السيوف... وإنهم لالتزامهم أذعنوا لله وأطاعوه بما أمرهم به وأرشدهم إليه واعظهم وهو الرسول الأكرم أو الإمام...

(حتى إذا قبض الله رسوله صلى الله عليه وآله رجع قوم على الأعقاب وغالتهم السبل واتكلوا على الولائج ووصلوا غير الرحم وهجروا السبب الذي أمروا بمودته ونقلوا البناء عن رص أساسه فبنوه في غير موضعه، معادن كل خطيئة وأبواب كل ضارب في غمرة قد ماروا في الحيرة وذهلوا في السكرة على سنة من آل فرعون من منقطع إلى الدنيا راكن أو مفارق للدين مباين).

ذكر الصحابة.

ذكر حال الصحابة بعد وفاة رسول الله وأن قوماً منهم غيروا وبدلوا وارتدوا وقد

سلبوه من أهله. . . إنه بناء في غير موضعه فمن نقله مجرم ومن أخذه أشد إجراماً. . .

٦ ـ معادن كل خطيئة: لأن كل خطيئة إنما كانت تستند إليهم وكل ضال كان يعتمد عليهم، فلو لم يُبعدوا أهل البيت عن حقهم ويغتصبوا الخلافة منهم لم يستطع أحد أن يجرأ على منابذة أهل البيت أو مخالفتهم، إنهم أسسوا أساس الظلم وشيدوا بناءه ولا يزال أبناؤهم حتى اليوم يحتجون بأفعالهم وكل انحراف يسندونه إليهم لحديث مختلق أو رواية من كذاب لا أصل لها. . .

٧ ـ وأبواب كل ضارب في غمرة: كل ضال ومنحرف يتخرج عن أيديهم ويخرج من أبوابهم لأنهم أساس الضلال وأساتذته.

٨ ـ قد ماروا في الحيرة: فهم حائرون في ترددهم لا يهتدون إلى الحق سبيلاً لأنهم بعد أن تركوا أعلام الهدى وأئمة التقى ضلوا وتحيروا ولم يهتدوا.

٩ ـ ذهلوا في السكرة: أي غابت أفكارهم في سكرة الجهل، وللجهل سكرة منكرة.

١٠ ـ على سنة من آل فرعون: من منقطع إلى الدنيا راكن أو مفارق للدين مباين. . .

من الصحابة من هو على سنة من آل فرعون سنة الضلال والانحراف والخروج عن طاعة الله المؤدي إلى دخول النار إنهم بين رجلين بين رجل انقطع إلى الدنيا فهي عنده كل شيء ولا شيء بعدها قد أخلد إليها وسعى من أجلها وعمل كل شائنة للحصول عليها لا يمنعه دين أو يردعه ضمير أو خلق قويم وبين رجل مفارق للدين مجانب له يحاربه ويحارب من يحمله أو يتدين به. . .

سلبوه من أهله. . . إنه بناء في غير موضعه فمن نقله مجرم ومن أخذه أشد إجراماً. . .

٦ ـ معادن كل خطيئة: لأن كل خطيئة إنما كانت تستند إليهم وكل ضال كان يعتمد عليهم، فلو لم يُبعدوا أهل البيت عن حقهم ويغتصبوا الخلافة منهم لم يستطع أحد أن يجرأ على منابذة أهل البيت أو مخالفتهم، إنهم أسسوا أساس الظلم وشيدوا بناءه ولا يزال أبناؤهم حتى اليوم يحتجون بأفعالهم وكل انحراف يسندونه إليهم لحديث مختلق أو رواية من كذاب لا أصل لها. . .

٧ ـ وأبواب كل ضارب في غمرة: كل ضال ومنحرف يتخرج عن أيديهم ويخرج من أبوابهم لأنهم أساس الضلال وأساتذته.

٨ ـ قد ماروا في الحيرة: فهم حائرون في ترددهم لا يهتدون إلى الحق سبيلاً لأنهم بعد أن تركوا أعلام الهدى وأئمة التقى ضلوا وتحيروا ولم يهتدوا.

٩ ـ ذهلوا في السكرة: أي غابت أفكارهم في سكرة الجهل، وللجهل سكرة منكرة.

١٠ ـ على سنة من آل فرعون: من منقطع إلى الدنيا راكن أو مفارق للدين مباين. . .

من الصحابة من هو على سنة من آل فرعون سنة الضلال والانحراف والخروج عن طاعة الله المؤدي إلى دخول النار إنهم بين رجلين بين رجل انقطع إلى الدنيا فهي عنده كل شيء ولا شيء بعدها قد أخلد إليها وسعى من أجلها وعمل كل شائنة للحصول عليها لا يمنعه دين أو يردعه ضمير أو خلق قويم وبين رجل مفارق للدين مجانب له يحاربه ويحارب من يحمله أو يتدين به. . .

وَيَتَلاَعَنُونَ عِنْدَ اللِّقَاءِ. ثُمَّ يَأْتِي بَعْدَ ذلِكَ طَالِعُ الفِتْنَةِ الرَّجُوفِ[٣٢]، وَالقَاصِمَةِ[٣٣] الزَّحُوفِ[٣٤]، فَتَزِيغُ[٣٥] قُلُوبٌ بَعْدَ اسْتِقَامَةٍ، وَتَضِلُّ رِجَالٌ بَعْدَ سَلاَمَةٍ، وَتَخْتَلِفُ الأَهْوَاءُ عِنْدَ هُجُومِهَا، وَتَلْتَبِسُ[٣٦] الآرَاءُ عِنْدَ نُجُومِهَا[٣٧]. مَنْ أَشْرَفَ لَهَا قَصَمَتْهُ[٣٨]، وَمَنْ سَعَى فِيهَا حَطَمَتْهُ، يَتَكَادَمُونَ[٣٩] فِيهَا تَكَادُمَ الحُمُرِ[٤٠] فِي العَانَةِ[٤١]! قَدِ اضْطَرَبَ مَعْقُودُ الحَبْلِ، وَعَمِيَ وَجْهُ الأَمْرِ. تَغِيضُ[٤٢] فِيهَا الحِكْمَةُ، وَتَنْطِقُ فِيهَا الظَّلَمَةُ، وَتَدُقُّ[٤٣] أَهْلَ البَدْوِ[٤٤] بِمِسْحَلِهَا[٤٥]، وَتَرُضُّهُمْ[٤٦] بِكَلْكَلِهَا[٤٧]! يَضِيعُ فِي غُبَارِهَا الوُحْدَانُ[٤٨]، وَيَهْلِكُ فِي طَرِيقِهَا الرُّكْبَانُ[٤٩]، تَرِدُ بِمُرِّ القَضَاءِ، وَتَحْلُبُ عَبِيطَ[٥٠] الدِّمَاءِ، وَتَثْلِمُ[٥١] مَنَارَ الدِّينِ، وَتَنْقُضُ عَقْدَ اليَقِينِ. يَهْرُبُ مِنْهَا الأَكْيَاسُ[٥٢]، وَيُدَبِّرُهَا الأَرْجَاسُ[٥٣]. مِرْعَادٌ[٥٤] مِبْرَاقٌ[٥٥]، كَاشِفَةٌ عَنْ سَاقٍ[٥٦]! تُقْطَعُ فِيهَا الأَرْحَامُ، وَيُفَارِقُ عَلَيْهَا الإِسْلاَمُ! بَرِيُّهَا[٥٧] سَقِيمٌ[٥٨]، وَظَاعِنُهَا[٥٩] مُقِيمٌ!.

منها: بَيْنَ قَتِيلٍ مَطْلُولٍ[٦٠]، وَخَائِفٍ مُسْتَجِيرٍ، يَخْتِلُونَ[٦١] بِعَقْدِ الأَيْمَانِ وَبِغُرُورِ الإِيمَانِ، فَلاَ تَكُونُوا أَنْصَابَ[٦٢] الفِتَنِ[٦٣]، وَأَعْلاَمَ البِدَعِ[٦٤]، وَالْزَمُوا مَا عُقِدَ عَلَيْهِ حَبْلُ الجَمَاعَةِ، وَبُنِيَتْ عَلَيْهِ أَرْكَانُ الطَّاعَةِ، وَاقْدَمُوا عَلَى اللهِ مَظْلُومِينَ، وَلاَ تَقْدَمُوا عَلَيْهِ ظَالِمِينَ، وَاتَّقُوا مَدَارِجَ الشَّيْطَانِ، وَمَهَابِطَ[٦٥] العُدْوَانِ، وَلاَ تُدْخِلُوا بُطُونَكُمْ لُعَقَ[٦٦] الحَرَامِ، فَإِنَّكُمْ بِعَيْنِ[٦٧] مَنْ حَرَّمَ عَلَيْكُمُ المَعْصِيَةَ، وَسَهَّلَ لَكُمْ سُبُلَ الطَّاعَةِ.

اللغة

١ ـ المداحر : جمع مدحر الأمور التي يدحر بها أي يطرد ويبعد.

٢ ـ المزاجر : الأمور يزجر بها أي يكف ويمنع.

وَيَتَلاَعَنُونَ عِنْدَ اللِّقَاءِ. ثُمَّ يَأْتِي بَعْدَ ذلِكَ طَالِعُ الفِتْنَةِ الرَّجُوفِ[٣٢]، وَالقَاصِمَةِ[٣٣] الزَّحُوفِ[٣٤]، فَتَزِيغُ[٣٥] قُلُوبٌ بَعْدَ اسْتِقَامَةٍ، وَتَضِلُّ رِجَالٌ بَعْدَ سَلاَمَةٍ، وَتَخْتَلِفُ الأَهْوَاءُ عِنْدَ هُجُومِهَا، وَتَلْتَبِسُ[٣٦] الآرَاءُ عِنْدَ نُجُومِهَا[٣٧]. مَنْ أَشْرَفَ لَهَا قَصَمَتْهُ[٣٨]، وَمَنْ سَعَى فِيهَا حَطَمَتْهُ، يَتَكَادَمُونَ[٣٩] فِيهَا تَكَادُمَ الحُمُرِ[٤٠] فِي العَانَةِ[٤١]! قَدِ اضْطَرَبَ مَعْقُودُ الحَبْلِ، وَعَمِيَ وَجْهُ الأَمْرِ. تَغِيضُ[٤٢] فِيهَا الحِكْمَةُ، وَتَنْطِقُ فِيهَا الظَّلَمَةُ، وَتَدُقُّ[٤٣] أَهْلَ البَدْوِ[٤٤] بِمِسْحَلِهَا[٤٥]، وَتَرُضُّهُمْ[٤٦] بِكَلْكَلِهَا[٤٧]! يَضِيعُ فِي غُبَارِهَا الوُحْدَانُ[٤٨]، وَيَهْلِكُ فِي طَرِيقِهَا الرُّكْبَانُ[٤٩]، تَرِدُ بِمُرِّ القَضَاءِ، وَتَحْلُبُ عَبِيطَ[٥٠] الدِّمَاءِ، وَتَثْلِمُ[٥١] مَنَارَ الدِّينِ، وَتَنْقُضُ عَقْدَ اليَقِينِ. يَهْرُبُ مِنْهَا الأَكْيَاسُ[٥٢]، وَيُدَبِّرُهَا الأَرْجَاسُ[٥٣]. مِرْعَادٌ[٥٤] مِبْرَاقٌ[٥٥]، كَاشِفَةٌ عَنْ سَاقٍ[٥٦]! تُقْطَعُ فِيهَا الأَرْحَامُ، وَيُفَارِقُ عَلَيْهَا الإِسْلاَمُ! بَرِيُّهَا[٥٧] سَقِيمٌ[٥٨]، وَظَاعِنُهَا[٥٩] مُقِيمٌ!.

منها: بَيْنَ قَتِيلٍ مَطْلُولٍ[٦٠]، وَخَائِفٍ مُسْتَجِيرٍ، يَخْتِلُونَ[٦١] بِعَقْدِ الأَيْمَانِ وَبِغُرُورِ الإِيمَانِ، فَلاَ تَكُونُوا أَنْصَابَ[٦٢] الفِتَنِ[٦٣]، وَأَعْلاَمَ البِدَعِ[٦٤]، وَالْزَمُوا مَا عُقِدَ عَلَيْهِ حَبْلُ الجَمَاعَةِ، وَبُنِيَتْ عَلَيْهِ أَرْكَانُ الطَّاعَةِ، وَاقْدَمُوا عَلَى اللهِ مَظْلُومِينَ، وَلاَ تَقْدَمُوا عَلَيْهِ ظَالِمِينَ، وَاتَّقُوا مَدَارِجَ الشَّيْطَانِ، وَمَهَابِطَ[٦٥] العُدْوَانِ، وَلاَ تُدْخِلُوا بُطُونَكُمْ لُعَقَ[٦٦] الحَرَامِ، فَإِنَّكُمْ بِعَيْنِ[٦٧] مَنْ حَرَّمَ عَلَيْكُمُ المَعْصِيَةَ، وَسَهَّلَ لَكُمْ سُبُلَ الطَّاعَةِ.

اللغة

١ ـ المداحر : جمع مدحر الأمور التي يدحر بها أي يطرد ويبعد.

٢ ـ المزاجر : الأمور يزجر بها أي يكف ويمنع.

٣٤ ـ الزحوف : من الزحف وهو السير على تؤده كسير الجيوش .
٣٥ ـ تزيغ : تميل .
٣٦ ـ تلتبس : تختلط ، عدم الاتضاح .
٣٧ ـ نجومها : ظهورها .
٣٨ ـ قصمته : كسرته وقصمه الله أذله وقيل قرّب موته .
٣٩ ـ يتكادمون : يعضّ بعضهم بعضاً من الكدم وهو العض بأدنى الفم .
٤٠ ـ الحمر : جمع حمار وله فردان حمار وحشي وحمار أليف .
٤١ ـ العانة : القطيع من حمر الوحش .
٤٢ ـ تغيض : تنقص وتغور .
٤٣ ـ تدق : تفتت .
٤٤ ـ أهل البدو : أهل البادية .
٤٥ ـ المسحل : المبرد ، أو آلة النحت والنشر وأيضاً هي حلقة تكون في طرف شكيمة اللجام مدخلة في مثلها .
٤٦ ـ الرض : التهشيم .
٤٧ ـ الكلكل : الصدر .
٤٨ ـ الوحدان : جمع واحد أي المتفرد .
٤٩ ـ الركبان : جمع راكب ولا يكون إلا ذا بعير .
٥٠ ـ العبيط : من الدم الطري الخالص منها .
٥١ ـ تثلم : من ثلمت الإناء إذا كسرت حرفه .
٥٢ ـ الأكياس : العقلاء .
٥٣ ـ الأرجاس : جمع رجس وهو القذر النجس .
٥٤ ـ مرعاد : شديدة الرعد وهو الصوت الحادث من اصطدام الغيوم .
٥٥ ـ مبراق : شديدة البرق ما يحدث من الشرر إثر اصطدام الغيوم .
٥٦ ـ الساق : الشدة والمشقة .
٥٧ ـ البري : الصحيح السليم .
٥٨ ـ السقيم : المريض .
٥٩ ـ الظاعن : الراحل .
٦٠ ـ مطلول : مهدور الدم لا يطلب به .
٦١ ـ يختلون : يخدعون .
٦٢ ـ الأنصاب : جمع نصب وهو العلم المنصوب ليهتدى به .
٦٣ ـ الفتن : جمع الفتنة ، الابتلاء ، الاختبار ، المحنة .

٣٤ ـ الزحوف : من الزحف وهو السير على تؤده كسير الجيوش.
٣٥ ـ تزيغ : تميل.
٣٦ ـ تلتبس : تختلط، عدم الاتضاح.
٣٧ ـ نجومها : ظهورها.
٣٨ ـ قصمته : كسرته وقصمه الله أذله وقيل قرّب موته.
٣٩ ـ يتكادمون : يعضّ بعضهم بعضاً من الكدم وهو العض بأدنى الفم.
٤٠ ـ الحمر : جمع حمار وله فردان حمار وحشي وحمار أليف.
٤١ ـ العانة : القطيع من حمر الوحش.
٤٢ ـ تغيض : تنقص وتغور.
٤٣ ـ تدق : تفتت.
٤٤ ـ أهل البدو : أهل البادية.
٤٥ ـ المسحل : المبرد، أو آلة النحت والنشر وأيضاً هي حلقة تكون في طرف شكيمة اللجام مدخلة في مثلها.
٤٦ ـ الرض : التهشيم.
٤٧ ـ الكلكل : الصدر.
٤٨ ـ الوحدان : جمع واحد أي المتفرد.
٤٩ ـ الركبان : جمع راكب ولا يكون إلا ذا بعير.
٥٠ ـ العبيط : من الدم الطري الخالص منها.
٥١ ـ تثلم : من ثلمت الإناء إذا كسرت حرفه.
٥٢ ـ الأكياس : العقلاء.
٥٣ ـ الأرجاس : جمع رجس وهو القذر النجس.
٥٤ ـ مرعاد : شديدة الرعد وهو الصوت الحادث من اصطدام الغيوم.
٥٥ ـ مبراق : شديدة البرق ما يحدث من الشرر إثر اصطدام الغيوم.
٥٦ ـ الساق : الشدة والمشقة.
٥٧ ـ البري : الصحيح السليم.
٥٨ ـ السقيم : المريض.
٥٩ ـ الظاعن : الراحل.
٦٠ ـ مطلول : مهدور الدم لا يطلب به.
٦١ ـ يختلون : يخدعون.
٦٢ ـ الأنصاب : جمع نصب وهو العلم المنصوب ليهتدى به.
٦٣ ـ الفتن : جمع الفتنة، الابتلاء، الاختبار، المحنة.

المريرة فقد نشؤوا على سفك الدماء وهتك الأعراض والغزو والسلب. ليس هناك أمر محرم يرتدعون عنه أو يكفون عن ممارسته والقيام به ومن جاهليتهم أنهم يستضعفون الحكيم الذي يحرم عليهم بعض عاداتهم القبيحة ولا يخوض معهم فيها... إنهم يعيشون فترة مظلمة بين رسول قد مضى وهو عيسى وبين النبي محمد الذي هو الآن قد ظهر يعيشون هذه الفترة المظلمة ويموتون على الكفر وعدم الموجّه ولما طبعوا عليه من العادات والتقاليد القبيحة...

(ثم إنكم معشر العرب أغراض بلايا قد اقتربت فاتقوا سكرات النعمة واحذروا بوائق النقمة وتثبتوا في قتام العشوة واعوجاج الفتنة عند طلوع جنينها وظهور كمينها وانتصاب قطبها ومدار رحاها) أخذ في تحذير العرب من الفتنة وكيف تتكون ومدى الآثار التي تتركها...

إنكم يا معشر العرب أهداف للمصائب تصوّب سهامها نحوكم وقد اقتربت منكم وستحل فيكم ولما كان العرب قد انفتحت أمامهم خزائن الدنيا وأصبحت بأيديهم أموال كسرى وقيصر حذرهم من سكرة هذه النعمة وإغفال شكرها وقليلون أولئك الذين يلتفتون إلى ما أعطوا من النعم فيؤدون شكرها بل الإنسان إذا أنعم الله عليه ينسى ماضيه وتاريخه السابق وما كان عليه من البؤس والحاجة فيأخذه الغرور والبطر وعندها يأخذ الله ما في يديه ويسلبه النعمة ويكون هو الذي عرضها للزوال والفناء...

كما حذرهم من غوائل الدهر وشروره وأن لا يركنوا إلى ماهم فيه من صحة ومال وجاه فإنها كلها في معرض الزوال والذي أعطاها هو القادر على سلبها منك وإزالتها عنك...

ثم أمرهم أن يفكروا في الأمور ويدرسوا القضايا ولا يستعجلوا في أخذ القرار فيها فإن ذلك يوقع في المهالك فإن الفتنة التي لم تظهر بشكل واضح ولم تتكشف أمام الناس بصورتها الحقيقية فإنها تخرج صغيرة ضعيفة كشبهة الخوارج أو تكون مختفية ثم تظهر فجأة فإن هذه تحتاج إلى تنبه وتفكر لأنها تقوى ويشتد صلبها ثم تتحرك نحو اتجاهها ولا يمكن السيطرة عليها بعدئذ...

(تبدأ في مدارج خفية وتؤول إلى فظاعة جلية شبابها كشباب الغلام وآثارها كآثار السلام) إن الفتنة تحاك وراء الكواليس وتدبر شؤونها في السر... إنها لا تصل إلى أيدي الناس إلا وقد تجهزت لها كل العناصر التي توفر لها النجاح... تبدأ في الخفاء صغيرة حقيرة ولكنها ترجع بعد فترة إلى أمر مهول فظيع واضح... إنها تنمو كما ينمو الطفل

المريرة فقد نشؤوا على سفك الدماء وهتك الأعراض والغزو والسلب. ليس هناك أمر محرم يرتدعون عنه أو يكفون عن ممارسته والقيام به ومن جاهليتهم أنهم يستضعفون الحكيم الذي يحرم عليهم بعض عاداتهم القبيحة ولا يخوض معهم فيها... إنهم يعيشون فترة مظلمة بين رسول قد مضى وهو عيسى وبين النبي محمد الذي هو الآن قد ظهر يعيشون هذه الفترة المظلمة ويموتون على الكفر وعدم الموجّه ولما طبعوا عليه من العادات والتقاليد القبيحة...

(ثم إنكم معشر العرب أغراض بلايا قد اقتربت فاتقوا سكرات النعمة واحذروا بوائق النقمة وتثبتوا في قتام العشوة واعوجاج الفتنة عند طلوع جنينها وظهور كمينها وانتصاب قطبها ومدار رحاها) أخذ في تحذير العرب من الفتنة وكيف تتكون ومدى الآثار التي تتركها...

إنكم يا معشر العرب أهداف للمصائب تصوّب سهامها نحوكم وقد اقتربت منكم وستحل فيكم ولما كان العرب قد انفتحت أمامهم خزائن الدنيا وأصبحت بأيديهم أموال كسرى وقيصر حذرهم من سكرة هذه النعمة وإغفال شكرها وقليلون أولئك الذين يلتفتون إلى ما أعطوا من النعم فيؤدون شكرها بل الإنسان إذا أنعم الله عليه ينسى ماضيه وتاريخه السابق وما كان عليه من البؤس والحاجة فيأخذه الغرور والبطر وعندها يأخذ الله ما في يديه ويسلبه النعمة ويكون هو الذي عرضها للزوال والفناء...

كما حذرهم من غوائل الدهر وشروره وأن لا يركنوا إلى ماهم فيه من صحة ومال وجاه فإنها كلها في معرض الزوال والذي أعطاها هو القادر على سلبها منك وإزالتها عنك...

ثم أمرهم أن يفكروا في الأمور ويدرسوا القضايا ولا يستعجلوا في أخذ القرار فيها فإن ذلك يوقع في المهالك فإن الفتنة التي لم تظهر بشكل واضح ولم تتكشف أمام الناس بصورتها الحقيقية فإنها تخرج صغيرة ضعيفة كشبهة الخوارج أو تكون مختفية ثم تظهر فجأة فإن هذه تحتاج إلى تنبه وتفكر لأنها تقوى ويشتد صلبها ثم تتحرك نحو اتجاهها ولا يمكن السيطرة عليها بعدئذ...

(تبدأ في مدارج خفية وتؤول إلى فظاعة جلية شبابها كشباب الغلام وآثارها كآثار السلام) إن الفتنة تحاك وراء الكواليس وتدبر شؤونها في السر... إنها لا تصل إلى أيدي الناس إلا وقد تجهزت لها كل العناصر التي توفر لها النجاح... تبدأ في الخفاء صغيرة حقيرة ولكنها ترجع بعد فترة إلى أمر مهول فظيع واضح... إنها تنمو كما ينمو الطفل

الفتنة وأحوال الناس.

يخبر الإمام بهذه الفتنة التي تحدث وتظهر فيصف مقدماتها المهولة إنها فتنة رجوف يضطرب فيها الناس أو يضطرب فيها أمر الإسلام وصفها بالقاصمة الزحوف التي تكسر الخلق وتهلكهم وتزحف نحوهم وتبيرهم . . .

ثم وصف حال الناس في تلك الفتنة المشؤومة.

١ ـ تزيغ قلوب بعد استقامة: فقد كانت هناك قلوب مطيعة لله ملتزمة بتكاليفه لم تستطع أن تصمد أمام قوة هذه الفتنة فخرجت عن استقامتها واعتدالها لتضل وتنحرف . . .

٢ ـ تضل رجال بعد سلامة: وكان هناك من الرجال من هو سليم في دينه وفي تفكيره وفي نهجه فعندما جاءت الفتنة خرج من الهدى والرشاد إلى الردى والهلاك.

٣ ـ تختلف الأهواء عند هجومها: فعندما تحل الفتنة يذهب كل فرد وراء هواه لا يجمعهم دين ولا يوحد صفهم حق أو عدل بل ولا مصلحة ترجع إلى الجميع . . .

٤ ـ وتلتبس الآراء عند نجومها: عند ظهور الفتنة تختلط الآراء الصحيحة بالفاسدة والسليمة بالمغرضة ولم يعد الناس يعرفون وجه الحق والصواب منها . . .

(من أشرف لها قصمته ومن سعى فيها حطمته يتكادمون فيها تكادم الحمر في العانة قد اضطرب معقود الحبل وعمي وجه الأمر تغيض فيها الحكمة وتنطق فيها الظلمة وتدق أهل البدو بمسحلها وترضهم بكلكلها يضيع في غبارها الوحدان ويهلك في طريقها الركبان) لا يزال يذكر ما يجري في تلك الفتنة وبعض أحداثها العظيمة.

٥ ـ من أشرف لها قصمته: من وقف في وجهها أهلكته وقضت عليه ومنعت كونه عقبة في طريق زحفها.

٦ ـ من سعى فيها حطمته: من سعى في إطفائها والقضاء عليها قضت عليه وأنهت وجوده.

٧ ـ يتكادمون فيها تكادم الحمر في العانة: الناس أيام هذه الفتنة يعيشون مع هذه الفتنة حالة عداء يؤذي بعضهم البعض كالحمير الوحشية التي في قطيعها تعض بعضها البعض . . .

٨ ـ قد اضطرب معقود الحبل: ارتبكت الأمور التي كانت محكمة وجارية على

الفتنة وأحوال الناس.

يخبر الإمام بهذه الفتنة التي تحدث وتظهر فيصف مقدماتها المهولة إنها فتنة رجوف يضطرب فيها الناس أو يضطرب فيها أمر الإسلام وصفها بالقاصمة الزحوف التي تكسر الخلق وتهلكهم وتزحف نحوهم وتبيرهم. . .

ثم وصف حال الناس في تلك الفتنة المشؤومة.

١ ـ تزيغ قلوب بعد استقامة: فقد كانت هناك قلوب مطيعة لله ملتزمة بتكاليفه لم تستطع أن تصمد أمام قوة هذه الفتنة فخرجت عن استقامتها واعتدالها لتضل وتنحرف. . .

٢ ـ تضل رجال بعد سلامة: وكان هناك من الرجال من هو سليم في دينه وفي تفكيره وفي نهجه فعندما جاءت الفتنة خرج من الهدى والرشاد إلى الردى والهلاك.

٣ ـ تختلف الأهواء عند هجومها: فعندما تحل الفتنة يذهب كل فرد وراء هواه لا يجمعهم دين ولا يوحد صفهم حق أو عدل بل ولا مصلحة ترجع إلى الجميع. . .

٤ ـ وتلتبس الآراء عند نجومها: عند ظهور الفتنة تختلط الآراء الصحيحة بالفاسدة والسليمة بالمغرضة ولم يعد الناس يعرفون وجه الحق والصواب منها. . .

(من أشرف لها قصمته ومن سعى فيها حطمته يتكادمون فيها تكادم الحمر في العانة قد اضطرب معقود الحبل وعمي وجه الأمر تغيض فيها الحكمة وتنطق فيها الظلمة وتدق أهل البدو بمسحلها وترضهم بكلكلها يضيع في غبارها الوحدان ويهلك في طريقها الركبان) لا يزال يذكر ما يجري في تلك الفتنة وبعض أحداثها العظيمة.

٥ ـ من أشرف لها قصمته: من وقف في وجهها أهلكته وقضت عليه ومنعت كونه عقبة في طريق زحفها.

٦ ـ من سعى فيها حطمته: من سعى في إطفائها والقضاء عليها قضت عليه وأنهت وجوده.

٧ ـ يتكادمون فيها تكادم الحمر في العانة: الناس أيام هذه الفتنة يعيشون مع هذه الفتنة حالة عداء يؤذي بعضهم البعض كالحمير الوحشية التي في قطيعها تعض بعضها البعض. . .

٨ ـ قد اضطرب معقود الحبل: ارتبكت الأمور التي كانت محكمة وجارية على

١٧ ـ وتنقض عقد اليقين: أي تشكك الناس المسلمين فيما اعتقدوه وآمنوا به.

١٨ ـ يهرب منها الأكياس ويديرها الأرجاس: أصحاب العقول والدين يهربون من هذه الفتنة بينما يديرها ويحركها الفساق العصاة الذين لا يقدرون على العيش إلا في ظل تلك الظروف المضطربة...

١٩ ـ مرعاد مبراق كاشفة عن ساق: إنها ترعد وتبرق ذات وعيد وتهديد أو يعني بالرعد صوت السلاح وقعقعته وبالبرق لونه وضوءه. ومراده بالساق أنها شديدة وشاقة.

٢٠ ـ تقطع فيها الأرحام: يتنكر الأرحام لبعضهم لشدتها وقساوتها ولم يعد أحد منهم يسأل عن أحد.

٢١ ـ ويفارق عليها الإسلام: فإن من ساندها ومشى في ركاب أربابها فارق الإسلام ودخل في الكفر.

٢٢ ـ بريها سقيم وظاعنها مقيم: لا ينجو من شرها أحد فمن يظن من نفسه أنه سليم منها ومن شرها ليس بسالم بل يناله من مشاكلها وأحداثها ومن يهرب منها كان كالمقيم فيها من حيث إن بعض أحداثها تلحقه ولا أقل أن يلحقه الأمر العام كالمجاعة والحاجة والخوف التي تحكم الساحة أثناء الفتنة...

(بين قتيل مطلول وخائف مستجير يختلون بعقد الأيمان وبغرور الإيمان فلا تكونوا أنصاب الفتن وأعلام البدع والزموا ما عقد عليه حبل الجماعة وبنيت عليه أركان الطاعة وأقدموا على الله مظلومين ولا تقدموا عليه ظالمين) قالوا: إن هذا الكلام لا علاقة له بما تقدم ولذا حملوا الكلام على أن المنكوبين من الناس هذا هو حالهم.

وقالوا: إن هذا يشبه أن يكون وصفاً لحال المتمسكين بالدين وعلى كل حال: فهؤلاء بين قتيل يذهب دمه هدراً بدون ثأر أو خائف فزع يطلب من يجيره ويحميه فلا يجد، إنهم يخدعون بما يقسم لهم ويحلف وبما يغرونهم به من إيمان يدعونه ويدعون الدفاع عنه.

ثم نهاهم أن يكونوا رؤساء الفتن وقادتها أو من يقتدى به فيها وهذا يتناسب مع قوله عليه السلام في إحدى كلماته القصار: «كن في الفتنة كابن اللبون لا ظهر فيركب ولا ضرع فيحلب».

ثم أمرهم أن يلزموا ما عليه الإتفاق وما ترضاه الجماعة لأنه الذي يوحّد الصفوف

١٧ ـ وتنقض عقد اليقين: أي تشكك الناس المسلمين فيما اعتقدوه وآمنوا به.

١٨ ـ يهرب منها الأكياس ويديرها الأرجاس: أصحاب العقول والدين يهربون من هذه الفتنة بينما يديرها ويحركها الفساق العصاة الذين لا يقدرون على العيش إلا في ظل تلك الظروف المضطربة...

١٩ ـ مرعاد مبراق كاشفة عن ساق: إنها ترعد وتبرق ذات وعيد وتهديد أو يعني بالرعد صوت السلاح وقعقعته وبالبرق لونه وضوءه. ومراده بالساق أنها شديدة وشاقة.

٢٠ ـ تقطع فيها الأرحام: يتنكر الأرحام لبعضهم لشدتها وقساوتها ولم يعد أحد منهم يسأل عن أحد.

٢١ ـ ويفارق عليها الإسلام: فإن من ساندها ومشى في ركاب أربابها فارق الإسلام ودخل في الكفر.

٢٢ ـ بريها سقيم وظاعنها مقيم: لا ينجو من شرها أحد فمن يظن من نفسه أنه سليم منها ومن شرها ليس بسالم بل يناله من مشاكلها وأحداثها ومن يهرب منها كان كالمقيم فيها من حيث إن بعض أحداثها تلحقه ولا أقل أن يلحقه الأمر العام كالمجاعة والحاجة والخوف التي تحكم الساحة أثناء الفتنة...

(بين قتيل مطلول وخائف مستجير يختلون بعقد الأيمان وبغرور الإيمان فلا تكونوا أنصاب الفتن وأعلام البدع والزموا ما عقد عليه حبل الجماعة وبنيت عليه أركان الطاعة وأقدموا على الله مظلومين ولا تقدموا عليه ظالمين) قالوا: إن هذا الكلام لا علاقة له بما تقدم ولذا حملوا الكلام على أن المنكوبين من الناس هذا هو حالهم.

وقالوا: إن هذا يشبه أن يكون وصفاً لحال المتمسكين بالدين وعلى كل حال: فهؤلاء بين قتيل يذهب دمه هدراً بدون ثأر أو خائف فزع يطلب من يجيره ويحميه فلا يجد، إنهم يخدعون بما يقسم لهم ويحلف وبما يغرونهم به من إيمان يدعونه ويدعون الدفاع عنه.

ثم نهاهم أن يكونوا رؤساء الفتن وقادتها أو من يقتدى به فيها وهذا يتناسب مع قوله عليه السلام في إحدى كلماته القصار: «كن في الفتنة كابن اللبون لا ظهر فيركب ولا ضرع فيحلب».

ثم أمرهم أن يلزموا ما عليه الإتفاق وما ترضاه الجماعة لأنه الذي يوحّد الصفوف

١٥٢ ـ ومن خطبة له عليه السلام

في صفات الله جل جلاله، وصفات أئمة الدين

الحَمْدُ للهِ الدَّالِّ عَلَى وُجُودِهِ بِخَلْقِهِ، وَبِمُحْدَثِ خَلْقِهِ عَلَى أَزَلِيَّتِهِ؛ وَبِاشْتِبَاهِهِمْ عَلَى أَنْ لاَ شَبَهَ[١] لَهُ. لاَ تَسْتَلِمُهُ[٢] المَشَاعِرُ[٣]، وَلاَ تَحْجُبُهُ السَّوَاتِرُ[٤]، لافْتِرَاقِ الصَّانِعِ وَالمَصْنُوعِ، وَالحَادِّ وَالمَحْدُودِ، وَالرَّبِّ وَالمَرْبُوبِ، الأَحَدِ بِلاَ تَأْوِيلِ عَدَدٍ، وَالخَالِقِ لاَ بِمَعْنَى حَرَكَةٍ وَنَصَبٍ[٥]، وَالسَّمِيعِ لاَ بِأَدَاةٍ[٦]، وَالبَصِيرِ لاَ بِتَفْرِيقِ آلَةٍ، وَالشَّاهِدِ لاَ بِمُمَاسَّةٍ، وَالبَائِنِ[٧] لاَ بِتَرَاخِي[٨] مَسَافَةٍ، وَالظَّاهِرِ لاَ بِرُؤْيَةٍ، وَالبَاطِنِ لاَ بِلَطَافَةٍ. بَانَ مِنَ الأَشْيَاءِ بِالقَهْرِ لَهَا، وَالقُدْرَةِ عَلَيْهَا، وَبَانَتِ الأَشْيَاءُ مِنْهُ بِالخُضُوعِ لَهُ، وَالرُّجُوعِ إِلَيْهِ. مَنْ وَصَفَهُ فَقَدْ حَدَّهُ، وَمَنْ حَدَّهُ فَقَدْ عَدَّهُ، وَمَنْ عَدَّهُ فَقَدْ أَبْطَلَ أَزَلَهُ، وَمَنْ قَالَ: «كَيْفَ» فَقَدِ اسْتَوْصَفَهُ، وَمَنْ قَالَ: «أَيْنَ» فَقَدْ حَيَّزَهُ. عَالِمٌ إِذْ لاَ مَعْلُومٌ، وَرَبٌّ إِذْ لاَ مَرْبُوبٌ، وَقَادِرٌ إِذْ لاَ مَقْدُورٌ.

أئمة الدين

منها: قَدْ طَلَعَ طَالِعٌ، وَلَمَعَ لاَمِعٌ، وَلاَحَ[٩] لاَئِحٌ، وَاعْتَدَلَ مَائِلٌ[١٠]، وَاسْتَبْدَلَ اللهُ بِقَوْمٍ قَوْماً، وَبِيَوْمٍ يَوْماً، وَانْتَظَرْنَا الغِيَرَ[١١] انْتِظَارَ المُجْدِبِ[١٢] المَطَرَ. وَإِنَّمَا الأَئِمَّةُ قُوَّامُ[١٣] اللهِ عَلَى خَلْقِهِ، وَعُرَفَاؤُهُ[١٤] عَلَى عِبَادِهِ؛ وَلاَ يَدْخُلُ الجَنَّةَ إِلاَّ مَنْ عَرَفَهُمْ وَعَرَفُوهُ، وَلاَ يَدْخُلُ النَّارَ إِلاَّ مَنْ أَنْكَرَهُمْ وَأَنْكَرُوهُ. إِنَّ اللهَ تَعَالَى خَصَّكُمْ بِالإِسْلاَمِ، وَاسْتَخْلَصَكُمْ لَهُ، وَذَلِكَ لأَنَّهُ اسْمُ سَلاَمَةٍ،

١٥٢ ـ ومن خطبة له عليه السلام

في صفات الله جل جلاله، وصفات أئمة الدين

الحَمْدُ للهِ الدَّالِّ عَلَى وُجُودِهِ بِخَلْقِهِ، وَبِمُحْدَثِ خَلْقِهِ عَلَى أَزَلِيَّتِهِ؛ وَبِاشْتِبَاهِهِمْ عَلَى أَنْ لاَ شَبَهَ[١] لَهُ. لاَ تَسْتَلِمُهُ[٢] المَشَاعِرُ[٣]، وَلاَ تَحْجُبُهُ السَّوَاتِرُ[٤]، لافْتِرَاقِ الصَّانِعِ وَالمَصْنُوعِ، وَالحَادِّ وَالمَحْدُودِ، وَالرَّبِّ وَالمَرْبُوبِ، الأَحَدِ بِلاَ تَأْوِيلِ عَدَدٍ، وَالخَالِقِ لاَ بِمَعْنَى حَرَكَةٍ وَنَصَبٍ[٥]، وَالسَّمِيعِ لاَ بِأَدَاةٍ[٦]، وَالبَصِيرِ لاَ بِتَفْرِيقِ آلَةٍ، وَالشَّاهِدِ لاَ بِمُمَاسَّةٍ، وَالبَائِنِ[٧] لاَ بِتَرَاخِي[٨] مَسَافَةٍ، وَالظَّاهِرِ لاَ بِرُؤْيَةٍ، وَالبَاطِنِ لاَ بِلَطَافَةٍ. بَانَ مِنَ الأَشْيَاءِ بِالقَهْرِ لَهَا، وَالقُدْرَةِ عَلَيْهَا، وَبَانَتِ الأَشْيَاءُ مِنْهُ بِالخُضُوعِ لَهُ، وَالرُّجُوعِ إِلَيْهِ. مَنْ وَصَفَهُ فَقَدْ حَدَّهُ، وَمَنْ حَدَّهُ فَقَدْ عَدَّهُ، وَمَنْ عَدَّهُ فَقَدْ أَبْطَلَ أَزَلَهُ، وَمَنْ قَالَ: «كَيْفَ» فَقَدِ اسْتَوْصَفَهُ، وَمَنْ قَالَ: «أَيْنَ» فَقَدْ حَيَّزَهُ. عَالِمٌ إِذْ لاَ مَعْلُومٌ، وَرَبٌّ إِذْ لاَ مَرْبُوبٌ، وَقَادِرٌ إِذْ لاَ مَقْدُورٌ.

أئمة الدين

منها: قَدْ طَلَعَ طَالِعٌ، وَلَمَعَ لاَمِعٌ، وَلاَحَ[٩] لاَئِحٌ، وَاعْتَدَلَ مَائِلٌ[١٠]، وَاسْتَبْدَلَ اللهُ بِقَوْمٍ قَوْماً، وَبِيَوْمٍ يَوْماً، وَانْتَظَرْنَا الغِيَرَ[١١] انْتِظَارَ المُجْدِبِ[١٢] المَطَرَ. وَإِنَّمَا الأَئِمَّةُ قُوَّامُ[١٣] اللهِ عَلَى خَلْقِهِ، وَعُرَفَاؤُهُ[١٤] عَلَى عِبَادِهِ؛ وَلاَ يَدْخُلُ الجَنَّةَ إِلاَّ مَنْ عَرَفَهُمْ وَعَرَفُوهُ، وَلاَ يَدْخُلُ النَّارَ إِلاَّ مَنْ أَنْكَرَهُمْ وَأَنْكَرُوهُ. إِنَّ اللهَ تَعَالَى خَصَّكُمْ بِالإِسْلاَمِ، وَاسْتَخْلَصَكُمْ لَهُ، وَذَلِكَ لأَنَّهُ اسْمُ سَلاَمَةٍ،

الشرح

(الحمد لله الدال على وجوده بخلقه وبمحدث خلقه على أزليته وباشتباههم على أن لا شبه له لا تستلمه المشاعر ولا تحجبه السواتر لافتراق الصانع والمصنوع والحاد والمحدود والرب والمربوب) في هذه الخطبة إثبات وجود الله وصفاته وذكر أئمة الدين كما أن فيها ذكر الإسلام وبعض خصائصه.

الفصل الأول: يتضمن هذا الفصل إثبات وجود الله وبعض صفاته وقد ذكر ذلك ضمن أمور:

١ ـ الحمد لله الدال على وجوده بخلقه وبمحدث خلقه على أزليته وباشتباههم أن لا شبه له: وهذا الأمر يتضمن ثلاثة أشياء:.

أ ـ إثبات وجود الله عن طريق خلقه، فمن المخلوق تستدل على وجود الخالق وتقريره أنه لا شك في وجود مخلوقات من شمس وقمر وبشر وهذه قطعاً لم تخلق نفسها فلا بد لها من خالق وهو الله.

ويمكن أن نستدل بها على الله من جهة أنها أمور ممكنة والإمكان محتاج في وجوده إلى موجد ولا يمكن أن يكون مثلها ممكناً فلا بد وأن يكون واجب الوجود بالذات وهو الله...

ب ـ إثبات أزلية الله ويعني بذلك أنه لا أول له ولا ابتداء وذلك لأن ما كان له أول يدخل في ضمن الممكنات المحتاجة إلى مؤثر وموجد والله منزه عن الحاجة وعن الحدوث فيكون أزلياً بلا أول له ولا ابتداء...

ج ـ إثبات أنه لا شبيه له ولا مثيل: لأن كل الأشياء واقعة تحت الإمكان وبحاجة إلى مؤثر في إيجادها فهي تشابه من هذه الجهة وهو منزه عن ذلك إذ هو الغني بذاته.

٢ ـ لا تستلمه المشاعر: لا تلمسه الحواس ولا يقع تحت الإحساس المعهود لعدم جسمانيته وكل ما لم يكن جسماً لا يقع تحت الحواس فهو سبحانه ينزه عن الجسمية وعوارضها.

٣ ـ لا تحجبه السواتر لأن ما يحجب هو الجسم لوجوده في جهة أما الله المنزه عن الجسمية فلا يمكن حجبه.

ثم علل كل ما تقدم بمغايرة الصانع عن المصنوع والحاد عن المحدود والرب عن

الشرح

(الحمد لله الدال على وجوده بخلقه وبمحدث خلقه على أزليته وباشتباههم على أن لا شبه له لا تستلمه المشاعر ولا تحجبه السواتر لافتراق الصانع والمصنوع والحاد والمحدود والرب والمربوب) في هذه الخطبة إثبات وجود الله وصفاته وذكر أئمة الدين كما أن فيها ذكر الإسلام وبعض خصائصه.

الفصل الأول: يتضمن هذا الفصل إثبات وجود الله وبعض صفاته وقد ذكر ذلك ضمن أمور:

١ ـ الحمد لله الدال على وجوده بخلقه وبمحدث خلقه على أزليته وباشتباههم أن لا شبه له: وهذا الأمر يتضمن ثلاثة أشياء:.

أ ـ إثبات وجود الله عن طريق خلقه، فمن المخلوق تستدل على وجود الخالق وتقريره أنه لا شك في وجود مخلوقات من شمس وقمر وبشر وهذه قطعاً لم تخلق نفسها فلا بد لها من خالق وهو الله.

ويمكن أن نستدل بها على الله من جهة أنها أمور ممكنة والإمكان محتاج في وجوده إلى موجد ولا يمكن أن يكون مثلها ممكناً فلا بد وأن يكون واجب الوجود بالذات وهو الله...

ب ـ إثبات أزلية الله ويعني بذلك أنه لا أول له ولا ابتداء وذلك لأن ما كان له أول يدخل في ضمن الممكنات المحتاجة إلى مؤثر وموجد والله منزه عن الحاجة وعن الحدوث فيكون أزلياً بلا أول له ولا ابتداء...

ج ـ إثبات أنه لا شبيه له ولا مثيل: لأن كل الأشياء واقعة تحت الإمكان وبحاجة إلى مؤثر في إيجادها فهي تفشابه من هذه الجهة وهو منزه عن ذلك إذ هو الغني بذاته.

٢ ـ لا تستلمه المشاعر: لا تلمسه الحواس ولا يقع تحت الإحساس المعهود لعدم جسمانيته وكل ما لم يكن جسماً لا يقع تحت الحواس فهو سبحانه ينزه عن الجسمية وعوارضها.

٣ ـ لا تحجبه السواتر لأن ما يحجب هو الجسم لوجوده في جهة أما الله المنزه عن الجسمية فلا يمكن حجبه.

ثم علل كل ما تقدم بمغايرة الصانع عن المصنوع والحاد عن المحدود والرب عن

(**ومن قال: «كيف» فقد استوصفه**) كيف استفهام عن الكيفيات من الألوان والطعوم والأشكال والمعاني ونحو ذلك وهذه لا يسأل عنها إلا الأجسام التي تتشكل بهذه الأمور والله منزه عن ذلك إذ هو الغني بذاته وليس له صفة زائدة ليسأل عنها. . .

(**ومن قال: «أين» فقد حيزه**) «وأين» استفهام عن المكان والجهة ومن استفهم عن شيء بها فقد حجّمه وحيّزه وحصره وكل ذلك من صفات الأجسام وهو سبحانه منزه عن ذلك. . .

(**عالم إذ لا معلوم ورب إذ لا مربوب وقادر إذ لا مقدور**) هذه الأوصاف من خصائص الله وصفاته لأنه العالم بالأشياء قبل وجودها عالم متى توجد وأين توجد بل عالم بذاته حيث لا شيء في الوجود وهو رب الأشياء ومالكها والقادر على إيجادها فقد كان كذلك ولم تكن هذه ويبقى كذلك وإن فنيت هذه. . .

(**قد طلع طالع ولمع لامع ولاح لائح واعتدل مائل واستبدل الله بقوم قوماً وبيوم يوماً وانتظرنا الغير انتظار المجدب المطر**) قالوا: إن هذه الخطبة خطبها إثر مقتل عثمان حينما صارت الخلافة إليه.

والجمل: طلع طالع ولمع لامع ولاح لائح كلها يراد بها معنى واحد وهو عود الخلافة إليه وقيل: إن قوله طلع طالع عود الخلافة إليه ولمع لامع ظهور من حيث هي حق ولاح لائح يراد به ظهور الحروب والفتن الواقعة بعد انتقال الأمر إليه. . .

ثم قال: «واعتدل مائل» أي استقام ما كان عليه أمر الخلافة والناس من الاعوجاج والظلم والتعدي. . . استقام الأمر واعتدل برجوع الخلافة إليه وقد كانت المظالم سارية في جميع أوصال المجتمع في عهد عثمان وولاته.

وأشار بقوله: «واستبدل الله بقوم قوماً وبيوم يوماً» إلى ما كان عليه عثمان وولاته من الظلم فقد ذهب عثمان وجماعته وجهازه الفاسد بكل ما حمل من ظلم وإثم واستبدل الله به قوماً آخرين أتقى لله وأعمل بأمر الله أشار بهذا إلى نفسه الشريفة ومن معه من الولاة والأمراء وذهب يوم الظلم والجور وجاء يوم آخر فيه العدل والحق. . . ذهب يوم عثمان وحاشيته وجاء يوم علي وأصحابه وهو يتغاير مع أمس بكل خصوصياته وشؤونه. . .

وأشار بقوله: «وانتظرنا الغير انتظار المجدب المطر» أشار بهذا إلى ما كان يتوقعه المسلمون وينتظرون حصوله. . . إنهم كانوا ينتظرون أن تتغير الأحوال ويسقط الحكم الظالم الذي لم يكن عثمان إلا ستاراً تختبىء وراءه العصابة الأموية وتحكم باسمه بالجور والظلم وتمارس خنق الحريات وتضطهد الأحرار والثوار وتأخذ كل من يريد لها النصيحة

(**ومن قال: «كيف» فقد استوصفه**) كيف استفهام عن الكيفيات من الألوان والطعوم والأشكال والمعاني ونحو ذلك وهذه لا يسأل عنها إلا الأجسام التي تتشكل بهذه الأمور والله منزه عن ذلك إذ هو الغني بذاته وليس له صفة زائدة ليسأل عنها. . .

(**ومن قال: «أين» فقد حيزه**) «وأين» استفهام عن المكان والجهة ومن استفهم عن شيء بها فقد حجّمه وحيّزه وحصره وكل ذلك من صفات الأجسام وهو سبحانه منزه عن ذلك. . .

(**عالم إذ لا معلوم ورب إذ لا مربوب وقادر إذ لا مقدور**) هذه الأوصاف من خصائص الله وصفاته لأنه العالم بالأشياء قبل وجودها عالم متى توجد وأين توجد بل عالم بذاته حيث لا شيء في الوجود وهو رب الأشياء ومالكها والقادر على إيجادها فقد كان كذلك ولم تكن هذه ويبقى كذلك وإن فنيت هذه. . .

(**قد طلع طالع ولمع لامع ولاح لائح واعتدل مائل واستبدل الله بقوم قوماً وبيوم يوماً وانتظرنا الغير انتظار المجدب المطر**) قالوا: إن هذه الخطبة خطبها إثر مقتل عثمان حينما صارت الخلافة إليه.

والجمل: طلع طالع ولمع لامع ولاح لائح كلها يراد بها معنى واحد وهو عود الخلافة إليه وقيل: إن قوله طلع طالع عود الخلافة إليه ولمع لامع ظهور من حيث هي حق ولاح لائح يراد به ظهور الحروب والفتن الواقعة بعد انتقال الأمر إليه. . .

ثم قال: «واعتدل مائل» أي استقام ما كان عليه أمر الخلافة والناس من الاعوجاج والظلم والتعدي. . . استقام الأمر واعتدل برجوع الخلافة إليه وقد كانت المظالم سارية في جميع أوصال المجتمع في عهد عثمان وولاته.

وأشار بقوله: «واستبدل الله بقوم قوماً وبيوم يوماً» إلى ما كان عليه عثمان وولاته من الظلم فقد ذهب عثمان وجماعته وجهازه الفاسد بكل ما حمل من ظلم وإثم واستبدل الله به قوماً آخرين أتقى لله وأعمل بأمر الله أشار بهذا إلى نفسه الشريفة ومن معه من الولاة والأمراء وذهب يوم الظلم والجور وجاء يوم آخر فيه العدل والحق. . . ذهب يوم عثمان وحاشيته وجاء يوم علي وأصحابه وهو يتغاير مع أمس بكل خصوصياته وشؤونه. . .

وأشار بقوله: «وانتظرنا الغير انتظار المجدب المطر» أشار بهذا إلى ما كان يتوقعه المسلمون وينتظرون حصوله. . . إنهم كانوا ينتظرون أن تتغير الأحوال ويسقط الحكم الظالم الذي لم يكن عثمان إلا ستاراً تختبىء وراءه العصابة الأموية وتحكم باسمه بالجور والظلم وتمارس خنق الحريات وتضطهد الأحرار والثوار وتأخذ كل من يريد لها النصيحة

(اصطفى الله تعالى منهجه وبيّن حججه من ظاهر علم وباطن حكم لا تفنى غرائبه ولا تنقضي عجائبه) اختار الله طريق الإسلام من بين الطرق وأظهر أدلته وبراهينه التي تثبت صحته وتدل على أحقيته من علم ظاهر ومن حكمة باطنة يستكشفها اللبيب بعقله ويقوده إليها منطقه السليم، لا تفنى أموره الغريبة ولا تنتهي عجائبه فقد عاد الإنسان بعد تطواف طويل وبحث وتنقيب إلى الإقرار بعظمة الإسلام وحضارته وما جاء به من تشريع وتقنين ولم يستطع هذا العقل إلا أن يعترف بأن الإسلام دين العقل الذي يحارب الجهل والأمية وكل شعوذة وانحلال. . .

(فيه مرابيع النعم ومصابيح الظلم) الضمير يعود إلى القرآن وقيل: إلى الإسلام. . . وقد شبهه بالأمطار الربيعية التي تنعش الزرع وتبعث الخير ولا شك أن القرآن ينعش القلوب ويحركها ويبعث فيها الحياة ويدفع الناس إلى العمل الصالح والدفاع عن المستضعفين وكذلك هو ينير الدرب ويكشف بتعاليمه الجهل ويرفع الغشاوة عن العيون فهو مصباح القلوب وكاشف ظلماتها وسوادها ورافع جهلها. . .

(لا تفتح الخيرات إلا بمفاتيحه ولا تكشف الظلمات إلا بمصابيحه) أي خير لا يكون إلا عن طريق القرآن، وما فيه من أدلة وبراهين موصلة إلى الله ودالة عليه هي التي تفتح أمام الإنسان طرق النجاة.

وكذلك لا تكشف ظلمات الجهل ولا ترفع الغشاوة عن البصائر والأبصار إلا بما ورد فيه من تعاليم وأحكام لأنه الخطاب الإلهي لهذا الإنسان ودليل السعادة ومفتاح النصر، ومن طلب الخير لن يدركه في غير كتاب الله وتشريعه وما جاء فيه ومن طلب كشف الجهل فلن يُكشف جهله إلا في هذا الكتاب الكريم الشاهد على ذلك ما حققته أمة الإسلام من عز ونصر وكرامة وفتح يوم تعلمته وعملت به وكيف انهزمت في كل مجالات حياتها يوم تركته وتخلت عنه وهجرت العمل به. . .

(قد أحمى حماه وأرعى مرعاه فيه شفاء المستشفي وكفاية المكتفي) أراد بحماه محارمه فمنع بنواهيه وزواجره أن تستباح محارمه وكذلك هيأه لأن يرعى أن يسر أحكامه وآدابه وشرائعه حيث إنه أنزله بلسان عربي مبين نفهمه ونفقهه. . . وفيه شفاء لمن أراد الاستشفاء قال تعالى: **﴿وننزل من القرآن ما فيه شفاء ورحمة للمؤمنين﴾** وفيه أيضاً الكفاية لكل من أراد الاكتفاء من كل شيء. . . فيه الكفاية لمن طلب العز والكرامة وفيه الكفاية لمن أراد أمجاد الدنيا وفيه الكفاية لمن أراد الآخرة. . .

(اصطفى الله تعالى منهجه وبيّن حججه من ظاهر علم وباطن حكم لا تفنى غرائبه ولا تنقضي عجائبه) اختار الله طريق الإسلام من بين الطرق وأظهر أدلته وبراهينه التي تثبت صحته وتدل على أحقيته من علم ظاهر ومن حكمة باطنة يستكشفها اللبيب بعقله ويقوده إليها منطقه السليم، لا تفنى أموره الغريبة ولا تنتهي عجائبه فقد عاد الإنسان بعد تطواف طويل وبحث وتنقيب إلى الإقرار بعظمة الإسلام وحضارته وما جاء به من تشريع وتقنين ولم يستطع هذا العقل إلا أن يعترف بأن الإسلام دين العقل الذي يحارب الجهل والأمية وكل شعوذة وانحلال. . .

(فيه مرابيع النعم ومصابيح الظلم) الضمير يعود إلى القرآن وقيل: إلى الإسلام. . . وقد شبهه بالأمطار الربيعية التي تنعش الزرع وتبعث الخير ولا شك أن القرآن ينعش القلوب ويحركها ويبعث فيها الحياة ويدفع الناس إلى العمل الصالح والدفاع عن المستضعفين وكذلك هو ينير الدرب ويكشف بتعاليمه الجهل ويرفع الغشاوة عن العيون فهو مصباح القلوب وكاشف ظلماتها وسوادها ورافع جهلها. . .

(لا تفتح الخيرات إلا بمفاتيحه ولا تكشف الظلمات إلا بمصابيحه) أي خير لا يكون إلا عن طريق القرآن، وما فيه من أدلة وبراهين موصلة إلى الله ودالة عليه هي التي تفتح أمام الإنسان طرق النجاة.

وكذلك لا تكشف ظلمات الجهل ولا ترفع الغشاوة عن البصائر والأبصار إلا بما ورد فيه من تعاليم وأحكام لأنه الخطاب الإلهي لهذا الإنسان ودليل السعادة ومفتاح النصر، ومن طلب الخير لن يدركه في غير كتاب الله وتشريعه وما جاء فيه ومن طلب كشف الجهل فلن يُكشف جهله إلا في هذا الكتاب الكريم الشاهد على ذلك ما حققته أمة الإسلام من عز ونصر وكرامة وفتح يوم تعلمته وعملت به وكيف انهزمت في كل مجالات حياتها يوم تركته وتخلت عنه وهجرت العمل به. . .

(قد أحمى حماه وأرعى مرعاه فيه شفاء المستشفي وكفاية المكتفي) أراد بحماه محارمه فمنع بنواهيه وزواجره أن تستباح محارمه وكذلك هيأه لأن يرعى أن يسر أحكامه وآدابه وشرائعه حيث إنه أنزله بلسان عربي مبين نفهمه ونفقهه. . . وفيه شفاء لمن أراد الاستشفاء قال تعالى: **﴿وننزل من القرآن ما فيه شفاء ورحمة للمؤمنين﴾** وفيه أيضاً الكفاية لكل من أراد الاكتفاء من كل شيء. . . فيه الكفاية لمن طلب العز والكرامة وفيه الكفاية لمن أراد أمجاد الدنيا وفيه الكفاية لمن أراد الآخرة. . .

فَإِنَّ عَلَيْهِ مَمَرَّكَ، وَكَمَا تَدِينُ تُدَانُ، وَكَمَا تَزْرَعُ تَحْصُدُ، وَمَا قَدَّمْتَ اليَوْمَ تَقْدَمُ عَلَيْهِ غَداً، فَامْهَدْ[١٧] لِقَدَمِكَ، وَقَدِّمْ لِيَوْمِكَ. فَالحَذَرَ الحَذَرَ أَيُّهَا المُسْتَمِعُ! وَالجِدَّ الجِدَّ أَيُّهَا الغَافِلُ! «وَلاَ يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ».

إِنَّ مِنْ عَزَائِمِ[١٨] اللهِ فِي الذِّكْرِ الحَكِيمِ، الَّتِي عَلَيْهَا يُثِيبُ وَيُعَاقِبُ، وَلَهَا يَرْضَى وَيَسْخَطُ، أَنَّهُ لاَ يَنْفَعُ عَبْداً ـ وَإِنْ أَجْهَدَ[١٩] نَفْسَهُ، وَأَخْلَصَ فِعْلَهُ ـ أَنْ يَخْرُجَ مِنَ الدُّنْيَا، لاَقِياً رَبَّهُ بِخَصْلَةٍ[٢٠] مِنْ هذِهِ الخِصَالِ لَمْ يَتُبْ مِنْهَا: أَنْ يُشْرِكَ بِاللهِ فِيمَا افْتَرَضَ[٢١] عَلَيْهِ مِنْ عِبَادَتِهِ، أَوْ يَشْفِيَ غَيْظَهُ[٢٢] بِهَلاَكِ نَفْسٍ، أَوْ يَعُرَّ[٢٣] بِأَمْرٍ فَعَلَهُ غَيْرُهُ، أَوْ يَسْتَنْجِحَ[٢٤] حَاجَةً إِلَى النَّاسِ بِإِظْهَارِ بِدْعَةٍ[٢٥] فِي دِينِهِ، أَوْ يَلْقَى النَّاسَ بِوَجْهَيْنِ، أَوْ يَمْشِيَ فِيهِمْ بِلِسَانَيْنِ. اعْقِلْ ذلِكَ فَإِنَّ المِثْلَ دَلِيلٌ عَلَى شِبْهِهِ.

إِنَّ البَهَائِمَ[٢٦] هَمُّهَا بُطُونُهَا، وَإِنَّ السِّبَاعَ هَمُّهَا العُدْوَانُ[٢٧] عَلَى غَيْرِهَا؛ وَإِنَّ النِّسَاءَ هَمُّهُنَّ زِينَةُ الحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالفَسَادُ فِيهَا؛ إِنَّ المُؤْمِنِينَ مُسْتَكِينُونَ[٢٨]. إِنَّ المُؤْمِنِينَ مُشْفِقُونَ. إِنَّ المُؤْمِنِينَ خَائِفُونَ.

اللغة

١ ـ يهوي : يسقط.
٢ ـ القصد : المستقيم والسبيل القصد هو الطريق المستقيم.
٣ ـ الجلابيب : جمع جلباب الثوب الواسع.
٤ ـ أدركوا : الشيء لحقوه.
٥ ـ قضوا : وطرهم بلغوا مرادهم وقضى حاجته أتمها وفرغ منها.
٦ ـ الوطر : الحاجة.
٧ ـ العبر : العظات.
٨ ـ سلك : المكان دخل فيه والطريق سار عليه.

فَإِنَّ عَلَيْهِ مَمَرَّكَ، وَكَمَا تَدِينُ تُدَانُ، وَكَمَا تَزْرَعُ تَحْصُدُ، وَمَا قَدَّمْتَ اليَوْمَ تَقْدَمُ عَلَيْهِ غَداً، فَامْهَدْ[١٧] لِقَدَمِكَ، وَقَدِّمْ لِيَوْمِكَ. فَالحَذَرَ الحَذَرَ أَيُّهَا المُسْتَمِعُ! وَالجِدَّ الجِدَّ أَيُّهَا الغَافِلُ! «وَلاَ يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ».

إِنَّ مِنْ عَزَائِمِ[١٨] اللهِ فِي الذِّكْرِ الحَكِيمِ، الَّتِي عَلَيْهَا يُثِيبُ وَيُعَاقِبُ، وَلَهَا يَرْضَى وَيَسْخَطُ، أَنَّهُ لاَ يَنْفَعُ عَبْداً ـ وَإِنْ أَجْهَدَ[١٩] نَفْسَهُ، وَأَخْلَصَ فِعْلَهُ ـ أَنْ يَخْرُجَ مِنَ الدُّنْيَا، لاَقِياً رَبَّهُ بِخَصْلَةٍ[٢٠] مِنْ هذِهِ الخِصَالِ لَمْ يَتُبْ مِنْهَا: أَنْ يُشْرِكَ بِاللهِ فِيمَا افْتَرَضَ[٢١] عَلَيْهِ مِنْ عِبَادَتِهِ، أَوْ يَشْفِيَ غَيْظَهُ[٢٢] بِهَلاَكِ نَفْسٍ، أَوْ يَعُرَّ[٢٣] بِأَمْرٍ فَعَلَهُ غَيْرُهُ، أَوْ يَسْتَنْجِحَ[٢٤] حَاجَةً إِلَى النَّاسِ بِإِظْهَارِ بِدْعَةٍ[٢٥] فِي دِينِهِ، أَوْ يَلْقَى النَّاسَ بِوَجْهَيْنِ، أَوْ يَمْشِيَ فِيهِمْ بِلِسَانَيْنِ. اعْقِلْ ذلِكَ فَإِنَّ المِثْلَ دَلِيلٌ عَلَى شِبْهِهِ.

إِنَّ البَهَائِمَ[٢٦] هَمُّهَا بُطُونُهَا، وَإِنَّ السِّبَاعَ هَمُّهَا العُدْوَانُ[٢٧] عَلَى غَيْرِهَا؛ وَإِنَّ النِّسَاءَ هَمُّهُنَّ زِينَةُ الحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالفَسَادُ فِيهَا؛ إِنَّ المُؤْمِنِينَ مُسْتَكِينُونَ[٢٨]. إِنَّ المُؤْمِنِينَ مُشْفِقُونَ. إِنَّ المُؤْمِنِينَ خَائِفُونَ.

اللغة

١ ـ يهوي : يسقط.
٢ ـ القصد : المستقيم والسبيل القصد هو الطريق المستقيم.
٣ ـ الجلابيب : جمع جلباب الثوب الواسع.
٤ ـ أدركوا : الشيء لحقوه.
٥ ـ قضوا : وطرهم بلغوا مرادهم وقضى حاجته أتمها وفرغ منها.
٦ ـ الوطر : الحاجة.
٧ ـ العبر : العظات.
٨ ـ سلك : المكان دخل فيه والطريق سار عليه.

مدبراً واستدبروا مقبلاً فلم ينتفعوا بما أدركوا من طلبتهم ولا بما قضوا من وطرهم) هذه موعظة لأصحابه وتنبيه لهم بما يلاقيه الضالون. إنها ساعات صعبة تلك الساعات التي يكشف الله فيها للضالين جزاء معصيتهم من عذاب أليم ونار وحميم ويرفع عنهم الغشاوة التي كانت تمنع الرؤية الصحيحة في الدنيا، إنه الموت إذا نزل بساحة إنسان انكشف عنه الغطاء فرأى الأمور على حقيقتها ونال جزاء معصيته وعندها استقبلوا ما كان مدبراً من الموت وما بعده من حساب وجزاء كما أنهم استدبروا ما كان مقبلاً من الدنيا المتجسدة بالأموال والبنين وكل حطام الدنيا، لقد تخلوا عن كل ذلك وأصبح وراء ظهورهم لم ينتفعوا بما أدركوه من أموال وأولاد وتراث لأن كل ذلك تخلف عنهم ولم ينتفعوا أيضاً بما قضوا من لذات خاصة وملذات. إنهم تركوا كل ما خولهم الله في دار الدنيا وراء ظهورهم وتوجهوا نحو الحساب ليأخذوا العذاب نتيجة انحرافهم واسفافهم وبعدهم عن الله...

(إني أحذركم ونفسي هذه المنزلة فلينتفع امرؤ بنفسه فإنما البصير من سمع فتفكر ونظر فأبصر وانتفع بالعبر ثم سلك جدداً واضحاً يتجنب فيه الصرعة في المهاوي والضلال في المغاوي ولا يعين على نفسه الغواة بتعسف في حق أو تحريف في نطق أو تخوف من صدق) حذّر المخاطبين من الغفلة وأدخل نفسه معهم تطيباً لقلوبهم ليكون شريكهم في هذا التحذير فيكونوا إلى الانقياد له أقرب وعن النفرة والآباء أبعد وبعد أن حذرهم الدنيا وما فيها رغبهم بما ينفع ويفيد في الآخرة وأمرهم أن ينتفع كل إنسان بنفسه بأن يوجهها إلى طاعة الله والعمل بما أمر والاجتناب عما نهى ويسارع في الخيرات.

ثم بين طرق الانتفاع وهو ما عليه أهل البصر وهؤلاء قوم سمعوا الآيات ففكروا فيها وانتفعوا بما فكروا فهداهم عقلهم إلى السير على نهج الحق والعدل وما جاء به الأنبياء وحملته الرسل إلى العباد.

وأهل البصر أيضاً قوم نظروا في الدنيا وزوالها وما ينفع منها فأبصروها على حقيقتها وأدركوا ما يمر عليهم وما يشاهدون وكذلك أخذوا العبرة والعظة والدروس المفيدة لهم في دنياهم وآخرتهم.

وبعد هذا الفكر الذي تولد عن البصر والسمع وأخذ العبر ساروا في الطريق المستقيم الواضح ولم يميلوا إلى المنعطفات أو المواقع التي تضل أو تنحرف بهم عن سبيل الله... إنهم قوم أخذوا قوانين الشريعة بحذافيرها والتزموا بها بحدودها ولم يفرطوا بشيء منها وتركوا كل ما يؤدي إلى الانحراف أو الضلال...

مدبراً واستدبروا مقبلاً فلم ينتفعوا بما أدركوا من طلبتهم ولا بما قضوا من وطرهم) هذه موعظة لأصحابه وتنبيه لهم بما يلاقيه الضالون. إنها ساعات صعبة تلك الساعات التي يكشف الله فيها للضالين جزاء معصيتهم من عذاب أليم ونار وحميم ويرفع عنهم الغشاوة التي كانت تمنع الرؤية الصحيحة في الدنيا، إنه الموت إذا نزل بساحة إنسان انكشف عنه الغطاء فرأى الأمور على حقيقتها ونال جزاء معصيته وعندها استقبلوا ما كان مدبراً من الموت وما بعده من حساب وجزاء كما أنهم استدبروا ما كان مقبلاً من الدنيا المتجسدة بالأموال والبنين وكل حطام الدنيا، لقد تخلوا عن كل ذلك وأصبح وراء ظهورهم لم ينتفعوا بما أدركوه من أموال وأولاد وتراث لأن كل ذلك تخلف عنهم ولم ينتفعوا أيضاً بما قضوا من لذات خاصة وملذات. إنهم تركوا كل ما خولهم الله في دار الدنيا وراء ظهورهم وتوجهوا نحو الحساب ليأخذوا العذاب نتيجة انحرافهم واسفافهم وبعدهم عن الله...

(إني أحذركم ونفسي هذه المنزلة فلينتفع امرؤ بنفسه فإنما البصير من سمع فتفكر ونظر فأبصر وانتفع بالعبر ثم سلك جدداً واضحاً يتجنب فيه الصرعة في المهاوي والضلال في المغاوي ولا يعين على نفسه الغواة بتعسف في حق أو تحريف في نطق أو تخوف من صدق) حذّر المخاطبين من الغفلة وأدخل نفسه معهم تطيباً لقلوبهم ليكون شريكهم في هذا التحذير فيكونوا إلى الانقياد له أقرب وعن النفرة والآباء أبعد وبعد أن حذرهم الدنيا وما فيها رغبهم بما ينفع ويفيد في الآخرة وأمرهم أن ينتفع كل إنسان بنفسه بأن يوجهها إلى طاعة الله والعمل بما أمر والاجتناب عما نهى ويسارع في الخيرات.

ثم بين طرق الانتفاع وهو ما عليه أهل البصر وهؤلاء قوم سمعوا الآيات ففكروا فيها وانتفعوا بما فكروا فهداهم عقلهم إلى السير على نهج الحق والعدل وما جاء به الأنبياء وحملته الرسل إلى العباد.

وأهل البصر أيضاً قوم نظروا في الدنيا وزوالها وما ينفع منها فأبصروها على حقيقتها وأدركوا ما يمر عليهم وما يشاهدون وكذلك أخذوا العبرة والعظة والدروس المفيدة لهم في دنياهم وآخرتهم.

وبعد هذا الفكر الذي تولد عن البصر والسمع وأخذ العبر ساروا في الطريق المستقيم الواضح ولم يميلوا إلى المنعطفات أو المواقع التي تضل أو تنحرف بهم عن سبيل الله... إنهم قوم أخذوا قوانين الشريعة بحذافيرها والتزموا بها بحدودها ولم يفرطوا بشيء منها وتركوا كل ما يؤدي إلى الانحراف أو الضلال...

٤ ـ أمره أن يخالف من نظر إلى الدنيا وزينتها وترك الآخرة ونعيمها، أن يتركه وشأنه وما اختار لنفسه من الشقاء والتعاسة والأمور التي لا تدوم ولا تبقى.

٥ ـ أمره أن يضع فخره أي يترك افتخاره بالأمور الزائلة من مال وجاه وسلطان فإنها كلها فانية.

٦ ـ واحطط كبرك: لا تتكبر فما تكبر أحد إلا لنقص فيه ويحشر المتكبرون يوم القيامة بصورة الذر يطأهم الناس بأقدامهم كما في الروايات.

٧ ـ واذكر قبرك فإن عليه ممرك: اذكر القبر وضيقه ووحشته وظلمته وانفرادك فيه فإنك ستصل إليه وستدخل إلى عمقه فاستعد لمثل ذلك المقر وخذ له ما ينفعك ويفيدك فإنه ممر موحش مظلم إلى أن تخرج منه للوقوف بين يدي الله للحساب. . .

٨ ـ وكما تدين تدان: كما تجزي تُجزى من باب المشاكلة والمقصود كما تتعامل مع الله يتعامل معك إن تعاملت معه بالطاعة والالتزام أثابك وجزاك الجنة وإن تعاملت معه بالتمرد والعصيان تعامل معك بالعقاب والنيران.

٩ ـ وكما تزرع تحصد: إن زرعت خيراً حصدت خيراً وإن زرعت شراً حصدت شراً ولا يمكن للعبد أن يطيع الله إلا أن يكسب الثواب والأجر، ومن عصى الله أدخل النار جزاء وفاقا. . .

١٠ ـ وما قدمت اليوم تقدم عليه غداً فامهد لقدمك وقدم ليومك: ما تقوم به اليوم من أعمال طيبة أو خبيثة سيحفظ لك وستقدم عليه في يوم الحساب والجزاء قال تعالى: **﴿ويقولون يا ويلتنا ما لهذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها ووجدوا ما عملوا حاضراً ولا يظلم ربك أحداً﴾**[1].

فاعمل لذلك اليوم الذي تقف فيه بين يدي الله اعمل ما ينجيك ويخلصك من عذابه وغضبه ولا يكون ذلك إلا بالعمل الصالح المتمثل بالالتزام بكل ما أمر الله والانتهاء عن كل ما نهى الله. . .

(فالحذر الحذر أيها المستمع والجد الجد أيها الغافل ولا ينبئك مثل خبير) أكد الحذر بقوله: الحذر الحذر من كل معصية أو تقصير كما أمر بالاجتهاد وأكده بإعادة لفظه لمن غفل وسهى ثم استعار من القرآن قوله: **﴿ولا ينبئك مثل خبير﴾** أي لا يخبرك أحد

---

(١) سورة الكهف، آية/ ٤٩.

٤ ـ أمره أن يخالف من نظر إلى الدنيا وزينتها وترك الآخرة ونعيمها، أن يتركه وشأنه وما اختار لنفسه من الشقاء والتعاسة والأمور التي لا تدوم ولا تبقى.

٥ ـ أمره أن يضع فخره أي يترك افتخاره بالأمور الزائلة من مال وجاه وسلطان فإنها كلها فانية.

٦ ـ واحطط كبرك: لا تتكبر فما تكبر أحد إلا لنقص فيه ويحشر المتكبرون يوم القيامة بصورة الذر يطأهم الناس بأقدامهم كما في الروايات.

٧ ـ واذكر قبرك فإن عليه ممرك: اذكر القبر وضيقه ووحشته وظلمته وانفرادك فيه فإنك ستصل إليه وستدخل إلى عمقه فاستعد لمثل ذلك المقر وخذ له ما ينفعك ويفيدك فإنه ممر موحش مظلم إلى أن تخرج منه للوقوف بين يدي الله للحساب...

٨ ـ وكما تدين تدان: كما تجزي تُجزى من باب المشاكلة والمقصود كما تتعامل مع الله يتعامل معك إن تعاملت معه بالطاعة والالتزام أثابك وجزاك الجنة وإن تعاملت معه بالتمرد والعصيان تعامل معك بالعقاب والنيران.

٩ ـ وكما تزرع تحصد: إن زرعت خيراً حصدت خيراً وإن زرعت شراً حصدت شراً ولا يمكن للعبد أن يطيع الله إلا أن يكسب الثواب والأجر، ومن عصى الله أدخل النار جزاء وفاقا...

١٠ ـ وما قدمت اليوم تقدم عليه غداً فامهد لقدمك وقدم ليومك: ما تقوم به اليوم من أعمال طيبة أو خبيثة سيحفظ لك وستقدم عليه في يوم الحساب والجزاء قال تعالى: **﴿ويقولون يا ويلتنا ما لهذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها ووجدوا ما عملوا حاضراً ولا يظلم ربك أحداً﴾**[1].

فاعمل لذلك اليوم الذي تقف فيه بين يدي الله اعمل ما ينجيك ويخلصك من عذابه وغضبه ولا يكون ذلك إلا بالعمل الصالح المتمثل بالالتزام بكل ما أمر الله والانتهاء عن كل ما نهى الله...

(**فالحذر الحذر أيها المستمع والجد الجد أيها الغافل ولا ينبئك مثل خبير**) أكد الحذر بقوله: الحذر الحذر من كل معصية أو تقصير كما أمر بالاجتهاد وأكده بإعادة لفظه لمن غفل وسهى ثم استعار من القرآن قوله: **﴿ولا ينبئك مثل خبير﴾** أي لا يخبرك أحد

---

(١) سورة الكهف، آية/ ٤٩.

عندما يراك ويضحك عليك عندما يغيب عنك إنه يحمل وجهين ولسانين فهو منافق يعيش مع المؤمنين بصورته الظاهرية ومع الكفار في عمقه ودخيلته . . .

ثم أمر عليه السلام بأن يعقل ما قاله ويعلم باطن خطابه ويحمل عليه ما يشبهه فإن المثل دليل على شبهه .

قال ابن أبي الحديد: وإنما رمز بباطن هذا الكلام إلى الرؤساء يوم الجمل لأنهم حاولوا أن يشفوا غيظهم بإهلاكه وإهلاك غيره من المسلمين عرّوه ـ سبوه ـ عليه السلام بأمرٍ هم فعلوه وهو التأليب على عثمان وحصره واستنجحوا حاجتهم إلى أهل البصرة بإظهار البدعة والفتنة ولقوا الناس بوجهين ولسانين لأنهم بايعوه وأظهروا الرضا به فجعل ذنوبهم هذه مماثلة للشرك بالله سبحانه في أنها لا تغفر إلا بالتوبة . . . » وبعد هذا البيان من ابن أبي الحديد جاء ليعتذر عنهم بأمر غير مقبول تارة بأن هذه الخطبة خطبها وهو في طريقه إلى البصرة وأخرى بأنهم تابوا وكلا الأمرين لم يثبت منهما شيء . . .

(إن البهائم همها بطونها وإن السباع همها العدوان على غيرها وإن النساء همهن زينة الحياة الدنيا والفساد فيها، إن المؤمنين مستكينون. إن المؤمنين مشفقون، إن المؤمنين خائفون) أراد عليه السلام أن يومي ـ كما في شرح ابن أبي الحديد ـ إلى ذكر النساء للحال التي كان وقع إليها من استنجاد أعدائه بالامرأة فذكر قبل ذلك أنواعاً من الحيوانات تمهيداً لقاعدة ذكر النساء فذكر البهائم وأن همها بطونها وما تأكله وتلتذ به وأن السباع همها العدوان وافتراس الناس والاعتداء عليها أما النساء فهمهن زينة الحياة الدنيا بأن تظهر بأحسن صورة وأفضلها وهمهن الفساد في الحياة بما يتبذلن ويتبرجن ويثرن غرائز الرجال وشهواتهم .

ثم ذكر صفات المؤمنين وبعض خصائصهم وقد ذكر ثلاث صفات :

١ ـ إن المؤمنين مستكينون لله أي خاضعون له ذليلون بين يديه .

٢ ـ إن المؤمنين مشفقون أي خائفون من الله وعذابه .

٣ ـ إن المؤمنين خائفون من عذاب الله ومن كل ما يُغضبه ويُبعد عن ساحته .

عندما يراك ويضحك عليك عندما يغيب عنك إنه يحمل وجهين ولسانين فهو منافق يعيش مع المؤمنين بصورته الظاهرية ومع الكفار في عمقه ودخيلته . . .

ثم أمر عليه السلام بأن يعقل ما قاله ويعلم باطن خطابه ويحمل عليه ما يشبهه فإن المثل دليل على شبهه.

قال ابن أبي الحديد: وإنما رمز بباطن هذا الكلام إلى الرؤساء يوم الجمل لأنهم حاولوا أن يشفوا غيظهم بإهلاكه وإهلاك غيره من المسلمين عرّوه ـ سبوه ـ عليه السلام بأمرٍ هم فعلوه وهو التأليب على عثمان وحصره واستنجحوا حاجتهم إلى أهل البصرة بإظهار البدعة والفتنة ولقوا الناس بوجهين ولسانين لأنهم بايعوه وأظهروا الرضا به فجعل ذنوبهم هذه مماثلة للشرك بالله سبحانه في أنها لا تغفر إلا بالتوبة . . .» وبعد هذا البيان من ابن أبي الحديد جاء ليعتذر عنهم بأمر غير مقبول تارة بأن هذه الخطبة خطبها وهو في طريقه إلى البصرة وأخرى بأنهم تابوا وكلا الأمرين لم يثبت منهما شيء . . .

(إن البهائم همها بطونها وإن السباع همها العدوان على غيرها وإن النساء همهن زينة الحياة الدنيا والفساد فيها، إن المؤمنين مستكينون. إن المؤمنين مشفقون، إن المؤمنين خائفون) أراد عليه السلام أن يومي ـ كما في شرح ابن أبي الحديد ـ إلى ذكر النساء للحال التي كان وقع إليها من استنجاد أعدائه بالامرأة فذكر قبل ذلك أنواعاً من الحيوانات تمهيداً لقاعدة ذكر النساء فذكر البهائم وأن همها بطونها وما تأكله وتلتذ به وأن السباع همها العدوان وافتراس الناس والاعتداء عليها أما النساء فهمهن زينة الحياة الدنيا بأن تظهر بأحسن صورة وأفضلها وهمهن الفساد في الحياة بما يتبذلن ويتبرجن ويثرن غرائز الرجال وشهواتهم.

ثم ذكر صفات المؤمنين وبعض خصائصهم وقد ذكر ثلاث صفات:

١ ـ إن المؤمنين مستكينون لله أي خاضعون له ذليلون بين يديه.

٢ ـ إن المؤمنين مشفقون أي خائفون من الله وعذابه.

٣ ـ إن المؤمنين خائفون من عذاب الله ومن كل ما يُغضبه ويُبعد عن ساحته.

وَٱعْلَمْ أَنَّ لِكُلِّ عَمَلٍ نَبَاتاً. وَكُلُّ نَبَات لاَ غِنَى بِهِ عَنِ ٱلْمَاءِ، وَالمِيَاهُ مُخْتَلِفَةٌ، فَمَا طَابَ سَقْيُهُ(١٥)، طَابَ غَرْسُهُ(١٦) وَحَلَتْ(١٧) ثَمَرَتُهُ، وَمَا خَبُثَ سَقْيُهُ، خَبُثَ غَرْسُهُ وَأَمَرَّتْ(١٨) ثَمَرَتُهُ.

اللغة

١ ـ الناظر : السواد الأصغر الذي فيه انسان العين الذي يرى فيه.
٢ ـ الأمد : الغاية.
٣ ـ الغور : المنخفض من الأرض.
٤ ـ النجد : المرتفع.
٥ ـ خاض : الماء دخله وفي الحديث أفاض فيه والغمرات اقتحمها.
٦ ـ الفتن : جمع فتنة الضلال والكفر، وما يقع بين الناس من الاختلاف.
٧ ـ البدع : جمع بدعة ما أحدث على غير مثال سابق/ في الأراء وما يقع بينهم من قتال.
٨ ـ السنن : الطرق الواضحة، ما شرّعه النبي.
٩ ـ أرز : انقبض، انضم وأجتمع.
١٠ ـ الشعار : ما يلي الجسد من الثياب.
١١ ـ الكرائم : جمع كريمة نفائس الشيء وخيارها.
١٢ ـ الكنوز : كل مجموع مدّخر يتنافس فيه.
١٣ ـ الرائد : من يتقدم القوم يبحث لهم عن المكان المناسب.
١٤ ـ ينقلب : يرجع ويعود.
١٥ ـ السقي : الحظ من الشرب.
١٦ ـ الغرس : ما يغرس في الأرض من شجر ونحوه.
١٧ ـ حلت : من الحلاوة صارت حلوة.
١٨ ـ أمرّت : صارت مُرّة.

الشرح

(وناظر قلب اللبيب به يبصر أمده ويعرف غوره ونجده. داع دعا وراع رعى فاستجيبوا للداعي واتبعوا الراعي) البصيرة التي يتمتع بها الإنسان العاقل هي التي تريه

وَٱعْلَمْ أَنَّ لِكُلِّ عَمَلٍ نَبَاتاً. وَكُلُّ نَبَات لاَ غِنَى بِهِ عَنِ ٱلْمَاءِ، وَالمِيَاهُ مُخْتَلِفَةٌ، فَمَا طَابَ سَقْيُهُ(١٥)، طَابَ غَرْسُهُ(١٦) وَحَلَتْ(١٧) ثَمَرَتُهُ، وَمَا خَبُثَ سَقْيُهُ، خَبُثَ غَرْسُهُ وَأَمَرَّتْ(١٨) ثَمَرَتُهُ.

اللغة

١ ـ الناظر : السواد الأصغر الذي فيه انسان العين الذي يرى فيه.
٢ ـ الأمد : الغاية.
٣ ـ الغور : المنخفض من الأرض.
٤ ـ النجد : المرتفع.
٥ ـ خاض : الماء دخله وفي الحديث أفاض فيه والغمرات اقتحمها.
٦ ـ الفتن : جمع فتنة الضلال والكفر، وما يقع بين الناس من الاختلاف.
٧ ـ البدع : جمع بدعة ما أحدث على غير مثال سابق/ في الأراء وما يقع بينهم من قتال.
٨ ـ السنن : الطرق الواضحة، ما شرّعه النبي.
٩ ـ أرز : انقبض، انضم وأجتمع.
١٠ ـ الشعار : ما يلي الجسد من الثياب.
١١ ـ الكرائم : جمع كريمة نفائس الشيء وخيارها.
١٢ ـ الكنوز : كل مجموع مدّخر يتنافس فيه.
١٣ ـ الرائد : من يتقدم القوم يبحث لهم عن المكان المناسب.
١٤ ـ ينقلب : يرجع ويعود.
١٥ ـ السقي : الحظ من الشرب.
١٦ ـ الغرس : ما يغرس في الأرض من شجر ونحوه.
١٧ ـ حلت : من الحلاوة صارت حلوة.
١٨ ـ أمرّت : صارت مُرّة.

الشرح

(وناظر قلب اللبيب به يبصر أمده ويعرف غوره ونجده. داع دعا وراع رعى فاستجيبوا للداعي واتبعوا الراعي) البصيرة التي يتمتع بها الإنسان العاقل هي التي تريه

(فيهم كرائم القرآن وهم كنوز الرحمن إن نطقوا صدقوا وإن صمتوا لم يسبقوا) يذكر فضائل أهل البيت وقد ذكر منها:

١ ـ فيهم كرائم القرآن أي نزلت فيهم آيات القرآن الكريمة تبين فضلهم وتشرح عظمتهم وتثني عليهم وقيل فيهم أحسن ما في القرآن من فضائل ومناقب ومنافع وأخلاق وآداب.

٢ ـ وهم كنوز الرحمن: إنهم خزنة علم الله وبهم تتوضح مشكلات العلوم وما يستعصي حله على الناس.. إنهم أفضل خلق الله وأعزهم عليه وأقربهم إليه.. إنهم أثمن ما في الدنيا لأنهم الصفوة التي اختارها الله لقيادة البشرية.

٣ ـ إن نطقوا صدقوا: فكلامهم ملازم للصدق لعصمتهم وإنهم لا ينطقون عن الهوى.

٤ ـ وإن صمتوا لم يسبقوا: إن صمتوا ولم يتكلموا فإنما ذلك لحكمة ومصلحة فلا يكون المتكلم سابقاً لهم ومتقدماً عليهم أو كما قال الشيخ محمد عبده: يهاب الناس سكوتهم فلا يجرأ أحد على الكلام عما سكتوا عنه وإن كان الأول أرجح وأقرب...

(فليصدق رائد أهله وليحضر عقله وليكن من ابناء الآخرة فإنه منها قدم وإليها ينقلب) بعد ذكر مناقبه وأهله توجه إلى من هو موجود عنده وقد جاء ليأخذ منه الخبر اليقين أن يكون صادقاً مع أهله الذين ينقل إليهم أخبار أهل البيت وليفكر بجد ويمعن النظر فيما عندنا ويعود إلى أهله بالخبر اليقين.

ثم شرع في ربط الناس بالله عن طريق ردهم إلى الآخرة وإنهم يجب أن يكونوا من ابنائها الساعين إليها العاملين لها فإنه منها قدم وإليها ينقلب أي من الحضرة الإلهية عندما كان في عالم الذر قد قدم الآن وإلى الله يعود عندما يموت ويخرج من الدنيا وتأول بعضهم هذه العبارة بقوله: أي خلق من أجل الآخرة ولا يستقيم المعنى إلا إذا فسرنا قدم بخلق ولكن الأولى حمله على المعنى الأول لوجود بعض الأخبار بذلك ولبعد التأويل ثانياً...

(فالناظر بالقلب العامل بالبصر يكون مبتدأ عمله أن يعلم: أعمله عليه أم له فإن كان له مضى فيه وإن كان عليه وقف عنه) نبه العاقل الناظر بعين بصيرته إلى ما يجب أن يكون عليه وهذه طريقة عقلائية يجري عليها ارباب الفكر والنظر إنهم ينظرون إلى ما يقدمون عليه ويريدون القيام به فيدرسونه بدقة ويتعرفون على نتائجه فإن كانت لصالحهم تابعوا طريقهم وساروا في عملهم بجد ونشاط وإن كانت النتيجة غير مفيدة ولا مثمرة

(فيهم كرائم القرآن وهم كنوز الرحمن إن نطقوا صدقوا وإن صمتوا لم يسبقوا) يذكر فضائل أهل البيت وقد ذكر منها:

١ ـ فيهم كرائم القرآن أي نزلت فيهم آيات القرآن الكريمة تبين فضلهم وتشرح عظمتهم وتثني عليهم وقيل فيهم أحسن ما في القرآن من فضائل ومناقب ومنافع وأخلاق وآداب.

٢ ـ وهم كنوز الرحمن: إنهم خزنة علم الله وبهم تتوضح مشكلات العلوم وما يستعصي حله على الناس.. إنهم أفضل خلق الله وأعزهم عليه وأقربهم إليه.. إنهم أثمن ما في الدنيا لأنهم الصفوة التي اختارها الله لقيادة البشرية.

٣ ـ إن نطقوا صدقوا: فكلامهم ملازم للصدق لعصمتهم وإنهم لا ينطقون عن الهوى.

٤ ـ وإن صمتوا لم يسبقوا: إن صمتوا ولم يتكلموا فإنما ذلك لحكمة ومصلحة فلا يكون المتكلم سابقاً لهم ومتقدماً عليهم أو كما قال الشيخ محمد عبده: يهاب الناس سكوتهم فلا يجرأ أحد على الكلام عما سكتوا عنه وإن كان الأول أرجح وأقرب...

(فليصدق رائد أهله وليحضر عقله وليكن من ابناء الآخرة فإنه منها قدم وإليها ينقلب) بعد ذكر مناقبه وأهله توجه إلى من هو موجود عنده وقد جاء ليأخذ منه الخبر اليقين أن يكون صادقاً مع أهله الذين ينقل إليهم أخبار أهل البيت وليفكر بجد ويمعن النظر فيما عندنا ويعود إلى أهله بالخبر اليقين.

ثم شرع في ربط الناس بالله عن طريق ردهم إلى الآخرة وإنهم يجب أن يكونوا من ابنائها الساعين إليها العاملين لها فإنه منها قدم وإليها ينقلب أي من الحضرة الإلهية عندما كان في عالم الذر قد قدم الآن وإلى الله يعود عندما يموت ويخرج من الدنيا وتأول بعضهم هذه العبارة بقوله: أي خلق من أجل الآخرة ولا يستقيم المعنى إلا إذا فسرنا قدم بخلق ولكن الأولى حمله على المعنى الأول لوجود بعض الأخبار بذلك ولبعد التأويل ثانياً...

(فالناظر بالقلب العامل بالبصر يكون مبتدأ عمله أن يعلم: أعمله عليه أم له فإن كان له مضى فيه وإن كان عليه وقف عنه) نبه العاقل الناظر بعين بصيرته إلى ما يجب أن يكون عليه وهذه طريقة عقلائية يجري عليها ارباب الفكر والنظر إنهم ينظرون إلى ما يقدمون عليه ويريدون القيام به فيدرسونه بدقة ويتعرفون على نتائجه فإن كانت لصالحهم تابعوا طريقهم وساروا في عملهم بجد ونشاط وإن كانت النتيجة غير مفيدة ولا مثمرة

إن كل عمل وراءه نية أما حسنة طيبة خالصة لله أو سيئة قبيحة خبيثة فيها شرك ورياء فإن كانت النية على الوجه الأول ترى الفعل حسناً صالحاً وترى نتائجه في طاعة الله وخدمته وخدمة عباده وإن كانت النية على الوجه الآخر انعكس ذلك على العمل فكان عملاً سيئاً قبيحاً وكانت ثمرته معصية الله ومحاربة عباده والاضرار بهم . . .

إن كل عمل وراءه نية أما حسنة طيبة خالصة لله أو سيئة قبيحة خبيثة فيها شرك ورياء فإن كانت النية على الوجه الأول ترى الفعل حسناً صالحاً وترى نتائجه في طاعة الله وخدمته وخدمة عباده وإن كانت النية على الوجه الآخر انعكس ذلك على العمل فكان عملاً سيئاً قبيحاً وكانت ثمرته معصية الله ومحاربة عباده والاضرار بهم. . .

مِنَ ٱلْمُضِيِّ فِيهِ لِغَسَقٍ[٢٢] دُجُنَّتِهِ[٢٣] فَإِذَا أَلْقَتِ الشَّمْسُ قِنَاعَهَا[٢٤]، وبَدَتْ أَوْضَاحُ[٢٥] نَهَارِهَا، وَدَخَلَ مِنْ إِشْرَاقِ نُورِهَا عَلَى الضَّبَابِ[٢٦] فِي وِجَارِهَا[٢٧]، أَطْبَقَتِ الأَجْفَانَ عَلَى مَآقِيهَا[٢٨]، وَتَبَلَّغَتْ[٢٩] بِمَا ٱكْتَسَبَتْهُ مِنَ الْمَعَاشِ[٣٠] فِي ظُلَمِ لَيَالِيهَا. فَسُبْحَانَ مَنْ جَعَلَ اللَّيْلَ لَهَا نَهَاراً وَمَعَاشاً، وَالنَّهَارَ سَكَناً[٣١] وَقَراراً! وَجَعَلَ لَهَا أَجْنِحَةً مِنْ لَحْمِهَا تَعْرُجُ[٣٢] بِهَا عِنْدَ الْحَاجَةِ إِلَى الطَّيَرَانِ، كَأَنَّهَا شَظَايَا[٣٣] الآذَانِ، غَيْرَ ذَوَاتِ رِيشٍ وَلاَ قَصَبٍ[٣٤]، إِلاَّ أَنَّكَ تَرَى مَوَاضِعَ ٱلْعُرُوقِ بَيِّنَةً أَعْلاَماً[٣٥]. لَهَا جَنَاحَانِ لَمَّا يَرِقَّا فَيَنْشَقَّا، وَلَمْ يَغْلُظَا فَيَثْقُلاَ. تَطِيرُ وَوَلَدُهَا لاَصِقٌ بِهَا لاَجِيءٌ إِلَيْهَا، يَقَعُ إِذَا وَقَعَتْ، وَيَرْتَفِعُ إِذَا ٱرْتَفَعَتْ، لاَ يُفَارِقُهَا حَتَّى تَشْتَدَّ أَرْكَانُهُ، وَيَحْمِلَهُ لِلنُّهُوضِ جَنَاحُهُ، وَيَعْرِفَ مَذَاهِبَ عَيْشِهِ، وَمَصَالِحَ نَفْسِهِ. فَسُبْحَانَ ٱلْبَارِيءِ لِكُلِّ شَيْءٍ، عَلَى غَيْرِ مِثَالٍ خَلاَ مِنْ غَيْرِهِ!.

اللغة

١ ـ الخفاش : بضم الخاء وتشديد الفاء حيوان لبون معروف يطير ليلاً.
٢ ـ انحسرت : كلت.
٣ ـ كنة الشيء : جوهره وحقيقته وغايته.
٤ ـ ردعته : منعته وكفته.
٥ ـ المساغ : المسلك والطريق.
٦ ـ بلغه : ادركه ووصل إليه.
٧ ـ المشورة : النصيحة.
٨ ـ أذعن : أقرّ واعترف.
٩ ـ اللطائف : جمع لطيفة ما صغر ودق.
١٠ ـ الغامض : ما خفي مأخذه خلاف الواضح.
١١ ـ عشيت : العين ضعفت عن الرؤية والعشا سوء البصر وضعفه.
١٢ ـ سبحات النور : درجاته وأطواره.

مِنَ ٱلْمُضِيِّ فِيهِ لِغَسَقِ[٢٢] دُجُنَّتِهِ[٢٣] فَإِذَا أَلْقَتِ الشَّمْسُ قِنَاعَهَا[٢٤]، وبَدَتْ أَوْضَاحُ[٢٥] نَهَارِهَا، وَدَخَلَ مِنْ إِشْرَاقِ نُورِهَا عَلَى الضَّبَابِ[٢٦] فِي وِجَارِهَا[٢٧]، أَطْبَقَتِ الأَجْفَانَ عَلَى مَآقِيهَا[٢٨]، وَتَبَلَّغَتْ[٢٩] بِمَا ٱكْتَسَبَتْهُ مِنَ الْمَعَاشِ[٣٠] فِي ظُلَمِ لَيَالِيهَا. فَسُبْحَانَ مَنْ جَعَلَ اللَّيْلَ لَهَا نَهَاراً وَمَعَاشاً، وَالنَّهَارَ سَكَناً[٣١] وَقَراراً! وَجَعَلَ لَهَا أَجْنِحَةً مِنْ لَحْمِهَا تَعْرُجُ[٣٢] بِهَا عِنْدَ الْحَاجَةِ إِلَى الطَّيَرَانِ، كَأَنَّهَا شَظَايَا[٣٣] الآذَانِ، غَيْرَ ذَوَاتِ رِيشٍ وَلاَ قَصَبٍ[٣٤]، إِلاَّ أَنَّكَ تَرَى مَوَاضِعَ ٱلْعُرُوقِ بَيِّنَةً أَعْلاَماً[٣٥]. لَهَا جَنَاحَانِ لَمَّا يَرِقَّا فَيَنْشَقَّا، وَلَمْ يَغْلُظَا فَيَثْقُلاَ. تَطِيرُ وَوَلَدُهَا لاَصِقٌ بِهَا لاَجِيءٌ إِلَيْهَا، يَقَعُ إِذَا وَقَعَتْ، وَيَرْتَفِعُ إِذَا ٱرْتَفَعَتْ، لاَ يُفَارِقُهَا حَتَّى تَشْتَدَّ أَرْكَانُهُ، وَيَحْمِلَهُ لِلنُّهُوضِ جَنَاحُهُ، وَيَعْرِفَ مَذَاهِبَ عَيْشِهِ، وَمَصَالِحَ نَفْسِهِ. فَسُبْحَانَ ٱلْبَارِيءِ لِكُلِّ شَيْءٍ، عَلَى غَيْرِ مِثَالٍ خَلاَ مِنْ غَيْرِهِ!.

اللغة

١ ـ الخفاش : بضم الخاء وتشديد الفاء حيوان لبون معروف يطير ليلاً.
٢ ـ انحسرت : كلت.
٣ ـ كنة الشيء : جوهره وحقيقته وغايته.
٤ ـ ردعته : منعته وكفته.
٥ ـ المساغ : المسلك والطريق.
٦ ـ بلغه : ادركه ووصل إليه.
٧ ـ المشورة : النصيحة.
٨ ـ أذعن : أقرّ واعترف.
٩ ـ اللطائف : جمع لطيفة ما صغر ودق.
١٠ ـ الغامض : ما خفي مأخذه خلاف الواضح.
١١ ـ عشيت : العين ضعفت عن الرؤية والعشا سوء البصر وضعفه.
١٢ ـ سبحات النور : درجاته وأطواره.

ذلك.. وكذلك حمده باعتبار أن عظمة الله منعت العقول أن تجد طريقاً لها إلى بلوغ نهاية ملكوته لأن سلطانه وملكه لا تنهى إليه العقول...

(**هو الله الحق المبين أحق وأبين مما ترى العيون**) بعد أن ذكر الحمد لله للأمرين المتقدمين أعاد بذكر الله ليقول أنه الحق الثابت الموجود الذي تقر بوجوده العقول بشكل أظهر وأوضح مما ترى العيون لأن العيون قد تخطىء أما العقول فإن اقرارها بالله من شؤونها الفطرية المركوزة في عمق النفس البشرية وهذه من أولى البديهيات التي يؤمن بها هذا الإنسان ولا يخطىء بما يتوصل من خلالها...

(**لم تبلغه العقول بتحديد فيكون مشبهاً ولم تقع عليه الأوهام بتقدير فيكون ممثلاً**) نفى أن تصل العقول إلى تحديد الله وتعريفه لأن ذلك يستدعي الوقوف عند الحدود كما هو حال الموجودات فيكون مشبهاً بها ومشابهاً وهذا ليس من صفات الباري جلّ وعلا.

وكذلك لا يمكن للأوهام أن تختلف له صورة تخترعها مما تلتقطه من الأمور فيكون مركباً منها ومما يسرقه الوهم من كل منها والله منزه عن ذلك...

(**خلق الخلق على غير تمثيل ولا مشورة مشير ولا معونة معين فتم خلقه بأمره وأذعن لطاعته فأجاب ولم يدافع وانقاد ولم ينازع**) بكلمة كن كان الوجود ابتداءً واختراعاً ولم يكن ثمة خلق قبل الله حتى خلق هذا الخلق على شكله ومثاله كما أن الله لكماله المطلق ليس بحاجة إلى مشير أو معين لأن ذلك من صفات المحتاج والله هو الغني المتعال وبهذا تم خلق الله بقوله كن ومشيئته التكوينية كان ما أراد واضحت كل مخلوقاته مقرة بعظمته مستجيبة له مطيعة لأمره إطاعة تكوينية بلسان الحاجة والفقر إلى جوده وعطائه وأجابت كلها لندائه وأمره بدون مدافعة ولا منازعة كما قال تعالى: ﴿**ثم استوى إلى السماء وهي دخان فقال لها وللأرض إئتيا طوعاً أو كرهاً قالتا أتينا طائعين..**﴾.

(**ومن لطائف صنعته وعجائب خلقته ما ارانا من غوامض الحكمة في هذه الخفافيش التي يقبضها الضياء الباسط لكل شيء ويبسطها الظلام القابض لكل حي**) بعد أن انتهى من المقدمة دخل في المقصود من الخطبة وهو النظر إلى عجائب خلق الله في الخفاش ودقائق ما فيه وسر ذلك وقد تعجب ـ وهو موضع العجب ـ من هذا الخفاش الذي ينزوي ويختبىء من ضوء الشمس ونورها الذي يسرح به كل مخلوقات الله وتخرج معلنة عن حركتها وحرية تنقلها وسعيها بينما يخرجها الظلام ويطلق سراحها الليل عكس سائر المخلوقات التي تأوي إلى أماكنها وتستريح من عملها وتنزوي فلا تخرج... إنه حيوان على خلاف المعهود من مخلوقات الله وكائناته الحية...

ذلك.. وكذلك حمده باعتبار أن عظمة الله منعت العقول أن تجد طريقاً لها إلى بلوغ نهاية ملكوته لأن سلطانه وملكه لا تنهى إليه العقول...

(**هو الله الحق المبين أحق وابّين مما ترى العيون**) بعد أن ذكر الحمد لله للأمرين المتقدمين أعاد بذكر الله ليقول أنه الحق الثابت الموجود الذي تقر بوجوده العقول بشكل أظهر وأوضح مما ترى العيون لأن العيون قد تخطىء أما العقول فإن اقرارها بالله من شؤونها الفطرية المركوزة في عمق النفس البشرية وهذه من أولى البديهيات التي يؤمن بها هذا الإنسان ولا يخطىء بما يتوصل من خلالها...

(**لم تبلغه العقول بتحديد فيكون مشبهاً ولم تقع عليه الأوهام بتقدير فيكون ممثلاً**) نفى أن تصل العقول إلى تحديد الله وتعريفه لأن ذلك يستدعي الوقوف عند الحدود كما هو حال الموجودات فيكون مشبهاً بها ومشابهاً وهذا ليس من صفات الباري جلّ وعلا.

وكذلك لا يمكن للأوهام أن تختلف له صورة تخترعها مما تلتقطه من الأمور فيكون مركباً منها ومما يسرقه الوهم من كل منها والله منزه عن ذلك...

(**خلق الخلق على غير تمثيل ولا مشورة مشير ولا معونة معين فتم خلقه بأمره وأذعن لطاعته فأجاب ولم يدافع وانقاد ولم ينازع**) بكلمة كن كان الوجود ابتداءً واختراعاً ولم يكن ثمة خلق قبل الله حتى خلق هذا الخلق على شكله ومثاله كما أن الله لكماله المطلق ليس بحاجة إلى مشير أو معين لأن ذلك من صفات المحتاج والله هو الغني المتعال وبهذا تم خلق الله بقوله كن ومشيئته التكوينية كان ما أراد واضحت كل مخلوقاته مقرة بعظمته مستجيبة له مطيعة لأمره إطاعة تكوينية بلسان الحاجة والفقر إلى جوده وعطائه وأجابت كلها لندائه وأمره بدون مدافعة ولا منازعة كما قال تعالى: ﴿**ثم استوى إلى السماء وهي دخان فقال لها وللأرض إئتيا طوعاً أو كرهاً قالتا أتينا طائعين**..﴾.

(**ومن لطائف صنعته وعجائب خلقته ما ارانا من غوامض الحكمة في هذه الخفافيش التي يقبضها الضياء الباسط لكل شيء ويبسطها الظلام القابض لكل حي**) بعد أن انتهى من المقدمة دخل في المقصود من الخطبة وهو النظر إلى عجائب خلق الله في الخفاش ودقائق ما فيه وسر ذلك وقد تعجب ـ وهو موضع العجب ـ من هذا الخفاش الذي ينزوي ويختبىء من ضوء الشمس ونورها الذي يسرح به كل مخلوقات الله وتخرج معلنة عن حركتها وحرية تنقلها وسعيها بينما يخرجها الظلام ويطلق سراحها الليل عكس سائر المخلوقات التي تأوي إلى أماكنها وتستريح من عملها وتنزوي فلا تخرج... إنه حيوان على خلاف المعهود من مخلوقات الله وكائناته الحية...

ترى موضع عروقها ظاهرة بينة وهي جناحان لم يرّقا كثيراً حتى لا يتحملان صدمة الهواء فينشقان ولم يغلظا بحيث يزداد ثقلهما فيعجز عن الطيران بهما فسبحان من جعل لهما توزاناً خاصاً في الرقة والثقل وفي هذه الدقة . . .

(تطير وولدها لاصق بها لاجيء إليها يقع إذا وقعت ويرتفع إذا ارتفعت لا يفارقها حتى تشتد اركانه ويحمله للنهوض جناحه ويعرف مذاهب عيشه ومصالح نفسه فسبحان البارىء لكل شيء على غير مثال خلامن غيره) وهذا ثالث موارد التعجب وهو حالتها مع ولدها فإنها تحمله على بطنها وترضعه والحال كذلك إنه تبع لها في هبوطه وصعوده في طيرانه وسقوطه لا يفارقها حتى تشتد اجنحته وتقوى ويستطيع أن تنهضه جناحاه على الطيران ويعرف وجوه كسبه ورزقه ومصالح نفسه من قدرته على الدفاع والهروب عند الضرورة وغيرها من موارد الدفاع وبعبارة أخرى يبقى ملتصقاً بأمه حتى يستقل بشؤونه وكل أموره التي يكمل بها حياته . . .

ثم إنه بعد أن كان قد افتتح كلامه بالحمد لله ختمه بالتسبيح له الخالق لكل ما في الوجود ابتداء وابتداعاً من غير تقليد لأحد كان قد خلق شيئاً فيها فقلده الله فيها حاشا لله وجل إنه يقول للشيء كن فيكون ابتداء لا تقليداً لغيره ومن عجائب صنعه ما نراه من خلق الخفاش ودقة تكوينه . . .

ترى موضع عروقها ظاهرة بينة وهي جناحان لم يرّقا كثيراً حتى لا يتحملان صدمة الهواء فينشقان ولم يغلظا بحيث يزداد ثقلهما فيعجز عن الطيران بهما فسبحان من جعل لهما توزاناً خاصاً في الرقة والثقل وفي هذه الدقة . . .

(تطير وولدها لاصق بها لاجيء إليها يقع إذا وقعت ويرتفع إذا ارتفعت لا يفارقها حتى تشتد اركانه ويحمله للنهوض جناحه ويعرف مذاهب عيشه ومصالح نفسه فسبحان البارىء لكل شيء على غير مثال خلامن غيره) وهذا ثالث موارد التعجب وهو حالتها مع ولدها فإنها تحمله على بطنها وترضعه والحال كذلك إنه تبع لها في هبوطه وصعوده في طيرانه وسقوطه لا يفارقها حتى تشتد اجنحته وتقوى ويستطيع أن تنهضه جناحاه على الطيران ويعرف وجوه كسبه ورزقه ومصالح نفسه من قدرته على الدفاع والهروب عند الضرورة وغيرها من موارد الدفاع وبعبارة أخرى يبقى ملتصقاً بأمه حتى يستقل بشؤونه وكل أموره التي يكمل بها حياته . . .

ثم إنه بعد أن كان قد افتتح كلامه بالحمد لله ختمه بالتسبيح له الخالق لكل ما في الوجود ابتداء وابتداعاً من غير تقليد لأحد كان قد خلق شيئاً فيها فقلده الله فيها حاشا لله وجل إنه يقول للشيء كن فيكون ابتداء لا تقليداً لغيره ومن عجائب صنعه ما نراه من خلق الخفاش ودقة تكوينه . . .

٩٣ ـ ومن خطبة له عليه السلام وفيها ينبّه أمير المؤمنين
على فضله وعلمه ويبيّن فتنة بني أمية ١٢٠
٩٤ ـ ومن خطبة له عليه السلام وفيها يصف الله تعالى
ثم يبين فضل الرسول الكريم وأهل بيته ثم يعظ الناس ١٢٨
٩٥ ـ ومن خطبة له عليه السلام يقرر فضيلة الرسول الكريم ١٣٥
٩٦ ـ ومن خطبة له عليه السلام في الله وفي الرسول الأكرم ١٣٧
٩٧ ـ ومن خطبة له عليه السلام في أصحابه وأصحاب رسول الله ١٤٠
٩٨ ـ ومن كلام له عليه السلام يشير فيه إلى ظلم بني أمية ١٥١
٩٩ ـ ومن خطبة له عليه السلام في التزهيد من الدنيا ١٥٤
١٠٠ ـ ومن خطبة له عليه السلام في رسول الله وأهل بيته ١٦١
١٠١ ـ ومن خطبة له عليه السلام وهي إحدى الخطب المشتملة على الملاحم .. ١٧٢
١٠٢ ـ ومن خطبة له عليه السلام تجري هذا المجرى
وفيها ذكر يوم القيامة وأحوال الناس المقبلة ١٧٦
١٠٣ ـ ومن خطبة له عليه السلام في التزهيد في الدنيا ١٨٤
١٠٤ ـ ومن خطبة له عليه السلام ١٨٧
١٠٥ ـ ومن خطبة له عليه السلام في بعض صفات
الرسول الكريم وتهديد بني أمية وعظة الناس ١٩٦
١٠٦ ـ ومن خطبة له عليه السلام وفيها يبين فضل الإسلام
ويذكر الرسول الكريم ويلوم أصحابه ١٩٦
١٠٧ ـ ومن خطبة له عليه السلام في بعض أيام صفين ٢٠٦
١٠٨ ـ ومن خطبة له عليه السلام وهي من خطب الملاحم ٢٠٩
١٠٩ ـ ومن خطبة له عليه السلام في بيان قدرة الله وانفراده بالعظمة وأمر البعث . ٢٢٣
١١٠ ـ ومن خطبة له عليه السلام في أركان الدين ٢٤٧
١١١ ـ ومن خطبة له عليه السلام في ذم الدنيا ٢٦٣
١١٢ ـ ومن خطبة له عليه السلام ذكر فيها ملك الموت
وتوفية النفس وعجز الخلق عن وصف الله ٢٧٨
١١٣ ـ ومن خطبة له عليه السلام في ذم الدنيا ٢٨٠
١١٤ ـ ومن خطبة له عليه السلام وفيها مواعظ للناس ٢٨٨
١١٥ ـ ومن خطبة له عليه السلام في الاستسقاء ٢٩٨
صلاة الاستسقاء وكيفيتها ٣٠٢

٩٣ ـ ومن خطبة له عليه السلام وفيها ينبّه أمير المؤمنين
على فضله وعلمه ويبيّن فتنة بني أمية ١٢٠
٩٤ ـ ومن خطبة له عليه السلام وفيها يصف الله تعالى
ثم يبين فضل الرسول الكريم وأهل بيته ثم يعظ الناس ١٢٨
٩٥ ـ ومن خطبة له عليه السلام يقرر فضيلة الرسول الكريم ١٣٥
٩٦ ـ ومن خطبة له عليه السلام في الله وفي الرسول الأكرم ١٣٧
٩٧ ـ ومن خطبة له عليه السلام في أصحابه وأصحاب رسول الله ١٤٠
٩٨ ـ ومن كلام له عليه السلام يشير فيه إلى ظلم بني أمية ١٥١
٩٩ ـ ومن خطبة له عليه السلام في التزهيد من الدنيا ١٥٤
١٠٠ ـ ومن خطبة له عليه السلام في رسول الله وأهل بيته ١٦١
١٠١ ـ ومن خطبة له عليه السلام وهي إحدى الخطب المشتملة على الملاحم .. ١٧٢
١٠٢ ـ ومن خطبة له عليه السلام تجري هذا المجرى
وفيها ذكر يوم القيامة وأحوال الناس المقبلة ١٧٦
١٠٣ ـ ومن خطبة له عليه السلام في التزهيد في الدنيا ١٨٤
١٠٤ ـ ومن خطبة له عليه السلام ١٨٧
١٠٥ ـ ومن خطبة له عليه السلام في بعض صفات
الرسول الكريم وتهديد بني أمية وعظة الناس ١٩٦
١٠٦ ـ ومن خطبة له عليه السلام وفيها يبين فضل الإسلام
ويذكر الرسول الكريم ويلوم أصحابه ١٩٦
١٠٧ ـ ومن خطبة له عليه السلام في بعض أيام صفين ٢٠٦
١٠٨ ـ ومن خطبة له عليه السلام وهي من خطب الملاحم ٢٠٩
١٠٩ ـ ومن خطبة له عليه السلام في بيان قدرة الله وانفراده بالعظمة وأمر البعث . ٢٢٣
١١٠ ـ ومن خطبة له عليه السلام في أركان الدين ٢٤٧
١١١ ـ ومن خطبة له عليه السلام في ذم الدنيا ٢٦٣
١١٢ ـ ومن خطبة له عليه السلام ذكر فيها ملك الموت
وتوفية النفس وعجز الخلق عن وصف الله ٢٧٨
١١٣ ـ ومن خطبة له عليه السلام في ذم الدنيا ٢٨٠
١١٤ ـ ومن خطبة له عليه السلام وفيها مواعظ للناس ٢٨٨
١١٥ ـ ومن خطبة له عليه السلام في الاستسقاء ٢٩٨
صلاة الاستسقاء وكيفيتها ٣٠٢

١٣٣ ـ ومن خطبة له عليه السلام يعظم الله سبحانه ويذكر القرآن والنبي ويعظ الناس ٣٩٠
١٣٤ ـ ومن كلام له عليه السلام وقد شاوره عمر بن الخطاب في الخروج إلى غزو الروم ٣٩٧
١٣٥ ـ ومن كلام له عليه السلام وقد وقعت مشاجرة بينه وبين عثمان فقال المغيرة بن الأخنس: أنا أكفيكه فقال علي عليه السلام للمغيرة ٣٩٩
١٣٦ ـ ومن كلام له عليه السلام في أمر البيعة ٤٠١
١٣٧ ـ ومن كلام له عليه السلام في شأن طلحة والزبير وفي البيعة له ٤٠٣
١٣٨ ـ ومن كلام له عليه السلام يومىء فيها إلى ذكر الملاحم ٤٠٨
١٣٩ ـ ومن كلام له عليه السلام في وقت الشورى ٤١٢
١٤٠ ـ ومن كلام له عليه السلام في النهي عن غيبة الناس ٤١٤
١٤١ ـ ومن كلام له عليه السلام في النهي عن سماع الغيبة وفي الفرق بين الحق والباطل ٤١٧
١٤٢ ـ ومن كلام له عليه السلام عن واضع المعروف في غير أهله ٤١٩
١٤٣ ـ ومن خطبة له عليه السلام في الاستسقاء وفيه تنبيه العباد إلى وجوب استغاثة رحمة الله إذا حبس عنهم رحمة المطر ٤٢٢
١٤٤ ـ ومن خطبة له عليه السلام في مبعث الرسل وفضل آل البيت ٤٢٨
١٤٥ ـ ومن خطبة له عليه السلام في ذم الدنيا ٤٣٥
١٤٦ ـ ومن كلام له عليه السلام وقد استشاره عمر بن الخطاب في الشخوص لقتال الفرس بنفسه ٤٣٨
١٤٧ ـ ومن خطبة له عليه السلام فيها مواعظ للناس ٤٤٢
١٤٨ ـ ومن كلام له عليه السلام في ذكر أهل البصرة ٤٥١
١٤٩ ـ ومن كلام له عليه السلام قبل موته ٤٥٤
١٥٠ ـ ومن خطبة له عليه السلام يومي فيها إلى الملاحم ويصف فئة من أهل الضلال ٤٥٩
١٥١ ـ ومن خطبة له عليه السلام يحذر من الفتن ٤٦٧
١٥٢ ـ ومن خطبة له عليه السلام في صفات الله جل جلاله وصفات أئمة الدين . ٤٧٨
١٥٣ ـ ومن خطبة له عليه السلام في صفة الضالين وموعظة الغافلين ٤٨٥
١٥٤ ـ ومن خطبة له عليه السلام يذكر فيها فضائل أهل البيت ٤٩٣
١٥٥ ـ ومن خطبة له عليه السلام يذكر فيها بديع خلقه الخفاش ٤٩٩

٢٩ / ١ / ٢٠٠٥
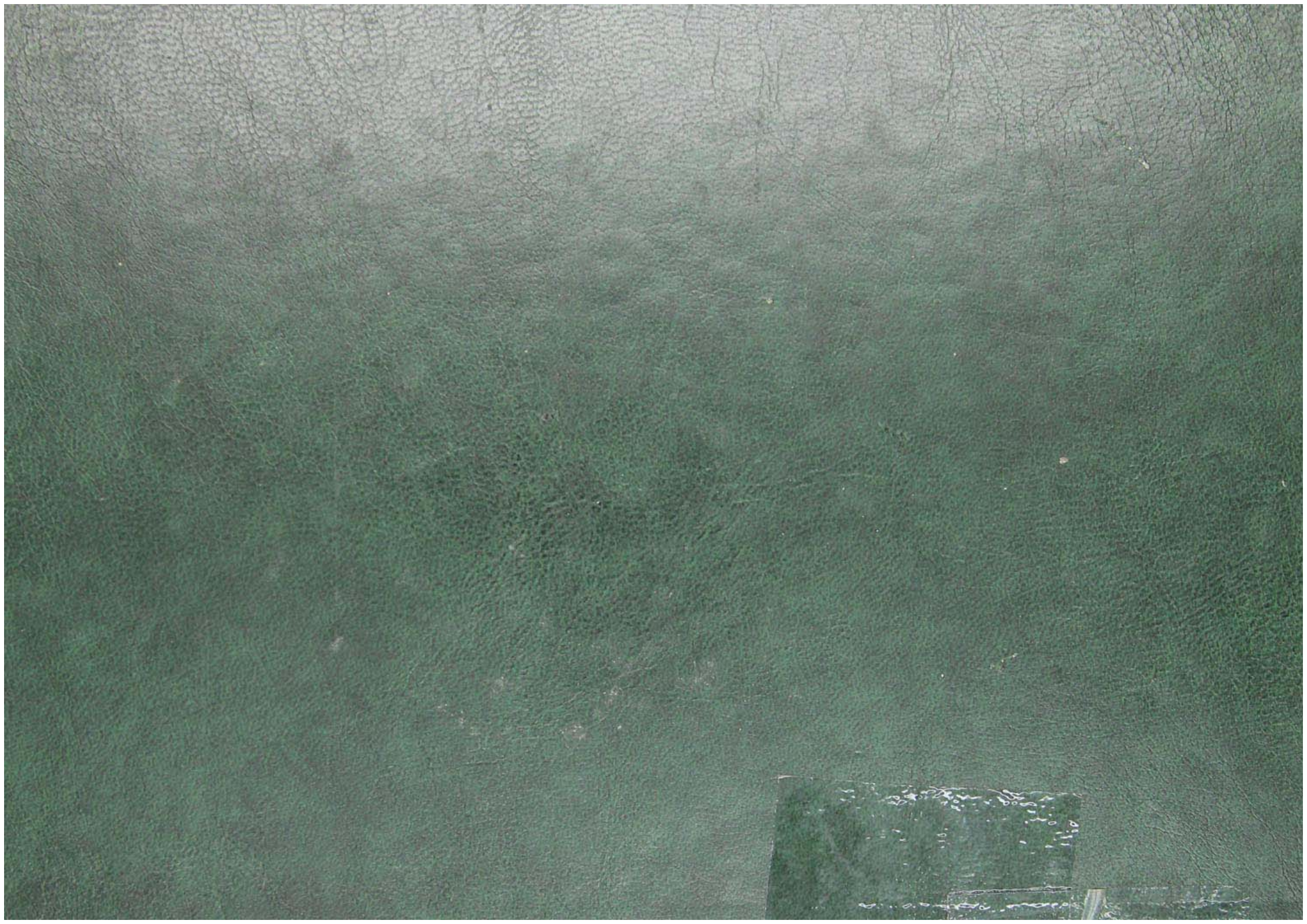
١٣٣ ـ ومن خطبة له عليه السلام يعظم الله سبحانه ويذكر القرآن والنبي ويعظ الناس ٣٩٠
١٣٤ ـ ومن كلام له عليه السلام وقد شاوره عمر بن الخطاب في الخروج إلى غزو الروم ٣٩٧
١٣٥ ـ ومن كلام له عليه السلام وقد وقعت مشاجرة بينه وبين عثمان فقال المغيرة بن الأخنس: أنا أكفيكه فقال علي عليه السلام للمغيرة ٣٩٩
١٣٦ ـ ومن كلام له عليه السلام في أمر البيعة ٤٠١
١٣٧ ـ ومن كلام له عليه السلام في شأن طلحة والزبير وفي البيعة له ٤٠٣
١٣٨ ـ ومن كلام له عليه السلام يومىء فيها إلى ذكر الملاحم ٤٠٨
١٣٩ ـ ومن كلام له عليه السلام في وقت الشورى ٤١٢
١٤٠ ـ ومن كلام له عليه السلام في النهي عن غيبة الناس ٤١٤
١٤١ ـ ومن كلام له عليه السلام في النهي عن سماع الغيبة وفي الفرق بين الحق والباطل ٤١٧
١٤٢ ـ ومن كلام له عليه السلام عن واضع المعروف في غير أهله ٤١٩
١٤٣ ـ ومن خطبة له عليه السلام في الاستسقاء وفيه تنبيه العباد إلى وجوب استغاثة رحمة الله إذا حبس عنهم رحمة المطر ٤٢٢
١٤٤ ـ ومن خطبة له عليه السلام في مبعث الرسل وفضل آل البيت ٤٢٨
١٤٥ ـ ومن خطبة له عليه السلام في ذم الدنيا ٤٣٥
١٤٦ ـ ومن كلام له عليه السلام وقد استشاره عمر بن الخطاب في الشخوص لقتال الفرس بنفسه ٤٣٨
١٤٧ ـ ومن خطبة له عليه السلام فيها مواعظ للناس ٤٤٢
١٤٨ ـ ومن كلام له عليه السلام في ذكر أهل البصرة ٤٥١
١٤٩ ـ ومن كلام له عليه السلام قبل موته ٤٥٤
١٥٠ ـ ومن خطبة له عليه السلام يومي فيها إلى الملاحم ويصف فئة من أهل الضلال ٤٥٩
١٥١ ـ ومن خطبة له عليه السلام يحذر من الفتن ٤٦٧
١٥٢ ـ ومن خطبة له عليه السلام في صفات الله جل جلاله وصفات أئمة الدين . ٤٧٨
١٥٣ ـ ومن خطبة له عليه السلام في صفة الضالين وموعظة الغافلين ٤٨٥
١٥٤ ـ ومن خطبة له عليه السلام يذكر فيها فضائل أهل البيت ٤٩٣
١٥٥ ـ ومن خطبة له عليه السلام يذكر فيها بديع خلقه الخفاش ٤٩٩